الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العَرَب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
حي الورود -شارع حمد الجاسر- هاتف وفاكس ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١١
الرياض-المملكة العربية السعودية

ج ١ ، ٢ س ٣٥ - رجب وشعبان، سنة ١٤٢٠هـ - تشرين ٢ ، كانون ١ (نوفمبر ، ديسمبر) سنة ١٩٩٩م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٢٨)

ذو عثث: (ذُو غُثَثٍ)

قال البكـريُّ في «معجم ما استعجم»: (ثم يلي العثـاعث، ذو عثث: وهو وادٍ يصب في التَّسْرِيـرِ، يصبُّ فيه وادي مَـرْعَى، هكذا قالـه السكونيّ: مَـرْعَى بالميم، وأظنـه ثُرْعَى بـالثاء المضمـومة، لأنـي لا أعلم (مرعى) اسم مـوضع، وهـو وادٍ لبني الوحيـد، داخل الحمى، من أكرم مياه الحِمَى، وهو بوسط الوَضَحِ، بَرْثٌ أبيض) انتهى.

أصل كلام البكري - رحمه الله - منقـول من وصف حِمَى ضَرِيَّة للهجريِّ، وقد أورد البكري وصفه كـاملاً، إلاَّ انه لم يَنْسبه إلى الهجري، ولكن السمهوديَّ في «وفـاء الوفاء» في الكلام على حِمَى ضَرِيَّـة أورد خلاصة وافية من ذالك الـوصف، ونَصَّ على أنه نقله من كتاب الهجري، وأصلـه فيما ورد في «وفاء الوفاء» ومصادر أخـرى بعد وصفه لجبال العرائس، ذكـر أن عن يسارهـا بالـوَضَحِ جبالٌ بينهـن أَرْتَاقٌ صِغَارٌ سُـوْدٌ عَلاَهن الـرَّمْلُ مشرِفَاتٌ على مَهْـزُول، وهو وادٍ في إقبال النِّيْرِ، وهُنَّ يُسَمَّيْنَ العثـاعَث، ثم يلي العَثَاعث ذُو غُثَثٍ وادٍ يَصُبُّ في التَّسْـرِيرِ، ويصب فيه وادي مَـذْعَا، وهـو بناحية الحِمَـى ثم يليه نَضَادُ وهو بِطَرَف النِّيْرِ الشرقي. إلى آخر ما ذكر.

وكلمـة (ذُو غُثَثٍ) وَرَدَتْ عند السمهـودي في حـرف الغَين قائلاً: (ذُو غُثَثٍ كَصُـرَدٍ

بمثلثتين: جبلٌ بِحِمَى ضَرِيَّة) وورد الاسم في كتاب «بلاد العرب» بصورتين بإعجام العين وبإهمالِهاوعليها ضَمَّةٌ، وورد في «معجـم البلدان» مضبوطاً غُثَثُ - بالْغَيْن، ونقل هذا عن الأصمعي وعن الحـازمي، ولم يورد عثث بالعين المهملة، وفي كتـاب الحازمي (بـاب غُثَثٍ وعُبَبٍ) وبعـد الضبط بضم الغيـن المعجمـة قـال: (ذو غُثَثٍ جبلٌ بِحِمَى ضَرِيَّـة، تخرج سيـول التَّسْرِيْـرِ منه، وقبله قـال نصر مثل هـذا بزيادة (ومِـن نَضَادٍ) وفي «القاموس وشـرحه»: وذُوْ غُثَثٍ كَصُرَدٍ، ماءٌ لغَنِيٍّ بن أَعْصُر أو جبلٌ بحمى ضـرية تخرج سيول التسرير منه ومن نَضَاد.

ويفهم من كـلام الهَجَـرِيِّ: أنه وادٍ ولَيْسَ جبـلاً، وهـو كذالـك إذْ يُعرَف الآن بـاسم (غُثَـاة) وهو وادٍ يقع شمـال النِّيْرِ، فتـلاقيه أوديـةُ النِّيْرِ، فتفيض كلُّهَـا في وادي التَّسرِيـر المعروف الآن بوادي الرِّشَـاء في عالية نجد، والنِّيْرُ وذو بِحَار ونَضَـادِ وغُثَثُ (غثاة) كلها معروفة الآن في عالية نجد.

وإذن فصواب الكلمة (ذو غُثَث) بـالغين، إذ لا يزال للاسم بقية وهـو (غُثَاة)، وهذه عادة العامة في الأسمـاء التي لا يعرفون معناها، يحورونها إلى أسمـاء يعرفون لها معنى، فَغُثَاةُ عندهم مأخوذ من غُثَاءِ السَّيْل المعروفِ المستعمل في لهجتهم.

أما كلمـة (مَرْعَى) و(تَـرْعَى) الواردتان في كـلام البكري، فسيأتي الحـديث عنها في رسم (مَرْعَى) وأن الصواب (مَذْعَى)..

عَوْقَةُ: (عِزقَة)

قـال ياقـوت في «معجـم البلـدان»: (عَوْقَـة: بفتح أولـه، وسكون ثـانيـه، كأنَّهُ المـرَّةُ الوَاحِدَة مِنَ العَوْقِ المقدَّمِ ذكره: قَرْيَة باليَمَامَةِ يسكنها بَنُو عَدِيٍّ بن حَنِيْفَة) انتهى.

وفي «صفة جزيرة العرب» بعد أن ذكر مَنْفُوْحَـة قال: (وفوق ذالك قرية يقال لها وَبَرَةُ بها نـاس من الباديـة، وفوق ذالـك قَرْيَةٌ يقـال لها العـوقة، فيهـا ناس من بني عَـدِيٍّ بن حَنِيْفَة) انتهى. وقـال في حرف الغين: (غِـرْقَة - بفتح أوله وسكـون ثانيـه، وَغِرْقَة: قـرية باليمامة ذكرها ذُو الرُّمَّةِ، قريةٌ ونَخْلٌ لبني عديٍّ بن حنيفة) انتهى.

ولم أجد في شعر ذي الرُّمَّةِ الذي حققه الدكتور عبد القدوس أبو صالح، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩٤هـ هذا الاسم. ومنازل بني عَدِيٍّ في العِرْضِ، المعروف باسم (الباطن) مع قومهم من بني حَنِيفة، أوضح ذالك صاحبا كتابي «بلاد العرب» و«صفة جزيرة العرب».

لا أستبعد أن يكون ياقوت عول في اسم (العوقة) على ما في كتاب الهمداني، وما فيه وما ذكر ياقوت تصحيف (عِرْقَة) بالعين المهملة والراء بدل الواو، وتنطق بكسر العين وإسكان الراء بعدها قاف، وقد ذكر ياقوت قبل هذا في معجمه: (العَرِقَةُ من قُرَى اليمامةِ، لم تَدْخُل في صُلْحِ خالد بن الوليد، رضي الله عنه، يوم مُسَيْلِمَة) انتهى.

وَعِرْقَة بلدة مشهورة ويوشك أَنْ يبلُغَهَا عُمْرانُ مدينة الرياض لقربها منها.

العَوْنِيْد: (العُوَيْنِد)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (العَوْنِيْدُ: مَوْضِعٌ قُرْب مَدْيَنَ بين مِصْر والمَدِيْنَةِ، من أَعْمَال مِصْر، قُرْبَ الحَوْرَاء) انتهى.

وقد تكرر الاسم بهذه الصيغة (العَوْنِيْد) بتقديم النون على الياء في كتاب «أحسن التقاسيم» وكتاب «الروض المعطار» فجاء في كتاب «أحسن التقاسيم» بأن العَوْنِيْدَ هي ساحل قُرْحٍ، عامرة كثيرة العمل، ولها مَرْسًى حَسَن) وقال: (إن بينها وبين بَدَا مرحلة) وقال في وصف طريق الساحل: (إلى الصلاَ ثم إلى النَّبْك ثم إلى ظُبَة، ثم إلى عَوْنِيْد، ثم إلى الوَجْه) انتهى.

وفي كتاب «الروض المعطار»: (العَوْنِيْدُ مدينة قَرِيْبَةٌ من نصف الطريق من جدة إلى القلزم وهناك يطلب الملاحون البشارة من الحجاج، ومدينة العَوْنِيْدِ مسورة صغيرة، أَهلُهَا أَجْهَلُ خَلْقِ اللّه، والفَوَاجِرُ يتحاكَمْن إلى الوالي فيحكم بينهن، ولا يتمسكون من الإسلام إلاَّ بالشهادة، وهي قريبة من مرسى ضبا. ويبدو عند الجَزْرِ أَثَرُ قَدم من أَوْسَطِ الأقدام، يُشْبِهُ الكعب والأخمص والصدر والأصابع، لم يُعْفِهَا الزَّمَان، ولا محاها كُرور الماء عليها) انتهى.

وقال موزل في كتاب «شمال الحجاز» -ص١٤٩-: (إن قُدَامَة والمقدسيَّ يذكران العُوَيْنِدَ في مكانه الصحيح -بعد ظُبَّة وليس قبلها- كما ذكره اليعقوبي، وقال: وعلى نحو خمسين كيلاً من الجنوب من ظبة توجد أكوام صغيرة لأطلال المنزل المعروف بالعُوَيْنِدِ الذي حَرَّفَهُ النُّسَّاخُ إلى العَوْنِيد) انتهى.

وأقول: يوجد أمام نقطة التقاء وادي عَنْتَرَ بالبحر (قرب خط الطول ٥َ / ٣٦ْ وخط العرض: ٤٩َ/ ٢٦ْ) جزيرة صغيرة تدعى العُوَيْنِدِيَّة، لا أستبعد أن يكون الموضع المذكور، ويلاحظ أن وادي عَنْتَر كان من منازل الطريق المعروفة، لدى الرحالة المتأخرين، وهذا الموضع في أسفل وادِي بَدَا، وهو بعيد عن الموضع الذي ذكره (موزل) ولم أجد من يعرفه.

وقد تحدثت بتوسُّعٍ في تحديد جميع المواضع المذكورة فيما تقدم من الأقوال في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي».

وقول صاحب «الروض المعطار» أن (العونيد من نصف الطريق من جُدَّة إلى القلزم) أراه سبق قلم صوابه: (في نصف الطريق من مصر إلى القُلْزم) الذي هو بحر الحجاز -البحر الأحمر-.

العيارى: (الغَبَارَى)

قال البكري في «معجم ما استعجم»: (العَيَارى على وَزْن فَعَالى: أرض لِسِنْبِس من طَيِّءٍ، سيأتي ذكرها في رسم المَطَالي). انتهى.

وقال في رسم (المَطَالي) -بفتح أوله على وزن مفاعل) ونقل عن أبي حنيفة: (المطالِي روضاتٌ بالحِمَى، واحدها مَطْلَى، مقصور قال: والمِطلاء مَمْدُوْدٌ مسيلٌ سَهْلٌ، وليس بِوَادٍ، يُنْبِتُ العِضَاه، وجَمْعُهُ المَطَالِي أيضاً، وقال محمد بن حبيب: المَطَالي: جمعُ مَطْلَاة وهي ما انْخَفَض واتَّسَعَ مِنَ الأرض. وقال زَيْدُ الخيلِ:

مَنَعْنَا بَيْنَ رَشْقَ إلى المَطَالِي ... بِحَيٍّ ذِي مُكَابَرَةٍ عَنُودِ
نَزَلْنَا بَيْنَ فَيْدِ والخِلَافَى ... بِحَيٍّ ذِي مُدَارَاةٍ شَدِيْدِ
وَحَلَّتْ سِنْبِسٌ طَلْحَ العَيَارى ... وَقَدْ رَغِبَتْ بِنَصْرِ بَنِي لَبِيْدِ

رَشْق: أرض. وفَيْد: محدد في موضعه، وهـو الذي أقطعه رسول الله ﷺ زيد الخيل. والخِلاَفَى: فَأْوٌ. والعَيَارَى: أرض لِلَبِيْد بْنِ سِنبس) انتهى.

وقال في رسم (الخِـلاَفى): (الخِلاَفى بِكَسْـرِ أوله وبالْفَـاء أيضاً بَعْدَهَـا يَاء عَلَى وَزْن فَعالَى، وهو مِثَال عَزِيز، والخِلاَفَى: فَأْو مِنَ الأرض قِبَلَ فَيْدَ، قَالَ: زَيْد الخَيْل:

نَــــزَلْنَــــا بَيْنَ فَيْـــدٍ والخِـــلاَفَى ... بِحَيٍّ ذِي مُـــــدَارَأَةٍ شَــــدِيْـــــدِ

هكذا قُيِّدَت الرواية فيه، عن أبي عليٍّ القاليّ، وانظره في رسم المَطَالِي) انتهى.

وقـال يـاقـوت في «معجم البلـدان»: (الغَبَـارَى طَلْح الغَبَـارَى: في الجَبَلَيْنِ لِبَنِي سِنْبِس، قَالَ زَيْد الخَيْل:

وَحَلَّـت سِنْبِسٌ طَلْـح الغَبَــــــارَى ... وَقَـــدْ رَغِبَـتْ بِنَصْـــرِ بَنِي لَبِيْـــد)

انتهى.

وأورد ياقوت أيضاً في رسم (الخِلاَقى): (الخِلاَقَى مِنْ مياه الجَبَلَيْن قَالَ زَيْد الخَيْل:

نَــــزَلْنَــــا بَيْنَ فِتْـكٍ والخَـــلاَقَى ... بِحَيٍّ ذِي مُـــــدَارَأَةٍ شَــــدِيْـــــدِ

وفي «القـاموس وشـرحه»: وطَلْحُ الغَبَـارى - بفتح الغين المعجمة -: مَـوْضِعٌ لبني سِنْبِسَ بكسر السين المهملة، لقبيلة من طَيِّءٍ انتهى.

ومما تقـدم من النصوص يبـدُوْ أن المواضع الـواردة في شعر زيد الخيـل على رواية البكريِّ وهي رشق، وفيد، والخِلاَفَى والعَيَارى، كلهـا مواضع لم يتضح لي وجه الصواب فيها سـوى ما ضُبِطَ في «القاموس وشـرحه» فهذا الـذي تميل النفس إلى صحته، وفَتْك في رواية ياقوت: جبل في تلك الناحية حددته في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» ورواه أبو عبيد (فَيْد) وأستبعد صحة قول أبي عبيد.

وخلاصة القول: أَنَّ الأسماء هذه قد اعتراها التحريف والتصحيف.

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

إسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(٤)

المجلات العلمية:

تعد المجلات العلميـة رافداً بارزاً من روافد إحياء التـراث في المملكة، ومنفذاً مهمـاً من المنـافـذ التي لجأ إليهـا المحققـون والباحثـون لنشـر الكتب الصغيـرة والرسائل. ولقـد زاد من أهمية المجلات ما ا تخـذته الجامعات من شـروط للترقية احتسب من متطلبـاتها تحقيق نص قـديم، فشجع ذلك أساتـذة الجامعـات على اختيار الرسـائل القصيرة وتحقيقها ثم نشرها في المجـلات المحكمة بغية تحقيق متطلبات الترقية.

وتعد مجلة «العرب» التي أصدرهـا حمد الجاسر سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م أول مجلـة سعوديـة اهتمت اهتمـاماً واضحـاً بالتـراث بشكل عـام، سواء في كتبـه أو موضوعاته. وقد تهيأ لهذه المجلة أن تنشر مجموعة من النصوص القديمة تعددت أشكالهـا، فتارة تنشـر كتباً قـائمة بذاتهـا كنشرهـا كتاب «الأماكـن» للحازمي[١]، وأحياناً تنشـر منتخبات من الكتب كتراجم العلماء النجـديين في كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة»[٢] أو تنشر ملخصات وعروضاً للرحلات التي قام بها الرحـالة إلى الجـزيرة العربيـة وخاصـة بلاد الحـرمين الشريفين[٣] كما تهيأ لهذه المجلة أن تنشر مجموعات شعرية لبعض الشعراء القدماء مع تراجم لها من مثل: عبدالله بن همام السلولي[٤] ويزيد بن الطثرية[٥] والقحيف العقيلي[٦] ومحمد بن عبدالملك الفقعسـي الأسدي[٧] وغيـرهم. ومن الـواضح أن مجلة «العـرب» قـد عنيت بتاريخ الجـزيرة العـربية وتـراثها تاريخـاً وأدباً ومـواقع وأنسابـاً ونحو ذلك. وليس من غرضنا استعراض ما نشرته هـذه المجلة في مسيرتها الطويلة ولا تقويمه فذلك له موضع آخر ولا يتسع له المجال في هذه العجالة لكثرته وتنوعه.

أما في الجانب الأكاديمي فإن أول مجلة صـدرت في الجامعات السعودية هي

مجلة جامعة الملك سعود التي صدرت سنة ١٣٧٧هـ عند إنشاء الجامعة، واستمرت حتى سنة ١٣٩٠هـ ولم تنشر هذه المجلة شيئاً من النصوص التراثية، ثم خلفتها مجلة كلية الآداب بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً) التي صدرت سنة ١٣٩٠هـ وقد أفردت منذ العدد الأول منها حيزاً كبيراً لكتاب مهم من أقدم مؤلفات أسلافنا اللغويين هو «كتاب الأمثال» لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي[٨] (ت ١٩٨هـ).

ثم تتابع نشر النصوص المحققة في هذه المجلة خلال مسيرتها التي قطعتها، واستمر ذلك بعد تغير اسمها إلى مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود حتى دمجت المجلات الجامعية سنة ١٤٠٩هـ فأصبحت فرعاً من مجلة جامعة الملك سعود وتغيَّر اسمها إلى «مجلة جامعة الملك سعود (الآداب)» وأصبحت تصدر مرتين في العام. وأكثر النصوص التي نشرت فيها نصوص لغوية أو أدبية تحوي رسائل صغيرة، أو شعراً مجموعاً لبعض الشعراء. فمن الرسائل اللغوية مجموعة المؤلفات النحوية واللغوية نشرت بتحقيق حسن شاذلي فرهود، مثل «عقود اللمع» في النحو لابن جني[٩]، وكتاب «مختصر في ذكر الألفات» لأبي بكر ابن الأنباري[١٠]، و«المقصور والممدود» لنفطويه[١١] و«كتاب الإرشاد» لمسعود بن عمر التفتازاني[١٢] وكتاب «حروف الممدود والمقصور» لابن السكيت[١٣].

ومن كتب العروض، نشرت المجلة «مختصر القوافي» لابن جني[١٤]، تحقيق حسن شاذلي فرهود.

ومن كتب الأدب، نشرت المجلة كتاب «مناظرة بين أبي الطيب المتنبي والحاتمي» بتحقيق حسن الشماع[١٥]، وكتاب «من توفى عنها زوجها» لابن المرزبان، بتحقيق عبدالعزيز المانع[١٦] و«شعر إسماعيل بن عمار الأسدي» جمع وفاء السنديوني[١٧] و«شعر زيادة بن زيد العذري»، جمعه حسن عيسى أبو ياسين[١٨].

ومن كتب البلاغة رسالة «الإغريض في الحقيقة والمجاز والكناية والتعريض» لشيخ الإسلام علي بن عبدالكافي السبكي. بتحقيق محمد بن عبدالرحمن الهدلق[١٩].

ومما نشر فيها من غير كتب الأدب واللغة كتاب «البديع في القراءات» للحسين بن خالويه، بتحقيق صبحي عبدالمنعم سعيد[٢٠].

وما تزال هذه المجلة تولي التراث بعض الاهتمام، وإن تباعدت الفترات التي تفصل بين نشر النصوص القديمة، لقلة المهتمين بالتراث القديم من أعضاء هيئة التدريس. وتعدد منافذ النشر من جهة أخرى.

وفي سنة ١٣٩٠هـ ظهر العدد الأول من مجلة «أضواء الشريعة» التي صدرت عن كلية الشريعة بالرياض كما صدرت سنة ١٣٩١هـ «مجلة كلية اللغة العربية»، وكلتاهما تتبعان رئاسة الكليات والمعاهد العلمية التي تحولت فيما بعد إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

لم تنشر «أضواء الشريعة» نصاً قديماً قبل العدد الرابع سنة ١٣٩٣هـ حين نشرت كتاب «الباعث على الخلاص من حوادث القصاص» لعبد الرحيم بن الحسين العراقي، تحقيق محمد لطفي الصباغ[٢١]، ثم نشرت في العدد الخامس «رسالة أبي داود إلى أهل مكة في وصف سننه» تحقيق محمد لطفي الصباغ[٢٢] كما نشرت في العدد السادس كتاب «الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة»[٢٣] لمرعي بن يوسف الكرمي بقلم المحقق نفسه. وقد تقطع نشر التراث في هذه المجلة لاحقاً، ثم انحسر منها تماماً. أما «مجلة كلية اللغة العربية» التي صدر عددها الأول سنة ١٣٩١هـ فقد بدأ نشر التراث فيها من العدد السابع سنة ١٣٩٧هـ حين نشر رمضان عبدالتواب كتاب «الممدود والمقصور» لمحمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء[٢٤].

وفي عام ١٣٩٣هـ أصدرت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة مجلتها، وكانت تنشر بعض النصوص التراثية فيما صدر من أعدادها. وفي سنة ١٣٩٨هـ أصدر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي في مكة المكرمة مجلة متخصصة تعنى بالتراث باسم «مجلة البحث العلمي والتراث الإسلامي» وكانت هذه المجلة منبراً متميِّزاً من منابر تحقيق التراث في المملكة، ومتابعة ما

ينشر منه، وتقويمه، وصناعة فهارسه ومسارده. وقد دأبت هذه المجلة على تخصيص باب ثابت في كل عدد من أعدادها لنشر النصوص المحققة. وحيزاً آخر لنقد الكتب ذات العلاقة بالتراث. فنشرت في عددها الأول رسالتين قديمتين إحداهما في الحديث هما «كتاب الناسخ والمنسوخ» لأبي الفرج ابن الجوزي تحقيق عبدالكريم العزباوي(٢٥) والثانية: «رسالة في أصول الفقه» لأبي المحامد بدر الدين محمود بن زيد اللامشي الحنفي بتحقيق محمد مصطفى الشلبي(٢٦).

لقد كان من المؤمل أن تسد هذه المجلة الفراغ الذي يشعر به المهتمون بالتراث في بلادنا من حيث وجود منفذ متخصص في نشر التراث وتحقيقه وتقويمه والتعليق عليه، ولكن الفرحة بهذه المجلة لم تطل، إذ لم تلبث أن أغلقت، ففقد الوسط المهتم بالتراث منفذاً جيداً من منافذ النشر.

وفي سنة ١٤٠١/ ١٤٠٢هـ أصدرت كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى مجلة باسم «مجلة كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى» ومنذ العدد الأول فسحت هذه المجلة مكاناً لتحقيق التراث، فنشرت فصلاً عن «أوزان المتنبي وقوافيه» لأبي العلاء المعري بتحقيق الدكتور السعيد السيد عبادة(٢٧)، وهو فصل مأخوذ من كتاب «الموضح» للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) أملاه أبو العلاء على تلميذه الخطيب فنقله بتمامه إلى كتابه.

لقد أُغلقت جميع مجلات جامعة أم القرى المذكورة آنفاً وخلفتها مجلة واحدة، هي «مجلة جامعة أم القرى» التي صدر أول عدد منها سنة ١٤٠٩هـ. وقد فسحت هذه المجلة مكاناً لبعض الأعمال التراثية، ولكن المتتبع لأعدادها يجد أن هذا الحيز قد تقلَّص نظراً لالتفات المجلة إلى موضوعات علمية أخرى تخدم تخصصات كثيرة في الجامعة.

أما خارج المؤسسات الأكاديمية، فقد أصدرت دارة الملك عبدالعزيز مجلتها الدورية باسم «الدارة» سنة ١٣٩٥هـ وهي مجلة تعنى بالتراث الفكري للمملكة من الجزيرة العربية والعالم الإسلامي - مما له صلة بالجزيرة العربية - ومع ذلك

فإن إسهام المجلة في نشر نصوص التراث العربي القديم كان إسهاماً متواضعاً جداً. ولكن مما يحسب لهذه المجلة أنها نشطت - في وقت من الأوقات - في نشر الوثائق القديمة التي تخص تاريخ المملكة العربية السعودية بوجه خاص[٢٨] كما أن عروضاً لبعض كتب التراث ومراجعة لما نشر منها ولحركة الإحياء في المملكة بشكل عام تظهر بين حين وآخر على صفحاتها.

وفي شهر رجب سنة ١٤٠٠هـ/ مايو ١٩٨٠م صدرت مجلة «عالم الكتب» بجهد فردي عن (دار ثقيف للنشر والتأليف) بالرياض. وكان من أهدافها التي أوضحها رئيس التحرير في العدد الأول (التنقيب عن نوادر المخطوطات التي لازالت حبيسة خزائن الكتب في مختلف أنحاء العالم، ودراستها، والتعريف بها، وتحقيق الرسائل الصغيرة منها)[٢٩].

وعلى الرغم من أن المجلة تختص بشؤون الكتاب - بشكل عام - إلا أنها أولت التراث عناية خاصة في أعدادها على مدى أكثر من ١٨ عاماً، وذلك بنشر الرسائل الصغيرة التي بدأت منذ العدد الثاني من المجلة، إذ نشرت فيه رسالة «اختصار القول في الوقف على كلا وبلى ونعم في كتاب الله»، لأبي محمد مكي ابن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات[٣٠] وقد تميَّزت المجلة بعروض الكتب المحققة، ومراجعتها سواء ما كان منها مطبوعاً في المملكة أو خارجها، والتعريف بالمخطوطات. وأصبحت ميداناً يتبارى فيه المحققون بالنشر والتعليق والرد والتعقيب. وليس القصد استيفاء كل ما نشرته هذه المجلة. فكل أعدادها ينطق بالعناية بالتراث، وقد أضحت، وخاصة في أعدادها الأولى، مثابة للمهتمين بالتراث ينشرون فيها بحوثهم ونصوصهم المحققة.

وآخر المجلات التي تعنى بالتراث صدوراً في المملكة مجلة «عالم المخطوطات والنوادر» وهي فرع من مجلة «عالم الكتب»، وتعد ملحقاً نصف سنوي لها، وقد صدر عددها الأول في محرم ١٤١٧هـ، وتحظى هذه المجلة بتعضيد من (مكتبة الملك عبدالعزيز العامة) في الرياض، وهذه المجلة

(الملحق) متخصصة في شؤون الكتب التراثية تحقيقاً، وعرضاً وفهرسة وتصنيفاً، وحديثاً عن المكتبات وعالم المخطوطات الواسع في العالم. والمؤمل أن تسد فراغاً في هذا الجانب. وتكشف الأعداد الصادرة منها عن رغبة أكيدة في هذا الاتجاه، فقد نشرت المجلة في عددها الأول ثلاث رسائل قصيرة هي:

١ - «شرح التحيات لله»، لأبي طالب محمد بن علي الخيمي (ت ٦٤٢هـ)، بتحقيق غاده سعد السعيدي[٣١].

٢ - «رسالة القول الأقوى في تعريض الدعوى»، لحامد بن علي العمادي (١١٧١هـ) تحقيق عبدالله بن محمد بن سعد الحجيلي[٣٢].

٣ - «منظومة في الشهور الرومية»، للشاعر أبي زكريا جمال الدين يحيى بن يوسف الصرصري (ت ٦٥٦هـ) تحقيق مخيمر صالح[٣٣].

وفي العدد الثاني من المجلد الأول نشرت المجلة « فتح المتعال بشرح القصيدة المسماة لامية الأفعال» لمحمد بن محمد الرائقي الصعيدي (ت تقريباً ١٢٥٠هـ)[٣٤] ورسالة «في ذكر من سمى محمداً قبل ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ»، ومعها قصيدة «بواعث الفكرة إلى حوادث الهجرة» لابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢هـ)[٣٥].

وفي العدد الأول من المجلد الثاني الصادر في المحرم سنة ١٤١٨هـ/ مايو ١٩٩٧م نشرت المجلة ثلاث رسائل مخطوطة. هي:

١ - «تقييد في بناء جامع حسان من رباط الفتح»، لمحمد بن علي الوكالي السلاوي، تحقيق نجاة المريني[٣٦].

٢ - «المتبقي من شرح ابن كيسان لمعلقة طرفة بن العبد»، تحقيق بهاء الدين عبدالرحمن[٣٧].

٣ - «رد الإلحاد في النطق بالضاد»، لعلي بن سليمان المنصوري، تحقيق ملاذ زليخة[٣٨].

(للحديث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

١- بدأت «العرب» في نشر هذا الكتاب من المجلد ١٤ ج٣ و٤ (رمضان وشوال ١٣٩٩هـ/ أغسطس وسبتمبر ١٩٧٩م) ص ص ٢٤٥- ٢٧٧. وحتى ج٥، ٦ من المجلد ٣١ وصدر الكتاب محققًا في جزءين سنة ١٤١٥هـ.

٢- «العرب»، مج١٢ ج٩ و١٠، (الربيعان ١٣٩٨هـ/ مارس وابزيل ١٩٧٨م) ص ص ٦٤١- ٧٣٦.

٣- انظر على سبيل المثال، رحلة ابن رشيد في المجلدات ٣ و٤ و١٢ و١٧ و١٨ و٢٣. وملخص رحلتي ابن عبدالسلام الناصري الدرعي في المجلد ٩ ص ص ٣٢١- ٣٣٦ وقد استمر نشرها حتى الجزء الثاني عشر من هذا المجلد.

٤- «العرب»، مج١ ص ٣٧، ١٥٧، ٦٤٨.

٥- «العرب»، مج١ ص ٨١٦، ١٠٤٦، ١١٥٥.

٦- «العرب»، مج١ ص ٤٠٦، ٥٥١، ١١٥٥.

٧- «العرب»، مج١ ص ٩٩٩.

٨- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الرياض، سنة ١٣٩٠هـ، ص ص ٢٣١- ٣٤٥.

٩- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الرياض، سنة ١٣٩٧- ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧- ١٩٧٨م، مج٥، ص ص ١٣٥- ١٥٤.

١٠- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الرياض سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، مج٦، ص ص ٦٩- ٩٤.

١١- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الرياض، سنة ١٣٩٥هـ مج١، ص ص ٩٣- ١٢٧.

١٢- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الملك سعود، سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مج١١ ع١، ص ص ٣١٣- ٣٥٦.

١٣- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الملك سعود، سنة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، مج١٠، ص ص ٣- ٧٠.

١٤- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الرياض، سنة ١٣٩٣- ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٣- ١٩٧٤م، مج٣، ص ص ١٧٩- ٢١١.

١٥- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الرياض، سنة ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م، مج٤، ص ص ٢٣٧- ٢٩٥.

١٦- «مجلة كلية الآداب»، جامعة الرياض، سنة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، مج٤، ص ص ١٣٧- ١٦٣.

١٧- «مجلة جامعة الملك سعود» (الآداب)، مج٣، ع١ ص ص ١٤٧- ١٨٥.

١٨- نفسه، مج ١٥، ع٢، ص ص ٢٥٥- ٢٨٤.

١٩- نفسه، مج١١، ع٢، ص ص ٥٢٧- ٥٦٠.

٢٠- نفسه، مج٩، ص ص ١٢٥- ١٥٨.

٢١- «أضواء الشريعة»، سنة ١٣٩٣هـ، ٤/ ٨١-١٧١.

٢٢- «أضواء الشريعة»، ٥/ ٢٦٤- ٢٨٤.

٢٣- «أضواء الشريعة»، ٦/ ١٨٣- ٢٨٣.

٢٤- «مجلة كلية اللغة العربية»، ع٧ (١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م) ص ص ٦٥- ١٢٦.

٢٥- «مجلة البحث العلمي، والتراث الإسلامي»، مكة المكرمة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة الملك عبدالعزيز، سنة ١٣٩٨هـ ١/ ٢٢٩- ٢٤٤.

٢٦- نفسه، ١/ ٢٤٥- ٢٦٧.

٢٧- «مجلة كلية اللغة العربية»، جامعة أم القرى، سنة ١٤٠١هـ مج١، ع١، ص ص ١٩١- ٣٢٣.

٢٨- أنظر يوسف، أحمد كمال، «كشاف الدارة لخمسة عشر عاماً» الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، بلا تاريخ، ص ص ١٢٢- ١٢٣، الأرقام ٩٦٢، ٩٦٨، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٦.

٢٩- «عالم الكتب»، مج١، ع١، رجب سنة ١٤٠٠هـ/ مايو ١٩٩٠م، ص ٣.

٣٠- «عالم الكتب»، مج١، ع٢، ص ص ١٧٨- ١٨٤.

٣١- «عالم المخطوطات والنوادر»، مج١، ع١، محرم- جمادى الآخرة سنة ١٤١٧هـ/ يوليو- ديسمبر ١٩٩٦م، ص ص ٤٤- ٦٠.

٣٢- نفسه، ص ص ٦٥- ١٠٣.

٣٣- نفسه، ص ص ١٠٣- ١٠٧.

٣٤- نفسه، مج١، ع٢ ص ص ٢٩٨- ٣٧٦.

٣٥- نفسه، ص ص ٣٧٧- ٣٨٣.

٣٦- نفسه، مج٢، ع١، ص ص ١٠٨- ١٣٢.

٣٧- نفسه، ص ص ١٣٣- ١٤٥.

٣٨- نفسه، ص ص ١٤٦- ١٩٧.

«أفراد كلمات القرآن العزيز»

لأحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ)

الحمدُ لله ربّ العالمين، الّذي تفضّل بتنزيل كتاب كريم، يهدي النّاس، ويُبَشِّر المؤمنين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومَن تبع هداه، واستقام على نهجه إلى يوم الدِّين.

وبعدُ - فهذا أَثَرٌ نفيسٌ لأحمد بن فارس اللغوي تناول فيه أفراد كلمات القرآن العزيز، والكتابُ صغيرٌ في حجمه، كبيرٌ في معناه، عزيزٌ في بابه، لا يعرفُ قَدْرَهُ إلاّ مَنْ وقفَ عليه.

ورغبة في إطلاع العلماء عليه، وتعميمًا لنفعه، وإحياءً لتراثنا الإسلامي المجيد، رأيتُ تحقيق الكتاب ونشره.

فالله تعالى أسألُ أنْ يُعيننا على خدمة كتابه الكريم، ويُجنِّبنا الخطأ والزّلل، في القول والعمل، إنّه نِعْمَ المعين، هو حسبُنا، ونِعْمَ الوكيل.

المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا الرازي اللغوي النحوي، لم تشر المصادر إلى سنة ولادته، ولكنّه نشأ نشأة علمية، لأنّ والده كان عالمًا لغويًّا وفقيهًا شافعيًّا كبيرًا، فأخذ عنه العلم، ثمّ رحل إلى قزوين فأخذ عن علي بن إبراهيم القطان، وانتقل إلى (زنجان) ثم إلى (ميانج)، وزار بغداد، وسكن الموصل، وحجّ إلى مكّة، ثمّ استوطن همدان، واستقرّ به المقام في الرّيّ، وبها توفي سنة ٣٩٥هـ.

أمّا شيوخه: فقد أحصاهم الدكتور شاكر الفحام في تحقيقه لكتاب «اللامات» بما لا مزيد عليه، وصحّح الأوهام التي جاءت عند قسم من الباحثين في ذلك. («مجلة مجمع اللغة العربية» بدمشق م٤٨ ج٤، ١٩٧٣، ص ٧٨٣- ٧٩٧). وقد أغنانا عن ذكرهم.

وأمّا تلاميذه: فقد أحصاهم تلميذي الدكتور زهير عبدالمحسن في مقدمة

تحقيقه لكتاب «مجمل اللغة»، فأغناني عن ذكرهم أيضًا. (مقدمة «مجمل اللغة» ٢٠- ٢٢).

ومؤلفات ابن فارس كثيرة ذُكر منها ٦٦ كتابًا في مقدمة «مجمل اللغة» ٢٢- ٢٩، ولم يصل إلى هذا العدد أحد ممن كتب عن ابن فارس(*).

اسم الكتاب: «أفراد كلمات القرآن العزيز»، وسمّاه الزركشي في «البرهان» ١/ ١٠٥، والسيوطي في «الإتقان» ٢/ ١٣٢: «الأفراد».

والأفراد في اللغة جمع فَرْد، وهو الذي لا نظير له وأمّا في الاصطلاح فالأفراد هي الألفاظ التي لا نظير لها، فهي متوحدة فيما تدلّ عليه من معنى، بعكس الألفاظ ذات المعاني المتعددة الوجوه.

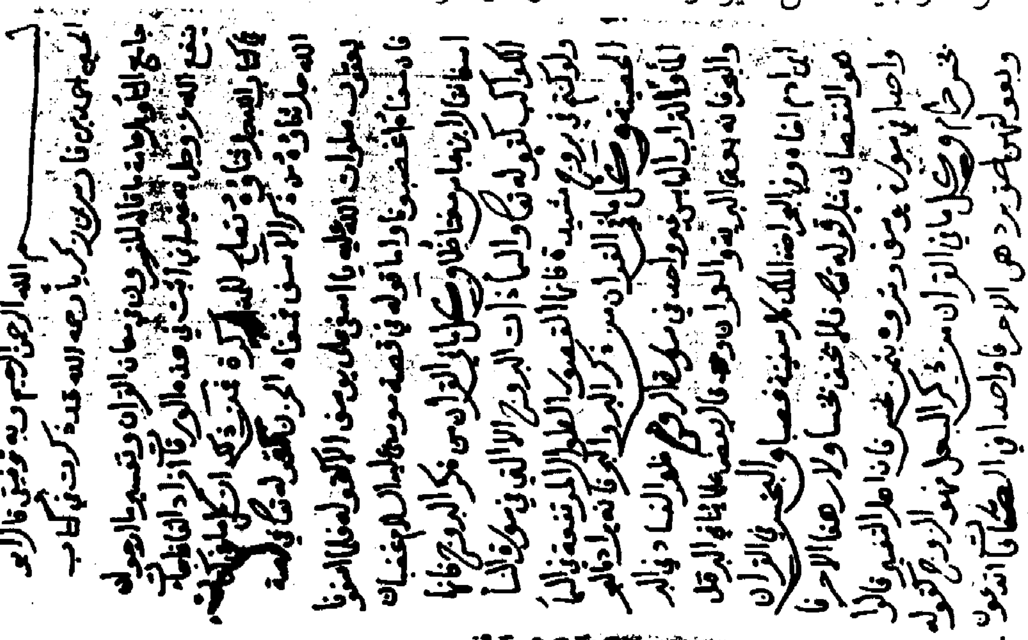
وأوّل من عرض لهذا الموضوع من القدماء مقاتل بن سليمان، المتوفّى سنة ١٥٠هـ، وأفراده مبثوثة في تفسيره، وأورد جملةً منها أبو الحسين الملطي، المتوفّى سنة ٣٧٧هـ في كتابه «التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع» ص ٧٢- ٨٠.

وكتب ابن فارس في هذا الموضوع مستفيدًا مما كتبه مقاتل، فتناول أربعًا وثلاثين لفظة هي، مرتبة على وفق تسلسلها في الكتاب: الأسف، البروج، البر والبحر، البخس، البعل، البكم، جثيًّا، حسبان وحساب، حسرة، الدّحض والدّاحض، رجز، ريب، رجم، زور، زكاة، زاغوا، يسخرون، سكينة، السعير، شيطان، شهداء، أصحاب النار، صلاة، صمم، عذاب، القانتون، كنز، مصباح، النكاح، النبأ والأنباء، الورود، لا يكلّف، يئس، الصبر. واستشهد ابن فارس بإحدى وخمسين آية، وببيت واحد من الشعر.

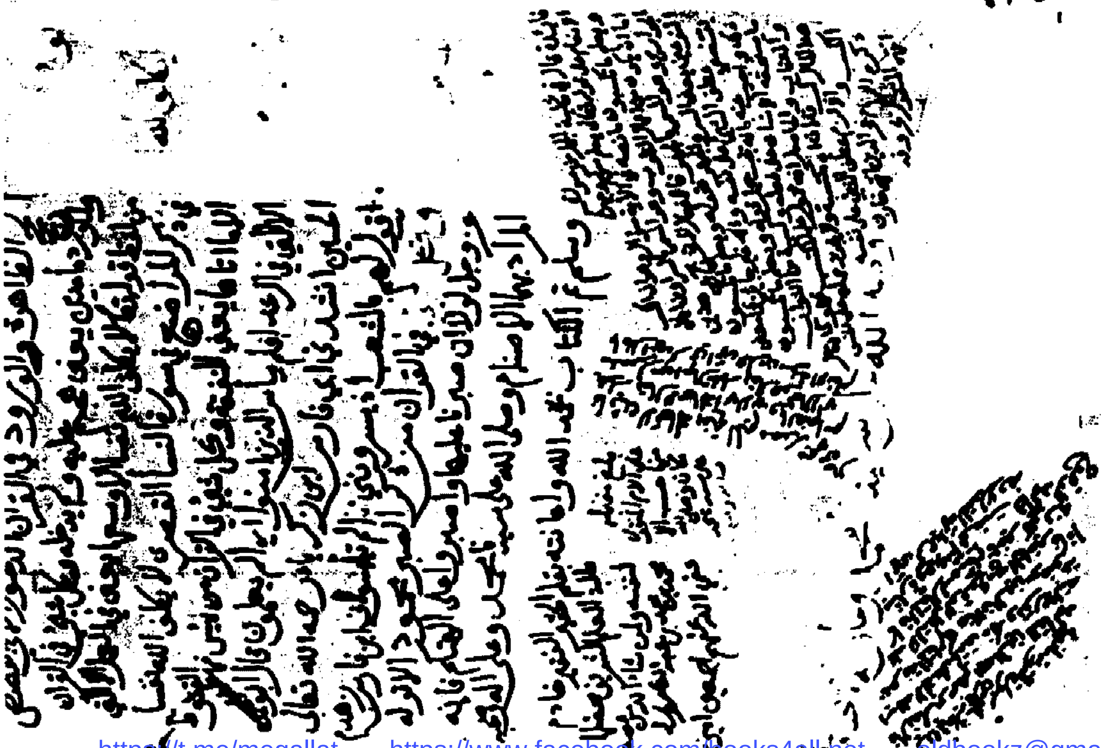
مخطوطة الكتاب: نسخة نفيسة تحتفظ بها دار المخطوطات اليمنية بصنعاء في مجموع رقمه ٢٠٨. عدد أسطر كلّ صفحة ١٩ سطرًا، كتبت بخط معتاد، وهي غير مؤرخة. وقد أشار الناسخ في آخر الكتاب إلى مقابلتها على الأم المنقول منها. وقابلت المخطوطة بكتاب «البرهان» للزركشي الذي نقل الكتاب بتمامه عدا

المقدمة وجعلته أصلًا ثانيًا. وقد نقل السيوطي الكتاب عن «البرهان» وتصرّف بالنص، لذا أهملنا الإشارة إلى كتابه «الإتقان». وقد ألحقت بالكتاب صورتي الصفحة الأولى، والصفحة الأخيرة.

ولابدّ لي أخيرًا أنْ أشكر تلميذي في قسم الدكتوراه هادي عبدالله لتصويره هذه المخطوطة راجيًا له كلّ خير، والحمدُ لله أوّلًا وآخرًا.



الصفحة الأولى



الصفحة الأخيرة

/ ١ ب / بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي قال أبو الحُسين أحمدُ بنُ فارس بن زكريا، رحمه الله: قد ذكرتُ في كتاب «جامع التّأويل» عامَّةَ ما قالَهُ المُفَسِّرون في معاني[١] القرآنِ وتفسيره[٢] ما أرجو أنْ ينفعَ اللهُ، عزّ وجلّ، به غير أنّي أثبتُ في هذه الورقاتِ أَفْرادَ ألفاظٍ جاءَتْ في كتابِ اللهِ جلّ ثناؤه، تصلحُ للمذاكرةِ. فمِنْ ذالكَ:

● انّ كلّ ما في كتابِ اللهِ، جلّ ثناؤه، من ذِكْرِ الأَسَفِ فمعناه الحُزْنُ، كقوله تعالى في قصة يعقوب، صلوات الله عليه: ﴿ياأَسَفَى على يُوسُفَ﴾ (يوسف ٨٤)، إلاّ قوله: ﴿ فلمّا آسَفُونا﴾ (الزخرف ٥٥)، فإنّ معناه: أَغْضَبُونا.

وأمّا قولُهُ في قصة موسى، عليه السلام: ﴿غضبان أَسِفًا﴾ (الأعراف١٥٠، وطه ٨٦)، فقالَ ابنُ عبّاس[٣]: مغتاظًا.

● وكلُّ ما في القرآن من ذِكْرِ البروجِ فإنّها الكواكبُ، كقوله تعالى: ﴿والسّماءِ ذاتِ البُروجِ﴾ (البروج ١)، إلاّ التي في سورة النساء (٧٨) ﴿ولو كُنتُم في بُروجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾، فإنّها القصورُ الطّوالُ المرتفعةُ في السّماءِ الحصينةُ.

● وكلُّ ما في القرآنِ مِن ذِكْرِ البَرِّ والبَحْرِ فإنّه يُرادُ بالبحر: الماء، وبالبَرّ: التّراب اليابس، غيرَ واحدٍ في سورة الروم (٤١): ﴿ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ والبَحْرِ﴾، فإنّه يعني[٤]: البريّة والعمرانَ، وقالَ بعضُ علمائِنا[٥]: في البَرّ: قَتَلَ ابنُ آدمَ أخاهُ، وفي البحرِ: أَخَذَ الملكُ كلَّ سفينةٍ غَصْبًا.

● والبَخْسُ في القرآنِ هو النُّقْصانُ[٦]، مثل قولِهِ تعالى: ﴿فلا يخافُ بَخْسًا ولا رَهَقًا﴾ (الجنّ ١٣)، إلاّ حرفًا واحدًا في سورة يوسف (٢٠): ﴿وشَرَوْهُ بثَمَنٍ بَخْسٍ﴾، فإنّ أَهلَ التفسير[٧] قالوا: بَخْس: حرام.

● وكلُّ ما في القرآنِ مِن ذِكْرِ البَعْلِ فهو الزَّوجُ، كقولِهِ: ﴿وبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ (البقرة ٢٢٨)، إلاّ حرفًا واحدًا في الصّافات (١٢٥): ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾،

/ ٢ أ/ فإنَّه أرادَ صَنَمًا.

● وكلُّ ما في القـرآنِ من ذِكْرِ البكم فهو الخَـرَسُ عن الكلامِ بالايمان، كقـولِهِ تعالى: ﴿صُـمٌّ بُكْمٌ﴾ (البقرة ١٨، ١٧١)، إنّما أرادَ: بُكْـمٌ عن النّطقِ بالتـوحيد مع صِحَّـةِ أَلْسِنَتِهِم، إلاّ حَـرْفَيْنِ: أحـدهمـا فـي سـورة بني اسـرائيل: ﴿عُمْيًـا وبُكْمًـا وصُمًّـا﴾ (الإسـراء ٩٧). والآخـر[٨] في سـورة النحل (٧٦): قـولـه، عـزّ وجلّ: ﴿أَحَدُهما أَبْكَمُ﴾، فإنّهما في هذين الموضعين اللّذان لا يقدران على الكلام.

● وكلُّ شيءٍ في القـرآن: ﴿جِثِيًا﴾ (مـريم ٦٨، ٧٢) فمعناهُ: جميعًـا، إلاّ التي في سورة الشريعة [الجاثية] (٢٨): ﴿وتَـرَى كلَّ أُمَّةٍ جاثِيةً﴾، فإنَّهُ أرادَ: تجثو على رُكَبِها[٩].

● وكلُّ ما في القرآنِ من ذِكْر: حُسْبان، وحِساب[١٠] فهو العَدَدُ، غيرَ حرفٍ في سورة الكهف (٤٠): ﴿حُسْبانًا مِن السماءِ﴾، فإنّه يعني[١١] العَذابَ.

● وكلُّ مـا في القــرآنِ مِن: حَسْـرَة، فهي[١٢] النّـدامـةُ، كقــولِـهِ، جلّ وعـلا: ﴿يـاحَسْــرَةً على العِبــادِ﴾ (يس ٣٠)، إلاّ الّتي في ســورة آل عمــران (١٥٦): ﴿ليجعَلَ الله ذلكَ حَسْرَةً في قُلُوبِهِمْ﴾، فإنّه يعني بِهِ حُزْنًا.

● وكلُّ ما في القـرآنِ مِن: الدَّحْض، والدّاحض، فمعناهُ: الباطِـلُ، كقولِهِ، جلّ ثنـاؤه: ﴿ حُجَّتُهُـم داحِضـةٌ عنــدَ رَبِّهِم﴾ (الشـورى ١٦)، إلّا [التي] فـي سـورة الصافات (١٤١): ﴿فكانَ مِن المُدْحَضِينَ﴾، فإنَّهُ أرادَ: المقروعين[١٣].

● وكلُّ حَـرْفٍ في القرآنِ من: رجـز، فهو العـذابُ كقولـه تعالى، في قصـةِ مَنْ قالَ[١٤]: ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عنّا الرِّجْزَ﴾ (الأعراف ١٣٤)، إلاّ التي[١٥] في سورة المُدَّثِّر (٥): ﴿والرُّجْزَ فاهْجُرْ﴾، فإنّه أراد[١٦] الصَّنَمَ، فاجتنبوا عبادَتَهُ.

● وكلُّ شيءٍ في القرآنِ مِن: رَيْـب، فهو شَكٌّ، غيرَ حَرْفٍ واحـدٍ، وهو قولُهُ، عزّ وجلّ: ﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المنونِ﴾ (الطور ٣٠)، فإنّه يعني حوادِثَ الدَّهْرِ.

● وكلُّ شيءٍ في القرآن: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ (يس ١٨)، و﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ (الكهف ٢٠)، فهو القتلُ، / ٢ ب/ غيرَ الّتي في سورة مريم، عليها السلام (٤٦): ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾، أي[١٧]: لأَشتمنَّكَ.

● وكلُّ حَرْفٍ في القرآنِ من: زُور، فهو الكذبُ، ويُراد [به] الشِّرْك، غيرَ الّذي[١٨] في المجادلة (٢): ﴿مُنْكَرًا مِن القولِ وزُورًا﴾، فإنَّهُ كَذِبٌ غير شركٍ.

● وكلّ شيءٍ في القرآن من: زَكاة، فهو المالُ، غير التي في سورةِ مريم، عليها السلام (١٣): ﴿وحَنانًا مِن لَدُنَّا وزَكاةً﴾، فإنّه يعني تَعَطُّفًا.

● وكلُّ شيءٍ في القرآن من: ﴿زاغوا﴾ (الصف ٥)، و﴿لا تُزِغْ﴾ (آل عمران ٨)، فإنَّهُ: مالوا، ولا تُمِلْ، غير واحدٍ في سورة الأحزاب (١٠): ﴿ وإذْ زاغَتِ الأَبْصارُ﴾، يعني[١٩]: شَخَصَتْ.

● وكلُّ شيءٍ في القرآن من: ﴿يسخرون﴾ (البقرة ٢١٢، التوبة ٧٩، الصّافات ١٢)، و﴿سِخْرِيًّا﴾ (المؤمنون ١١٠، ص ٦٣)، فإنَّهُ يُرادُ بِهِ الاستهزاء، غير التي في الزّخرف (٣٢): ﴿لِيَتَّخِذَ بعضُهم بعضًا سُخْرِيًّا﴾، فإنّه أرادَ عونًا[٢٠] وخَدَمًا.

● وكلُّ سَكِينَةٍ في القرآن: طمأنينةٌ في القَلْبِ، غيرَ واحدةٍ[٢١] في البقرةِ (٢٤٨): ﴿ فيهِ سَكِينَةٌ مِن ربِّكُم﴾، فإنّه يعني شيئًا كرأسِ الهِرَّةِ[٢٢]، لها جناحانِ، كانتْ في التّابوتِ.

● وكلُّ شيءٍ في القرآن من ذِكْرِ السَّعِير، فهو النّارُ والوقودُ، إلاّ قوله، عزّ وجلّ: ﴿إنّ المُجْرِمينَ في ضَلالٍ وسُعُرٍ﴾ (القمر ٤٧)، فإنّهُ العَناءُ[٢٣].

● وكلُّ شيءٍ في القرآن من ذِكْرِ: شيطان، فإبليسُ وجنودُهُ وذريّتُهُ، إلاّ قوله في البقرة (١٤): ﴿وإذا خَلَوْا إلى شياطِينِهِم﴾، فإنّه أرادَ[٢٤] كَهَنَتهم، مثل: كعب بن الأشرف[٢٥]، وحُيَيّ بن أَخْطب[٢٦]، [وأبي ياسر[٢٧] أخيه].

●وكلُّ شهداء[٢٨] في القرآن غير القتلى في الغزو، فهُم الّذين يشهدونَ على أمورِ النّاسِ، إلاّ التي في سورة البقرةِ (٢٣): / ٣أ/ قوله: ﴿ وادْعُوا شُهَداءَكُمْ﴾، فإنّه يُريدُ: شُركاءَكم.

● وكلُّ ما في القُرانِ مِن: أصحاب النّار، فهُم أَهلُ النّارِ، إلاّ قوله، عزّ وجلّ: ﴿وما جَعَلْنا أصحابَ النّار إلاّ ملائكةً﴾ (المدثر ٦٠)، فإنّهُ يُريدُ خَزَنَةَ النار، عليهم السلام، من الملائكةِ[٢٩].

● وكلُّ صلاةٍ في القرآنِ فهي عبادةٌ ودُعاءٌ[٣٠] ورحمةٌ، إلاّ قوله، عزّ وجلّ: ﴿وصلواتٌ ومساجِدُ﴾ (الحج ٤٠)، فإنّه يُريدُ: بيوت عباداتهم[٣١].

● وكلُّ صَمَمٍ في القرآن فهو عن الاستماع للإيمان[٣٢]، غير واحد في بني اسرائيل [الإسراء] (٩٧)، قوله، عزّ وجلّ: ﴿عُمْيًا وبُكْمًا وصُمًّا﴾ معناه: لا يسمعون شيئًا.

● وكلُّ عذابٍ في القرآن فهو التعذيبُ، إلاّ قوله، عزّ وجلّ: ﴿وليَشْهَدْ عذابَهُما﴾ (النور ٢)، فإنّه يُريدُ الضَّرب.

● والقانِتونَ: المطيعونَ، لكِنَّ قوله، عزّ وجلّ في سورةِ البقراة (١١٦): ﴿كلٌّ لهُ قانتون﴾، معناهُ: مُقِرّونَ[٣٣]. وكذلك في سورة الرّوم (٢٦): (ولهُ مَنْ في السّمواتِ والأرضِ كلٌّ له قانِتونَ﴾، يعني: مُقِرّونَ بالعبوديّة.

● وكلُّ كَنْزٍ في القرآن [فهو] المالُ، إلاّ التي[٣٤] في سورة الكهف (٨٢): ﴿وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما﴾، فإنّه أرادَ صُحُفًا وعِلمًا.

● وكُلُّ مصباحٍ في القرآن فهو الكوكبُ، إلاّ الّذي في سورة النور (٣٥): ﴿المصباحُ في زُجاجةٍ﴾، فإنَّهُ السّراجُ بعينِهِ[٣٥].

● والنّكاح في القرآنِ: التّزويج[٣٦]، إلاّ قوله، عزّ وجلّ، في سورة النّساء (٦): ﴿وابْتَلُوا اليتامى حتى إذا بلغوا النّكاحَ﴾، فإنَّهُ يعني الحُلُمَ.

● والنَّبأُ والأنباءُ في القرآن: الأَخبارُ، إلاّ قوله، عزّ وجلّ: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأنباءُ﴾ (القصص ٦٦)، فإنّه يعني / ٣ ب/ الحُجَجَ الظاهرةَ[٣٧].

● والورودُ في القرآن: الدّخولُ، إلاّ في القصص (٢٣): ﴿ولمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾، يعني: هَجَمَ عليه ولم يدخله.

● وكلُّ شيءٍ في القرآن من لفظ قوله تعالى: ﴿لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاّ وُسْعَها﴾ (البقرة ٢٨٦)، يعني: في العمل[٣٨]، إلاّ التي في ذِكْرِ المراضعِ في سورة النساء القُصْرَى [الطلاق] (٧): ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاّ ما آتاها﴾، يعني النَّفَقَةَ.

● وكلُّ شيءٍ في القرآنِ مِن: يَئِسَ، فهو القنوطُ، إلاّ الّتي في الرعد (٣١): ﴿أَفَلَمْ ييأَسِ الّذين آمنوا﴾، أَيْ: أَلَمْ يعلموا[٣٩]. قالَ أبو الحُسَين: أَنْشَدَني أبي فارس بن زكريا[٤٠]، رحمه الله تعالى:

أَقولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إذْ يَيْسِرونني　　　أَلَمْ تيأَسُوا أَنّي ابنُ فارِسِ زَهْدَمِ

● وكلُّ شيءٍ في القرآن من ذِكْرِ الصَّبْرِ محمودٌ، إلاّ قوله، عزّ وجلّ: ﴿لولا أنْ صَبَرْنا عليها﴾ (الفرقان ٤٢)، ﴿واصْبِرُوا على آلِهَتِكُم﴾ (ص ٦)، فإنَّهُ المُرادُ بهما الأصنام[٤١]. وصلّى اللهُ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

تمَّ الكتابُ بحمد الله وإعانته

بغداد: د. حاتم صالح الضامن

الحواشي:

(*) ينظر في ترجمته: «يتيمة الدهر» ٢/ ١٨٥، «دمية القصر» ٢/ ٤٨٥، «نزهة الألباء» ٣٢٠، «المنتظم» ٧/ ١٠٣، «معجم الأدباء» ٤/ ٨٠، «إنباه الرواة» ١/ ٩٢، «وفيات الأعيان» ١/ ١١٨، «الوافي بالوفيات» ٧/ ٢٧٨، «بغية الوعاة» ١/ ٣٥٢، «طبقات المفسرين» ١/ ٥٩.

(١) في الأصل: معان.　　　(٢) في الأصل: وتفسير.

(٣) عبدالله بن عباس، صحابي، ت ٦٨هـ. («أسد الغابة» ٣/ ٢٩٠، و«الإصابة» ٤/ ٣٦٩) وينظر في الآية: «تفسير الطبري» ٩/ ٦٣، و«تنوير المقباس» ١٢٥.

(٤) «البرهان»: بمعنى.

(٥) مجاهد في تفسيره: ٢/ ٥٠١. وينظر: «تفسير الطبري» ٢١/ ٤٩، و«زاد المسير» ٦/ ٣٠٥- ٣٠٦.

(٦) «البرهان»: النقص.

(٧) ينظر: «زاد المسير» ٤/ ١٢٦، و«تفسير القرطبي» ٩/ ١٥٥.

(٨) «البرهان»: والثاني.

(٩) «البرهان»: ركبتيها.

(١٠) ساقطة من «البرهان».

(١١) «البرهان»: بمعنى.

(١٢) «البرهان»: فهو.

(١٣) (فإنّه أراد المقروعين): ساقط من «البرهان».

(١٤) «البرهان»: في قصة بني اسرائيل.

(١٥) ساقطة من «البرهان».

(١٦) «البرهان»: يعني.

(١٧) «البرهان»: يعني.

(١٨) «البرهان»: التي.

(١٩) «البرهان»: بمعنى.

(٢٠) «البرهان»: أعوانًا.

(٢١) «البرهان»: واحد.

(٢٢) من «البرهان»، وهو الصواب، وفي الأصل: كرأس القصر لـه جناحان. وهو خطأ من الناسخ. ينظر: «تفسير مجاهد» ١/ ١١٤، و«زاد المسير» ١/ ٢٩٤.

(٢٣) «البرهان»: العناد. وهو تحريف. ينظر: «زاد المسير» ٨/ ٩٦ و١٠١.

(٢٤) «البرهان»: يريد.

(٢٥) قتله المسلمون سنة ٣ هـ. («المحبر» ١١٧، و«الكامل في التاريخ» ٢/ ١٤٣).

(٢٦) قتله المسلمون سنة ٥هـ. («السيرة النبوية» ١/ ٥١٤، و«الكامل في التاريخ» ٢/ ١٨٢).

(٢٧) تنظر: «السيرة النبوية» ١/ ٥١٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٨....

(٢٨) «البرهان»: شهيد.

(٢٩) «البرهان»: فإنّه يريد خزنتها. وما بعدها ساقط منه.

(٣٠) ساقطة من «البرهان».

(٣١) من «البرهان». وفي الأصل: عبادتكم.

(٣٢) من «البرهان». وفي الأصل: بالإيمان.

(٣٣) في «الإتقان»: مقرّبون. وهو خطأ, ينظر: «زاد المسير» ١/ ١٣٦.

(٣٤) «البرهان»: الذي.

(٣٥) «البرهان»: نفسه.

(٣٦) «البرهان»: التزوّج.

(٣٧) «البرهان»: بمعنى الحج. والظاهرة: ساقطة منه.

(٣٨) «البرهان»: عن العمل.

(٣٩) في الأصل: يعلمون. وهو خطأ من الناسخ.

(٤٠) البيت لسحيم بن وَثيل في «مجاز القرآن» ١/ ٣٣٢، و«الحلبة» ٤٤. وزهدم: اسم فرس.

(٤١) (فإنه المراد بهما الأصنام): ساقط من «البرهان».

الطُّرْفَةُ هذا الفنّ الأدبيّ الممتع

طُرَفُ أبي العيناء محمد بن القاسم اليماميّ نموذجًا

ثَمَّةَ أكثر من لفظ معبّـر عمّا نودّ أن نقف عنده، فهناك الطرفـة والنادرة والملحة والنكتة وهي ذات جـذور متباينـة في المعجم اللغوي[١] بيد أنّ لفظ الطـرفة يبدو أنسب لمـا نحن بصـدده من فنّ أدبيّ ذي طـابع مـرح. وإذا كـان هـذا النمط من الأدب يمتع قـارئه فـانّ الامتـاع ليس بعيـدًا عن وظيفـة الأدب على أن يتـآزر معـه التعليم. فالأدب عـامة يعلّم عن طـريق الإمتاع[٢]. فإذا أسفر عن هـدفه التعليمي خرج عن كونـه أدبًا أو فنًّا، واتجه صـوب أنماط أخرى من الكلام. وتكـون عبقرية الفنّ الأدبي في إخفـاء هدفـه التربـوي المباشـر تحت إهاب العمل الأدبي سـواء أكان شعرًا أم نثرًا.

ويأتي إيثارنـا لفظ (الطرفـة) من أنها تشي بالجـديد[٣]، الذي يفاجئنـا بجدّته ويدهشنا بما لم نتـوقعه من القول أو الفعل، ويبدو أن هذا هو جوهـر الطرفة، وسرّ استجابتنا لها. وهي قد لا تكون مرحة مبهجـة حين تتوخى النقد والسخرية اللاذعة من الظـروف القاهـرة، والحال المـائلـة فتتناول الطـرفـة الظرف المـرير بأسلـوب المصور (الكـاريكاتيـري) إذ تسلّط الضوء على الجـانـب المضحك من الظـاهرة المستهجنة، وقديمًا قيل (شـرّ البلية ما يضحك). وكثيرًا ما ترتبط الطـرفة بأسلوب أدائها أو طريقـة قصّها، إذ يمتلك بعض الناس موهبة فـي هذا الشأن فإذا بأحدهـم يخلب ألبابنا بما نعرِفه من هذه الطّرف، أو نعرف ما يشبهه أو يقترب منه.

ويبدو أن مثل هذا النمط من الفـنّ الذي يشيع المرح أو السخرية مـوجود لدى كلّ الشعوب ولاسيّمـا في مجال الأدب الشعبي[٤]. والطـرفة قـد تدعى بـــ(النكتة الشعبية). وهي تُعرَّف بأنها (خبر قصير فـي شكل حكاية أو هي عبارة أو لفظة تثير الضحك... إن النكتة تـلاعُبٌ بالألفاظ من شـأنه أن يصنع معنًى مزدوجًـا. فهناك المعنى الظاهري الـذي لا يثير الضحك إلا لكونه مـرتبطًا بالمعنى الأول)[٥]. مما

ينطبق على بعض الطرف التي نحن بصدد الوقوف عندها. وتلتقي النكتة الشعبية بالحكاية عامة في أنها تلغي الواقع الحزين أحيانًا للإنسان على صعيد الخيال الحكائي. وتسعى النكتة إلى السخرية من هذا الواقع وإدانته بأسلوبها اللاذع المركز[٦]. وهذا أمر يصحّ على الطرفة في بعض جوانبها.

وهناك من يقرن بين النكتة الشعبية والحلم من حيث إنّ كليهما يسعى إلى التخلص من رقابة الشعور (الوعي) وأنّهما ينبعان من اللاشعور (اللاوعي)[٧]. وقد ينطبق هذا الرأي على الطرفة التي تجرح الحياء ممّا أغفلناه في هذه الدراسة. ولكنّ صاحب الطرفة قد يرمز من خلالها إلى الجور بكلّ أنماطه ومصادره فلا يجرؤ على التصريح به ويلجأ إلى الطرفة أسلوبًا تعبيريًّا مناسبًا لمثل هذا الجور.

ونلمس لدى بعض جامعي الحكايات الشعبية ودارسيها أثرًا للطرفة نجده من خلال إفراد جزء لهذا النمط من الأدب قد يطلقون عليه مسمّيات مختلفة[٨].

ولاريب في أن الطرفة تكشف جانبًا من حياة الأديب وطبيعة معاناته، مثلها في ذلك مَثَلُ بقية فنون الأدب. وإن نُظر إليها على أنها أقلّ شأنًا من الفنون الأدبية الأخرى. والطرفة لا تضيء لنا حياة الأديب الذي تنسب إليه الطرفة حسبُ بل إنها تضيء العصر أيضًا وتعطي فكرة عنه وعن طبيعته وبعض ملابساته ولاسيّما إذا ما اقترنت روايتها بأحد المجالس لخليفة أو أمير أو شخصية معروفة.

وتفيد هذه الدراسة في أخبار أبي العيناء محمد بن القاسم اليمامي وطرائفه وأشعاره من كتاب «أبي العيناء، الأديب البصريّ الظريف» للأستاذة الدكتورة ابتسام مرهون الصفّار التي تقصّت حياة أبي العيناء منذ ولادته عام ١٩١هـ وحتى وفاته سنة ٢٨٣هـ أو ٢٨٢هـ على الأرجح[٩]. وهذا يعني أنه عاش ما يربو على التسعين عامًا في جوّ أدبي وعلميّ خصب. وأمّا عن أصله اليماميّ فإنّ ثمة روايات بهذا الشأن أبرزها: (إنّ أصل قومه من بني حنيفة من اليمامة ثمّ لحقهم سباء أيام المنصور فلما صار جدّه في قيده أعتقهم، فولاؤهم لبني هاشم. وهذا

يعني انّ أبا العيناء عربيّ الأصل وليس من الموالي وإنما لقب بالهاشمي لأنّ من اعتقه من الأسر هو من بني هاشم وهو المنصور فهو من مواليه)(١٠).

وقد نحا بأدبه وجهة معينة بحيث نلمس فيه أثر الطرفة واضحًا جليًّا وإن كان بعض أدبه ممّا لا يدخل في هذا المجال الذي اصطفيناه محورًا، إذ يتسم بأنه جاد بَيْد أن أبا العيناء لا يتميّز في سائر أدبه إلا في فن الطرفة التي كانت الطابع الغالب على أدبه، لاسيّما أنها وسيلة رزقه وواسطته إلى الأمراء والأغنياء، ومحور اهتمام معاصريه وكما تكشف عن ذلك سطور لاحقة.

لم يولد أبو العيناء أعمى بل وُلد أحولَ، وعمي بعد سنّ الأربعين. وهو يَأْبَى إلا أن يتخذ من كلّ ما حوله مادة لطرفه ومنها عاهته هذه حيث يقول عن عاهة الحول لديه:

حَمِدْتُ إلهي إذ بَلاني بِحُبِّها ... عَلى حَوَلٍ يُغْني عَنِ النّظَرِ الشَّزْر
نَظَرْتُ إليها وَالرّقيبُ يظنّني ... نَظَرْتُ إليه فاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعُذْرِ(١١)

ولم يسلم عماه من هاجس الطرفة الطاغية على حياته وأدبه فقد خاطبته إحدى الجواري قائلة: أنت أيضًا ياأعمى. فقال لها: ما أستعين على وجهك بشيء أصلح من العمى(١٢).

وقال المتوكل يومًا: أشتهي أن أنادم أبا العيناء لولا أنه ضرير. فبلغ ذلك أبا العيناء فقال: إن أعفاني أمير المؤمنين من رؤية الأهلّة ونظم اللآلىء واليواقيت وقراءة نقوش الخواتيم فإني أصلح له(١٣).

ويمضي أبو العيناء في تشكيل الطرفة الحية حتى وإن كانت ذات صلة بعاهته قبل عماه وبعده. ومن ذلك انه يروي عن نفسه إذ يقول: ذُكرتُ لبعض القيان فعشقتني على السماع فلما رأتني استقبحتني فقلتُ:

وَشاطِرةٍ لمّا رَأتني تَنكَّرَتْ ... وَقالَتْ: قبيحٌ أحولٌ مالَهُ جِسْمُ
فإنْ تُنكِري منّي احْوِلالًا فإنّني ... أَديبٌ أريبٌ لا عَيِيٌّ وَلاَ فَدْمُ

فاتصل بها الشعر فكتبت إليّ: إنا لم نردك أن نوليك ديوان الزمام(١٤).

وفي مجلس القاضي اسماعيل بن اسحاق داس رجل على رجْله فصاح فقال الرجل: بسم الله، فقال أبو العيناء: القصاب يذبح ويقول بسم الله(١٥).

وقريبة من هذه الطرفة قوله لأحدهم، وكان قد داس بنتًا (؟) له قائلًا: بسم الله فردّ عليه أبو العيناء: لم ترضَ بذبحها حتى ذكيتها(١٦).

وربّما بدت طرفة أبي العيناء أداة تعويض فهي تعينه على الدفاع عن نفسه بلسانه. ومن ذلك أنّ مائدة جمعته مع الشاعر أبي هفّان وكان عليها فالوذج ساخن. فقال أبو هفان مخاطبًا أبا العيناء هذه أشدّ حرًّا من مكانك فِيْ لظَى. فقال أبو العيناء: إن كانت هذه حارّة فبرّدها بشعرك(١٧). وهذه الطرفة تعكس ضمنًا رأيه بأحد شعراء عصره يسوقه بأسلوب الطرفة اللاذع.

ومن ذلك إن رجلًا داخله خبل وكان يدّعي النبوّة، فأدخل على الخليفة المتوكل فسأله: ما علامة نبوّتك؟، فقال الرجل: أن يدفع إليّ أحدكم امرأته... فقال المتوكل: ياأبا العيناء هل لك أن تعطيه بعض الأهل؟. فردّ أبو العيناء دون تردّد: إنما يعطيه من كفر به. فضحك المتوكل وخلاّه(١٨).

ويظهر من سياق طرفه أنه يحتاج فيغشى مجالس الأغنياء والأمراء ومن ذلك إن أبا الصقر وعده فسأله أبو العيناء ومتى؟ قال أبو الصقر: غدًا، فقال أبو العيناء: إن الدهر كله غد فهل عندك وعد مُخَلًّى من المعاريض؟، فقال رجل حاضر: قد استعمل المعاريض قوم صالحون. حدثنا فلان عن فلان. فقال أبو العيناء: من هذا المتحدث في حرماننا بالأسانيد؟(١٩).

وتأتي الطرفة شاهدًا على ثقافة أبي العيناء وطبيعة ثقافة عصره وتكشف عن قدرته اللغوية التي تنطوي عليها بعض طرفه فضلًا عن حسن اطلاعه، وسرعة بديهته، وسماحة خُلقه، وحرصه على أن يشيع المرح فيمن حوله. ومن ذلك ردّه على أحدهم وقد سأله: ما حالك مع فلان مذ تولّى؟ فيقول أبو العيناء: أنا معه غير جندب وهو يعني قول الشاعر:

وَإذا تكـــونُ كَـــريهَـــةٌ أُدْعى لَهـــا   وَإذا يُحـاسُ الحَيْسُ يُـدْعى جُنْـدُبُ

وتفاخـر أمامه بخيلان وتـراضيا بأبي العيناء حكمًـا يحكم في أيّهما أكثر كـرمًا فقال أبو العيناء: أنتما كما قال الشاعر:

حِمـــــارا عِبَـــاديٍّ إذا قيل نَبِّنـــا   بِشَــرِّهِمـا يَـوْمًـا يَقـولُ كِـلاهمـا[٢٠]

وبذلك فإنّ التضمين يعين أبا العيناء على إسناد ردوده الـلاذعة وتعزيز تأثيرها. وينطبق ذلك على الاقتبـاس الـذي قـد يلجأ إليه للهـدف ذاتـه. ومن ذلك إن أبـا العيناء دخل على اسمـاعيل القاضي وأخـذ يردّ عليه إذا غلط فـي اسم رجل وكنية آخر، فقـال له بعض من حضر: أتـردّ على القاضي أعـزّه الله. قال أبـو العيناء: نعم وَلِمَ لا أردّ على القاضي وقـد ردّ الهدهد على سليمان وقـال ﴿أحطت بما لـم تحط به﴾[٢١] وأنا أعلم من الهدهد وسليمان أعلم من القاضي[٢٢].

ومن المـؤكد أنّ أبـا العيناء التقى بـالجاحظ وجـالسه، وتجـاذب معه أطـراف الحديث. والجـاحظ صاحب طرفة أيضًـا، وهو يتفوق على أبي العيناء في مـوهبته وأدبه الغزير، بيد أنّ الطرفـة ليست هي السمة البارزة في أدب الجاحظ ولكنها ميزة أبي العينـاء، وأبرز صفات نـتـاجه الأدبـي المحدود[٢٣]. وممّا يـروى عن لقاء أبي العيناء بالجـاحظ، أنهما اجتمعا عند الحسن بن وهب، فقـال الجاحظ مشيرًا إلى فضل الأسماء ودلالاتهـا: علمتُ أن محمدًا بن عبـدالله أحسن من عمـرو بن بحر وانّ أبـا عبداللـه أحسن من أبي عثمان ولكنّ الجـاحظ أحسن من أبي العيناء فـردّ عليه أبو العيناء قائلًا: هيهات جئت إلى ما لا يخفى من أمورنا ففضّلتني عليك فيه وإلى ما يعـرف ففضّلت نفسك فيه. إنّ أبـا العيناء يـدلّ على كنية والجـاحظ يدلّ على عاهة، والكنية وإن سمجت أصلح من العاهة وإن ملحت[٢٤].

وتظهر بعض طرفـه وكأنها لعبٌ لفظية يقصدهـا ويوجّهها الوجهـة المرحة التي يـريد. ومـن ذلك إنّ أحدهـم سـأل أبا العينـاء: وهل بقي من يُلقَى؟ فأجـابـه على الفور: نعم في البئر[٢٥]. وحين قُدِّم إليه قـدرٌ مدّ إليها يده كي يأكل فوجـدها كثيرة العظـام، فقال: هـذه قدر أم قبـر؟[٢٦]. ويفضي رجل بشكواه إلـى أبي العيناء من

امرأته فيقول له أبو العيناء: أتحب أن تموت هي؟ فيجيبه الرجل: لا والله الذي لا إله إلا هـو. فيستغرب أبو العينـاء ويسأله: ولِمَ ويحك وأنت معذّب بهـا؟ حينذاك يردّ عليه الرجل: أخشى والله أن أموت من الفرح[٢٧].

وتعتمـد كثير من طـرف أبي العينـاء على سـرعة بـديهتـه وردّه المفاجيء غيـر المتوقع. ومن ذلك ان أحـدهـم لقيه فقال لـه: أطال الله بقاءك وأدام عـزّك وتأييدك وسعـادتك. فردّ أبـو العيناء: هـذا العنوان، فكتـاب من أنت؟[٢٨]. وسأل قَينة عن عمرهـا فردّت: ثـلاثين سنة. فقـال أبو العينـاء: أنت ابنة ثـلاثين سنة منـذ ثلاثين سنة[٢٩]. ونلمس الردّ الـلاذع في طرفة أخرى لـه مع صاعد بن مخلـد إذ وقف أبو العيناء على بابه فقيل له: إنه يصلّي فانصرف ثمّ عاوده فقيل له: إنه يصلي فقال أبو العيناء: لكلّ جديد لذّة[٣٠]. وسأل أبو العيناء أحمد بن صالح حـاجة فوعده إياها ثم اقتضاه فقال: دونها المطر والطين. فقـال أبو العيناء: فحاجتي إذن صيفية[٣١]. وروي أن أبـا العيناء محمـد بن القاسم اليمـامي حدّث بعض الـزبيريّين بفضـائل أهله، فقـال الزبيـري: أتجلب التمر إلى هجر؟ فقـال أبو العينـاء: نعم إذا أجدبت أرضها وعاوم نخلها[٣٢].

ومعظم طُرف أبـي العيناء يكون هـو بطلها ومحـورها بيـد أن ثمة من الطـرف ما يكـون مجرد راوٍ لهـا، ومن ذلك إنه قـال: رأيتُ حمّالًا قـد حمل على رأسه شيئًـا بنصف درهـم. فلما أراد الرجوع اكترى إلى ذلك الموضع حمارًا بأربعة دوانيق[٣٣].

وإذا كان لابدّ من خلاصة فانّ الطرفة لدى أبي العيناء محمد بن القاسـم اليماميّ كثيرًا ما تعكس حياته الشخصية وعاهته وطبيعـة عصره ومجالسه وثقافته. والطرفة قد تكون أداة تعويض في يـد أبي العيناء يدافع بها عن نفسه ويستعرض معـرفته وخزينه الثقافي. وأبو العينـاء يسعى للطرفة بأساليـب شتى كي يكرّس انطباع معاصـريه عنه ويـؤكده، وهـدفـه في ذلك التقـرّب إلى مجالس ذوي الشـأن والأمراء والأغنيـاء في عصره ضمـانًا لرزقـه الذي لا يستطيع الحصول عليه بسـوى لسانه. وهـو قد يشكّل

الطرفة من تلاعبه بالألفاظ أو المعاني وبأسلوب إزاحتها عن مفهومها المألوف الذي ارتبطت به. وقد لا يكون أبو العيناء بطل بعض طرفه بل مجرد راوٍ لها، ومثل هذه الطرف تنفعه في مجالسه. ومن المؤكد أن ثمّة مبالغات نُسبت إليه من خلال بعض طرفه، وهي تعزز ما عرف عنه من موهبة في النقد اللاذع والردّ القارص.

أ.د. صبري مسلم

دكتوراه في النقد الأدبي الحديث

الحواشي:

(١) ينظر: الفيروز أبادي، «القاموس المحيط»، دار الفكر، بيروت (د.ت.) مادة طرف وندر وملح ونكت.

(٢) أوستن وارين ورينيه ويليك، «نظرية الأدب»، ترجمة: محيي الدين طبحي، مطبعة خالد الطرابيشي، دمشق ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م ص ٣١.

(٣) الفيروز أبادي «القاموس المحيط»، مادة (طرف).

(٤) ألكزاندر هجرتي كراب، «علم الفولكلور»، ترجمة: رشدي صالح دار الكاتب العربي، القاهرة ١٩٦٧، ص ٩١.

(٥) د. نبيلة إبراهيم سالم، «أشكال التعبير في الأدب الشعبي»، دار نهضة مصر ط٢، ١٩٧٤، ص ٢٠٤.

(٦) نفسه ص ٢٠٦.

(٧) نفسه ص ٢٢١ حيث تورد د. نبيلة إبراهيم رأي سيجموند فرويد.

(٨) ينظر: د. عمر عبدالرحمن الساريسي، «الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني»، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٠ ص ٩٤ حيث يضع المؤلف الطرفة تحت عنوان (الحكاية المرحة). كما ينظر: د. محمد طالب سلمان الدويك، «القصص الشعبي في قطر»، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية، الدوحة ١٩٨٤ جـ١ ص ١٣٣. وهو يسمّي هذا النمط من الفنّ الأدبي (حكايات الفكاهة).

(٩) أ.د. إبتسام مرهون الصفار، «أبو العيناء الأديب البصريّ الظريف»، دار الكتب، جامعة الموصل ١٩٨٨، ص ١٣، ص ٢٧.

(١٠) نفسه ص ١١ - ١٢.

(١١) نفسه ص ١٧.

(١٢) نفسه ص ١٧٦.

(١٣) نفسه ص ١٦٥.

(١٤) نفسه ص ١٨٥.

(١٥) نفسه ص ١٤١.

(١٦) نفسه ص ١٧٩.

(١٧) نفسه ص ١٣٠.

(١٨) نفسه ص ١٦٨.

(١٩) نفسه ص ١٢٨.

(٢٠) نفسه ص ١٨١.

(٢١) سورة النمل آية ١٢.

(٢٢) د. إبتسام الصفار، «أبو العيناء....» ص ١٤١.

(٢٣) جعلت د. إبتسام الصفار أدب أبي العيناء في ثلاثة أنواع هي: نثره وشعره ومروياته،، تنظر ص ٦٥ وما بعدها.

(٢٤) نفسه ص ١٤١- ١٤٢.

(٢٥) نفسه ص ١٧٧.

(٢٦) نفسه ص ١٢٣.

(٢٧) نفسه ص ١٧٥.

(٢٨) نفسه ص ١٧٥.

(٢٩) نفسه ص ١٧٦.

(٣٠) نفسه ص ١٤٧.

(٣١) نفسه ص ١٤٠.

(٣٢) نفسه ص ١٤٥.

(٣٣) نفسه ص ٢١٣.

(معجزة المعجزات ... ومعجم المعجمات)

لا خلاف في أن القرآن الكريم، هو المصدر الأساس للغة العربية، مثلما هو المصدر الأساس للشريعة الإسلامية، تستمدّ منه أصولها وقواعدها. بل هو المصدر الأساس لكثير من العلوم الإنسانية، والعلوم الصرف، التي تفتّقت عنها عبقرية العرب المسلمين، بعد سطوع نور الإسلام، ونزول القرآن.

ونحن حين نتحدث عن هذه الجوانب، فإنما نتحدث عن (فضائل القرآن)، وعن (دلائل إعجازه)، ومظاهر ثرائه التي لا تعدّ ولا تُحدّ. ويتصل بهذا الحديث من قريب (فضائل الضاد)، هذا الحرف السحري العصيّ على غير اللسان العربي، أو بعبارة أوضح: فضائل لغة الضاد، وهي العربية التي كرّمها الله سبحانه بإنزال أفضل كتبه بها، وهو القرآن العظيم. فكرَّمها وشرّفها، وعدّ ذلك نعمة على الناطقين بها، فقال سبحانه: ﴿إنّا أنزلنٰـهُ قرآنًا عربيًّا لعلكم تعقلون﴾[١]. وقال: ﴿وهذا لسانٌ عربي مبين﴾[٢]، وقال: ﴿لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾[٣].

والقرآن بحق كتاب العربية الأكبر، كما سماه العالم الجليل الشيخ أمين الخولي[٤]، وهو كذلك، البيان الأعلى، كما سمته زوجته الدكتورة عائشة عبدالرحمن[٥] -رحمهما الله-.

ولقد انبثق من القرآن المجيد الأدلة العقلية، والحجج والشواهد العملية والنظرية، وغير ذلك مما عُرف لدى العلماء باسم (علم أصول الدين)، وهو العلم المتعلق بالفكر والعقيدة الإسلاميين، كإثبات الخالق وتوحيده وصفاته، والنبوة، والبعث والنشور، وما إليها. كما انبثق من القرآن علم آخر، له وشيجة بهذا العلم، وهو (علم الجدل)، مستمدًا من آياته البيّنات البراهين والمقدمات والنتائج وأساليب الجدل المختلفة، المتعلقة بالخصوم والمؤالفين على سواء، ففرّعوا واستنبطوا، بما هداهم إليه الفكر وطول النظر، حتى عُدّ هذا العلم من أغنى العلوم الإسلامية.

ووجد آخرون في قصص الأمم الخالية والقرون السالفة، مادة تاريخية ذات منهج علمي، يقوم على استنتاج العبرة من أحداث الماضي القريب والبعيد، وإلى الالتفات إلى سنن الله في خلقه، وفي المجتمعات، ولاسيما تلك التي انحرفت عن جادة الصواب، وجانبت سبل الحق والإيمان، فأصابها ما أصابها من العذاب الحسّي والمعنوي.

واستنبط آخرون من القرآن علمًا إسلاميًا صِرفًا، يتعلق بالجدل وأصوله وقواعده وفوائده، سموه: (علم الكلام). كان القصد منه - كما يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي[٦]: ردَّ الضلالات والبدع، وإزالة الشبهات.

واستنبط فريق من أهل العلم (أصول تعبير الرُّؤى)، مهتدين بالرموز التي وردت فيه، ممثّلة برؤًى منامية، وبتأويل تلك الرموز، بما يناسب المنطق العقلي، سواء أكانت رموزًا طبيعية تتعلق بالطبيعة السماوية أو الأرضية[٧]، كالتي في رؤيَيْ: يوسف عليه السلام[٨]، وملك مصر[٩]، أولم تكن تتعلق بالطبيعة كرؤيَيْ إبراهيم ومحمد عليهما السلام.

وأفاد آخرون من القرآن الكريم، فوائد طبية تتعلق بالطب الوقائي، كالاعتدال بالأكل والشرب، وعدم الإسراف فيهما، استجابة لقوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا﴾[١٠]. حتى أن طبيبًا للرشيد نصرانيًا كان حاذقًا، قال لعلي بن الحسين بن واقد، حين سمع هذه الآية الكريمة يتلوها عليه، ليقنعه بعناية القرآن بطب الأبدان: ما ترك كتابكم ولا نبيّكم لجالينوس طبًّا[١١]. وجالينوس طبيب اليونان الحاذق الشهير.

وأفاد آخرون من القرآن الحكيم بالطب العلاجي، كاستعمال (العسل) الذي يعدّ في الطب الحديث مادة فعّالة تشدّ أزر كثير من المواد الطبية، ولاسيما المِعَدِيّة والمِعَوِية والصدرية، وبناء على ما جاء في القرآن من هذه الإشارة الطبية عند الحديث عن إلهام الله -سبحانه- النحل باتخاذ البيوت لإنتاج العسل، فقد داوى

النبي ﷺ رجلًا بالعسل، كان (يشتكي بطنه)، وفي رواية استطلق بطنه، فقال لأخيه: اسقِهِ عَسَلًا، فلم يزل أخوه يسقيه حتى شُفي من دائه، وبرىء منه[١٢]. فكان ﷺ أول طبيب يداوي بالقرآن الكريم دواء جسميًا، وذلك بوحي من قوله عز وجل، في حديثه عن النحل: ﴿يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾[١٣].

وفضلًا عن ذلك، فقد أفاد من القرآن الكريم فريق من عباقرة العرب المسلمين، في الطب النفسي والروحي، تقوم على ضرب من التكييف النفسي العالي، في الأزمات والمعضلات، بالتفاؤل المستمر، ونبذ اليأس، والعمل الجاد المثمر، مع التوكل على الله، دون التواكل والقعود، وعلى الصبر عند الشدائد، والسُّمُوُّ النفسي والسلوكي في المواقف الضعيفة، إزاء الجاهل، والغافل، والقريب، والجار، والصديق، ومن إليهم. وهو ما يعدّ في الطب النفسي الحديث من مظاهر الصحة النفسية، التي حرص عليها القرآن كثيرًا، في عدة آيات وسور.

ومن مظاهر إعجاز القرآن العملية، إفادة الفلكيين منه، بما سمّي قديمًا بـ(علم الهيئة)[١٤]. وكان قدامى المفكرين المسلمين، يرون القرآن بَحْرًا محيطًا، يضم أصناف الجواهر والنفائس، على نحو ما نجده في كلام أبي حامد الغزالي. فهذا البحر – كما يصفه – لا ساحل له، وأنه (لو كان البحر مدادًا لكلماته، لنَفِد البحر قبل أن تنفد كلماته)[١٥]، مستمدًّا هذا الكلام من النص القرآني[١٦].

أما الفوائد الاقتصادية والاجتماعية والعلمية، المستقاة من (كتاب العربية الأكبر) فكثيرة، وقف عندها قدامى ومُحدَثُون، كالذي نجده في تفاسير ودراسات ظهرت حديثًا، وفيما كتب عن القرآن والعلم الحديث، وهو كثير، قد ثبت بالدليل العلمي القطعي، لا الظني كالذي في كتاب «القرآن والعلم الحديث» لعبدالرزاق نوفل، وغيره من الكتب.

وفي القرآن إشارات منبّهة على الصناعة، والزراعة، والكِيالة، والوزانة، وقواعدهما، فضلًا عما فيه من الحث على التعليم، وإكبار العلماء، واعتماد

الكتابة أساسًا في العلاقات الـدولية والمعاملات، وما إلى ذلك مما لا يسع حصره في هذه العجالة.

ولهذه الفضـائل والفوائد الكثيرة وغيـرها، أنزل النبيُّ ﷺ مُتَعلِّمَ القـرآن ومُعَلِّمَه المنزلةَ الفضلى، إذ قال: «خيرُكم من تعلَّم القرآن وعلَّمه»[١٧]، كما عرف الصحابة الكرام هذا الفضل الـذي للقرآن، وما فيه من ألوان العلـوم، فحثّوا على التأمل فيه، والنظر في معانيه، كالذي روي عن الإمام علي كرم الله وجهه من قوله: كتاب الله، تبصرون بـه، وتنطقون به، وتسمعـون به، وينطق بعضه ببعض، ويشهـد بعضه على بعض[١٨]، ومثلـه ما روي عن عبـدالله بن مسعود (رضي الله عنـه): مَن أراد العلم فلْيثوِّر القرآن[١٩]. وحديثه الآخر: أديموا النظر في القرآن.

ففي هذا كلـه حث على النظر الفكـري في القرآن، لغـرض الاستنباط، وإدراك معانيه الثواني، وهي المعاني التأويلية؛ للـوصول إلى حقائقه الثابتة العجيبة، التي لا تدرك إلا بإدامـة التّأمل والتفكر فيه، وهو مـا أعرض عنه المشركـون والمنافقون، ولذلك حثهم الله سبحانه عليه بهـذا الاستفهام التَّوبيخي: ﴿أفلا يتَدبَّرُون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[٢٠]؟ فجعل - سبحانه - تدبّر معانيه من أجل إدراك مقاصده وقيمه، مقابَلًا بـالقلوب مُقفَلَةً عن الفهـم، مُوْصَدةً عن التدبّـر والإفادة، تَقابُلَ الضـدّ للضدّ والنقيض للنقيض، فـالأقفال في هـذا السياق معنويـة عقيديـة، وهي أقفال الغفلة والإعـراض عن الاجتناء من هـذا الكتاب العظيم، المعجـز المبين، الحافل بكل ما هو قيّم وثمين.

فهذه نبذة موجـزة من دلائل إعجاز القرآن، وكثير مقاصـده وفوائده، فضـلًا عما أجمع عليه القدامى والمحـدثون من أنه في الطبقة العليا من البلاغـة والبيان، قال علي بن عيسى الرماني[٢١] (ت ٣٨٦هـ): فأما البلاغـة، فهي على ثلاث طبقات: منها ما هـو في أعلى طبقة، ومنها ما هـو في أدنى طبقة، ومنها ما هـو في الوسائط بين أعلى طبقـة وأدنى طبقة. فمـا كان في أعـلاهـا طبقة فهـو معجز، وهـو بلاغـة

القرآن، وما كان منها دون ذلك ممكن كبلاغة البلغاء من الناس.

ولقد حيّر القرآن ببيانه المعجز سامعيه من فصحاء العرب وبلغائهم، حتى وصفوه تارة بالسحر، وتارة بالشعر.. ذالك أنه سحرهم بهذا البيان، الذي فاق كل ما عرفوه من بيان نثري أو شعري، وغلب على ألبابهم بمعانيه وموضوعاته.. ثم لم يطل بهم المقام بعيدًا عنه، حتى رجعوا إلى الحق الذي أنكروه، والدين الذي نبذوه، فأقروا أنه ليس في طوق البشر الإتْيان بمثله، وأنه ليس من جنس الشعر، ولا حِيَل السحر، بل هو أعلى وأسمى من ذلك كله، إلى الحد الذي لا يمكن معه إلا أن يكون من كلام خالق البشر، وهو الله سبحانه.

وبهذا يصحّ القول، كما ذكر الدكتور محمد عبدالله درازبحقٍّ في كتابه القيم: «النبأ العظيم»: إنّ القرآن معجزة لغوية[٢٢]، فوق كونه معجزة عقيدية وتشريعية .. وعلمية .. فلقد تدارسه المسلمون منذ نزوله أولًا بأول، بشغف وحرص متناهيين، فعرفوا أحكامه، واجتهد من اجتهد بتأويله واستنباط معانيه وحفظه في الصدور منهم كثيرون، فاقوا الحصر على مرّ العصور، وهو ما لم يعرفه كتاب سماوي قبله. وقد جوّدوا تلاوته؛ أداءً لأصواته وألفاظه، لكي يوفّوا معانيه حقها من البيان، ذلك أن أجراس ألفاظه مؤدية لمعانيه[٢٣]، حتى صار ذلك ميزة له، وصورة من صور إعجازه التعبيرية.

ولذلك كله صار القرآن المجيد في كل جيل، قدوة الكاتب والأديب، ومترسَّم الخطيب، ومعجم اللغوي، يستمد منه مادته التعبيرية في المفردات والتراكيب، والجمل والأساليب، قبل أي مصدر لغوي آخر. وهاهي المعجمات اللغوية - إحدى مظاهر ثروة هذه الأمة الدلالية - تنهل من بحر القرآن الزاخر وتحتج به، بل ويفرد غير واحد من اللغويين معجمات خاصة لألفاظه، يبدع مصنفوها في تحرّيهم الدقة في فهم تلك الألفاظ في سياقاتها المختلفة، سواء أكانت من المشترك أم المتضاد أم المتقارب، مقتنصين من سياق الآيات - في كثير من

الأحيان – معاني إضافية، يلحظها المعجميون الآخرون، على نحو ما نجد لدى ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في كتابه «تفسير غريب القرآن»، وما تلاه من هذا النوع من التأليف، مثل كتاب محمد بن عزيز السجستاني (ت ٣٣٠هـ) وأبي عبيد الهروي (ت ٤٢١هـ) صاحب «الغريبين» والراغب الأصفهاني (ت ٤٢٠هـ)، الذي يعدّ معجمه «مفردات ألفاظ القرآن» قمّة التأليف المعجمي في القرآن.

وإذا كان القرآن قد حفظ الأمة العربية المسلمة من الضياع والتناحر، والتفرّق والخضوع لأعداء الدين، فوحّدها بعقيدة التوحيد، وجعلها ترفل بأثواب أخوّة الإسلام، بقوله ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرّقوا﴾(٢٤)، ثم ذكّرهم بهذه النعمة بقوله: ﴿إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا﴾(٢٥)، فإذا كان الأمر كذالك، وهو كذالك، فإن القرآن حفظ لهذه الأمة لغتها من الضياع. فلولاه لاندثرت الفصحى، أو تضاءلت بمرور العصور؛ لطغيان اللجهات عليها، تلك التي تشيع في حياتنا اليومية، وتختلف في كثير من الصفات عن العربية (المشترَكة)، أو كما تسمّى أيضًا (الموحَّدة)، وهي الفصيحة الخالدة، التي نزل بها الكتاب المجيد، وكُتب بها التراث العريق العريض بصنوفه المتعددة.

نعم إن القرآن حفظ لهذه الأمة وجودها، حين حفظ لها لغتها الفصيحة فليست هذه اللغة مجرد ألفاظ وتراكيب؛ وإنما هي (حياة) و(روح)؛ لأنها تحمل في كيانها التراث كله، دينيًا أو لغويًا أو أدبيًا.. ولقد عرف أسلافنا هذه الخصيصة، فجعلوا صدورهم موطنًا له، وتدارسوا معانيه ولغته ونحوه وصرفه وبلاغته، وإعجازه، فقد أثرى البحث في وجوه الإعجاز، عبر القرون المتطاولة، العربية ثراء كبيرًا، وهو ما لم تعرف له البشرية في تاريخها الطويل نظيرًا، لهذه العناية المتضافرة لدى الأجيال المتعاقبة، بكتاب سماوي أو غير سماوي، فكلما مضى قرن، بل جيل في البحث عن دلائل إعجازه وأسراره، نجم عنه آخرُ له نظرته وإبداعه في فهم وجوه هذا الإعجاز، وإدراك أسراره.

ولذلك فانّ عودتنا إلى القرآن واستمساكنـا به، تعني عودتنا إلى الحياة متكاملة، وتدارُسَنا بشغف وجـدٍّ له، إنما هو عنايـة بلغة الضاد. فما أحوجنـا اليوم إلى ترسُّم أسلوبه ولغتـه، والاستمساك بمعانيه وهـدايته، فهو الكتاب المعجـز المبين، الذي وصفـه الباري بقـوله: ﴿مـا فـرّطنا في الكتـاب من شيء﴾[٢٦]، مُنبئًا –سبحـانه– بذالك بأنه متكامل في كل شيء.

الدكتور قاصد ياسر الزيدي

قسم القرآن والتربية الإسلامية – كلية التربية للبنات – جامعة بغداد – الجادرية – بغداد

ثبت المصادر والمراجع:

(١) سورة يوسف: ٢. (٢) النحل: ١٠٣. (٣) الشعراء: ١٩٥.

(٤) «مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب» ص ٣٠٢، القاهرة ١٩٦١.

(٥) ينظر كتابها: «التفسير البياني للقرآن الكريم» ٢/ ١٢٠، ط١، مصر – ١٩٦٢.

(٦) ينظر كتابه: «جواهر القرآن» ص ٢١. دار الآفاق – بيروت ١٩٧٨.

(٧) ينظر في هذا كتابنا «الطبيعة في القرآن الكريم» عند الكلام على الطبيعة والرمز في القرآن ص ٥٠٥.

(٨) سورة يوسف الآيتان: ٤ و٥.

(٩) سورة يوسف: الآية ٤٣. (١٠) سورة الأعراف: ٣١.

(١١) «تفسير النسفي» ٢/ ٥١. طبعة دار احياء الكتب العربية – مصر.

(١٢) «الطب النبوي» لابن قيم الجوزية ص ٣٢– ٣٣، بغداد– مطبعة ديانا. (١٣) سورة النحل: ٦٩.

(١٤) وقد ألف السيد هبة الله الشهرستاني في العراق قبل نحو ستين عامًا: «الاسلام والهيئة».

(١٥) «جواهر القرآن» ص ٢٦. (١٦) وهو من سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(١٧) «صحيح البخاري» فضائل القرآن: ٦٣.

(١٨) «نهج البلاغة» بشرح الشيخ محمد عبده ٢/ ٢٣، طبعة القاهرة.

(١٩) «البرهان في علوم القرآن»، للزركشي ٢/ ١٥٤، الطبعة الأولى ١٩٥٧م. (٢٠) سورة محمد: ٢٤.

(٢١) «النكت في إعجاز القرآن»، ص ٧٥، بتحقيق الدكتور خلف الله – القاهرة.

(٢٢) «النبأ العظيم» لدراز ص ٨٠.

(٢٣) وقـد بحثنا ذلك في دراسـة بعنوان «الجـرس والإيقاع في تعبيـر القرآن» بمجلـة آداب الرافـدين – جامعـة الموصـل، العدد ١٢ لسنة ١٩٧٩.

(٢٤) سورة آل عمران: ١٠٣. (٢٥) نفسـها. (٢٦) الأنعام: ٣٨.

ظاهرة إلجاء الأراضي الزراعية وآثارها

المقدمة: كانت الزراعة والإنتاج الزراعي، وملكية الأراضي الزراعية تشكل جانبًا حيويًا مهمًا من جوانب الحياة الاقتصادية والمالية في الدولة الإسلامية، حيث انها كانت ترفد بيت المال بموارد مالية كبيرة، وتكون رزقًا حسنًا لفئات كبيرة من الناس.

وتعد ظاهرة الإلجاء من الأمور المهمة التي شهدتها ربوع الدولة الإسلامية، وقد أسهمت في ظهورها عوامل سياسية وأمنية وإدارية، فضلًا عن المبررات الاقتصادية والمالية، التي لا يقل تأثيرها عن غيرها من المؤثرات. وقد شهد العصر الأموي بدايات ظاهرة الإلجاء، واستَشْرَى خطرها، وتوسعت دائرة التعامل بها خلال العصر العباسي. والملفت للنظر أن الفقهاء والمسؤولين في الدولة وقفوا إزاء هذه الظاهرة الخطيرة موقف المتفرج، فلم يجرؤوا على شجبها، أو الحدّ من آثارها السلبية، لاسيما أنها كانت تقترب من مفهومها أحيانًا عن عملية (الغصب) التي لا تقرها مبادىء الإسلام الحنيف.

المعنى: تناولت المعاجم اللغوية مفردة (الإلجاء) باختصار شديد، على الرغم من أهمية هذه اللفظة. ففي هذا الصدد قال الرازي: لجأ إليه لاذ بحماه، والجأه إلى كذا، اضطره إليه. والجأ أمره إلى الله، اسنده[١]. بينما ذكر (ابن منظور) مفردة (لجأ) كونها تعني: لجأ إلى الشيء والمكان يلجأ لجأ ولجوءًا، وَملْجأ، ولجيء لجأ. وألجأت أمري إلى الله، أسندته. ولجأت إلى فلان: استندت إليه واعتصمت به[٢]. وفي حديث كعب رضي الله عنه: من دخل في ديوان المسلمين ثم تلجأ منهم فقد خرج من قبة الإسلام. وقال (ابن دريد): لجأ مصدر لجأت إليه، وتعني اعتصمت به[٣]. في حين قال (الزمخشري): لجأت إليه. والجأت إليه وهو ملجأ القول والجأته، اضطررته. ولجأ ماله تلجئة: جعله لبعض ورثته دون الآخرين[٤]. وقال (الخوارزمي): نعني بالتلجئة ان يلجيء الضعيف ضيعته إلى قوي ليحتمي به[٥].

ويسهب صاحب «المعجم الوسيط» في توضيح مفردة (لجأ) فيقول: لجأ إلى الشيء والمكان لجأ ولجوءًا، لاذ إليه واعتصم به. ويقال: لجأ إلى فلان، استند إليه واعتضد به وتلجأ من القوم: انفرد عنهم وخرج من زمرتهم وعدل إلى غيرهم[٦]. ونقول: لجأ الرجل إلى الحصن ونحوه، أي اعتصم به ليتقي الخطر[٧]. ونستخلص من أقوال أصحاب المعاجم، ان مصطلح الإلجاء بات مفهومًا لدى الناس وانه كان يحصل في المجتمع الإسلامي، حيث يلتجيء الضعيف ويعتصم بالقوي ويستند إليه ويلوذ بحماه. اذ يجد في الالتجاء المكان الحريز الذي يأمن به على نفسه وماله وعرضه.

عوامل حصول ظاهرة الإلجاء: بدءًا نود أن نؤكد أن ظاهرة إلجاء الأراضي الزراعية إلى ذوي النفوذ والسلطان لا تستند إلى جذور تاريخية. ذلك أننا لم نعثر على نص يشير إلى وجود هذه الظاهرة في المجتمع العربي قبل الإسلام. ولعل النظام القبلي وما فيه من التزامات وتآزر وتكاتف بين أبنائه. كفل حماية الفرد الذي وجد نفسه غير مضطر لأن يتنازل عن ملكيته، أو جزء منها، أو مقدار من انتاجه لغيره، مقابل تحقيق الحماية الذاتية له ولأسرته.

ولعل ضعف السلطة المركزية في الدولة الإسلامية[٨]، وتسلط جباة الضرائب وتعسفهم إبّان تحصيلها[٩] وازدياد شغب الجند، وتكرر تجاوزاتهم، ومحاولة بعض المزارعين التهرب من دفع الضرائب المستحقة عليهم كاملة غير منقوصة[١٠]، ولتمتع ذوي النفوذ والسلطان في الدولتين البيزنطية والساسانية بامتيازات واسعة من ضمنها حق حماية من يستجير بهم المتعسف[١١]، كلها عوامل أدت إلى حصول ظاهرة الالجاء التي جعلت الملاكين الصغار يضعون أراضيهم تحت حماية ذوي النفوذ والسلطان.

وكان الإسلام قد ألغى مبدئيًا الامتيازات التي كان يتمتع بها ذوو النفوذ السابق. وان سياسة الدولة كانت تعد المزارعين أحرارًا، لهم أن يتركوا الأرض التي يستثمرونها متى تساووا، لاسيما إذا كان هؤلاء يستثمرون أرضًا خراجية[١٢]. كما أن

سياسة الدولة قد أكدت على ضرورة ترك الفلاحين والزراع يستثمرون أراضيهم لقاء دفع ضرائب محددة، على أساس أن هذه الأراضي عدت تلك الأمة[١٣]. ومع ذلك فإن النصوص أشارت إلى حصول ظاهرة الإلجاء منذ أواسط العصر الأموي، حيث أخذ بعض الملاك الصغار يلجئون أراضيهم إلى ذوي السلطان والنفوذ طلبًا للحماية منهم، وتعززًا بهم[١٤].

صيغ الإلجاء: اكتسبت ظاهرة الإلجاء بمرور الزمن مفاهيم وصيغًا متعددةً، فهي قد تتم بأن يلجىء المزارع الضعيف أرضه إلى ذوي السلطان والنفوذ، فيتنازل عن رقبة ملكيتها وعندئذ يصبح مالكها الأول بمثابة أجير يعمل لقاء نسبة معينة من الانتاج الذي هو في الواقع انتاجه الفعلي[١٥]. وقد تقتصر عملية الالجاء إلى تنازل المزارع عن جزء من أرضه، ويبقى محتفظًا بجزء آخر، إلا أنه يبقى مستثمرًا الأرض كلها، فيأخذ نصيبًا معينًا من انتاج الجزء الذي تنازل عنه، أو الجاه، ويبقى الجزء الآخر من الانتاج إلى الشخص الذي الجئت الأرض إليه[١٦]. وقد تقتصر عملية الالجاء على التنازل عن جزء محدد من انتاج أرض المزارع، لصاحب النفوذ والسلطان، مقابل الحماية اللازمة التي يوفرها للمزارع[١٧] فعندئذ تكون حقوق ذوي النفوذ محدودة نظريًا بقضايا الانتاج، إلا أن حقوقهم قد تتسع، وتمتد سيادتهم إلى ملكية الأرض والمزارع نفسه فيُصبح الإلجاء، الجاء ملكية الأرض لا جزءًا من واردها فقط. ولعل هذه الصورة في شقها الأول هي المفضلة لدى المزارع لانه في حالة حصولها يبقى محتفظًا برقبة ملكية أرضه. فهو والحال هذه لا يفقد الا جزءًا من انتاجه، غير أنه في الوقت نفسه استطاع ان يحقق الأَمْنَ والطمأنينة والاستقرار له ولأسرته، ويضمن عائدية ملكية أرضه.

وأحسبُ أن ظاهرة الإلجاء أخذ ت اتجاهاتٍ أخرى من حيث البعد الزمني، إذ قد يتم بموجبها نقل ملكية الأرض إلى المالك الجديد بشكل نهائي، حيث تسجل في الديوان باسم المالك الجديد، فتصبح أسوة بأملاكه الخاصة الأخرى، وفي هذه الحالة تنتقل ملكيتها إلى الورثة في حالة وفاة الشخص الذي أُلجئت[١٨]

إليه. أو قد تكون عملية الإلجاء موقتة ومحددة بزمن معين، ينتهي أثرها بانتهاء نفوذ الشخص الذي أُلجئت إليه، أو في حالة وفاته[١٩]، ففي حالة كون المالك الجديد وزيرًا، أو والي اقليم، أو قائد جيش، وفقد منصبه ونفوذه وسلطانه في الدولة لأي سبب كان، فعندئذ يزول نفوذه، وتتلاشى سطوته، وقد يصبح غير قادر على حماية نفسه، وفي هذه الحال يكون غير قادر أيضًا على تأمين الحماية لغيره[٢٠]. ولعل هذه الصورة تكون أخف وطأة على المزارع الذي تضطره الظروف القاهرة على الجاء أرضه. إذ يكون في استطاعته التخلص من قيود الالجاء، لاسيما بعد أن يستطيع تدبير أمره.

بدايات حصول ظاهرة الإلجاء: ويجدر بنا هنا أن نؤكد أن ظاهرة الإلجاء لم تكن استمرارًا لتطوير سابق. بل هي ظاهرة مستحدثة أملتها الظروف السياسية والادارية والأمنية والاقتصادية التي مرت بها الدولة الإسلامية حينذاك[٢١]. ونستطيع أن نعدها بداية تحول جديد انتهى بأن عمت الملكيات الكبيرة واتسعت، على الرغم من أنها لا تنسجم مع نهج الدولة الاقتصادي[٢٢]. كما أننا نستطيع أن نعدَّ ظاهرة الإلجاء هذه بذرة أسهمت بشكل فاعل ومؤثر في ظهور نظام إقطاعي جديد في الدولة الإسلامية، وظهرت فئة من الملاك، امتلكوا ضياعًا وقرى وأراضي زراعيةً واسعة، وأصبحت لهم حقوق مالية على الفلاحين الذين يستثمرون أراضيهم[٢٣]. ومن المؤكد أن وضع الفلاحين المالي هبط إلى حالة أدنى مما كانوا عليه، وأنهم تحملوا وتقبلوا هذا التدنِّي في مستوى المعيشة مقابل حصولهم على الحماية .

ويمكن تأثير بدايات بروز ظاهرة الالجاء في أواسط العصر الأموي وان هذه الظاهرة في بداياتها الأولى تكاد تقتصر على الأمراء من البيت الأموي. وتمثلت بشكل واضح فيما ألجيء إلى الأمير مسلمة بن عبدالملك. (فالبلاذري) الذي أورد رواية (عوانة) ذكر أن الأمير مسلمة بن عبدالملك صرف ثلاثة ملايين درهم في سبيل سد البثوق التي انفجرت في سداد نهري دجلة والفرات إبَّان ولاية

الحجاج الثقفي على العراق مقابل السماح له باستصلاح أراضي البطيحة. وخلال ذلك الجأ إليه بعض الملاك الصغار ضياعًا كثيرة للتعزز به، فاتسعت أملاكه وضياعه كثيرًا(٢٤).

وفي صدد كلامه عن العرب الذين اقاموا في اذربيجان قال (البلاذري): (وابتاع بعضهم من العجم الارضين والجئت إليهم القرى للخفارة، فصار أهلها مزارعين لهم)(٢٥). وقال البلاذري أيضًا: إن أهل قرية المراغة(٢٦) (الجأوها إلى مروان [بن محمد] فابتناها وتألف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها)(٢٧).

وبعد أن بدأت ظاهرة الإلجاء في سواد العراق بشكل فردي وعلى نطاق محدود، صرنا نشهدها في أقاليم أخرى، إذ اتسع نطاقها، وتوسعت دائرة التعامل بها، وبخاصة خلال العصر العباسي. ولابد أن يكون انفراط حبل الأمن في بعض أقاليم الدولة(٢٨)، وتعسف الجباة حين استيفائهم للضرائب المقررة، وراء هذا التحول الخطير الذي أسهم في توسع الملكيات الكبيرة، وفي الوقت نفسه تقلصت مساحة الملكيات الصغيرة التي أكد عليها نهج الدولة الاقتصادي(٢٩).

إنَّ انضواء أراض زراعية عن طريق الالجاء إلى ملكية ذوي النفوذ والسلطان أدى إلى تدني حالة عدد كبير من المزارعين كما قلنا سابقًا. كما أن هذه الظاهرة أدت إلى عدم تمكن الجباة من دخول هذه الأراضي وتحصيل الضرائب المفروضة عليها. وهذا الأمر أدى إلى انخفاض موارد بيت المال، ذلك أن هؤلاء الملاكين الجدد كان باستطاعتهم التخلص من الضرائب المفروضة على الأرض التي الجئت إليهم، أو من بعضها على أقل تقدير(٣٠). وكان لظاهرة الالجاء أثر مباشر في ضعف تماسك المجتمعات القروية.

وقد تؤول ملكية الأراضي الزراعية التي يلجئها ملاكها الصغار إلى ذوي النفوذ إلى ضياع الخليفة، بعد أن يزول نفوذ الشخص الأول الذي الجئت إليه. ففي هذا الشأن يفيدنا (البلاذري) الذي ذكر أن الخليفة هارون الرشيد وجه في أواخر أيامه

(مرة بن أبي مرة الرديني العجلي) إلى (سِيْسَر)[٣١] فغلب عليها. وفي عهد محمد الأمين الجئت إليه بعض الأراضي فاستثمرها وأدى ما عليها من حقوق بيت المال، ولما تمت الغلبة للمأمون، اخرجت من يده والحقت بضياع الخلافة[٣٢].

وقال الاصطخري: (وبفارس ضياع قد ألجأها أربابها إلى الكبراء من حاشية السلطان بالعراق، فهي تجري باسمائهم، وحُقق عنهم الربع. فهي في أيدي أهلها باسماء هؤلاء، يتبايعونها ويتوارثونها)[٣٣]. من فحوى هذا النص نستدل على أن أصحاب هذه الأراضي كانوا يدفعون ربع انتاجهم، وبهذا تكون هذه الأراضي خراجية وتسقى بالآلات الرافعة، وان الضريبة المفروضة عليها كانت ثقيلة وبذلك خففت الضريبة بعد عملية الالجاء. والشيء الآخر الذي نلمسه في هذا النص أن أربابها السابقين ظلوا يستثمرونها هم وابناؤهم من بعدهم، على أن يؤدوا ما سبق أن اتفقوا على أدائه للكبراء من حاشية السلطان الذين كانوا يقيمون في العراق. وكل الذي حصل عليه أربابها السابقون أن الضريبة خففت عنهم.

ويبدو أن بعض الملاكين الصغار كان يتحاشى عسف الجباة. أو يحاول تخفيض مقدار الضريبة الواجبة الدفع، فيعمد إلى طلب حماية ذوي النفوذ السياسي ليردوا عنهم كيد أولئك المعتدين. ففي هذا الشأن ذكر (التنوخي) أن ملاكًا صغارًا شكوا إلى الخليفة المنصور ظلم عاملهم وتعسفه، وعرضوا عليه أن يدفعوا ربع حاصل انتاجهم إن قبل الخليفة تسجيل الأرض باسمه[٣٤]، ويروي (الجهشياري) أن رجلًا جاء من الاحواز إلى وزير الخليفة المنصور (أبي أيوب سليمان المورياني) وقال له: (إن ضيعتي بالاهواز قد حمل علي فيها العمال. فان رأى الوزير أن يعيرني اسمه أجعله عليها وأحمل إليه في كل سنة مئة ألف درهم. فقال: قد وهبت لك اسمي)[٣٥]. وقد أُلْزِم الرجل بحمل المال المتفق عليه إلى الوزير سنويًا.

وابّان ولاية القاسم ابن الخليفة الرشيد على جرجان وطبرستان وقزوين (الجأ

إليه أهل زنجان ضياعهم تعززًا به، ودفعًا لمكروه الصعاليك وظلم العمال عنهم، وكتبوا له عليها الاشرية، وصاروا مزارعين له. وهي اليوم من الضياع)[٣٦] السلطانية. ورغبة في الحصول على الحماية، ودفعًا لأذى الصعاليك وظلم العمال أقدم ملاك من أهل (قاقزان) على الجاء أراضيهم إلى القاسم بن الخليفة الرشيد أيضًا (على أن يجعلوا له عشرًا ثانيًا سوى عشر بيت المال، فصارت أيضًا من الضياع)[٣٧] السلطانية فيما بعد. ويبدو أن أهل قاقزان انضووا تحت لواء الدولة الإسلامية سلمًا، فجعلت أرضهم عشرية أسوة ببقية الأراضي الأخرى التي انضوى أهلها تحت لواء الدولة سلمًا[٣٨].

وكان مشايخ من أهل (المفازة)[٣٩] قد حدثوا (البلاذري)، أن الجرشي لما ولي الجبل كان له قائد يقال له (همام بن هانيء العبدي) ذا نفوذ واسع وسطوة مهابة فالجأ إليه أهل (المفازة) ضياعهم، وغلب على ما فيها من انتاج، فكان يؤدي حق بيت المال ويستأثر لنفسه باقي الانتاج. ويبدو أنه حصل من وراء ذلك على أموال طائلة. غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلًا، إذ تشير النصوص إلى أن أبناء القائد همام بن هاني العبدي قد ضعفوا بعد وفاة والدهم، وعجزوا عن القيام بادارة الضياع التي سبق أن ألجئت إلى أبيهم، فبادر بعضهم مع رجل من أهل المفازة يقال له محمد بن العباس باعتراض الخليفة المأمون ابان قدومه من خراسان يريد بغداد، (وبينوا له أن جميع أهلها (المفازة) يعطونه رقبتها ويكونون مزارعين له فيها، على أن يعزوا ويمنعوا من الصعاليك وغيرهم، فقبلها، وأمر بتقويتهم ومعونتهم على عمارتها ومصلحتها، فصارت من ضياع الخلافة)[٤٠].

ان النص المشار إليه توًا يشير بوضوح إلى أنه ما زال لأصحاب الضياع السابقين حقوق في أرضهم التي سبق لهم أن الجؤوها إلى القائد همام بن هاني العبدي، وبذلك لم تنتقل رقبة ملكيتها كاملة إلى القائد همام، وان سبب الجائهم الأول كان بدافع تحقيق الأمان والطمأنينة لهم ولأسرهم من قبل القائد الذي يبدو أنه حقق لهم هذا المطلب الذي كانوا بأمس الحاجة إليه، وان أبناء القائد همام لم

يكن في مقدورهم تحقيق هذا المطلب في تلك البلاد النائية والوعرة المسالك والبعيدة عن حاضرة الخلافة، كما يشير النص بوضوح أيضًا إلى أن أصحاب الضياع تنازلوا عن رقبة ملكية ضياعهم كليًا في المرة الثانية إلى الخليفة المأمون الذي أوعز إلى أن تضم هذه الضياع إلى ضياع الخليفة. وفي الوقت نفسه أكد الخليفة على ضرورة أن يعزز هؤلاء المزارعون، ويمنعوا من الصعاليك وتجاوزاتهم الكثيرة والمتكررة، كما أمر بمعونتهم ماديًا كي يستطيعوا عمارة هذه الضياع التي لابد أنها أخذت تدر موارد جيدة بعد أن حصلت على الدعم الكبير من الخليفة المأمون.

وذكر (مسكويه) أن معز الدولة البويهي حاول اسكات ضجيج الجند سنة ٣٣٤هـ باقطاعهم الضياع فامتلكوا الأراضي الزراعية الواسعة عن طريق الالجاء، أو نتيجة هرب الملاكين الصغار من شدة وطأة الجور الذي كانوا يلاقونه من هؤلاء المتغلبين[٤١]. ويورد (مسكويه) نصًا آخر يوضح تجاوزات جند الأتراك الذين لم يكتفوا بما خصص لهم من وارد الاقطاعات في واسط والبصرة والأحواز سنة ٣٤٨هـ، بل اقتنوا الأملاك، وحاموا على قوم على سبيل التلاجىء، فغلبوا على حقوق بيت المال وحقوق الثناء [المزارعين][٤٢].

وهكذا ظهرت فئة قوية من الملاكين الكبار الذين تمتعوا بنفوذ واسع، وحصلوا على موارد مالية جيدة، الأمر الذي أثار حفيظة الفلاحين والمزارعين الصغار الذين شعروا بالحيف، على الرغم أن كثيرًا منهم ألجأ أرضه بمحض إرادته. إلا أنهم كما يبدو كانوا مضطرين فندموا على ذلك، لذا كانوا يتحينون الفرص للانضمام إلى الحركات المعارضة وبخاصة التي كانت تزعم أنها تنادي بالعدالة، وتتجه ضد الملاكين في القرنين الثالث والرابع الهجريين. فمثلًا لما تحرك (المازيار) سنة ٢٢٤هـ دعا الفلاحين للوثوب على أصحاب الضياع وانتهاب أموالهم. فاستجابوا له بسرعة واندفاع شديدين[٤٣]. ولقيت حركة الزنج (٢٥٥-٢٧٠هـ) تأييدًا كبيرًا من عدد من الفلاحين والعمال الذين اشتغلوا في النشاط

الزراعي[٤٤]. كما وجدت الحركة القرمطية التي بدأ نشاطها في سواد العراق في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، واشتد أوزارها في النصف الأول من القرن الرابع الهجري تجاوبًا كبيرًا من الفلاحين في سواد العراق[٤٥].

وخلاصة القول، انه يبدو للباحث أن الدولة لم تكترث لظاهرة الالجاء، ولم تتحسس لحالة الملاكين الصغار الذين الجأتهم ظروفهم التعسة إلى التنازل عن ملكية أرضهم، أو عن جزء من انتاجها. بل كان كل الذي يهمها أن تحصل على الضريبة المفروضة على الأرض، سواء دفعها مالك الأرض السابق، أم الجديد. أما الفقهاء، فلم نعثر على رأي لهم يشجب هذه الظاهرة، أو يقدم الحلول الناجحة للحد من استشرائها وخطرها على الرغم من وجود تقاليد اسلامية متأصلة، كان عليهم أن يضعوها نصب أعينهم، ويعملوا على الأخذ بها وعدم تجاوزها، ولعل المبدأ الذي سارت على نهجه الدولة، القاضي باعطاء المالك حق حرية التصرف في ملكه وراء هذا السكوت. والذي يثير الانتباه والتساؤل هو: هل تكون لمن ألجئت الأرض إليهم سلطات شرعية على الأرض التي انضوت تحت حوزتهم؟، أم أن سلطاتهم فرضت تجاوزًا، وأصبحت تحصيل حاصل لابد منه؟

ومع ذلك نستطيع أن نقول: أن ظاهرة الالجاء أسهمت مع غيرها في ضعضعة سلطان الدولة، التي أصبحت مجزأة سياسيًا، وتئن من شدة وطأة أزمة مالية خانقة. وهذا يتضح أن الالجاء أسهم في تدهور اقتصاد الدولة، وفي هبوط مستوى معيشة فئة من الناس كثيرة العدد، لانها تعرضت إلى الابتزاز والافتقار. فضلًا عن أنه أوجد فئة متضررة اقتصاديًا وماليًا ضعف ولاؤها للدولة. لذا وجدت فيها الحركات المعارضة مرتعًا خصبًا لانها كانت سرعان ما تستجيب لمزاعم تلك الحركات وتتسلق وراءهم. آملة حصول تغيير في مسار الدولة، علها تحقق من ورائه تحسين وضعها الاقتصادي المتدني، ومركزها الاجتماعي الذي كانت لا تحسد عليه.

كلية الآداب – جامعة بغداد: د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي:

(١) الرازي، «مختار الصحاح»، ص ٥٩٢.

(٢) ابن منظور «لسان العرب»، المجلد ٣، ص ٣٤٢ (مادة لجأ).

(٣) ابن دريد، كتاب «جمهرة اللغة»، جـ٣، ص ٢٢٧.

(٤) الزمخشري «أساس البلاغة» جـ٢، ص ٣٣٢.

(٥) الخوارزمي «مفاتيح العلوم» ص ٥٧.

(٦) ابراهيم أنيس وآخرون «المعجم الوسيط» جـ ٢، ص ٨١٥.

(٧) ينظر «معجم ألفاظ القرآن الكريم» جـ٢د ص ٥٦٤.

(٨) البلاذري «فتوح البلدان»، ص ٣١٨.

(٩) القرطبي «صلة تاريخ الطبري» ص ٤١. مسكويه، «تجارب الأمم» جـ ١، ص ٢٣ و٧٩. الصابي، «الوزراء» ص ٣١٥ و٣٧٢. ابن الأثير «الكامل»، جـ ٦، ص ١٣٩.

(١٠) الجهشياري: «الوزراء»، ص ١١٨. الهمداني «تكملة»، ص ١٠٩. المسعودي، «التنبيه والاشراف»، ص ٣٦٢. و«مروج الذهب» جـ ٤، ص ١٠٦- ١٠٧. مسكويه «تجارب الأمم» جـ ١، ص ٤- ٦ و١٣ و٧٤- ٧٥.

(١١) ينظر: قدامة «الخراج»، ص ١٨٤.

(١٢) ابن آدم «الخراج» ص ٢٤ و١٦٧، أبو عبيد «الأموال» ص ٧٨- ٩٤، أبو يوسف «الخراج» ص ٢٨، ١٤٣.

(١٣) أبو يوسف «الخراج» ص ٢٥ و٣٥، ١٤١، ابن آدم «الخراج»، ص ٤٨، أبو عبيد «الأموال» ص ٧٨ الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ١٤٨، ابن زنجويه «الأموال» جـ ١، ص ١٩٢- ١٩٣.

(١٤) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٠٢.

(١٥) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٠٢ و٣١٩. مسكويه «تجارب الأمم» جـ ٢، ص ٩٧.

(١٦) التنوخي «نشوار» ص ٨، ص ٧٦، البلاذري «فتوح»، ص ٣٣١.

(١٧) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣١٩، التنوخي «نشوار المحاضرة» جـ٨، ص ٧٦.

(١٨) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٢٠٨ و٣١٩.

(١٩) البلاذري «فتوح البلدان»، ص ٣١٩. قدامة «الخراج» ص ١٧٠.

(٢٠) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣١٩.

(٢١) وهذا لا يعني عدم وجود نماذج من الالجاء في الأقاليم التي كانت خاضعة للساسانيين أو البيزنطيين.

(٢٢) أبو يوسف «الخراج» ص ٩٢، ابن آدم «الخراج» ص ٩٣، ٩٨ و١٠٦.

(٢٣) ينظر: البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٠٢ و٣١٩.

(٢٤) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٠٢. قدامة «الخراج» ص ١٧٠.

(٢٥) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٣٧.

(٢٦) قرية المراغة: بلدة بأذربيجان، عسكر فيها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم. وكان أهلها ألجأوها إلى مروان بن محمد. ثم انها قبضت مع ما قبض من ضياع بني أمية في العصر العباسي (ياقوت «البلدان» ٤/ ٤٧٩).

(٢٧) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٣٧. ياقوت «البلدان» جـ ٤، ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(٢٨) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣١٨.

(٢٩) الاصطخري «المسالك والممالك» ص ١٥٨ والتنوخي «نشوار» جـ٨، ص ٧٦، قدامة «الخراج» ص ٢١٤.

(٣٠) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣١٨.

(٣١) سيسر: مدينة، سميت سيسر لأنها في الخفاض من الأرض بين رؤوس آكام ثلاثين، وكانت تدعى سيسر صدخانية، أي ثلاثون رأسًا ومئة عين (ينظر: البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣١٧ - ٣١٨). وسيسر: بلد متاخم لهمذان، بينها وبين اذربيجان. وفيها عيون لا تحصى، (وياقوت «البلدان»، جـ ٣، ص ٢١٦).

(٣٢) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣١٨، ياقوت «البلدان» جـ ٣، ص ٢١٦.

(٣٣) الاصطخري «المسالك والممالك» ص ١٥٨. ابن حوقل «صورة الأرض» ص ٢٦٥.

(٣٤) التنوخي «نشوار المحاضرة» جـ ٨، ص ٧٦.

(٣٥) الجهشياري «الوزراء» ص ١١٨.

(٣٦ و٣٧) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣٣١.

(٣٨) أبو يوسف «الخراج» ص ٢٤ و٥٩ و٦٣، ابن آدم «الخراج» ص ١٤٦. أبو عبيد «الأموال» ص ٤٨٢، قدامة «الخراج» ص ٢٦٧.

(٣٩) المفازة: هي مدينة متاخمة لمدينة سيسر التي سبق أن عرفت قبل قليل (ينظر البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣١٩).

(٤٠) البلاذري «فتوح البلدان» ص ٣١٩.

(٤١) مسكويه «تجارب الأمم»، جـ ٢، ص ٩٧.

(٤٢) مسكويه «تجارب الأمم» جـ ٢، ص ١٧٥.

(٤٣) الطبري «تاريخ الرسل» جـ ٩، ص ٨١. المسعودي «مروج الذهب» جـ ٤، ص ٧١. ابن الأثير «الكامل» جـ ٥، ص ٢٥٣.

(٤٤) الطبري «تاريخ الرسل» جـ ٩، ص ٤١٠ وما بعدها. المسعودي «مروج الذهب» جـ ٤، ص ٢٢٢ و٢٢٦. ابن الأثير «الكامل» جـ ٥، ص ٣٤٦، وما بعدها.

(٤٥) ينظر: الطبري «تاريخ الرسل» جـ ١٠، ص ١٢٣، وما بعدها، القرطبي، «صلة» ص ١٣٧. المسعودي «التنبيه والاشراف» ص ٣٧٤. ابن الجوزي «المنتظم» جـ ٦، ص ٥٧. ابن الأثير «الكامل» جـ ٦، ص ٦٩ و٩٢ و١١٥ ابن خلكان «وفيات» جـ ١، ص ٤٠٩.

حملة مصطفى باشا على البحرين عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م(*)

(١)

الكتابـات الحديثة التي تنـاولت الحملة: لـم يحظ الخليج العربي بنفس كمية الـدراسات التي حظيت بهـا بقية منـاطق البلاد العـربية كبـلاد الشام أو مصـر أو العراق، ويرجع السبب في ذلك إلى ندرة المعلـومات التي تناولت تاريخ المنطقة بـاللغة العـربية، كمـا أن معظم المعلومـات التـاريخية عن القـرن السادس عشـر الميلادي، ظهرت بلغات أجنبيـة كالبرتغالية والتركيـة، وكان ذلك من العوائق التي منعت الباحثين مـن الاهتمام بتاريخ الخليج العـربي في القرن المـذكور وهـذا ما يفسر كيـف ان معظم الدراسـات قد كتبت بلغات أجنبيـة. والطريف فـي الأمر أن الباحثين الأتراك هم أول من تطرق للعلاقات العثمـانية البحرينية، ويعتبر صفوت بك أول من أشار إلى وجود وثائق عثمانية تتعلـق بجزيرة البحرين، حيث نشر عام ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م مقـالة بعنـوان «بحرين ده بـر واقعه»[١]، وكتبت هذه المقـالة باللغة العثمانية القديمة، حيث عثـر على ثلاث وثائق تتعلق بحملة مصطفى باشا على جزيـرة البحرين في سجل مهمـة دفتري رقم ٣، بينما غـاب عنه وجـود وثائق تتعلق بنفس الموضوع في نفس السجل.

ثم جاء بعـد ذلك المؤرخ جنكيـز أورهنلو Cengiz Orhonlu، وهو أحـد البـاحثين الأتراك الـذي اهتموا بتـاريخ منطقة الخليج العـربي فكتب العديـد من المقالات والذي يخصنا هنا مقالة بعنوان: "1559 Bahreyn Seferine Ait Bir Rapor"[٢].

أشار أورهنلو إلى صمت كتب التاريخ العثمانيـة عن الفعاليات العثمانية على السواحـل الغربية للخليـج العربي كـالقطيف والأحساء، ومحـاولة العثمانييـن مد نفوذهـم إلى جزيرة البحـرين، ويضيف بأنـه من خلال عمله فـي دور الأرشيفات العثمـانية، تمكـن من العثور على وثيقـة هـامـة تتعلق بحملة مصطفى بـاشـا في

أرشيف متحف طــوب قــابي Topkapi Sarayi Müzesi Arsivi، وتحمل رقم NE 3004، وهي في أربع صفحات كتبت من قبل أحـد الأشخاص الذين شاركـوا في الحملة المذكورة، والوثيقة لا تذكر اسم كاتبها أو تاريخ كتابتها، إلا أنها من خلال الوقائع المذكورة فيها تعـود للحملة المشار إليها. وتحدث أورهنلو عن محتـويات الوثيقة أو التقرير وختمها بدراسة تاريخية مختصـرة لتاريخ المنطقة، وقام بتحويل التقرير إلى الحروف اللاتينية التي تستخـدمها تركيا حاليًا، وقام الدكتـور ابراهيم الداقوقي بترجمة تلك الدراسة فقط إلى اللغة العربية(٣).

مع أن أورهنلو قـد أشار إلى عدد من الـوثائق المتعلقة بذات المـوضوع ضمن سلسلة دفاتـر المهمة، إلا أنه قد أغفل بعضًـا منها، كما أنه لـم يعط أيـة معلومات عن كاتب الوثيقـة سوى ما ذكره هو عـن نفسه في الوثيقة. أما التـرجمة فلم تتناول التقرير نفسه، وإنما للدراسة فقط.

أما الباحث التـركي الآخر الذي أهتم بالخليج العربي هـو صالح أوزبران Salih Ozbaran الذي كتب رسـالته لأطـروحة الدكتوراه حول The Ottoman Turks and the Portuguese in the Persian Gulf (1534 - 1581)(٤).

وتأتي أهمية هـذه الدراسـة في استخدام الباحث للعـديد من المـواد الأرشيفية باللغتين التركية والبرتغالية، وتناول أوزبران في هذه الدراسة قدوم الدولتين لمنطقة الخليج، متنـاولًا الصـــراع الـذي دار بينهمـا للسيطـرة على المنطقـــة. إلا أنــه لم يستخدم أيًا من المصـادر العربية، لـذا فإن دراسته تفتقر لدور العرب في الأحداث التي كانت تدور حولهم. وقام الدكتور عبـدالجبار ناجي بترجمة هذه الدراسة إلى اللغة العربية بعنوان «الأتراك العثمـانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ - ١٥٨١»(٥).

يُعَدُّ جون ماندافل Jon Mandaville من الباحثين الأوروبيين الذي اهتموا بتاريخ

منطقة الخليج فكتب دراسة بعنوان(٦): The Ottoman Province of al-Hasa in the Sixteenth and Seventeenth Centuries.

وفي هذه الدراسة وصف ماندافل، أهم الأحداث السياسية التي وقعت في الأحساء بين العثمانيين والبرتغاليين وموقفهما من أهالي جزيرة البحرين وعرب المنطقة، وعلى الرغم من أن العنوان يتحدث عن قرنين، إلا أن هناك تركيز في الدراسة على القرن السادس عشر، وبالاضافة إلى الوثائق الأصلية التي استخدمها، إلا أن هناك مجموعة من السجلات التي لم يرجع إليها مثل دفاتر طابو تحرير رقم ٢٨٢ و٣١٣ و٥٣٤، كما أنه لم يستعن بأي دفتر من دفاتر الرؤوس. والملاحظ أن كل هذه الدراسات الثلاث الأخيرة قد ظهرت في فترة متقاربة، وربما لم يطلع أي منهم على ما كان يكتبه الآخر.

لذا فقد كان من الضروري أن تظهر دراسة جديدة أكثر من عشرين عامًا، لتجمع ما كتبه هؤلاء، بالاضافة إلى حصر كل ما يتعلق بمنطقة الخليج العربي في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، سواء كانت هذه الوثائق برتغالية أم عثمانية، ولاسيما وأن المسؤولين الأتراك، قد قاموا مؤخرًا بفتح الأرشيف العثماني أمام الباحثين، وجمع المادة العلمية المتعلقة بالموضوع من المصادر العربية المعاصرة للأحداث من أجل تقديم صورة أوضح وأكثر دقة لأحداث منطقة الخليج العربي. ومن هنا تأتي أهمية أطروحة الدكتوراه التي أعدها الباحث بعنوان: "The Ottomans and the Gulf in the Mid-Sixteenth Century"(٧).

وتناولت هذه الأطروحة التوسع البرتغالي في الشرق لحين تأسيس امبراطورية برتغالية في الشرق، ثم الحديث عن وقوع المنطقة العربية تحت النفوذ العثماني، مما أدى إلى قيام نزاع عثماني برتغالي في البحر الأحمر والمحيط الهندي وأخيرًا الخليج العربي، ثم تحدث الباحث عن حملة مصطفى باشا على البحرين، وهذه

الحملة كان لها العديد من النتائج التي عالجها الباحث باسهاب في أطروحته، وقسم الباحث أثارها على ولاية البصرة وحصر نتائجها في نقطتين الأولى: تتعلق بحرص الدولة على بناء أسطول لولاية البصرة، والأخرى الدفاع عنها، أما نتائج الحملة على ولاية الأحساء فتنقسم إلى أربعة أقسام: عن التجارة في منطقة الخليج، وعن علاقة العثمانيين بالأهالي، والدفاع عن الأحساء، وأخيرًا ثورة بني حميد وكيفية قضاء الدولة العثمانية على هذه الثورة التي اندلعت في ظروف عصيبة، وأوضح الباحث الجهود الجبارة التي قام بها أمير أمراء الأحساء الجديد مراد باشا للتغلب على كل تلك الصعاب التي ترتبت على القيام بالحملة المذكورة.

وخصص الباحث الفصل الأخير ليعطي ملاحظات عامة على الحكم العثماني في منطقة الخليج، ولخص تلك الملاحظات في ثلاث نقاط رئيسة وهي: الصعوبات الجغرافية التي واجهت العثمانيين في حكم منطقة الخليج، وقدّم ثانيًا أمثلة لفساد بعض رجال ولاية الأحساء، وأخيرًا تحدّث الباحث عن وضعية ولاية الأحساء بالنسبة للعثمانيين حيث استدل الباحث على أن اهتمام العثمانيين بولاية البصرة كان يفوق اهتمامهم بالأحساء. كما قام الباحث بإعداد دراسة أخرى تتعلق برسالة السلطان سليمان القانوني إلى مراد ريس حاكم جزيرة البحرين، وقد عثر الباحث على هذه الرسالة خلال بحثه في الكتب العثمانية القديمة، وهي رسالة بعث بها السلطان سليمان القانوني لحاكم البحرين مراد خان (أوريس)، وتعدُّ هذه الرسالة على درجة كبيرة من الأهمية، حيث لم يلتفت أي باحث لوجودها، وكونها أرسلت من قبل السلطان العثماني سليمان القانوني لحاكم البحرين، وهي بذلك تعدُّ وثيقة رسمية تدل دلالة واضحة على تبعية البحرين للدولة العثمانية. وتحدث الباحث في مقدمة هذه الدراسة عن العلاقات العثمانية بجزيرة البحرين والظروف التي دفعت مراد ريس للاستنجاد بالدولة

العثمانية، وقام بنشر نص الرسالة، وأخيرًا تناول أهم ما جاء في هذه الرسالة مثل تعيين السلطان سليمان القانوني مراد ريس حاكمًا على جزيرة البحرين، واسناد ولاية عهد الجزيرة لشهاب الدين أخو مراد ريس، لتنتقل بعد ذلك إلى ابن مراد ولتعود مرة أخرى إلى ابن شهاب الدين وهكذا، وطالب السلطان بمعاقبة المفسدين الذين يتعرضون للناس والتجار والسفن العاملة في المنطقة، وأخيرًا طلب السلطان من مراد بمواصلة المراسلة للوقوف على أخباره وأخبار المنطقة بعد أن صارت تابعة لأراضي الدولة. وقد أرسلت هذه الدراسة لتنشر في «مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية» الصادرة عن جامعة الكويت.

* **العلاقات العثمانية بجزيرة البحرين**: ان معظم الكتب التاريخية التي تناولت علاقة العثمانيين بالبحرين لم تذكر على وجه التحديد تاريخ أول اتصال تم بين العثمانيين وجزيرة البحرين، ففي العقد الثالث من القرن السادس عشر الميلادي سيطر البرتغاليون على جزيرة البحرين، وهذا دفع أهالي البحرين للتطلع إلى العثمانيين القوة الإسلامية الوحيدة البارزة في المنطقة، ولاسيما بعد سيطرة العثمانيين على القطيف والأحساء في النصف الثاني من القرن المذكور. وفي ربيع الأول عام ٩٥٩/ يناير ١٥٥٢ أرسل الفونسو دي نورنها (Alfonso de Noronha)، الحاكم البرتغالي العام للهند، رسالة إلى ملك البرتغال يخبره بأن عرب البحرين ينوون تسليم الجزيرة للعثمانيين[٨]، وكان أن أرسل مراد خان[٩]، حاكم البحرين، رسالة للسلطان سليمان القانوني، لتقديم ولاءه وإخلاصه للدولة العثمانية[١٠]، واستجابة لذلك أرسل السلطان القانوني رسالة (منشور همايون) لمراد، وعينه القانوني سنجاق بك (وتعني بالعربية أمير) على الجزيرة، وأوضح القانوني في رسالته بأنه في حالة وفاة مراد خان، فإن أخيه شهاب الدين خان يحل مكانه، كما نصحه أخيرًا بالعمل وفق ما جاء بالشريعة، وعدم التدخل بباقي الولايات التابعة للدولة العثمانية، وأخيرًا هدده عن العمل بما ينافي أوامره وأن يستمر في إرسال المراسلات

لاستانبول[١١]، ويعتقد بأن تاريخ الرسالة قد كتبت في عام ٩٦٠هـ/ ١٥٥٣م.

حملة مصطفى باشا على البحرين عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م: هناك تقرير مفصل كتبه أحد المشاركين في تلك الحملة العثمانية على البحرين عام ٩٦٦/ ١٥٥٩، ويوجد هذا التقرير حاليًا في أرشيف متحف الطوب قابي Topkapi Sarayi Müzesi Arsivi (TSMA) رقم E3004، ومع أن كاتب التقرير لا يقدم أي معلومات عن نفسه، إلا أنه يمكن استخلاص المعلومات التالية: من خلال الوثائق البرتغالية نستطيع القول بأن اسمه محمد[١٢]، وكان تركيا[١٣] من استانبول، وقد خدم سابقًا في القصر السلطاني[١٤]، وقد عين محمد سنجاق بك علي سنجاق لا يوجد الا بالاسم فقط، وكان محمد هذا جاهلًا بجغرافية شبه الجزيرة العربية[١٥]، وقد تولى محمد ثاني أعلى وظيفة بعد الباشا في الجيش العثماني الذي غزا البحرين، ولذلك فإن الباشا قد اختاره مرات عديدة ليرأس القوات العثمانية ضد البرتغاليين وضد قوات البحرين المحلية، وضد أهالي فارس (عجم) الذين جاؤوا لنصرة الجزيرة، ويمكن أن نحصر هذه المرات في التالي: أولًا: عندما اختاره الباشا ليذهب مع كوكللو بغداد لحراسة الجزيرة والدفاع عنها من أي هجوم برتغالي متوقع[١٦]، ثانيًا: أرسله الباشا مع فرسان (اتلو) بغداد ليعمل كمينًا ضد القوات المحلية من العرب والعجم المتحالفة مع البرتغاليين[١٧]، ثالثًا لقد أرسل إلى قلعة البحرين للتفاوض مع مراد ريس للوصول إلى حل ما لارجاع القوات العثمانية للأحساء[١٨]، رابعًا: زوّده الباشا ببعض القوات وطلب منه القيام بهجوم ليلي على العجم[١٩]. خامسًا: عند وفاة الباشا اختير محمد للعمل كقائد للقوات العثمانية، وذهب للقلعة لمفاوضة البرتغاليين[٢٠]، سادسًا: بما أنه عمل قائدًا للقوات العثمانية بعد وفاة الباشا، فربما طلب منه تقديم تقرير عن هذه الحملة. ومن أهم المصادر لمثل هذا الموضوع هي دفاتر المهمة (وهي عبارة عن دفاتر الأمور المهمة) (مهمة دفترلري) Mühimme Defterleri والمجلد ذات الأهمية القصوى هنا هو رقم ٣.

في عام ٩٦٦/ ١٥٥٩ قام مصطفى باشا، أمير أمراء الأحساء، بدون أي توكيل أو سلطة من الدولة بغزو جزيرة البحرين[٢١]، توجه مصطفى باشا للبحرين مع سفينتين من نوع قادرغة[٢٢]، وحوالي ٧٠ سفينة صغيرة وكميات كبيرة من المواد الغذائية والذخيرة[٢٣].

وهناك خلاف بين المؤرخين حول عدد القوات العثمانية التي شاركت في الحملة، فهذا اوزبران يصرّح - استنادًا على الوثائق البرتغالية - بأن عدد العثمانيين بلغ ١٢٠٠ جندي[٢٤]، بينما ماندافل Mandaville يقول بأن عددهم بلغ من ٦٠٠-١٠٠٠ شخص مع ترجيح العدد الأول[٢٥]، أما اورهنلو Orhonlu فيقول بأن القوات العثمانية بلغت ٨٠٠ جندي[٢٦]، ومن أجل تحديد أي هذه الأرقام أقرب للدقة، علينا أن نوضح نوعية القوات التي شاركت في الحملة، ومن حسن الحظ فإن كاتب التقرير قد أوضح بعض أنواع القوات التي شاركت في الغزوة، وهي كان هناك ٢٠٠ فارس (اتلو) و٤٠٠ رامي (توفنكجي)[٢٧] جاؤوا من بغداد، كما أوضح الكاتب بأن هناك قوات أخرى جاءت من بغداد وشاركت، الا أنه لا يذكر عددها، وهذه هي المتطوعون (كوكللو)[٢٨]، والذين يمكن أن يشكلوا حوالي ٢٠٠ فرد، والإنكشارية (يكيجري)، والذين شكلوا حوالي ١٢٠ جندي[٢٩]، ليصبح عدد القوات ٩٢٠ رجلا. كما أن وثائق المهمة تكشف لنا أنواعًا أخرى من القوات المحلية والتي اشتركت في الحملة، وهي (آل قول)[٣٠] والمتفرقة وكوكللو[٣١]، وهناك وثيقة تشير إلى أن عدد قوات كوكللو الأحساء ٣٠٠ رجل[٣٢]، ولكن لا نعلم بالضبط عدد الجنود من كوكللو الذين شاركوا في الغزوة ضد البحرين، كما توضح الوثائق إلى أنه كان هناك في الأحساء أيضًا (آل عزاب) الذين أحضروا للمنطقة من البصرة[٣٣] وكانوا ٢٠٠ من العزاب[٣٤]، ولكننا لا ندري فيما إذا شاركت هذه القوات في غزو البحرين أم أنها تركت لحماية الأحساء، ومن استعراض ما سبق فإن الشخص منا يمكنه أن يؤكد بأن المصادر البرتغالية أقرب للدقة، الا أنه يبدو لنا بأن القوات

العثمانية بلغت أكثر من ١٢٠٠ جندي.

وقبل السير على البحرين جمع مصطفى باشا معظم الأسلحة التي كانت في قلعتي الأحساء والقطيف ليجهّز بها جيشه(٣٥)، ومن أجل تشجيع جيشه ورفع حماسهم للقتال قام مصطفى باشا بزيادة رواتب بعض القول(٣٦) والمتفرقة والكوكللو اقجتين لكل منهم(٣٧)، كما أنه عين عثمان بك، سنجاق بك العيون، نائبًا عنه لحفظ ولاية الأحساء أثناء غيابه(٣٨).

(للبحث صلة)

د. فيصل عبدالله الكندري

جامعة الكويت / قسم التاريخ

الحواشي:

(*) نشر هذا البحث في «المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية» ع ١٣ و١٤ في شهر اكتوبر سنة ١٩٩٥ - وقد أفضل كاتبه الدكتور فيصل بنشره في «العرب» بطلب منها.

(١) نشرت هذه المقالة في تاريخ عثماني أنجمني مجموعة سي، السنة الثالثة، استانبول، ١١٣٩- ١١٤٥.

(٢) نشر أورهنلو هذه المقالة في Tarih Dergis, Cild XVII, Sayi 22, Istanbul Edebiyyat fakultesi Matbaasi (1968) ayri basim. 16, SS 1.

(٣) نشرت هذه الترجمة في: مجلة «دراسات الخليج والدراسات العربية»، منشورات جامعة الكويت، الكويت، العدد ٢٤، ص ٢١٠- ٢٢٠.

(٤) قدّم أوزبران هذه الأطروحة لجامعة لندن SOAS في اكتوبر ١٩٦٩.

(٥) نشرت هذه الدراسة ضمن منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة.

(٦) نشرت هذه الدراسة في: Journal of the American Oriental Society, XC (1970, pp. 4862 513.

(٧) University of Manchester, PhD Thesis, Middle Eastern Dept., 1992.

(٨) مجموعة أبو ظبي، ANTT, CC I - 87 - 71.

(٩) لم تعط المصادر التاريخية أي معلومات عن مراد خان أو عن كيفية وصوله للحكم.

(١٠) أرسلت الرسالة مع خواجه شرف الدين حسن بن أيوب. انظر: فريدون بك، «منشآت السلاطين». ج ١ ص ٦١٠- ٦١٢.

(١١) المصدر نفسه، ج ١ ص ٦١٠- ٦١٢ مع شديد الأسف فإن الرسالة غير مؤرخة.

(١٢) قال صالح اوزبران بأنه عند وفاة مصطفى باشا أمير أمراء الأحساء، في الحملة، فإن محمد الذي كان سنجاق بك قد حل مكان الباشا (انظر: S. Ozbaran, "Bahreyn in 1559" Ozmanli Arastimalari, III, 1982, p.

101). وقال صاحب التقرير بأنه قد عيّن مسئولاً عن الجيش العثماني بعد وفاة مصطفى باشا. (انظر: TSMA, E 3004, P3f).

(١٣) لأنه كتب القطيف بصورة قديف، وهذا يدل على أنه لم يكن عربياً (المرجع السابق، ص ٤) وقد قارن المسافة بين الأحساء والبحرين بنفس المسافة بين قرتال واستانبول (المصدر السابق، ص ١).

(١٤) لأنه يعرف حجم المركب (قايق) السلطاني، مما يؤكد أنه خدم في القصر، (المصدر السابق، نفس الصفحة).

(١٥) قال بأن الصحراء العربية قريبة من البحر (أو المحيط) الهندي. (المصدر السابق، نفس الصفحة).

(١٦) المصدر نفسه، نفس الصفحة. (١٧) المصدر نفسه، ص ٢. (١٨) المصدر نفسه، ص ٣.

(١٩) المصدر نفسه، نفس الصفحة. (٢٠) المصدر نفسه، ص ٣- ٤.

(٢١) عندما قابل محمد بك كاتب التقرير مراد ريس أخبره الأول بأن هذه الحلة كانت اجتهاديةمن مصطفى باشا، ولا علم للحكومة المركزية بها (انظر: TSMA, E 3004, p. 3) كما أكدت الوثائق العثمانية على أن الباشا توجه للبحرين دون علم الحكومة. (انظر: مهمة دفتري، رقم ٣، ص ١٣٩، ص ٤٩٠ وثيقة رقم ٣).

(٢٢) TSMA, E 3004, pp. 12 22. وانظر أيضاً صفوت بك، «بحرين ده بر واقعه»، عثماني انجمني مجموعة سي، اوجنجي سنة جلد ١٣- ١٤، (استانبول، ١٣٢٨)، ص ١١٣٩. والقادرغة سفينة متوسطة لها ٢٥ مقعداً على كل جانب، ويجلس ثلاثة مجدفين على كل مقعد، ليكون عدد المجدفين الكلي ١٥٠ شخصاً، أما البحارة فقد كانوا من ٦ إلى ١٠ رجال، وفي حوالي عام ١٥٦٠ كانت السفينة العثمانية من نوع القادرغة تحمل مدفعين وحوالي ٦٠ جندياً. (انظر: C. Imber, "The Navy of Süliman the Magnificent", Archivum Ottomanicum, VI, (1980). p. 216.)

(٢٣) Ozbaran. Ottoman Turks. p. 68. وقد قيل في التقرير بأنه كان مع العثمانيين سفن أخرى للمؤونة والتي أحرقها البرتغاليون (TSMA, E 3004, p. 1) كما أشارت الوثائق إلى وجود عدد آخر من السفن مع القادرغة. (انظر: مهمة دفتري ٣، ص ١٤٠، صفوت بك، بحرين ده، ص ١١٣٩).

(٢٤) اوزبران، المرجع السابق، ص ٦٨. (٢٥) "Province", p. 491.

(٢٦) "Rapor" p. 9. (٢٧) TSMA, E 3004, p. 2.

(٢٨) المصدر نفسه، نفس الصفحة. كوكللو عبارة عن فئة عسكرية.

(٢٩) قال صاحب التقرير: بأن القادرغات كانت ممتلئة بالجنود الانكشارية من بغداد. (المصدر السابق، نفس الصفحة).

(٣٠) مهمة دفتري ٣، ص ٤٩٠، وثيقة رقم ٣.

(٣١) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٠، رقم ٢، ص ٣٨٢ رقم ١.

(٣٢) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٠، رقم ٣.

(٣٣) مهمة دفتري ٣ ص ١١٧ رقم ٢- ظ. العزاب هي عبارة عن نوع معين من الجنود كانوا يستخدمون في البر والبحر، وفي هذه المنطقة كانوا يستخدمون كجنود في الولايات لحفظ الحصون والقلاع، انظر: Imber, "Navy", p. 872 & Ozbaran Ottoman Turks, p. 125 no. 5.

(٣٤) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦، رقم ٢. (٣٥) مهمة دفتري ٣، ص ٢٨٢، وثيقة رقم ٣.

(٣٦) مهمة دفتري ٣، ص ٤٩٠، رقم ٣. (٣٧) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٠، رقم ٢.

(٣٨) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦، رقم ٢.

النَّسب عند العَرَب والتصنيف فيه
حتى منتصف القرن الثالث الهجري

(١)

عُنيَ العرب بالأنساب وأولوها أهمية كبيرة؛ نظراً للأوضاع التي فرضتها الظروف المحيطة بهم، فالقبيلة هي الكيان السياسي الذي يلتف أفراد القبيلة حوله، إذ تنعدم السلطة المركزية ذات الهدف الواحد، وتُكوِّنُ الكتلة القبليَّة آمال أفرادها وطموحاتهم وآلامهم[١]، وما ينجم عن ذلك من انعكاسات اجتماعية في تكافل أفراد القبيلة الواحدة، من دفاع ونصرة وإرث وفك للعاني وسداد لدين المدين، ونحوها. بل إن القبيلة كانت (تستوفي كافة مقومات الدولة سوى الأرض المعينة الحدود)[٢].

كما أن لحالة الفوضى السياسية العارمة بين العرب، والتي تمثلت بكثرة الغارات والحروب فيما بينهم، والتي ولّدتها الظروف الاقتصادية، وانعدام السلطة المركزية، والترسبات الأخلاقية كالثارات، وغيرها، أثرٌ نتج عنه تفكك بعض القبائل، أو انفصال بعض أفرادها عنها والدخول في تحالفات سياسية وعسكرية مع قبائل أخرى، مما ولّد أهمية خاصة بصلات النّسب، وحفاظاً على كيان القبيلة من التفكك أو الوقوع فريسة سهلة للطامعين وأصحاب الثارات.

هذا بالإضافة إلى الحرب الدعائية، التي يقودها الخطباء والشعراء، بين تلك القبائل؛ نظراً لتلك الظروف المتوترة، والتي جعلت من معرفة النسب أهمية قصوى في المنافحة عن القبيلة وعدّ مآثرها، وذكر مثالب وعيوب الأطراف المعادية[٣].

ولما جاء الإسلام لم يُلغِ هذه الأهمية وهذه الحفاوة بالنسب، بل هذَّبها ووظَّفَها بما يخدم الفرد والمجتمع، والذي مَقَتَهُ منها هو التعصب الأعمى، كما كان الشاعر الجاهلي يقول[٤]:

وَهلْ أنا إلاّ من غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وإنْ تَرْشَدْ غَزِيّةُ أرْشَدِ

فقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا

وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٥]. ففي الوقت الذي حث القرآن فيه على التَّعارف، والذي لا يكمل إلا بمعرفة الأنساب، نبّه إلى أن التفاضل إنما يكون بالتقوى لا بالنسب. وقال ﷺ: «من قُتل تحت راية عمِّية يدعو عصبيَّة أو ينصر عصبية فَقِتْلَةٌ جاهلية»[٦]. وقال ﷺ: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[٧]. وقال ﷺ: «إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد، وإنما أنتم ولد آدم طفُّ الصاع[٨] لم تملؤوه، ليس لأحد فضل إلا بالدين أو عمل صالح، حَسْبُ الرَّجل أن يكون فاحشًا بذيًا بخيلاً جبانًا»[٩]. وقال ﷺ: «من نَصَرَ قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي رُدِّي فهو يُنزَعُ بذنبه»[١٠].

وإلى جانب هذا التحذير من التعصب الأعمى حث الرسول ﷺ على العناية بالنسب وحفظه؛ لضرورات ومقاصد دينية، فقال ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم»[١١]. وقال «اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم»[١٢]. وقال مرة لأصحابه: «من كان من مَعَدٍّ فليقم» قال الرَّاوي عمرو بن مرة الجهني: فقمت، فقال لي: «اجلس» فعل ذلك ثلاثًا. قلت يارسول الله: ممن نحن؟ قال: «أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير بن سبأ»[١٣].

وقد اشتهر جماعة من الصحابة رضي الله عنهم بمعرفة النسب والعناية به، ويأتي ذكر بعضهم في الحديث عن النَّسابين.

كما كَوَّنَتْ القبيلة أساسًا مهمًا للتنظيم العسكري والإداري والمالي والاجتماعي في صدر الإسلام، فالقبائل كانت تتحرك كوحدات حربية في الميدان، إذ (كانوا يُقسِّمون العساكر جموعًا، ويضمون المتعارفين بعضهم لبعض)[١٤]. وكان أبو بكر رضي الله عنه أَمَرَ الأمراء في فتوح الشام أن يَعْقِدوا لكل قبيلة لواء يكون فيهم[١٥].

وقد تمت الاستفادة من هذا الكيان في المعارك بدرجة كبيرة، فمن ذلك أن

خالد بن الوليد رضي الله عنه في معركة اليمامة لما اختلطت صفوف المسلمين نادى: (أيها الناس! امتازوا لنعلم بلاء كل حيّ، ولنعلم من أين نُؤتى... فوقف بنو كُل أبٍ على رايتهم)[١٦]، وقال للناس: (امتازوا! كي نُستحيا من الفرار اليوم، ونعرف اليوم من أين نُؤتى. ففعلوا)[١٧]. ومن يطلع على أخبار الفتوح يتبين له بجلاء مدى استثمار القادة لهذا التنظيم، واستفادتهم الواسعة منه.

ورتَّبَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان على القبائل، إذ قال لعَقِيل بن أبي طالب ومَخْرَمة بن نَوْفَل وجُبَيْر بن مُطعم رضي الله عنهم: (اكتبوا الناس على منازلهم. فكتبوا، فبدأوا ببني هاشم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه، على الخلافة، فلما نظر فيه عمر قال: لوددت والله أنه هكذا، ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله ﷺ، الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله)[١٨].

وكان الأمر قد وصل إلى أبعد من هذا فعندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة ونظّم شؤونها وأصدر الصحيفة المشهورة جعل القبيلة أساسًا في التنظيم الاجتماعي والحربي والمادي[١٩].

كما نُظِّمت الكوفة والبصرة اجتماعيًا وإداريًا وماليًا على أساس قَبَلِي، حتى إن البصرة قُسِّمَتْ إلى أخماس، والكوفة إلى أسباع ثم إلى أرباع، لكل قبيلة قسم منها[٢٠]، وكذلك كان الشأن في الفسطاط[٢١].

(وقد أعطت السابقةُ في الإسلام والمشاركة في الغزوات الأولى مع النبي ﷺ أصحابَهَا مكانةً مرموقة بين المسلمين، وهذا ما حدث للمهاجرين الأولين والبدريِّين والأُحديين وأهل بيعة العقبة، وقد امتدت آثار ذلك إلى أبنائهم وأحفادهم، فاهتم هؤلاء بحفظ أنسابهم والتعريف بها؛ لما في ذلك من قيمة اجتماعية. وينبغي ألا ننسى أن أهل السابقة في الجهاد تمتعوا بامتيازات اقتصادية أيضًا زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[٢٢].

ومما ساعد على الاهتمام بعلم النسب ارتباط بعض الأحكام الشرعية بهذا

العلم، كفرضية معرفة نسب الرسول ﷺ (و أن يعلم المرءُ أن الخلافة لا تجوز إلا في ولـد فهـر بن مـالك بن النَّضـر بن كنانـة؛ ولـو وسع جهل هـذا لأمكن ادعـاءُ الخلافة لمن لا تحل له، وهذا لا يجوز أصلاً. وأن يعرف الإنسان أباه وأمه وكل من يلقاه بنسب في رحم مُحَـرَّمة؛ ليتجنب مـا يحرم عليه من النكـاح فيهم. وأن يعرف كل من يتصل به برحم توجب ميراثًا، أو تلزمـه صلة أو نفقة أو معاقدة أو حكماً ما، فمن جهل هـذا فقد أضاع فـرضًا واجبًـا عليه، لازمًـا من دينه)[٢٣]. كما أن معـرفة أكابـر الصحابـة من المهاجـرين والأنصار، وأداء حقهم الـواجب على المسلمين ممن جاء بعدهم، ومعـرفة من يجب له حق في الخمس من ذوي القـربى، ومعرفة من تحرم عليه الصدقة من آل محمد ﷺ كل هـذا وغيره كان حافزًا لتسجيل العرب أنسابهم والاهتمام بها[٢٤].

ونظرًا لهذه الحفاوة بعلم النّسب عند العرب أصبح هذا العلم مما تميزوا به عمن سواهم، قال الخفاجي: (وأما مراعـاة الأنساب وحفظها وذكر الأصول والبحث عنها فباب تفردت به العرب فلم يشاركها فيه مشارك ولا ماثلها فيه مماثل)[٢٥].

وقـال ابن فارس بعـد أن ذكر العلـوم التي اختص بهـا العرب: (وللعـرب حفظ الأنســاب، ومـا يُعلم أحدٌ من الأمـم عُني بحفظ النّسب عنـاية العـرب، قـال جل ثنـاؤه: ﴿يَـا أَيُّهَا النَّـاسُ إِنَّـا خَلَقْنَـاكُم مِّن ذَكَـرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَـاكُمْ شُعُوبًـا وَقَبَـائِلَ لِتَعَارَفُـوا﴾[٢٦]، فهي آيـة ما عمـل بمضمونهـا غيـرهم. ومما خـص الله به العـرب طهارتهم ونزاهتهم عن الأدنـاس التي استباحها غيرهـم من مخـالطة ذوي الأرحام، وهي منقبة تعلو جمالها كل مأثرة، والحمد لله)[٢٧].

أشهـر النّسـابين ومن صنَّف في النَّسب حتى منتصف القـرن الثـالث الهجـري:

وردت قوائم طويلة في أسماء من اشتغل بالنَّسب واشتهـر بمعرفته، مما يدلنا على العناية بالنسب عند العرب وكثـرة المهتمين به والمدونين له، وأوسع المصـادر التي حوت أسمـاء مثل هؤلاء «البيـان والتبيين» للجاحـظ[٢٨]، وكتاب «المعارف» لابن قتيبة[٢٩]، وكتاب «الفهـرست» لابن النَّديم[٣٠]، إضافة إلى مـن ذكرتهم المصـادر

الأخرى، وخاصة كتب التراجم[٣١]. ومن المفيد ذكر بعض من عُني بالنَّسب حتى منتصف القرن الثالث الهجري لإعطاء تصور عام عن مدى هذا الاهتمام ومعرفة تطور هذا العلم.

فمن الصحابة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه (أعلم قريش بأنسابها)[٣٢]، قال ابن إسحاق: (كان أنسب العرب)[٣٣].

ومنهم: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وهم الذين فرضوا الديوان على القبائل، ولولا علمهم بالنّسب ما أمكنهم ذلك.

وعَقِيل بن أبي طالب (ت في خلافة معاوية)، **ومَخْرَمة بن نوفل** (ت ٥٥)، **وجُبَير بن مُطعم** (ت ٥٩) رضي الله عنهم، وهؤلاء هم الذين كلفهم عمر رضي الله عنه بوضع الديوان[٣٥].

وحكيم بن حزام (ت بين ٥٤- ٦٠)، وقد أخذ النّسب عن أبي بكر - رضي الله عنهما -[٣٦].

وعبدالله بن عباس (ت ٦٨) - رضي الله عنهما - الذي ربما جلس العَشِيَّة كلها يُحدث بالنّسب[٣٧].

وأبو جهم بن حذيفة العدوي (ت ٧٠) رضي الله عنه، الذي قال عنه المصعب الزبيري: (كان من مشيخة قريش، عالمًا بالنّسب)[٣٨].

ودَغْفَل بن حنظلة الذهلي (ت ٧٠ وقيل ٦٥) رضي الله عنه وكان من رؤساء النّسابين، حتى ضُرِبَ المثل بمعرفته للنّسب فقيل: (أنسب من دغفل)، وأَمَرَهُ معاوية أن يُعَلِّم ابنه يزيد النّسب[٣٩].

وعبدالله بن ثعلبة بن صُعَيْر العدوي (ت ٨٧ وقيل غير ذلك) رضي الله عنه، وكان ابن شهاب يتعلم منه الأنساب[٤٠].

ومنهم أيضًا **صُحَار العبدي** رضي الله عنه وكان أحد النّسابين، وله أخبار مع دغفل[٤١]، ويُعزى إليه تأليف كتاب في النّسب[٤٢].

ومن مشاهير من جاء بعد الصحابة من النَّسابين: **النَّخّار**[٤٣] **بن أوس العُذري** (ت نحو ٦٠)، كان علاّمة بالأنساب، حتى قال ابن الكلبي: (كان أنسب العرب)[٤٤]، وأخذ عنه محمد بن السائب الكلبي نسب معد بن عدنان[٤٥].

وعلاقة بن كرشم الكلابي له علم بالأنساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة، وقد أُخذ عنه من ذلك شيء كثير، وله كتاب «النسب» وكتاب «التَّشجير»[٤٦].

وعَبيد بن شَرْيَة الجرهمي (ت ٦٧)، أدرك النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئًا، وكان أعلم الناس بأخبار حمير وأنسابهم، وله من الكتب كتاب «أخبار الماضين»[٤٧] (طبع)[٤٨].

وابن الكواء اليشكري (ت ٨٠)، من أصحاب علي رضي الله عنه، كان ناسبًا عالمًا، له كتاب «النسب»[٤٩].

وورقاء بن الأشعر، المشهور بابن لسان الحُمَّرَة (كان معاصراً لمعاوية) كان أنسب العرب، وضُرِبَ به المثل فقيل: أنسب من ابن لسان الحُمَّرَة، وله كتاب في النّسب[٥٠].

ومَنْجُور بن غيلان الضَّبي (ت نحو ٨٥)، كان عالمًا بأنساب الناس وأيامهم، وله كتاب في الأنساب[٥١].

وزيد بن الكيِّس النَّمَريّ (القرن الأول)، كان يُقارب دغفلاً في العلم بالأنساب، له كتاب في النّسب[٥٢].

وسعيد بن المسيب (ت ٩٤)، كان من أعلم الناس بالنّسب[٥٣].

وقتادة بن دِعَامة السَّدوسي (ت ١١٧)، كان رأسًا في العربية والغريب وأيام العرب وأنسابها، قال فيه أبو عمرو بن العلاء: (كان من أنسب الناس)[٥٤]، وقال أبو عبيدة: (ما كنا نفقد في كل يوم راكبًا من ناحية بني أمية يُنيخُ على باب قتادة يسأله عن خَبَرٍ أو نَسَبٍ أو شِعْرٍ)[٥٥].

وخِرَاش بن إسماعيل الشيباني، أخذ عنه محمد بن السائب الكلبي، وهو أحد النَّسابين، وله كتاب «أخبار ربيعة وأنسابها»[٥٦].

وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤)، وكان من أعلم الناس بالنسب[٥٧]، وكَتَبَ كتابًا فيه نسب قومه[٥٨]، وذكر المدائني عنه أن خالد بن عبدالله القسري أمره أن يكتب كتابًا في النَّسب، فلما بدأ به أمره خالد أن يُتْلِفه؛ لأنه بدأ بنسب مُضَر، وأمره أن يكتب السيرة[٥٩].

ومحمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦)، مُقَدَّمٌ على الناس بعلم الأنساب[٦٠]، وكان عالمًا أيضاً بأحاديث العرب وأيامهم[٦١].

وعوانة بن الحكم الكلبي (ت ١٤٧)، راوية للأخبار عالم بالشعر والنسب، وقد جمع ديوان العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها للوليد بن عبدالملك[٦٢].

والشَّرقي بن القطامي الكلبي (ت نحو ١٥٥)، أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين[٦٣].

وأبو الوزير عمر بن مطرف الكاتب (ت ١٨٦ أو ١٨٨)، له كتاب «منازل العرب وحدودها وأين كانت محلة كل قوم وإلى أين انتقل منها»، وكتاب «مفاخرة العرب ومنافرة القبائل في النسب»[٦٤].

وأبو اليقظان عامر بن حفص (ت ١٩٠)، كان عالمًا بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب، له كتاب «النّسب الكبير»، وكتب أخرى لها صِلة بالنّسب ذكرها ابن النديم[٦٥].

ومؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥)، عالم بالعربية والأنساب، له كتاب «جماهير القبائل»، و«حَذْفٌ من نسب قريش»[٦٦] (طبع)[٦٧].

وأبو البَخْتَرِي وهب بن وهب الأسدي (ت ٢٠٠)، كان أخباريًا ناسبًا، له من الكتب: «طسم وجديس»، و«نسب ولد إسماعيل بن إبراهيم»، و«فضائل الأنصار»، و«الفضائل الكبير»[٦٨].

وعبدالله بن الفضل السدوسي، المعروف بغنوية السدوسي، له كتاب «المآثر والأنساب والأيام»[٦٩].

ومحمد بن الحسن بن زبالة (ت ٢٠٠) أخباري نسابة، له كتاب «الألقاب»(٧٠) وكتاب «مثالب الأنساب»(٧١).

وخالد بن طليق الخزاعي، أخباري راوية من النسابين، من كتبه: «كتاب المآثر»، و«كتاب المزوجات»، و«كتاب المنافرات»(٧٢).

وعلاّن الشعوبي الورّاق (ت في أوائل القرن الثالث)، راوية عارفًا بالأنساب والمثالب والمنافرات، له كتاب «نسب تغلب بن وائل»، وكتاب «نسب النمر بن قاسط»(٧٣).

وهشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤)، إمام النسابين وعالم بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها، وتصانيفه تزيد على مئة وخمسين مُصنَّفًا في النّسب وغيره، ومن كتبه في النسب(٧٤): «كتاب بيوتات قريش»، و«كتاب بيوتات ربيعة»، و«كتاب الكنى»، و«كتاب شرف قصي بن كلاب وولده في الجاهلية والإسلام»، و«كتاب ألقاب قريش»، و«كتاب ألقاب بني طابخة»، و«كتاب ألقاب قيس عيلان»، و«كتاب ألقاب ربيعة»، و«كتاب ألقاب اليمن»، و«كتاب بيوتات اليمن»، و«كتاب تسمية ما في شعر امريء القيس من أسماء الرجال والنساء وأنسابهم...»، و«كتاب أمهات الخلفاء»، و«كتاب أولاد الخلفاء»، و«كتاب تسمية ولد عبدالمطلب»، و«كتاب النسب الكبير» (طبع قسم منه باسم «نسب معد واليمن الكبير»)(٧٥)، و«كتاب جمهرة النسب» (طبع)(٧٦)، وله أيضًا «الفريد»، و«الملوكي»، و«الموجز»، وكلها في الأنساب، وله عدة كتب في «النَّواقِل» وهن النِّساء اللائي انتقلن من قوم إلى قوم.

والهيثم بن عدي الطائي (ت ٢٠٧ أو ٢٠٩)، عالم بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب، مُصنف مُكْثِر، ومن كتبه في النسب: «كتاب بيوتات قريش»، و«كتاب بيوتات العرب»، و«كتاب نسب طي»، و«كتاب هبوط آدم وافتراق العرب ونزولها منازلها»، و«كتاب من تزوج من الموالي في العرب»، و«كتاب النواقل»، و«كتاب أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن»، و«كتاب

تاريخ الأشراف الكبير»، و«كتاب تاريخ الأشراف الصغير»، و«كتاب كنى الأشراف»، وغيرها من الكتب[٧٧].

ومحمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧)، له من الكتب في النسب: «كتاب الطبقات»، و«كتاب المناكح»، و«كتاب تصنيف القبائل ومراتبها وأنسابها»[٧٨].

وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨)، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، واتهم بالشعوبية والطّعن في الأنساب، وتصانيفه تقارب المئتين، ومن كتبه في النسب: «كتاب بيوتات العرب، و«كتاب القبائل»، و«كتاب مثالب باهلة»، و«كتاب مآثر العرب»، و«كتاب أدعياء العرب»، و«كتاب غريب بطون العرب» وغيرها[٧٩].

وعبدالملك بن هشام الحميري (ت ٢١٣هـ) صاحب السيرة، له كتاب «أنساب حمير وملوكها»، طبع باسم «التيجان في ملوك حمير»، وكتاب «نسب ولد عدنان»[٨٠].

وعبدالملك بن قُرَيْب الأصمعي (ت ٢١٦هـ) له كتاب «النسب»[٨١].

وسعيد بن الحكم بن أبي مريم الجمحي (ت ٢٢٤)، نسّابة أخباري، له من الكتب: «كتاب النسب»، و«كتاب المآثر»، و«كتاب نواقل العرب»[٨٢].

والمدائني علي بن محمد، أبو الحسن (ت ٢٢٥ وقيل ٢١٥)، مُصنِّف مُكْثِر، ومن مصنفاته في النسب: «كتاب نسب قريش وأخبارها»، و«كتاب أخبار أبي طالب وولده»، و«كتاب آل أبي العاص»، و«كتاب المناكح»، و«كتاب المغتربات»، و«كتاب المُرْدِفات من قريش» (طبع)[٨٣]، و«كتاب من تزوج من الأشراف من كلب»، و«كتاب من تزوج في ثقيف من قريش»، وله كتب أخرى نحو هذه مثل: «كتاب الخلفاء وكناهم وأعمارهم»، و«كتاب البيوتات»، و«كتاب الجيران»، و«كتاب أشراف عبدالقيس»، و«كتاب من نُسب إلى أمه»، و«كتاب من سُمي باسم أبيه»، و«كتاب من نُسب إلى أمه من الشعراء»، وله مجموعة كتب في فضائل الأشخاص، وكتب في أخبار آخرين، وغيرها كثير[٨٤].

وابن الأعرابي محمد بن زياد (ت ٢٣١)، كان أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب، له كتاب «تاريخ القبائل»[٨٥].

ومحمد بن سعد، كاتب الواقدي (ت ٢٣١)، علاّمة نسّابة له كتاب «الطبقات الكبرى» (طبع)، وسياقه ضمن إطار النسب، واعتمد على كتب في هذا الباب، مثل كتب الواقدي والكلبي والهيثم بن عدي والمدائني[٨٦].

والمصعب بن عبدالله الزُّبيري (ت ٢٣٦)، قال العباس بن مصعب بن بشر: أدركته وهو أفقه قرشي في النسب[٨٧]. له من الكتب: «كتاب النسب الكبير»، و«كتاب نسب قريش»[٨٨] (طبع)[٨٩].

وأبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥)، كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل، من كتبه في النسب: «كتاب النسب»، و«كتاب العمائر والربائع» في النسب، و«كتاب المؤتلف والمختلف» في النسب، (طبع باسم مختلف القبائل ومؤتلفها)[٩٠]، و«كتاب المشجر»، و«كتاب ألقاب الشعراء» (طبع)[٩١]، و«كتاب كنى الشعراء» (طبع)[٩٢]، و«كتاب أمهات أعيان بني عبدالمطلب»، و«كتاب الأرحام التي بين الرسول ﷺ وبين أصحابه سوى العصبة»، و«كتاب ألقاب اليمن وربيعة ومضر»، و«كتاب الألقاب» ويشتمل على ألقاب القبائل، و«كتاب القبائل الكبير والأيام»[٩٣].

ومحمد بن صالح بن النَّطاح (ت ٢٥٢)، كان أخباريًّا ناسبًا، من كتبه: «كتاب أفخاذ العرب»، و«كتاب البيوتات»، و«كتاب أنساب أزد عمان»[٩٤].

الزُّبير بن بكار (ت ٢٥٦)، كان علاَّمة نسَّابةً أخباريًا، أعلم الناس بأخبار قريش وأنسابها ومآثرها وأشعارها، من كتبه: «كتاب نسب قريش وأخبارها» (طبع قسم منه)[٩٥]، قال عنه ياقوت: وعلى هذا الكتاب الاعتماد في معرفة أنساب القرشيين، و«كتاب نوادر أخبار النسب»[٩٦].

(للبحث صلة)

د. عبد العزيز بن سليمان المقبل

الحواشي:

(١) ينظر «تاريخ التمدن الإسلامي»، جرجي زيدان، ٢/ ٢٨٩- ٢٩٠، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

(٢) «محاضرات في تاريخ العرب»، صالح العلي، ١/ ١٥٢، الطبعة الأولى ١٩٨١م، دار الكتب، جامعة الموصل.

(٣) ينظر «البيان والتبيين»، عمر بن بحر الجاحظ، ١/ ٢٤١، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م)، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، و«عيون الأخبار»، ابن قتيبة عبدالله بن مسلم، ٢/ ١٨٥، دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م).

(٤) هو دريد بن الصِّمة، ينظر ديوانه ص ٤٧، تحقيق: محمد خير البقاعي، ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، دار قتيبة. وغَزِيَّة: قبيلة من هوازن، وهم رهط الشاعر (ينظر «جمهرة النسب»، ابن الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد ص ٣٨٣، تحقيق: د. ناجي حسن، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ (١٩٨٦م)، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت).

(٥) الحجرات آية ١٣.

(٦) أخرجه أحمد: «المسند» ٢/ ٣٠٦، ٤٨٨، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، ومسلم: «الصحيح» ٣/ ١٤٧٨ (١٨٥٠)، وابن ماجة: «السنن» ٢/ ١٣٠٢ (٣٩٤٨)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، والنسائي: «السنن» ٧/ ١٢٣ (٤١١٤، ٤١١٥)، شرح السيوطي وحاشية السندي، اعتنى به عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت.

(٧) رواه أبو داود: «السنن» ٥/ ٣٤٢ (٥١٢١)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

(٨) طَفُّ الصاع: أي ما قرب من ملئه، وقيل: ما علا فوق رأسه. والمعنى: كلكم في الانتساب إلى أب واحدٍ بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام، وشبههم في نقصانهم بالمَكِيل الذي لم يَبْلُغ أن يملأ المكيال («النهاية في غريب الحديث والأثر»، ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد الجزري، ٣/ ١٢٩، تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، توزيع دار الباز، مكة المكرمة).

(٩) رواه أحمد: «المسند» ٤/ ١٤٥، ١٥٨.

(١٠) رواه أبو داود: «السنن» ٥/ ٣٤٠ (٥١١٧)، وصححه الألباني («مشكاة المصابيح» ٢/ ٥٩٥، حديث رقم ٤٩٠٤) الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.

(١١) رواه أحمد: «المسند» ٢/ ٣٧٤، والترمذي: «السنن» ٤/ ٣٥١ (١٩٧٩)، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، شركة مصطفى الحلبي، مصر، وقال الترمذي: حديث غريب، والحاكم: «معرفة علوم الحديث» ص ١٦٩، تحقيق: معظم حسين، نشر المكتب التجاري، و«المستدرك» ٤/ ١٦١، دار المعرفة، بيروت، وقال الذهبي: صحيح، كما صححه الألباني («سلسلة الأحاديث الصحيحة» ١/ ١٥٣ (٢٧٦)، المكتب الإسلامي، بيروت).

(١٢) رواه الطيالسي: «المسند» ص ٣٦٠ (٢٧٥٧)، دار المعرفة، بيروت، والحاكم: «المستدرك» ٤/ ١٦١، وتنظر «السلسلة الصحيحة» (٢٧٧).

(١٣) «طبقات خليفة بن خياط» ص ٣٣ المقدمة، تحقيق: د. أكرم العمري، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، دار طيبة، الرياض.

(١٤) «مقدمة ابن خلدون» ص ٣٣٥، «ديوان المبتدأ والخبر»، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ دار الفكر، بيروت.

(١٥) «فتوح البلدان»، البلاذري أحمد بن يحيى، ص ١٥١، تحقيق: عبدالله وعمر الطباع، ١٤٠٧هـ مؤسسة المعارف، بيروت.

(١٦) «تاريخ الرسل والملوك»، محمد بن جرير الطبري ٣/ ٢٩٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة.

(١٧) المصدر السابق ٣/ ٢٩٣.

(١٨) «الطبقات الكبرى»، محمد بن سعد، ٣/ ٢٩٥، دار صادر، بيروت، و«فتوح البلدان» ص ٦٣٠- ٦٣١، وتاريخ الطبري ٤/ ٢٠٩- ٢١٠.

(١٩) «بحوث في تاريخ السنة المشرفة»، أكرم العمري، ص ١٧٢، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.

(٢٠) «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول»، صالح العلي، ص ٥٢- ٥٣، الطبعة الثانية ١٩٦٩م، دار الطليعة، بيروت.

(٢١) «الحياة الأدبية في البصرة»، أحمد كمال زكي، ص ٢٩، دمشق ١٩٦١م.

(٢٢) مقدمة «محقق طبقات خليفة» ص ٣٥.

(٢٣) «جمهرة أنساب العرب»، ابن حزم علي بن أحمد، ص ٢، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة.

(٢٤) ينظر المصدر السابق ص ٣. على أن بعض المستشرقين شكّك في نظرية النَّسب عند العرب وأصولهم، وعدُّوها من اختراع النَّسابين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعصر بني أمية؛ لأهواء وأغراض سياسية! ولا شك أن هذا ممجوج لا يستند إلى أسس علمية أو تاريخية، وإنما هي تخرصات وأحقاد استشراقية تافهة لا تستحق الوقوف عندها (تنظر بعض أقوالهم في: «تاريخ التمدن الإسلامي» ٢/ ٢٣٦- ٢٤٢، و«المفصل في تاريخ العرب»، جواد علي، ٤/ ٥٢٤، الطبعة الثانية ١٩٧٧م، دار العلم للملايين، بيروت، و«العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي»، إحسان النص، ص٢٢- ٢٣، الطبعة الثانية ١٩٧٣م، دار الفكر، بيروت).

(٢٥) «سر الفصاحة»، عبدالله بن محمد الخفاجي، ص ٥٥، تحقيق: عبدالمتعال الصعيدي، القاهرة ١٣٧٢هـ.

(٢٦) الحجرات آية ١٣.

(٢٧) «الصاحبي»، أحمد بن فارس، ص ٧٧، تحقيق أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٧م، القاهرة.

(٢٨) ١/ ٣١٨- ٣٢٤.

(٢٩) ص ٥٣٤- ٥٣٩، تحقيق: د. ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، بيروت.

(٣٠) المقالة الثالثة ص ١٠١ وما بعدها، تحقيق: رضا تجدّد، ١٩٧١م، طهران.

(٣١) جمع الشيخ بكر أبو زيد في كتابه «طبقات النسابين» أغلب من قيل عنه أنه نسابة أو اشتغل بالنسب حتى عصرنا الحاضر، وبلغوا عنده (٦٢٣) شخصًا في طبعته الأولى، ثم زاد عليهم المؤلف في طبعته الثانية سنة ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) فبلغوا (٨٣٠) علمًا، وهو أوسع مرجع معاصر في بابه فيما أعلم، وقد أفدت منه في هذا المبحث.

(٣٢) «صحيح مسلم» ٤/ ١٩٣٦ (٢٤٩٠).

(٣٣) «الإصابة»، ابن حجر العسقلاني، ٦/ ١٥٧، تحقيق: د. طه محمد الزيني، ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، وينظر «البيان والتبيين» ١/ ٣١٨، و«الأنساب»، السمعاني أبو سعد عبدالكريم بن محمد، ١/ ٣٦- ٤٠، تعليق: عبدالله عمر البارودي، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م)، دار الجنان، بيروت، ومؤسسة الكتب الثقافية.

(٣٤) «جمهرة أنساب العرب» ص ٥.

(٣٥) مضى الخبر ص ٥٨.

(٣٦) «تهذيب التهذيب»، ابن حجر العسقلاني، ٢/ ٤٤٨، الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

(٣٧) «الطبقات الكبرى» ٢/ ٣٦٨، و«سير أعلام النبلاء»، الذهبي أبو عبدالله محمد بن أحمد ٣/ ٣٥٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٣٨) «نسب قريش» ص ٣٦٩، تحقيق: إ. ليفي بروفنسال، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، وينظر «حَذْفٌ من نسب قريش»، مؤرج بن عمرو، ص ٨٣، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، الطبعة الثانية ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م)، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، و«البيان والتبيين» ١/ ٣٢٢.

(٣٩) «الطبقات الكبرى» ٧/ ١٤٠، و«البيان والتبيين» ١/ ٣٢٢، و«الفهرست» ص ١٠١، و«جمهرة الأمثال»، العسكري أبو هلال الحسين بن عبدالله، ٢/ ٢٩٩، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبدالمجيد قطامش، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م)، المؤسسة العربية الحديثة، القاهرة، و«تاريخ مدينة دمشق»، ابن عساكر علي بن الحسن، ١٧/ ٢٩١- ٢٩٢، تحقيق: محب الدين عمر العمروي، دار الفكر، بيروت، لبنان، و«الإصابة» ٣/ ١٩٤- ١٩٥.

(٤٠) «الإصابة» ٦/ ٣٠.

(٤١) «الفهرست» ص ١٠٢.

(٤٢) «الحيوان»، الجاحظ، ٣/ ٢٠٩، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ (١٩٦٩م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٤٣) يقع في اسمه تصحيف كثير، وينظر «البيان والتبيين» ١/ ١٠٥ إذ علل سبب تسميته بالنَّخّار، «المؤتلف والمختلف»، الدارقطني علي بن عمر، ٤/ ٢٢٢٧، تحقيق: د. موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، ١٩٨٦م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، «الإكمال»، ابن ماكولا الأمير علي بن هبة الله، ٧/ ٢٥٦، الطبعة الأولى ١٤١١هـ (١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٤٤) «الإصابة» ١٠/ ٢٠٦، وينظر «جمهرة أنساب العرب» ص ٤٤٨.

(٤٥) «الفهرست» ص ١٠٨.

(٤٦) «الفهرست» ص ١٠٢، و«معجم الأدباء»، ياقوت الحموي، ٤/ ١٦٣٠، تحقيق: د. إحسان عباس، الطبعة الأولى ١٩٩٣م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

(٤٧) «المعارف»، ابن قتيبة عبدالله بن مسلم، ص ٥٣٤، تحقيق: د. ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، بيروت، والفهرست ص ١٠٢، و«الإصابة» ٧/ ٢٦٠.

(٤٨) طُبع الكتاب مع كتاب «التيجان وملوك حمير» تحت عنوان «أخبار عبيد بن شرية في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها»، حيدر أباد الدكن، ١٣٤٧هـ.

(٤٩) «المعارف» ص ٥٣٥، و«الفهرست» ص ١٠٢.

(٥٠) «الحيوان» ٣/ ٢٠٩، و«المعارف» ص ٥٣٥، و«الفهرست» ص ١٠١، و«جمهرة الأمثال» ٢/ ٢٩٩، و«مجمع الأمثال»، الميداني أحمد بن محمد، ٢/ ٣٤٧، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م)، مطبعة السنة المحمدية.

(٥١) «الحيوان» ٣/ ٢١٠، و«أنساب الأشراف»، البلاذري أحمد بن يحيى، ص ٧٩٢، المخطوط، مصورة عن نسخة الخزانة العامة في الرباط، مكتبة الجلاوي ٧، المغرب.

(٥٢) «المعارف» ص ٥٣٥، و«معجم الأدباء» ٥/ ٢٢٤٨، و«تاريخ التراث العربي»، فؤاد سزكين، ١/ ٤٢٤، ترجمة محمود فهمي، الرياض ١٤٠٣هـ.

(٥٣) «جمهرة أنساب العرب» ص ٥.

(٥٤) «سير أعلام النبلاء» ٥/ ٢٧٩- ٢٨٠.

(٥٥) «معجم الأدباء» ٥/ ٢٢٣٣.

(٥٦) «الفهرست» ص ١٢١.

(٥٧) «جمهرة أنساب العرب» ص ٥.

(٥٨) «المعرفة والتاريخ»، يعقوب بن سفيان، ١/ ٦٤١، تحقيق: د. أكرم العمري، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٥٩) «الأغاني»، أبو الفرج الأصبهاني، ٢٢/ ١٥، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

(٦٠) «الفهرست» ص ١٠٧.

(٦١) «الطبقات الكبرى» ٦/ ٣٥٩.

(٦٢) «الفهرست» ص ١٠٣.

(٦٣) المصدر السابق ص ١٠٢.

(٦٤) المصدر السابق ص ١٤١.

(٦٥) المصدر السابق ص ١٠٧.

(٦٦) المصدر السابق ص ٥٣- ٥٤، و«معجم الأدباء» ٦/ ٢٧٣١، و«وفيات الأعيان»، ابن خلكان أحمد بن محمد، ٥/ ٣٠٤، تحقيق: د. إحسان عباس، ١٩٧٢م، دار صادر، بيروت.

(٦٧) طُبع بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، ونشر دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان.

(٦٨) «الفهرست» ص ١١٣، و«معجم الأدباء» ٦/ ٢٨٠٣.

(٦٩) «هدية العارفين في أسماء المصنفين»، اسماعيل باشا البغدادي، ١/ ٤٣٨، استانبول ١٩٦٠م.

(٧٠) «الفهرست» ص ١٢١.

(٧١) «تهذيب التهذيب» ٩/ ١١٧.

(٧٢) «الفهرست» ص ١٠٧.

(٧٣) «الفهرست ص ١١٨- ١١٩.

(٧٤) ينظر «الفهرست» ص ١٠٨- ١١١، و«معجم الأدباء» ٦/ ٢٧٧٩- ٢٧٨١.

(٧٥) طُبع بتحقيق الدكتور ناجي حسن، ونشرته مكتبة النهضة العربية وعالم الكتب، ١٤٠٨هـ.

(٧٦) له عدة طبعات، بعضها كامل وبعضها ناقص.

(٧٧) «الفهرست» ص ١١٢- ١١٣، و«معجم الأدباء» ٦/ ٢٧٩١- ٢٧٩٢.

(٧٨) «الفهرست» ص ١١١، و«معجم الأدباء» ٦/ ٢٥٩٨.

(٧٩) «الفهرست ص ٥٩- ٦٠، و«معجم الأدباء» ٦/ ٢٧٠٤- ٢٧٠٩، و«وفيات الأعيان» ٥/ ٢٣٨- ٢٣٩.

(٨٠) «كشف الظنون»، حاجي خليفة، ١/ ١٧٩، تحقيق: محمد شرف الدين، ورفعت الكيلسي، ١٣٦٠هـ ١٩٤١م، استانبول، و«تاريخ التراث العربي» ١/ ٤٠٩.

(٨١) «الفهرست» ص ٦١.

(٨٢) «الفهرست» ص ١٠٧.

(٨٣) طُبع بتحقيق عبدالسلام هارون، ضمن «نوادر المخطوطات»، المجموعة الأولى، نشر دار الجيل، بيروت.

(٨٤) ينظر «الفهرست» ص ١١٣- ١١٧، و«معجم الأدباء» ٤/ ١٨٥٤- ١٨٥٨.

(٨٥) «معجم الأدباء» ٦/ ٢٥٣٠، وفي «الفهرست» (ص ٧٦) كتاب «مدح القبائل».

(٨٦) ينظر «الفهرست» ص ١١١- ١١٢.

(٨٧) «تاريخ بغداد»، الخطيب البغدادي، ١٣/ ١١٣، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٨٨) «الفهرست» ص ١٢٣.

(٨٩) طُبع بتحقيق المستشرق إ. ليفي بروفنسال، ونشرته دار المعارف بمصر.

(٩٠) طُبع بتحقيق المستشرق وستنفلد، ثم بتحقيق الأستاذ حمد الجاسر، ونشر دار اليمامة، الرياض.

(٩١) طُبع بتحقيق عبدالسلام هارون، ضمن «نوادر المخطوطات»، المجموعة السابعة، نشر دار الجيل، بيروت.

(٩٢) الطبعة السابقة نفسها.

(٩٣) «الفهرست» ص ١١٩، و«معجم الأدباء» ٦/ ٢٤٨٠- ٢٤٨٣.

(٩٤) «الفهرست» ص ١٢٠.

(٩٥) بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، ونشر مكتبة العروبة بالقاهرة، ١٣٨١هـ. [وقامت مجلة «العرب» بإعادة طبع الكتاب مع ما وجد من أصله وإعداد فهارس سنة ١٤٢٠هـ].

(٩٦) «الفهرست» ص ١٢٣، و«معجم الأدباء» ٣/ ١٣٢٢- ١٣٢٦.

عودة إلى أبي وجزة

وصلني بأخرة الجزءان الخامس والسادس من مجلة «العرب» س ٣٤، ص٣٨٧، وكان مما نشر فيها تحقيق الدكتور حاتم الضامن لجيمية الشاعر يزيد بن عُبَيْد السعدي، أبي وجزة (ت ١٣٠هـ).

ولم تنقطع صلتي بشعر هذا الشاعر، منذ أن نَشَر لي (معهد المخطوطات العربية) في القاهرة، سنة ١٩٩٠م أول جمع لشعر هذا الشاعر – فيما أعلم – فما فَتِئْتُ أنقب وأبحث عن شعره، بغية الشمول والتوثيق.

وليس بخافٍ أن جمع الشعر لا ينتهي، ولا يمكن لأحد – مهما بلغ من العلم – أن يقطع بأن ما قام بجمعه هو الصورة المثلى لشعر هذا الشاعر أو ذاك.

ولدى قراءتي لتحقيق الدكتور الضامن للقصيدة المذكورة، بلغ مني العجب كل مبلغ من بعض المثالب التي ضمَّها تحقيقه، وهو العالم المدقِّق، ولكن (لكل جواد كبوة) – كما يقال –.

وتوزعت هذه المثالب بين التقديم والتحقيق، ولولا حرصي الشديد على هذه اللغة التي شرَّفها الله تعالى فأنزل كتابه العزيز بها، ولولا ثقتي بسعة صدر الدكتور الضامن، لما عنيَّت نفسي في خط حرف واحد ولكنني على ثقة بأنه يؤمن إيمانًا تامًّا بقول القائل: (رحم الله امرأ أهدى إليَّ عيوبي) وقول الآخر: (من ظنَّ أنه علم فقد جهل).

وهذه الملحوظات هي:

قال في مقدمة التحقيق: (... وكنت ومازلت ضنينًا بهذه القصيدة). والذي أعرفه عن أخلاق العلم والعلماء أنهم لا يضنون بشيء من علمهم على أحد، ولست أدري إذا كان الدكتور قد غاب عنه قول المصطفى ﷺ: «من كتم علمًا ألجمه الله لجامًا من نار» وقوله ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله المال فسلَّطه الله على هَلَكَته بالحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يعلمها، ويقضي بها بين الناس»، جعلنا الله وإياكم منهما.

وقال أيضًا: (ونشر أحد الباحثين من دمشق شعر أبي وجزة عام ١٩٩٠م وسلخ القصيدة الحائية التي تقع في تسعة وثلاثين بيتًا المنشورة بتحقيقي في مجلة «المورد» عام ١٩٧٩ من غير إشارة إلى ناشرها، وجاء جمعه لشعر أبي وجزة ناقصًا ومتعجلًا).

أقول: من أدهى عيوبنا العربية النقدية تضخيم (الأنا) تضخمًا ينأى بها عن الحق، ويحملها على إلغاء الآخرين، وينكّبها الاعتراف بجهودهم وإسهاماتهم، وخاصّة إذا كان الطرف المنقود لم يزيّن اسمه بلقب أكاديمي (الدكتور)، والذي يختصر أحيانًا إلى حرف الدال فحسب، وما أكثر من لقبوا بهذا اللقب، الذي غدا سلّمًا للظهور في المجتمعات الراقية!!

فهل قولك -(أحد الباحثين)- هو من باب الجهل بناشر شعر أبي وجزة لأول مرّة أم من باب الترفّع عن ذكره؟! وقد ذكره قبلكم الأستاذ العلاّمة - بحق - الشيخ حمد الجاسر، حفظه الله، وذلك عندما قال في حاشية من حواشي تحقيقه لكتاب الهجري القيّم «التعليقات والنوادر» فقال في معرض التعريف بالشاعر أبي وجزة: (... وقد حاول جمع شعره ونشره وليد السراقبي...)، فهذه أخلاق العلماء، وهذا التواضع الذي يرفع صاحبه.

أما ما قلتَه عن سَلْخي للقصيدة الحائية، ففيه تَجَنٍّ لا يخفى على ذي لب، وبُعْد عن جادة الصواب، ذلك أنني قلت في تخريجها: ١ - ٣٩ في «منتهى الطلب»، ج ٨، ورقة ١١٧ (نقلًا عن مجلة «المورد». وأوردت عنوان المجلة في ثبت المصادر والمراجع.

فهل بعد هذا التوثيق مجال للادعاء بأنني سالخ للقصيدة؟! وهل يبقى العلم الذي ينشر ملكًا لصاحبه أم أنه يغدو ملكًا للآخرين؟ وعلى م نشر إذًا؟!.

أما قولك: (وقد جاء جمعه لشعر أبي وجزة ناقصًا ومتعجّلًا)، فهل تظن أنني - أيّها الدكتور الفاضل - قد ادّعيت لعملي الكمال؟! إليك ما قلتُه في المقدمة (وإنني آمل ممن يقف عليه ألاّ يبخل عليه بالنقد والتوجيه، وألا يضنَّ عليه باستدراك نقص، وسدِّ ثغرة ليحبو العمل خطوات نحو الأفضل)؛ ذلك أن عمل الواحد منا يكمل الآخر، عندما توجد أريحيَّة العلم.

أما استدراك الدكتور عبدالمجيد الإسداوي - حفظه الله، فقد أفدت منه كثيرًا، وجهده مشكورٌ، وقد كانت لي عليه جملة ملاحظ، نشرتها مجلة «العرب»، فلعلك قد اطلعت عليه، فلم يكن كل ما نسبه إلى أبي وجزة هو له حقيقة، فقد كان ينسب الشعر إليه - أحيانًا - لمجرد أن يسبق بعبارة: قال السعدي، فيلصقه بأبي وجزة.

وأما نشركم للقصيدة الجيميَّة التي ضننتم كل هذا الزمن بها على الآخرين، فلست أغمطك حقك، فجهدك مشكور، وإن كان ينطبق عليه قول القائل:

ما ترانا نقول إلا معارًا ... أو معادًا من لفظنا مكرورا

ولو أنك شغلت نفسك بإنجاز عمل جديد تسدّ به ثغرةً، أو تكمل به عملًا لكانت الفائدة أحسن وأفضل!!

وآمل أن يتسع صدركم لهذه التعليقات، وهي لا تعدو أن تكون تعبيرًا صادقًا عن البعد عن (الأنانية) والرغبة الصادقة في خدمة تراث هذه الأمة المنكوبة بأبنائها قبل كل شيء.

١ - جاء في مقالكم: (واليوم أنشر جيميَّة أبي وجزة كما جاءت في أمالي ثعلب).

أقول: لعلّه لا يخفى أن من أول أبجديَّات التحقيق، البحث في المخطوطة، وصفًا، وتوثيقًا، وخطًّا، وتاريخ كتابة، والكشف عن أسباب إخلال «المجالس» المطبوعة بتحقيق أستاذ فن التحقيق المرحوم عبدالسلام هارون، وأسباب أحجامك عن إبلاغه عن وجود هذه النسخة الخطيَّة لديكم!؟..

٢- أهملتم - بقصد أو بغير قصد - ضبط كثير من ألفاظ القصيدة، وكان الأولى بكم ضبطها.

٣- أهملتم تفسير بعض الألفاظ - وما أكثرها! - التي أهمل المؤلف تفسيرها، وكان الأجدر بكم تفسير غريب القصيدة، وما أظنه يخفى عليكم أن القصيدة ذاتها أقرب إلى أن تكون متنًا لغويًّا يعجم بالغريب.

٤ - تنكبتم التحقيق في أسماء كثير من المواضع، واكتفيتم بقول المؤلف: (موضع)، وكان الأولى التعريف بها خدمة لهذه الرائعة من روائع أبي وجزة.

٥- ندَّت عنكم بعض الهنات في صحَّة ضبط بعض مفردات القصيدة، ومن ذلك:

ب ٤ - .... مستربعِ ...

والصواب: (مستربعٍ) بالتنوين.

ب ١٢ - والعَيْنُ والجِيدُ من ظبي أعارهما أسماءَ رئم ....

ولعلَّ الصواب: (رئمٌ)؛ على أنه الفاعل الذي أعار أسماء عينَها وجيدها.

ب ١٥- أسماء ذلك ما أسماء جانبُها عن الدنيِّ بإغْلاق وإشراجِ

ولعلَّ الصواب (أَغْلاق وأشراج)، على أنه صفة مشبَّهة على زنة جمع التكسير، ومنها: أخْلاق، وأحذاق، أغلاق،... وأكثرها ورد في قصيدة تأبَّط شرًّا التي على القاف.

ب٢٢- فسلِّ أسباب شوقٍ من لبانتها بباقلِ النابِ كالقُرْقُولِ وسَّاجِ

والصواب في رواية الشطر الثاني:

.... كالقرقود ......

ولا يخفى أن أبا وجزة يصف جملًا ضخمًا فشبَّهه بالسفينة العظيمة. أما القَرْقول - على روايتكم - فهو ضرب من الثياب، وما أظن المعنى يوافق ما اخترتم. جاء في «لسان العرب»: (القَرْقل: قميص من قُمص النساء بلا لِبْنة، وجمعه: قَرَاقل... ونساء أهل العراق يقولون: قَرْقَر.... وهو خطأ، وكلام العرب القرقل...).

ب ٣٢- فاقورَّ لاحقةً قُبًّا أياطلُه . . . .

ولعلَّ الصواب: (فاقورَّ لاحقُه؟). قال ابن منظور: (... فرس لاحقُ الأَيْطل من خيلٍ لُحُق الأَيَاطلِ إذا ضمرت... ولاحق: اسم فرس معروف من خيل العرب) «اللسان» (لحق).

ب ٣٣- ظَلَّ بدوٍّ من الرَّنقاء يلفحه . . . . . .

أقول: كان من الأفضل الإشارة أن البيت قد أصابه (الطيُّ) في تفعيلته الأولى (مستفعلن)، والطيُّ هو حذف الرابع الساكن من مستفعلن فتصبح مستعلن، ومن ثَمّ مُفْتَعلن).

ب ٣٨- . . . . منهِ صباحها قد اعتلَّت بإرتاجِ

والبيت مختلُّ الوزن على هذا النحو، والصواب في روايته: (.... صِباها).

ب ٤١ - نَقْب الأشاهب . . . .

وكذلك رواها الدكتور الإسداوي في مستدركه على ما جمعتُه من شعر أبي وجزة، وفسِّرتْ بـ(النقرة في الجبل)، والمعنى لا يوافق ما أوردتماه. ولعل الصواب في روايته:

نَعْب الأشاهب . . . .

أو: (نعْبُ الأشاهيب)، على نحو ما أثبته في مجموعي الشعري.

والنّعْب: صوت الغربان، والنعب أيضًا ضرب من سير الإبل. والأشهب القوي، وجيش أشهب: قوي. قال ابن منظور: (وأكثر ما يستعمل في الشدَّة والكراهة) «اللسان» (شهب).

ب ٤٢ - حتَّى إذا ما إبالات جَرَتْ بُرُحًا . . . . . .

والصواب: (إيَالات)، والإيالات: الأَوْدية، والمراد بها هنا مسيلات العرق على قوائم الأُتُن.

ب ٥٣- . . . . شتَّى جميعٌ نهاجِ . . . .

ولعلَّ الصواب: (شتَّى جميعِ نِهاجِ).

ب ٥٤ - وهُنَّ بالعَيْن مِنْ ذي صَارِخٍ لُجُبِ

والصواب: (لَجِبِ) على أنه صفة لما قبله.

ب ٥٨- . . . . على خَضَمٌ . . . . . .

والصواب: (خِضَمٌ)، وهو المِسَنّ الذي يُسَنّ به.

ب ٦٠ - مُقَلِّص زَبِدُ . . . . جُوْل . . . . .

والصواب: (رَبِذُ . . . . جَوْلٍ)، والرَّبِذُ: العاري الأوصال.

الجَوْل: الترابُ والحصا اللذان يجولانِ عند تصاعدِ الغبار.

الإمارات: العين: وليد محمد السراقبي

«التعريف بطبقات الأمم»

صدرت عن مؤسسة نشر التراث المخطوط بطهران أخيراً، طبعة جديدة من كتاب صاعد الأندلسي «التعريف بطبقات الأمم» اعتمد فيها محققها الدكتور غلام رضا جمشيد نژاد أول، الأستاذ بجامعة طهران على أربع عشرة مخطوطة للكتاب محفوظة في شتى مكتبات العالم.

ويصح أن توصف هذه الطبعة بأنها انقذت الكتاب مما أصيب من أخطاء الناشرين.

وقد عرّف المحقق الفاضل في مقدمة استغرقت حوالي ١٢٢ صفحة بتلك المخطوطات وبغيرها مما لم تصل إليه يداه. وكنا نتمنى لو كانت مقدمة الكتاب بالعربية وليست بالفارسية لكون الكتاب بالعربية ومحقق الكتاب متمكن منها.

عرّف المحقق الفاضل بالطبعات التي سبقت طبعته، والتي تظهر الظلم الذي نزل بهذا الكتاب المهم الذي جلّت فوائده، جرَّاء تلك الطبعات:

١- طبعة لويس شيخو التي صدرت في أحد أعداد مجلة «المشرق» التي كان هو صاحب امتيازها بتاريخ ١٩١١م، ثم صدرت في كتاب مستقل ببيروت سنة ١٩١٢م. ويأخذ المحقق عليها اختلاط متن الكتاب بكلام محققه الأستاذ شيخو فلا يعلم متن الكتاب من شرح محققه. ثم استخدامه العناوين غير المشهورة للأعلام فيه، فقد وضع مثلاً: (ابن حزم) في فهارس الكتاب تحت عنوان (أبو محمد)، و(ابن زهر) تحت عنوان (أبو مروان). وكان يحيل أحياناً إلى أرقام مغلوطة، فمثلاً نجد أمام اسم (أبو مروان عبدالملك بن... ابن زهر الإشبيلي) رقمي ٨٤ و٨٥ بينما ورد اسمه في ص ٨٤ فقط. وقد ورد اسم المسعودي عدة مرات في الكتاب، لكن لم يوضع أمام اسمه في الفهرست سوى رقم الصفحة ٢٨ فقط.

وهو يطبع عدة مرات اسم (ابن مرة) بدلاً من (ابن مسرة). ومن ذلك إخفاق الأستاذ شيخو ومن قبله (بلاشير) عند ترجمته للكتاب في الوصول إلى معنى

(الألبـريم) وهـو عنـوان كتـاب أورده صاعـد عنـد حـديثـه عن تـاريخ الطب في الأندلس، وتعني هذه الكلمـة الجامع أو المجموع. ويعتقد الدكتـور جمشيد نرَّاد أول أنها تعريب لكلمة (هـرباريم) اللاتينية وتعني مجموعة الأدويـة النباتية، لكن شيخو أوردها على شكل: الأبريشم، وجعلها بلاشير: الإبريسيم.

وذكر الكاتب أن الأستاذ شيخو قد اعتمد ثلاث مخطوطات في تحقيقه الكتاب.

٢- طبعة حيـاة أبو علوان الصـادرة عن دار الطليعة ببيـروت (١٩٨٥م). وفيها الكثيـر من الغلط والتحـريف والتصحيف، ممـا استغـرق مجـالاً كبيـراً من طبعـة الـدكتـور جمشيـد نـرَّاد أول لـلإشـارة إليـه، فمـن ذلك أنهـا تحيل القـارىء إلى الصفحات ٢٣٩- ٢٤٠ في حين بلغ مجموع صفحات طبعتها ٢١٦ صفحة فقط.

ومن ذلك أنها تذكـر في مقدمتها للكتاب واحـداً من أساتذة صاعـد فتقول إنه القاسم بن نصيـر بن وقاص المعـروف بابن أبي الفتح المتـوفى سنة ٣٣٨هـ، وقد نسيت أن صاعداً الأنـدلسي قد ولد سنة ٤٢٠هـ فكيـف يتعلم على من توفي قبله باثنين وثمانين عاماً؟

وهي تؤرخ ولادة الجغـرافي الشهير بطليموس ووفـاته بالشكل التـالي: من سنة ٩٠ قبل الميلاد حتى ١٦٨ للميلاد (!!).

وهي تعرّف بالوصيفي الذي نقل صاعـد عنه فتقول: إنه إبراهيم بن وصيف شاه المتوفي سنة ٥٩٩هـ، أي بعد وفاة صاعد بـ١٣٧ سنة.

وقد رجح المحقق أن تكـون الكلمة: (المسبحي) وليس (الوصيفي). وهـو الصواب، وهو محمد بن عبيد الله المسبّحي (٣٦٦- ٤٢٠هـ) المؤرخ المصري المعروف.

وحين عرفت بالحسـن بن الصباح أحد علماء الفلك المترجم لـدى ابن النديم (ص ٣٣٥)، عـرّفت بـالحسن بن الصبـاح بن علي الـزعيم الإسمـاعيلي (٤٢٨- ٥١٨هـ).

وعندمـا عرّفت بيحيى بن أبـي منصور - وهو ممن عمـل في الرصد المـأموني

خلال حياة الخليفة المأمون العباسي - قالت: إنه يحيى بن أبي منصور الفارسي كبير أسرة آل المنجم المتوفى سنة ٦١٦هـ (!). فأين هذا التاريخ من عصر المأمون.

ومما أحصاه محقق الكتاب من أخطاء في طبعة حياة أبو علوان، عدم معرفتها الاصطلاحات الواردة في الكتاب، فطبعتها بشكل مغلوط. فقد طبعت (الخمس المتميزة) بدلاً من الاصطلاح الفلكي المعروف (الخمسة المتحيرة) وهي خمس كواكب: زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد. وطبعت عنوان كتاب ابن الجزار المعروف: «الأدوية المفردة» بشكل: الأدوية المفيدة. كما طبعت «علم الأنواع» بدلاً من «الأنواء». وشرحت معنى (الجوزهرات)، وهو مصطلح فلكي[1] فقالت في الهامش: ربما كانت الكلمة: (الهازرونات).

وحذفت من النص اسم كتاب «شرح الثمرة» لأحمد بن يوسف، كما حذفت منه اسم كتاب «السموم» لإسحاق بن عمران. وغير ذلك كثير.

٣- طبعة النجف بتحقيق السيد محمد بحر العلوم (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م) التي قال: إنه اعتمد فيها لعمله طبعةَ مصر وقابلها بمخطوطة محفوظة بمكتبة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مستنسخة على مخطوطة كتبت في ٦٥٠هـ.

وقد قال المحقق الفاضل عنها: عمليًّا فإن هذه الطبعة هي نفس طبعة القاهرة (التي هي طبعة بالأوفست على طبعة شيخو بعد إسقاط التعليقات واختلاف النسخ والفهارس منها). أما الاختلاف في النسخ فقد تابعه إلى صفحة ٢٦ فقط ثم تخلى عنه بعد ذلك. وكان يشير أحياناً في الهوامش إلى الاختلاف بقوله: وفي نسخةٍ كذا. ولا يذكر أية نسخة يعني.

تقع طبعة الدكتور جمشيد نـرَّاد أول في ٣٥٣ صفحة بما في ذلك المقدمة والفهارس وخلاصة بالعربية تزيد على عشرين صفحة لمقدمته التي ذكرنا أنه كتبها بالفارسية.

وقد سها قلم المحقق الفاضل الدكتور جمشيد نرَّاد أول في حالات قليلة في جهده العلمي الضخم هذا، نود لو صححت في طبعات الكتاب اللاحقة. ففي ص ٢٤٦ منه: (أبو القاسم مسلمة بن أحمد المعروف بالمرجيطي)، وذكر في الهامش قراءات أخرى للقبه مما ورد في المخطوطات الأخر للكتاب: المرحيط، المرحيطي، المرجيط.

قلت: الصواب هو المجريطي نسبة إلى (مجريط)(*) من مدن الأندلس. وهو صاحب كتاب «رتبة الحكيم» المعروف. وقد يقع الغلط في كتابة لقبه هذا. ففي «تاريخ الإسلام» للذهبي ص ١٦٧ من حوادث ٤٤١ - ٤٥٠هـ: مسلمة المرحيطي. وفي «عيون الأنباء» (ص ٤٤٤)[٢]: المرحيطي. انتهى.

ومن سهو قلمه النبيه ما ورد في ص ١٤٧ عن تأثير الشمس على الإنسان خَلقاً وطباعاً: (فاسودّت ألوانهم وتغلغلت شعورهم... مثل من كان من السودان ساكناً بأقصى بلاد الحبشة والنوبة والزنج). ثم ذكر في الهامش قراءات أخرى بحسب اختلاف النسخ لكلمة (تغلغلت) هي: تقلصت وتعلقت. قلت: الصحيح هو: وتفلفلت - بفاءين. قال ابن الفقيه الهَمَذاني: (ومفلفَل الشعر... كالزنج والحبشان...)[٣]، وقال المسعودي: (احترقت ألوانها وتفلفلت شعورهم لغلبة البخار الحار اليابس)[٤].

ص ١٦٧: (تخوم بلاد أمانية التي قاعدتها مدينة رومية)، وفي ص ١٨٨ عن بلاد الروم: (فأولها من جهة المشرق مما يتاخم بلاد اليونانيين: بلاد أمانية). ثم ذكر قراءات أخرى لـ(أمانية) بحسب اختلاف النسخ: ألمانية، أماسية. انتهى. قلت: يبدو أن الصواب هو أماسية أو أماسيا. سماه ياقوت وهو يتحدث عن أعمال بلاد الروم: (حصن أماسية)[٥].

ص ١٤٤، ١٤٥: من أجناس الترك، طلسان. وذكر في قراءات أخرى: طيلشان، طيلسان، جلسان. انتهى. قلت: المعروف أن الكلمة هي: طيلسان. قال

ابن الفقيه: (الجيل والببر والطيلسان)، وقال: (والديلم والطيلسان والببر)[٦]، ووردت كذلك لدى ابن خرداذبه (ص ٥٦ وصفحات أخر).

هذا مالاحظناه من سهو قلم هذا المحقق، الذي قدم خدمة جليلة لتراثنا الغالي ببذله هذا الجهد الكريم الشاق في مقابلة ١٤ نسخة من مخطوطات الكتاب، وكتابة حواش له مع مقدمة نأمل أن تترجم إلى العربية في الطبعة القادمة ليطلع القراء والباحثون على مدى الظلم الذي أُلحق بكتاب صاعد الذي لا تخفى أهميته على الباحثين في شؤون التراث، ولنكبر في المحقق النَّابِهِ روحه العلمية والمثابرة.

كما نأمل أن تصحح بعض الأخطاء الطباعية مثل (أفريقية) (ص ٢٣٣) و(يتآخم) (ص ١٨٨) و(مأتين) (ص ٢٢٦) والمقصود (مائتين)[*] ومثل «الامتلاآت القمرية» (ص ٢٢٨)، والمراد: الامتلاءات.

ايران: يوسف الهادي

الحواشي:

(*) «العرب»: هي (مدريد) اليوم.

(١) في «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (ص ٢٢٠) (الجوزهر: النقطتان اللتان تتقاطع عليهما الدائرتان من الأفلاك... ويسمى أيضاً التنين).

(٢) ضبطه وصححه ووضع فهارسه محمد باسل عيون السود، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. عن ضبط (المجريطي)، انظر: «الأعلام» للزركلي، ٧/ ٢٢٤؛ «معجم الأدباء»، ٦/ ٢٨٠٦، بتحقيق الدكتور إحسان عباس.

(٣) «البلدان» (تحقيق يوسف الهادي)، ص ١٩٩.

(٤) «التنبيه والإشراف»، ٢٢.

(٥) «معجم البلدان»، ٣/ ٨٦٥، وقد ورد الاسم في «تقويم البلدان» (ص ٣٨٣) (أماسيا) وكذلك في «الجغرافيا» لابن سعيد (ص ١٩٥) الذي قال إنها من مدن الحكماء.

(٦) «البلدان»، ٤١٧، ٥٥٨.

(*) «العرب»: كتابة (مائة) وما تركب منها بإثبات الألف (مائة) يوقع الخطإ في نطقها، والقاعدة المعروفة أن الهمزة إذا وقعت وسط الكلمة وما قبلها مكسور فإنها تكتب على نبرة (ياء) مثل (رِئة) و(فئة) و(مئة) وما سار عليه الكتاب منذ القدم تأثراً بكتابة المصحف الشريف ومعروف رأي ابن خلدون في مقدمة تاريخه عن تلك الكتابة المتوارثة، وقد قرر (مجمع اللغة العربية) في القاهرة كتابة (مئة) على القاعدة العامة لكتابة مثيلاتها.

العايدة: نسبهم وفروعهم وديارهم

(٣)

وسم العايدة: تسم قبيلة العايدة سمة المَحَلَّة على الفخذ الأيمن للبعير وهذا شكلها I وهي سمة قبيلة السماعنة في شمالي سيناء وهي سمة قبيلة البدارة في جبال العِجْمة بوسط سيناء يسمونها على العنق ذالك أن جدّهم الطويل الملقب بالبدري تزوّج عيّادية وعاش مع العيايدة فلما مات وسم أولاده وسم أخوالهم وجعلوه على العنق.

* **فروع العايدة وديارهم:** في حديثه الضافي عن حاضرة العايد قال علي باشا مبارك في كتابه الصادر سنة ١٣٠٥هـ: (العائذ بعين مهملة في أوله فألف فياء مهموزة فذال معجمة) قال: (ويستعمل بين عامة الناس بالمهملة وهو اسم لخطّة من مديرية الشرقية بجوار الجبل الشرقي في شمال بلبيس وجنوب الصوّة وشرقي بردين تشتمل على عدّة قرى وكفور منها: الدهسانية والمهنوية والخربة وسنيكة والجبلة والوراورة والمسيد وفي جميعها نخيل كثير وأشجار ومساجد عامرة وأكثر أبنيتها باللبن وكذا سائر قراها وكفورها مثل الكفر القديم الواقع في شرقي مصرف بلبيس الآخذ من الترعة الشرقاوية بنحو ثلاث مئة متر وفي شرقي الدهسانية بنحو أربع مئة متر وكفر سليمان في شمال الكفر القديم بنحو ألف متر، وكفر بغدادي أباظة في شمال كفر سليمان بنحو خمس مئة متر، وفي جنوب عمريط بنحو ألف وخمس مئة متر وكذا كفر أباظة الذي انشأه سليمان أباظة في شمال ترعة شرويدة بنحو ثلاث مئة وفي شرقي بردين بنحو خمسة آلاف متر ومنها كفر عيّاد الموضوع على ترعة صغيرة خارجة من مصرف بلبيس في شرقي سنيكة بنحو ربع ساعة وفي جنوب المسيد بقليل وليس بكفر سليمان وكفر بغدادي نخيل بخلاف باقي تلك الكفور فنخيلها غاية في الكثرة مع اختلاف أصنافه واتصال بعضه ببعض حتى إن الكفور التي بداخله لا ترى من الخارج) قال: (وفي تلك الكفور أبنية من الآجر مشيدة لأكابرها بمناظر مبلّطة ومضايف متسعة يُكرم فيها الأمير والفقير)[1] وتابع يقول: (إن أهل العائذ في أول

أمرهم نزلوا ببلاد قديمة كانت في تلك الجهة اندرس أكثر آثارها ولم يبق إلا أسماؤها مثل عزيزية القصور وسنتة وقسورية فاستولوا على أرضها ومزارعها واستخدموا من بقي من أهلها بمالهم من البأس والقوّة واستمروا كذالك زمنًا مديدًا ودائمًا يوجد فيهم عائلات مشهورة أشهرهم عائلة أولاد منصور وتُسمى بالمناصرة إقامتهم بالكفر القديم كان كبيرهم شيخ العرب إبراهيم العائذي متكلمًا على قبيلة العائذ جميعها زمن الفرانساوية وجاء العزيز المرحوم محمد علي وهم في خشونة العرب وله مناوشات كثيرة مع غيرهم من قبائل العرب وليس عليهم شيء مما على الفلاحين فكانوا ربما حصل منهم تعدٍّ على الناس والبلاد المجاورة ولما عمل العزيز الطرق التي دانت له بها جميع رقاب أهل القطر دخلوا تحت طاعته وأُتمروا بأوامره وكانوا قد خوّلهم الله أموالًا وعقارات ونخيلًا فحصل تخييرهم بين معافاتهم من أن يعاملوا معاملة الفلاحين بشرط أن ينزع ماتحت أيديهم من الأراضي والنخيل فاختاروا الفلاحة وسيقوا سوق فلاحي مصر وعوملوا بمعاملتهم من دفع الأموال وحفر الترع وعمل القناطر وجرف الجسور وغير ذالك)[٢] قال الأحيوي: المناصرة نسبة إلى منصور وفيهم شياخة قبيلة العايد وهذا يذكرنا بالشيخ منصور بن صيام العايدي الذي ورد ذكره في سنة ١٠٥٣هـ و ١٠٥٨هـ كما سبق بيانه وكان منزله في البرقوقية حسبما ورد في وثيقة مؤرخة بيوم السبت ٢٤ شعبان ١٠٥٣هـ ١٦٤٣م[٣] وكانت البرقوقية موطن ولده صقر شيخ العايد الآنف ذكره في سنة ١٠٨٣هـ فلعل المناصرة هم أعقاب منصور هذا وأضاف علي باشا مبارك يقول: (بعد أن كان إبراهيم العائذي شيخ قبيلة العائذ كلها جعل ناظر قسم في جانب بلبيس ثمّ مأمورًا عليه أيضًا ثمّ قامت عليه الأهالي وادّعوا عليه أنه سلب منهم أشياءهم فسلّم لهم وأعطاهم من ماله محافظة على شرفه فصدر الأمر بطرده من الخدمة الميرية ولزم بيته بكفر إبراهيم وهو الذي أنشأه وسُمّي باسمه وبقي محفوظ المقام محترمًا إلى أن توفي سنة ١٢٥٢) قال: (وكان شجاعًا جوادًا وأعقب ذريّة ذكورًا و إناثًا فمن أولاده سليمان الصاوي كان شيخًا على بلدتهم بعد موت والده إلى أن توفي سنة ١٢٦٥) قال: (ومنهم ابنه علي

كان نـاظر قسم العـائذ مدّة ثم مـات سنة أربع وسبعين)[٤] قال الأحيـوي: وإبراهيم العايدي هذا هو الذي نسب إليه نعوم شقير أحد فريقي العايد واغترّ به محمد الطيب وهو وهم سبق بيانه وتابع علي باشا مبارك يقول: (ومن أشهر عائلات العائذ وأعظمها رتبة وأرفعهـا مكانًـا عائلة أولاد أبـاظة تقلّبت في الـرتب السنية والمنـاصب الديـوانية منهم جملـة فاسبقهم في ذالك الأميـر الجليل ذو المجد الأثيل المـرحوم حسن آغـا أباظـة جعله المرحـوم إبراهيـم بـاشا سرّ عسكـر والد الخديـوي إسماعيل بـاشا شيخ مشـايخ نصف الشـرقية سنـة سبع وعشـرين ومئتين وألف وقت تشـريفه جهـة بـردين للمساحـة العموميـة وبعد مـدّة جعل ناظـر نظّار نصفها ثـمّ مأمور جانـب شيبة وهي المركز ثم مأمـور جانب ههيا وهي المركـز أيضًا ثمّ باش معاون الشرقيـة والدقهلية ثم عوفي من الخدمة لمـرض قام به وبقي معافى مشتغلًا بشأنه وزروعاتـه وكان يزرع نحو أربع آلاف فدان إلـى أن توفيّ سنة ١٢٦٥) قـال: (وكان كـريمًا جـوادًا فصيح اللسان ومن آثـاره مسجـد عظيم أنشأه في كفـر أبـاظة مُقـام الشعـائر إلى الآن وبني ضـريح الشيخ تـاج الـدين ومقبـرتهم الآن عنـده بعد أن كـانت بمشهـد الطـواحين)[٥] قال الأحيوي: وحسن أبـاظة هذا هـو الذي نسب إليه نعوم شقيـر الفريق الآخر من العـايد واغترّ به محمد الطيب وهو وهم سبق بيانه.

وقد ذكر علي باشـا مبارك عددًا من أعلام آل أباظة منهم السيد بـاشا أباظة (ت ١٢٩٢هـ) وأخوه سليمان باشا أبـاظة والشيخ عبدالرحمن وأحمد بك وعثمان بك ومأمـون بك وسليمان بك وإسمـاعيل بك وإبـراهيم بك وكل هـاؤلاء من سلالـة حسن أغا أباظة وذكر شيئًا عنهم[٦] وقال: (وأما حاشية حسن أغـا أباظة الذي هو أصل هذه الشجـرة المباركة فمنهم بغدادي أباظـة أخو حسن أغا أباظـة نشأ بكفر أباظة) وذكـر أنه توفي سنة ١٢٧٥هـ وقال: (ومنهم سليمان أباظـة القمحاوي ابن عم حسن أباظـة نشأ بكفر أباظـة إلى أن جعل شيخ خطّ ثم ناظـر قسم العائد في مـدّة العـزيـز محمـد علي إلى أن تـوفي سنـة ١٢٦١) قـال: (ومنهم حسين بن عبدالـرحمن أباظة ابن عم حسـن أغا أباظـة نشأ بكفر أباظـة) وذكر أنه تـوفي سنة

١٢٨٢)[٧] قال الأحيوي: وقد كان لآل أباظة تدخل ومشاركة في أحداث قبائل جنوبي فلسطين فقبل نحو قرنين وقعت الحرب بين الترابين والجبارات وكان التياها والعزازمة إلى جانب الترابين فانهزم الجبارات وارتحلوا إلى مرج ابن عامر ووادي البيدان ونواحي جبل نابلس وقد رافقهم قسم كبير من حلفائهم سكان جبل الخليل فعزّ على الجزار حاكم عكا أن يُهزم الجبارات فحرّضهم على أخذ الثأر فجمعوا جموعهم وناصرهم حلفاؤهم السواركة ووقعت وقائع أدت إلى انتصارهم وعودتهم إلى بلادم فغاظ ذالك أباظة العايدي حلفاء الترابين قال العارف: (اغتاظ أباظة لهذا الخبر وعزّ عليه أن يرى حلفاءه الترابين في تقهقر وانخذال فقام من فوره وساق على الجبارات حملة مؤلفة من ابن شديد وقومه من عربان مصر وكانت الحملة برئاسته فنزل في بحر بضعة أسابيع في بُرير وأخذ يترقب الفرص ليفتك بالدِّقس زعيم الجبارات في ذالك الحين. كان الدقس يومًا من الأيام يسير حول تل النجيلة ومعه ثلاثة من الفرسان هم عوّاد وخبيتان وإبراهيم بن عودة فأغار عليهم أبو شديد وكان أباظة قد عهد إلى هذا بقطع رأس الدقس فانقض الدقس على ابن شديد ولكنه لم ينجح إذ أن طبنجته لم تثر فركض ابن أخيه خبيتان لنصرته وتمكن هذا من ابن شديد فقتله وماكاد العرب يرون رأس قليدهم يهوي إلى الأرض حتى ولّوا الأدبار وفي ذالك سار المثل الآتي بين البدو:

الصيت صيت الـــــــــدقس والفعل فعل خبيتـــــــــــــان

ويظهر أن هذه الحادثة كانت سببًا في ازدياد نقمة الأباظات على الجبارات وأن نقمتهم هذه سرت مع الزمن إلى إبراهيم باشا إذ قام هذا يصبُّ عليهم سخطه بحجة إنهم أبوا الانقياد إليه...)[٨] قال الأحيوي: ابن شديد هو شيخ حويطات مصر والطبنجة هي البندقية ويسميها البدو البارودة. ومن فروع العايد المهنوية قال علي باشا مبارك: (ومن مشاهير العائذ عيّاد كريم المهنّاوي من المهنّوية نشأ بها وتعلم رماحة الخيل حتى برع فيها ثم جعل شيخ بعض العائذ ثم ملاحظًا ثم ناظر نظّار العائذ ثم مأمور جانب بلبيس وأنشأ كفرًا يُسمى باسمه إلى الآن ثمّ

توفي سنة ١٢٦٢) قال: (وبالجملة فأهل العـائذ من أشهر عائلات العرب بالديار المصريـة ويذكرون كثيرًا في كتب التاريخ)(٩) قال الأحيـوي: المهنويـة نسبه إلى مهنا وهذا يذكرنا بالشيخ مهنّا بن عيسى الذي ورد ذكره سنة ٧٨٨هـ كما سبق ذكره فلعلهم من نسلـه والله أعلم وقد ذكـر علي باشـا مبارك عـددًا من قراهم وكفـورهم منها الـدهسانيـة والمهنويـة والخربـة وسنيكة والجبلـة والوراورة والمسيـد والكفر القديم وكفر سليمان أباظة وكفر بغدادي أباظة وكفر أباظة وكفر عيّاد وكفر إبراهيم وشـرويدة وطـاهـرة والشوبك وكفـر أبـو حسين وكلها في منطقـة بلبيس(١٠) ومن ديارهم جـزيرة بُرد قـال الدكتور عبدالمجيـد عابدين: (ورد في تحفـة الإرشاد اسم قريـة أبرد وأنها لعـربان العائد وابـرد يُسمّى مكانهـا الآن جزيرة بُـرد بمركز فـاقوس بالشرقية وكذالك قرية البورة ناحية ضمن نواحي خطّة بلاد العائد وكانت من توابع ناحية تلّ اشنيك بمركز بلبيس بمديرية الشرقية)(١١).

قال الأحيوي: قرية ابرد هذه من قرى العايد القديمة ورد ذكرها منذ القرن الثامن للهجرة قـال ابن دقماق (٧٥٠ - ٨٠٩هـ) في ذكر أعمـال الشرقيـة: (أبرد وذات الاسم والعائذة: عبـرتهم الفي وأربع مئة دينـار ومساحتهم ألف وست مئة وثمـانية وستون فدانًا وهم جارين في اقطاع...)(١٢).

(للبحث صلة)

العقبة - الأردن: راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي

الحواشي:

(١) «الخطط التوفيقية» ج ١٤، ص ١٢.
(٢) المصدر السابق ج ١٤، ص ٣.
(٣) «تاريخ سيناء» ص ٥١٥ - ٥١٦.
(٤) و (٥) «الخطط التوفيقية» ج ١٤، ص ٣.
(٦) و (٧) المصدر السابق ج ١٤، ص ٤ و٥.
(٨)) «تاريخ بئر السبع وقبائلها» ص ١٦٨ وانظر تفصيل الحرب ص ١٦٥ - ١٦٨.
(٩) و (١٠) «الخطط التوفيقية» ج ١٤، ص ٥.
(١١) «البيان والإعراب» حاشية ص ١٩.
(١٢) «الانتصار لواسطة عقد الأمصار». ابن دقماق. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة. بيروت. لبنان قسم ٢، ص ٥١.

«أنســـاب الأشـــراف» للبـــلاذري

(مطبوعة الأستاذ محمود فردوس العظم)

-٨ -

٦١١- ص ٤٨٨: (لعمري إن يزيد) وهي: (فلعمري إن يزيد).

٦١٢- وفيها: (أبشر بالحَرَّقي يوم القيامة) وهي: (أبشر بالْخِزْي يوم القيامة).

٦١٣- ص ٤٩١: (والله لا اطعمك أبـدًا) وفي الحـاشية تفسيـر لكلمـة (طم) والصواب: كما في المخطوطة: (والله لا أكلمك أبدًا).

٦١٤- وفيها: (من بني زبيد من بني قطيعة) وهي: (من بني زبيد ثم من بني قطيعة).

٦١٥- ص ٤٩٣: (وخمسمئة من الرامية) وهي: (وخمس مئة من المُرَامِيَةِ).

٦١٦- ص ٤٩٤: (وابي مظهر) وهي: (وابي مطهر) وتكرر الاسم في هذه الصفحة.

٦١٧- وفيها: (فحزّ راسه) وهي: (فاحتَزَّ رأسه).

٦١٨- وفيهمـا: (وشدت رجـالة على أخـر فقتل) وهي: (وشـدت رجالـة على الحُرِّ فقتل) وهو الحر بن يزيد تقدم.

٦١٩- ص ٤٩٧: (ويقال ان زياد بن ورقـاء الجنبي) وهي: (ويقال ان رقاد بن ورقاء الجنبي) وفي الهامش (زياد بن ورقاء خ).

٦٢٠- ص ٥٠٠: (على كتفه اليسرى) وهي: (على كفِّه اليسرى).

٦٢١- ص ٥٠٥: (شيخ قد خُرِّقْت) وهي: (شيخ قد خَرِفْتَ).

٦٢٢- ص ٥٠٦: (ليسـوا بيضة تحسى لعلهـا حرمـة تـوطأ) وفي المخطوطـة: (ليسوا ببيضة تحسى ولا حرملة توطأ).

٦٢٣- ص ٥٠٨: (محفز بن ثعلبة) وفي المخطوطـة: (مِحْفَر بن ثعلبة) وتكرر الاسم.

٦٢٤- وفيها: (ما تحفزت عنه أم محفز) وهي: (ما تحفرت عنه أم محفر).

٦٢٥ ص ٥١٠: (غداة الأرنب) وهي: (غداة الأزيب) وتكررت ص ٥١١ -.

٦٢٦- وفيها: (بئس ما علمت) وهي: (بئس ما قلت).

٦٢٧- ص ٥١١: (وفاطمة، أمها خديجة) وهي: (وفاطمة، قال: أمها خديجة).

٦٢٨- ص ٥١٢: (ابن مخلد الفلاش) وهي: (ابن مُخلد الفلاس).

٦٢٩- ص ٥١٣: بعد: (تلك الرزايا وجلت) سقط بيت في المطبوعة نصه في المخطوطة:

وعنـــد غنِي قَطْـــرةٌ من دِمـــائنـــا سنجـــزيهم يـومًـا بهـا حَيْثُ حَلَّت

٦٣٠- ص ٥١٦: (ومحمـد بن أبـي سعـد بن عقيل) وهي: (ومحمـد بن أبي سعيد بن عقيل).

٦٣١- وفيها: (فَرُفِعتْ جَـراديُّ فيها النار) وفسر المحقق كلمـة (جرادي) بأنها سَعَف النخل، وفي المخطوطـة: (فَرُفِعَتْ حَرَادِيُّ فيهـا النار) وتحت الحاء عـلامة الإهمـال، والحـرادِيُّ واحـدتها حُـرْدِيَّةٌ وهـي القصب يُلْقَى على خشب السقف (نبطية مُعَرَّبة).

٦٣٢- ص ٥١٧: (من سليم حليفًا لهم) وهي: (من سليم، حليفٌ لهم).

٦٣٣- ص ٥١٩: (فأيُّ رزيّةٍ دَلَّلَتْ حُسَينًا) وهي: (فأيُّ رزِية عدَلَتْ حسينًا).

٦٣٤- وفيها: (عاصم بن فرهد) وهي: (عاصم بن قرهد).

- وفي آخر هذه الصفحـة جاء في هامش الأصل: (آخر المجلـد الحادي عشر من الأصل ولله كل حَمْدٍ وكمال. ثم بلغ العِراض بأصل ثالث ولله الحمد).

٦٣٥- ص ٥٢٠: (فرأيته رجلًا قُلّبًا) وهي: (فرأيته رجلًا حُوَّلًا قُلَّبًا).

٦٣٦- وفيها: (فشكا إليها) وهي: (فبكا إليها) وفي الهامش (فشكا صح).

٦٣٧- ص ٥٢٢: (حتى تتيقنه) وهي: (حتى تَتَّقِيْه).

٦٣٨- ص ٥٢٣: (فواندمي على أن لم أكن عاضـدت زيدًا) وهي: (فواندَمِي على أن لا أكن عاضدت زيدًا).

٦٣٩- وفيها: (حين شخص زيد وداود) وهي: (حين أُشْخِصَ زيدٌ وداود).

٦٤٠- ص ٥٢٤: (ان لا تحول بينه) وهي: (ان لا تَحُلْ بينه).

وللمحقق حاشية على هذه الكلمة.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

رسالة وَلَه .. إلى الرياض

[قضى أبو بسام بضعة أسابيع خارجَ المملكة لدواعٍ موجبة، ومع ما تحتشد به تلك البلاد من جواذبَ ومغريات، فإن ظمأه للوطنِ جعله يرى منابع تلك البلاد جافةً وصورها شاحبة الظلال.

والرسالةُ موجهةٌ إلى مدينة الرياض، مركزِ الدائرة من هذا الشمل المجتمع، فهي - إذن - رمزٌ للمملكة بأبعادِها وأفرادِها:]

رياضُ، عُدتُ إلى الكثبانِ يُشربُني ... ظمّا، وعشقٌ بقلبي، قطُّ ما ارتحلا
أتيتُ، يحملني شوقٌ وعاصفةٌ ... من الهوى، أجَّ فيها البرقُ واشتعلا
رياضُ، ياواديًا صادٍ وياظمأً ... ياموطنًا يُنبتُ المُرّان والأسلا
يصدَى، وينبوعُه تجري جداولُه ... نُبلا وأنداءَ أخلاقٍ ودَفقَ عُلا
رياضُ، ياشهقةَ الرملِ التي انطلقتْ ... فأيقظتْ في صداها السهلَ والجبلا
إني عشقتُك نبْعًا لا يجفُّ له ... عطًا تدفّق بالنُّعمى، وما سُئِلا
ياراية في سما العلياء خافقةً ... تُقدِّسُ اللهَ حيث الكونُ قد غفلا
إذا انبرى المجدُ يتلو من مفاخرِه ... استفتح القولَ من ذكراك فارتجلا
وياهوًى، ألهم (الأعشى) فرائدَه ... فأورقتْ ذوبَ أنغامٍ وكأسَ طِلى
إذا تغنّى بأحداقِ المها ولَهًا ... أصاخ وردٌ وأصغى الروضُ مُحتفِلا
رياضُ، ياغيمةَ الصحراء، يامطرًا ... للبِيد يحمل أنفاسَ الرُّبى جَذَلا
قد عدتُ أحمل في كفي شذًا وهوًى ... لموطنٍ شبَّ فيه المجدُ واكتهلا
أرقتُ عمري هوًى لم يروه وترٌ ... ولا تحدث عنه الشعرُ أو نقلا
سلافتي في دروب العمر سوسنةٌ ... من القوافي، وثغرٌ يُشعلُ القُبلا
أوّاه من ذا يساقيني وقد رحَلتْ ... حدائقُ العمر ياغصنَ الندى ذبلا
خلَتْ مسالكهُ من طيفِ سانحةٍ ... وما خبا فيه إعصارٌ ولا رحلا
ينأى الشبابُ وتبقى من وسامته ... بشاشةٌ زُرعت أيامُها غَزَلا
قلبي مزارعُ كَرْمٍ لا سياجَ له ... نهبُ الأحبةِ ممن علَّ أو نهلا
يغلي الجوى بفؤادي عند نأيهمُ ... فلا يروقُ له عيشٌ وإن جمُلا
أفدي العيونَ النشاوَى النجلَ ناعسةً ... بالوصلِ أغفت على حلمٍ وما اكتملا
رياضُ، في شفتي حرفٌ قد احترقتْ ... أطرافُه فاسكبي من نبعِك البللا

د. راشد المبارك

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

آل فيصل في (تمير) من آل مانع من تميم

كتب إلى مجلة «العرب» الأخ الكريم محمد بن عبدالعزيز الفيصل موضحًا ما يلي: (أود أن أفيدكم عن بعض المعلومات عن أسرتي (آل فيصل) التي ورد ذكرها في كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» بما نصه: آل فيصل في تمير من سدير من تميم.

وآل فيصل من آل مانع من آل عبهول[1] من (آل أبو حسين) من بني العنبر بن عمرو بن تميم، فأصل الأسرة من حوطة سدير، وقد كان الجد (عبهول) قد تولى الإمارة في الحوطة لكنه قتل عام ١٠٩٧[2] إثر خلاف على الإمارة، وبمقتله كثر النزاع بين الأسر في الحوطة، كلٌّ يطمع في تولي الإمارة، مما اضطر أبناء عبهول إلى الانتقال منها عام ١١٠٧[3]، وحسب الرواية الشفوية أنهم انتقلوا إلى (تمير) وكانت قد هُجِرت، وقطن على أحد مواردها أحد أبناء البادية، فاشتروا منه هذا الموضع، والمسمى بـ(الحايط) وقاموا بإعادة اعمار (تمير) حيث بنوا المساكن، وحفروا الآبار، وغرسوا النخيل، وانتقلت إليهم أسر أخرى من أماكن متفرقة، وكان لهم دور في سلطة البلد، فهم من الذين اعادوا تأسيسها وعمارتها.

ولأسرة (آل فيصل) دور في عهد الملك عبدالعزيز - رحمه الله - فقد شارك منها أكثر من خمسة عشر رجلًا[4] في الجهاد من أجل توحيد البلاد.

هذه معلومات مختصرة عن نسب آل فيصل آمل نشرها.

الرياض: محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله الفيصل

---

(١) انظر «تاريخ الفاخري» احداث سنة ١١٠٧ عن نسب آل عبهول.

(٢) كتاب «حوطة سدير» لعبدالله بن عبد الكريم المعجل.

(٣) «تاريخ الفاخري» و«تاريخ المنقور» احداث عام ١١٠٧.

(٤) جريدة «الاربعاء» تاريخ ١١/ ٦/ ١٤١٧.

جبل رخة وموقعه

نبه الأخ سرور بن سند السالمي على خطإ وقع في «العرب» - س ٣٣ ص ٧٢٣ وما بعدها: من أن جبل (رخة) يقع في الشمالي الغربي من جبال طيءٍ وهذا خطأ. والصواب: أن جبل (رخة) يقع غرب جبل (أدبي) الواقع غرب رمَّان، فهو في الجنوب الغربي من جبال اجإ وليس في الشمال الغربي.

فروع (المحلف) في الوقت الحاضر

كتب إلى مجلة «العرب» الأخ حامد بن فائز بن عامر البيشي من محافظة السليل بما يلي: انني أحد أبناء منطقة بيشة، ومن المهتمين بتراثها، اطلعت على العديد من المؤلفات، ولكنني لم أجد من بينها ما يفصل لقبائل المنطقة وأفخاذها خاصة (المحلف) التي تنقسم في الوقت الحاضر إلى فروع، وبعض المؤرخين ينسبهم إلى شهران بن عفرس بن حلف بن خثعم، وهم من أقدم الفروع الخثعمية التي استوطنت وادي بيشة، من أهم قراهم قرية (الحيفة) يوجد بها (قلعة المحلف) التي هدمها حسن باشا عام ١٢٣٢هـ وقرية (نمران) التي بها أكبر أسواق جنوب الجزيرة يقام كل خميس، وقرية (المدراء) التي تتميز بقلاعها القديمة المحصنة. وتتفرع القبائل إلى:

١ - قبيلة معاوية ومن أفخاذها: الشعثة، الضلالعة، النمران، الجروان، الفثماء، آل بالحسن، الشلان، السزحمان، الفربات وغيرهم، وشيخهم هو الشيخ جلوي بن حسين بن الأزهر.

٢- قبيلة بني جهم، ومن أفخاذها: الدخنة، القرامين، آل مقيطيف، الرماضين وغيرهم، شيخهم الشيخ ناصر بن منيس المقيطيف.

٣- قبيلة بني عامر ومن أفخاذها: المراصعة، المليحات، آل الطويل،

المزايين، آل مثقال، النجحة، آل حجاج، النـواجح، وغيرهـم، شيخهم الشيخ عامر ابن مرضي بن علي العامري.

٤- قبيلة آل مهدي، وشيخهم الشيخ عون بن محمد بن عون.

٥- أهل الحيفة ومنهم آل جدران، الدعارمة.

٦- أهل (النفيلة) ومنهم الفراحين، الشعـاشعة، آل رويبع، آل منشرة، وشيخهم الشيخ عبدالله بن محمد النزاري.

وشيخ عامة هذه القبائل الآن هو الشيخ جلوي بن حسين بن (الزهر) الأزهر.

هذا ما احببت إيضاحه والله الموفق.

السليل: حامد بن فائز بن عامر البيشي

حول كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد»

نَبَّـه الأخ أيمن بن عبـدالـرحمن الحنيحـن إلى أن مـا ورد في كتـاب «جمهـرة أنسـاب الأسـر المتحضـرة في نجـد» -١/ ١٧٦- مـن أن حنيحن بن يحيى ممن عمر بلـدة البير سنة ١٠١٥، وأنـه تتبع طائفة من التـواريخ النجدية فلم يجـد فيها ذكر لـذالك،، وما وجده هـو: أن محمد وعبـدالله ابنا حنيحن ممن عمر بلـدة البير سنة ١٠١٥ بعد العرينات،، فلعل ما وقع فـي كتاب «الجمهرة» من أخطاء الطباعة وصوابه (أن ابنا حنيحن) إلخ.

آل غنام من عبدل من تميم

كتب الأخ سعد بن صـالح الغنام إلى «العـرب» أنه لم يجد في كتـاب «جمهرة أنسـاب الأسر المتحضـرة في نجد» ذكـرًا لأسرتـه (آل غنام) وانهم من عبـدل من تميم ومنشأ الأسـرة هو (الحلـوة) بحوطـة بني تميم، ولا يـزال بعض الأسرة مقيمًـا هناك، بالإضافة إلى الدلـم والرياض.

حول محمد بن علي بن حدجة (أبا الحصاني)

بعث إلى «العرب» الأخوان عبدالله بن صالح الرميحي وصالح بن إبراهيم البريكان يلاحظان على ما نشرته «العرب» -س٣٤ ص٧١٢- حول محمد بن علي بن حدجة من أن محمد الملقب (أبا الحصاني) استقر بعنيزة في حي الجَنَاح فترة بعد مجيئه من نجران ثم انتقل إلى الرس هو وأولاده بعد شراء الرس عام ٩٨٥، فاستدركا على هذا: أن محمد بن علي بن حدجة الملقب أبا الحصاني مولود بعنيزة، كما أن جده حدجة قدم إلى عنيزة وابنه علي وهو كبير في السن، وتزوج علي بن حدجة ورزق بمحمد الملقب أبا الحصاني ومحمد تزوج كذالك في عنيزة من قبيلة سبيع ورزق بأبناء حسب ما ذكرا واشترى الرس عام ٩٧٠هـ وليس كما ورد، وعندما اشترى الرس كان كبير السن، وانتقل بعض أبنائه وأحفاده إلى الرس والمريدسية ولم نجد مصدرًا يوضح أن محمد انتقل إلى مدينة الرس.

وبقي من أحفاد محمد بن علي بن حدجة في عنيزة أكثر من عشر عوائل وهم (آل الرميحي، آل البريكان، الجري، الجفن، المعثم، الصغير (العفيسان) الجاثوم الشريف، العويصي، السالم، الرمخ).

(تطبيع)

الأخطاء المطبعية التي تقع في الكتب والصحف من المستحيل التحرز منها، ولهذا تقع في كثير مما تنشره هذه المجلة من التطبيع ما لا يد للمصحح به، مع حرصه واجتهاده، ولكن من حسن الحظ أنها مما يدركه كل إنسان لديه معرفة، من ذالك تكررت كلمة (مروريات) بدل (مرويات) في مقال الدكتور أحمد بن محمد الضبيب -من ص٧٣٩ و٧٤٠-.

وورد في -ص٨١٥-: وكان لأسرة العتيقي دورًا في تاريخ الكويت، ومعروف أن الصواب: (وكان لأسرة العتيقي دور في تاريخ الكويت).

وأشياء أخرى يضيق المجال عن إيرادها.

* «أعيان العصر وأعوان النصر» للصفدي:

لمدينة (دبي) آثار في الاهتمام والرعاية بالثقافة العربية الإسلامية في هذا العصر، متميزة في جهد سَرِيَّيْنِ كريمين هما الشيخ سلطان العويس الذي رصد جوائز سنوية لجميع المبرزين في أي فرع من فروع الثقافة، منذ أكثر من عشر سنوات وهي مستمرة، والشيخ جمعة الماجد بإنشائه مركزاً لتلك الغاية باسم (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث العربي) تصدى لجمع ما استطاع جمعه من مخطوطات ذالك التراث ومطبوعاته النادرة، وبنشر نوادر من المؤلفات، وبإنشاء مكتبة ضخمة في ذالك، ملحق بها كليتان علميتان، تضمَّان عدداً من الطلاب والطالبات، وتوجيههم في الدراسة العالية خير وجهة، ويتولى الشيخ جمعة الإنفاق على جميع ذالك.

والحديث عن مآثر هذين الرجلين المحسنين أوسع من أن تتسع له صفحات يسيرة، وإنما المناسبة دعت إلى ذكرهما عندما قدم لي أخي أبي إياد عبدالعزيز بن ناصر المانع نسخة مطبوعة من كتاب «أعيان العصر وأعوان النصر» لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي من مطبوعات (مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث العربي).

والصفدي من أجلة العلماء في القرن الثامن الهجري، وله مؤلفات تعد من أوثق المصادر وأشملها، ومنها كتابه «الوافي بالوفيات» الذي قام (المعهد الألماني للدراسات الشرقية) بتحقيقه في ثلاثين مجلداً، مما يُعَدُّ أوسع كتاب يحوي تراجم الأعلام، منذ بدء تدوين التاريخ الإسلامي إلى عصر صلاح الدين الصفدي مؤلفه.

أما كتابه «أعيان العصر» فقد خصصه لتراجم من عاشوا في عصره من الأعلام

من علمـاء وشعراء وأمـراء وسـلاطين وغيرهـم، قال في مقـدمـة هذا الكتـاب[1]:
(وكنت قد أنفقتُ مُـدَّةً من العمر ما وجدت لهـا عوضاً، ولا حسبتها إلاَّ لمعـة برقٍ أومضَ لي وَمَضى، في جمع تـاريخي الكبيـر الـذي سميتـه «الـوافي بالـوفيـات» وسُقْتُ فيـه ذِكْـرَ جُمَل من الأعيـان من زمـن النبي ﷺ وإلى زمـاني، ونَصَبْتُ فيـه نفسي دَرِيْئَةً لمن طعن فيَّ أو رَمَاني، إلاَّ أنه جـاء مُطَوَّلاً، وأصبح وجه مضمونه عن الاقتصار والاختصار مُخَـوَّلاً، فأردتُّ بعد فراغي منه أن أقتصد وأقتصـر، وأختار مما أمتـار واختصّ وأختصر، وأجمـع تاريخـاً لمن أدركـه عصري، وجنـى ثَمَر غُصْنِـهِ هَصْري، وضمتني وإيـاه دائرةُ وجودِي أو نُقْطَةِ مِصْري، أو كـان في زماني ولـم أره، أو نقل الرواة الأثبات خبره).

وقـد ابتـدأه من سنـة ٦٩٦ وهي سنـة مولـده ورتب الأسمـاء فيـه على حـروف «المعجم» وأطـال النفَس في التراجـم بمـا يمكن الرجـوع إليه لـلاستفادة منـه فيما أورد في مؤلفـه الكبير «الوافي بـالوفيات» بـل إنه يصحح كثيراً ممـا وقع في أوهام التحقيق أو الطبع كما أشـرت إلى ذالك في كلمة تحدثت فيهـا عن تحقيق الجزء الـ(٢٩) الذي تولى تحقيقه الأستاذ ماهر جـرار من أساتيذ (الجامعة الأمريكية في بيروت)[2].

وقد كنت نقلت منه ترجمة الحمداني يوسف بن زماج المَهْمَنْدار، من مخطوطة مصـورة في (دار الكتب المصـريـة) فحين قرأتهـا في كتـاب «الـوافي» أحسست بنقص فيهـا، وعـدم انسجـام فلمـا رجعت إلى مـا نقلت أدركت أن في «الـوافي» سقطـاً، ورأيت المحقق الفاضل سَهى عن ورقـة كـاملة سقطت من الأصل الـذي اعتمـد عليه، ففي المطبـوعة من الكتـاب - ص ٢١٩ -: (الحمداني المهمنـدار شيخ مُتَجنِّد) ثم في الصفحة التي تليها:

حتى دهـاني وعَيْنُ الشمس فـاتـرةٌ	وقـد جَذَبْتُ بـذيل الليل مـا انجذبـا

وهذا البيت في (مخطوطة د) هو أول الصفحة الثانية، من الورقة الـ(٩٨) من (مخطوطة د) وقبل ذالك في الصفحة التي قبلها من الورقة الـ(٩٧) بعد (شيخ مجند) الكلام الساقط وموقعه في «أعيان العصر» في صفحتين فأوردت ملخص ترجمته كما ورد في هذا الكتاب[٣].

ولا أستبعد أن يكون في «أعيان العصر» من التراجم ما يكمل أو يصحح ما ورد في «الوافي بالوفيات».

ومن ميزة كتاب «أعيان العصر» أن مؤلفه من تلاميذ العالم الواسع الاطلاع ابن فضل الله العمري، فقد نقل في كتابه «مسالك الأبصار» أخباراً كثيرة عن مشاهير ممن عاصرهم من بلاد العرب لا نجد لهم ذكراً في التراجم التي بين أيدينا، وقد يكونون ممن أفردهم في كتابه «ذهبية العصر» الذي لا نعرف منه سوى جزء واحد من عدة أجزاء مع نص مقدمته كاملة[٤].

وقد كنت رجعت إلى كتاب الصفدي، فرأيت فيه تراجم كثير من أمراء (آل فضل) مفصلة بما لم أجدها في غيرها.

وبالإجمال فإنه يعدُّ من أهم مصادر التاريخ في تراجم الأعيان.

وقد تولى تحقيق الكتاب أربعة من الأساتذة هم الدكتور علي أبو زيد والدكتور نبيل أبو عمشة والدكتور محمد موعد، والدكتور محمود سالم محمد، وكلهم في (قسم اللغة العربية في جامعة دمشق) وقدم له الأستاذ مازن عبدالقادر المبارك بمقدمة تحدث فيها عن الصفدي ومنهجه وعن كتابه هذا، وأشار إلى أن في «أعيان العصر» تراجم لا ذكر لها في «الوافي»، وأثنى الأستاذ مازن على ما لهاؤلاء المحققين من جهود في مجال عملهم، كما أشاد بفضل (مركز جمعة الماجد للثقافة) وأثره في إخراج هذا الكتاب.

وفي مقدمة التحقيق وصف للأصول الخطية التي جرى عليها الطبع، وترجمة

للصفدي مع ذكر مؤلفاته.

ولا تفوت الإشارة إلى أن اسم الكتاب ورد في كثير من المصادر «أعوان النصر في أعيان العصر» خلاف ما اختار المحققون اسماً له، وأرى أن الاسم الأول أكثر ملاءمة، وأنه استعان بمن رجع إليهم من مشايخه وغيرهم في تأليف الكتاب.

وقد تولت (دار الفكر المعاصر في دمشق وبيروت) نشره، فصدر في ستة أجزاء فيما بين سنتي ١٩٩٦م و١٩٩٨م، والمجلد السادس يضم الفهارس العامة، وقد رقمت أسماء التراجم في الكتاب فبلغت ألفين وسبعة عشرة ترجمة، في طباعة حسنة، مع الإحالة في الهوامش إلى مصادر الترجمة، وتصحيح إيراد بعض الكلمات المغايرة للنص.

الحواشي:

(١) المقدمة - ص ٣٧/ ٣٨ -.

(٢) مجلة «العرب» - س ٣٣ ص ٨٤٦ - وما بعدها.

(٣) مجلة «العرب» س ٣٤ ص ١٤٢ -.

(٤) مجلة (جامعة الملك سعود) الآداب - المجلد الحادي عشر ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) من ص ١٩١ إلى ص ٤٥١ -.

تنبيه واعتذار

نظرًا لما تمر به المجلة من ضعف في مواردها وانخفاض نسبة الاشتراكات فيها وحرصًا من القائمين عليها على استمرارها وصدورها في المواعيد المحددة لها فقد رأت إدارة المجلة اعتبارًا من سنتها الخامسة والثلاثين انقاص صفحاتها، ويُعَد هذا أنسب الحلول بدلاً من توقفها أو الاقتصار على أن تكون نصف سنوية فمعذرة.

ج ١٢ - ج ١١

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج ٣، ٤، س ٣٥ - رمضان، شوال سنة ١٤٢٠ هـ)

(كانون٢، شباط، (يناير، فبراير) سنة ٢٠٠٠م)

تصدر عن: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها - حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف ولاقط ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٣، ٤ س ٣٥ - رمضان، شوال سنة ١٤٢٠هـ - كانون٢، شباط (يناير، فبراير) سنة ٢٠٠٠

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٩)

عير: (عَنْز)

قال البكري في «معجم ما استعجم»: (عَيْرُ - بفتح أوله، وبالرَّاء المهملة، على لفظ عَيْر القَدَم: جَبَلٌ بنَاحيَة الْمَدِينَة، قَالَه الزُّبَيْر، ويَدُلُّكَ أنه تلقاءَ غُرَّب قَولُ الراعي:

بِـأَعْـلام مَـرْكُـوْز فَعَيْـر فَغُـرَّب مَغَـان لأُمِّ الوَبْـر إذْ هيَ مَاهيَـا) انتهى

لاشكَّ بوجـود جَبَل عَيْر مجاورًا للمدينة، ولاَ يَزَالُ معروفًا، ولكن خَطَأ البكري -رحمه الله- قوله: ويَدُلُّكَ أنه تلْقاءَ غُرَّب، ثم استدلاله بقول الراعي، إذ صواب بيت الراعي كما في «المحكم» و«اللسان» و«تاج العروس» و«معجم البلدان» (عَنْز) كما أشار إلى ذالك الدكتور راينهرت فايبرت، محقق «ديوان الراعي النميري»، ويبدُو أنه عَوَّل على ما في «معجم ما استعجم» وهو لكثرة التصحيف فيه لا يصحُّ التعويل عليه.

وعَنْزُ هـذا الموضع القريب من غُرَّب، والاثنان لا يزالان معروفين في عالية نجد غَرْبَ مَنْطَقَة السِّرِّ.

فَعَنْزُ قُفٌّ يَقَعُ غَرْب صَفْرَاء السِّرِّ أسفلَ وادي الـرِّشَاء شَرْقَهُ وقد أُنْبطَتْ مياهٌ في الجانب الشرقيِّ من هـذا القُفِّ في أرض مستوية طَيِّبَة التُّرْبَة، وأقيمت فيها زراعةٌ لأُنَاس من الرُّوقَة من قبيلة عُتَيْبَة، تُنْقَلُ بعضُ حاصلاتها من الخضروات إلى مدينة الرياض.

أما غُـرَّب فجبيلاتٌ سودٌ غيـر مرتفعة، تقع شرقَ هجـرة عَرجَة، في منطقـة تُعرف قـديمًا بـاسم الشُّـرَيْف، وغُـرَّبُ من أعـلام المنطقة، يَقع غُـرَّبَ (بقرب خط الطـول: ٢٥/ ٤٤ْ وخط العرض: ٥٠/ ٢٤ْ) بينمـا تقع عَنْز (بقـرب خط الطول: ١٠/ ٤٤ْ وخط العرض: ٥٠/ ٢٤ْ) على وجه التقريب والموضعان في أعلى مَنْطَقَة السِّر.

عَيْن النَّهْد: (عَيْن المُهْد)

أبو عبيد البكري - رحمه الله - فيما يبدو من كتابه قد اطلع على كتاب «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار، ونقل منه نصوصاً أو نقلت له تلك النصوص، ولكنها وردت في كتابـه محرفـة كما سبق إيضـاح جانب من ذالك الكـلام على (الضفر : صفر) وهـاهو أنمـوذج آخر من ذالك التصحيف، نبـه إليه الأستـاذ الجليل الشيخ محمـود محمد شـاكـر في حـواشيـه على الجزء الأول من كتـاب «جمهـرة نسب قريش»(١) قال البكري في حرف النون مع الهاء: (عين المَهْد - بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده دال مهملة مذكورة في رسم الفُرْع فانظره هناك).

وقال في رسم (الفُرْع): (وروى الزبير عن رجاله أن أسماء بنت أبي بكر قالت لابنها عبدالله: يابني أَعْمـرَ الْفُرْعُ. قال: نعم ياأُمَّهْ، قد عمرتـه، واتخذت به أموالاً. قالت: والله لكأني أنظر إليه حين فررنا من مكة مهاجرين وفيه نخلات، وأَسمع به نـاح كلـب. فعمل عبدالله بن الـزبير بـالفُرْع عينَ الفـارعة والسنام، وعمـل عروة أخوه عَيْنَ النَّهْـد، وعين عسكر، واعتمل حمزة بن عبدالله عين الـرُّبْض والنجفة، قال الزبير: سألت سليمان بن عيـاش لـم سميت عين الرُّبْض فقال: منابت الأراك في الرمل تـدعى الأرباض، وسميت النجفة، لأنهـا في نَجَف الحرة، قال الـزبير، قال منذر بن مصعب بن الزبير لأخيه خـالد بن مصعب، وعاوض بعض أصحابه بمال له على عين النَّهْد إلى مال لأخيه بالْجُوَّانيَّة:

خَليليْ أبـا عُثْمَـان مـا كُنْت تَـاجـرًا ... أتـأْخُـذُ أنضـاحًـا بنَهْـر مُفَجَّـر؟
أَتَجْعَل أَنْضَـاحًـا قَلِيْـلاً فُضُـولُهـا ... إلَى النَّهْد يومًا أو إلى عَيْن عَسْكَر) انتهى

هذا النص الـذي أورده البكري ورد في كتاب الزبيـر بما نصه: (حدثنـا الزبير قال: وحدثني علي بن صالح عن عامر بن صالح، عن هشام بن عروة، عن عروة: أن أسماء بنت أبي بكـر قالت لعبدالله: أي بُنَيَّ أَعُمـرَ الْفُرْعُ، قال: نعم ياأُمَّتَـاهُ لقد عُمِرَ، واتخـذت به أموالاً، قالت: والله لكأني أنظـرَ إليه حين مررنا مهـاجرين من مكَة، وكأني أرى فيه نخلات واسمع نباح كلب.

حدثنـا الزبيـر قال: وحدثنـي عمي مصعب بن عبدالله قال: اعتمـل عبدالله بن الزبير بالفـرع عين الفارعة والسنام، واعتمل عروة بن الزبيـر عين المُهْد وعسكر، واعتمل حمزة بن عبدالله عين الربض والنجفة.

قال: وكان حمـزة بن عبدالله يقول: ما جاءنـي سائل قط يكرم عليَّ، إلاَّ ظننت أنه يسألني الربض والنجفة).

وقال أيضـاً في كلامـه على خالـد بن مصعب بن مصعب: (وهو الـذي يقول لأخيـه منذر بن مصعب، وعـارض بعض أصحابـه بمـال له على عين المهـد من الفرع، إلى مال لأخيه بالجوانية، فقال خالد:

خليليْ أبـا عثمـانَ مـا كنتَ تـاجـراً ... أتَـأْخُـذُ أنْضَـاحَـا بنَهْـر مُفَجَّـرِ؟
أتجعَلُ أنضـاحًا قليـلاً فُضُـولُهَـا ... إلى الْمُهْـد يومًا أو إلى عَيْـنِ عَسْكَرِ؟
وتأتـي بعَصْف حين تَحْملُ نَخْلُهَـا ... فَغَيٌّ لَيْسَ يُـرْجَى لِلْعُلُـوفَـة أغبَـرِ)

والمهـد في كتـاب الـزبيـر: بضم الميـم - ومعنـاه في كتب اللغـة النَّشَـزُ من الأرض، أو ما انخفـض منها من سهـولة واستواء، فلعل العيـن مضافة إلـى صفة الأرض التي ينبع منها ماؤها.

أمَّا الفـرع الذي كانت العيون المـذكورة فيه فقـد تغير عما كان عليـه، فنضبت مياه عيـونه، وجُهلَتْ مـواقع أكثرهـا منذ عهـد قديم، وكـان الفُرْع هـذا من أشهر ولايـات المدينة، سعةً وكثرةَ خيرات، وقد تحدثت عنه في مواضع منها ما جاء في تعليقي على كتاب نصر حيث قال: (أما بضم الفاء وسكون الراء: أرض بين مكة والربَذة، عن يسار السُّقيا، بينها وبين المدينة ثمانية برد، وقيل أربع ليال قرية بها منبر ونخل ومياه).

فقلت: (ونقل الحازمي تعريف نصر مضيفًا عن الفرع: وهي غنَّاءُ كبيرة، وهي لقريش والأنصار ومزينة، وعند ياقوت: قرية من نواحي المدينة، بينهما ثمانية برد على طريق مكة، وبين الفرع والمريسيع ساعة من نهار، وهي كالكورة، فيها عدة قرى ومنابر ومساجد لرسول الله ﷺ قال ابن الفقيه: أَضْخَمُ أعراض المدينة الفُرْع به منزل الوالي. انتهى، والفرع منطقة واسعة تشمل جهات كثيرة حول المدينة، ففي «معجم ما استعجم»: صاحب الفرع يجبي اثني عشر منبراً، ثم عدَّها، وتجد تفصيلاً لمنطقة الفرع في مجلة «العرب» - س ٢٧ ص ٦٨٣ - (وتقع هذه المنطقة بين خطَّي الطول: ٠٥/ ٣٩ْ و٤٥/ ٣٩ْ وخطي العرض: ٠٥/ ٢٣ْ و٤٥/ ٢٣ْ) ولا يزال الفرع معروفاً. إلاَّ أن أكثر مياهه نضبت وجهلت أسماء عيونه، وتَغَيَّر كثيراً عما كان عليه.

ذُوْ الغَضَوَيْن: (ذو العَصَوَيْن)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (ذُوْ الغَضَوَيْن: بفتح الغين والضَّاد، بلفظ تَثْنِيَة الغَضَا، جاء ذكره في حديث الهِجْرَة، قال ابنُ إسحاق: ثم تبطَّنَ بهما - يعني الدَليل - مَرْجَحَ من ذي الغَضَوَيْن، بالغَين والضاد المعجمتين، ويقال: من ذي العَصَوَيْن، بالعين والصاد المهملتين، عن ابن هشام) انتهى.

والصواب قول ابن هشام، كما أوضحت هذا في مجلة «العرب» - س ١ ص ٥٩١ - فقلت في خبر هجرة الرسول ﷺ ونصه عن «السيرة النبوية» لابن هشام: (ثم تبطن بهما مرجح من ذي الغَضَوَيْن، قال ابن هشام: ويقال (العَصَوَيْن) وأقول: المعروف الآن عند أهل هذه الجهة (العَصَوَيْن) بالعين والصاد المهملتين، تثنية عَصَا، وهما تلعتان كبيرتان، كل واحدة منهما تسمى (العَصَا) تلتقيان، ثم تصبان في وادي (مَجَاح) بقرب اجتماعه بوادي النخل، وأرى أن الغَضَوَيْن أو العَضَوَيْن تصحيف. انتهى.

ويقع مصبهما في وادي مَجَاح (بقرب خط الطول: ٢٩/ ٥٩ْ وخط العرض: ٢٨/ ٢٣ْ).

وكتب اسم (مجاح) في المصور الجغرافي (نجاح) خطأ، فهو بالميم في النصوص القديمة، وكذا سمعته ممن اجتمعت به من سكان هذه الجهة.

الغَوَارَةُ: (الفَوَّارَةُ)

قال ياقوت في حـرف الغين من «معجم البلدان»: (الغَوَارَةُ: بالفتح ثم التخفيف، وبعد الأَلِف راء مهملة: قريةٌ بها نَخْلٌ وعُيُوْنٌ إِلَى جَنْب الظَّهْرَان) انتهى.

صواب هـذا الاسم بالفـاء وبعدها واو مشـددة مفتوحـة وراء مهملة، وهي التي ذكرهـا ياقـوت في حرف الفـاء قائلاً: (الفَـوَّارَةُ: قال الأصمعيُّ: بين أَكَمَـةِ الخَيْمَة وبين الشمال جبلٌ يقـال له الظَّهْرَانُ، وقريـةٌ يقال لها الفَوَّارة بِجَنْب الظَّهْـرَانِ، بها نخيل كثيرة، وعيون للسلطان، وبحذائها ماء يقال له المُقَنَّعَة) انتهى.

وأصل الكلام في كتـاب «بلاد العرب» - ص ٧٠ - قال: (وببطن السُّرَّمَةِ حِذَاءَ أَكَمَة الخَيْمَة مَاءٌ يُقَال لـه الْجَفْرُ جَفْرُ الشَّحْمِ لِبَنِي عَبْسٍ، وبين أَكَمَةِ الخَيْمَةِ وبين الشمالِيِّ جَبَل يُقَال له الظَّهْرَانُ. وقريـةٌ يقال لها الفَوَّارَةُ، بِجَنْب الظَّهْـرَانِ، بها نَخِيْل كَثِيْرَة وعُيُوْن للسُّلْطَان. وَحِذَاؤُهَا مَـاءَة يُقَال لَهَا الْمُقَنَّعَة لبني حَشْرٍ مِنْ عَبْس، وفيما بين الفَوَّارَة والمَغْرِبِ: جَبَلٌ يُقَال له قَطَنٌ). انتهى.

وورد ذكـرها في كتـاب «المناسـك» حيث ورد في وصف الطريق: (ثم يسيـرون إلى الفَـوَّارَة فيصبحون بهـا، وبهـا عُيُـونٌ ونَخْل كَثِيْرٌ كـانت لِعِيْسى بن جَعْفَـر، ثم يخرجون فإذا جاوزوها بستة أميال عرض لهم قَطَنٌ عن أيمانهم) إلى آخر ما ذكر.

وما تَقَـدَّم يدل على عُمْـران بلدة الفَوَّارَة الـتـي لا تزال مَعْرُوْفَـةً منذ عهـد قديم، وعيسى الذي ذَكَر هو: عِيْسَى بن سُلَيْمَان بن عَلِي بن عبدالله بن عَبَّاس من مَشَاهِيْر الدولة العباسيـة، وكان رجلاً عُمْرَانِيًّا، ينسب إليه عُمْرَان مَـوَاضِع، وفيها آثار عيون، وكان الشيخ عبـدالله بن سليمان بن بُلَيْهِـدٍ رَغِب إجراء واحـدة منها، وغـرس نخلاً سنة ١٣٤٣هـ، ثم أُهملت العين بعد وفاتـه، وسكَّانُ الفَوَّارَة في العهد الحاضر من بني سالم من حرب، اتخذها شيخهم حِجَـابُ بن نَحِيْتٍ هجرةً له سنة ١٣٤٤هـ وأصبحت الآن بلدة تضمُّ مختَلَف الدوائر الحكـومية، وتقع في منطقة القصيم في الشمال الغربي من مـدينة بُرَيْدة على نحو مئة وخمسين كيـلاً (بقرب خطِّ الطول: ٣٨/ ٤٢ْ وخطِّ العرض: ٠٣/ ٢٦ْ).

غَيَايَةُ: (غِيَانَةُ)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (غَيَايَة: بفتح أوله وتخفيف ثانيه، وبعد الألف يَاءٌ أُخْرَى مفتوحة خَفِيْفَة، والغَيَايَةُ: كلُّ شيء أَظَلّكَ فوقَ رأْسِكْ مثلُ السَّحَابَةِ والغُبْرَةِ والظِّلِّ والطَّيْر، وغَيَايَةُ: كَثِيْب قُرْب اليَمَامَة في دِيَار قَيْس بن ثَعْلَبَة) انتهى.

لا أستبعد أن يكون اسم الموضع الذي في اليمامة (غِيَانَة) بالغين المعجمة المكسورة بعدها مثناة تحتية فألف فنون فهاء السكتة، والاسم يطلق على موضعين في اليَمَامَة أحدُهُما فرع من وَادِي وَتَر، الذي بِقُرْبِ بلدة (سَدُوْس)، وفي هذا الوادي آبار وكان مأهولاً وهناك موضع آخر بهذا الاسم هو شِعْبٌ من شعاب مُجَزِّل في مِنطقة هِجْرَةِ (الأَرْطَاوِيَّة) على أن هذين الموضعين وإن كانا في اليمامة فهما بعيدان عن منازل بني قيس بن ثعلبة التي في (منفوحة) وما حولها، وقد ذكر الأعشى (كثيب الغَيْنَة) في شعره وهو من بني قيس بن ثعلبة فقال:

قالوا نُمَارٌ فبَطْنُ الخَالِ جادَهُمَا ... فَالْعَسْجَدِيَّةُ فالأَبْلاَءُ فالرِّجَلُ

وفي «معجم البلدان»: (الغِيْنَة، بالكسر: الأرض الشَّجْراءُ، عن أبي عبيدة، وَغِيْنَة: موضع باليمامة، قال الأعشى:

حتَّى تَحَمَّلَ منه الماءُ تَكْلِفَةً ... روضُ القَطَا فَكَثِيْبُ الغِيْنَةِ السَّهِلُ)

وقبل هذا قال: (الغِيْلَة - بكسر أوله وسكون ثانيه: مثل قولهم: قتل فلان غِيْلَة أي في اغتيال وخُفْيَة: اسم موضع في شعر الأَعْشَى) انتهى.

ومع ما تَقَدَّم فالاسمان (غَيَايَة) و(الغِيْنَة) لا يزالان مجهولي التحديد، وإن كَانَا في اليَمَامَة، وان اخْتُلِفَ في صحتهما.

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) أعيد نشر هذا الكتاب مكملاً بما بقي مما عثر عليه من أصله.

إسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(٥)

مجالات التحقيق (الكتب الدينية):

احتلت الكتب الدينية، وخاصة في مجال العقيدة والتشريع، الأسبقية في النشر والأكثرية في العدد، وذلك لارتباطها بالدعوة والإرشاد، وشؤون الدراسة والقضاء، فتبيين أصول العقيدة الصحيحة للناس، وتدريسها في حلقات المشايخ ومعاهد التعليم، إلى جانب حاجة العلماء إليها في مجالات القضاء والدرس، جعل الاهتمام ينصرف أول الأمر إلى توفير هذه الكتب.

وقد استغرقت حركة الإحياء مؤلفات علماء بأعيانهم مست إليها الحاجة في الحلقات العلمية التي أشرنا إليها سابقاً. ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية، الذي طبعت معظم مؤلفاته إن لم تكن كلها، وتلميذه ابن قيم الجوزية. ومؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدعوة السلفية. وهؤلاء العلماء لم يقتصر نشر مؤلفاتهم على الدولة ومؤسساتها، وإنما اندفع إلى طباعتها الناشرون وأصحاب المكتبات التجارية، داخل المملكة وخارجها. وأحياناً يشترك فيها ناشران أحدهما محلي والآخر من خارج البلاد لإمداد الدارسين بما يحتاجون إليه.

لقد قادت الدولة نشر هذه الكتب في مؤسسات مختلفة منها الديوان الملكي ورئاسة القضاء التي أنشئت سنة ١٣٤٧هـ والرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد. ثم شاركت المؤسسات التعليمية الكبرى كوزارة المعارف والجامعات. إلى جانب النشر التجاري من خلال دور النشر والمكتبات، والنشر الخيري المتمثل في اتجاه ملوك البلاد وإمرائها وتجارها من الموسرين إلى الإسهام في طبع كتب العقيدة والتشريع، وتوزيعها على طلبة العلم ابتغاء وجه الله. ويمثل ذلك استمراراً للإسهام الذي بدأ مع بداية القرن الرابع عشر الهجري، وشمل عهد

الملك عبدالعزيز عند فجر تأسيس الكيان السعودي الكبير.

لقد شملت حركة الإحياء إلى جانب كتب العقيدة والتشريع، كتب علوم القرآن، وكتب الحديث وكتب التاريخ والجغرافية، وكتب اللغة والأدب، وتعددت منافذ نشرها وطباعتها. وليس من السهل استقصاء جميع ذلك أو الإشارة إليه في هذه العجالة، ولذلك فإن هذا البحث سوف يجعل محوره نشر الكتب الدينية المختلفة في مجالات العقيدة والتشريع وعلوم القرآن وكتب الحديث النبوي وحسب. وسوف نخص كتب الحديث بمعالجة خاصة.

أ- **كتب العقيدة**: سبق أن ذكرنا أن كتب العقيدة كانت من الكتب التي بدأ الملك عبدالعزيز رحمه الله نشرها قبل بلوغه مكة. وحين بلغ مكة سنة ١٣٤٣هـ كان أول كتاب طبع في مطبعة أم القرى هو كتاب «مجموعة التوحيد النجدية» التي طبعها في شوال سنة ١٣٤٣هـ أي بعد دخول الملك مكة بأقل من ستة أشهر، وقد طبعت على ورق رديء لاحظه كاتب مقدمتها يوسف ياسين فاعتذر عنه بقوله: (ولعلنا إن شاء الله نجد من الوسائط ما يجعلنا نقدم للقراء في الطبعة التي تلي هذه نسخة صحيحة جيدة الطبع، حسنة الورق، لأنه لم يتيسر لنا ونحن في أم القرى، والأيام أيام حرب وكفاح أجود من هذا الورق ولا أحسن)(١).

وقد احتوت هذه المجموعة على رسائل للشيخ محمد بن عبدالوهاب وبعض كتبه ككتاب «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» و«مسائل الجاهلية» ورسائل لأبي العباس أحمد بن تيمية الحراني، وبعض رسائل لحفيدي الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والشيخ عبدالرحمن بن حسن، والشيخ سليمان بن عبدالله بن عبدالوهاب. ورسائل لبعض علماء نجد الآخرين كالشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، والشيخ حمد بن عتيق. وتمتاز هذه الطبعة عن الطبعة الهندية التي سبقتها بوجود رسالة ليس لها وجود في الطبعة السابقة، وهي رسالة لأحمد الأقحصاري الرومي في «زيارة القبور والنهي عن الصلاة عندها».

ولم يطل الزمن حتى طبعت المجموعة طبعة أحسن في مطبعة المنار سنة ١٣٤٦هـ بمصر، على نفقة الملك عبدالعزيز بإشراف السيد محمد رشيد رضا. وتوالت طبعاتها بعد ذلك.

لم تكن «مجموعة التوحيد النجدية» المجموعة الوحيدة التي أنتجتها حركة الأحياء، بل إن الاتجاه إلى المجموعات في بداية عصر نشر التراث العقدي والشرعي كان هو السائد. ويعد ذلك امتداداً لثقافة المتون التي كانت تدرَّس في حلقات العلم بالمساجد وغيرها، والتي يحسن بالطالب أن يلم بها أو يحفظها قبل أن يلج أبواب العلم الواسعة في جميع التخصصات. ولذلك وجدنا أن المجموعات المدرسية من هذه الكتب تكثر طبعاتها وتتنوع في موضوعاتها.

غير أن من هذه المجموعات ما يحوي تراث علماء الدعوة السلفية، وهذه في الغالب موجهة إلى العلماء وطلاب العلم. مثل مجموعة «الرسائل والمسائل النجدية»، التي تضم عدداً كبيراً من الرسائل والفتاوي والأجوبة والنبذ المتعلقة بالعقيدة والفقه، للشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأبنائه وأحفاده وأبيه عبدالوهاب وجده سليمان، ورسائل وفتاوى لعلماء آخرين، كالمشايخ حمد بن ناصر بن معمر، وعبدالله بن عبدالرحمن أبي بطين، وسعيد بن حجي، ومحمد بن عبدالله بن إسماعيل، وعبدالعزيز بن عبدالجبار، وحمد بن عتيق وغيرهم وقد صدرت في أربعة مجلدات، عن مطبعة المنار فيما بين الأعوام ١٣٤٤- ١٣٤٩هـ.

ومن المجموعات المهمة التي أنتجتها حركة الإحياء مجموعة «الدرر السنية في الأجوبة النجدية»، وهي تضم رسائل ومسائل لعلماء نجد من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الوقت الذي جمعت فيه، جمعها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، وطبعت لأول مرة في مطبعة أم القرى بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ وجاءت في ١١ جزءاً.

وإذا كانت مجموعة «الدرر السنية» من أضخم المجموعات التي نشرت في

المملكة فإن «مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية» تعد أضخمها جميعاً. وهي من الأعمال الجليلة التي تصدى لها الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم فأنجزها في ٣٥ مجلداً. بدىء في طبعها سنة ١٣٨٠هـ وانتهى الطبع سنة ١٣٨٦هـ من مطابع الرياض، وقدرت تكاليف الطبع بأكثر من مليون ريال سعودي، ثم أتبعت بفهارس عامة من مجلدين بعنوان «الفهارس العامة والتقريب لمجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» وطبعت في الرياض، بمطبعة الحكومة سنة ١٣٨٨هـ/ ١٣٨٩هـ.

لقد جمع الشيخ ابن قاسم هذه الفتاوي من مناطق المملكة، ثم من بلدان مختلفة شملت مصر وسورية، والعراق، وفرنسا. واستغرق زمن الجمع ما يقارب الأربعين عاماً. ومعنى ذلك أن فكرة الجمع قد بدأت منذ عهد الملك المؤسس، ولا يفوتنا أن نشير إلى ما سبق أن أوردناه من رغبة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٤٨هـ في طباعة تفسير ابن تيمية وكتبه والبحث عنها في مكتبات العالم العربي وأوروبا، وإرسال (شخص من أهل العلم والمعرفة إلى أوروبا يبحث عمّا يهم) واستعداده أن يزوده بما يلزمه من توصيات، ورغبته في إحضار مصورات لتلك المخطوطات في تلك الفترة المبكرة. وقد اطلع الشيخ ابن قاسم وابنه محمد على مخطوطات الفتاوي في مكتبات البلدان التي زاراها وبذلك تكون هذه المجموعة أوثق ما طبع من فتاوي ابن تيمية لما توافر لها من المراجعة على نسخ مختلفة.

وقد سبقت هذه النشرة من فتاوي ابن تيمية، مجموعة رسائل له طبعت في مطبعة المنار بين سنتي ١٣٤٦ - ١٣٤٩هـ في ثلاثة أقسام على نفقة الملك عبدالعزيز.

وإذا تركنا حديث المجموعات، وهي كثيرة، إلى الكتب المفردة نجد أن تراث شيخ الإسلام ابن تيمية سواء في العقيدة أو الفقه قد استغرقته حركة الإحياء فمما طبع له في وقت مبكر من تاريخ نشر التراث كتاب «تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري»، وقد طبعته المطبعة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦هـ،

وكتـاب «عرش الـرحمن وما ورد فيـه من الآيات والأحـاديث»، طبع بمطبعة المنـار بالقـاهرة سنة ١٣٤٩هــ وكلاهما على نفقـة الملك عبدالعـزيز. و«الفتوى الحمـوية الكبـرى» بتصحيح محمـد عبـدالـرزاق حمـزة، طبعت في المطبعـة السلفيـة بمكـة المكرمة سنة ١٣٥١هـ و«موافقـة صحيح المنقول لصريح المعقول»، بتحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ومحمد حامد الفقي في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة سنة ١٩٥١م. وغيـر ذلك من كتب طبع بعضهـا عدة مـرات لارتباطهـا بمنـاهج الدراسـة كـ«العقيدة الواسطية» و«الرسالة التدمـرية». وقد حظيت كثير منها بشروح وتعليقات من علماء البلاد(٢).

ومن الكتب التي نشـرت مبكـراً في العقيـدة كتـاب الحافظ ابـن خزيمـة كتـاب «التـوحيد واثبـات صفات الـرب عز وجل»، وقـد صححه وعلّق عليـه محمد منيـر الدمشقي مع تـرجمة لابن خـزيمة، طبع في القـاهرة في إدارة الطباعـة المنيريـة سنة ١٣٥٣هـ على نفقة الملك عبدالعزيز. ومنها كتاب الحافظ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب «التخويف من النار والتعريف بحال دار البـوار» وقد صححه عبدالرحمن بن قاسم، وطبع في مكة المكرمة بمطبعة أم القرى سنة ١٣٥٧هـ. على خمسة أصول.

ومما طبـع للحافظ ابن رجب مبكـراً كتاب «نـور الاقتباس في مشكـاة وصية النبي ﷺ لابن عبـاس» على نفقة محمـد مـاجد كـردي، بمكة المكـرمة، مطبعـة الترقي المـاجدية سنة ١٣٤٧هـ. وكـذلك «شرح الطحاوية فـي العقيدة السلفية» وقد صححها لجنة لا تقل عن عشرة أشخاص من المشايخ والعلماء تحت رئاسة الشيخ عبـدالله بن حسن آل الشيخ، وطبعت في مكة المكـرمة بـالمطبعة السلفيـة سنة ١٣٤٩هـ.

ونشرت جملة صـالحة من كتب تلميذ شيخ الإسلام ابـن تيمية الإمام شمس الدين محمد أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ومن أوائل ما طبع منها:

١ - «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية». وقد عني بتصحيحه ومراجعة أصوله ونشره الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ وإبراهيم الشورى، وطبع في إدارة الطباعة المنيرية في القاهرة سنة ١٣٥١هـ.

٢ - «الرسالة التبوكية» بمراجعة عبدالظاهر بن محمد أبي السمح إمام وخطيب الحرم المكي الشريف وطبعت في مكة في المطبعة السلفية سنة ١٣٤٧هـ.

٣ - «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، طبع في القاهرة في مطبعة أمين عبدالرحمن سنة ١٣٤٦هـ على نفقة عبد الظاهر بن محمد أبي السمح ومحمد صالح نصيف.

٤ - «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، تحقيق وتعليق محمد حامد الفقي طبع في القاهرة، مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٧٥هـ على نفقة محمد سرور الصبان.

هذا إلى جانب مؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٣]، التي طبعت مراراً وكتب أولاده وأحفاده، وعلماء الدعوة السلفية الذين يضيق المجال عن تعداد أعمالهم.

(للحديث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

١ - «مجموعة التوحيد»، مكة المكرمة، مط. أم القرى، سنة ١٣٤٣هـ ص.ب.

٢ - شرحت «العقيدة الواسطية» من قبل عدد من العلماء منهم: عبدالعزيز بن ناصر الرشيد: «التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية» فرغ من تعليقه سنة ١٣٧٧هـ وصدر في القاهرة، مطبعة الإمام، بلا تاريخ. عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي: «التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث اللطيفة». نشرها عبدالرحمن بن رويشد، وسليمان بن حماد، ولم يذكر مكان الطبع ولا تاريخه ولا المطبعة. عبدالعزيز ابن محمد السلمان: «الكواشف الجلية على معاني الواسطية». محمد خليل هراس وعبدالرزاق عفيفي، «شرح العقيدة الواسطية»، سنة ١٣٨٦هـ طبع مؤسسة مكة للطباعة والاعلام، سنة ١٣٩٦هـ.

٣ - انظر تفصيل ذلك في كتاب «آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب» سجل ببليوجرافي لما نشر من مؤلفاته للدكتور أحمد بن محمد الضبيب، ط٢، الرياض، دار المريخ سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

هوامش على «رحلة ابن بطوطة»

(١)

عن (أكاديمية المملكة المغربية في الرباط) صدرت النشرة الجديدة لرحلة ابن بطوطة محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي، قدّم لها وحققها ووضع خرائطها وفهرسها عضو الأكاديمية الدكتور عبدالهادي التّازي، ووقعت في خمسة أجزاء خُصِّص الخامس منها للفهارس التي بلغت أربعة وثلاثين فهرسًا، وهي فهارس قلّ نظيرها، صدرت هذه المجلدات سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) عن مطبعة المعارف الجديدة في الرباط.

لقد وقف المحقق على ثلاثين مخطوطة من مخطوطات الرحلة ذكرها تفصيلاً مع نماذج منها، وقد مكّنَتْهُ هذه المخطوطات من ضبط كثير من الأعلام الجغرافية، متجاوزًا في هوامشه ما اصطلح عليه ياقوت في «معجم بلدانه» من فراسخ ومراحل، فعبّر عن المسافات بـ(الأكيال) واستعان بخطوط الطول والعرض وزوّد الرحلة بخرائط في غاية الأهمية وبصُوَر لا تقل أهمية عنها.

وقد بذل المحقق جهدًا ضخمًا في التعريف بأَعلامِ الرحلة من علماء وملوك وزعماء وقادة ومتصوفة ومُحَدِّثين وشعراء وأدباء، فأغنت هوامشُه هذه الرحلةَ أيّما إغناء.

وقال: إنه وجد نفسه في حيرة حول أية مخطوطة يعتمدها لوضع أرقام تكميلية توثيقية لوضعها على يمين الصفحات، لأنه اعتمد عددًا من المخطوطات، فاختار أن يوزع الرحلة على أربع مجلدات، وأن يكون الرقم الأساسي هو الذي تحمله المجلدات المطبوعة في باريس عام ١٨٥٨ (بتحقيق ديفريميري ودسانكينيتي) لأنها المرجع الأصلي الوحيد لكل الذين درسوا الرحلة دراسة علمية بمختلف اللغات.

ومعنى هذا الكلام أنه لم يتخذ مخطوطة من المخطوطات الثلاثين (أُمًّا) ويعارضها بالنسخ المخطوطة الأُخَر، ولا سلك طريقة النص المختار في

التحقيق، وإنّما سلك طريقة حسنة تتلخص في إثبات نص الطبعة الباريسية، وتصحيح ما فيه من أخطاء وأوهام في الأعلام الجغرافية والأسماء، وتوضيح ما فيه من مبهماتٍ، وتزويده بهوامش بالغة الأهمية، وغير ذلك، وهي أمور جعلت النشرة الجديدة نشرة علمية ذات فوائد كثيرة تتفوق على النشرة الباريسية في ميادين عدة.

لقد زان التَّازيُّ نَشْرَتَهُ هذه بمقدمة نفيسة تصدرت الجزء الأول من الرحلة استغرقت الصحائف ٩- ١٤٦ منه، تحدث فيها عن حوافز التفكير في هذه النشرة الجديدة للرحلة. ووصف بدقة المخطوطات الثلاثين للرحلة، ثم تحدث عن الأربعة الذين كانوا وراء إنجاز الرحلة وهم: السلطان أبو عنان المريني (ت ٧٥٩هـ)، وابن وُدْرار وزير السلطان الذي أنصف ابن بطوطة وأرجع ابن خلدون إلى صوابه فيما يتعلق بمصداقية الرحلة.

وابن جُزَيّ محمد بن محمد بن أحمد الغرناطي الذي تولى تقييد الرحلة لجمال خطه وبأمر سلطاني. وابن بَطُّوطة صاحبها، ثم عَرَض لرحلة ابن بطوطة في الدراسات الاستشراقية، فذكر انها تُرجمت كُلًّا أو بعضًا إلى عدد من اللغات غير الفرنسية والإنكليزية، ومنها الألمانية والتشيكية والإيطالية والأسبانية والتركية والفارسية والسويدية والهندية والأرمنية واليابانية، وذكر أسماء مترجميها وبعض ما وقعوا فيه من هفوات الترجمة.

ثم عَرَضَ لاهتمام الكُتّاب العرب بالرحلة. اتبعها بفصل عن الدراسات النقدية التي تناولت الرحلة غربًا وشرقًا، وهي نقدات لها أهميتها العلمية والتاريخية.

وقد انتهى التازيُّ إلى القول في هذا الصدد: إن التقييدات التي جمعها ابن بطوطة في قرابة ثلاثين سنة، قام ابن جُزَي بتلخيصها في أقل من ثلاثة شهور، وهي مدة غير كافية لاستيعاب تفاصيل الرحلة التي مرت بذاكرة الرحالة عبر تلك السنين.

وأضاف سببًا آخر هو فقدان ابن بطوطة لأوراقه عند تعرضه لسَطْو قام به القراصنة حدّد زمانه ومكانه، فقد بقيت ذاكرة ابن بطوطة مرجعه الوحيد بعد عودته وعند تقييد الرحلة، فاختلطت عنده بعض الأحداث. ثم مشاكل الترجمة التي لم يفته هو التنصيص على بعض أخطائها، لكنه ختم كلامه بأن كل الذين انتقدوه اجمعوا على تقديره، فقد كان ابن بطوطة رحالة أمينًا، ثم عرض في فصول قصيرة للنقوش كمصدر للرحلة، والرحلة كمصدر لتاريخ العلاقات الدولية. ثم مكانة الرحلة بين أدب الرحلات انتهى فيها إلى القول بأن رحلة ابن بطوطة هي نوع من الرحلات العامة، كان فيها ابن بطوطة حاجًّا ودارسًا وسفيرًا ومكتشفًا وزائرًا وداعية وتاجرًا.

وبعد فقد وجدت (التازيَّ) محقق الرحلة يأْتَمُّ بشعار ابن خلدون الذي أهاب بمن يأتي بعده أن يكمّل ما نقص ويفصّل ما أجمل، ويلحق ما أهمل، ويصلح ما أغفل، وهو شعار العلماء في كل زمان ومكان. فرأيت تحبير هوامش أُوثِّقُ بها أشعار الرحلة وأترجم لمن أغفل من شعرائها واستدرك ما فاته وأُصَوِّب ما في الشعر من تصحيف أو تحريف استكمالاً لعمل علمي رصين، نَهَدَ به مؤرخ مغربي جليل، وأن أصنع هذه الهوامش لينتفع بها قارىء الرحلة ففيها المزيد من التوثيق والتوضيح، وليفيد منها محقق النص في طبعة قابلة. وقد راعيت فيها الترتيب الوارد في فهرس الأشعار الذي يشغل الصحائف ٧- ١٠ من المجلد الخامس.

(١) وردت في المجلد ١/ ٢٨١- ٢٨٢ أبيات لابن نُباتة القرشي الفارقي أولها:

أَسِفَتْ لفقدك جِلّقُ الفيحاءُ ... وتباشرت لقدومك الشهباءُ

عدَّتُها ثلاثة عشر بيتًا، قال: إنها أزيد من خمسين بيتًا مدح بها القاضي كمال الدين الزملكاني الشافعي.

قلت: القصيدة أخلَّ بها «ديوان ابن نُباتة» - على ضخامته - فهي ممّا يُستدرك عليه.

وتلاحظ أهمية تعقيب ابن جُزي على القصيدة الدال على قدراته النقدية، و إيراده بعدها بيتين لابن نُباتة ثابتي النسبة له.

(٢) في المجلد ٢/ ٨٦ أورد سمطا من قصيدة لصفي الدين عبدالعزيز بن سرايا الحلي - أمير شعراء زمنه - بالصيغة التالية:

فَدَعْ ربوعَ الحلة الفيحاءِ ... وازورَّ بالعيس عن الزوراءِ

ولا تقفْ بالموصل الحدباءِ ... إنّ شهاب القلعة الشهباءِ

مُحرق شيطان صروف الدهر

قلت: لم يُخَرِّج التازي هذا السمط، وهو لصفي الدين في «ديوانه» ص ١١٤ بالرواية التالية:

فانهض ركابَ العزم في البيداءِ ... وازورَّ بالعيس عن الزوراءِ

ولا تُقم بالموصل الحدباءِ ... إن شهاب القلعة الشهباءِ

يحرقُ شيطانَ صُروف الدهر

وفي الديوان أنه مدح بها الملك المنصور - غازي بن أرتق - سنة ٧٠١هـ

(٣) في المجلد ١/ ١٧٠ ورد ما نصّه: وفي عكس ذلك يقول الأديب البارع أبو عبدالله محمد بن أبي تميم وكان من المجدّين (الصواب: المُجَلِّين) المكثرين:

صفاقِسٌ لا صَفا عيشٌ لساكنها ... ولا سقى أرضَها غيثٌ إذا انسكبا

ناهيك من بلدةٍ من حلَّ ساحتَها ... عانى بها العادِيين: الرومَ والعَرَبا

كم ضلَّ في البرِّ مسلوبًا بضاعتُه ... وبات في البحر يشكو الأَسْرَ والعَطَبا

قد عاينَ البحرُ قبحًا في جوانبها ... فَكُلّما هَمَّ أن يدنو لها هَرَبا

قال هلال بن ناجي: لم يُعَرِّف التازيُّ بهذا الشاعر، قلت وتمام اسمه: أبو عبدالله محمد بن أبي تميم المعز بن سلمان، شاعر تونسي كان قد وُلّي الإشراف

على صفاقس سنة ٦٦٥هـ. وله أبيات يهنىء بها المستنصر الحفصي بانتصاره على قبيلة (رياح) وتنكيله بشيوخها، وكان ذلك سنة ٦٦٦هـ والمستنصر هذا هو الذي تسمى بأمير المؤمنين سنة ٦٥٧هـ وأبياته هذه عدتها خمسة أبيات أوردها التجاني في «رحلته» ص ٦٩ والبيت الساقط في «رحلة ابن بطوطة» موضعه قبل الأخير، ونصّه:

وُلِّيتُها فتولَّتْني الهمومُ وقد ... لقيتُ من سفري في أرضها نَصَبا

(٤) في المجلَد ١/ ٢٧٩ ورد ما نصه: وقال فيها أبو الفتيان بن حيُّوس:

ياصاحبيَّ إذا أعياكُمَا سقمي ... فلَقِّياني نسيمَ الريح من حَلَب
من البلاد التي كان الصِّبا سكنًا ... فيها، وكان الهوى العذريّ من أربي

قلتُ: لم يُخَرِّج التازيُّ هذين البيتين في ديوان الشاعر المطبوع في مجلدين بتحقيق خليل مردم بك - مطبوعات المجمع العلمي في دمشق ١٩٥١. ولم أجدهما في ديوانه، ففي ديوانه قصيدة واحدة ص ٧١- ٧٧ على وزنهما ورويهما أولها:

سل المقادير ما أحببتَهُ تُجِب ... فما لها غير ما تهواه من أَرَب

والبيتان ليس فيها. فهما مما يُستدرَك على ديوانه. وهذا من فوائد الرحلة.

(٥) في المجلد ١/ ٢٧٨ ورد ما نصه: وقال فيها الشاعر المجيد أبو بكر الصنوبري:

١- سَقى حلبُ المزن مغنى حَلَبْ ... فكم وَصَلَتْ طربًا بالطَرَبْ
٢- وكم مستطاب من العيش لَذّ ... بها إذ بها العيش لم يُستطبْ
٤- غدا وحواشيه من فضّة ... تروقُ وأوساطُه منْ ذَهَبْ

قلتُ: لم يخرج التازيُّ الأبيات الأربعة. وهي له في ذيل ديوانه ص ٤٥٦ بتحقيق د. إحسان عباس - بيروت ١٩٧٠- ورواية البيت الثاني في «رحلة ابن بطوطة» مختلّة المعنى وصوابها:

وكم مستطابٍ من العيش لَذّ ... بها لي إذِ العيشُ لم يُسْتَطَبْ

ورواية صدر الرابع في «رحلة ابن بطوطـة» مصحفة: غذا: صوابها غدا وقد نقل صانع الذيل الأبيات من كتاب «الأعلاق الخطيرة» ١/ ١/ ١٥٩.

(٦) في المجلـد ١/ ٢٧٤ ورد الآتي: وفي هذه القلعـة يقول الخـالدي شـاعر سيف الدولة:

١- وخرقـاء قد تـاهَتْ على مَنْ يـرومُها بمرقبهـا العـالـي وجـانبهـا الصَّعْبِ
٢- يَجُـرُّ عليهـا الجوُّ جَيْبَ غمـامـةٍ ويُلبسهـا عِقْـدًا بـأَنْجُمِـهِ الشُّهْبِ

قلت: وقع في رواية البيت الثاني تحريف وتصحيف. صوابه:

يَـزُرُّ عليهـا الجوُّ جَيْبَ غَمـامِـهِ

٣- إذا ما سرى برقٌ بَـدَتْ من خلاله كمـا لاحت العـذراءُ من خَلَل السُّحْبِ
٤- فكم من جنـود قـد أماتت بغُصَّـةٍ وذي سَطَـواتٍ قد أبـانتْ على عَقْبِ

قلت: لم يخرج التازيُّ المقطعةَ. وهي للخالـديين في ديوانهما صنعة د.سامي الدهان ص ١٥٥- ١٥٦. رواية عجز الثالث: من خَلَل الحُجْبِ

ورواية صدر الرابع في الديوان: فكم ذي جنودٍ قد أمات بِعَضْبِه

(٧) في المجلـد ١/ ٣٠٥ أورد خمسة أبيـات لابن سعيد في مـدح دمشق ولم يخرجها.

قلت: الأبيات ١- ٣ في «الغصون اليانعـة» ص ١٤٣ لابن سعيد. ورواية عجز الأول: يبني بها الـوطنَ الغريب. ورواية الرحلـة أجود وقد انفردت رحلة ابـن بطوطة بالبيتين الرابع والخامس، وهذا من فوائدها.

(٨) في المجلد ١/ ٢٨٢ أورد بيتين لابن نُباتة المصري ولم يخرجهما.

قلت: هما لابن نباتة في ديوانه ص ٦٤. رواية الأول:

عُلِّقتهـا غيـداء حـاليـة الطـلا تجني على قلـب المحبّ ولُبِّـه

ورواية عجز الثاني في ديوانه: فتطوقت بمثال ما بخلت به

(للبحث صلة)

بغداد: هلال بن ناجي

مصادر دراسة أنساب القبائل اليمنية في العهود الإسلامية الأولى

(١)

[يراد بالقبائل اليمنية القبائل التي تعيش جنوب الجزيرة ممن يمتُّ بأصله إلى (قحطان) لا التي تعيش في قطر اليمن، فكثير ممن ذكروا في هذا البحث يعيشون خارجه في الحجاز وفي الأودية المنحدرة من سراته شرقًا في قلب الجزيرة، والباحث الكريم عول على نصوص قديمة، بصرف النظر عن التقسيمات الإدارية في العصور المتأخرة].

سيادة النظام القبلي عند العرب: كان النظام القبلي سائدًا عند ظهور الإسلام في كل شبه جزيرة العرب، ويقوم عليه تكتل السكان في البوادي والريف والمدن وكان هذا النظام أساس التنظيم القانوني في الوراثة، وبعض أحكام الجنائيات وفي التملك وفي السكنى وتخطيط المدن، ولم يقض على الروابط الشخصية الاجتماعية والزيجات والحرف والأعمال الاقتصادية والتجارية وحتى العقائد الفكرية والدينية والكيانات السياسية.

وقد اهتم الإسلام بالفرد كأساس للكيان البشري، وجعله مسؤولًا عن عمله وعمل على توجيهه الخلقي والفكري والعقائدي كما أنه دَعَى إلى نظام علمي، وثَبَّتَ سلطة مركزية عليا قائمة على العقيدة ومراعاة المصالح العامة للمجتمع، دون حصرها بالمصالح القبلية الضرورة، وإنّ عمق تغلغل التنظيم القبلي في زمن الرسول ﷺ حمله على مراعاته في تنظيم المدينة المنورة، وفي تنظيم الدولة التي اتسعت حتى شملت في آخر حياته معظم أرجاء الجزيرة العربية.

ثبتت السلطة العليا المركزية بفضل تعزيزها للمصلحة العامة، وأصبحت سائدة على كل شبه جزيرة العرب، وخاصة بعد القضاء على حركات الردة والانشقاق، وتوجهت إلى توسيع الدولة في الأقاليم المجاورة، وضمت أقاليم كانت تَتَّسِم باستقرار مجتمعات قضتْ مصالحها اتباعَ نظم خاصة، فكان كثير من

أهلها يـرتبطون بقراهـم، ويتسمـون بها. غير أن في هذه الأقـاليم جماعات مـرتبطة بالنسب، وهم بصورة خاصة العرب سكان البوادي.

ظل النظام القبلي أسـاسًا في الدولة الإسـلامية لكثير من التنظيمات الـداخلية للعرب الذين كانـت لهـم مكانة متميزة باعتبار أنهـم يقتصـر عليهم تقريبًا الإسلام، والعروبة في هذه المرحلة المبكرة والـداخلة مع الإسلام، ومن العرب كان الخلفاء والقادة ومعظم الإداريين البارزين والمقاتلين[١].

ظل هذا النظام قـائمًا في المناطق التي كان سائدًا فيها قبل الإسـلام، وسار عليه تنظيـم الأمصار التي اتخـذت مراكز لـلإدارة وإقامـة الولاة والمقاتِلَـة وأهليهم، فقد قسمت للعرب خططًا لكل عشيرة خطة يقيم فيها أفـرادها وتسمى باسمها، ولأفرادها حق الشفعـة عند تحـويل الملكيـات، وهي أسـاس العاقلـة التي بموجبها يشـارك أفرادها في دفع الـدية عن القتل الخطإ، الذي يقترفـه أحد أفرادها، كمـا أنها أساس الـوراثـة، وكـان النظـام القبلي من القـوة مـا جعل كثيـرًا من الأعـاجم المقيمين في الأمصار يدخلونه، وإن كانت مكانتهم تتحدد بكونهم (موالي) وليسوا (صليبة).

يكون الـدم في النظام القبلي أساس التجمع البشـري، والانتماء فيه، ولمـا كان الدم ثابتًا (بيولوجيًا) فإنه لا يمكن تبـديله أو تحويله أو إنكاره إلا في حالات الزنى والاتصالات الجنسية غير الشـرعية، ولما كانت النظم السائدة في الجـزيرة العربية قائمة على هذه الشـرعية فإن الشاذ عنها من أولاد البغايا واللقطـاء يكوِّنُون حالات شاذة قليلة لا تكفي لإلغاء النظام وإبطاله.

يقوم التكتل القبلي على أسـاس الدم، إذْ يشترك أفـراد المجموعة بـالتحدر من سلف يكون بينهم رابطة الدم، ويشتركـون في حمل اسم من ينضمون إليه، بصرف النظـر عن مدى تفـاصيل معرفتهم بتسلسـل الأسلاف وإنجـازاتهم مما هـو عمل اختصاص يتفرد به النسابون، ممن سنبحثهم في هذا المقال.

غير أن تزايد السكان أو تناقصه، وتطـور الأحوال السكانية يؤدي إلى تجمعات

فرعية متباينة في عددها، وأحيانًا في أحوالها الخاصة، وذكرت كتب اللغة من هذه الأقسام الشعب، والقبيلة، والعشيرة، والفخذ، والأسرة، والعائلة، وهي تفرعات متدرجة متكاملة لا تميزها حدود دقيقة لأنها تقوم على مدى قوة التماسك الذي تحكمه عوامل متعددة لا يمكن وضع قاعدة عامة لتحديدها، وإن كان أبرزها الأرض التي يقيمون عليها، أي ديارهم وخططهم، ومحلات سكناهم المعرضة بدورها لتطورات غير قليلة إذ قد يبقى الفرد مع أسرته، أو ينخزل عنها ويتخذ له مقامًا قد يكون بعيدًا عن عشيرته الأم.

ويزداد التعقد عندما يتزوج الفرد من غير نساء عشيرته، فيعيش معهن بعيدًا عن عشيرته.

الأسس القبلية لتخطيط الأمصار: قدر عمر بن الخطاب قوة التماسك القبلي، فأمر بان يتخذ أساسًا لتوزيع الخطط على عشائر كل مصْر، وبخاصة الكوفة والبصرة والفسطاط إضافة إلى المدينة المنورة التي كانت قائمة منذ القديم على أسس قبلية في التوزيع السكاني. وأودع تنفيذ هذا التوزيع إلى رجال محدودين لم تذكر المصادر اعتراضًا على ما وضعوه من تنظيمات، ثم وضع تنظيمًا على الكوفة فجعلها أساسًا يتكون كل سُبُع من عشائر متقاربة الأصول يمانية أو شمالية، وظل هذا النظام نافذًا طيلة العصر الراشدي.

ولعل مثل هذا التنظيم طبق في الفسطاط وأمصار أخرى لم تذكرها المصادر. ثم أعاد زياد والي المشرق في زمن معاوية ترتيبه فجعله في البصرة أخماسًا، كل خمس من قبيلة كبيرة، وجعله في الكوفة أرباعًا، كل ربع من قبيلتين: يمانية وشمالية، أي أنها أصبحت ثمان مجموعات بدل سبع وهو تعديل إداري غير جوهري، إذ يقتصر على عدد رؤوس المجموعات، إذ أصبحوا أربعة بعد أن كانوا سبعة.

لم تصلنا معلومات مستوعبة عن تنظيم المقاتلة في الفسطاط أو في بلاد

الشام، ولعلهم كانوا أرباعًا، ولكن التفاصيل تنتظر بحثًا مستوعبًا.

تنظيم توزيع العطاء على أسس قبلية: والأثر الثاني البارز الذي راعى فيه عمر بن الخطاب التماسك القبلي، هو تنظيم توزيع العطاء، وإنشاء ديوان العطاء، فقد ثبّت عمر مبدأ تقدير مقدار العطاء على أساس الإنجازات الفردية الماضية، وهي منوعة، ففي المدينة قدرها بناءًا على السابقة في المشاركة في المعارك الأولى، فأعطى كلًا من المشاركين في غزوة (بَدْرٍ) أعلى مقدارٍ، يتلوهم من شارك بين (بدر) و(الحديبية) وبايع تحت الشجرة، ثم من أسلم بعد فتح مكة وشارك في المعارك التالية[٢].

وراعى في تقدير عطاء الأفراد في الأمصار المشاركين في معارك الفتوح أُسُسًا تتناسب مع أحوالها، فقدر في الكوفة - حيث تتوفر أوسع المعلومات - لكل من المشاركين في الأيام الأولى أعلى العطاء، يتلوهم من شارك في (القادسية) ثم من تأخرت مشاركته بعد القادسية تبعًا لزمن تأخره. وجعل الحد الأدنى للرواد التي جاءت متأخرة، فقدر كل فرد منها مئتي درهم وهو الحد الأدنى الذي يكفي لنفقات المعيشة. ولا تتوفر معلومات عما وضعه للمشاركين في فتوح الجبهات الأخرى، والراجح أنه أعطى كل من شارك في (اليرموك) وفي فتح (الفسطاط) الحدَّ الأعلى الموازي لأهل (القادسية) ومن تلاهم.

ولم يكن بالإمكان توزيع العطاء على الأفراد مباشرة. ويَدّعِي سيف بن عمر أن عمر بن الخطاب قسم المقاتلة إلى مجموعات يبلغ عطاء كل مجموعة مئة ألف درهم، ويختلف عدد أفرادها تبعًا للوقائع التي شاركوا فيها[٣]. ولابد أن كلامه إن صَحّ، جَعْلُ كل مجموعة من عشيرة، غير أن القبيلة الواحدة قد تقسم إلى عدة مجموعات، وفي أيّ حال كان ذلك يتطلب وضع ديوان تسجل فيه الأفراد، ومقدار ما يعطى لكل واحد. ويتطلب ضبط العمل أن يدون فيه اسم الفرد كاملًا مع العشيرة التي ينتمي إليها.

غير أن تطبيق هذا النظام لم يكن يسيرًا، فكثيرًا ما ينقل عدد من المقاتلة إلى

جبهات أخرى، فيشغر مكانها، ثم إن العشائر تكـون مجزّأة، مما يحدث إرباكًا ثم إن أهل الأيام والفتوح الأولى لابد أن يتناقص عددهم بمرور الأيام، بسبب الوفاة أو غيرها، ويظهر في كل مصْرٍ من يقوم بإنجـازات تستحق التقدير في الفتوح التالية، ومن العدالـة ألا يُتَجاهل تقديـر ذلك، فكان لابـد من وضع قواعد جـديدة تحقق العـدالة لـلأحـوال المستجـدة، ولم تقدمْ المصـادر إلا معلـومات نـزرة عن هـذه القـواعد، وزمن إدخـالها ولكنهـا في أي حـال يجب أن تسجل في ديوان الجنـد. وأخيرًا فإن طريقة توزيع العطاء على أساس وحدات مالية متساوية يخلق التمسك به مشاكل إدارية مربكة ومعقدة، فلابد من إبداله بما يُيَسِّر التوزيع، وعلى أي حال فإن أيّ تعـديل في الأنظـمة يجب أن يتم بأوامـر عليا يقـررها الخليفـة، وأن تكون عـامة في كـافـة الأمصـار، وغيـر مقصـورة على مصـر واحـد، ولعل من أسبـاب التذمـرات التي حدثت في زمن خـلافة عثمان في عـدة أمصار، هـو الإصرار على السير على التنظيم الأول الذي لم يعد ملائمًا للأحوال الحديثة.

تعديل التنظيم: ومن المحتمل أن نظامًا جديدًا تتـوفر عنه تفاصيل أوفى حدث في زمن خلافة معاوية، وظلت أُسُسُهُ معمولًا بها طيلة العصر الأموي.

ففي زمن خلافة معـاوية حدث (عام الجمـاعة) وساد في الدولـة استقرار عام، وأنشئت قواعـد جديدة في عدد من مـدن خراسان والهضبة الإيرانيـة، كما أنشئت القيروان في تونس، ثم تلا ذلك اتخاذ عدة مَراكز في الأندلس بعد فتحها. أما بلاد الشام فظلت قـواعدها القـديمة، وتزايـد الاهتمام بمراكـز الجزيرة العـربية بسبب تزايد أهميتها العسكرية(٤).

أصبحت حماية حـدود الدولة وتوسيعهـا من واجب مقاتلة المراكـز الجديدة، فخففت عن الأمصـار الأولى واجبـات القتـال، وأصبحت مقصـورة على بعـد مـا يصيب الفـرد منهـا مـدة لا تزيـد على أربعـة أشهـر كل أربع سنـوات، أو أحـوال استثنائية محدودة في قمع الثورات وصد المتجاوزين.

ومنذ زمن ولاية زياد تتابعت أخبار العرافات في الأمصار القديمة، وهي قديمة ولكن أخبارها المتشابهة في العصر الأموي قد تدل على أنها وضعت في هذا الزمن، لتُعَبّر عن وحدات مكون كل منها من حوالي ألف مقاتل عليهم عريف يعينه الوالي، ويقوم بتوزيع العطاء على أعضاء العرافة وفق القواعد المقررة، ولابد أن هذا يتطلب منه حفظ سجلات بأسماء رجال عرافته، ومقدار عطائهم، والتجهيزات المطلوب منها، إضافة عن مسؤوليته عن حفظ الأمن والنظام وقمع مثيري الشغب[٥].

والمفروض أن العرافة من أبناء عشيرة واحدة، غير ان مقتضيات النظام قد تستلزم ان يجعل للعشيرة الكبيرة أكثر من عرافة واحدة، أو تُضَمُّ العشيرة الصغيرة العدد بأخرى أكبر منها قد لا تكون بينهما صلة قريبة في النسب فتصبح في عدادها، أي محتفظة بوحدتها الاجتماعية، ومندمجة معها في العطاء والواجبات المتصلة به، ولابد أن هذا تطلب اعادة تنظيم يبدو انه لقى رضى الناس، فلم يرد خبر عن استياءهم منه.

وكان في كل مصر ديوان للجند بالعربية، تكثر الإشارة إليه، غير أن سجلاته اندثرت وبقيت إشارات لها في بعض الكتب، وبخاصة كتاب «الخراج» لقدامة بن جعفر الذي يصف أحوال ديوان الجند في العصر العباسي الأول الذي تبدلت فيه كثير من النظم وبخاصة ما يتعلق بالمقاتلة. وتدل المعلومات القليلة المتبقية التي وصلتنا عنه أنه كان يحفظ أسماء المقاتلة منظمين تبعًا لعشائرهم. غير أنه فيما عدا الفسطاط لم يُشِر إلى مؤلف عن الأنساب من إفادته من سجلات الدواوين، ولا نبعد عن الواقع إلى ان معلوماتهم لم تستمد من مصادر حكومية وإنما مما كان معروفًا وساريًا عند الناس بصرف النظر عن مدى علاقته بسجلات الديوان التي تندر اشارة النسابين إليها.

وانفردت (الفسطاط) بالاحتفاظ بسجلات ديوان الجند سليمة، حتى بعد إبطال عطاء المقاتلة العرب في زمن المأمون، وقد أشار بعض المؤلفين المصريين

الأوليين وأخَصُّهُم عبدالرحمن بن يونس إلى اطلاعه على أسماء من ديوان همدان ومراد وحضرموت والمعافر[٦]، ومن هذه السجلات ضبط اسماء من ترجم لهم والعشائر المنتسبين لها ولعل أسماء أخرى اطلع عليها وذكرها في الجزء المفقود من كتابه، ولم تصلنا مقتبسات من سجلات ودواوين الأمصار الأخرى، عدا المدينة لتلفها، أو لأن مؤلفي كتب الرجال عاشوا بعد تلف هذه السجلات.

اليمن في التاريخ: لليمن مكانة متميزة في أقاليم شبه جزيرة العرب، فإن أحوالها الجغرافية وموقعها يُسّرَ لها نشوء حضارة متقدمة ترجع إلى أزمنة قديمة، فسواحلها الطويلة على البحر العربي والمحيط الهندي من جهة، وعلى البحر الأحمر من جهة أخرى، يُسّرَ لها إنشاء الموانيء على سواحلها والملاحة مع الأمصار الواقعة في شرق أفريقية وبلاد الهند والشرق الأقصى، وإلى مصر[٧] وربما أقاليم البحر المتوسط حيث كشفت في عدد من بلادها نقوش بالمسند أكثرها شواهد قبور[٨].

وكانت الزراعة والصناعة متقدمة في اليمن بفضل الأمطار الغزيرة التي تسقط فيها، والمعادن المتوفرة فيها وبخاصة الفضة والذهب والحديد والجزع والعقيق[٩].

وكانت اليمن تنفرد بانتاج الورس والكندر وأشجار البخور ذات الأهمية الكبرى لمعابد البلاد الأخرى وبخاصة مصر وبلاد البحر المتوسط. وساعد كل ذلك على انماء صناعات تفيض عن حاجة السكان فتصدرها إلى البلاد الأخرى، ومن أشهر هذه الصناعات المصدرة السيوف اليمانية والأُدم والمنسوجات المتعددة كالبرود الحبرات والصبرية والتعزية والسعيدية، وأصناف أخرى[١٠].

ولابد أن هذه الصناعات أدت إلى نشاط اقتصادي، وظهور مراكز صناعية ومدن هي من المستلزمات الأساسية لنمو متطلبات الحياة الاقتصادية، كما تطلبت ظهور حكومات ترعاها وقوات عسكرية تحميها، فكان فيها جيش مدرب على القتال يستند إليه الحكام في تثبيت مكانتهم[١١] ولابد أن القوة الرئيسة

كانت بإمرة الملوك الذين زال سلطانهم قبيل الإسلام، صار تابعًا للحكام المحليين من أقيال وأذواء، فكان هذا الجيش مدربًا على القتال، ولكنه صار بإمرة حكام محليين ذوي سلطان محدود.

صلة أهل اليمن بالإسلام ودولته: لأهل اليمن صلات وثيقة ومكانة ملحوظة مع أهل مكة منذ أزمنة قديمة، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض أحداث اليمن كالسيل العَرِم، وملكة سبأ، وأشار إلى مباهلة الرسول ﷺ مع أهل نجران، وخص تجارتها بسورة خاصة ذكر فيها الإيلاف ورحلة الشتاء والصيف التي يتفق المفسرون أن رحلة الصيف كانت إلى اليمن ولم تؤثر حملة أبْرهة الحبشي الفاشلة على مكة، فظلت العلاقة وثيقة بين أهل مكة واليمن[١٢]. وأشارت المصادر إلى عدد من أهل مكة يتاجرون مع اليمن، ومن أبرزهم العباس عم الرسول ﷺ ويبدو أن هذه التجارة كانت بيد أهل مكة، فلم تذكر مصادر السيرة كثرة تواجد اليمانيين في مكة، وقد أشار محمد بن حبيب[١٣] إلى عدد قليل من محالفي اليمانيين مع أهل مكة، فاقتصر على ذكر ستة حلفاء يمانيين هم حلف عبدالله بن سعيد لبني حارثة بن المطلب، وحلف يزيد بن الجدرة لزهرة، وحلف القاسك لبني المطلب، وحلف هانىء الهمداني لعثمان بن عفان، وحلف آل الحضرمي. وكانت لبعض أهل مكة ارتباطات عائلية مع يمانيات.

وتوسعت علاقة الرسول ﷺ بأهل اليمن بعد صلح الحديبية، فقدم إليه يعلنون إسلامهم وفد من الرهاويين والأشعريين، فأسهم لهم في غنائم خيبر، وذكرت كتب السيرة كتبًا بعثها الرسول ﷺ لعدد من ذوي المكانة في اليمن[١٤] ولم يكن لحركة الأسود العنسي أثر عميق في تعكير علاقة الرسول ﷺ بأهل اليمن فإن حركته كانت محدودة في سماتها ومكانها، إذ قاومها أكثر أهل اليمن الذين اغتالوه وقضوا على حركته فيسر ذلك هيمنة الدولة الإسلامية على أرجاء اليمن التي لم تكن فيها دولة تسيطر عليها وتجمعها، وإنما كان فيها عدد من أفراد يهيمن كل منهم على منطقة غير واسعة، وعدد اليعقوبي وابن الحائك الهمداني

أسماء أكثر من ثمانية من هؤلاء الأذواء[١٥].

وأوردت عدة كتب فقهية نص المعاهدة التي عقدها الرسول ﷺ مع أهل نجران وهي أوسع ما وصلنا من معاهدات الرسول ﷺ وفيها تفاصيل أحوالهم ومقدار ما فرضه الرسول عليهم.

وفي الكتب قول ينسب إلى الرسول ﷺ «الحكمة اليمانية»[١٦]. وروى الزبير بن بكار ان عبدالملك بن مروان زار إبّان خلافته مكة وطاف على حلقات العلم فيها، فوجد رؤساء كافة الحلقات من الأبناء من أهل اليمن، فعير القريشيين على غلبة هؤلاء دراسة أمور الدين الإسلامي، ونرجح أن كثيراً من هؤلاء الأبناء لم يكونوا من أصول الجالية الفارسية في اليمن كما هو شائع عند الناس.

ولعل صلة عبدالله بن العباس بأهل اليمن يلمح إلى آثارهم الفكرية في الحجاز، وليس من قبيل الصدف أن يشغل أهل اليمن العطاء في الكوفة ماعدا واحدًا طيلة القرن الأول وأوائل القرن الثاني.

المشاركة في الفتوح: شارك أهل اليمن في الجيوش الإسلامية التي قامت بالفتوح في وقت مبكر، فلما قضى أبو بكر الصديق على حركات الردة والانشقاق وثبّت سيادة دولة الإسلام في شبه جزيرة العرب قدمت أعداد من أهل اليمن وشاركوا في معركة (اليرموك) التي أحرز فيها العرب انتصاراً حاسمًا على جيوش الروم قبيل وفاة الخليفة أبي بكر الصديق، ولابد أن أعدادًا منهم شاركت في بعض المعارك التي سبقت معركة (اليرموك) ومن المؤكد أن أعدادهم تزايدت منذ أوائل خلافة عمر بن الخطاب الذي أباح لكل العرب الانضمام إلى الجيوش الإسلامية بمن فيهم من كان قد سبقت مشاركته في حركات الردة والانشقاق في أواخر حياة الرسول ﷺ وأوائل خلافة أبي بكر الصديق.

ففي جبهة العراق شاركت بجيلة برئاسة جرير بن عبدالله البجلي في معركة (البويب) وأحرز انتصاراً كبيراً على قوات الفرس، وفي معركة (القادسية) وما

تلاها من معارك كان عدد أهل اليمن كبيراً من مختلف عشائرها، ولما اختط سعد بن أبي وقاص الكوفة كانت لأهل اليمن خطط كثيرة فيها. ويقول الشعبي: إن الكوفة اختطت على عشرين ألفًا كان أهل اليمن منهم اثنا عشر ألفًا[١٧]. أي أكثر من نصف المؤسسين، ولابد أنّ تطورات غير قليلة حدثت في السكان الأولين بسبب تتابع المعارك من يقتل فيها إضافة إلى الحاميات التي أوطنت في عدة مراكز ذات أهمية عسكرية غير أن هذه التطورات لم تفقد الكوفة من العدد الكبير من أهل اليمن الذين ظلوا مقيمين فيها، فلما نظم الخليفة عمر بن الخطاب أهل الكوفة أسباعًا، كان كثير من عشائر الأسباع من أهل اليمن، ولما أعاد زياد تنظيم الكوفة في زمن خلافة معاوية وجعلها أرباعًا، كل ربع من مجموعتين، يمانية وشمالية أي أن أهل اليمن كانوا قرابة نصف أهل الكوفة، وفي بلاد الشام كَوّن أهلُ اليمن نسبة من المقاتلة العرب، وكانوا منذ أوائل انضمامهم إلى الجيوش الإسلامية في زمن خلافة عمر يفضلون المقاتلة في جبهة بلاد الشام على مقاتلة العرب في جبهة العراق، وكانت بلاد الشام تضم أعداداً كبيرة من أصل اليمن وتوزعوا في عدد من المراكز العسكرية فيها وبخاصة في دمشق وحمص وفلسطين، وعدد آخر من المدن الداخلية والساحلية؛ وفي ما وصلنا من تواريخ هذه المدن ذكر عدد كبير منسوبين إلى مختلف عشائر أهل اليمن[١٨].

أما في مصر فيروي ابن عبدالحكم ان ثلث القوة الأولى التي أنفذها عمر بن الخطاب إلى مصر كانت من غامد اليمانية[١٩]، ولعل في هذا الرقم مبالغة ولكنه يشير إلى كثرتهم، ثم تتابع تقاطر المقاتلة اليمانيون إلى الفسطاط فكانوا أكثر المقاتلة العرب فيها وكثير من هذه العشائر تفردت بالهجرة إلى الفسطاط دون غيرها من الأمصار، واحتفظوا بوحدتهم في خطط السكن ومن التدوين في الديوان والدعوة في العطاء[٢٠].

والروابط الجديدة التي يولدها تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية أخفت تدريجيًا عمق جذور الروابط القبلية التي ظلت آثارها تتجلى في احتفاظ الكثيرين

بنسبتهم إلى العشائر بصرف النظر عن اهتمامهم بالعلوم اللغوية والدينية العامة في أفكارها ومُثُلِها ولم تتناقص هذه التسمية إلا بعد القرن الرابع لعوامل متعددة.

الأسس القبلية في تنظيم أهل اليمن: كان أهل اليمن عند ظهور الإسلام منظمين فيها على أسس قبلية امتدت إلى كافة أرجاء بلادهم، بما في ذلك المدن والقرى والأرياف، ومراكز للصناعة والتجارة والزراعة؛ وكثير من المنسوجات التي اشتهرت فيها منسوبة إلى العشائر والمراكز الجغرافية.

ومنذ زمن الخليفة الأول أبي بكر الصديق هاجرت أعداد كبيرة من أهل اليمن وانضمت إلى الجيوش الإسلامية، وخاصة في جبهة بلاد الشام ومصر والكوفة، واستقرت في الأمصار الرئيسة التي نظم ديوان العطاء فيها على أسس قبلية؛ وعنيت كتب التاريخ والأخبار بذكر انتساب من شارك في الحوادث إلى عشائرهم، ولم يرد ذكر من نسب منهم إلى بلدة أو أقليم جغرافي، ومن جملتها يمكن معرفة كثير من المجموعات اليمانية التي استقرت بعد الفتح الإسلامي في الأقاليم والمراكز الإسلامية خارج اليمن، وحصيلة المعلومات المستمدة منها تقدم فكرة عامة عن أحوال اليمن لأن هجرتهم لم تكن على وفق قواعد محددة، فبعض العشائر هاجرت منها أعداد كبيرة، وبعضها لم يهاجر منها؛ إلا أفراد قلائل، فكثرتهم أو قلتهم في الأمصار لا يستلزم حتمًا أن يكون متطابقًا، مع ما هم عليه في اليمن، كما أن هجراتهم تمت على دفعات، فكان منهم الأولون، ثم تلاهم الأمداد الذين لم يحظوا بامتيازات المهاجرين الأولين، ولكنهم لم ينعزلوا عن عشائرهم.

إن معلوماتنا عن أحوال السكان في اليمن في العهود الإسلامية الأولى متفرقة مشتتة. وأقدم ما وصلنا كتب ابن الحائك الهمداني، الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وكان موسوعي الثقافة والعلم، امتد اهتمامه إلى ميادين واسعة من اللغة والفلك ووصف البلدان والسكان والمنتوجات في اليمن، وكان له بعض الاطلاع على ما في خارجها. وذكر في كتابيه «صفة جزيرة العرب» والأجزاء الأربعة

المطبوعة من كتابه «الاكليل» معلومات متفرقة قيمة عن الأحوال قبيل الإسلام وبعده، إلا أن أكثر معلوماته عن الأحوال في زمنه. وتحملنا أهمية كتبه وسعتها في الاقتصار في هذا البحث على تحليل المصادر التي اعتمدها دون الايغال في بحث أصولها التي درسها محمد عبدالقادر بافقيه في بحثه القيم الموسوم بـ«الأنساب والسير اليمانية: عناصرها ومصدرها».

(للبحث صلة) بغداد: د. أحمد صالح العلي

الحواشي:

(١) انظر ما كتبه ابن عبدالبر في مقدمة كتاب «الإنباه في قبائل الرواة».

(٢) انظر تفاصيل أوفى في الفصل الذي كتبناه عن العطاء في كتابنا «الحجاز في صدر الإسلام» وفي كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة».

(٣) الطبري ١/ ٢٤١٢.

(٤) انظر تفاصيل أوفى في كتابنا «امتداد العرب في صدر الإسلام».

(٥) انظر تفاصيل أوفى في الفصل الذي كتبناه عن ذلك في كتابنا «التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة».

(٦) «الأنساب» للسمعاني ٤/ ١٠٢ و٦/ ٢٠٩ و٧/ ٢٠٠.

(٧) انظر كتاب «الجزيرة العربية والشرق الأقصى» لسليمان حزين (بالانكليزية).

(٨) انظر كتاب «مدن القوافل» لروستوفزيف (بالانكليزية).

(٩) انظر كتاب «الجوهرتين العتيقيتين» طبع وتعليق حمد الجاسر.

(١٠) انظر بحثنا «المنسوجات العربية في صدر الإسلام» المنشور في مجلة الأبحاث بيروت ١٩٦٥.

(١١) انظر كتاب «فن الحرب في اليمن» لبيستون (بالانكليزية).

(١٢) انظر تفاصيل أوسع في كتاب «عاصمة التجار في الإسلام» لمحمود ابراهيم، وكتاب «تجارة مكة عند ظهور الإسلام» لباتراشيا كرونا (والكتابين بالانكليزية).

(١٣) «المحبر» ٢٠٢- ٣٠٨.

(١٤) انظر: «الوثائق السياسية في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة» لمحمد حميد الله، و«دبلوماسية الرسول ﷺ» لعون الشريف.

(١٥) انظر مفصل اسماعيل الأكوع المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني.

(١٦) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، والدارمي، وابن حنبل. انظر مواضع ذكرهم في كتاب «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي مادة (حكمة)».

(١٧) «فتوح البلدان» للبلاذري (٧٥، ٦)؛ وانظر «الكوفة» لهشام جعيط وقد أعددنا للنشر كتابًا مستوعبًا وبخاصة سكانها وتطورهم.

(١٨) انظر تفاصيل أوفى في كتابنا «امتداد العرب في صدر الإسلام».

(١٩) «فتوح مصر» لابن عبدالحكم (٥٦). «الولاة» للكندي.

(٢٠) أعددنا دراسة مستوفية عن «أهل اليمن في صدر الإسلام».

ملاحظات على كتاب «الكنز في القراءات العشر» للواسطي المتوفّى سنة ٧٤٠هـ

صدر حديثًا عن (دار الكتب العلمية) ببيروت كتاب «الكنز في القراءات العشر» للواسطي، (تحقيق) هناء الحمصي، وجاء في ٢٨٦ صفحة.

وبحكم تخصصي في تدريس القراءات القرآنية لطلبة الدكتوراه طوال اثنتي عشرة سنة، حرصت على اقتناء هذه الطبعة، لأنني حصلت على مخطوطة صنعاء من هذا الكتاب عام ١٩٩٥، وكتبت تعريفًا بها، أرسلته إلى مجلة «آفاق الثقافة والتراث» التي يصدرها (مركز جمعة الماجد بدبي)، ثمّ كلّفت أحد طلبة الدكتوراه بتحقيق الكتاب ودراسته، تحت إشرافي، فأنجز عمله عام ١٩٩٧ على نُسْخَتَي صنعاء وتونس.

تصفحت هذه الطبعة فعجبت أشد العجب، لأنّ الناشرة اعتمدت على نسخة واحدة فقط، هي نسخة المكتبة الظاهرية التي وصَفَتْها بأنّها فريدة ونادرة، وتاريخ نسخها سنة ٨٠٨هـ.

والحقيقة انّها ليست فريدة ولا نادرة، فَثَمَّةَ نسخ أخرى من هذا الكتاب، هي:

١) نسخة صنعاء: وتاريخ نسخها ٧٩٤هـ، ومنها صورة في معهد المخطوطات.

٢) نسخة تونس: وتاريخ نسخها ٨١٣هـ.

٣) نسخة يوسف آغا بتركيا، ورقمها ٦٩٥٢.

٤) نسخة خزانة حاجي محمود بتركيا، ورقمها ٤١٢.

٥) نسخة معهد الاستشراق بموسكو، وهي ناقصة، ورقمها ٣٦١ / B / ١٤١٠.

وثَمَّةَ أمر آخر أكثر غرابة، وهو قول الناشرة في ص (٥) عند حديثها عن المؤلف: (ولم أعثر له بين المراجع على ترجمة سوى هذا المرجع)، وتعني به «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجَزَرِيّ.

والواسطي عبدالله بن عبدالمؤمن بن الوجيه، مشهور، التقاه الذهبي المتوفّى سنة ٧٤٨هـ فأخذ عنه، وأثنى عليه.

أما الكتب التي ترجمت له، عدا «غاية النهاية»، فهي على وفق الترتيب الزمني:

١) «تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب»: لابن الفوطيّ.

٢) «منتخب المختار»: لمحمد بن رافع السلاميّ.

٣) «النشر في القراءات العشر»: لابن الجَزَرِيّ.

٤) «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»: لابن حجر العسقلانيّ.

٥) «كشف الظنون»: لحاجي خليفة.

٦) «هدية العارفين»: لاسماعيل باشا البغداديّ.

٧) «الأعلام»: لخير الدين الزركلي.

٨) «معجم المؤلفين»: لعمر رضا كحالة.

وعرفنا من خلال هذه الكتب تسعة من شيوخ الواسطي، وأربعة وعشرين من تلاميذه، وسبعة كتب من مؤلفاته، وصل إلينا منها «الكنز»، و«تحفة الإخوان في رواية حفص بن سليمان».

ونشير فيما يأتي إلى الملاحظات العامة على هذه الطبعة:

١) يخلو الكتاب من أوله إلى آخره من ضبط الآيات القرآنية بالشكل، فضلاً عن الألفاظ والأعلام التي تحتمل اللَّبْس.

٢) لم ترجع الناشرة إلى أيّ كتاب في القراءات، ولم تخرِّج وتوثق النقول الكثيرة التي أشار إليها الواسطي بل تركتها غُفْلاً، وكتب مكي القيسي، وأبي عمرو الدّاني، وأبي طاهر اسماعيل بن خلف، وأبي العز القلانسي مطبوعة متداولة.

٣) أهملت الناشرة تراجم كثير من الأعلام.

٤) لم تحسن الناشرة قراءة المخطوطة، فجاءت أوهام كثيرة سنشير إلى قسم منها.

٥) في الكتاب سقط في مواضع كثيرة، والسبب هو الاعتماد على نسخة واحدة، ولا يصح نشر كتاب على نسخة واحدة إذا كانت هناك نسخ أخرى.

٦) في الكتاب ألفاظ بحاجة إلى شرح وتوضيح، لغموضها، تُرِكت غُفْلاً.

٧) ثمة أوهام كثيرة جدًّا في أرقام الآيات.

٨) إهمال الرجوع إلى الكتب التي تعالج القضايا الصوتية، ككتب التلاوة والتجويد، لتوثيق ما جاء به المؤلف.

٩) ذكرت الناشرة في ص (٢٧١) أسماء كتب على أنّها أهم المراجع، ولم نر نقلاً منها في حواشي الكتاب من أوّله إلى آخره، منها: «صفة الصفوة» لابن الجوزي، و«الكامل» لابن الأثير، و«الأعلام» للزركلي، و«صحيح مسلم»، و«حياة الصحابة»، و«لسان العرب»، و«التيسير» للدّاني.

وبعد هذه الملاحظات العامة نذكر قسماً من الأوهام، والتخبط في قراءة المخطوطة، والسقط، على سبيل المثال لا الحصر:

١) ص (١١) س ١٨: أما قنبل فهو أبو عمرو محمد بن خالد بن سعيد...

والصواب: ... أبو عمر محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن خالد.

٢) ص (١١) حاشية (١): قالت عن تميم الداري: لم أعثر له على تاريخ وفاة فيما توفر لديَّ من مراجع في التراجم المطبوعة.

أقول: جاء في «تهذيب التهذيب» للعسقلاني (١/ ٢٥٩): وجد على قبره أنه مات سنة ٤٠هـ. وقال الخزرجي في «خلاصة تذهيب تهذيب الكمال» (١/ ١٤٥) إنّ وفاته سنة أربعين.

٣) ص (١٢) س ٦: نجم الدين أبو العباس أحمد بن عز الدين مظفر.

الصواب: ... أحمد بن غزال بن مظفر. قرأت الناشرة (غزال بن): (عز الدين). وقالت في الحاشية (٢): لم يذكره أحد من المترجمين.

أقول: هو شيخ الواسطي، ت سنة ٧٠٧هـ. «غاية النهاية» (١/ ٩٤).

٤) ص ٢٤- ٢٥: .. أبي القاسم عبدالله بن ابراهيم مقري أبي قرّة.

وقالت في الحاشية (١): لم يذكره أحد من المترجمين.

أقول: الصواب: عبيدالله بن ابراهيم مقرىء أبي قُرّة. «معرفة القراء الكبار» (١/ ٣٦١) و«غاية النهاية» (١/ ٤٨٣). وسنة وفاته ٣٨٩هـ.

٥) ص (٢٦) حاشية (٢): قالت عن محمد بن غزال: لم يذكره أحد من المترجمين.

أقول: هو شيخ الواسطي، وشقيق أحمد بن غزال، توفي بواسط سنة ٦٩٥هـ. «غاية النهاية» (٢/ ٢٢٧).

٦) ص (٣٥) حاشية (٣): قالت عن القاضي أبي طالب محمد بن علي بن أحمد الكتاني: لم يذكره أحد من المترجمين.

أقول: هو المعروف بابن العدل الواسطي، تولّى الحسبة بواسط، وتوفي سنة ٥٧٩هـ. «مختصر تاريخ ابن الدبيثي» (١/ ٩٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٢١/ ١١٥).

٧) ص (٣٩) س ٣: والرخوة ثلاثة عشر حرفاً قد جمعتها في أوائل بيت، وهو:

هذا فتى غير ذي خلف سما كرماً شرفاً ثبت زكا حلف صدق ضابط ظهرا

أقول: كلمة (كرماً) مقحمة، يجب حذفها. والكاف من الحروف الشّديدة لا الرّخوة.

٨) ص (٥٥) س ١:

حلا قد كسا جود شذا ضد لاندا رسا دين قوي ذا ثنا سد بني ملا

أقول: كذا جاء هذا النّظم، من غير ضبط، وهو مختلّ، وصوابه:

حُلًى قَدْ كَسَا جودٌ شَذًا ضِدّ لا نَدًى رَسَا دينُ تقوى ذا ثنًا سُدْ بني مَلاَ

والبيت من البحر الطويل، ولو كانت الناشرة (مجازة في الإقراء) كما في مقدمتها، لما فاتها تكرار القاف، وعدم وجود التاء، في البيت.

٩) ص (٥٦) س ٣- ٤: وأمّا الدال ففي عشرة أحرف، وقد جمعتها في بيت:

هي التاء وثاء ثمّ جيم وذالُها وصفْرُها والشين والضاد والظاء

أقول: البيت من البحر الطويل، وصوابه:

هي التّـا وثـاء ثم جيم وذالُهـا وصُفَّـرُهـا والشين والضـاد والظاء

وكـان ينبغي أنْ تشرح كلمة (صُفَّـرُها) التي لم تفهمهـا، ويُقصد بها أحـرف الصفير: الزاي، والسين، والصاد.

١٠) ص (٧١) س ١٩: سقطت العبارة الآتية، بعد: بألف فيهن: وبه قطع ابن شريح في «الكافي»، وأبو طاهر في «الاكتفاء والعنوان».

١١) ص (١٠٩) س ١٣: سقطت العبـارة الآتيـة، بعـد: إني أخـاف: (وفي التـوبـة: ﴿معي أبداً﴾ [٨٣]، وفـي يونس ثنتـان: ﴿لي أنْ أُبَـدِّلـه﴾ [١٥]، ﴿إني أخـاف﴾ [١٥]. وهذا السقط جـاء بسبب انتقال النظـر، وهذا يحـدث في الجمل المتشابهة النهايات.

١١) ص (١٥١) س ٢١: سقطت كلمتان من الآية التي رقمت ٤٤ خطأً، وكل ما جاء من أرقام الآيات بعدها فهو خطأ، وعددها عشر آيات.

١٢) ص (٨٨) س ١٧: ... وإشمـامها شيئـاً من الضم، وكسـر النون والهـاء، و(ح)[١] يلزم صلتها بياء وصلاً.

وعلّقت النـاشرة فـي الحاشيـة: ((ح) رمـز يستعمل بين نُسّـاخ المخطوطـات، ومعناه: (حاصله)، فيُرْمَزُ له بالحرف للاختصار، فليعلم).

أقـول: وهـذا من أعجب العجب، ومعنى (ح) هنـا: حينئذ. وهـو رمـز اصطلح عليه المؤلفون، وبه يستقيم المعنى.

وبعـد فهذا غيض من فيض، وهـو دليل على جهل النـاشرة بـالتحقيق، وبعلم القراءات، والنشـر أصبح تجارة من أجل الربح لا العلم، وكثر المتسلقة على هذه الصنعة، فالمشتكى إلى الله تعالى.

أ.د. حاتم صالح الضّامن

الحسن اليوسيّ: حياته وآثاره

(١٠٤٠ / ١١٠٢هـ)

(١)

يُعَدّ أبا علي الحسن اليوسي من أشهر علماء المغرب في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، وقد اتفق العلماءُ على صلاحه وتقواه، وتبحّره في مختلف أنواع العلوم، وعرفته زوايا المغرب دارسًا مُجدًّا، وعالمًا ورعًا، وشيخًا تقيًّا، ومؤلفًا يشار إليه بالبنان، ترك أكثر من عشرين مؤلفًا في اللّغة والأدب، والتفسير والحديث والمنطق، غير أنّ أكثر هذه المؤلفات ما يزال مخطوطًا، ولو حُقِّقَتْ لأثرت المكتبة العربية، وأنا أُناشد من على صفحات هذه المجلة الغراء أساتذة المغرب الأجّلاء وعلماءَهُ الفضَلاء، لإظهار كُتُب هذا العالم الجليل، وتقديمها بهيأة تليق بعلمه وفضله، وأكون مُمتَنًّا لو زُوِّدْتُ ببعض مَخطوطات هذا العالم، لتحقيقها خدمة لديننا الحنيف ولغتنا المجيدة.

اسمُهُ وكنيته: قال اليوسي يعرّفُ نفسه: أنا الحسن بن مسعود بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن عمر بن يوسف، وهو أبو القبيلة... والكنية أبو علي وأبو المواهب، وأبو السعود وأبو محمد[1]، وقد وهم عبدُالحيّ الكتّاني حين قال: وهو عجيبٌ فإن جده هذا رابع الآباء، ومع قربه من زمنه تفرعت منه خلائق[2]، في حين قصد اليوسي جَدَّه الحادي عشر حين قال: هو أبو القبيلة، وكنّتْهُ بعضُ كتب التراجم بأبي الوفاء[3] ولقبته مصادر أخرى بنور الدين[4].

ولادته وأسرته: ولد اليوسي سنة أربعين وألف من الهجرة بمنطقة (ملوية) العليا من بلاد فازار، في أسرة ورعة متوسطة الحال، هي إلى الفَقْر أقرب، كان أبوه رجلاً أُمِّيًا مُتَدينًا مخالطًا لأهل الخير، مُحبًّا للصالحين، وكان له أَخَوان أسنّ منه ماتا أُميّين، وله ابن اسمه: محمد، رافقه في رحلاته، وهو الذي جمع ديوانه وسجّل رحلاته.

نسبه: بيّن اليوسيُّ نَسَبَه فقال: أما اليوسي فأصله اليوسفي، إذْ أنَّ يوسف هو أبو

القَبيلة، ويسقطون الفاء في لغتهم[٥]، في حين ذكرت بعضُ المصادر أَنَّ اليوسيَّ نسبة إلى: بني يوسِي، أو آيت يوس، وهي من قبائل المغرب، غير أَنَّ ما ذكره اليوسيُّ عن نسبه أقرب إلى الدقّة والصواب.

نشأته ورحلاته: نشأ اليوسي نشأة دينية؛ إذْ بَعَثَ به والده إلى كُتَّابِ القرية، لحفظ القرآن الكريم، إلّا أنه كان كثير الهرب منه لِما كان عليه من حياء مُفرط، قال: (فكنتُ أتنكَّب المكتب وأكمن في طريق الصبيان، حتى إذا خرجوا من المكتب جئت معهم إلى أهلي، كأني قَدْ قرأتُ معهم، وسبب ذالك أني كنتُ شديد الحياء في صغري، حتى كان الحياء يمنعني من ضروريات نفسي، لأنه أُلقي في وهمي انه من دخل المكتب كيف يتَأَتَّى له أن يخرج لقضاء حاجة الإنسان، وكيف يمكنه أن يذكر ذالك، ويشاور عليه المؤدب، فلم يمكني إلا الهرب)[٦]. إلا أن حال اليوسي تغيرت بعد وفاة والدته، إذ كان لهذا الحادث أثر كبير في حياته، قال: (فتنكرت علي الأرض وأهلها، وكان ذالك سبب الفتح، فألقى الله تعالى في قلبي قبول التعليم فدخلت أتعلم، ولم ألبث إلا قليلًا حتى جعلت أطلب من والدي أن يغربني إلى الأمصار طلبًا للقراءة، فغربني لناحية القبلة فختمت القرآن العظيم)[٧].

ويمكن أن نقسم رحلات اليوسي إلى قسمين: رحلات داخلية، وأخرى خارجية.

رحلاته الداخلية: جال اليوسي بلاد المغرب يتنقل هنا وهناك، يستمع إلى شيوخه، فتعلم مبادىء العلوم عامة والعربية خاصة، إذْ أتاحتْ له هذه الرحلاتُ تنويع ثقافته لتشمل التصوف وعلوم الدين واللغة والأدب؛ خرج أولًا إلى بلاد (القِبْلة)، واطلع على مجموع فيه «المورد العذب» و«بحر الدموع» للإمام ابن الجوزي، قال فيه: (فكنت آخذه أَنْظُر فيه حكايات الصالحين، فانتشرتْ تلك المآثر في عقلي، ودفعت حلاوتها في قلبي، فكان بَدْءًا لي لما أنعم اللهُ به عليَّ من الإيمان بالطريقة ومحبة أهلها والتسليم لهم)[٨]، ثم اتجه إلى (سوس) وبعدها إلى (مراكش) ثم (دكالة) فـ(ايليغ) فـ(درعة)، وقد استغرقتْ هذه الرحلات سنوات متعددة، لم يستقر في موضع معين، قضى أيامه بالدرس والتحصيل، يفكّر

ويتأمّل فحصل على نصيب لا يُستهان به من المعلومات.

أما أهم رحلاته الداخلية فكانت إلى (الزاوية البكرية) في ناحية (الدلاء)، فقد أثَّرَتْ هذه الزاوية في شخصيته وتكوينه العلمي أيما تأثير، إذْ عَرَفَ فيها الاستقرار والاطمئنان، فقد رحل إليها وهو لم يُكمل العشرين من عمره، ومكث فيها أكثر من عشرين عامًا، والزاوية: (مرحلة متوسطة بين الكتاب الذي هو مدرسة ابتدائية، والمدرسة التي هي معهد ثانوي، فالزاوية مدرسة ابتدائية عليا، وهي من حيث الوضع أشبه شيء بـ(الخانقاه الشرقية)[٩]. وقد عرف المغرب زوايا عديدة بعد القرن الخامس الهجري، أشهرها (الزاوية الناصرية) و(الزاوية الفاسية) و(الزاوية العياشية) و(الزاوية البكرية)، وكانت هذه الزوايا تُنْسب إما إلى مؤسسيها، أو إلى المدن التي تقع فيها.

أما (الزاوية البكرية) وتُسَمّى (الدلائية) نسبة إلى بلاد الدلاء فَقَدْ أَسَّسَها محمد ابن سعيد البكري (ت ١٠٢١هـ)، وكان لها نصيب مؤثر في الحياة الفكرية، ولها صيتٌ عظيم، تَخَرّج بها جماعة من صدور العلماء وأعيانهم، وقد عني مؤسس هذه الزاوية بالعلم والعلماء، واهتم بتعليم أبنائه الستة، فكان منهم من يدرس على العلماء الوافدين على الزاوية، ومنهم من ينتقل إلى مدينة (فاس) حتى إذا تَمّ تكوينهم العلمي أقبلوا على التدريس في زاويتهم. وكانت الزاوية تَعْتَمِدُ على دراسةِ أُمّهاتِ الكُتُب في كُلّ علم، وَهي بهذا حَفِظَتْ تراث العلوم والآداب من الضياع، وَيُعَدّ (اليوسي) من أشهر أعلام الزاوية البكرية، حلّ بها في أول صباه ونهل من رحيقها، وأخذ عن شيوخها، حتى غدا أبرز علمائها، يتصدر حلقات التدريس ويعقد المجالس في مختلف أنواع العلوم.

غير انَّ حالة الاستقرار التي نعم بها (اليوسي) لم تَطُلْ، فقد هُدِّمَتِ (الزاوية البكرية) وشرد أهلها وشيوخها وطلبتها بعد أنْ ساءت العلاقة بين الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي (ت ١٠٦٩هـ) والسلطان الرشيد بن الشريف (ت ١٠٨٢هـ)، لأسباب لا مجال لذكرها، وقد أثر هذا الحدث في حياة (اليوسي)، وَأَخَذَ يَتَنَقل بين

مدن المغرب؛ فمن (فاس) رحل إلى (مراكش) ومنها إلى (خلفون) ثم إلى (مكناس) ومنها عـاد إلى (مراكش) فاليـوسي لَمْ تَرُقْهُ أيـة بلدة حلَّ بها بعـد (الزاوية الـدلائية)، وعندي أن هذا التنقّل وعدم الاستقرار قد أثر في نشـاطه التأليفي، خاصة انّ الرجل قد كبر سنـه، وضَعُفَ جسده، فما يكاد ينهي مُصَنَّفًـا، حتى ينتقل إلى بلدة أخرى، فيتـركه دون أَنْ يتمه، لذالك نجد أغلب مصنفاته لمْ تَتِمَّ، كما سنرى ذالك فيما بعد.

رحلاته الخارجية: لم تكن لليوسي رحلاتٌ خارجيةٌ سوى واحدة، هي رحلته إلى (الحجاز) لأداء فريضة الحج، زار خلالها (ليبيا) و(مصر) ففي طريقه إلى الحج، مَرَّ بـ(طرابلس)، وكانت هذه البلدة المحطة الـرئيسة لحجاج المغرب، وَصَلَ (اليوسي) إلى (ليبيا) بصحبـة ولده الشيخ محمد يوم السبـت الثامن عشر من شعبان عـام واحد ومئة وألف للهجـرة، وأقام في دار الشيخ محمد بن أحمد المكني الطـرابلسي، يقول ولده الشيخ محمـد عن هذه الـرحلة: (ثم صبحنـا رباط طـرابلس، عَمَّرَهـا اللهُ تعالى بالإسـلام، وبلغناهـا يوم السبت الثـامن عشر من شعبـان، وهذا اليـوم أول أيام فصل الصيف. وتلقانـا فقهاء المـدينة وأوجهها... ونـزلنا بـدار محبنا الفقيـه الأجل السيد محمد بن أحمد بن محمـد الملقب بالمكني)[١٠]. وأقام اليوسي بـ(طرابلس) عشرة أيام كـاملة، إذ غادرها يـوم الاثنين السابع والعشرين من شعبان، التقى في هـذه المدة مع علماء (طـرابلس) وشيوخهـا من أمثال الشيخ عبدالسـلام بن عثمان التـاجوري، والشيخ علي النـوري وعبدالقـادر الزيني وغيـرهم، وكانت: (أوقـات الفراغ الكثيـرة فرصة للمجالسة والمحاورة وتعميق المودة والاستفادة العلمية)[١١].

وَقَدْ طَلَبَ الشَّيْخُ المكنيُّ من اليـوسيِّ أَنْ يجيزَهُ وأترابه، وَقَـدْ ورد هذا الطلب في نص استدعاء شعري. وقد أجاز اليوسيُّ الشيخَ المكنيَ وأترابه، بنَصّ شعريّ طويل.

ولم يكنْ عبـدُالحي الكتاني مُصيبًـا حين وَصَفَ اليـوسيَّ بأنه (كـان لا يسعى لأهل العلم، ولا يميل إلى سهولة العلاقة بهم)[١٢]، فرحلات اليوسي داخل مدن المغرب، وإقامته بـ(طرابلس) خير شاهد على وهم الكتاني، كما وَهَمَ أبو القاسم محمد كـرُّو حين نَعَتَ اليوسيَّ بـالتَّعَالِي، قال: (وقـد أجابهم الشيخ اليـوسي لما

طلبوه وهو الضنين المتعالي)[١٣]، فاليوسي لم يكن متعَاليًـا. بل كان مُعتَدًّا بعلمه واثقًا من قـدراته، ورعًا تقيًّا، لا يُجـامل الأدعياء، ولا يجالس المنـافقين، فإن وجد عالمًـا يَسْتحق الإجازة منـه أجازه كمـا فعل مع علمـاء (طرابلس) وعلمـاء (فاس) وعلماء (مراكش).

وفي مصر مكث (اليوسي) نحو أربعة أشهر، إلَّا انه لم يأخذ عن أحد، ولم يلتق بعلمائها، قال: (ما بقي بالبلاد المشـرقية من تُشَدُّ له الرحال في طلب العلم... وما كنـا نسمعه قبل مشـاهدتنـا وحضورنـا هذه البلـدة من إفشاء العلم والحث عليـه، وكثرة العلمـاء، وتعاطي الفنـون ومـداولتهـا، لم نَـرَ شيئًا مـن ذالك، إمَّا لـدثـوره وانقراضه بمـوت أهله، وإمَّا من مجازفـة المارِّيْنَ بهذه البلاد وهـذرهم وافتخارهم بذالـك وقد قيل: (حـدِّث عن البحر ولا حـرج، وحدث عن مصـر ولا حرج)[١٤]. وعندي أَنَّ اليوسيَّ لم يكنْ بحالةٍ صحيـةٍ تسمحُ له بلقاء العلماء، فقد نحل جَسَدُهُ وكبر سنـه وأتعبته الرحلـة، فآثر الخلـوة والوحـدة، أو كما يقول عبـدالحي الكتاني (ولعل اليوسي وولـده ما عرفـا إلَّا مَنْ أتى إليهما، فلم يقصدا أحـدًا، لذالك عميتْ عنهما مقامات رجال ذالك الدور)[١٥].

وأيًّا كـان الأمر، فقد غـادر اليوسيُّ مصر مُتَـوجِّهًا إلى (مكـة المكرمة) و(المـدينة المنـورة) لأداء فريضـة الحج، وهي هـدفه من الـرحلـة، وَصَلَ اليوسيُّ إلى مكـة قبل موسم الحج بفترة وجيـزة، ولكُمْ أَنْ تَتَصَوَّرُوا غبْطة الرجل وفرحتـه وهو يلتقي قبر النبي الكـريم ﷺ وقبور أصحـابه المنتجبين، تَحَمَّـل مشاقَّ السَّفـر على كبر سنـه لتحقيق هـدف كلّ مـؤمن، وطئت قدمـاه أرض الـرسـالات المقـدسة، فـانقطع إلى الخـالق العظيم، يـدعو ويصلي، يفكـر ويتأمل، لـذالك لم يَلْتَقِ بعلماء مكـة أو المدينـة، أو بعلماء الأقطـار الإسلامية الوافـدين إلى الحج، وكأنه أراد أَنْ تكونَ رحلته خـالصةً لله جَلَّتْ قدرته، وأرى أَنَّ اليوسيَّ وهو ذالـك العالم الفقيه دارس الأصول والمنطق، خلا بِنَفْسه في تلك البقـاع الطاهرة يستذكـر جهاد المسلمين ويستعرض حملات الرعيل الأول من الصحابة رضي الله عنهم في سبيل نشر الدين الإسـلامي، ولو طال العمر به لكتب عن هذه الرحلة الكثير، إلا انّ الله سبحانه لله تعـالى اختاره إلى جواره بعد عودته

من الحج مباشرة فلقي ربه وقد أتم آخر فريضة في حياته.

شيوخه: قرأ اليوسي علوم العربية من نحو ولغة وأدب، وعلوم الدين من تفسير وفقه وحديث: على شيوخ لهم مكانتهم العلمية والدينية، فأتقن وأجاد. ويمكن أن نقسم شيوخ اليوسي طائفتين: طائفة أخذ عنها قبل (الزاوية الدلائية) وطائفة أخذ عنها في (الزاوية) وهذا ثبت بأسمائهم وتعريف موجز بكلٍ منهم.

الطائفة الأولى:

١ - محمد بن ناصر الدرعي: (ت ١٠٨٥هـ) هو أبو عبدالله محمد بن ناصر الدرعي، قال فيه اليوسي: (وهذا الشيخ هو الذي أخذت عنه ...... وإليه أنسب. وكل من نذكره سواه فانه على طريق انتفاع ما)[16] وكان اليوسيُّ قَدْ مَدحَهُ بقصيدته الدالية المشهورة، التي مطلعها:

عَرِّجْ بمنعرج الهضاب الوُرَّدِ بين اللصاب وبين ذات الأرمد

كما كان الشيخ الدرعي ينوه بقدر اليوسي ويوصي أصحابه به خيراً ويحضهم على اجلاله واكباره، ويهش له إن رآه مقبلاً.

٢ - عبدالقادر الفاسي: (ت١٠٩١هـ) هو أبو عمر عبدالقادر بن علي الفاسي، فقيه صوفي، كان زاهداً في الدنيا، لا يتقوت الا من النساخة، أخذ عنه اليوسي بعض أنواع العلوم.

٣- أحمد بن سعيد: (ت ١٠٩٤هـ) هو أبو العباس أحمد بن سعيد المكيلدي، أَخَذَ عنه اليوسيُّ بعضَ أَنواع العلوم، وولي قضاء (فاس) نحو أربعين سنة.

٤ - محمد بن الحسن المجاصي (ت ١١٠٣هـ) هو قاضي الحضرة الرشيدية بفاس، كان من أهل التَّثَبُّت والتَّحري، وكان مجلسه حافلاً بـ(بمسجد القرويين) وفي هذا المسجد أَخَذَ عنه اليوسيُّ بعضَ أنواع العلوم.

الطائفة الثانية:

شيوخه في (الزاوية الدلائية): ١- أحمد بن عمران الفاسي: (ت ١٠٦٥هـ): هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبدالرحمن بن عمران الفاسي، العلامة

المحدث، الحافظ الأديب البليغ، مفتي (فاس)، والمدرس بـ(جامع القرويين)، أخذ عنه اليوسي «كبرى السنوسي» مع شرحها في التوحيد.

٢- محمد بن أبي بكر الدلائي: (ت ١٠٦٩هـ) علامة أديب، كان عالمًا مشاركًا في الحديث والفقه والنحو والأدب، أخذ عنه اليوسي «تلخيص المفتاح» و«جمع الجوامع» و«ألفية ابن مالك» وكتب الصحاح.

٣- حمدون الأبّار (ت ١٠٧١هـ): هو أبو العباس أحمد بن حمدون بن محمد الأبّار الفاسي، الخطيب البليغ، شيخ الجماعة بـ(فاس)، أخذ عنه اليوسي «مختصر الشيخ خليل» و«ألفية ابن مالك».

٤- محمد بن سعيد السوسي (ت ١٠٨٩هـ): هو أبو عبدالله محمد بن سعيد السوسي، قال فيه اليوسي: احضرت عنده مجلسًا في «ألفية ابن مالك» أيام الحداثة، ثم لقيته بـ(الزاوية البكرية) فجالسته مرارًا(١٧).

تلاميذه: كان اليوسي جوّابًا للبلاد، متبحّرًا في علوم القرآن والحديث، واللغة والأدب والمنطق، تصدر مجالس العلوم والبحث، لذالك كثر الأخذ عنه، وهذا ثبت بأسماء تلامذته:

١- العربي بن الطيب القادري: (ت ١١٠٤هـ) هو أبو محمد العربي بن الطيب بن عبدالسلام القادري الفاسي، كان واسع الاطلاع، له معرفة بالنحو والبيان، أخذ عن اليوسي علوم الحديث والفقه والنحو والبلاغة.

٢- الوكاري الرباطي: (ت ١١١٨هـ) هو أبو الحسن علي بن محمد الوكاري، أخذ عن اليوسي النحو والأدب والمنطق، كان ذكِيًّا حسن الإدراك.

٣- محمد بن بومَدْيَن السوسي (ت ١١٢٠هـ) هو أبو عبدالله محمد بن بُومَدْيَن السوسي، أخذ عن اليوسي تفسير القرآن الكريم، وعلوم الحديث الشريف، والنحو والأدب والمنطق.

٤- محمد بن زاكور (ت ١١٢٠هـ) هو أبو عبدالله محمد بن قاسم بن محمد ابن أحمد بن زاكور الفاسي، شيخ الأدباء في عصره، أخذ عن اليوسي علوم النحو

والأدب والبلاغة والمنطق.

٥- أحمد بن محمد الهشتوكي (ت ١٠٢٧هـ) أخذ عن اليوسي في (الزاوية الدلائية) علوم التفسير والحديث والنحو والأدب.

٦- أحمد بن يعقوب الولالي (ت ١٠٢٨هـ) هو أبو العباس أحمد بن يعقوب بن محمد الولالي، كان مُتَبحِّرًا في العلوم محققًا لها، درس على اليوسي علوم التفسير والفقه والحديث واللغة والأدب والمنطق.

٧- أحمد القادري: (ت ١١٣٣هـ) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن عبدالقادر القادري، الفقيه الأديب، أخذ عن اليوسي علوم النحو والصرف والبلاغة والمنطق.

٨- عبدالوهاب ادرّاق: (ت ١٠٥٩هـ) هو أبو محمد عبدالوهاب بن أحمد ادرّاق، انْتهت إليه رياسةُ الطب في زمانه، وكان إلى معرفته بالطب أديبًا بارعًا ونحويًا متمكّنًا وفقيهًا نظّارًا، أَخَذَ عن اليوسي علوم التفسير والفقه والنحو والأدب والمنطق.

(للبحث صلة)

كلية المعلمين - جامعة بابل - العراق: الدكتور أَسعد محمد علي النجار

الحواشي:

(١) «المحاضرات في اللغة والأدب» ١/ ٢١ لأبي علي الحسن اليوسي، تحقيق د.محمد حجي ود.أحمد اقبال، بيروت ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

(٢) «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات»: ٢/ ١١٥٥: عبدالحي الكتاني، بيروت، د.ت.

(٣) و(٤) «هدية العارفين» م١/ ٢٩٦، اسماعيل باشا البغدادي، طهران ١٣٨٧هـ.

(٥) «المحضرات في اللغة والأدب» ١/ ٢١.

(٦) و(٧) و(٨) «الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام» ٣/ ١٥٥: العباس بن ابراهيم. الرباط ١٩٧٥م.

(٩) «مراكز الثقافة في المغرب» ٥٢: عثمان الكعاك، القاهرة ١٩٥٨.

(١٠) «المخطوطات الليبية في المكتبات التونسية»، أبو القاسم محمد كرو، مجلة المورد، بغداد، مج ١٩ ع٢، ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.

(١١) «المخطوطات الليبية في المكتبات التونسية» ١٧٨.

(١٢) «فهرس الفهارس» ٢/ ١١٥٦.

(١٣) «المخطوطات الليبية» ١٧٧.

(١٤) و(١٥) «فهرس الفهارس» ٢/ ١١٥٧.

(١٦) «الاعلام بمن حلّ مراكش واغمات من الاعلام» ٣/ ١٥٨.

(١٧) «الزاوية الدلائية» ٩٦، الدكتور محمد حجي، الرباط ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

موقف الفقهاء من التسعير في الأسواق الإسلامية(*)

(١)

تمهيد: التسعير معناه وضع ثمن محدد من قبل المسؤولين في الدولة الإسلامية للسلع المراد بيعها في الأسواق، بحيث لا يظلم صاحب السلعة، ولا يرهق المشتري. وبذالك تعني لفظة (التسعير) لغة: القدر الذي يقوَّم عليه الثمن(١).

أما من حيث الاصطلاح، فهو أن يقوم السلطان أو من ينوب عنه بتقدير سعر محدد لبعض السلع المعروضة في الأسواق، ويلزم الباعة على التبايع بما قدره وحدده(٢). أو هو أن يأمر السلطان المسؤولين في الدولة الذين يكون لمهام عملهم مساس مباشر بأهل السوق، بأن يلزموا الباعة بأن لا يبيعوا سلعهم إلا بسعر يحدده هو(٣). وأورد صاحب كتاب «التيسير في أحكام التسعير» قول ابن عرفة الذي مؤداه أن بإمكان حاكم السوق أن يحدد لبائع المأكولات فيه قدراً معيناً للمبيع المعلوم بدرهم معلوم(٤).

حالات ارتفاع الأسعار: لا تتوفر لدينا معلومات كافية وواضحة عن الأسعار وارتفاعها خلال العصور الإسلامية الأولى، إلا أننا لا نعدم من وجود إيماءات هنا وهناك، بين آونة وأخرى. ففي هذا الشأن أشارت كتب الفقه بسند صحيح إلى أن السعر غلا في المدينة على عهد رسول الله ﷺ(٥). كما أشارت كتب التاريخ العام إلى أن السعر ارتفع في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه(٦).

وأشار (البلاذري) إلى ارتفاع أسعار القمح في مكة المكرمة بسبب الحصار الذي فرضه عليها الحجاج بن يوسف الثقفي، حتى بلغ سعر المُدّ(٧) درهمين(٨). وبيع مُدّ الذرة بعشرين درهماً(٩). وروى أبو يوسف أن أسعار المواد الغذائية ارتفعت في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، وطُلِب منه أن يسعر على الناس فرفض وقال: إنما المسعر هو الله. مستنداً في ذالك على موقف للرسول ﷺ، رفض فيه أن يسعر على الناس(١٠). أما في العصر العباسي فترد إشارات كثيرة إلى

حصول ارتفاع شديد ومفاجىء في أسعار السلع المعروضة في الأسواق، ومنها المواد الغذائية التي تشكل قوت الناس اليومي[11].

حكم التسعير: يوجد خلاف بيّن في آراء الفقهاء في مسألة التسعير. ولعل مرد ذالك الخلاف إلى ما روي عن الرسول ﷺ بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: غلا السِّعْرُ في عهد الرسول ﷺ، فقالوا: يارسول الله قد غلا السعر، فسعر لنا. فقال: «إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق. إني لأرجو أن ألقى ربي وليس أحد يطلبني بمظلمة في دم ولا مال»[12]. وفي رواية أخرى عن سالم بن أبي الجعد قال: قال الناس لرسول الله إنَّ السعرَ قد غلا فسّعر لنا سعراً. قال: «إن السِّعر غلاؤه ورخصه بيد الله، وإني أريد أن ألقى الله وليس لأحد عندي مظلمة يطلبني بها»[13]. وفي حديث سفيان بن عيينة عن أيوب عن الحسن، قال: غلا السِّعْرُ على عهد رسول الله ﷺ، فقال الناس: يارسول الله ألا تسعر لنا؟. فقال ﷺ: «إنَّ اللهَ هو المسعر، إنَّ الله هو القابض، إنَّ الله هو الباسط،وإني والله ما أعطيكم شيئاً ولا أمنعكموه ولكن إنما أنا خازن أضع الأمر حيث أُمِرت، وإني لأرجو أنْ ألقى الله وليس لأحد يطلبني بمظلمة ظلمتها اياه في نفس، ولا دم، ولا مال»[14].

وجاء ابن ماجه برواية عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد، قال غلا السِّعر على عهد رَسُولِ اللهِ ﷺ، فقالوا: لو قومت يارسول الله. قال: «إني لأرجو أن أفارقكم ولا يطلبني أحد منكم بمظلمة ظلمته»[15]. ولهذا روى ابن القاسم عن مالك أنه لا يجعل لأهل السوق سعرًا يبيعون عليه[16]. ولكن من استقرائنا لجميع الروايات التي سقناها توًّا لا يوجد بها ما يشير إلى نوع السلعة التي غلا ثمنها في عهد الرسول ﷺ، وهل أنها مادة أساسية في حياة الناس أم لا..؟ كما لا تشير الروايات نفسها فيما إذا أحدث الغلاء الذي حصل ضرراً بالناس أم لا؟. ولم تشر أيضاً إلى مقدار الضرر. وعندي أن رسول اللهِ ﷺ لو شعر بوقوع ضرر على المسلمين لما توانَى قيد أنملةٍ عن دفع هذا الضرر عن عامة المسلمين بكل وسيلة ممكنة. ومن هنا نستطيع أن نقول باطمئنان أن ظاهرة الغلاء التي حصلت في عهد

رسول الله ﷺ يمكن حملها على أن الحاجة لم تكن ماسة جداً بالناس، الأمر الذي لم يستوجب مبادرة جدية ومباشرة لمعالجة تلك الظاهرة التي يبدو أن أثرها كان محدوداً، وأنها لم تستمر مدة طويلة، وفي ضَوْء هذه الفرضيات سوف لا يترتب عليها إلحاق ضرر وظلم واسع بعامة الناس.

قال أبو يوسف: إنّ الأسعار ارتفعت في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز فقال له الناس: لو انك سعرت لنا. قال: ليس إلينا من ذالك شيء، إنما السعر لله[١٧].

وقد استنبط الفقهاء من الأحاديث المذكورة أعلاه أنه لا يحق للمسؤولين في الدولة الإسلامية تحديد سعر البضاعة المعروضة في الأسواق، لان ذالك مظنة للظلم، والباعة أحرار في بيع بضاعتهم بالسعر الذي يرتؤون. على أساس أن مراعاة مصلحة المشتري ليست أَولى من مراعاة مصلحة البائع. قال الشوكاني: الناس مسلطون على أموالهم وممتلكاتهم، والإمام مسؤول عن رعاية مصلحة المسلمين كافة، وليس نظره مختصر حصراً في مصلحة المشتري التي تستدعي رخص ثمن البضاعة التي يريد شراءها. وان إلزام صاحب البضاعة أن يبيع بما لا يرضي به مناف لقوله تعالى: ﴿الاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾[١٨].

آراء الفقهاء في مسألة التسعير: اتفق جمهور من الفقهاء على عدم جواز تدخل المسؤولين في الأسعار، أو تحديد تسعيرة معينة للسلع المعروضة في الأسواق، وبخاصة في حالة عدم ضرورة ماسة لذالك. ففي هذا الشأن قال فقهاء الشافعية: إنَّ تدخل المسؤولين في الأسعار حرام ويجب أن لا يقدموا عليه[١٩]. وأيدهم في ذالك الحنابلة[٢٠]، وكذالك أيدهم فقهاء المالكية[٢١]، والزيدية[٢٢]، وبعض فقهاء الإمامية[٢٣]، وبصيغة أخف. قال الحنفية: لا ينبغي على المسؤول أن يتدخل في عمليات البيع والشراء، ولا يُسَعِّر السلع المعروضة في الأسواق[٢٤]، وفسر قول الحنفية المشار إليه ابراهيم بن محمد الحلبي ت ٩٥٦هـ بأن المقصود من قول فقهاء الحنفية: يكره التسعير. وعادة الكراهية المطلقة تفيد الكراهية التحريمية[٢٥].

واستدل هؤلاء الفقهاء في إصدار حكمهم علـى ما ورد في الكتاب والسنة بهذا الشأن، ذالك أنهم فسروا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذيْنَ آمَنُوا لا تَأْكلُوا أمْوالَكُم بَيْنكُمْ بالبَاطِلِ إلاَّ أنْ تكُونَ تجَارَةً عن تراضٍ منكُم﴾[٢٦]. ففي هذه الآية يخاطب الله عزَّ وجَلَّ المؤمنين ويحذرهم من محاولَةَ أكل أموال الناس بالباطل. وهو الطريق الذي لم تبحه الشريعة، كالسرقة والخيانة والغصب والربا وما شاكل ذالك، إلا ما كان بطريق شرعي كـالتجارة التي أحلها الله تعالى[٢٧]. كما فسروا قـول الرسول ﷺ: «لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب من نفسه»[٢٨]. بانه يتناول مسألة تدخل المسؤول في أمور البيـع والشراء وتسعير السلع المعروضة فـي الأسواق. ويبدو أن الفقهاء الـذين أفتوا بتحـريم التسعير وجـدوا أنفسهم غير قادريـن على تجاوز مضمـون الحـديث النبـوي الشـريف الــذي رواه الصحـابي الجليل أبـو سعيـد الخدري، والذي سبق أن تناولناه[٢٩]. وروي عن الإمام علي رضي الله عنه قوله: أن رسول الله ﷺ، مرَّ بـالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخـرج إلى بطون الأسواق حيث تنظر الأبصار إليهـا. ولما قيل له: لو قومت عليهم. غضب وقـال: «أنَا أُقوم عَلَيْهمْ؟ إنما السِّعْر إلى الله يرفعهُ إذا شَاء ويخفضه إذا شَاء»[٣٠].

والباحث يميـل إلى الرأي الذي يقـول إن الفقهاء لم يكن فـي وسعهم تجاوز مضمون الأحـاديث التي عَدَّت التـدخل في أسعار السلع مظلمـة، والظلم محرم شرعًا. لذا قال صاحب «البحر الـزخار»: يحرم بيع التسعير في القوتين لقوله ﷺ «إن الله هو المسعـر»[٣١]. لكن الذي يثيـر التساؤل هـو أن المصادر التي أوردت الحديث بصيغه المتعددة لم تذكر مـدى الأضرار التي ألحقت بالناس، ولا المدة الزمنيـة التي شملها الغلاء، ولا نوع السلعـة التي غلا سعرها، وإن كـانت القرائن تشير إلى أنها من مـواد الطعام الأساسية. ومع ذالك فإن مضمـون الحديث يشير بـدون لبس ولا غموض إلى أن الـرسـول ﷺ لم يسعر علـى الناس حين سألـوه ذالك، لأنه رأى تلك الحالة لا تستوجب التسعير، لكون ارتفاع السعر وانخفاضه أمر تفرضه طبيعة الأسواق وفق قـانون العرض والطلب. هذا فضلاً عن أن منطقة

المدينة لم تكن منتجة للسلع، ولم يكن الباعة فيها أناسًا معينين ليسعر عليهم(٣٢). ومع ذالك فان امتناع الرسول ﷺ يشير إلى عدم جواز التسعير، فان التسعير فيه مظلمة يجب تجنبها والابتعاد عنها وإلا ارتكب المحرم شرعاً.

موقف الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه): اتكأ بعض الفقهاء ممن كان يرى أن من حق المسؤول في الدولة أن يسعر السلع المعروضة في الأسواق على الرواية الوحيدة التي مؤدَّاها أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان قد تدخل في السعر وفرض سعراً محدداً على الصحابي حاطب بن أبي بلتعة الذي كان يبيع الزبيب في سوق المصلى في المدينة (فسعر له مُدَّيْن بدرهم)(٣٣). وقد خيل لمن كان يميل إلى جواز التسعير أن الخليفة عمر رضي الله عنه اجتهد فأصاب، وعلى من يأتي بعده أن يسير على نهجه في هذا الأمر، ويأخذ بجواز التسعير لأن ذالك لا يتعارض مع مبادىء الشرع.

إلا أن الذي يتمعن بمضمون الرواية لا يحتاج إلى عناء كبير حتى تتضح أمامه الحقيقة من جميع جوانبها. وذالك أن الخليفة عمر رضي الله عنه عندما سعَّر سعَّر أعلى من السعر الذي كان يبيع به حاطب(٣٤)، وهذا بعكس ما هو مألوف في حالة إقدام المسؤول بتحديد سعر بضاعة في السوق. ذالك أن خطوة المسؤول عادة تميل حتمًا إلى تخفيض السعر وليس زيادة فيه كما فعل الخليفة عمر رضي الله عنه.

وفي رواية سعيد بن المسيب المشار إليها خاصية أخرى لا يمكن إغفالها أو تجاوزها. ذالك أن هذه الرواية تشير إلى أن الخليفة سرعان ما راجع قراره فتلمس أن إلزامه حاطب بن أبي بلتعة بسعر محدد فيه تجاوز عليه، ومظلمة له، لذا نراه يَحُثُّ الخطا مسرعًا إلى بيت حاطب مستدركًا، فقال له: إن الذي قلت لك ليس بعزيمة مني ولا قضاء، وانما هو شيء أردت به الخير لأهل البلد. فحيث شئت فبع، وكيف شئت فبع. ولا نرى الخليفة عمر رضي الله عنه إلا مضطراً لهذا الاستدراك انسجامًا مع مبادىء الشرع والنهج الذي سار عليه الرسول ﷺ، الذي

يؤكد أن الناس مسلطون على أموالهم، ولا يحق لأحد أن يأخذ شيئًا منها إلا بطيبة أنفسهم[٣٥]. فابن قدامة أكد على أن المال للبائع فلا يحق للمسؤول أن يمنعه من بيعه[٣٦]. كما أن لصاحب المال الحق في تحديد قيمة السلعة التي يروم بيعها، وليس من حق أحد أن يحرمه هذا الحق المكتسب. فأي تدخل من جانب المسؤول في تقدير ثمن السلعة يُعَدّ نوعًا من الحجر عليها، وهذا مما لا يجيزه الشرع[٣٧]. وفضلاً عن ذالك فإن بعض الفقهاء تلمس أن إقدام المسؤولين في الدولة على وضع تسعيرة محددة لا تتلاءم مع الواقع وكلفة السلعة ستؤدي حتمًا حصول الغلاء والتضييق على الناس، ذالك أن الباعة سوف يحجمون عن جلب سلعهم إلى بلد يتوقعون أن المسؤولين فيه سوف يلزمونهم بسعر محدد لا يحقق لهم مقدارًا معقولاً من الربح. الأمر الذي سيجعل كمية السلع المعروضة في الأسواق قليلة، فيرتفع ثمنها وبذالك لا يتحقق الغرض الذي استهدفه المسؤول في الدولة[٣٨]. وهنا يتضح أن النصوص لا تبيح للمسؤولين في الدولة الإسلامية التدخل في الأسعار وفرض ثمن محدد للسلع المعروضة في الأسواق[٣٩].

(للبحث صلة)

جامعة بغداد - كلية الآداب: د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي:

(*) ليس من هدف هذا البحث الولوج في الجوانب الفقهية، وإنما هو استعراض تاريخي لهذه المسألة.

(١) الفيروز أبادي «القاموس المحيط»، ج ٢، ص ٤٨. ابن منظور، «لسان العرب»، (مادة سعر).

(٢) مصطفى السيوطي الرحباني «مطالب أولي النهى»، جـ٣، ص ٦٢.

(٣) الشوكاني، «نيل الأوطار»، جـ٥، ص ٣٣.

(٤) المجيلدي، «التيسير في أحكام التسعير»، ص ٤١.

(٥) أبو يوسف، «الخراج»، ص ٤٩ و٣٢. ابن ماجة «سنن»، جـ٢، ص ص ٧٤١- ٧٤٢.

(٦) الطبري، «تاريخ الرسل»، جـ٤، ص ٩٨ و١٠٠. ابن الأثير «الكامل» جـ٢، ص ٣٨٩. ابن سعد «الطبقات» جـ٣، ص ٢٠٣.

(٧) المُدّ: مكيال إسلامي يساوي رطلين، وفي رواية أخرى رطل وثلث بالبغدادي. أو هو ملء كفي الإنسان

المعتدل إذا ملأهما ومد يده بهما. (ينظر أبو عبيد «الأموال» ص ٥١٧. و٥٣٦. الخوارزمي «مفاتيح العلوم» ص ١٩. الطوسي «النهاية» ص ١٩١.

(٨) البلاذري «أنساب الأشراف»، جـ٤/ قسم ٢، ص ٣٤.

(٩) ن. م، ص ٤٦.

(١٠) ن. م، ص ١٣٢.

(١١) مسكويه «تجارب الأمم» جـ١، ص ٧٣، ٧٤، ٧٥، وجـ٢، ص ٢٥ و٩١ و٩٥ و١٢٨. الصولي «أخبار الراضي بالله والمتقي بالله» ص ٧١. ابن الجوزي «المنتظم» جـ٦، ص ١٥٦. ابن الأثير «الكامل» جـ٥، ص ١٥٧ و١٦٠ و٢٠٤ و٢٠٥ و٢٦٩، ٣٧٢. وجـ٦، ص ٧٨ و١٦٣ و٢٤٩ و٢٨١ و٣٢١ وجـ٧ ص ١٠٨ و١١٢ و١٢٢ و١٦٢ و٢٢٧ و٢٥٤ و٣١٢ و٣٢٣.

(١٢) ابن ماجة «سنن» جـ٢، ص ص ٧٤١- ٧٤٢.

(١٣) أبو يوسف «الخراج»، ص ٤٩.

(١٤) ن.م. ابن الاخوة «معالم القربة في أحكام الحسبة» ص ١٢٠.

(١٥) ابن ماجة «سنن» جـ٢، ص ٧٤٢.

(١٦) المجيلدي «التيسير» ص ٤٨.

(١٧) أبو يوسف «الخراج» ص ١٣٢.

(١٨) سورة النساء، آية ٢٩.

(١٩) ينظر: ابن حجر الهيتمي «تحفة المحتاج بشرح المنهاج» جـ٢، ص ٤٩. الرملي «نهاية المحتاج» جـ٣، ص ٤٥٦. ابن الاخوة «معالم القربة» ص ٢٠.

(٢٠) ينظر: ابن قدامة «المغني» جـ٤، ص ص ٢٨٠- ٢٨١، المرداوي «الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف» جـ٤، ص ٣٣٨، مصطفى السيوطي «مطالب أولي النهى» جـ٣، ص ٦٢.

(٢١) المجيلدي «التيسير» ص ٤٨.

(٢٢) ابن المرتضى «البحر الزخار الجامع لذاهب الأمصار» جـ٣، ص ٣١٨.

(٢٣) العاملي «مفتاح الكرامة» ص ١٠٩.

(٢٤) المرغيناني «الهواية» جـ٨، ص ١٢٧، الكاساني «بدائع الصنائع» جـ٥، ص ١٢٩، الزيلعي «تبيين الحقائق» جـ٦، ص ٢٨.

(٢٥) ابن عابدين، جـ٥، ص ٣٥٢. (مطبوع بهامش مجمع الأنهر)، الزيلعي «تبيين الحقائق» جـ٦، ص ٢٨.

(٢٦) سورة النساء، آية ٢٩.

(٢٧) الصابوني «صفوة التفاسير» جـ١، ص ٢٧١.

(٢٨) الكاساني «بدائع الصنائع» جـ٥، ص ١٢٩.

(٢٩) ابن ماجة «سنن» جـ٢، ص ٧٤١.

(٣٠) الطوسي «تهذيب الأحكام» جـ٧، ص ص ١٦١- ١٦٢.

(٣١) ابن المرتضى «البحر الزخار» جـ٣، ص ٣١٨.

(٣٢) ابن تيمية «الحسبة» ص ٣٦.

(٣٣) مالك «الموطأ» جـ٥، ص ١٧.

(٣٤) ن.م.

(٣٥) ابن قدامة «المغني» جـ٤، ص ٢٨١. البهيقي «سنن» جـ٦، ص ٢٩.

(٣٦) ابن تيمية «الحسبة» ص ٣٢.

(٣٧) ابن قدامة «المغني» جـ٤، ص ٤٨١.

(٣٨) الزيلعي «تبيين الحقائق» جـ٦، ص ٢٨.

(٣٩) ابن قدامة «المغني» ٤/ ٤٨١، ابن قدامة المقدسي «الشرح الكبير» ٤/ ٤٤.

حملة مصطفى باشا على البحرين عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م

(٢)

حصار البحرين: خرج مصطفى باشا للبحرين في ١٣ رمضان ٩٦٦هـ/ ١٩ يونيو ١٥٥٩ وبدأ بحصار قلعة المنامة على الساحل الشمالي للجزيرة[١]، أما مراد ريس، حاكم البحرين، فقد جمع رجاله وقواته وخرج لملاقاة الباشا مرارًا للإشتباك بشدة مع القوات العثمانية[٢]، كما أنه صد عدة محاولات عثمانية جادة لاقتحام القلعة[٣].

وفي الوقت نفسه قام مراد ريس بإخطار البرتغاليين الموجودين في جزيرة هرمز عن الهجوم العثماني، وطلب المساعدة منهم[٤]، وفي يوم ٢٦ رمضان/ ٢ يوليو أرسل الحاكم البرتغالي لهرمز أسطولًا يتكون من ٢٢ غراب[٥] لمساعدة البحرين، فاتجهت ١٠ منهم باتجاه البصرة، ربما لجمع معلومات عن الأسطول العثماني، بينما توجهت الاثنتا عشرة سفينة الباقية للبحرين، حيث أغرت السفن البرتغالية القادرغتين العثمانيتين للخروج من الميناء لعرض البحر، وتحركت السفن البرتغالية باتجاه القطيف، فلحقهم محمد بك، وهو قائد (سردار) الأسطول العثماني، وهنا تمكنت سفينة برتغالية من الاقتراب للميناء، وأحرقت سفن المؤونة العثمانية التي كانت راسية في ميناء البحرين[٦]، ثم رجع محمد بك إلى ميناء البحرين دون تحقيق شيء ضد البرتغاليين.

وفي ٣ شوال/ ٩ يوليو تمكن البرتغاليون من دخول ميناء البحرين دون أن يراهم العثمانيون وأسروا القادرغتين العثمانيتين مع المدافع التي كانت على متنها، وقتل قائد عثماني مع بعض الجنود في المناوشات التي دارت بين الطرفين، كما أسر البرتغاليون بعض العثمانيين[٧]، كما طوّق البرتغاليون سفنهم حول جزيرة البحرين لمنع العثمانيين من إرسال مؤونة لقواتهم الموجودة في البحرين[٨]، وحدث كل ذلك بينما يحاصر مصطفى باشا المنامة، والآن قد حوصر من قبل البرتغاليين الذين أحرقوا سفن مؤونته واستولوا على قادرغاته، وعزلوه عن ولاية

الأحساء، وفي تلك اللحظة الحرجة جمع مصطفى باشا رجاله للمشاورة، وفي الاجتماع اقترح مصطفى باشا عقد صلح مع مراد ريس، حاكم البحرين، وذلك عن طريق رفع الحصار عنه، وإعطائه أموالًا لنقلهم للأحساء، ولكن كاتب التقرير رفض الفكرة وصرح قائلًا: (ليس لنا سبيل للخلاص إلا عن طريق قصف وأخذ القلعة، لأننا إذا رفعنا الحصار، فإن الفرنجة سيتحدون مع بك (حاكم) القلعة وسيحضرون مزيدًا من القوات لقتالنا، وإلا فإنهم لن يتركونا حتى نموت من الجوع على هذه الجزيرة)[٩].

ولم يتفق رأي الباشا مع هذا الكلام، ورفع الحصار وسحب قواته، وخيّم وسط بعض أشجار النخيل بعيدًا عن مرمى مدافع القلعة[١٠]، وبعد ثمانية أيام، اتحد البرتغاليون مع جنود العجم تحت إمرة مراد ريس، ومع بعض المقاتلين العرب بقيادة ابن رحّال، وساروا متوجهين للقوات العثمانية، وهنا أخذ كاتب التقرير ٢٠٠ فارس من جنود بغداد، وعمل كمينًا خلف بعض الشجيرات، ونتيجة للضغط البرتغالي أجبرت القوات العثمانية على التراجع في البداية، ثم انقضّ العثمانيون على البرتغاليين، وكانت النتيجة بأن قتل قائد برتغالي مع سبعين آخرين، ووقع ثلاثون آخرون في الأسر، فجمع مراد ريس قواته وتراجع للقلعة[١١].

واجه مصطفى باشا هنا نقص شديد في المؤونة والذخيرة، مما اضطره إلى إرسال واحدٍ من الأسرى البرتغاليين إلى بيرو بيكسوتو Pero Peixoto القائد البرتغالي ساعيًا وراء الصلح، وعاد الرسول طالبًا إطلاق سراح كل الأسرى، وترك كل المدافع والخيول والأموال، مقابل توفير وسيلة مواصلات لنقلهم إلى الأحساء، وفي هذا الوقت تلقى القائد البرتغالي معلومات مفادها بأن نورنها Noronha القائد البرتغالي لهرمز، سيأتي لنجدة البحرين محضرًا معه ٣٠٠٠ أعجمي بالإضافة إلى المؤونة والذخيرة، كما أخبره (نورنها) بعدم الإتفاق مع العثمانيين حتى وصوله للبحرين، وهنا توقفت المفاوضات لبعض الوقت، وربما كان البرتغاليون ينتظرون قدوم تعليمات من لشبونة[١٢].

ثم استقبل مصطفى باشا المندوب البرتغالي الذي أرسل لرؤية الأسرى البرتغاليين، فرحب به الباشا وطلب مساعدته كوسيط بينه وبين نورنها من أجل الصلح[١٣]، وفي الوقت نفسه فإن القوات العثمانية بقيت تعاني من الجوع شهرين على الجزيرة بسبب نقص المؤونة، ولم يكن لهم ما يأكلونه سوى التمر، ولذلك فإن الضعفاء منهم قد أجبروا على أكل لحم الحمير من أجل استعادة قوتهم[١٤].

وفي إحدى الأيام جاء مسؤول برتغالي كبير إلى البحرين من هرمز للتفاوض مع العثمانيين، واختير كاتب التقرير لمقابلة المسؤول، وذهب للقلعة حيث قابل مراد ريس، وتحدثا عن أمور الصلح، وقال المندوب العثماني بأن السلطان سيرسل تعزيزات بسرعة لنجدة العثمانيين على الجزيرة، فأوضح مراد ريس استياءه بأنه قد قدّم ولاءه وطاعته للسلطان العثماني واستلم منه معاهدة (عهد نامه)، ورغم ذلك فإن السلطان قد أرسل قواته ضد الجزيرة[١٥]. فأجاب كاتب التقرير بأن السلطان سليمان لا يعلم شيئًا عن هذه الحملة، وأنها نفذت دون علم الحكومة، كما أخبره بأنه إذا ساعد القوات العثمانية على الرجوع للأحساء، فإنه سيكون محلًا لرضى ومنح السلطان، وفي النهاية أوضح مراد ريس استعداده لإرجاع القوات العثمانية للأحساء[١٦]، ورجع المندوب العثماني إلى مخيّم الباشا وأخبره عن فحوى اجتماعه مع مراد ريس.

وبعد سبعة أيام تلقى مراد ريس مدد من ٤٠٠ جندي أرسلوا من بردستان من فارس - من الساحل الشرقي للخليج - ووضعهم في مخيّم قرب القلعة، فجهّز الباشا كاتب التقرير ببعض الجنود للهجوم على هذا المدد، فقام بهجوم ليلي عليهم، وأوقع بهم خسائر فادحة.

وفي الوقت نفسه، جاء نورنها، القائد العثماني لهرمز، مع وزير شاه هرمز مصطحبين معهم قوات كبيرة[١٧]، وفي هذا الوقت فإن الجنود المسلمين العاملين تحت امرة البرتغاليين كانوا يبيعون المواد الغذائية سرًا للعثمانيين، وكان نورنها على علم بذلك، وقبض على بعض ممن اشترك في ذلك وشنقهم علنًا[١٨]، وفي الوقت

نفسه، فإن مصطفى باشا، أمير أمراء البصرة والقائد العثماني للحملة قد مات في بدايات محرّم من عام ٩٦٧/ اكتوبر ١٥٥٩. فاختار بقية الأمراء والجنود العثمانيين كاتب التقرير قائدًا للقوات العثمانية[١٩]، وذهب القائد العثماني الجديد للبرتغاليين للتفاوض معهم، ولكن البرتغاليين أصرّوا على أن يسلّم العثمانيون كل الأسرى والأسلحة، وتوقفت المفاوضات إلى أن تدخل سلطان علي[٢٠]، أمير أو حاكم القطيف، في المفاوضات، واتفق مع نورنها، حاكم هرمز على دفع ١,٠٠٠,٠٠٠ اقجه (أون يوك)، وعلى إعطائه خيول وأسلحة الجنود[٢١]، كما أعطاه بالإضافة إلى ذلك سيفًا مرصعًا بالذهب (وربما هو سيف مصطفى باشا) وغيره من المعدات النافعة[٢٢]، وبالمقابل فإن البرتغاليين قد أحضروا سفنًا لنقل العثمانيين إلى القطيف في ٥ صفر ٩٦٧ نوفمبر ١٥٥٩، وتقول المصادر البرتغالية بأن عدد العثمانيين الذين اجتازوا الصعاب والمجاعة والمرض وعادوا سالمين إلى الأحساء لم يزيدوا عن ٢٠٠ رجل[٢٣]، وعادت القوات العثمانية للأحساء بعد أن عانت الجوع في البحرين لأربعة شهور كاملة[٢٤].

الرد الرسمي لحملة البحرين: قام أمير أمراء البصرة باخطار الحكومة عن المغامرة التي قام بها مصطفى باشا وما آل إليه حال القوات العثمانية التي غزت البحرين[٢٥]، ان رد فعل الحكومة على الأخبار السيئة التي تلقّتها عن غزو البحرين يوجد في مهمة دفتري Mühimme Defteri رقم ٣، وعبر عنه على شكل ثلاثة أحكام وسلّمت كلها إلى ناقل واحد يعرف باسم جاوش محمد في ٢٨ ذو الحجة ٩٦٦/ ١ اكتوبر ١٥٥٩ وقد أرسل الأول إلى حاكم البحرين مراد شاه[٢٦]، وقد ذكّر فيه بأنه أرسل رجاله عدة مرات لأستانبول من أجل تقديم ولاءه واخلاصه، وأنه أعطى برات berat (وهو حكم بالتعيين من قبل السلطان) بتعيينه سنجاق بك على البحرين، كما أخبر بأن الأمراء وبقية أصحاب المناصب في تلك المنطقة قد أعطوا تعليمات واضحة بعدم التدخل في البحرين، إلا أن مصطفى باشا، أمير أمراء الأحساء، مع بعض القادة والقوات غزوا البحرين، وهذا دفع مراد ريس

لاتخاذ اجراءات معينـة لصدهم عن طريق طلب المساعدة من البـرتغاليين، لذلك فإن مصطفى باشا مع اتباعه قد عزلوا لغزوهم البحرين بدون أوامر، وأن أمير أمراء جـديـد قد عيّـن (في الحقيقة إن مصطفى بـاشـا كـان قـد مـات عند ارسـال هـذه الرسالة)، وأخبر بأن يساعد القوات العثمانية للرجوع إلى أماكنها في الأحساء وأن يتعاون مع الأمراء العثمانيين في منع البرتغاليين من إيذاء المنطقة والقوات[٢٧].

والحكم الثاني أرسل إلى أمير أمراء البصرة، كرسالة جوابية على خطابه الذي أرسله لاستانبول، حيث وصف فيها ما حدث في البحرين وطلب تزويده بالسفن والعتاد والأسلحـة من أجل حماية منطقة البصـرة من أي خطر برتغـالي قد يقع. وطلب منـه في أول الأمـر وقبل كل شيء بأن يجـد شخصًـا مناسبًـا لنقل الأمـر السلطاني الشريف إلى البحرين، وأن يرسل من جـانبه رسائل استمالة (استمالت كونه) إلى مراد ريس لارجاعه للصف العثمـاني، كما أمر بأن يشرح حالة القوات الباقية في البحرين، وأن يسعى بكل ما يملك بأن يحاول ارجاع القوات للأحساء بأقل خسائر ممكنة ودون احداث أيـة أضرار. ودعي إلى أن يعيش بسلام مع كل القادة الذين أظهروا ولاءهم للسلطان، وبعدم التدخل في شؤونهم الداخلية، وأن يطلب إذن الحكـومة إذا دعت الضـرورة لذلك. وقـد أخبر في آخـر الرسالـة بأن مكتب إمـارة (بكلـربكلك) ولايـة الأحساء قـد منحت لمـراد بك، سنجـاق بك (حاكم أو أميـر) الموصل[٢٨]. إنه من الـواضح جداً من الوثيقتين بأن الحكـومة كانت حريصة على ارجاع القوات سليمة وآمنة في الأحساء.

أما الأمـر الثالث فقد أرسل إلى مـراد بك، سنجاق بك الموصل، وأخبـر فيها بأنه قد رقي وأعطي ايالة الأحساء[٢٩]، وطلب منه الاسراع إلى ولايتـه الجديدة، وعند وصوله إلى هنـاك بأن يتعاون بطريقة أخوية مع كـل الأشخاص الذين قبلوا بالولاء العثماني سواء كانوا شيوخًا عربًا أو قادة قبائل أو عشائر[٣٠].

(للبحث صلة)

جامعة الكويت / قسم التاريخ: د. فيصل بن عبدالله الكندري

الحواشي:

(١) مع أن المنامة لم تذكر بالاسم إلا أن جنكيز أورهنلو في C. Orhonlu ("Rapor", p. 5) وصالح اوزبران S. Ozbaran. "Bahrain in 1559". Osmanli Arastirmalari. II (1982). p. 23. قالا بأن قلعة البحرين كانت في المنامة. في واقع الأمر فان أول ذكر للمنامة يوجد في مهمة دفتري رقم ٢٧ ص ١٩٧ ويعود تاريخها لعام ٩٨٣/ ١٥٧٥ وتظهر الوثيقة بأن المنامة كانت ميناء البحرين وكان بها قلعة.

(٢) TSMA. E 3004. p. 1.40.

(٣) Ozbaran. "Bahrain". p. 94.

(٤) مهمة دفتري ٣، ص ١٣٩ - ١٤٠، ص ٢٥٨.

(٥) الغراب نوع من السفن ذات المجادف.

(٥) TSMA. E 3004. p. 1 مهمة دفتري ٣، ص ١٣٩.

(٦) TSMA. E 3004 p. 1 مهمة دفتري ظ، ص ١٣٩.

(٧) Ozbaran. Ottoman Turks. p. 71.

(٨) TSMA. E 3004 p.2.

(٩) المرجع نفسه، نفس الصفحة.

(١٠) Ozbaran. Ottoman Turks. p. 722 73.

(١١) TSMA. E 3004. p. 2.

(١٢) ذكر كاتب التقرير لشبونة فجأة في تقريره وذلك بقوله: (لشبونة مدينة تقع شمال مضيق سبتة، وهي توصل بستة أشهر بالسفن من هرمز). وهذا قد يدل على أن البرتغاليين كانوا ينتظرون تعليمات من هناك.

(١٣) Ozbaran. "Bahrain". p. 98.

(١٤) TSMA. E 3004. p. 3.

(١٥) صرّح مراد ريس بأن اعلان ولاءه واخلاصه للسلطان العثماني قد تم قبل هذه الحملة.

(١٦) TSMA. E 3004. p. 3.

(١٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(١٨) Ozbaran. "Bahrain". p. 100- 101.

(١٩) TSMA. E 3004. p. 3 وصرّح اوزبران بأن محمد بك أخذ مكان مصطفى باشا بعد وفاته، (انظر: Ozbaran. "Bahrain". p. 101).

(٢٠) شغر سلطان علي منصب حاكم (سنجاق بك) صدر سويب في البصرة سابقاً، وعيّن سنجاق بك على القطيف في ٢٥ جمادى الأولى ٩٦١/ ٢٩ مايو ١٥٥٤ براتب وقدره ٢٥٠,٠٠٠ اقچه (انظر: BDA. Maliyyeden Müdevver. no 17642. p. 718). ثم نقل إلى سنجاق بك أبو غربة في البصرة أيضاً في ٣ صفر ٩٦٦/ ١٥ نوفمبر ١٥٥٨ (انظر: BDA. Tabu Tahrir. no 313. p. 334). وانه من الغير واضح متى رجع سلطان علي إلى القطيف.

(٢١) الظاهر من الوثائق بأن سلطان علي كان يتنقل بين القطيف والبحرين، كما يبدو بأن العثمانيين كان ينقصهم المال، لذلك كان على سلطان علي بأن يرجع للقطيف لجمع المبلغ الذي طلبه البرتغاليون، وأجبر على بيع اللآلىء الخاصة (خاصة انجوسي) التي ترجع للدولة (؟) والتي كانت قد أبقيت أمانة في القطيف، وقد أعطيت لأشخاص بارزين في القطيف بعضها بطريق الرهن والآخر عن طريق البيع. (انظر: مهمة دفتري ٣، ص ٣٨١ رقم ٢).

(٢٢) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨١ رقم ٢.

(٢٣) صفوت بك، «بحرين ده بر واقعه»، ص ١١٤٠، Orhonlu. "Rapor". p. 9; Ozbaran, "Bahrain", p. 103.

(٢٤) TSMA. E 3004. p. 4 انظر ترجمة تقرير حملة البحرين.

(٢٥) مهمة دفتري ٣، ص ١٤٠.

(٢٦) يطلق عليه في العادة مراد ريس، ولكن اطلق عليه لقب شاه في الحكم المرسل إليه ربما رغبة في اقناعه للبقاء موالياً للعثمانيين.

(٢٧) مهمة دفتري ٣، ص ١٣٩ رقم ١.

(٢٨) مهمة دفتري ٣، ص ١٤٠ رقم ١.

(٢٩) لا تذكر الوثيقة أي شيء عن السبب الحقيقي لترقيته، كما أنها لا تذكر أي شيء عن شؤون البحرين.

(٣٠) مهمة دفتري ٣، ص ١٤٠ رقم ٢.

النسب عند العرب والتصنيف فيه
حتى منتصف القرن الثالث الهجري
(٢)

مناهج أشهر المصنِّفين في النَّسب حتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري:

رغم كثرة ما صنف في النسب، فإنه لم يصل إلينا من الكتب إلا القليل النادر منها، وقد ذكر ابن النديم فقط في كتابه «الفهرست» أكثر من مئة مُصنّف في النسب[١]، عدا كتب الطبقات التي نُظِّمت على النسب وكتب الأخبار وتراجم الرجال، وإن الحديث عن مناهج هذه الكتب لا يتأتى إلا بالاطلاع عليها ودراسة محتوياتها، لذا سيتم قصر الحديث عن الكتب التي وصلت إلينا فقط.

كما يجب التفريق بين عدة أنماط سلكها من صنّف في النسب، فهناك كتب النسب العامة، وهي التي تطرقت لنسب قبيلة بعينها أو قبائل العرب كافة، وهذه هي التي تهمنا بالدرجة الأولى. وهناك كتب المؤتلف والمختلف، وهي التي عُنيت بضبط الأسماء والأنساب التي يتشابه رسمها وصورة خطها ويختلف لفظها؛ حتى لا يقع اللبس والتصحيف فيها[٢] . ومنها كتب الرجال، والتي أخذت بدورها عدة أنماط، مثل التنظيم على النسب، والتنظيم على الطبقات، والتنظيم على المدن، والتنظيم على حروف المعجم، وبعضها مزجت بين بعض هذه الأنماط[٣]، وسيتم التطرق لما له صلة واضحة بعلم أنساب القبائل من هذه الكتب. وثمة أنماط أخرى ظهرت بعد ذالك، لكنها غير داخلة في نطاق هذه الدراسة.

ويلاحظ على كتب النسب العامة، وهي التي تطرقت لنسب قبائل العرب عامة، أنها سلكت منهجًا واحدًا في الترتيب، إذ بدأت بنسب القبائل العدنانية؛ لأن الرسول ﷺ منهم، ثم ابتدأت من ولد عدنان بقريش، ثم من قريش بالأقرب فالأقرب من الرسول ﷺ، ثم الأقرب فالأقرب من قريش، حتى تنتهي القبائل العدنانية، ثم القبائل القحطانية، وتبتدىء بالأنصار، ثم الأقرب فالأقرب منهم. وهذا التسلسل هو الذي اتبع في تدوين

الديوان بناء على أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما سلف، بل إن بعضهم أخذ النسب من الديوان مثل محمد بن إسحاق(٤).

وثمة ملاحظة أخرى، وهي أن كتب الأنساب مزجت بين سرد النسب وبين الأخبار والأحداث المتعلقة بالقبيلة وأعلام أشخاصها، على أنه يجب التمييز بين الكتب التي جعلت من النسب مادتها الأولى، وبين الكتب التي غلبت الأخبار عليها، فمن الصنف الأول: كتاب «حذف من نَسب قريش» لمؤرج بن عمرو، وكتاب «جمهرة النسب»، وكتاب «نسب معَد واليمن الكبير» وهما لابن الكلبي، ومن الصنف الثاني: كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد، وكتاب «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكار، وكتاب «أنساب الأشراف» للبلاذُري.

ولا ريب أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين النسب وبين الأخبار(٥)، وإنما يُعرف الأعيان وتُعرف أنسابهم وأحوالهم بمعرفة أخبارهم، حتى أن ابن الأثير أشاد بكتاب ابن عبدالبر «الاستيعاب»؛ لأنه (استقصى ذكر الأنساب وأحوال الشخص ومناقبه، وكل ما يعرف به، حتى إنه يقول: هو ابن أخي فلان وابن عم فلان وصاحب الحادثة الفلانية)(٦)، كما انتقد ابن مندة وأبا نعيم في كتابيهما في الصحابة؛ (لأنهما أكثرا من الأحاديث والكلام عليها وذكر عللها، ولم يكثرا من ذكر نسب الشخص ولا ذكر شيء من أخباره وأحواله وما يعرف به)(٧). لكن من الواضح أن بعض المصنفين اختصر الأخبار بالقدر الذي يكفي لمعرفة الشخص وتمييزه، وبعضهم أطال وأطنب في تتبع وذكر الأحداث والأحوال، ويبدو أن هذا راجع إلى المراحل التطورية التي مرت بها كتب النسب، وإلى أهداف وأغراض المصنفين في هذا الفن. وفيما يلي سردٌ لأهم كُتب النسب مع بيان مناهج مؤلفيها:

١ - كتاب «حذف من نَسب قريش» لمؤرج بن عمرو السدوسي (ت ١٩٥)، وهو أقدم كتاب وصل إلينا من كتب الأنساب، وقد طبع بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد. وكما هو واضح من اسمه أنه كتاب مختصر في أنساب القرشيين، وقد قال المصنف فيه: (هذا كتاب حذفٍ من النَّسب؛ ولو كتبت كتاب استئصال

لشغلتني سيرة النبي ﷺ وسيرة بني العباس دهرًا)[٨]. وعـدد صفحات المطبـوع (٩٤) صفحة، من القطع المتوسط.

وابتدأ المصنف ببني هـاشم بن عبد مناف وحلفـائهم، ثم بني المطلب بن عبد منـاف وحلفـائهم، ثـم بني عبـد شمس وحلفـائهم، وبني نـوفـل بن عبـد منـاف وحلفائهم، ثم بـاقي بطون قريش: (بنـي عبد الدار بن قصي، وبني عبـد العزى بن قصي، وبني عبـد بن قصي، وبني زهرة بن كـلاب، وبني مخزوم بن يقظـة بن مرة، وبني تيم بن مـرة، وبني عـدي بـن كعب، وبني سهم بن عمـرو بن هصيص بن كعب، وبني جمح بن عمرو).

وتَغْلِبُ مـادة النّسب فيه على الأخبـار وأحـوال الأشخاص، وإن ذكَـرَ شيئًا منهـا فباختصار واقتضاب، مثل ذِكـره خبر عام الرمادة[٩]، وخروج عبدالله بن معاوية على يزيـد بن الـوليد[١٠]، وذِكـره خبر القسـامـة في الجاهليـة[١١]، وخبر سـرقة غـزال الكعبة[١٢]، وغيرها[١٣]. وفي أغلب الأحيان لا يذكر عـن العَلَم إلا نوع مشاركته في الحدث فقط، مثل قـوله عن حمزة رضي الله عنه: (وهو أحد الثـلاثة الذين بـارزوا يوم بدر... واستشهد يوم أحد)[١٤]، وقال عن علي رضي الله عنه: (وبارز يوم بدر ويوم الخندق وفي غير مشهد)[١٥]، وقال عن جعفـر بن أبي طالب رضي الله عنه: (وهو الذي ولي كـلام النجاشي والرد عن أصحابه... ثم بعثه ﷺ إلى مؤتة)[١٩]، ونحو ذلك[٢٠]. بل قد لا يَذْكُر نوع الحدث أصلًا، قال عن علي بن الحسين: (قتل مع أبيه)[٢١]، وأشار إلى مقتل زيد بن علي، ويحيى بن زيد[٢٢] دون أن يذكـر زمنه ومكـانه وكيفيتـه، وقال عن سعيـد بن عثمان: (وهو الذي قدم بالـرُّهُن المدينة فقتلوه بها)[٢٣]، لكنه فصّل في أخبار قليلة جدًا، مثل مُصارعة يزيد بن معاوية لعلي بن يزيد بن ركانة[٢٤].

وهو لا يهتـم بإيراد أسـانيد الأحاديـث والأحداث، مثل ذِكـره قول الـرسول ﷺ للعباس رضي الله عنه: «إن الله قـد رزقك حَمْـلًا، وهـو غـلامٌ يؤمـن بالله ورسـولـه واليـوم العظيم»، وذِكـره دعـوة الرسـول ﷺ لابن عبـاس رضي الله عنه أن يعلمه التأويـل، وذِكره حديث ابن عباس رضي الله عنه في صلاتـه مع الرسـول ﷺ، وقولـه له: «أمـا إنك ستفقد

بصرك»[٢٥]، ووصيته ﷺ للفضل بن العباس[٢٦]، ونحو ذلك[٢٧].

واهتم بالشِّعر فأورد منه ما يقارب من (١٣٧) بيتًا، وقد أورد أغلبه في تراجم الشُّعراء، وقليل منه للتعريف بأشخاص جاء ذكرهم في الشعر، ولاشك أن هذا العدد كبير مقارنة بحجم الكتاب، الذي تبلغ صفحاته المطبوعة (٩٤) صفحة. وعند إيراده الشِّعر قد يُفسِّر غريبه أحيانًا[٢٨].

وقد يذكر مصير وحال بعض البطون في عصره، قال عن بني السَّبَّاق: (فهم اليوم في أرض عَكٍّ في بطن منهم يقال لهم بنو غَنْمٍ، في وادٍ يقال له سَهَام)[٢٩].

وقد يُبدي رأيه أحيانًا في بعض الأخبار التي يذكرها، قال عن هند بن أبي هالة: (يقول بعض أهل العلم إنه شهد بدرًا مع النبي ﷺ. وليس بالمجمع عليه)[٣٠].

ومن خلال قراءة الكتاب والتدقيق فيه لا يتضح شيء عن موارده؛ نظرًا لإهماله الأسانيد.

وبالجملة فإن الكتاب رغم صغر حجمه يُعَدُّ مصدرًا مهمًّا في بابه؛ إذ هو أقدم كتاب وصل إلينا في النسب، فهو المرجع الأول لضبط مادة النسب[٣١]، وهو يعطينا تصورًا عامًا عن المرحلة التي وصل إليها التصنيف في النسب في عصره.

٢- كتاب «**جمهرة النسب**»، وكتاب «**نسب معد واليمن الكبير**» لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤)، وقد صنّف عددًا من الكتب في أنساب القبائل، سبق ذكر بعضها[٣٢]، إلا أنه لم يصل إلينا إلا قطعة من «جمهرة النسب» وقطعة من «النسب الكبير».

وقد طبع كتاباه، إلا أنهما لم يصلا إلينا كاملين، فالقطعة التي وجدت من كتاب «الجمهرة» تحدثت عن القبائل العدنانية كلها، ومن القحطانية ذكرت نسب الأزد وانتهت بنسب بني أوس بن حارثة منهم، ولا تُكَوِّن هذه القبيلة فيه إلا قطعة صغيرة لا تتجاوز ثلاث عشرة صفحة من المخطوط، والقسم الثاني من كتاب «الجمهرة» مفقود.

أما كتاب «نسب معد واليمن الكبير» فيبتدئ بنسب ولد ربيعة بن نزار بن معد إلى نهاية نسب عدنان، ثم يتحدث عن القبائل القحطانية كلها، والقسم الأول منه مفقود، ومن هنا فإن بعض الباحثين ظن أنهما كتاب واحد هو كتاب «جمهرة النسب»، فَيَعُدُّ النسخة الموجودة بمكتبة الإسكوريال بأسبانيا ورقمها ١٦٩٨ -CO RIAL ARABE والمسماة «نسب معد واليمن الكبير» متممة للنسخة المحفوظة بمكتبة المتحف البريطاني ورقمها ADD ٢٣٢٩٧ والمسماة «جمهرة النسب»[٣٣]، ولكن هذا وهمٌ (فالواقع أن ابن الكلبي له كتابان في الأنساب، أحدهما «الجمهرة»، والثاني كتاب «نسب معد واليمن الكبير»، والجزء الذي في مكتبة دَيْر الإسكوريال هو كتاب «النسب الكبير» الذي فَصَّلَ محتوياته محمد بن إسحاق ابن النديم في كتاب «الفهرست» وهو يخالف من حيث الترتيب مباحث كتاب «الجمهرة»، وهذا يتضح بأدنى سهولةٍ بمقارنة ترتيب أنساب القبائل في كلا الكتابين)[٣٤]، كما أن بين المخطوطتين تداخل، إذ تتكرر في كلتيهما أنساب قبائل ربيعة وإياد والأوس بن حارثة، ولو كانت إحداهما تتمة للثانية لما وقع هذا التكرار، إضافة إلى أن مخطوطة المتحف البريطاني هي من رواية السكري عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبي، في حين أن مخطوطة الإسكوريال لا يوجد فيها ذكر إلا للمصنف هشام بن الكلبي[٣٥]. وبمقارنة المواطن التي تكررت في الكتابين نجد أن بينهما اختلافًا بيّنًا، من زيادة أو نقص، ولا يمكن أن يُعزى ذلك لاختلاف النسخ؛ نظرًا لكثرة الفروقات وتنوعها[٣٦]، إضافة إلى أنه بمقارنة كتاب «نسب معد واليمن الكبير» بالمختصرات لكتاب «جمهرة النسب» تتضح صحة هذا الرأي، فلا نجد تطابقًا في ترتيب الأنساب، أو مقاربة في المعلومات بين هذه المختصرات وبين كتاب «نسب معد» كما هو الحال في كتاب «الجمهرة»[٣٧].

وقد ابتدأ ابن الكلبي كتابه «الجمهرة» بنسب قريش، ثم ابتدأ من قريش ببني هاشم، ثم الأقرب فالأقرب منهم، على ما تم وصفه قبلُ، ومن القبائل القحطانية بدأ بالأنصار فذكر الأوس ثم الأقرب فالأقرب، لكنه في كتاب «نسب معد»

يخالف هذا التنظيم بالنسبة للقبائل القحطانية فيبدأ بنسب كندة ثم قبائل القحطانية وبطونها، ويأتي ترتيب الأنصار متأخرًا بعد خمس وعشرين قبيلة.

ويكاد يكون منهج ابن الكلبي واحدًا في كلا الكتابين، فهو يسوق نسب القبيلة فينزل في نسبها إلى فروعها حتى يصل إلى الأُسَر فيذكر مشاهيرها، وإذا كانت لهم مشاركات سياسية أو إدارية أو عسكرية أو اجتماعية أو أدبية فيذكرها باختصار، ويذكر أشهر ما في الشخص من صفات خُلقية وما امتاز به، بنحو ما تم وصفه عن كتاب مؤرج، إلا أنه أوسع معلوماتٍ من كتاب مؤرج، وإن كانت مادة النسب تغلب عليه، فمن ذلك أنه قال في كتاب الجمهرة: (ومن بني عبيدالله بن العباس: حسن بن عبدالله بن عبيدالله بن العباس كان فقيهًا... وقثم بن العباس ولاه أبو جعفر المنصور اليمامة، وكان جوادًا... وابنه عبيدالله بن قثم ولي مكة لهارون)[٣٨]، وقال: (ومن بني مالك بن زيد:... زيد الفوارس بن حصين بن ضرار كان فارسهم، وحسان بن المنذر بن ضرار كان شريفًا، والمنذر بن حسان بن ضرار شرك في دم مهران يوم النُّخَيلة فأُعطي بعض سلبه، وعبدالله بن شبرمة كان قاضي أهل الكوفة، ومثجور بن غيلان كان من أشراف أهل البصرة، والحوثرة بن عمرو الذي أسر القعقاع بن معبد، ومعاوية بن قبيصة الذي أسر سماعة بن عمرو، وحكيم بن قبيصة الذي أسر وكيعًا الطُّهوي)[٣٩]، وقال في كتاب نسب معد حينما ذكر نسب أشرس بن كندة: (منهم: علي بن سلمة كان من أصحاب عبدالله بن مسعود، وعمرو بن سيار وهو النيل الشاعر، وأُسيد بن عمرو الفقيه، ومنهم: أبو بلال عامر ابن عمرو صحب النبي ﷺ... ومنهم: الحصين بن نمير وكان سيّدًا، وابنه يزيد بن الحصين ولي حمص، وابنه معاوية بن يزيد ولي حمص، وحصين الذي حرق البيت قبل الحجاج أيام يزيد بن معاوية)[٤٠]. وعلى هذا النحو يسير.

وقد يُفصِّل في بعض الأخبار مثل قصة أبي سواج الضبي مع صُرَد بن حمزة[٤١]، وقصة يزيد بن شيبان الدّارمي مع الشيخ المهري[٤٢]، وقصة شريك بن خباشة[٤٣]، وقصة يحيى بن يعمر مع الحجاج[٤٤]، وسبب مقتل كبش بن

هانيء[٤٥]. ويذكر مصير بعض القبائل والبطون، وأحيانًا يذكر أماكن سكناها مثل قوله: (وكان آخر من بقي من بني قيس بن غالب رجل هلك بالعراق أيام خالد بن عبدالله في خلافة هشام، فبقي ميراثه لا يُدرى من أحق به)[٤٦]، وقال عن بني عريج بن بكر بن عبد مناة: (ولهم بقية بالمدينة)[٤٧]، وقال: (وولد حميس بن أد: حربًا، كانوا مع أبرهة الأشرم، فهلكوا يوم الفيل، ونجا منهم ستون رجلًا، فهم إلى اليوم لا يزيدون على ذلك... وصوفة ابن مر... ولا أعلم لهم بقية)[٤٨]، وقوله عن عمران بن منقذ: (وهو الذي اختط خطة بني العنبر بالكوفة)[٤٩]، وذكر أن شعار بني نمير (ياخضراء) قال: (إلى اليوم)[٥٠]، وقال: (مُسْلية بطن مع بني الحارث، وكعبًا، لهم مسجد بالكوفة، مسجدٌ في خطتهم)[٥١]، وقال: (وولد أَيْثَع بن نذير: عليًا، بطن، فيهم العَدَد اليوم والشرف بالشراة)[٥٢].

ويهتم بالنساء وبخاصة الأمهات، فقد عقد فصلًا مستقلًا في أمهات بعض القرشيين[٥٣]، وآخر في المغتربات من بنات هاشم[٥٤]، وذَكَرَ مَن تزوج عَمْرَة بنت سعد، أم خارجة[٥٥]، وأسماء بنت عميس[٥٦].

ولا يهتم بأسانيد الأحاديث والأخبار[٥٧]، شأنه شأن مؤرج، إلا في القليل النادر[٥٨]، لذا فإن موارده غير واضحة في الكتاب، لكنه يروي كثيرًا عن والده محمد، وقد ذكر ابن النديم الرواة الذين أخذ عنهم الكلبي وابنه في النسب[٥٩]، مما يساعد على معرفة موارد الكتاب.

وهو يُوْلي الشِّعر عناية كبيرة، فقد أورد في كتابيه عددًا كبيرًا منه؛ إما للتعريف بأشخاص ورد ذكرهم في الشعر، أو الاستشهاد به على بعض الأنساب، أو إيراد بعض شعر الشعراء المُعَرَّف بهم، ونحو ذلك.

وابن الكلبي رغم أن المُحدِّثين اتفقوا على تركه في الحديث، واتهموه بالرفض، إلا أنهم أشادوا بإمامته في الأنساب والأخبار، حتى عدوه أعلم الناس في هذا الباب، وعليه المُعَوَّل في النسب لكل من جاء بعده[٦٠]. وكل النسابين الذين تلوه ساروا على منهجه وطريقته في التصنيف، وإن اختلفوا في الترتيب والتبويب

والـزيـادة والنقص، بل إن البعض يجعلـه أول من (فتح هـذا البـاب، وضبط علم الأنساب)(٦١)، لكن هذا فيـه تجوّز واضح؛ فقد رأينا كثـرة من سبقه إلى التصنيف في النّسب، بـل وحتى منهجـه لا يختلـف عنهم كثيـرًا إلا مـن نـاحيـة التـوسع والاستيعاب، وكتاب مؤرج الذي وصل إلينـا، والنقولات عن كتب النسب، ومنها ما نقله البـلاذري عن أبي اليقظان، خير شاهـد على ذلك. وإن كان ابن الكلبي -ولا ريب- هـو أعظم مـن صنّف في النسب، حتى قـال ابن خلكـان عن كتـاب «الجمهرة»: (لم يُصَنّف في بابه مثله)(٦٢).

(للبحث صلة) د. سليمان بن عبدالعزيز المقبل

الحواشي:

(١) أوردها الدكتور صالح العلي ضمن كتاب «علم التاريخ عند المسلمين» لروزنتال ص ٢٩٧- ٣٠٢، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) ينظر «علوم الحديث»، ابن الصلاح عثمان بن عبدالرحمن، ص ٣١٠، تحقيق: نور الدين عتر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

(٣) تنظر دراسة الدكتور أكرم العمري الحافلة عن أسس تنظيم كتب الرجال في كتابه بحوث في تاريخ السنة ص ١٧١- ٢٠٦.

(٤) «تصحيفات المحدثين»، أبو أحمد العسكري الحسن بن عبدالله، ١/ ٢٦، تحقيق: محمود أحمد ميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م)، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، و«أخبار المصحفين»، له أيضًا، ص ٤١، تحقيق: صبحي السامرائي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ (١٩٨٦م)، عالم الكتب، بيروت.

(٥) تنظر بعض الملاحظات التي دونها شاكر مصطفى عن التقارب بين الأنساب والأخبار والتخصصات الأخرى في كتاب «التاريخ العربي والمؤرخون» ١/ ١٧١- ١٧٤، الطبعة الثانية ١٩٧٩م، دار العلم للملايين، بيروت.

(٦) و(٧) «أسد الغابة»، ابن الأثير عز الدين علي بن محمد، ١/ ١١، دار الشعب، القاهرة.

(٨) ص ٢. (٩) ص ٨. (١٠) ص ١٨. (١١) ص ٢٧. (١٢) ص ٨٤.

(١٣) تنظر ص ٢٣، ٢٤، ٣٨، ٣٩، ٥٧، ٥٨. (١٤) ص ١٤. (١٥) ص ١٦. (١٩) ص ١٧.

(٢٠) تنظر الصفحات ٢٢، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٣٣، ٣٥، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٢، ٦١، ٦٢، ٧٠- ٧٥، ٧٨- ٨٢، ٨٥- ٩٤. (٢١) ص ١٦. (٢٢) ص ١٦. (٢٣) ص ٣٣، وينظر ص ١٧، ٣٥، ٤٦.

(٢٤) ص ٢٦. (٢٥) ص ٨، ٩. (٢٦) ص ١٣.

(٢٧) تنظر الصفحات ١٧، ٢٢، ٢٨، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٥٤، ٦٢، ٨١، ٨٢، ٨٩.

(٢٨) ص ٢٠، ٣٧، ٥٠. (٢٩) ص ٤٩. (٣٠) ص ٥١.

(٣١) تنظر مقدمة المحقق ص ٨- ٩. (٣٢) ص ١٢- ١٣.

(٣٣) ذهب إلى هذا كاسكل الألماني في جداوله التي وضعها في الكتابين (ينظر (كتب الأنساب العربية)، إحسان النص، بحث في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، م ٦٤ ج ٤، ١٤١٠هـ ص ٥٧١) وقال بهذا أيضًا محمود فردوس العظم في مقدمة تحقيقه «جمهرة النسب» ١/ د، دار اليقظة العربية، دمشق، وناجي حسن في مقدمة تحقيقه لكتاب «نسب معد واليمن الكبير» ١/ ٨، ومريم الدرع في مقدمة تحقيقها لكتاب «النسب» لأبي عبيد ص ١١٠، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ (١٩٨٩م)، دار الفكر، بيروت، وينظر بحثًا لجواد علي عن جمهرة النسب في مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الأول ١٩٥٠م.

(٣٤) «مختصر جمهرة النسب»، الأستاذ حمد الجاسر، بحث في مجلة «العرب»، ج ٥، ٦ س ٢١، ١٤٠٦هـ، ص ٢٨٩، وينظر «الفهرست» ص ١١٠.

(٣٥) ينظر (كتب الأنساب العربية) لإحسان النص، البحث السابق ذكره، ص ٥٧٢.

(٣٦) ينظر مثلًا من كتاب «الجمهرة» ص ٤٨٥ تحقيق ناجي، وقارنه بكتاب «نسب معد واليمن الكبير» ١/ ١٩ تحقيق ناجي أيضًا، وص ٤٨٧- ٤٨٨ من «الجمهرة» و١/ ٢٠ من «نسب معد»، ومن هذا أنه ذكر في «جمهرة النسب» ص ٥٢٢ (عكرمة بن ربعي، الفياض) فساق نسبه فقط، وفي «نسب معد» ١/ ٤٩ ذكر خمسة أبيات قيلت فيه. ومثل هذا كثير جدًا، بل قد لا تخلو صفحة من الفروقات، ولولا الإطالة لذكرت مثل هذه الأمثلة. والعجيب أن محقق الكتابين يتبنى الرأي القائل بأنهما كتاب واحد!

(٣٧) من أبرز هذه المختصرات: كتاب «النسب» لأبي عبيد القاسم بن سلّام، و«مختصر الجمهرة» يُعتقد أنه للمبارك بن يحيى الغساني، وكتاب «المقتضب» لياقوت الحموي.

(٣٨) «جمهرة النسب» ص ٣٣. (٣٩) المصدر السابق ص ٢٩٤.

(٤٠) «نسب معد واليمن الكبير» ١/ ١٨٦، ١٨٨. (٤١) «جمهرة النسب» ص ٢١٩.

(٤٢) المصدر السابق ص ٢٧٣- ٢٧٧. (٤٣) المصدر السابق ص ٣٧٦- ٣٧٧.

(٤٤) المصدر السابق ص ٤٧٧- ٤٧٩. (٤٥) «نسب معد» ١/ ١٤٥- ١٤٦.

(٤٦) «جمهرة النسب» ص ٢٣. (٤٧) المصدر السابق ص ١٤٩. (٤٨) المصدر السابق ص ٣٠٢.

(٤٩) المصدر السابق ص ٢٥٥. (٥٠) المصدر السابق ص ٣٧٧. (٥١) «نسب معد» ١/ ٢٨٧.

(٥٢) المصدر السابق ١/ ٣٤٦. (٥٣) «جمهرة النسب» ص ١٢٧- ١٣٠.

(٥٤) المصدر السابق ص ٣٠٢- ٣٠٥. (٥٥) «نسب معد» ١/ ٣٥٤. (٥٦) المصدر السابق ١/ ٣٥٨.

(٥٧) ينظر فهرس الأحاديث في «الجمهرة» ص ٧٢٨، وفي «نسب معد» ٢/ ٧٤٥.

(٥٨) ينظر «نسب معد» ١/ ١٣٣. (٥٩) «الفهرست» ص ١٠٨.

(٦٠) ينظر موارد البلاذري عن الأسرة الأموية في «أنساب الأشراف»، د.محمد جاسم المشهداني، ١/ ٣٥٨- ٣٦٠، طبعة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، فقد جمع المؤلف أقوال العلماء فيه.

(٦١) «كشف الظنون» ١/ ١٧٨، وبعض المعاصرين يتبنى هذا الرأي ويزيد فيه، حتى إن مريم الدرع ذهبت إلى أن ابن الكلبي هو الذي أوضح خطة الكتابة في النسب ووضع أصوله وقواعده (مقدمة كتاب «النسب» لأبي عبيد ص ١٠٥).

(٦٢) «وفيات الأعيان» ٦/ ٨٣.

مع ابن الأجدابي في كتابه:

«كفاية المتحفظ» في اللغة

باديء ذي بدْء، أشكـر الأستاذ السائح علي حسين عملـه، وجهده، واجتهاده في نشر كتاب «كفَـاية المتحفظ في اللغة» لأبي إسحاق إبـراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله الطرابلسي المشهور بابن الأجدابي، وقد عثر محقق الكتاب عليه في (مكتبة الجـامع الكبير بصنعاء) في ثـلاث نسخ خطية، بـالإضافة إلى منظـومة لعـالم عـربي يمني، إلى جـانب بحثـه الـدؤوب حتـى تجمَّع لـه من الـوثـائق، والمعلومـات، والمصادر، ما أهلّـه لتقديم الكتاب في صورتـه المشرقة، هـذا وقد أفاد المحقق، أن أوّل من كتب عن ابن الأجدابي وكتابه «كفاية المتحفظ في اللغة» هو أبو عبدالله التجاني في رحلته الموسومة بـ«رحلة التجاني» التونسي الأصل إلى طرابلس وقد ترجم المـؤلف ترجمة شبه تامة، وكـاملة، مما جعل غيره ممن كتب بعده عن ابن الأجـدابي عالة عليـه، وتابعين لـه، والتجاني هو الـذي أوضح للقراء الزمن الذي وُجـد فيه ابن الأجدابي، إذ قال: انَّ ابن الأجـدابي اعترض على حُكْم أصدره القـاضي ابن هانش، فقـال له القاضي: اسكُتْ يـاأحول، مـا استُدْعيتَ ولاَ استفتيت، وهنا ألَّف ابن الأجدابي كتابًا سمَّاه «الحوُلُ في الأدب العربي»...

وأثبت المحقق أن القضاء الـذي قام به ابن هانش استمرَّ مـن سنة ٤٤٤هـ إلى ٤٧٧، إذنْ هـو من رجال القـرن الخامس كمـا قام ابن الأجـدابي بردٍّ قـويٍّ على كتاب «تثقيف اللسان»: لابن مكيِّ الصقلّي، المتوفَّى على الأرجح عام ٥٠١هـ.

وطـرابلس الغرب ملتقى المشـرق والمغـرب للمغربِّيـن والمشرقين، وكـان ابن الأجـدابي يلتقي بالعلمـاء والأدباء من الشـرق كمـا يلتقي بالآتيْن من المغـرب إلى المشرق، وهذا ما جعله لا يجري وراء السفر والاغتراب من أجَل العلم، فهذا الإمام سحنـون بن سعيد عـالم القيـروان الكبير يقـول: سَمِعَ العلم مني أهل اجـدابية عـام إحدى وتسعين ومئة، وهـذا سعيد الحداد فيلسوف القَيـروان ومن أصحاب سحنون يأتي من القيروان إلى طرابلس ليسمع العلم من أبي الحسن الكوفي حينما نزل بها..

وكانت طرابلس مركزًا علميًّا هائلاً، اذ نرى الوليد بن مُخلَّد السَّرَقُسْطي يأتي من بلاده ليسمع العلم بـالقيروان وطـرابلس من أبي الحسن بن الخصيب الطـرابلسي، ولكن ابن الأجـدابي رغم وجود العلمـاء ببلده فإنـه ظل يصطاد العلمـاء والأدباء المـارّين بطرابلس مُشرِّقين أو مُغرِّبين، فيأخذ عنهم ويتعلَّم منهم، ويتفقه بعلمهم وأدبهم.

ويثبت الـدكتور السـائح مـؤلفات ابن الأجـدابي نقـلاً عن التجاني صـاحب الرحلـة فيقول - والقـول للتجاني: كان ابن الأجـدابي هذا من أعلَم أهل زمـانه: كلامًا، وفقهًا، ونحوًا، ولغة، وعروضًا، ولـه تآليف جليلة، ومن جملة تآليفه كتابه المسمَّى «كفايـة المتحفظ» وكتابه في العروض وهـو كبيرٌ وصغيرٌ، وكتابـه «الردُّ على أبي حفص بن مكيٍّ في تثقيف اللسان»، وكتـاب «ما آخره يـاء من الأسماء» وكتاب «مختصر في علم الأنساب» وكتاب «الأزمنة والأنواء» وكتاب «رسالة في الحُوْل» وكتاب «اختصار كتاب نسب قريش» لأبي عبدالله الزبير..

هـذا وقـد سُئل ابن الأجـدابي: منْ أيـنَ لك هـذا العلم وأنت لم تُفـارق طرابلس؟؟!! فأجـاب قائلاً: من بَابَيْ هَـوَّارة وزناتة، يعني من باب تـونس وباب مصر، وقد كانت إجابته بحدَّة وضيق صدر، كما يُعرفُ عن المغاربة.

وقد اختُلـف في اسم كتاب ابن الأجـدابي، فعند (بـروكلمان): «كفايـة المتحفظ ونهاية المتلفَظ» وذكر وُجود نسخ للكتاب في مكتبات: برلين، و(جوتَا) و(المتحف البـريطـاني) و(جـاريت) والإسكـنـدريـة، وبـائنـة، وكمبـردج، ولينـنجـراد، وفييـنـا، والجزائر، و(لاله لي) وشهيـد باشا، والقاهرة ورامبو ووينكيبـور، وفي تونس نسخة بالمكتبة الأحمدية، بجامع الزيتونة، وأخرى بمكتبة حسن حسني عبدالوهاب.

وقـد حقَّق هذا الكتـاب «كفـاية المتحفظ وغـايـة المتلفظ» عبـدالرزاق الهـلالي العراقي الشهير، ونشرته وزارة الإعلام العراقية عام ١٩٨٦ ومن الذين حققوا الكتاب الأستاذ مصطفى الزرقاء بحلب، وقد نظم هـذا الكتاب شعرًا كتابٌ مشهورون منهم: اسماعيل البعْلي، وأبو القاسم البوسي، والقاضي: شهاب الدين بن الخوبي...

هذا وقد [تحدث] الأسـتاذ السائح علي حسين عن منهج المؤلف والمصادر

التي رجع إليها فحدَّد أربعة منهم، وهم الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأبو عُبيدة، وأبو زيد الأنصاري، والأصمعي: عبدالملك بن قريب، والكتاب في منهجه وأهدافه يأخذ بأيدي النشء، مختصرًا خاليًا من الشواهد، والكتاب يهتم بالبادية ومظاهر الطبيعة من رمال، وجبال، وأودية، ومياه، ونبات، وحيوان، وحاجات الإنسان، ومستلزماته في بادية الجزيرة العربية، واعتمد الشعر الجاهلي، وما رواه الرواة عن الأعراب، وكتب اللغويين كابن قتيبة وكتاب «الجراثيم».

شهادات المؤلفين لكتاب «كفاية المتحفظ في اللغة»: ذكر الكتاب ومؤلفه ياقوت الحمَوي فقال[١]: كان أديبًا، فاضلًا، له تصانيف حسنة، منها «كفاية المتحفظ في اللغة» وهو مختصر في اللغة، وقال أيضًا: له أدبٌ، وحفظ، ولغة، وتصانيف... كما قال عنه القفطي[٢]: كانت له يد جيِّدة في اللغة، وتحقيقها، وإفادتها، وذكره أيضًا الفيروز آبادي، فقال عنه: بأنه مؤلف كتاب «كفاية المتحفظ في اللغة» انظر كتاب «البلغة في تاريخ أئمة اللغة» كما اثنى عليه الدكتور البرغوثي في كتابه «تاريخ ليبيا الإسلامي» يمتاز ابن الأجدابي في مؤلفاته: بوضوح الغاية التعليمية الذي يهدف إلى التلخيص الذي يسهل حفظه على الطلاب.

هذا وقد اعتمد المحقق على خمس نسخ بالإضافة إلى النسخ المطبوعة في حلب الشهباء، وقد وصفها المحقق ويبدو أنها متقاربة، وليس بينها خلافٌ يُذكر، وهذه النسخ موجود منها في (مركز جهاد الليبيين) بطرابلس، والمكتبة الظاهرية بدمشق وغيرها.

وقد لخَّص المحقق عمله في هذا الكتاب، بأنه قرأ النسخ، وقسَّم الكتاب إلى فقرات، وشكَّل الكلمات المحتملة الخطأ، وعلَّق على المواضع المحتاجة إلى تعليق، وحاول ذكر شواهد الألفاظ، وقد وضع المحقق رموزًا لما رجع إليه من المصادر، كما ترجم الأعلام، وعمل فهارس تفصيلية لنص الكتاب.

ابتدأ المؤلف كتابه بعد الصلاة والتسليم على النبي وآله، اذ قال: [الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبدالله الطرابُلسي المعروف

بابن الأجدابي، نسبة إلى مدينة اجدابية وهي واقعة بين (سرت) و(بنغازي) هذا كتاب مختصر في اللغة، وما يُحتاج إليه من غريب الكلام، أودعناه كثيراً من الأسماء، والصفات، وجنَّبناه حوشيَّ الألفاظ، واللغات، وأعْريْناه من الشواهد، ليسهُلَ حفظه، ويَقربَ تناوله، وجعلناه مُغنيًا لمن اقتصر في هذا الفن، مُعينًا لمن أراد الاتساع فيه، وصنَّفناه أبوابًا].

وأول الأبواب هو باب في صفات الرجال المحمودة، وبدأه: الجوادُ: الرجل السخيُّ، والخرق: الكريم، والخضمُّ: الكثير العطيَّة، وهكذا إلى أن يأتي على صفات الرجالَ، وقد أورد المحققَ بالشواهد من الشعر كشرح للفظة، أو الصفة، وهذا مجهود لا شك أنه كلَّف المحقق عناءً، وتعبًا، ومتابعة، ودقَّة.

ويأتي بعده باب: [ومن صفات الرجال المذمومة مثل: اللحزُ: السَّيِّءُ الخلُق، والبَرَمُ: اللئيم، والهدَان: الضعيف، وبهذا نصل إلى باب [فيَ صفات النساء، فيقول المؤلف: الخَوْدُ: المرأة الحسنة الخلْق، والغادة: الناعمة، والبَضَّة: الرقيقة الجلْد، والرَّدَاحُ: الثقيلة العجز، ومن مذموم صفاتهنَّ، الشَّريمُ: المفضاة، والضَّهباءُ التي لا تحيض، واللخْناءُ: المنتنة الريح، وفي تعليق رقم ٦٩ جاء المؤلف ببيْت للنمر بن تَولْب.

وقد وصل ابن الأجدابي إلى فصل: [في أسماء الزوج]: حنَّةُ الرجل: زوجته، وهي أيضًا: خليلته، وضعيتته، وطلَّتُهُ، وبيتُهُ، وقعيدتُه، وزوجهُ، وفي باب [في الحبِّ والموصوف به] يقالُ رجلٌ زيرُ نساء، إذا كان يزورُهنَّ، ويخالطُهُنَّ، ورجلٌ خلْبُ نساء، ورجل مُتيَّمٌ، وهو الذي استعبدهُ الحُبُّ، والمُدَلَّهُ، وهو الَذاهب العقل مَن الهوى، وأسماء حليِّ النساء: الرَّعَثُ: القرط وجمعه رعَاثٌ، والقلْبُ: السِّوارُ من عاجٍ أو نحوه، والوقْفُ: الخلْخالُ، والسِّمْطُ: العقْدُ، وينتقل المؤلف إلى باب [ما يُحتَاج إليه من خلْق الإنسان] فيقولُ: جُنَّة الإنسان: شخصه، وجثمانه، جماعة جسمه، وقمَّتُه: أعْلَى رأسه، والبَشَرَةُ: ظاهر جلْده، والفَروة: جلْدةُ الرأس خاصة، وهكذا ذهب ابن الأجدابي في تفصيل جسم الإنسان قطعة قطعة، ومفصلاً مفصلاً، وعُضْوًا عُضْوًا من أخمص قدميْه إلى قمَّة رأسه.

وفي باب [في أطوار عمر الإنسان] ويبدأه بقولـه: ما دام الولدُ في بطن أُمِّه فهو: جنينٌ، فإذا وُلـدَ فهـو: منفـوسٌ، فإذا فُطِم فهـو: فَطِيمٌ، فإذا قـارب الاحتـلام، فهـو مُـراهقٌ، إلى أن يصل الإنسان إلى مـرحلـة الهرم، فـالموت، وينتقل المـؤلف إلى أطوار عمـر المرأة فيقولُ: المرأة مـا دامت صغيرة فهي: جارية، فإذا كَعَبَ ثَـدْيُها، فهي كـاعبٌ، فإذا نهـد ثَـدْيُهـا فهـي: نـاهـد، إلى أن تصل الأربعين فهي: عَـوَانٌ، ونَصَفٌ، وخـاتم عمرهـا فهي حَيْزبـونٌ... وبعـد ذالك يدخل في تسميـات الإبل، فيقولُ: الـرّبَعُ: مـا نتج في فصل الربيع، والأنثى: رَبَعَة إلى أن يأتي إلى آخر عمـر البعير حتى الهرَم فيُسمَّى: عَوْدًا، وقحْرًا، ودعْبلًا، وبه سمى الشاعر الكبير دعبل بن علي الخزاعي الشـاعر الشيعي الشهير، و[في أطوار الإبل] البعير يقـع على الذكر والأنثى، وهـو بمنزلة الإنسـان في النـاس، والجَمَلُ بمنزلـة الرجل، والنـاقة بمنـزلة المرأة، والقعُـود بمنزلة الفتى، والقلُوصُ بمنـزلة الجاريـة، والشارفة الناقـة المُسِنَّة، وكذالك: النَّابُ، وجمعُهـا نيبٌ، ومن صفات الإبل الحَرْفُ: وهي الناقـة الضَّامِرةُ، والشِّمْـلالُ: وهي الخفيفة، والعَنْتَـرِيس، وهي الشديـدة، ويقول عن المَهَـارى هي إبل من نتاج مَهَرَة ونُوقٌ مَهَارى، وهي منسوبـة إلى قبيلة [مهرة من] قضاعة، ويقالُ ناقـةٌ مَهْرِيّة، كمـا قال ابن الأجدابي في [جمـاعات الإبل] الـذَّوْدُ من الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة، والصِّرمَـةُ فوق ذالك إلى الأربعين، والهجْمَةُ ما زاد على العدد المذكور، والعَكَـرة ما بين الخمسين إلى السبْعين، وهُنَيْدة: المِئَـةُ، وهكذا المئتان، والعَرْجُ نحو خمس مئة من الإبل، وهنـا وصل المؤلف إلى ألوان الإبل فقال: الأُدْمُ الخـالصـة البيـاض، جملٌ آدمٌ ونـاقـةٌ أدمـاء، والعِيْسُ، التي في بيـاضهـا شُقْـرةٌ، والصُّهْبُ الغالبة عليهـا الشُّقرةُ، والحُمْر: الخالصة الحُمْـرَة، ويُقالُ ما في الإبل إلَّا الحُمْـرة، ومن الخيل إلا الكُميتُ، أو الكُمْتُ، ثم يتحـول إلى سيـر الإبل فيقـول: العَنَقُ: السيـرُ السريعُ، والنَّصُّ: سيْـر مرتفعٌ، والـرَّفْعُ أكثر مـا يكون من السيْـر كما يقالُ لسيْر الإبل: الوخْدُ والوخيدُ، والإرْقالُ، والذَّميلُ، والرَّسيمُ إلى آخر أنواع السير.

وينتقل المـؤلف إلى الخيل فيقـول: الحِصَانُ: ذكَـر الخيل، والجَـوَاد كـريم الخيل، واليعْبُـوب: الفَرَس الجَوَاد، والمَـذَاكي، والمراخي، والسـابحُ، والمسجِّي،

والصَّافِنُ، فيُقـال: خيْلٌ صافنات، وصَـوَافِن، وسير الخيل: الهَمْلَجـة، والإلْهابُ، والـرَّدَيَـانُ، والقربُ، أو التقـريبُ، والصَّـرُّ والخِنَـاق، والـوحشيُّ، والإنسيُّ، أمـا أوصـافُها فهي: الكُميتُ، والـوَرْدُ، والأدهـمُ، والأحْـوَى، والبَهيمُ، إلى آخر النعـوت، والأوصـاف، والأغرُّ، والمحجَّلُ، والجحفلة، أما جمـاعات الخيل فهي: الكتيبـةُ، والـرَّعلـةُ، والسَّــربـةُ، والفيلَقُ، والخميسُ، والجَحْفَلُ، أمــا في مجـال السَّبْق، أو السِّبـاق فهي: المُجَلِّي، فـالمُصَلِّي، فـالمُسَلِّـي، والسِّكِّيتُ، ثم ينتقل إلى أسمـاء الحروب فيقول: الهيجاءُ، والـوَغا، والرَّحا، والمعْركة، والملْحمـة، والغارةُ الشعواءُ، والهـرْجُ، والرهجُ، والمُـداعَسَـة، أما أسمـاء السيـوف فمنها: المُنصلُ، والحُسـامُ، والمشـرفِـيُّ، والصارِمُ، والمُهنَّـدُ، والصَّمصَـامُ، والعضْبُ، إلى آخــر الأسمـاء، والنعوت، ويقـول عن صفات الـرِّماح: الخَطِّـيُّ، والسمهريُّ، والرُّدَيْنـيُّ، والأسمر، والعاسِلُ، والمثقَّفُ، والقناة، ثم يـذكر السهام وصفاتها، ويـذكر الدروعَ، والبَيْضَ، وينتقل إلى أسماء السبـاع، والوحش، ويبدأهـا بالأسد، فيقول: من أسمـاءِ الأسد: الليْثُ، والضيغمُ، والهِـزَبْرُ، والعَنبَسُ، والـرِّئْبَالُ، والقسْـوَرة، والهِرمـاسُ، وأسامـةُ، واللَّبْوَةُ أنثى الأسد، ويذكر مساكن الأسـد: العَرينُ، والغَريفُ، والعرِّيسةُ، والخسُّ، ويشـر إلى أنواع السِّبـاع فيقول: السِّبَنْتَى، النمـرُ، والسِّيْدُ، الـذئبُ، والسِّلْقَى، أنثى الـذئاب، والسمعُ ولَـد الـذئب من الضبع، كمـا يـذكـر ابن الأجـدابي من أسمـاء الضبع: جَيْأَلُ، وأمُّ عامر، وأمُّ عمرو، أما مسـاكن الضباع فهي الوِجَارُ، ويثبت أسماء الظباءِ فيقول منهـا الآرامُ، والعُفْرُ، والأُدْمُ، كما يذكـر البقر الوحشية فيقـول: الرَّبْربُ جماعة البقـر، وكذالك الإجْلُ، والصوارُ، والوعولُ تيوس الجبـال، وواحدها: وعْلٌ، ويذكر الحُمُرَ الـوحشية، والنعام، وأنواع الطيور، ويشير إلى جمـاعة النحْل فيقول: الثُّولُ جماعة النحل، واليعسوبُ؛ ذكر النحل، والغوغاء، صغار الجراد، والأُفعُوانُ: ذكر الأفـاعي، والشُّجاع، والحيَّة، والنضناض، الحيَّـة الكثيرة الحركة، والثُّعْبـانُ ما عظم من الحيات، والعُقْرُبـانُ: ذكر العقارب، والهَمَجُ: البعوض، والضِّـرَبَانُ: دابة منتنـة الـرائحـة، وسامّ أبـرص وهـو الـوزغ، والحسْل: ولـد الضبِّ، والشَّهْم: ذكـر

القنافذ، والدُّلْدُل: القنفذ العظيم، والعُلْجوم: ذكر الضبّ، والغَيْلَم: ذكر السلاحف، وبعدها ينتقل إلى أسماء ونعوت القفار، والأرض، فيذكر الفلاة، والفيافي، والموماة، والصحراء، والخَرْق، واليهماء، وكذالك البسابس، والسباسب، والمفازة ويتحوّل إلى الرمال، فيوضح: الكثيب، والحبْل، والأَميل، والأجرع، والرغام، والهيام، وينتقل إلى الجبال والأماكن المرتفعة، والأحجار، فيقول: الطَّوْد، والطور، والشِّعْب، والأخشب، والشاهق، والشامخ، والشماريخ، والشناخيب، ويشير إلى مساكن الجماعات فيقول: الرَّبعُ، والمرْبَع، والمغاني، وفي الأبنية المجمَّعة فيذكر: القرية، والأمصار، والمدرة، والكفور، ويذكر الرياح فيقول عنها: الصَّبا، والدَّبور، والشمال، والجنوب، ويشير إلى السحب قائلًا: المُزْنُ، الغيم، الغمام، إلى آخره، أما أسماء المطر فمنها، الودقُ، والوَسْمِيُّ، والرِّك، والرِّهمة إلى غير ذالك، ثم جاء دور السيول فقال: السَّيْل الجحَّاف، والألِيّ، والنواصف، والغدير، والأضاة، ومن أسماء البحر ما يلي: اليمُّ، والدأماء، والقاموس، ثم انتقل إلى باب [النبات] فقال: الشجر، والكلأ، والحشيش، والأبُّ، والآس، والضيَّان، والقيصوم، والعَرَار، والتُّوت، والطَّلْح، ومن أنواع الشجر: الأرْطَى، والأثل، والطرفاء، والأراك، والدِّفْلَى، والحنظل، وتحوّل إلى أنواع النَّخيل فعدَّدها، وعدَّد ثمار النخيل، من بداية تكوينه فقال: أول حمل النخلة: الطلْع، فالضَّحك، فالكافور، فالبُسْر، والزَّهْوُ، فالرُّطبُ، وانتقل المؤلف إلى أنواع الأطعمة فقال: الوَليمة، فالإعْذار، والخُرْسُ، والوَكيرة، والنقيعة، والمضيرة، والسخينة، والرَّغيدة، أما الأكل فقد قال عنه: اللَّمْجُ، والقضم، والخضم، إلى آخر ما هناك، ثم تحوّل إلى الأشربة، فقال: الماء الفُراتُ، والشَّروب، والشَّريب، والأُجَاج، كما تكلم عن اللَّبَن فقال عنه: الرِّسْل، والمُغْبِرُ، والصَّريف، والضَّريب، كما عدد أنواع الخمور فقال: المُدامُ، والقهوة، والرَّاحُ، والرَّحيق، والسلاف، والخنْدَريسُ، والعُقار، والصَّهْباءُ، كما عدد أسماء الأواني اذ قال: الجفنة، والقصعة، ثم الصحفة، وتكلم عن أنواع الثياب فقال: السِّبُّ، والبُرْد، والمفوَّف، والشفُّ،

والحَصيف، والدِّمَقْس، والرَّيْطة، وذكر أنواع الطيب فقال: المسْك، والعُود القَماري، والنَّشْرُ، والأَرَج، والبنَّة.

ولا تفوتني الإشارة إلى ما بذله المحقق من جهْد، وصبْر، ومشقَّة، ومتابعة، دقيقة إذ أشار، وأثبتَ، وقدَّم كلَّ اسم، أو وصف، أو لفظة، بشاهد من الشعر الجاهلي في أكثر التعليقات، وإلى الشعر الإسلامي، الأموي، والعبَّاسي، كما ذيَّل المحقق بملحق عرَّف فيه بالعلماء، واللُّغويين، الذين رجع ابن الأجدابي إلى مؤلفاتهم وهم أبو زيد الأنصاري، صاحب «النوادر»، في اللغة، وأبو عُبيدة معْمر بن المثنَّى، ومن كتبه الشهيرة «نقائض جرير والفرزدق»، و«مجاز القرآن» إلى آخر ما ألَّف، والخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب معجم كتاب «العين في اللغة» والعروض وأوزان الشعر وهو أستاذ: سيبَوَيْه، والأصمعي عبدالملك بن قريب صاحب كتب: «الخيل» و«الإبل»، و«خلْق الإنسان» و«الفرق» و«المترادف» و«الدارات» و«الشاء»، كما فهرس للآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأمثال، والشعر، والأعلام، والقبائل، والبلدان، واللغة، ومصادر التحقيق، فمحتوى الكتاب.

هذا وقد طُبع الكتاب في القاهرة عام ١٢٨٧هـ- ١٣١٣هـ كما طُبع في بيروت عام ١٣٠٥هـ وفي حلب عام ١٣٤٣هـ وقد حقَّقه، ونسَّقه، وأضاف هوامش إليه، المرحوم عبدالرزاق الهلالي المؤرخ العراقي الشهير ونشره ببغداد عام ١٩٨٦م، ولكنَّ الخنادق، والنُّتوءات، والمعيقات، والموانع والحواجز تجعل سير الكتاب العربي بين الأقطار العربية شبه معدوم.

.. ولاشكَّ ان هذا الكتاب سوف يُسدُّ ثلمة واسعة في المكتبات العربية في الوطن العربي مشرقًا ومغربًا، وطولًا وعَرضًا، وفي الجماهيرية والمغرب العربي على الخصوص.

طرابلس: محمد العيساوي الشتوي

الحواشي:

(١) «معجم البلدان»: اجدابية و«معجم الأدباء»: ١/ ١٣٠.

(٢) «إنباه الرواة»: ١/ ١٩٣.

العيايدة: نسبهم وفروعهم وديارهم

(٤)

وقد مرّ أن البعض سمى العـايد بعائذة وعايذة وفي ذكرهم وتحـديد ديارهم في سيناء قـال نعوم شقير: (العيـايدة ومن مشايخهـم مسلّم أبو السباع وتمتـد بلادهم من ضواحي القنطرة إلى تلّ حبوة فالمرقـب فأم ضيّان فالشيخ حميد فجبل الريشة ويحدّهـم من الشمـال المساعيد ومن الجنوب الصفايحة الأحيـوات ومن الشرق بلي البررة ومن الغرب ترعة السويس)[١] وذكر أن دركهم على طريق العريش يمتدّ من القنطـرة إلى تلّ حبـوة[٢] وذكـر أن منهم قبيلـة تقيم في القليـوبيـة وأخـرى في الجيزة[٣] وذكر عمـر رضا كحالة نقـلًا عن أحمد لطفي السيد أن العيايـدة يقيمون في القليـوبية والـدقهلية والشـرقية والغـربية[٤] وفي ذكرهم في كتـابه الصـادر عام ١٩٤٦م قال الدكتـور عباس مصطفى عمّار: (العيايدة هـاؤلاء يوزعون الآن حسب الإحصـائيات الأخيـرة في جهات حلـوان ٣٠٥ أشخاص وفي مـديريـة القليوبيـة ٨١٠٠ وفي الجيـزة ٥٠٣٦ ويسكن في مديـرية الشـرقيـة والدقهليـة من العيايـدة الشرقيين حـوالي ٢٠٠٠ نفس)[٥] وهـذه الإحصـاءات تعود لعـام ١٩٢٩م وتـابع يقول: (الظـاهر أن عـرب العائد لم يكونـوا يتخذون شبـه الجزيرة مسـاكن لهـم بل كانوا يقـومون بعملية نقل الحجاج وحراستهم فقط وكـانت مساكنهم الحقيقية في شـرقي الـدلتا من أراضي وادي النيـل فلما فقـدت سينـاء أهميتها كطـريق لمـرور الحجّاج فضّل عـرب العائذ أن يستوطنوا وادي النيل عن أن يسكنـوا تلك المناطق المجدبـة في سيناء لكن ذالك لا يمنع من أن تكـون أفخاذ من العائذ قـد ظلّ لها بعض أمـلاك في نواحي سينـاء المختلفة تضـاءلت شيئًا فشيئًا أمـام قوة القبـائل الأخرى)[٦] وفي ذكر ديارهم في سينـاء قال: (أما في شبه جزيـرة سيناء فمساكنهـم الحالية حول الإسماعيلية وإلى الشـرق منها ممتدة من ضواحي القنطرة في منطقة الـرمال الشمـالية حتى قطيـة)[٧] وقال فـي حديثه عنهـم: (العيايدة: وقـد سبقت

الإشارة إلى أنهم بقايا عرب العائذ الذين كانت لهم دركات طريق الحج عبر سيناء وكان ضعف أهمية ذالك الطريق داعيًا إلى أن تسكن معظم تلك القبيلة خارج حدود سيناء الغربية وإلى أن تنكمش أراضيها في سيناء إلى المناطق المحدودة جدًّا التي أصبحت لها الآن وقد تمّ الانكماش بالشكل الآتي:

أ- كان للعايدة أراض في جنوب شرق السويس رآهم الرحالة الشهير (بوكوك) في منتصف القرن الثامن عشر يسكنونها وقد حلّ محلّهم فيها الآن قبائل أخرى مختلفة لا تمثّل العايدة بينها.

ب- كان للعيايدة مناطق تمتد من نخل إلى قطية ولكنّ عرب الترابين في توسعهم في شبه الجزيرة أجلوهم عن كثير من تلك المساحات وأبعدوهم إلى ناحية برزخ السويس ثمّ حلّوا هم محلّهم وأصبحت معظم تلك الأراضي لهم الآن.

جـ- كان لهم نخيل في وادي فيران اضطروا حين رأوا أنفسهم بعيدين جدًّا عن جنوب سيناء إلى أن يبيعوه في عام ١٩٠٥ إلى قبائل العوارمة من فروع الصوالحة الذين يسكنون جنوب سيناء والذين يستطيعون بذالك أن يستغلوا وادي فيران، قال: (بهذا الشكل إذًا تعددت بلاد العيايدة في سيناء) وذكر أن حدّهم الغربي هو قناة السويس قال: (قناة السويس التي تفصل بين العيايدة في سيناء وبين جزء أكبر منهم ينزل إلى الغرب من القناة ويكون صلة بين العيايدة في سيناء والعيايدة المنتشرين في وادي النيل. والعيايدة لا تكفيهم تلك المساحة الفقيرة التي انتهت إليها أملاكهم في شبه جزيرة سيناء ولذا فهم دائمو الانتقال يهاجرون جنوبًا بعد المطر حتى جبال القلالة الشمالية وينتشرون غالبًا في المناطق الواقعة شمال خط يمتد بين القاهرة والسويس)(٨) وفي ذكرهم قال عبده مباشر وإسلام توفيق: (العيايدة: وتمتد المنطقة التي يسكنونها من حوض أبو سمارة شمالًا حتى جبل أم خشيب جنوبًا)(٩) وفي ذكرهم قال سالم اليماني: (العيايدة وهي قبيلة كبيرة ولها امتداد بمحافظة الجيزة كما أن لها امتدادًا أصليًّا ببادية الحجاز ومن أشهر مشايخها

المرحوم العمدة الحاج محمد أبو طماعة النائب السابق بالبرلمان والمرحوم الشيخ سالم أبو شريف ومن مشايخها الحاليين الشيخ سلمي أبو عويمر)[١٠] قال الأحيوي: ما ذكره اليماني عن وجودهم في الحجاز غير صحيح فليس لهم أي وجود تحت هذا المسمى وفي ذكرهم قال الخوري بولس سيور البولسي: (العيائدة: يقطنون بالقرب من مدينة العلو) قال: (وعيونهم أبو عروق والمقيبرة والمرّة)[١١] وقد ذكرهم ج. د. موري وذكر إنهم من القبائل الصغيرة في سيناء وأن عددهم حوالي ٣٠٠ نسمة وأن موارد مياههم هي أبو العروق والمقيبرة والمرّة وذكر أنهم كانوا يملكون سابقًا بعض الحدائق في واديي فيران وصلاف في جنوبي سيناء[١٢] وتتألف قبيلة العيايدة (العايد) في الديار المصرية وغيرها من الفروع الآتية:

أولًا: فروع الحاضرة: احتفظ حاضرة العايد باسم العايد إلى يومنا هذا بخلاف باديتهم الذين طغى عليهم اسم العيايدة وفروع الحاضرة:

١ - آل أباظة. ٢- المناصرة. ٣- المهنوية وجميعهم في الديار المصرية.

٤ - آل هيكل من عشائر يافا في فلسطين المحتلّة وقد مرّ ذكرهم ومنهم د.يوسف هيكل قال يعقوب العودات في ذكره: (ولد يوسف في يافا ووالده هو المرحوم مصطفى هيكل وتحدّر من أسرة عريقة من أقدم الأسر اليافية يرجع تاريخها إلى حوالي القرن السابع عشر وقد نزح أفرادها من مصر إلى فلسطين ويعود نسبهم إلى قبيلة يمنية جاءت مصر مع عمرو بن العاص واستوطنوا في الجهة الشرقية وعهد إليهم بالحفاظ على أمن الطريق البرّي الذي كان يسلكه الحجيج)[١٣] قال الأحيوي: القبيلة اليمنية التي دخلت مصر مع عمرو بن العاص هي قبيلة جذام والذين عُهد إليهم بدرك درب الحاج هم العايد من فروع جذام كما مرّ ذكره والعيايدة كما مرّ يقطنون الشرقية والغربية والدقهلية والجيزة والقليوبية والمنوفية أيضًا والذي يغلب على ظني وأميل إليه أن آل هيكل الأسرة المشهورة في الديار المصرية يجمعها أصل واحد مع آل هيكل في يافا وينسب لآل هيكل

في مصر قرية هيكل بمركز السنبلاوين في محافظة الدقهلية[١٤] ومركز السنبلاوين من الأماكن التي ينتشر فيها العايد قديمًا والعيايدة حديثًا ومن آل هيكل بمصر الدكتور محمد حسين هيكل - رحمه الله تعالى - المولود في كفر غنّام في الدقهلية وكان على اتصال وثيق بالدكتور يوسف مصطفى هيكل الآنف ذكره قال يعقوب العودات في ترجمة د. يوسف هيكل: (جرت مراسلات بينه وبين المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل أثرت في حياته الثقافية واتجاهه الدراسي وكان بمثابة أب روحي له)[١٥] وقد وضع له مقدمة كتابه «القضية الفلسطينية»[١٦].

ثانيًا: فروع البادية: في حديثهما عن قبيلة العيايدة في سيناء ذكر الخوري بولس سيور البولسي ثم ج. د. موري أن قبيلة العيايدة تتألف من خمسة فروع هي:

١- العيايدة. ٢- السلاطنة. ٣- الفوايدة. ٤- الجرابعة. ٥- الجواعلة[١٧]

وهذه هي أهم فروع العيايدة وتحت أسمائها تندرج كافة فروعهم والبيان فيما يلي:

١- الجرابعة ويتألفون من الفروع التالية:

١- أبو حسين. ٢- أبو دقّومة. ٣- أبو رجيلة.

٤- السبوع: منهم مسلم أبو السباع شيخ العيايدة في عهد نعوم شقير وقد ذكره ج. د. موري فذكر أن مسلم بن سبع هو شيخ العيايدة الرئيس وذكر نعوم شقير منهم صبّاح بن سبع ثم تلاه سليمان بن سبع حسيب العيايدة الذي ورد ذكره سنة ١٨٨٥م[١٨]. ٥- أبو سلّام.

٦- الطوايلة: كان منهم شيخ العيايدة في عهد الجبرتي وقد سبق ذكره.

٧- العواودة. ٨- أبو غرّة. ٩- الغنيمات. ١٠- الغيوث.

١١- الفريحات. ١٢- القريوي. ١٣- المصابحة. ١٤- النوافلة.

وينتشر الجرابعة ويتواجدون في جنوبي حلوان إلى أطفيح وفي سيناء في أبو عروق وأم خشيب والجفجافة والعقارية والقنطرة شرق وفي منطقة غربي قناة السويس في أبو سلطان وقرى التل الكبير في الشرقية وفي سرابيوم وفايد.

٢- الجواعلة ويتألفون من الفروع التالية:

١ - الجـواعلة. ٢- الشـريفـات: منهـم الشيـخ سـالـم أبو شـريـف أحـد شيوخ العيايدة سابقًا. ٣- العتايقة. ٤ - الفوارسة.

٥ - القـديريين: منهـم سليمـان القديـري أورد ذكـره نعوم شقيـر في ذكر حـرب التـرابين والعيـايدة سنـة ١٨٨٥م[١٩]. وينتشـر الجواعلـة في بحري حلـوان وفي الإسماعيلية والسويس والشرقية وفي شمالي سيناء في القسم الغربي في أبو عروق وأم خشيب والجفجافـة والعقاريـة والقنطرة ويتـواجدون حوالي عيـن شمس قرب القاهرة.

٣- السلاطنة ويتألفون من الفروع التالية:

١ - أبو حمّاد. ٢ - أبو حمدي. ٣- الحميدات.

٤ - الرَّيَشـة: منهم مغنّم أبو الـريش أحد شيوخ العيـايدة الـذين ذكرهم ج. د. موري[٢٠]. ٥ - الصوانعة: ومنعم عرب راشد.

٦- أبو طماعة: منهم العمدة الحاج محمد أبـو طماعة رحمه الله تعالى النائب السابق بالبرلمان المصري.

٧- أبو عبيّة. ٨- العتوي. ٩- العمارات.

١٠ - أبو عويمر: منهم مبشّع سيناء قال نعـوم شقير: (ليس في الجزيرة كلها إلا مبشع واحد وهـو الشيخ عامر عبّـاد من قبيلة العيايدة أخـذها عن أبيه عيـاد وعمّه عويمر وقـد رأيته في رفع سنة ١٩٠٦ فأخذت عنه ما أثبتـه هنا في البشعة)[٢١] أي في كتابه وقـال العارف في ذكر بشعة العيّادي والبشعة من فـروع القضاء عند البدو وقد نهى الشرع عنها قـال: (هي أكثر البشعات شيوعًا في هذه الـديار يعني جنوبي فلسطين - ويقم بتنفيذهـا أسرة من العيايـدة من عربان سينـا وهذه تنتمي إلى ابي عـويمر العيّـادي والمبشع الحـالي هـو جريبيع العيّـادي)[٢٢] وهذا زمـن صدور الكتاب سنة ١٣٥١هـ ١٩٣٣م قال الأحيوي: وبشعـة العيادي كانت معتمدة لدى عربان شمـالي الحجاز وجنوبي الأردن وجنوبي فلسطين وسيناء والديـار المصرية الأخرى وقد ذكر ج. د. موري أن حـويطات مصر كان يلجأون للمبشّع العيّادي في

حل مشاكلهم[٢٣] وذكر منهم الشيخ عويمر بن عيّاد وذكر أن المبشّع عامر عيّاد هو من هذا الفرع[٢٤].

١١- القميعي. ١٢- المجاولة. ١٣- المحاسنة. ١٤- الهروش

ويتواجد السلاطنة في سيناء في أبو عروق وأم خشيب والجفجافة والعقارية والقنطرة شرق وفي أبو خليفة وأبو صوير وسرابيوم وفايد وكيلا ١٧ وفي جنوبي حلوان وفي قرية نجوع العرب بمركز الصف في الجيزة وفي نزلة عليان بحاجر الصف وفي بحري الصفّ وغمّازة الكبرى ويتواجدون في القنطرة غرب وهم ينتشرون عمومًا في محافظات شمال سيناء والشرقية والإسماعيلية والجيزة والسويس.

ومن عشائر العيايدة أيضًا: الزواوين وأبو بحيري.

٤- الفوايدة: وهم من بني عقبة بنو عمومة العيايدة وهم من أشهر فروع العيايدة في الديار المصرية ذكرهم العارف وقال في ذكر فرق بني عقبة: (نزل قسم منهم أراضي السبع وقسم في المويلح من أعمال الحجاز وقسم في مصر وهم العيايدة فريق أبي فومة)[٢٥] قال الأحيوي: أبو فومة تصحيف صوابه أبو فودة ومنهم الشيخ سليم أبو فودة ذكر ج. د. موري عام ١٩٣٥م[٢٦] ومن فروع الفوايدة:

١- الجبلات. ٢- أبو حسين. ٣- الدّبس. ٤- أبو سلّام.

٥- أبو سلامة. ٦- السماحنة. ٧- الشريفات. ٨- آل صبيح.

٩- أبو عبدالنبي. ١٠- العطاونة. ١١- أبو علي. ١٢- عيّاد.

١٣- أبو مسهر وتُنسب للفوايد عزبة حسن فودة في فاقوس الشرقية وعزبة علي فودة في السنبلاوين بالدقهلية وعزبة علي فودة في الجيزة وينتشر الفوايدة في عرب صبيح شرقي قرية السدّ في القليوبية وفي عرب العيايدة في الخانكة ولهم تواجد في مركز السنبلاوين بالدقهلية في كفور طنبول الكبرى وطنبول الصغرى.

ويبقى أن نشير إلى عشيرة أخرى من بني عقبة في عداد العيايدة وهي عشيرة أولاد أبو لافي ولبني عقبة تواجد في القليوبية والعقبي مشهور بمعرفته القضائية ونلفت النظر أنه لا علاقة للفوايدة هاؤلاء بالفوايدة الذين في عداد بني عقبة في

شمالي الحجاز والنسبة إليهم فايدي فهم من فوايدة جهينة دخلوا في بني عقبة فيما الفوايدة جماعة أبي فودة هم من بني عقبة نسبًا وإنما أشرنا إلى هذا لكيلا لا يغترّ أحد بتشابه الأسماء.

٥- فروع منضمة للعيايدة: العيايدة كغيرها من قبائل العرب دخلتها فروع عربية وانضمت إليهم ومن هذه الفروع:

أ- الكوامل: قيل إنهم من قحطان وعلى قول إنهم من العلاوين الحويطات ومن فروعهم:

١- أبو درويش ومنهم: ١- أبو رفاعي. ٢- أبو كساب. ٣- أبو منصور.

٢- الدر يملي ومنهم: ١- حسن. ٢- سعد. ٣- صالح. ٤- عطوة.

٥- غياض. ٦- مرعي. ٧- حسن. ٨- سبيتان

٩- عطا الله. ١٠- كامل ومنهم: ١- حسين.

٢- سلمان وهذه الفروع الأربعة تنتسب إلى بركات بن سعد بن سويلم جد الدريملي.

٣- أولاد أبو ساعد. ٤- أبو صبيح. ٥- أبو عواد. ٦- القعيني.

٧- أبو القلايع. ٨- أبو مطلق ويتواجد الكواملة في عرب العيايدة في قرية الفهميين وفي عرب اسكر وفي قرى الحاجر والشرفا على النيل في الصف وفي قرية الديسمي جنوبي الصف بالجيزة.

ب- المعّازة: دخلت عدّة فروع من المعّازه في العيايدة ومن هذه الفروع:

١- الجبيلات وهم من المصابحة من المعّازة.

٢- الخمايسة من الخمايسة من المعّازة ويقطن هذان الفرعان الإسماعيلية ويسمون سمة العيايدة.

٣- الحمدات: بنو سلامة أبو حمدة من الخمايسة من المعّازة.

٤- الدراهمية. ٥- الغروب

جـ- الصواوين: وهم من الصواوين من المساعيد.

د- الحسابلة: وهم من الحسابلة من الترابين.

٦٤١- ص ٥٢٥: (جاء منصور إلى زيد اليـامي وهو يبكي ويقول: انصروا ابن بنت نبيكم فقال زيـد) وفي المخطوطة: (جـاء منصور إلى زياد اليـامي وهو يبكي ويقول: انصـروا ابن بنت نبيكم، فقال له زُبيـد) كذا ورد في المخطوطـة (زياد) في الأولى و(زبيد) في الثانية. والمعروف زُبَيْد اليامي، وليس زيدًا كما في المطبوعة.

٦٤٢- ص ٥٢٦: (ابن عمر حمل إليهم باقيهم) وهي: (ابن عمر حمل إليه باقيهم).

٦٤٣- ص ٥٢٧: (والعسـرة واليسرة فيمـا يفتح على ذالك) وفي المخطوطـة: (والعسـرة والـمَيْسرةَ فَيُمَـاسِحُ على ذالك) وكلمـة (فَيُمَـاسِحُ) مضبـوطة بـالشكل ووضع علامتي الحرفين المهملين.

٦٤٤- وفيها: (حتى حملوه) وهي: (حتى حملوهـم).

٦٤٥- وفيها: (فأرى رجلًا) وهي: (فَرَآى رجلًا).

٦٤٦- وفيها: (مهما يدلي به) وهي: (مع ما يُدْلِي به).

٦٤٧- وفيها: (وبعث زيد بن عطاء) وهي: (وبعث زيدُ بن علي عطاءً).

٦٤٨- وفيها: (إلى زيد اليامي) وفي المخطوطة: (إلى زُبيد اليامي).

٦٤٩- ص ٥٢٩: (رفضوه أتباعه) وهي: (رفضوه وتبعته).

٦٥٠- وفيها: (البـراءة من أبي بكر وعمـر والبراءة من علي) وهي: (البـراءة من أبي بكر وعمر، البراءةُ من علي).

٦٥١- وفيها: (وأَعَدّ أصحابه) وهي: (وَاعَدَ أصحابه).

٦٥٢- ص ٥٣١: (وندب يوسف بن عمر لمحاربـة زيد عبيدالله بن العباس) وفي المخطوطة: (وندب يوسف بن عمر الحَكَمَ، لمحاربة زيد بن عبيدالله بن عباس).

٦٥٣- وفيها: (إلى جبّانة الصائدين من همدان) وهي كذالك في المخطوطة، إلاّ أن في الهامش (خ الصيادين).

٦٥٤- وفيها: (الله حسبكم) وهي: (الله حسيبكم).

٦٥٥- ص ٥٣٢: (فلو شاء قتله) وهي: (فلو يشاء قتل يوسف قتله).

٦٥٦- ص ٥٣٤: (كالمتهيبين وكانت) وفي المخطوطة: (كالمتهيئين وكانت).

٦٥٧- ص ٥٣٥: (فنزع النشابة) وفي المخطوطة: (فمرل النشّابة). ولا إعجام لحروف (ممرل) ولهذا يمكن أن تقرأ (فَبَزل) أو (فترك).

٦٥٨- ص ٥٣٨: (أتعيرني وتضربني) وهي: (أتعريني وتضربني).

٦٥٩- ص ٥٣٩: (وضرب عنق زوجها) وهي: (وضربت عنق زوجها).

٦٦٠- وفيها: (أن تؤوي ابن زيد) وهي: (أن تؤوي ابنةَ زيد).

٦٦١- ص ٥٤٠: سقط البيت الثاني من المقطوعة الثانية ونصه في المخطوطة:

ولا حين التجلـــد فـــاستهلّـي فكيف جمـــود عينك بعـــد زيـــد

وقد سقط من الأصل فكتب في الهامش.

٦٦٢- وفيها: (بنفسي أعظمًا فوق العمود) ولا حاجة للحاشية.

٦٦٣- وفيها: (تعدّى المُترفَةُ الجبارُ فيه) والصواب: (تعدّى المُتَرَّف الجبار فيه).

٦٦٤- وفيها: (ولا تغرّني الصعبة) والصواب: (ولا تقرن بي الصعبة).

٦٦٥- ص ٥٤١: (هممت أن أغرب بلدكم) وفي المخطوطة أشبه أن تكون (أن أقرب بلدكم).

٦٦٦- وفيها: (فأمر لهم بأعطياتهم) وهي: (فَمُر لهم بأعطياتهم).

٦٦٧- ص ٥٤٣: (وليس لـزيد بالعـراقين مطلب) وفي المخطوطة: (وليس لزيد بالعراقين طالب).

٦٦٨- ص ٥٤٤: (بأبر شهـر) وتكررت، وهي في المخطوطة: (بأبـر سهر) وفوق السين علامة الاهمال.

٦٦٩- ص ٥٤٦: (فلما سكنت الأفواه مضى) وفي المخطوطة: (فلما سكنت الأَفرّه مضى) وهو الصواب، والأَفُرَّة: الجلبة والاختلاط.

٦٧٠- ص ٥٤٧: (وإنك تقدم) وهي: (وإنما تقدم).

٦٧١- وفيها: (وأخر ما تلقاه) وهي: (وآثر ما تلقاه).

٦٧٢- ص ٥٤٨: (يـزعمـون أن مــال بني العبـاس فـيء لنـا) ونص مـا في المخطـوطـة: (يزعمـون أن بني العبـاس في النـار) ثم وضع عليهـا خط وكتب في الهامش: (أن مال لبني العباس في) وهذه العبارة غير واضحة.

٦٧٣- ص ٥٤٩: (أحمـد بن سعيـد بن مسلم) وفي المخطوطـة: (أحمـد بن سعيد بن سلم).

٦٧٤- ص ٥٥٠: (وبقي أبو الشوك حيًّا ثم مات) وفي المخطوطة: (وبقي أبو الشوك حينًا ثم مات).

٦٧٥- ص ٥٥١: (عن منذر الثوري) وهي: (عن منذر الحوري).

٦٧٦- ص ٥٥٣: (وأمه مشرعة ويقال بشـرة بنت عباد) وفي المخطوطة: (وامه مُشَرَّعَة ويقال بسّرة بنت عباد). وفوق السين علامة الاهمال.

٦٧٧- ص ٥٥٤: (فقدم عليه فحبس) وفي المخطوطة: (فقدم به عليه فحبس).

٦٧٨- ص ٥٥٦: (فدعا الرجل لديه) وهي: (فدعا الرجل له به).

٦٧٩- وفيها: (في قدح فخار) وهي: (في قدح نُظَارٍ).

٦٨٠- ص ٥٥٧: (غير معتـاض ولا ملتو) وفي المخطوطة: (غيـر معتاصٍ ولا ملتو) وتحت الصاد علامة الإهمال وهي النقطة.

٦٨١- وفيها: (إلا بجـزّ أصابعي) وفي المخطوطة: (إلّا بَحَـزٍّ أصابعي) وتحت الحاء علامة الاهمال.

٦٨٢- ص ٥٥٨: (وانتخبنا له) وفي المخطوطة: (وانتخبنا الله).

٦٨٣- وفيها: (فتنقصه وتجذبه) وفي المخطوطة: (فَتُقْصِيه وتجذبه).

٦٨٤- ص ٥٥٩: (وسأل أهل الكوفة عن خبـره) وهي: (وسأل قوم من الشيعة من أهل الكوفة عن خبره).

٦٨٥- وفيها: (محمـد بن بشر الهمـداني) وفي المخطـوطة: (محمد بـن نَشْرٍ الهمداني) وفوق كلمة (نشر صح) وتقدم.

٦٨٦- ص ٥٦٠: (السبعة عشر الكوفيين) وهي: (السبعة العشر الكوفيين).

٦٨٧- وفيها: (ونحن معه كلّية وله صحبنا) وهي: (ونحن معه عليه وله، صحبناه).

٦٨٨- وفيها: (فقال انهزوه) وهي: (فقال: الْهَزُوْهُ).

٦٨٩- ص ٥٦١: (ثم اجتمع سلطـان العـرب كله لي) وفي المخطـوطـة: (ثم أَجْمَعُ سلطانَ العرب كُلَّهُ).

٦٩٠- ص ٥٦٢: (من السبعـة عشـر الرجل) وفـي المخطوطـة: (من السبعـة العشر الرجل).

٦٩١- وفيها: (فرفق الحرس) وهي: (ورمَقُ الحرس).

٦٩٢- وفيها: (عليها خطارٌ) وهي: (عليهم حِظَار).

٦٩٣- وفيها: (آناء الليل ونـارات النهار) وفي المخطوطة: (آنـاء الليل وـارات النهار) والحرف أول الكلمة ليس منقوطًا.

٦٩٤- ص ٥٦٣: (زهرة بنت عمرو) وفي المخطوطة: (زاهرة بنت عمرو).

٦٩٥- وفيها: (لأن أم عدوان بن عمرو من فهم بن عمرو، يقال لها جَديلة) وفي المخطوطة: (لأن أم عَدْوَان بن عمرو، وفَهْمِ بن عمرو يقال لها جديلة).

٦٩٦- ص ٥٦٦: (وهو عبـدٌ لأم ابن الحصل) وفي المخطـوطة: (وهـو عَبْدَلُ بْنُ الْحَصِل) وفوق (عَبْدَل صح).

٦٩٧- ص ٥٦٧: (ومحمد بن بشر) وهو: (محمد بن نشر).

٦٩٨- وفيهـا: (حبيب ابن كُـرَّة) وهي: (حبيب بن كُرَةَ) ويـلاحظ أن كثيـرًا من الكلمات المشكلة بالضبط في المطبوعة لا تتفق مـع ما في المخطوطة وهذا ما لم أتعرَّضْ له لكثرته.

٦٩٩- ص ٥٧٠: (والله أبلغ لجاعرتيك) وهي: (والله أبلغ إلى جاعرتيك).

٧٠٠- وفيها: (وبعثه الحجاج) وهي: (وبَعْثَتِهِ الحجاج).

٧٠١- ص ٥٧١: (من احتفاء عبدالملك) وهي: (من اقتفاء عبدالملك).

٧٠٢- ص ٥٧٢: (مرة بن واثلة أبو الطفيل، ومحمد بن بشر) وفي المخطوطة: (مُـرّ بن واثلة أبـو الطفيل ومحمـد بن نشـر) وأشار المحقق فـي الحاشيـة إلى أن صواب الكلمة (بشر) كما عند الطبـري، ولكن مخطوطة البلاذري أصح، وقد تكرر الاسم فيها مضبوطًا (نشر) بالنون.

٧٠٣- وفيها: (قطع الله الليلـة أثرك) وفي المخطوطة: (قُطِع الليلـة أثرك) وفي الهامش (الله) بدل (الليلة).

٧٠٤- وفيها: (ويقال في اثنتين وثمانين) وهي: (ويقال في سنة اثنتين وثمانين).

وفي - ص ٥٧٣- عن سيل الجحاف حـاشية في هـامش الأصل: (يقال سيل حَجَّاف وسيل جَرَّاف).

وبعد فـأُرَانِي أطلت السير في مجال قـد لا يحتاج إلى الإطالـة، ولكن حرصي على أن أوضح ضـرورة الاستفادة مـن نسخة الأصل القيمـة عنـد نشر أي جـزء من أجزاء هـذا الكتاب من أهـم الأمور، فقد وقـع في هذا الجزء، وفي الجزء الـذي قبله الـذي حققـه الدكتـور محمـد حميـدالله - من الهفـوات ما لـو تمكن المحققـان الفاضـلان من الاطلاع على هذه النسخـة لما وقعت - ولاستفادا فـوائد جُلَّى، لما تمتاز به هذه المخطوطة من ميزات منها:

١- أنها أوفى مخطوطة عـرفت حتى الآن من كتاب البلاذري، فهي تحوي على مـا ذكـر المتقدمـون من أن البـلاذري ألفـه في أجـزاء كثيـرة، - مـا تحويـه هـذه

المخطوطة كما يتضح من آخرها هو: اثنان وأربعون جزءًا من الأصل حيث ورد في آخرها ما نصه: (آخر المجلد الثاني والأربعين من الأصل المشروع في كَتْبِه سنة إحدى وتسعين، والمفروغ منه في صفر سنة خمس وتسعين وثلاث مئة بمصر، وفي آخره: هذا الذي صنفه أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري من جمل أنساب الأشراف وأخبارهم، وتم الكتاب، وكان في الأصل على قدمه اضطراب مواضع من تقديم وتأخير وإسقاط ومحوٍ، أتقنت؟ كل ذالك من نسخ أخرى صار هذا الفرع مرجَّحًا على أصله، وكان الشروع في كَتْبِهِ في يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين، والفراغ منه في يوم السبت بعد صلاة عيد الأضحى سنة تسع وخمسين وست مئة في فترات تخللت الكتابة..) إلى آخر ما ذكر. والناسخ هو: أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر الموصلي الدمشقي نسخه بسكنه برباط السميساطي بدمشق.

٢- روعي في هذه المخطوطة - كما يتضح من مقدمتها ومن هوامشها - أنها نقلت عن ثلاثة أصول صحيحة، وبولغ في التثبت والصحة من مقابلة تلك الأصول، ووضع اختلاف النسخ في الهوامش، كما ضبطت كثير من الكلمات المشكلة بالحركات، وكتب فوقها كلمة (صح) وَمُيِّزَ بين المهمل والمعجم من الحروف بعلامات، فالحاء المهملة يوضع تحتها حرف (ح) صغير، والسين المهملة يوضع فوقها حرف هاء بشكل (٧) صغير، والصاد المهملة يوضع تحتها (٠) والمعجمة توضع النقطة فوقها وهكذا.

٣- في بعض هوامشها - عدا ذكر اختلاف النسخ - إيضاح لبعض الكلمات كتب فوقها حرف (ص) يبدو أنه إشارة إلى الأصل، تقتضي المحافظة على التثبت في التحقيق إثباتها.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

هاشميةٌ ليست للكميت

هـاشمُ يـاطفـولتْي الـــــ … ـــأولى، وذكـرى صِغَـري
يـاضـوءَ عينيَّ الـذي … لـوَّنَ سُـودَ الصّـورِ
يـاصُـورةً من نَـزقي الــ … ـمُرتجِّ منـهُ بصـري
كيفَ استللتَ من أبيـ … ـكَ مـا لَـهُ من أُطُـرِ؟
وكيفَ لم يُطمئنِ الـ (م) … صَّحراءَ نَثُّ المطـرِ؟!
نسختَ عنّـي مَلَلـي … وأُلفتـي وضجـري
ورقّـةَ الطَّبعِ، ومـا … التّـاثَ بهـا من كـدَرِ
فـأنتَ مثلي لا تُـدا … ري غَـاضبًا أو تَـدَّري
يُـدنَى لـكَ الثّـديُ على الـ … ـجُوعِ فمـا إنْ تَمتَـري
وذاكَ أنْ أُدنِـيْ ولـم … تُسألْ، ولـم تُستَشَـرِ!
هَـوِّن عليكَ يـامَـلا … كـي، إنّنـا مـن بَشَـرِ
وإنَّ مـن مأسـاتِنـا (م) … الـرِّضـا بمـا لـم نَختَـرِ
قـد يغضَـبُ البحـرُ فتَسْـ … ـتسلِمُ خُضـرُ الجُـزُرِ
هـوِّنْ فكم طـامَنتِ الـ (م) … ـشمسُ غُـرورَ الأنهُـرِ!
هـاشمُ يـا أنْفَسَ مـا … فـي الأنْفَسِ المُـدَّخَـرِ
ويـاربيعًـا مُشمِشًـا … عُـرسَ الـربيعِ النَّضِـرِ
غَـالبتُ من أجلِكَ أيَّــ (م) … ـامي غِـلابَ العُمُـرِ
لعـلَّ أن تَـذوقَ أذْ … ني كـركـراتِ القَمَـرِ
فكنتَ (زريـابَ) ومـا … أبْـدَعَـهُ من وتَـرِ
يـاشمسَ عُبّـادٍ، ودرْ … بي حيثُ تهـوى أدُرِ
أذقتَنـي نسـائمَ الـ … ـجنَّةِ، دونَ مَحشَـرِ
لا، بـل أذقتَ المَهـدَ أن … يُـزهِـرَ، فـاضحكْ يُـزهِـرِ
يـا وَردَ أعيـادي، ويـا … سـوسَنَـهُ الغَضَّ الطـري
فـي كـلِّ آنٍ منـكَ لـي … عيـدُ هـوًى مُبتَكَـرِ:
عيـدٌ إذا نِمتَ، وأعـ … ـيادٌ إذا لم تَسْهـرِ

أمّا إذا ما زَقْزَقتْ … عيناكَ لي في سَمَرِ
فمِن نَداماايَ الشُّها … ومِنْ شُقَاتي المُشتري
ياعِيدَ فِطري، ناغِني … في عِزِّ صَومي أُفطِرِ
أنطقتَ أعوامي، فَعَا … دَتْ بي لأولى أشهري
للوَردِ إيَّانَ انبلا … ج روحِهِ المُستَتِرِ
وكنتُ أُخبِرتُ فما … لامستُ فحوى الخَبَرِ:
أنْ كنتُ شيطانًا، أو الـ (م) … ـشَّيطانُ يَقفو أثَري
وأنّه قد تُوقِدُ الـ (م) … ـثَّلجَ بقايا شَرَري
وأنّه يخافُ أكـ … ـداري حوضَ الكوثرِ
وأنّهُ، وأنّني … فظُنَّ خيرًا واستُرِ
وحدَّثوني عن عذا … بِ النَّخلِ قبلَ الثمَرِ
لكنّهم، وإنَّ (لكنَّ) (م) … عزاءُ الأخسَرِ
تناسَوا الطَّلْعَ وَدِ (م) … فةَ عطرِهِ المُنتَظَرِ
وفَرحةَ الزّارعِ إذْ … بُستانُهُ زاهٍ ثَري
يا عِطرَ بُستاني اقتَرِحْ … لونَ ثناثي العطِرِ
فأنتَ في غُربتيَ الـ … ـعَمياءِ مَجلى نظري
وأنتَ بيتي ازَّخرفَتْ … أرجاؤهُ بالزَّهَرِ
حسبُكَ أن كنيّتني … ومَن يُكَنَّ يَكبُرِ
فآنَ أن تعرِفَ زهـ … ـوَ النَّخلِ بينَ الشَّجرِ
لكنَّ بي يا ولَدي … كغُصَّةِ المُحتَضَرِ
أنّي اجتنيتُ النَّخـ … ـلَ في هذا الصقيعِ الخصِرِ
وأنّهُ قد تَخدِشُ الـ (م) … ـرُّومُ سجايا (مُضَرِ)
فإنْ عتبتَ فاستعِدْ … حالَ أبيكَ تَعذُرِ
فَطَاوِلِ الأنجُمَ فخـ … ـرًا، ثمَّ حَلِّقْ، وطِرِ
أنَّ أباكَ لم يَخِطْ … ثَوبًا لِعُري القيصرِ
كلّا، ولن يفعل يَو … مًا فاتّبِعْهُ تُشكَرِ

بوزنان: د. محمد حسين الأعرجي

آل معتق وآل عواد من عائذ

[كانت مجلة «العرب» قد استوضحت من شاعرنا الكريم الأستاذ عبدالعزيز بن محمد الغزّي عن صلة النسب بين الأسرتين الكريمتين (آل مُعْتَق) في الزلفي و(آل عواد) في الدرعية، لما هو معروف عنه - وفقه الله - من عناية بما يتعلق بمدينة (الزلفي) وقراها من تاريخ وصلات بين السكان، وغير ذالك من أحوالها، فأفضل بكتابة جواب مفصل، على جانب من الرقة والبلاغة، فلخصت المجلة مضطرة لقلة صفحاتها ما يتعلق بالموضوع معبرة عن بالغ تقديرها، معتذرة عن نشر جوابه المفصل، المعبر عن كرم نفس ووفاء].

إن (آل مُعْتَق) في (الزُّلْفِي) ومنهم الشيخ إبراهيم الذي وزر للشريف حسين، وكانت له مواقف محمودة مع أهل (نجد) لدى الشريف، وهاؤلاء قحطانيون من عائذ، ولأوائلهم صدق ولاء مع قومهم، وقد وقفوا مع (آل بُهْلال) في (الزلفي) وهم من عائذ من قحطان[1] - وقفوا معهم في حادثة وقعت بين رجلين من (آل بُهْلال) وهما موسى بن فهد وعبدالعزيز بن سلوم وبين فرع من إحدى القبائل النجدية، استطاع هذان الرجلان انتزاع أسلحة أولئك القوم الأشاوس من بنادق وذخيرة وسكاكين انترعاها وهما أعزلان من أيديهم بعد عراك طويل، ولهذا فقد قام (آل مُعْتَق) بإسكان هذين الرجلين في بيت مستقل في مدينة (الزلفي) وقاموا بمعالجتهما حتى شفيا، وانتهت القضية شرعًا، وذالك عام ١٣٦٨ تقريبًا، وقد خلدت تلك الحادثة بالأشعار الافتخارية.

وهاتان الأسرتان، (آل بُهلال) و(آل معتق) في الزلفي عائذيتان في قحطان، وآل

(١) [«العرب»: قبيلة عائذ عدنانية الأصل من بني عُقيل من عامر بن صعصعة، وقد أوضح الهجري في كتابه «التعليقات والنوادر» صحة انتسابها إلى بني عقيل - ص ١٨٠٩ و١٨٢٩ - بما لا يدع مجالًا للشك في هذا، كما حدد صاحب كتاب «بلاد العرب» منازل بني عقيل في جنوب الجزيرة - نواحي تثليث، وفي الأزمان الماضية انساحت موجات قوية من القحطانيين عرفوا باسم (مَذْحِج) من اليمن إلى تلك النواحي فانتشرت فيها، واستولت على البلاد، فاضطر السكان القدماء إلى الانضواء تحت نفوذهم لكثرتهم وقوتهم مع ضعف أولئك، فاضطروا للدخول في الانتساب إليهم، ومن هاؤلاء عايذ، فهم عدنانيون أصلًا، قحطانيون حلفًا وانتسابًا، ومثل هذا كثير في القبائل العربية].

معتق هـاؤلاء أصـلًا ولقبًا هـم من (آل عواد) الأسـرة التي قيل في المشهـور عنهـا، والمستفيض على ألسنـة رجالاتهـا أن قسمًا منهـا انتقل من (الغـاط) إلى (سُدَيْـر) وإلى (الدرعيـة) وبقي على لقبه، وانتقل فـرع إلى (القَصيم) وبقي على لقبـه هذا، وانتقل قسم إلى (الـزلفي) واتخـذ لقبًا جـديـدًا وهم (آل معتق)، وفيهم يكثـر اسم (عواد) ولكن اللقب الثـاني غلب على الأول فاستمـروا عليه وبقي من هـذه الأسرة قسم في الغاط وهم (آل مُلْحم) و(آل جاسـر) حيث غلب اللقب الثاني على الأول كما هـو في (آل مُعْتَق) فتلقب كل قسم بِجَـدِّه مستقلًا عن القسم الآخـر، وكان بين هذه الأسـرة العوادية يـوم أن كانت في الغـاط وبين (آل سبهان) الغزي صهـر، فقد تزوج أحد رجالات هذه الأسرة وهو حمـد بن سبهان في هذه الأسرة من امرأة فاضلة واسم تلك المرأة (تـركية) العواد، تـزوج حمد الغزي منهـا على كبر منه آخـر القرن الثاني عشر وأول القرن الثالث عشر، وله منها أولاد درجوا قبل والديهما، وقد أوصت هذه المـرأة الفاضلة لابن زوجهـا من امرأة أخرى واسمـه فهيد الغزي في وصيـة لها طـويلة في البـر ووجوه الخيـر، وتوفيت منتصـف القرن الثـالث عشر تقـريبًا، وقـد استمرت هذه المصـاهرة بين أحد فرعي (آل سبهـان) وهم (آل الحبيس) وبين أحد فروع آل عـواد وهم آل معتق حتى تواشجت هـاتان الأسرتـان مصاهرة فبقيتـا كأسرة واحدة على دوسـرية الأولى وعائذيـة الثانية، وبقيت المصـاهرة بينهما أبلغ ممـا لو كانت نسبًا، ومعلـوم أن لقب (عواد) يطلق على كثير من الأسر النجديـة وغيرها، إلا أن (آل عواد) الذين في الزلفي من الدواسر وهـم أهل قرية (أُمِّيَّةَ الذِّيب) في الزلفي سابقًا، وقد نزحوا منها في الوقـت الحاضر وتفرقوا في أنحاء المملكة المعمورة، إلا أن جذمهم الأكبر في الزلفي.

وأمـا الصلة بين آل معتق في الـزلفي وآل عواد في الغـاط العائذيين قبل تفـرقهم على ألقابهم فهي صلـة نسب، وبينهم وشائج قـوية وصلات يصلـونها بالـزيارات فيما بين أشيـاخهم فيما سلف، وقد كان الحفـاظ قديمًا بين هذه الأسر قـائمًا على تواصل الزيارات فيما بينهم.

ولقد أخبـرني أحد رجلات هذه الأسـرة وهو الشيخ عبداللـه بن إبراهيم الملحم

أنه يومًا ما كان في الدرعية لدى آل عواد وكان المشهد كبيرًا والبحث يدور حول الوثائق الخاصة عن هذه الأسرة، فقال له أحد رجالات آل عواد الدرعية وقد سألهم عبدالله هذا عن وثائقهم قال له: إن وثائقهم لدى بني عمهم في الزلفي ويقصد بهم آل معتق، ومما يؤكد هذا أن هناك ملكًا زراعيًا في الغاط، يعرف بملك آل عواد وله شعبة في جبل (طُوَيق) يسيل منها في الغاط القديم، يوم أن كان هذا الملك عامرًا وتعرف هذه الشعبة بـ[شُعَيْبَة العوَّاد] على التصغير، وقد اجتاز منه طريق الغاط القديم فنزع جزءًا منه فجاء أحد رجالات آل معتق وهو الشيخ عبدالله بن محمد آل معتق رحمه الله، فسعى بما معه من وثائق، وأخرج عليه حجة استحكام وتسلم التعويض عما اقتطع منه لصالح الطريق، ونقل الثلث منه إلى الزلفي، وإنه لا يشك عارف من هذه الأسرة أو بها، في ثبوت تلك الصلات النسبية، وبعد طلبكم مني الكتابة فيما أعلم عن هذه الأسرة سعيت للتوثق عنها مما هو في الوثائق وعن الرواية العامة والمستفيضة لدى أهل المنطقة فعرضت معلوماتي على ثلاثة رجال منهم وسألتهم على انفراد، أولهم الشيخ عبدالله بن إبراهيم الملحم من أهل الغاط فأثبت هذا ثبوتًا قطعيًا، والثاني الشيخ سليمان بن محمد آل معتق، من أهالي الزلفي فاستغرب من أن يشكك عارف، وأخبرني بما كان بينهم وآل عواد الدرعية من زيارات وذكر منهم الشيخ عبدالرحمن العواد وهو من آل عواد الدرعية فأثبت الصلة بين هذه الأسر على تعدد ألقابها حديثًا وتعدد مواقعها وأنها في الأصل يجمعها لقب (عواد) الاسم الجامع لهذه الأسر و(من حفظ حجة على من لم يحفظ) وقد أخبرني الثقة الشيخ معتق بن محمد حفيد الشيخ إبراهيم المعتق الذي وزر للشريف بأن وثائق وصكوك أملاك جدِّهِ هذا موثقة تحت الاسم الرباعي لجده وهو: إبراهيم بن معتق بن عثمان آل عواد. هكذا قيدت وأثبتت وعلى هذا فلا صحة لقول من يقول خلاف ما ثبت وما استفاض لدى الناس وما تواصل به رجالات هذه الأسرة قديمًا وما كان عليه عارفوها حديثًا.

هذا ما لدي من علم بهذا الشأن، والله يكلأ الجميع بحفظه ويمدهم بعونه.

الرياض: عبدالعزيز بن محمد الغزي

يوسف ياسين وموقفه من تاريخ الملك عبدالعزيز

أشرت في تعليقاتي على «الرحلة الملكية» المنشورة في «**العرب**» س ٣٢ ص ٧٥٥ وما بعدها - استغرابي لكون يوسف ياسين لم يؤثر عنه من المؤلفات عن هذه البلاد بما يتناسب مع اقامته فيها تلك الفترة الطويلة، واستغربت أيضًا أن الزركلي لم يترجمه، وقد كتب إلى «العرب» الأخ خالد بن زيد المانع بما خلاصته: (يبدو أن شيخنا اعتمد على طبعة متقدمة لكتاب «الأعلام» إذ الطبعات الأخيرة من الكتاب تتضمن ترجمة وافية عنه - انظر الطبعة ١٢، ١٩٩٧ دار العلم للملايين ج٨ ص ٢٥٣ - وقد ختمها الزركلي بقوله: وله «الرحلة الملكية» مطبوع و«مذكرات» مخطوطة سجلها من إملائه في سبعة أفلام ولم يتمها).

شكرًا للأخ خالد إلا ان هذا ليس دليلاً واضحًا على انه قدم من المؤلفات عن هذه البلاد التي لها عليه من الفضل ما يعجز عن اداء شكره، والأستاذ الزركلي - رحمه الله - كان صنيعة للأستاذ يوسف ياسين، ولهذا يود أن يظهره بصورة حسنة. وما الذي سجل في تلك الأفلام كان الأوْلى بأستاذنا الزركلي إيضاحه.

حول كتاب «الرياض المدينة القديمة»

كنت استوضحت من الأستاذ الكريم الدكتور عبدالعزيز الهلابي عن كلمتين وردتا في تعريبه لكتاب «الرياض المدينة القديمة» تأليف وليام فيسي، منها ما ورد ص ٤١٧ من النسخة المعربة من اسم (بستان عطنة) فأفضل - وفقه الله - بأن نقل صورة الكلمة من أصل الكتاب ص ٢٦٦ بهذه الصورة (ATNA GARDEN).

كما استوضحت عن كلمة (بستان القميح الصغير) الواردة في النص العربي ص ٣٨٠، فأثبت الكلمة كما وردت في أصل الكتاب ص ٢٤٢ (THE SMALL QU-MAYH GARDEN).

يبقى توجيه السؤال إلى الإخوة العارفين بمواقع الرياض القديمة وخاصة الشيخ

إبراهيم بن عثمان وتلميذه الأستاذ راشد بن محمد بن عساكر عن هذين الأسمين.

وشكراً من الأعماق لأستاذنا الهلابي على تجاوبه.

ملاحظات حول ما نشر عن أسرة العتيقي

ورد إلى مجلة «**العرب**» من الدكتور عماد بن محمد بن عبدالعزيز العتيقي هذه الملاحظات عما نشر عن أسرة العتيقي في «**العرب**» س ٣٤ ص ٦٧١ وهي:

١- ص ٦٧١ في ذكر وقف كتاب «شرح دليل الطالب» تاريخ الوقف سنة ١٢٣٩. والصواب ١٢٣٥.

٢- ص ٦٧٤: ورد تاريخ سادس صفر ١٣٤٦. والصواب التاسع من صفر سنة ١٣٤٦.

ذكر ممن رافقوا الشيخ عبدالعزيز في رحلته المذكورة: محمد صدقة (رئيس كتاب البلدية) ومحمد سرور وحسين عدنان والسيد حسين (نائب الحرم) وحسين باسلامة (عضو مجلس الشورى) وقد رجعوا إلى الحجاز بعد سنة وشهرين ما عدا حسين عدنان توفي قبل ذالك.

٣- توجه الشيخ عبدالعزيز إلى الأحساء بعد رحيل زملائه ومكث فيها حتى آخر رجب ١٣٥٠ وعودته إلى الكويت كانت سنة ١٣٥٤ (١٩٣٥م).

٤- ص ٦٧٥: وفاة الشيخ عبدالعزيز في ١٠/ ١/ ١٣٨٩ (٢٨/ ٣/ ١٩٦٩م).

٥- ص ٨١٤ ذكر أن سيف بن محمد بن حمد العتيقي هو ابن شقيق الشيخ سيف بن حمد العتيقي نقلاً عن كتاب «الإفادات» لعبدالرحمن بن عبدالله التويجري. والواقع انه لم يتطرق إلى هذا، والصحيح أن سيف بن محمد المذكور هو حفيد سيف بن حمد واسمه سيف بن محمد بن حمد بن سيف العتيقي كما سجله بخطه على مخطوط «تفسير البغوي» المحفوظ لدى وزارة الأوقاف بالكويت.

* كتاب «المستوعِب» لمحمد بن عبدالله السامري[1] الحنبلي:

لقيت مؤلفات الحنابلة في الفقه وفي غيره من فنون العلوم، ولاسيما التراجم عناية بالغة في عهدنا الحاضر، فقد أمر الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بطبع أهم كتاب في الفقه وأوسعه، مؤلفه إمام الحنابلة الشيخ عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٥٤١/ ٦٢٠هـ) هو كتاب «المغني»، كما أمر بطبع مؤلفات أخرى، وقام خلفاؤه من أبنائه من بعده بالسير على نهجه الحميد في نشر المؤلفات العلمية النافعة، كما اتجه عدد من علماء البلاد لدراسة المؤلفات الفقهية وتحقيقها ونشرها منهم الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي الذي أعاد نشر كتاب «المغني» محققًا مفهرسًا في ١٥ جزءًا بالاشتراك مع الدكتور عبدالفتاح الحلو على نفقة صاحب السمو الأمير تركي بن عبدالعزيز.

كما عني الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين بتحقيق كتب التراجم ونشر أهمها ومن آخر ما حقق كتاب «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» لابن حميد.

أما الدكتور عبدالملك بن عبدالله بن دهيش فله اهتمام وعناية قويان في النشر والتحقيق للمؤلفات العلمية بصفة عامة، فقد سبق أن حقق الجزء الموجود من «تاريخ مكة» للفاكهي في خمسة أجزاء، ثم حقق كتاب «الأحاديث المختارة» تأليف الشيخ محمد بن عبدالواحد بن عبدالرحمن الحنبلي (٥٦٧/ ٦٤٣هـ) في عشرة أجزاء كما سبق أن قام بنشر «جامع المسانيد والسنن» لابن كثير وكتاب «الممتع في شرح المقنع» للتنوخي الحنبلي وكتاب «معونة أولي النهى» لابن النجار.

وآخر ما وصل إلى مكتبة مجلة «العرب» من تحقيقات الدكتور عبدالملك كتاب «المستوعِب» للإمام نصير الدين محمد بن عبدالله السامُرِّي الحنبلي المعروف بابن سنينه (٥٣٥/ ٦١٦هـ) وهو كتاب يُعَدُّ من مصادر من ألف في فقه الحنابلة ممن أتى بعد مؤلفه.

وقد بذل الدكتور عبدالملك -وفقه الله- جهدًا متميزًا في تحقيق الكتاب، فرجع إلى كثير من مصادره، وخرج ما ورد فيه من أحاديث، وأوضح معاني الكلمات

الغريبة، وعلق على بعض ما يراه بحاجة إلى التعليق، ببيان الصحيح من المذهب.

وصدر الكتاب في ثلاثة أجزاء في ١٨٩٠ صفحة، صدر الجزء الأول بترجمة موجزة للمؤلف، وذكر مشايخه وتلاميذه، وعد منهم ابن قدامة صاحب «المغني» وفخر الدين ابن تيمية، وابن نقطة محمد بن عبدالغني (ت ٦٦٢) وغيرهم من مشاهير العلماء، وذكر من مؤلفاته عدا «المستوعب»: «الفروع في اللغة» و«البستان في الفرائض»، ووصف المؤلف كتابه «المستوعب» بانه يسهل السبيل إلى طلب الفقه ومعرفته، مختصر الألفاظ، جم المعاني، متضمنًا لأصول المذهب وفروعه، ومستوعبًا لأمهات كتب الحنابلة والفقه التي سبقته) وعدَّ بعضها وهو في كتابه يذكر الروايات والأوجه والأقوال وآراء من سبقه، وعند الخلاف في بعض الأحكام يقوم بالترجيح بقوله: (وهو الصحيح عندي) و(وعندي أنه) و(والتحقيق عندي).

وقد طبع المحقق الكريم الكتاب عن نسختين موجودتين في المكتبة الظاهرية في دمشق، وهذه المكتبة تضم عددًا من كتب الحنابلة، وفي طرة إحدى المخطوطتين: أنها وقف أحمد بن يحيى النجدي، وهو أحمد بن يحيى بن عَطْوة العالم المشهور، وذكر أنه وقفه بمدرسة أبي عمر بالصالحية.

وفي كل جزء من الأجزاء الثلاثة فهرس يحوي الموضوعات العامة المرتبة على حسب ترتيب أبواب الفقه.

والدكتور عبدالملك -وفقه الله- بذل في تحقيقه لـ«تاريخ مكة» للفاكهي من العناية الفائقة ما يدل على اتجاهه للجانب التاريخي، وخاصة ما يتعلق بمكة -شرفها الله- وقد علمت منذ زمن بأنه يُعنى بتحقيق كتاب «أخبار مكة» للأزرقي وأنه قطع في ذالك شوطًا وجمع مخطوطات متعددة من الكتاب.

ولاشك أن كل معني بتاريخ البلد الأمين يتطلع إلى جهد استاذنا الدكتور عبدالملك في «تاريخ الأزرقي» الذي هو قبل الفاكهي، ويرى بعض الباحثين أنه مما عول عليه الفاكهي ونقل عنه في كتابه دون أن يصرح بذالك.

الحواشي:

(١) نسبة إلى سامراء المدينة العراقية القديمة المعروفة باسم (سر من رأى).

٤١٣-٤١٤م

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج٥، ٦ س ٣٥ ذوا القعدة والحجة سنة ١٤٢٠هـ)

(آذار، نيسان (مارس، أبريل) سنة ٢٠٠٠م)

الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض، المملكة العربية السعودية

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف وفاكس ٤٦٢١٩٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥، ٦ س ٣٥ - ذوا القعدة والحجة، سنة ١٤٢٠هـ - آذار، نيسان (مارس، أبريل) سنة ٢٠٠٠م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٠)

فَنَوْنَى: (قَنَوْنَى)

قال ياقوت في حرف الفاء من «معجم البلدان»: (فَنَوْنَى -- بفتح أوله وثانيه، وسكون الواو، ونون أخرى، وألف مقصورة: مَوْضِعٌ في بِلادِ العَرَب) انتهى.

صِيغَةُ الاسْم تدلُّ على أنه تَصْحِيفُ (قَنَوْنَا) الاسم الذي أورده ياقوت صحيحًا فيما سيأتي في كلامه، وقد أوضح - رحمه الله - في مقدمة كتابه أنه ينقل عن أسماء غير مُحرَّرة ولا مُصَحَّحَة.

وقال في رسم (قَنَوْنَا): (قَنَوْنَى - بالفتح ونونين، بوزن فَعَوْعَلَ من القَنَا أو فَعَوْلَنَ من القَنِّ، كما ذكرنا في قَرَوْرَى: من أودية السَّرَاة يصب إلَى البَحْر في أوائل أرضِ اليمن، من جهة مَكَّة قُرْبَ حَلْيٍ، وبالقرب منها قَرْيَةٌ يقال لها يَبَت، ولذالك قال كُثَيِّر يرثي خندقا:

بِوَجْهِهِ أخِي بَنِي أسَدٍ قَنَوْنَى إلَى يَبَتٍ إلَى بِرْكِ الغِمَادِ)

إلَى آخر مَا ذكَر.

وقَنَوْنَا: يُطْلَق على وادٍ من أشهر الأَوْدِيَة التي تخترقُ تِهامَة حتى تَبْلُغَ البَحْرَ عند مِينَاء القُنْفُذَة، ويفصل بَيْنَهُ وبين وَادي حَلْيٍ وَادي (يَبَةَ) الوَاقع جَنُوبَهُ، الوَارِدُ فِي نَصّ ياقوت باسم (يَبَتَ) بأنه قَرْيَة، والواقع أنه وَاد، وقد قلت في تعليقي على ما ورد في كتاب «أخبار مكة» من أن حُبَاشَة في دِيَار الأَوْضَامِ من

صَدْر قَنَوْنا وحَلْيٍ بِنَاحِيَة اليَمَن. وفي مجلة «العرب» - س ٢٠ ص ٢٩١- : (وَوَادِي قَنَوْنا لا يلي وَادِيَ حَلْيٍ، كما يفهم من كلام الأزرقي، بل يفصل بينهما وَادِي يَبَةَ، (يقع وَادِي قَنَوْنا بقرب خطِّ الطول: ١٠َ / ٤١ْ وخط العرض: ١٠ / ١٩ْ وجنوبه وادي يَبَة بقرب خطِّ الطول: ١٦َ / ٤١ْ وخط العرض ٠٠ / ١٩، ثم وادي حلي بقرب خط الطول: ١٨َ / ٤١ْ وخط العرض: ٤٠َ / ١٨ْ) على وجه التقريب.

القَاحة: (الفَاجّة)

قال ياقوت في رسم القاحة من «معجم البلدان»: (وقال عَرَّام: القَاحَةُ في ثَافِلٍ الأَصْغَرِ - وهو جَبَل، ذُكِر فِي مَوْضِعِه - دوَّارٌ في جوفه يقال له القَاحَة وفيها بِئْرَان عَذْبَتَان غَزِيرَتَان، وقد روي فيه الفَاجَّة، بِالْفَاء والجيم، ذَكَرَهُ فِي «السِّيْرَة» فِي حَدِيْث الهِجْرَة القَاحَة والفَاجَة) انتهى. وفي «رسالة عرام» -٤٠١- : وفي ثَافِلٍ الأَصغرِ ماءٌ في دَوَّار في جوفه، يقال له القَاحَةُ وهما بئران عَذْبَتَان غَزِيرَتَان. وفي كتاب «السِّيْرَة النبوية» لابن هشام بعد ذكر مَدْلَجَة تعهن: قال ابن اسحاق: ثم أجاز بهما الفَاجَّة ويقال القَاحَة في قول ابن هشام، ثم هَبَط بهما العَرْج).

إذن هناك خَلْطٌ بين اسْمَيْن هُمَا (القَاحَة) و(الفَاجَّة) الأولى بالحاء المُهْمَلَة والثاني بالجيْم، والقَاحَة من الأَوْدِية المَشْهُوْرَة، ولا يزال اسم القَاحَة يُطْلَقَ على وَادٍ تَنْحَدِرُ فروعه من جِبَال قُدْس مُتَجِّهًا صَوبَ الجَنُوْبِ الغَرْبِي حتى يَجْتَمِعَ مع وَادِي الفُرْعِ ومن رَوَافِده: تَعهِنُ والعَانِدُ والفَاجَّةُ وتَقَيْبُ، وتقع فيه السقيا المعروفة الآن باسم (أمّ البِرَك) وكان الطريق قديمًا يمرُّ به ويقع هذا الوادي بين (خطي الطول: ٠٠َ / ٣٩ْ و١٥َ / ٣٩ْ وخطي العرض: ١٠َ / ٢٣ْ و٥٠َ / ٢٣ْ) والقول بأنه بين الجُحْفَة وقُدَيْد غير صحيح.

أما الفَاجَّة - بالفاء والجيْم - فهو وادٍ من رَوَافِد القَاحَة يأتيه من قُدْسٍ، وفيه اللُّهَبَةُ من عوفٍ من قَبِيْلَة حَرْبٍ على ما ذكر أحد المتأخرين.

قَزْقَز: (قَرْقَر)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (قَزْقَزُ: بالفتح ثم السكون، وقاف أخرى، وزاي: وهو عَلَم مُرْتجَل، بناحية القَرْيَة بها أضَاة لبني سِنْبِس، قال كُثَيِّر:

رُدَّت عليه الحَاجِبِيَّة بَعْدَمَا خبَّ السَّفَاءُ بقَزْقَز القُرْيَان

كذا ذكره الحَازِمي وهو غَيْر مُحَقَّق فسطرته ليحقق) انتهى.

وأقول: كذا في كتاب «البلدان» للحازمي، أما نصر وكتابه أصل كتاب الحازمي فقال: قَرْقَر - بفتح القافين وراءين-: جانب من القرية، به أضَاة لبني سِنْبِس وتقدم كلامه، وأراه هو الصواب.

وقد عَلَّقْت في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» على قول نصر ونصه: (قَرْقَر: قال نصر: بفتح القافَيْنِ وراءَيْن: جانبٌ من القرية، به أضاة لبني سِنْبِس، قال: وأظن القرية هذه بين الفَلَج ونَجْرَان، كذا في كتاب نصر، وعنه نقل صاحب «معجم البلدان». وهنا خلط بين موضعين أحدهما: القَرْيَةُ التي لبني سِنْبِسَ بقرب جبلهم أجَا.

والموضع الثاني يقع بين الفَلَجِ (الأفلاج) ونجران وهذا يُدْعَى قَرْيَةُ بدون تعريف، ذكره الهمداني وذكر أن فيه آثاراً، وقد عثر على تلك الآثار بقرية في الفَاو) ويظهر أن قَرْقَر التي في بلاد بني سِنْبِس تقع في شرقيٌ مدينة حائل بقرب ما يعرف الآن باسم السُّوَيْفلة كما يفهم من شاهد تقدم ذكره في قراقر. وقد توسَّعْتُ في الحديث عن القُرَيَّة هذه في الكتاب المذكور.

قِبَال: (قِيَال)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (قِبَالُ: بلفظ قِبَال النَّعْلِ، بكسر أوله، وآخرُهُ لام، وهو السَّيْرُ الذي يكون بين الإبْهَام والسَّبَّابَة من النَّعْل: وهو جَبَلٌ بالبَادِيَة عَالٍ في أرضِ بني عَامِرٍ، ورواه ابن جِنّي قَبَال، بالفَتْح، قال: وَهُوَ جَبَلٌ عَالٍ بِقُرْب دَوْمَةِ الجَنْدَل، والأوَّلُ رِوَايَةُ القَاضِي عَليٍّ بن عبدالعزيز الجُرْجَاني،

قالاً ذالك في قول المتنبي:

فَوَحْشُ نَجْدٍ مِنْهُ في بَلْبَالِ ... يَخَفْنَ في سَلْمَى وَفي قِبَالِ)

وقال في رسم (قِيَال) في حرف القاف - بكسر أوله وآخره لام - اسم جبلٍ عالٍ بالبادية.

وفي «معجم ما استعجم» في رسم قِيَال: (قِيَال بكسر أوله على وزن فعَال: موضع قد تقدم ذكره في رسم جبرى، وهو جبلٌ بقرب دَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وإياه عنى أبو الطيب بقوله:

فَوحشُ نَجْدٍ مِنْهِ في بَلْبَالِ ... يَخَفْنَ في سَلْمَى وَفي قِيَالِ

ويروى: (وفي قِبَال) بالباء المعجمة بواحدة) انتهى.

وقبال - بالباء الموحدة بعد القاف - قد يكون في بلاد بني عامر جبل عال بهذا الاسم، ولكن الجبل الذي بقرب دَوْمَةِ الجَنْدَل اسمه قيَال بعد القاف المكسورة ياء مثناة تَحْتِيَّةٌ ممدودة بألف فلام، وهو سلسلة جبال عظيمة، تسمى الآن جبال قِيَالاَتٍ على عادة العامة في جمع المُثَنَّى، ومنها قِيَال الصغير وقِيَال الكَبِيْر، وتقع شماليَّ دَوْمَة الجندل بميل نحو الشَّرْق (من الدرجة ٥٨َ / ٣٩ْ إلى ٠٠َ / ٤٠ْ طولاً شرقيًا و٠٠َ / ٣٠ْ إلى ٢٠َ / ٣٠ْ عرضًا شماليًّا) تقريبًا.

وهو الوارد في شعر المتنبي في نجد، فهو وجبل سلمى يقعان في شمال نجد.

قُرْبَى: (قُرَّى)

قال ياقوت في «معجم البلدان» ما نصه: (قُرْبَى بالضم ثم السكون وفتح الباء الموحدة: اسم ماء قريب من تبالة، قال مزاحم العقيلي:

فما أمٌّ أَحْوَى الجُدَّتَيْن خَلاَلَهَا ... بقُرْبَى ملاحيٌّ من المَرْدِ ناطف)

وكذا ورد الاسم في كتاب نصر أيضًا بما نصه: (قُرْبَى أحسبه مكانا نجديًّا) انتهى، وقد علقت عليه بما نصه: (وقد أورد ابن سيدة في «المحكم» - ٣ / ٢٨٨ - الملاحي من الأراك الذي فيه بياض وشُهْبة وحمرة، وأنشد لمزاحم العقيلي:

فَـمــا أُمُّ أَحْــوَى الطُّرَّتَيْن خَــلاَلَهــا   بِقُــرَّى مَــلاَحـيٌّ من الْمَــرْدِ ناطِفُ

ولعل الكلام لأبي حنيفة صاحب كتاب «النبات» فهو أقرب مذكور، ونص البيت في رواية الهجري - ١٥٦٥ - :

ومـــا أم أَحْـــوَى الجُـــدَّتَيْن تَفَـــرَّدَتْ   أَمَام المَطَايَا فَهـيَ فِي الشَّرْقِ عَاطِفُ

ولهـذا أرى أن كلمـة (بِقُرْبَى) صـوابهـا (بِقُـرَّى) كـمـا وردت في كـتـاب «المحكم» إذ قُرَّى هو الموضع القريب من بلاد عُقَيْل، قال فيه الهجريُّ في شرح قول الراجز :

قَـد صَبَّحَت والشَّمْسُ يَجْرِي آلُهَا   حَـوْضًـا بِقُـرَّى بَارِدًا سِـجَـالُهَـا

تَحْـسَـبُـهُ الحَـيَّـةَ فِي انْسِـلاَلِهَـا

قُرَّى هذه التي ذكـر بـ(عَـمْقِ الريـب)، وقُـرَّى أخرى عند (أبيـدة) من بلاد بَجيلة وصدور (تربة) وأراد هفهفة الريح له مثل الحية إذا انسلَّت فتراها (ثم كلمة غير واضحة في المخطوطة المصرية ص ٩٢).

ولا يزال اسم قُرَّى معروفًا في جنوب المملكة يطلق على مواضع.

أحدها : قُـرَّى منهل يقع قـرب مـركـز (الحَمَـضـة) جنوب مـدينة (تَثْليث) بحوالي سبعين كيلاً وفيه قول الشاعر العامي :

يَاوَنَّتِي وَنَّةْ فْـــرِيْقْ حَـــمَــــالَة   شَـرِبُوا هَمَـاجِ عُـقْب قُـرَّى وَمَـاهَا

حَمَالة هنا : فرع من قبيلة عَبيدة الآن، وقد يكونون في الأصل من عُقَيْل، ولعل قُرَّى هذه هي الواردة في شعر عمرو بن معْدي كَرِب الزُّبيدي :

أَلَهْفِي بِقُرَّى سَحْبَلٍ حِيْن أَجْلَبَتْ   عَلَيْنَا الوَلاَيَا والعَــدُوُّ المُـبَـاسِلُ

وَ(سَحْبَلُ) وادٍ متوسط الحجم، تقع فيه البئر السالفة الذكر، ولا يزال يحمل نفس الاسم، ومعروف أن الشاعر الفارس عمرو بن معدي كرب كان من أهل هذه المنطقة (محافظة تثليث) وما حولها في صدر الإسلام، وكان له حصن ونخل فيها - «العرب» س ٣٢ ص ١١٦.

وقُرَى الموضع الثاني: موضع بقرب (تَبَالَة) آخر غربُه في جنوب (رَنْيَة)، ولعله الذي عبر عنه الهجريُّ بأنه في أسافل (أَبِيْدَة)، فهو في الجهة الشرقية الجنوبية منها، أما الذي قال إنه في (عَمْق الرَّيب)، فعمق الريب في المنطقة الواقعة جنوب عرض باهلة (عرض القويعية) التي تُعرف الآن باسم (الرَّيْن) بالنون من تحريف العامة.

قطَبِيَّات: (قطَيَّات)

قال البكري في «معجم ما استعجم»: (قُطَبِيَّاتُ - بضم أوله وفتح ثانيه، وكسرِ البَاء المعجمة بواحدة، وتَشْديْد الياءِ أُخْت الواوِ -: جِبَالٌ قد تَقَدَّم ذكرُهَا في رَسَمْ ضَرِيَّة، وفي رسم رَاكِس).

وأورد في رسم رَاكِس قول عَبِيْد:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِه مَلْحُوبُ   فَالقُطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ

وقال في رسم (ضَرِيَّة): (ثم الجبال التي تلي قُطَبِيَّات عن يسار المصعد وهي هَضَبَات حُمر، يقال لها العَرَائِس). وقال: (وبين قُطَبِيَّات وبين العرائس جبل يقال له عمود الكود أما قُطَيَّات فقال: (قُطَيَّات على لفظ جَمْع الذي قَبْلَه: موضع قد تَقَدَّم ذكره في رَسْم البَدِيِّ، قال حَاجِبُ بنُ حَبِيْبٍ الأَسَدِيُّ:

يَنْتَابُ مَاءَ قُطَيَّاتٍ فَأَخْلَفَهُ   وكَانَ مَوْرِدُهُ مَاءً بحَرَّانِ

وأورد في رَسْم البَدِي قَوْل امْرِئِ القَيْس:

أَسَالَ قُطَيَّاتٍ فَسَالَ لَهُ اللِّوَى   فَوَادِي البَدِيِّ فَانْتَحَى لِلْيَرِيْض

ويبدو أن البكري خَلَط بين الموضعين، فالمَوْضِعُ الَّذي في حِمَى ضَرِيَّة وقد نَقَل الكَلاَم عن الهجري، ونقلت نصَّ كلامه، ولكنني عَلَّقْتُ عليه: يبدو أن صواب الاسْم (قُطَيَّات) كما في كتاب «بلاد العرب» - س ٩٤ - للأصفهاني ونص ما في هذا الكتاب في ذكر بلاد الضِّبَاب وبني جَعْفَر: وكَبْشَاتُ وقُطَيَّاتُ وهُنَّ هَضَبَاتٌ. ثم نَقَل قول العَطَّاف - ص ١٦١ / ١٦٢ -:

تَربَّعَتْ في النَّيْـــرِ مِنْ أوْطَانِهَــــا بَيْـنَ قُطَيَّـــــاتٍ إلَى دَغْنَانِهَــــــا

أما قُطَيَّاتُ فلبطنٍ من كَعْبِ بن كِلاَب، يقال لهم بنو بُرْقَان، وهي في وَسَطِ وَضَحِ الحِمَى، والوَضَحُ أرْضٌ بَيْضَاءُ سَهْلَةٌ أُنُفٌ.

وأما ذَغَانيْنُ: فلبني وقّاص من كَعْب من بني أبي بكر، وهنَّ أُجَيْبَالٌ لِطَافٌ بِوَادٍ يقال له ذُو أُرَاط. انتهى. وقد ذكر الأستاذ سَعْد بن جُنَيْدِل في (قسم عالية نجد) من «المعجم الجغرافي» أن قُطَيَّاتٍ تعرف باسم (أُم المَشَاعِيْب) وقال عنها: هِضَابٌ حُمْرٌ، بعضُها قريبٌ إلى بعض، تقع في عَثْعَثٍ من الأرض، يَحُفُّ من حولها صَيْهَدٌ أبيض، تقع شمالاً غربيًّا من الكَوْدَة، وغربًا من العَرَائس، يَرَاها السائر مع طريق السيارات المسفلت شمالاً منه وهو بحذاءِ جَبَلِ النِّيْر.

وأورد كلام الأصفهاني ونقل عن «معجم البلدان» لياقوت - ١٦٥ / ١٦٦-:

قُطَيَّات - جمع تصغير قطاة-: هضبات لبني جعفر بن كلاب بالحِمَى حِمَى ضَرِيَّة، وقال الأصمعي: قال العامري: وقُطَيَّاتُ هضباتٌ لنا، وهُنَّ هضابٌ حمرٌ مُلْسٌ بالوَضَحِ، وَضَحِ الحِمَى، متجاوراتٌ ينظر بعضهن إلى بعض، وهي قِلاَتُ مياه كعب بن كلاب، ومياه بني أبي بكر بن كلاب. انتهى.

ونبه الأستاذ سعد أن الاسم وقع في كتاب الهجري، وفي معجم البكري (القطبيات) وان هذا خطأ أو تحريف من النساخ.

وما قاله صحيح، فتلك البلاد هي من بلاد بني كلاب كما نص على ذالك الهَجَرِيُّ وتحديد الأستاذ سعد بن جُنَيْدل لأم المَشَاعِيْب التي قال: انها قُطَيَّات (تقع بقرب خط الطول: ١٥َ / ٤٣ْ وخط العرض: ١٦َ / ٢٤ْ) أما القُطَّبِيَّات التي ذكر البكري فقول عَبِيدٍ بن الأبْرصِ يَنْطَبِقُ عليها، لا على قُطَيَّات.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

ب- كتب الفقه: ربما لا يخفى على الدارس للحياة العلمية أثناء القرن الثالث عشر وحتى منتصف القرن الرابع عشر تقريباً ما مُنِيَ به الفقه الحنبلي من إهمال تمثَّل في حلقات العلم والدرس وفي مناصب الفتيا والقضاء، مما استتبع قلة حركة الطبع والنشر لمؤلفاته عندما انتشرت الطباعة في البلاد العربية. ولقد سجل لنا المؤرخون والرحالة في تلك الفترة هذا الركود الذي أصاب المدرسة الحنبلية في الفقه، فالجبرتي وهو معاصر لنهاية الدولة السعودية الثانية، يشير إلى أن مبعوثَيْ الإمام عبدالله بن سعود إلى محمد علي باشا، وهما الشيخان عبدالعزيز بن حمد وعبدالله البنيان (قد دخلا الجامع الأزهر... وسألا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وعن الكتب الفقهية المصنفة في مذهبه فقيل: انقرضوا من أرض مصر كلية)[١] وكان ذلك في شهر رمضان سنة ١٢٣٠هـ (سبتمبر ١٨٢٥م) قبل سقوط الدرعية بثلاث سنوات. ويشير الرحالة بيرتون سنة ١٨٥٠م (١٢٦٧هـ) الذي زار مكة في هذه السنة، إلى أن المذهب الحنبلي ليس معروفاً في الأزهر كما أنه ليس له تمثيل في مكة المكرمة[٢]. وفي سنة ١٣٠٣هـ (١٨٨٥م) يشير سنوك هيرخرونيه إلى أن أتباع المذهب الحنبلي قلة، وهناك مدرس أو اثنان من مدرسي الحرم يقومان بتدريس الفقه الحنبلي[٣].

ولعلَّ أبلغ دليل على ضعف العناية بالمذهب الحنبلي - وخاصة في مكة المكرمة حيث تمثل المذاهب الأربعة - تعطل الفتوى على مذهب الحنابلة بعد وفاة الشيخ محمد بن يحيى بن ظهيرة (ت ١٢٧١هـ) إلى أن وليها الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد العنيزي سنة ١٢٩٥هـ. ويشير الشيخ عبدالله مرداد أبو الخير إلى أنه بعد وفاة ابن حميد تولاها ابنه علي لعدة أشهر ثم عزل عنها، وتولاها الشيخ خلف بن إبراهيم الحنبلي، وبعد وفاته أُسندت إلى الشيخ أحمد

بن علي بن عبدالله فقيه، المكي الشافعي المذهب، الذي أمره الشريف عون بتقليد مذهب الإمام أحمد، فقلده، ثم ولاه إفتاءه، ومكث في ذلك حتى سنة ١٣٢٦هـ. ثم تولاها الشيخ بكر (كذا) خوقير لمدة يومين، ثم عزل منها وتولاها الشيخ عبدالله بن علي بن محمد بن حميد (ت ١٣٤٦هـ)[٤] حتى دخول مكة تحت الراية السعودية.

لقد سقنا هذه المقدمة التاريخية لنبين شدة الحاجة إلى بعث التراث الفقهي الحنبلي في بداية القرن الرابع عشر وحتى منتصفه. وكان بزوغ نجم الملك عبدالعزيز منذ عام ١٣١٩هـ واعتماد الدولة على الفقه الحنبلي، سببًا قويًا لأن تدب الحياة من جديد في المؤلفات التي كتبها الفقهاء الحنابلة. وكان من أوائل ما طبع في عهد الملك عبدالعزيز من تراث الفقه الحنبلي كتاب «المغني» لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ) شرح به مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي (ت ٣٣٤هـ). ويعد «المغني» كتابًا موسوعيًّا يضم فقه المذاهب الأربعة جميعًا. وقد طبع مع المغني كتاب «الشرح الكبير» لشمس الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢هـ) شرح به متن «المقنع» لموفق الدين ابن قدامة، وصحح الكتابين العلامة السيد محمد رشيد رضا، وطبعا على نفقة الملك عبدالعزيز. وقد بدئ بالطبع سنة ١٣٤١هـ وانتهى سنة ١٣٤٨هـ. وكان طبع «المغني» على نسختين نجدية وشامية.. وقد وجد المصحح في مرحلة من مراحل التصحيح أن النسخة النجدية أصح، وأن ما فيها ليس في النسخة الشامية فاعتمد عليها في سائر الكتاب.

لقد استقبل نشر «المغنى» استقبالاً حسنًا من قبل المهتمين بعلوم الشريعة.. فنجد السيد رشيد رضا يشيد بخطوة الملك عبدالعزيز في نشر هذا الكتاب المهم، ويشير في ختام طبعة كتابي «المغني» و«الشرح الكبير» سنة ١٣٤٨هـ إلى أنه: (لولاه (الملك) لما أقدمنا ولا أقدم غيرنا على طبعه، لأن

التجار لا يقومون على طبع اثني عشر مجلداً في الفقه الحنبلي لأحد فقهاء مذهب الإمام أحمد، مع قلة الحنابلة في الأمصار، وفقرهم، وقلة من يعلم أن هذا الكتاب هو في فقه الإسلام في جملته لا فقه الحنابلة وحدهم)(٥).

كما تحدث الشيخ محمد بهجت البيطار عن هذا الكتاب في مقال نشره في مجلة «الإصلاح» فقال: (إن كتاب «المغني» تضمن فقه الصدر الأول للإسلام وتابعيهم أئمة المذاهب الإسلامية في الأمصار.. وناهيك بكتاب كـ«المغني» يجد المتأمل فيه يسر الدين وسماحته، وسعة فقه علمائه ومجتهديه، وقوة استنباطهم من النصوص ومراعاتهم للمصلحة العامة، وناهيك بشهادة سلطان العلماء في عصره العز بن عبدالسلام القائل عن كتاب «المغني»: إنه لم يؤلف نظيره في الإسلام)(٦).

لقد تتابعت بعد ذلك نشرات «المغني» وليس هذا مجال الحديث عنها أو تقويمها. غير أن «المغني» و«الشرح الكبير» لم يكونا الكتابين الوحيدين بل تبعهما معظم تراث الفقه الحنبلي، فقد نشر من كتب موفق الدين ابن قدامة كتابه «عمدة الفقه» وأصبح هذا الكتاب متنًا دراسيًّا تكرر نشره.

وبعث من كتب القرن التاسع الموسوعية كتاب «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في اثني عشر جزءاً من تأليف العلامة علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥ هـ) وهو كما وصفه محمد حامد الفقي (معلمة حنبلية لعلها تغني مقتنيها عن المختصرات والمطولات، فقد سلك فيه مسلكًا لم يسبق إليه، بيَّن فيه الصحيح من المذهب، وأطال في الكلام وذكر في كل مسألة ما نقل فيها من الكتب وكلام الأصحاب من المتقدمين والمتأخرين. إلا أنه قلَّما تعرض للدليل لأن كل همه كان موجهًا إلى الجمع والاحصاء لكل ما قيل في المسألة وهي مهمَّة شاقة تستوعب المجهود العظيم)(٧).

وقد نشر هذا الكتاب على نسختين إحداهما نسخة مكتبة الملك السلطان

أحمد الثالث، ومنها مصورة ونسخة ثانية يملكها الشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ رئيس القضاة، تقع في ٦ أجزاء كل جزء منها ٢٨٣ ورقة من القطع المتوسط، وهي حديثة عهد بالكتابة، كاتبها طالب علم متوسط، هو عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالعزيز العنقري، فرغ منها في ٥ شعبان سنة ١٣٤٢هـ، وفيها زيادات كثيرة على النسخة الأخرى[٨].

كما نشر من كتب المرداوي كتاب «تصحيح الفروع»، بتحقيق السيد محمد رشيد رضا، وطبع بمطبعة المنار (١٣٣٩- ١٣٤٥هـ) مع كتاب «الفروع» لشمس الدين محمد بن مفلح (ت ٧٦٢ هـ). ونشر في هذا السياق كتاب العلامة شرف الدين موسى بن أحمد الحجاوي (ت ٩٦٠هـ) «زاد المستقنع في اختصار المقنع» في المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٥هـ بتعليق عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن ناصر، ونشره الشيخ سليمان بن حمدان وآخرون في المطبعة السلفية بمكة المكرمة سنة ١٣٤٨هـ. وقد لقي هذا الكتاب رواجًا منقطع النظير في حلقات الدروس مذ قرر هو وشرحه في المدارس والمعاهد مما أدى إلى تكرار طبعه. كما طبع شرحه «الروض المربع» للشيخ منصور بن يونس البهوتي مرارًا ابتداء من سنة ١٣٤٨هـ على نفقة عبدالرحمن القصيبي. والجدير ذكره أن كتاب «الزاد» قد صدر باسم «مختصر المقنع» وطبع عدة مرات بهذا الاسم.

ونشر من تراث القرن العاشر كتاب «التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح» لشهاب الدين أحمد بن محمد الشويكي (ت ٩٣٩هـ) جمع فيه بين كتابي «المقنع» للموفق ابن قدامة و«التنقيح» لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥هـ)[٩] على نسخة خطية أزهرية. نشره محمد حامد الفقي سنة ١٣٧١هـ بالقاهرة، وكتب مقدمته سليمان الصنيع.

وفي القرن الحادي عشر الهجري يلقانا أحد أعمدة المذهب ومن أخصب المؤلفين فيه هو العلامة منصور بن يونس البهوتي (ت ١٠٥١هـ) الذي اختص بشرح مؤلفات المذهب وبسطها، فنشر له إلى جانب «الروض المربع» المذكور

سابقاً ثلاثة كتب، أولها «شرح منتهى الإرادات» شرح به كتاب «منتهى الإرادات» في الفقه الحنبلي للعلامة محمد بن أحمد بن رشيد الفتوحي المشهور بابن النجار (ت ٩٧٢هـ) وهو من أهم كتب المذهب، وقد اقتصر فيه مؤلفه على الراجح من مسائله. كما نشر للبهوتي كتابه الآخر: «كشاف القناع عن متن الاقناع» شرح به متن «الإقناع» لشرف الدين الحجاوي وطبع الكتاب سنة ١٣٦٦هـ بمطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة على نفقة عبدالله بن عبدالعزيز السويل. وقد سبق أن نشر هذان الكتابان معًا على نفقة مقبل الذكير، وطبعًا سنة ١٣١٩هـ بالمطبعة الشرفية بالقاهرة. ومن تراث البهوتي أيضًا كتاب «منح الشفا الشافيات في شرح المفردات» وقد طبع في وقت مبكر سنة ١٣٤٣هـ بالمطبعة السلفية بالقاهرة.

ولاشك أن الحديث يطول بنا لو استعرضنا جميع ما نشرته حركة الإحياء من كتب. وحسبنا أن نذكر هذه البدايات الأولى التي بينت مدى الرواج الذي لقيته كتب المذهب الحنبلي في السنوات الأولى من تكوين الدولة السعودية الحديثة. ويلاحظ أن هذه الحركة قد استهدفت نوعين من الكتب. الأول: ما تمس الحاجة إليه في حلقات الدروس التي يتلقاها المبتدئون. والثاني: توفير الكتب المتخصصة والمطولات للعلماء وطلاب المراحل العليا في حلقات المشايخ. ويلاحظ أيضاً أن مؤلفات القرون المتأخرة التاسع والعاشر والحادي عشر هي أكثر هذه المؤلفات تداولاً. أما مؤلفات القرون المتقدمة فما طبع منها قليل بالقياس إلى ما ذكرنا[١٠]. ولقد لقيت كتب المتقدمين عناية واضحة في زمن متأخر نسبيًّا حين استبحر البحث، وظهرت الجامعات وامتدت أيدي طلاب الدراسات العليا إلى رفوف المخطوطات، تختار منها وتنقب، وتختار المسائل والرسائل. وكذلك الأمر فيما يتعلق بأصول الفقه فعلى الرغم من أنه نشرت بعض كتبه مبكراً ككتاب تقي الدين الفتوحي (ت ٩٧٢هـ) واسمه «مختصر التحرير في أصول الفقه» الذي طبع طبعة شديدة التحريف سنة ١٣٦٧هـ وسنة ١٣٧٢هـ[١١] إلا أن الكتب الكبرى فيه لم تظهر إلا في السنوات الأخيرة.

ج- كتب التفسير وعلوم القرآن:

بدأ الاهتمام بكتب علوم القرآن وطبعها منذ عهد مبكر، فعندما أمر الملك عبدالعزيز بنشر بعض الكتب الدينية في مطبعة المنار بمصر، كان تفسير الإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي (ت ٧٧٤هـ) - وهو من أشهر التفاسير بالمأثور - من أوائل تلك الكتب. وكذلك تفسير الإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ) المسمى «معالم التنزيل». وقد صدر هذان التفسيران في تسعة مجلدات ضخمة انتهت طباعتها سنة ١٣٤٧هـ، وأشرف على تصحيحها السيد محمد رشيد رضا. وقد سبق أن طبع كتاب ابن كثير في المطبعة الأميرية المصرية، في حواشي كتاب «مجمع البيان في مقاصد القرآن» للسيد صديق حسن خان، ووصف السيد رشيد رضا هذه الطبعة بأنها كثيرة الغلط والتحريف (وذكر أنه لم يجد نسخة خطية صحيحة للمعارضة عليها إلا نسخة في مكتبة الجامع الأزهر لا تخلو من غلط وتحريف، وحذف ونقص)[١٢].

غير أن السيد رشيد رضا ما لبث أن اكتشف نسخة أخرى نفيسة صحيحة، أعلن عنها في ختام نشرته لكتاب «فضائل القرآن» الذي جعله المؤلف ذيلاً لكتابه وهي نسخة محفوظة في مكتبة الحرم المكي، وجدها رشيد رضا سنة حجه في موسم عام ١٣٤٤هـ ووصفها بأنها (من حيث الصحة والتنقيح لا نظير لها في هذا العصر) فقد كتبت في عصر المؤلف، وفرغ منها ناسخها سنة ٧٥٩هـ غير جزئين كتبا سنة ٧٦٩هـ وقوبل ذلك تصحيحاً على أصل المؤلف. كما هو ثابت في التاريخ الموجود آخر أجزائها[١٣].

وضع «تفسير ابن كثير» - في طبعة الملك عبدالعزيز - أعلى الصفحة في الكتاب، و«تفسير البغوي» أسفلها، وقام المصحح بوضع التعليقات على الكتابين مع ضبط بعض الكلمات وتخريج بعض الأحاديث، أو بيان درجتها، وإيضاح بعض المسائل الغامضة أو المبهمة، وتمييز الآيات المفسرة من الآيات المكررة والشواهد، وتمييز الأحاديث المرفوعة.

ونجد تعليقات السيد رشيد رضا تكثر في المجلدين الأولين، ثم تتلاشى وتنعدم في المجلدات التالية، وقد ذكر أسباباً لذلك منها مرضه، وإلحاح الملك عبدالعزيز في الإسراع في طبعه لتعجيل استفادة الناس منه(١٤).

وبعد نحو أربعين عاماً من هذه النشرة، أصدرت مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة طبعة جديدة من تفسير ابن كثير وذلك سنة ١٣٨٤هـ، علق حواشيها وقدّم لها عبدالوهاب عبداللطيف، وأشرف على طبعها محمد الصديق، وكلاهما أزهريان. وطبعت في مطبعة الفجالة بالقاهرة، في ٤ مجلدات ووصفت بأنها (أدق وأكمل طبعة ظهرت، مزودة بفهارس جمة).

والظاهر أن هذه الطبعة قد اتخذت من طبعة رشيد رضا أساساً لها، ولكن لم يشر إلى ذلك في المقدمة، إذ لم يذكر المعلق ولا المصحح الأصل الذي اعتمدا عليه على الرغم من الإشارة إليه أحياناً كقولهما في هامش ١ / ٨٠ (كذا بالأصل). وبالموازنة بين طبعة رشيد رضا وهذه الطبعة نجد تشابهاً كبيراً، ولعلّ أقوى أوجه التشابه الإبقاء على تعليقات رشيد رضا دون الإشارة إليه(١٥). غير أنها لا تحتفظ بكل هذه التعليقات، وإنما تحذف كثيراً منها، وأحياناً تأتي بمعناها(١٦).

ومع ذلك فقد أسهم المعلق عبدالوهاب عبداللطيف في هوامش أخرى. ومن أهم ما يلاحظ على هذه الطبعة عناية المعلق بمراجعة الكتاب على بعض موارده، وتتبعه لبعض المواضع مما نقله ابن كثير عن ابن تيمية. كما نجده يخرج بعض الأحاديث، ويهتم بأسباب النزول معتمداً على كتاب «لباب النقول» للسيوطي. وتتميّز هذه الطبعة بمقدمة طويلة كتبها عبدالوهاب عبداللطيف، تعد مدخلاً لعلم التفسير، تناول فيها قضايا هذا العلم، والتعريف بتفسير ابن كثير ومؤلفه.

وامتدت العناية بتفسير ابن كثير إلى اختصاره فهناك طبعة من مختصر تفسير ابن كثير لمحمد الصابوني يشار فيها إلى تعضيد نشرها من قبل السيد

حسن عباس شربتلي. ومعلوم أن بعض آراء الصابوني قد وجدت نقداً تمثل في بعض المؤلفات(١٧).

كما نجد إسماعيل الأنصاري يجرد من تفسير ابن كثير ما يتعلق بالإسراء والمعراج، ويرتبه وينشره في الرياض سنة ١٣٩٣هـ. كما اختصره عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن بن إسحاق آل الشيخ، في جزئين وسمى مختصره «لباب التفسير من ابن كثير». وصدر سنة ١٤١٤هـ.

أما تفسير البغوي «معالم التنزيل»، قد ذكر رشيد رضا إنه طبع مراراً في الهند ومصر، ولم يجد منه نسخة جيدة التصحيح. وكانت لديه نسخة كتبت سنة ٦٦٩هـ كما وجد نسخاً في دار الكتب المصرية، ولا تخلو جميعها من الغلط والتصحيف والتحريف(١٨). ومع ذلك لم يهمل المحقق النسخ المطبوعة بل كان ينظر فيها(١٩). وقد سار في تصحيحه على الطريقة التي اتبعها في تصحيح تفسير ابن كثير.

أما آخر طبعة لتفسير البغوي مستقلاً فقد كانت بتحقيق محمد عبدالله النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، وقد صدر الجزء الأول منها سنة ١٤٠٩هـ ونشرته دار طيبة في الرياض.

ويعد تفسير ابن جرير الطبري «جامع البيان عن تأويل القرآن» بتحقيق محمود محمد شاكر، ومراجعة أحمد محمد شاكر لبعض أجزائه من الكتب التي نالت التعضيد من دار الإفتاء وبعض الجامعات، وكانت نسخه توزع مجاناً من المستودع العام للكتب، ومن بعض الجامعات.

وقد شملت حركة الإحياء كتباً أخرى مشهورة في التفسير منها، تفسير الجلالين(٢٠) و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي(٢١)، و«فتح القدير» للشوكاني(٢٢)، كما نشرت تفاسير أخرى محققةً لأول مرة في المملكة مثل «غرائب التفسير وعجائب التأويل» لمحمود بن حمزة الكرماني، بتحقيق شمران سركال يونس العجلي(٢٣)، و«قانون التأويل» لأبي بكر محمد بن عبدالله

بن العربي، بتحقيق محمد السليماني[٢٤]، و«تفسير القرآن العظيم مسندا عن الرسول ﷺ من الصحابة والتابعين» لأبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، حققه وخرج أحاديثه أحمد عبدالله العماري الزهراني[٢٥] وغير ذلك.

وثمة مجال آخر من مجالاتِ التفسير شارك فيه الباحثون، ودعمته حركة النشر في المملكة ذلك هو جمع النصوص لبعض المفسرين من مصادرها المختلفة وتكوين مجموعات من كتب التفسير لمؤلفين معنيين، أو لبعض الصحابة والتابعين. ولعلّ أقدم ما نشر من هذا النوع في المملكة كتاب «التفسير القيِّم للإمام ابن القيم» جمعه محمد أويس الندوي، وحققه محمد حامد الفقي، وطبع على نفقة عبدالله وعبيدالله دهلوي سنة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م.

وضمن هذا المجال جمع عبدالعزيز بن عبدالله الحميدي تفسير ابن عباس رضي الله عنه ومروياته في التفسير من كتب السنة في رسالة للدكتوراه نُوقشت سنة ١٤٠١هـ ونشرها (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي) بمكة المكرمة، ولم يذكر تاريخ النشر. وقد جمع المؤلف مادة الكتاب من الصحاح، وموطأ مالك، ومسند أحمد، ومسند أبي داود الطيالسي، ومصنف عبدالرزاق، والمنتقي لابن الجارود، ومسند الشافعي، ومسند الحميدي، والعمل لا يستوعب كل كتب السنة، كما أن المنشور منه لا يشمل كل ما جمعه المؤلف كما يشير إلى ذلك في مقدمته[٢٦].

ونشرت (مؤسسة الملك فيصل الخيرية) بالرياض سنة ١٤٠٥هـ مجموع «تفسير ابن مسعود» رضي الله عنه، جمعه محمد أحمد عيسوي، مع تحقيقه ودراسته. وهو في الأصل رسالة للماجستير أُجيزت في كلية الآداب في جامعة القاهرة سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م في مجلدين يشتمل الأول منهما على الدراسة التي ضمت ترجمة لابن مسعود، تناولت حياته وشخصيته وأسلوبه في التفسير، مع توثيق التفسير.

وجمع أحمد صالح محايري «تفسير سفيان بن عيينة» وحققه مع دراسة له

وشارك في نشره المكتب الإسلامي ببيروت ودمشق ومكتبة أسامة بالرياض سنة ١٤٠٣هـ.

وقد نشرت جملة من كتب القراءات منها كتاب «الإقناع في القراءات السبع» لابن الباذش الانصاري (ت ٥٤٠هـ) بتحقيق عبدالمجيد قطامش، صدر عن (مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي) بجامعة أم القرى سنة ١٤٠٣هـ، وكتاب «الغاية في القراءات العشر» للحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (ت ٣٨١هـ) بتحقيق محمد غياث الجنباز سنة ١٤٠٥هـ، كما حقق علي حسين البواب كتاب «تحفة الأقران فيما قرئ بالتثليث من حروف القرآن» لأبي جعفر أحمد بن يوسف الرعيني (ت ٧٧٩هـ) وصدر عن دار المنارة للنشر والتوزيع في جدة سنة ١٤٠٧هـ وغير ذلك.

ونشرت كتب عدة تتناول موضوعات متفرقة من علوم القرآن كالنسخ، والغريب، والمشكل، والمتشابه.

ومن ذلك كتاب مكي بن أبي طالب القيسي (٤٣٧هـ) بعنوان «الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه، ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه» بتحقيق أحمد حسن فرحات، ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٣٩٦هـ. وكتاب أبي الفرج ابن الجوزي المسمى «نواسخ القرآن» حققه محمد أشرف الملباري، ونشرته الجامعة الإسلامية سنة ١٤٠٤هـ وكان في الأصل رسالة للماجستير.

(للبحث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

١- غالب، محمد أديب. «محمد أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي»، ط ١، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر سنة ١٣٩٥هـ، ص ص ١٧٦- ١٧٧.

٢- Bureton. R. Pilgrimage to al Madinah and Meccah, London, Tyleston, and Edwards, 1898, Vol. I. P. 105.

٣- هرخرونيه، سنوك، «صفحات من تاريخ مكة المكرمة في نهاية القرن الثالث عشر الهجري»، نقله إلى العربية محمد بن محمود السرياني ومعراج بن نواب مرزا، مكة المكرمة، مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي، سنة ١٤١١هـ، ص ٣١٢.

٤- محمد سعيد العامودي، وأحمد علي - «المختصر من كتاب نشر النور والزهر» للشيخ عبد الله مرداد أبو الخير، الطائف، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، سنة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ١/ ٣٧٣- ٣٧٤.

٥- «المغني والشرح الكبير»، القاهرة، مطبعة المنار، سنة ١٣٤٨هـ، ١٢/ ٧١٦.

٦- البيطار، محمد بهجت، «نظرات في كتاب كشف الارتياب»، مكة المكرمة، الإصلاح، ١/ ١٢.

٧- المرداوي، علي بن سليمان، «الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، تصحيح محمد حامد الفقي، ط١، القاهرة، مط. السنة المحمدية، سنة ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م. المقدمة.

٨- نفسه، أنظر المقدمة.

٩- الاسم الكامل لكتاب المرداوي هو «التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع» وقد طبع في القاهرة في المطبعة السلفية. بلا تاريخ.

١٠- مما نشر مبكراً من كتب القرون المتقدمة: «مسائل الإمام أحمد بن حنبل» لأبي داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ) بمطبعة المنار، سنة ١٣٥٣هـ، ومختصر الخرقي، والعمدة لموفق الدين ابن قدامة (ت ٦٢٠هـ).

١١- نشره أحمد سعد علي بمكة المكرمة سنة ١٣٦٧هـ، ثم نشره محمد حامد الفقي سنة ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م بمطبعة السنة المحمدية بالقاهرة، وألف أحمد بن إبراهيم بن مفلح «تصحيح الأخطاء والنقص» في «شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير» وصدر عن المعهد العلمي السعودي بالرياض بلا تاريخ. ثم نشر الكتاب بنشرة حديثة بتحقيق محمد الزحيلي ونزيه حماد، عن مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بمكة المكرمة سنة ١٤٠٠هـ.

١٢- ابن كثير القرشي، تفسير ابن كثير والبغوي، القاهرة، مط. المنار سنة ١٣٤٣هـ ١/١.

١٣- ابن كثير القرشي «فضائل القرآن» ذيل الجزء التاسع من تفسير ابن كثير والبغوي، ص ص ٩٥- ٩٦.

١٤- نفسه، ص ٩٦.

١٥- انظر مثلاً ١/ ٦٤، ووازن بطبعة رشيد رضا ١/ ١١٦.

١٦- انظر مثلاً ١/ ١٠٣، ووازن بطبعة رشيد رضا ١/ ١٨٤.

١٧- انظر على سبيل المثال: بكر أبو زيد «التحذير من مختصرات محمد الصابوني في التفسير» الرياض، دار الراية سنة ١٤٠٩هـ.

١٨- البغوي، تفسير ابن كثير والبغوي، القاهرة، مط. المنار، سنة ١٣٤٣هـ، ١/ ١.

١٩- انظر مثلاً ١/ ٥٨.

٢٠- نشرته مكتبة الرياض الحديثة، بلا تاريخ.

٢١- نشرته مكتبة الرياض الحديثة، بلا تاريخ في ٢٠ جزءاً.

٢٢- نشرته دار المعرفة في بيروت بتوزيع مكتبة المعارف، بلا تاريخ، في ٥ أجزاء. وهناك طبعة أخرى له بالاشتراك بين دار الفكر في بيروت ومكتبة الرياض الحديثة سنة ١٤٠٣هـ في ٥ أجزاء.

٢٣- جدة، دار القبلة، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، سنة ١٤٠٨هـ، ٢ ج.

٢٤- جدة، دار القبلة، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، سنة ١٤٠٦هـ.

٢٥- المدينة المنورة، مكتبة الدار، والرياض، دار طيبة، سنة ١٤٠٨هـ.

٢٦- الحميدي، عبدالعزيز بن عبدالله «تفسير ابن عباس ومروياته في كتب السنة» مكة المكرمة، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، بلا تاريخ، ص ٣٠.

مصادر دراسة أنساب القبائل اليمنية

(٢)

[يقصد بالقبائل اليمنية ما يعرف في كتب الأنساب باسم (القحطانيين) بصرف النظر عن أمكنة سكناهم في جنوب الجزيرة أو في مناطق أخرى منها].

الأنساب: نقصد بالأنساب تسلسل الآباء إلى جدٍّ أعلى بارز ينتسب إليه الفرد، فهو يختلف عن النسبة التي تقتصر على ذكر الشخص ومن يسمى باسمه من الأجداد إن الجد الفرد الذي ينسب إليه أو مكان الإقامة، كالذي عند النَّبط حيث ينسبون إلى مواطن استقرارهم من القرى والمدن، أو إلى الحرفة التي يحترفونها أو يتعاطونها، من المهن كالحدادة والنجارة والبزازة وغيرها.

وأساس النسب عند العرب هو التحدر الوراثي بالدم من الآباء عادة، أما الأمهات فالانتساب إليهن عند العرب قليل، وإن لم يكن معدومًا. إذ كان النسابون يذكرون أحيانًا من نُسب إلى أمه وأصل الأم وزوجها الذي يتحدر منه الولد، والنسبة معروفة عند العموم، أما الأنساب بمعنى معرفة تسلسل تحدر الأب فهي من اختصاص عدد قليل يسمون (النسابين) ويذكرون بتقدير خاص، وكثيرًا ما كانوا مرجعًا في القضايا المعقدة، وممن عرف بمعرفته الأنساب في أول الإسلام في مكة أبو بكر الصديق، وعَقيل بن أبي طالب، وجبير بن مطعم، وخُبَيب بن الزبير، والزهري[١] وكلهم من أهل مكة، ولم تذكر المصادر امتداد معرفتهم، وهل اقتصرت على أنساب أهل مكة أم امتدت إلى أنساب العرب أو أكثرهم وهو الأرجح.

والواقع أن النسب هو الأساس الذي يقوم عليه تقسيم الميراث، كما أنه أساس العاقلة في دية القتل الخطإ، والشفعة عند بيع المنازل، وسجلات ديوان العطاء المنظمة تبعًا للعشائر.

يقول الجاحظ: (الناس بمآثر العرب) في الجاهلية أشد كَلَفًا، وهذا أيضًا

ينبئك أنّ الأمور في هذا على خلاف تقدير الرأي، وإنما تجري في الباطن مع نسق قائم وعلى نظر صحيح وعلى تقدير محكم، فقد تقدم في تَعْبيتهما وتسويتهما من لا تخفى عليه خافية ولا يفوته شيء ولا يُعْجزه، وإلا فما بأيام الإسلام ورجالها لم تكن أكبر في النفوس وأجَل في الصدور من رجال الجاهلية، مع قرب العهد وعظم خطر ما ملكوا، وكثرة ما جادت به أنفسهم، ومع الإسلام الذي شملهم وجعله الله تعالى أوْلى بهم من أرحامهم. ولو أن جميع مآثر الجاهلية وُزِنَتْ به وبما كان في الجماعات اليسيرة من رجالات قريش في الإسلام لأربت عليها أو لكانت مثلها»[٢].

ويُظهر نص الجاحظ انصباب اهتمام الناس في صدر الإسلام على مآثر أهل الجاهلية على حساب مآثر الإسلام التي حققها رجال قريش، ولعل موقف أهل الأمصار هذا كان من دوافع اهتمام أهل الحجاز بدراسة سيرة الرسول ﷺ وأعمال الخلفاء، وبخاصة الأولين، وكلهم من قريش. فهو محاولة لحفظ التوازن إزاء مغالات الآخرين.

والواقع أنّ مراعاة النسب كانت قائمة في تنظيم الخطط والعطاء والعاقلة والميراث. وكل هذه تتطلب معرفة الانتساب ويستلزم معرفة شجرات النسب التي تكون علْمًا اختصاصيًّا يجيده المتبحرون فيه.

لا ريب في أن النظام القبلي كان أساسيًّا عند العرب، وخاصة في الأمصار، غير أن استقرار العرب في هذه الأمصار في ظل سلطة عليا واسعة مهيمنة، واختلاط الناس، وظهور تيارات سياسية واجتماعية وفكرية أَضْعفَ التكتل القبلي والتعصب له. والواقع انه عندما انتشر استعمال الكاغد منذ أواسط القرن الثاني الهجري، وكثر تدوين المعارف، وتصنيف الكتب عامة[٣] كان مما عُني به المؤلفون تدوين كتب عن القبائل أو بعضها، ورجالها ومفاخرها. وذكر ابن النديم سبعة عشر كتابًا عنوان كل منها «النسب» أو «الأنساب» وأسماء ثمانية كتب عنوانها «القبائل» بالإضافة إلى عدد من الكتب المتصلة بالنسب كالتي

أُلفت في الأَشراف، والبيوتات، والمفاخرات، والمناظرات، والمآثر، والمثالب، كما أُلفت كتب في عشائر محددة من العرب وخاصة قريش[٤].

وذكر الجاحظ عدداً من أبرز النسابين فقال: (والذي يشتمل عليه دواوين أصحاب الحمام أكثر من كتب النسب التي تضاف إلى ابن الكلبي، والشرقي بن القطامي، وأبي اليقظان، وأبي عبيدة النحوي، بل إلى دغفل بن حنظلة وإلى ابن لسان الحُمَّرة ... بل إلى مثجور بن غيلان الضبي، وإلى كل نسابة راويةٍ وكل متفنن علامة)[٥].

وذكروا من الرواة والنسابين والعلماء الشرقي بن القطامي الكعبي، ومحمد بن السائب الكلبي، وعبدالله بن عياش الهمداني، وهشام بن محمد بن السائب الكلبي، والهيثم بن عدي الطائي، وأبي روق الهمداني، واسمه عطية بن الحارث، وأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي، وعوانة بن الحكم الكلبي، وأبو عيينة المهلبي، والخليل بن أحمد الفراهيدي وخلف بن حيان الأحمر[٦].

أسباب في فقدان كتب الأنساب: غير أن جُلَّ هذه الكتب فقدت، ولم يصلنا إلا أسماء مؤلفيها أو عناوينها أو بعض المقتبسات منها، ولعل بعض أسباب هذا الفقدان هو تطور التوجهات الفكرية في أوساط العلماء الذين صارت لكثير منهم توجهات خاصة تابعها من تلاهم من العلماء متأثّرين بتوجيهات الإسلام، الذي يركز على مُثُلٍ أخلاقية خاصة ذات سمة إسلامية رفيعة عالمية، فيها كثير مما يتعارض مع مثل الأقارب والدهماء من العامة، علماً بأن تنامي الحياة الحضرية والمدنية طغت بِمُثُلها المميزة لها على مُثُل الأعراب الخلقية والسلوكية. ثم إنَّ السلطات الحاكمة بمن فيهم الخلفاء والولاة، ازداد تشربهم بالمثل الحضرية وبعدها عن جفاء الأعراب، فتطورت الحياة وأضعفت مكانة المثل الأعرابية، وإن لم تجتثها كليًّا. والواقع أن أهل الأمصار الأولين لم يكونوا جميعًا بدوًا جفاة وإنما كان فيهم عدد غير قليل، وإن كان يصعب تحديد نسبته، من أهل الحضر.

والإسلام دين حضري، نشأ وتكونت دولته في مراكز حضرية، وكان الرسول ﷺ والصحابة الأولون من أهل مكة حضريين في الأساس، كما كانت المدينة التي هاجر وأقام نواة دولته فيها، كان أهلها فلاحون أقرب إلى الحضر منهم إلى الأعراب الجفاة الذين ذكرهم القرآن الكريم بمعرض الذم ﴿ قالت الأعراب آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنوا ولكن قُولوا أسلمنا ﴾. وكان الرسول ﷺ في أوائل سني الهجرة يشترط على من يسلم من الأعراب الهجرة إلى المدينة والإقامة فيها ليتيَسَّر توجيهه الوجهة الحضرية الإسلامية التي حرص الرسول ﷺ على تثبيتها أساساً للمجتمع الجديد.

وقد أُبْطِل شرط الهجرة بعد فتح مكة، واعترف بإسلام الأعراب من أهل الجزيرة، وكان كثير من المقاتلة المسلمين الذين شاركوا في الفتوح وكَوَّنُوا أعظم سكان الأمصار الأولى أعراباً، إلا أن تتابع تشبعهم بالإسلام ومُثُله، وتطورهم نحو الحياة الحضرية أضْعف آثار البداوة في حياتهم، وظلت العشائرية مقصورة على أسماء خططهم في الأمصار، وسجلاتهم في الديوان، وبعض الاعتزاز في الماضي.

استوعبت الأمصار الإسلامية ذوي الطاقات القتالية الذين قدموا من مختلف أرْجاء الجزيرة بوجبات متتابعة، روادف وأمداداً ووصل أَوَجَه في القادمين في أوائل الخلافة الأموية، وتطورت أحوالهم بما أبعدهم عن الحياة البدوية الجاهلية، واحتفظت شبه جزيرة العرب وبخاصة مناطقها الصحراوية وشبه الصحراوية بأعداد متناقصة من السكان احتفظوا بأنماط حياتهم البدوية الأولى، بما في ذالك النظام البدوي وتماسكه، ولم يعد لهم دور فاعل بارز، ولم تمتد إليهم الفرق التي نشأت في الأمصار، ما خلا الخوارج في الأطراف الشرقية من الجزيرة، وبذالك صار أهل الجزيرة من سكان نجد وجبالها على هامش الحياة العامة، واقتصر دورهم على زيارات قصيرة للأمصار، لمبادلة محدودة من سلعهم من المواشي ومنتوجاتها والتزود ببعض حاجاتهم المعاشية المحدودة.

غير أنهم احتفظوا بلغتهم العربية الأصيلة بمفرداتها، السليمة بتراكيبها، فكانت المصدر الرئيس لعلماء اللغة الذين كانوا يتصلون بمن يقدم منهم الأمصار مؤقتًا، أو يرحلون إلى البدو في ديارهم الصحراوية ليلتقطوا معارفهم ومفردات اللغة وتراكيبها، وظلت هذه الرحلات العلمية المحدودة قائمة حتى أواسط القرن الثالث(٧).

ومن المفيد الإشارة إلى أن مُرَبِّي أولاد الخلفاء كانوا من المعنيين باللغة العربية السليمة، وليس بالمعارف الأخرى. ولم يعرف ممن اتصل منهم بالبدو بعنايته بأخذ معلومات منهم عن الأنساب التي ظلت الأمصار مراكزها الأساسية، وسجلات الدواوين معينها الثرّ.

وذكر اللغويون معلومات متفرقة قليلة عن أنساب بعض الرجال والعشائر، بما في ذالك القبائل والعشائر اليمانية وأنسابها ومؤلفيها ممن كان مقامهم في الأمصار الشمالية، وبخاصة الكوفة والبصرة وبغداد والفسطاط ولم يعرف عن أي من هؤلاء المؤلفين سكناه اليمن أو زيارته لها، وهذا يرجح أن معلوماتهم في هذا الميدان قليلة وأنها تصف أحوال اليمانيين في هذه الأمصار الشمالية وما فيها من معلومات شحيحة عن أحوال أقاليم اليمن.

إن كثيراً من الحوادث السياسية والفكرية الكبيرة شارك في كل منها رجال من مختلف العشائر، وكثيراً ما كان الفرد يعادي ويقاتل مَنْ هم من أبناء عشيرته المنضمين إلى الجهة المعادية لمن ينضم إليها، ومن هنا لم تكن للعصبية القبلية القوة التي ادّعاها بعض المُحْدَثين في دراستهم للعصر الأموي، ولم يكن لها صدى في المفاخرات بين المدن، أوْ حتى في النقائض الشعرية الأولى التي كان غير قليل منها بين أفراد من قبيلة واحدة كالنقائض بين جرير والفرزدق. ولا في المهاجات التي كانت تستعر بين الأفراد لدوافع شخصية.

مؤلفات العرب في الأنساب: يقول ابن النجار مؤلف «تاريخ الكوفة» عن أبي عبدالله السكوني الكندي النسابة: قال ابن عبدة النسابة: ما عرف النساب

أنساب العرب على حقيقته حتى قال الكميت النزاريات، فأظهر فيها العرب وأيامها، قال أبو عبدالله: فلما سمعت هذا جمعت شعره فكان عوني على التصنيف لأيام العرب[٨]. وهذه الرواية إن صحت فهي تشير إلى أول ظهور المعنيين بالبحث في أنساب الشماليين والجنوبيين.

إن الكتاب الوحيد من كتب الكميت (ت ١٢٦) الذي وصلنا عنوانه «الهاشميات» ولا نعلم له كتابًا بعنوان «النزاريات» والكتاب مطبوع عدة طبعات، وهو إشادة بالهاشميين، ولم يعممه على النزاريين، ولم يتطرق إلى القحطانيين، وأول مفاخرة بين القحطانيين والعدنانيين وصلتنا أخبارها كانت في زمن خلافة أبي العباس السفاح، وهي مفاخرة برجال الفريقين، وانجازاتهم خاصة بعد الإسلام، وليس فيها ذكر لشجرات النسب التي هي موضوع دراستنا الحالية.

ظل الاهتمام بالنسبة يحظى بالتقدير عند الناس، فقد حرص أكثر الأخباريين على ذكر أسماء العشائر التي ينتمي إليها من ذكروا مشاركتهم في الحوادث السياسية، كما عُنِي رواة الحديث خاصة بذكر نسبة رواة الحديث ورجال السيرة.

خص ابن النديم في كتابه «الفهرست» بابًا عن (الأخباريين والنسابيين وأصحاب السير والأحداث ذكر فيه عددًا، وصف كلاً منهم بأنه ناسب أو نسابة، فذكر منهم دغفل البكري، ولسان الحمرة، وعبيد بن شرية وعلاقة بن شور، وصحار العبدي، والشرقي بن القطامي، وسعد القصير، وعوانة بن الحكم، وخالد بن طليق، وابن أبي مريم، والهيثم بن عدي، وأبو البختري وعلان الشعوبي، وعمر بن بكين صاحب الحسن بن سهل، وابن أبي موسى، وسلمويه، والسعد بن سعيد السكوتي، وعيينة بن المنهال، وعمر بن شبَّة، ومنجوف السدوسي، ولم يذكر لأي منهم كتابًا[٩].

وذكر عددًا من النسابين سمى كتبهم، ومنهم صالح الحنفي ألف «نسب يشكر»[١٠] وأبو اليقظان (ت ١٧٠) له كتاب «نسب خندف وأخبارها»،

و«النسب الكبير»[١١] وأبو خالد الغنوي له كتاب «أخبار غني وأنسابهم» وكتاب النسب[١٢].

وذكر محمد بن عبدة بن سليمان صاحب العبدي، أحد النسابين الثقات له كتاب «النسب الكبير» ويحتوي على أنساب القبائل على مثال كتاب هشام بن الكلبي، وله غيره كتاب مختصر أسماء القبائل، وكتاب معد بن عدنان وقحطان[١٣].

مؤلفات الشماليين في أنساب أهل اليمن: وردت إشارات إلى اهتمام أهل الشمال بعلم اليمانيين، فيروي الأزرقي بسنده عن ابن عباس لما هدموا الكعبة وبلغوا أساس إبراهيم وجدوا في حجر من الأساس كتاباً فدعوا له رجلاً من أهل اليمن وآخر من الرهبان فإذا فيه[١٤]: وذكر نقوشاً أخرى قرأها لأهل مكة رجال من أهل اليمن، ومن المعلوم أن أول الكتب المعروفة المؤلفة بعد الإسلام هو كتاب «التيجان» لوهب بن منبه، وفيه معلومات كثيرة عن ملوك اليمن الأولين، يخرج تحليلها عن نطاق بحثنا.

وفي أوائل العَصْر العباسي ذكر ابن النديم مؤلفات كتبت عن اليمن، ومما ذكره كتابي «مثالب اليمن» و«الأوس والخزرج» لعلان الشعوبي، وكتاباً ألفه أبو الحسن النسابة في مثالب اليمن. وذكر أن ابن الكلبي ألف عن اليمن كتباً عناوينها «ألقاب اليمن» و«نواقل قضاعة» و«ملوك كندة» و«بيوتات اليمن» و«ملوك اليمن من التبابعة» و«أمر عمرو بن معدي كرب»[١٥] و«منار اليمن»، وهي كتب مستقلة عن كتابه في الأنساب، ولم يصلنا أي منها.

ويظهر مما ذكره الهمداني اطلاع علماء أهل اليمن على ما كتبه النسابون الشماليون عنهم، ولكنها لم تحظ بالتقدير الكبير، فقد جاء في هذه القصيدة:-

لعمرك ما الكلبي إن عُدَّ علمه ... وعلم جُبير والإمام أبي بكر
ولا ابن عدي هيثم ان سألته ... ولا الكيِّس النساب نسابة النمر
ودغفل في تشجيره وابن شرية ... بأعرف فيما حاولوا من أبي نصر
وما علمهم في علمه غير مجَّة ... ترشَّفها الظمآن من زاخر غمر[١٦]

إن أبرز النسابين الأولين هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٦) وله عدة كتب أوسعها كتابه «النسب الكبير»، وقد حظي بتقدير فكان له أوسع انتشار، وكان أكثرها اعتماداً عند من تلاه، وتظهر نسبته أنه من كلب التي يعدها النسابون من قضاعة، وكانت ديارها في صدر الإسلام الأطراف الشرقية والجنوبية من بادية الشام، ولها دور كبير في الحوادث السياسية في بلاد الشام في صدر الإسلام، وخاصة في زمن معاوية ومروان بن الحكم، ولكن لم يكن لها عدد كبير في الكوفة أو دور ملحوظ فيها.

وكان جد هشام وأخويه عبيد وعبدالرحمن بنو بشر قد شهدوا الجمل وصفّين مع علي بن أبي طالب، وشهد أبوه محمد بن السائب (ت ١٤٦) الجماجم مع عبدالرحمن بن الأشعث، وكان محمد بن السائب من علماء الكوفة في التفسير والأخبار وأيام الناس، وأورد له الطبري في «التفسير» والأزرقي في «أخبار مكة»، والفاكهي في «تاريخ مكة» معلومات كثيرة مما نقله عن أبي صالح عن عبدالله بن عباس، وكثير مما نقله معلومات تتعلق بأحوال مكة قبيل الإسلام، وفيها إشارات إلى أحوال اليمن.

وذكر ابن النديم أن محمد بن السائب يتقدم بالناس بالعلم بالأنساب أخذ نسب قريش عن أبي صالح، وأخذه أبو صالح عن عقيل بن أبي طالب، وأخذ نسب كندة عن أبي الكناس الكندي، وكان أعلم الناس، وأخذ نسب بني عدنان عن النجاد بن أوس العدوي، وذكر أيضاً أن محمد بن السائب أخذ عن خراش بن اسماعيل الشيباني العجلي ويكنى بأبي وعرا وهو أحد؟ النسابين، وله من الكتب كتاب «أخبار ربيعة»، ولم يصلنا مما ألف محمد بن السائب في النسب، ولعل كثيراً من معلوماته دخلت في كتاب ابنه هشام[١٧].

وصلتنا من كتاب «الأنساب» لهشام بن محمد الكلبي مخطوطتان، أحداهما في (المتحف البريطاني)، والثانية في (الاسكوريال) ونشرت للمخطوطة

الأولى طبعتان أعد أحداهما محمود فردوس العظم، وأعد الثانية ناجي حسن، وطبع العظم مخطوطة الاسكوريال أيضاً.

ووصلنا من كتاب «الأنساب» لهشام ملخصات منها «المقتضب من كتاب جمهرة النسب» لياقوت الحموي، وطبعه مؤخراً ناجي حسن، ومختصران آخران أعدهما فيما يظهر ابن الشعار الموصلي، ومختصر ثالث أعده مجهول وهو في مكتبة (جامعة برنستون).

بحثت نسخة لندن قبائل عدنان مبتدئة بقريش ثم تميم وبطونها، فقيس عيلان وفروعها، ثم غطفان، فبكر، فعبد القيس، ثم إياد والأزد وغسان. وكل هذه العشائر، ما عدا الأخيرتين عدنانية، وهذه المخطوطة برواية محمد بن حبيب الذي لعله أدخل بعض التعديل على أصلها بالاختصار أو الإضافة.

أما مخطوطة (الاسكوريال) فهي مخصصة للقحطانيين، بدأها بكندة ثم تلاها بالمجموعات اليمانية الأخرى بمن فيهم همدان ومذحج، ثم الأزد، وذكر تفاصيل فروع كل مجموعة وإشارات إلى خططها ومساجد بعضها وأبرز رجالها في الكوفة، بعضهم ودورهم في أحداثها.

ومن كتاب «الأنساب» لابن الكلبي نقول كثيرة في عدد من الكتب من أبرزها «الطبقات» لخليفة بن خياط و«الطبقات» لابن سعد و«الأنساب» للسمعاني «الإكمال» لابن ماكولا. ولم تجر محاولة مستوعبة لجرد هذه النقول ومطابقتها مع المطبوع.

وقد تبين لي من دراسة مفصلة عن (الكوفة) أن معلومات ابن الكلبي هي وصف شامل مستوعب عن الكوفة، وأن ما أورده عن غيرها شحيح مما يجعلنا لا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا: إن الكتاب في أساسه وصف لعشائر أهل الكوفة، ولا يشمل الأقاليم الأخرى ما عدا الحجاز بما فيها قريش والأنصار.

كتب السير والرجال: ذكر مؤلفوا سيرة الرسول ﷺ والمؤلفون من

الصحابة ورجال الحديث معلومات عن الأنساب وبعض أخبار اليمن. وأقدم كتاب شامل وصلنا هو «سيرة الرسول ﷺ» برواية عبدالملك بن هشام الحميري الكوفي الذي حذف في روايته بعض ما أورده ابن اسحاق، وأضاف معلومات أشار إلى مصادرها.

إن كتاب «السيرة» لابن اسحاق يتكون من ثلاثة أقسام متميزة، هي المبتدأ، والمبعث، والغزوات. وفي المبتدإ معلومات عن الأنساب الأولى مع معلومات عن بعض أحوال اليمن، أما المبعث فبحث فيه الدعوة الإسلامية في العصر المكي، وليس فيها معلومات وافية عن الأنساب، أما القسم الثالث ففيه أبحاث عن الهجرة، واليهود، والمنافقين، وغزوات الرسول ﷺ وعدد من الحوادث التي مرت بها الدعوة الإسلامية.

عُنِي ابن إسحاق بذكر أسماء المشاركين في الحوادث البارزة التي واجهتها مسيرة الإسلام في زمن الرسول ﷺ وكانت قوائم هذه الأسماء كبيرة، وخاصة في مهاجرة الحبشة. والمشاركين في بيعة العقبة، وفي معركة بدر، والمستشهدين فيها، فضلاً عن المشركين وأسراهم في بدر وأحد والخندق، والمستشهدين في خيبر ومؤتة. وعُني بذكر أنساب أكثر الأشخاص الذين ذكرهم، وانتماءاتهم القبلية، ونظم أكثر قوائمه الطويلة على أُسس قبلية، وكانت قوائمه واسعة عن الأنصار من أهل المدينة وعن مهاجرة قريش وبعض مهاجرة أهل الحجاز.

وذكر أسماء وفود أهل اليمن وأشار إلى بعض أحوالها وأحكامها، وذكر أنساب بعض من بحثهم، وكان كتابه معتمد الباحثين في الموضوع فنقلوا معلوماته، مع حذف أو إضافات مختلفة.

وعنيت الكتب الأولى في تراجم الصحابة ورواة الحديث بذكر نسب بعض من ترجمت له، وساقت أنساب بعضهم. ومن أقدم ما وصلنا من هذه الكتب

كتابا «الطبقات» لخليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠) و«الطبقات الكبرى» لمحمد بن سعد (ت ٢٣٠)، رتب خليفة بن خياط كتابه على أساس الطبقات أي تتابع الرجال حسب زمنهم، ونَسَّقَ هذا جميع من بحثهم، وأشار إلى منازلهم، وذكر نسبة من ترجم لهم، وساق أنساب بعضهم، ولم يشر في ذالك إلى مصدره الذي يبدو أنه كان معتمداً على ابن الكلبي.

أما كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد فهو كتاب ضخم طبع في ثمانية أجزاء، ناقصة أكملتها مجلدات عن من أسلم بعد فتح مكة، والطبقة التي عاشت في أواخر العصر الأموي في المدينة، ولازال بعض النقص في مجلدات أجزاء أخرى تنتظر من يعنى بإعادة طبعها مستفيداً من مخطوطات جديدة وبخاصة مخطوطة أحمد الفاتح.

خص ابن سعد الجزئين الأولين بسيرة الرسول ﷺ وأشار في حوادثها إلى عدد من المسهمين فيها، أما الأجزاء الأخرى فخص كلاً منها برجال بلد، فالجزئين الثالث والرابع ومكمله المطبوع حديثًا، بحث فيهما رجال الأنصار والمهاجرين، والخامس مكرس لأهل المدينة من الأنصار والمهاجرين، وساق نسب عدد منهم معتمداً على ابن اسحق وموسى بن عقبة وعبدالله بن محمد بن عمارة القدَّاح. كما ذكر نسبة وأنساب عدد من رجال الوفود بمن فيهم أهل اليمن. وخص الجزئين السادس بأهل الكوفة، والجزء السابع بأهل البصرة وبغداد، والجزء الثامن بالنساء، وفي الجزء الذي خصه بأهل الكوفة ذكر نسبة من ترجم لهم، وساق أنساب عدد منهم، وفيهم غير قليل من أهل اليمن.

وفي كتب الطبقات، وأبرزها كتابي خليفة بن خياط والبستي إشارات إلى أنساب المترجم لهم، وأكثرهم يعتمد في ذالك على كتاب ابن المعلي.

ومن أغنى كتب التراجم المفيدة في أهل اليمن كتاب «تاريخ مصر» لعبدالرحمن بن يونس الصدفي (ت ٣٤٧)، لم يصلنا كتاب ابن يونس، وإنما

وصلتنا منه مقتطفات كثيرة، قمت بجمعها فكونت مجموعة ضخمة فيها معلومات عن رجال أهل اليمن الذين كونوا أكثرية أهل الفسطاط. وفيها معلومات عن نسبتهم وأنسابهم أشار في كثير منها إلى اعتماده على سجلات الديوان فيها، ولا نبالغ في القول أنه قدَّمَ أوسعَ المعلومات عن عشائر أهل اليمن، فهو يتلو في ذالك كتب الهمداني إن لم يوازنها(١٨).

مؤلفات أهل الشمال في أنساب أهل اليمن: ذكرنا أن أعداداً كبيرة من أهل اليمن هاجروا منها واستوطنوا الأمصار في العراق وبلاد الشام والفسطاط، وأسهموا بكثير من الحركات السياسية وفي عدد من جوانب الحياة الفكرية. وشغل عدد منهم مناصب عسكرية وإدارية عالية في أرجاء متعددة من الدولة. غير أن استقرارهم في الأمصار أضعف صلتهم بأقليم اليمن، وتناقصت معرفة الأجيال التالية منهم بأحوال اليمن، وانصبت أكثر اهتماماتهم على الأحوال في مواطنهم الجديدة. ومع أنه ظهر وخاصة في الكوفة عدد من الأخباريين ذوي الأصول اليمانية من أبرزهم، أبو مِخْنف الغامدي، وهشام بن محمد وعوانة الكلبيان، وعبدالملك بن هشام الحميري الذي راج تهذيبه لسيرة ابن اسحاق، وظهر في مصر من الأخباريين الحارث بن يزيد الحضرمي، والمفضل بن محمد الجَنَدي، وأبو عمرو الكندي، وأبو عمرو المرهبي، وعبدالله بن عمر الرشدي، وعبدالرحمن بن يونس الصدفي الذي قدم معلومات واسعة عن رجال العشائر اليمانية، وأشار في أماكن كثيرة إلى رجوعه فيها إلى سجلات ديوان الجند(١٩)، كما أشار إلى نسب قديم كان قد نسخه عبدالله بن ربيعة (ت ١٧٤) ذكره، ورأيت في بعض الكتب القديمة في النسب القديم بخط ابن ربيعة (ت ١٧٤)(٢٠).

وقد أشار ابن الحائك الهمداني إلى أن أخبار حمير أخبار قديمة مشتركة بين جميع الأمم، قد زيد فيها ونقص، وحمل عليها وحذف، واشتبه أسماء كثير من رجالها على أهل الشعر من اليمن، فنحلوا بعضاً ما لبعض وسموا بعضاً بأسماء بعض(٢١).

ولم يصلنا كتاب كامل في أنساب اليمن، وإنما وصلتنا مقتطفات من كتب مفقودة عن أنسابهم منها ما نقله ابن العديم في «بغية الطلب»، من نصوص ذكر أنه نقلها عن كتب في أنساب اليمن ومما ذكرها من ذالك: (وقرأت في جمهرة نسب اليمن ولا أعلم مؤلفه في ذكر نسب العرق الودكان: ابن عمرو بن عبيد بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد بن رفيدة بن زيد بن كلب بن وبرة بن تعلب بن حلوان، قال محمد ولد بني الودكان بن عمرو بن خناصة بن الحرث بن كلب، فكان قد ملك الشام وبه سميت خناصرة: وقرأت في كتاب وقع إليّ في القاهرة في جماهير أنساب اليمن وأسماء ملوكها: قال أبو القاسم الحسن بن علي الكوفي حدثنا أبو سليمان داوود بن عبدالله اليماني، الصنعاني الأنصاري عن أبيه قال: أُتِيَ معاوية بن أبي سفيان بشيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فما نظر إلا ما رفع إليه، وقال: ما اسمك؛ قال عبيد بن شَرْية الجرهمي، قال: وهل بقي من جرهم أحد، قال: أنا من بينهم، قال فسأله عن مسائل ذكرها إلى أن ذكر له وأن يافث، فقال: يافث بن نوح ولد سبعة ذكور: منهم جوسمان بن يافث وماجوج بن يافث ومازان بن يافث، وثوبان بن يافث، وماسح بن يافث وسراي بن يافث، قال ولد ماوان.

وقد ذكرنا في باب المصيصة ما قرأته في كتاب جماهير أنساب اليمن من حديث الشيخ الكبير الذي دخل على معاوية بن أبي سفيان وذكر أنه من جرهم، وذكر له أن يافث بن نوح له سبعة ذكور وعدد فيهم ماجران بن يافث، وقال وولد باوان بن يافث اياس والمصيص وطرسوس وأدنة، والروم من ولد هاؤلاء دخلوا بلادهم فعرفت بأسمائهم على تخوم الروم طرسوس وأدنة والمصيصة واياس.

ونقل ابن ماكولا في كتابه «الإكمال في معرفة الرجال» معلومات عن أنساب أهل اليمن نسب بعضها إلى ثلاثة من النسابين أشار إلى تأليف كل منهم كتابًا في أنساب أهل اليمن وهم أحمد بن الحُباب، وأحمد بن محمد بن سعيد، وهاني بن

المنذر. ونقل السمعاني في كتابه «الأنساب»، كثيراً مما ذكره ابن ماكولا عن هاؤلاء الثلاثة، وتدل النقول عنهم على أهمية كتبهم التي لم يصلنا منها غير هذه المقتطفات، ولعل آخرين، كالرُّشاطي نقل أيضًا عنهم. وأورد فيما يلي ما نقله ابن ماكولا ليكون أساسًا لبحوث تالية قد تغني معلوماتنا عنهم(*).

(للبحث صلة)

بغداد: الدكتور صالح أحمد العلي

الحواشي:

(*) [«العرب»، ثم استرسل الباحث الكريم في الحديث عن هاؤلاء النسابين أحمد بن الحباب، وأحمد بن محمد بن سعيد، وهاني بن المنذر، ونقل نصوصًا منسوبة إليهم في بعض المؤلفات المشهور ككتاب ابن عبد الحكم عن مصر، وكتاب «الإكمال» لابن ماكولا، و«الأنساب» للسمعاني و«تاريخ بغداد»، و«تاريخ دمشق»، وبعض كتب رجال الحديث وغيرهم من الكتب المشهورة، ولم يذكر لهم كتبًا معروفة، فاكتفينا بالإشارة هذه لضيق مجال المجلة].

(١) انظر «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم، ومقدمة كتاب «الأنساب» للسمعاني.

(٢) «الحيوان» ٢ / ١٠٨.

(٣) انظر تفاصيل أوفى في كتابنا «دراسات في نشأة الحركة الفكرية في صدر الإسلام».

(٤) «الفهرست» ٢٩٧ - ٨.

(٥) «الحيوان» ٣ / ٢٠٩ - ٢١١.

(٦) «البيان والتبيين» ٢ / ٢٦١.

(٧) انظر «تاريخ آداب العرب» لمصطفى صادق الرافعي، و«الأعراب الرواة» لعبد الرحمن الشلقاني، وانظر «المزهر» للسيوطي.

(٨) «معجم الأدباء» ١ / ٤٠٩ (طبعة مرجوليوث)، وانظر «مروج الذهب» ٣ / ٣٣٢.

(٩) «الفهرست» ١٠٥، وابن أبي مريم ١٠٧، وأبو محمد ١١٢، وعيينة ١٢٣.

(١٠) «الفهرست» ١٠٢.

(١١) «الفهرست» ١٥٦.

(١٢) «الفهرست» ١١٧.

(١٣) «الفهرست» ١١٨.

(١٤) «أخبار مكة» ٤٢ طبعة وستنفلد.

(١٥) «الفهرست ١١٨ و٢١٥ و١٠٨.

(١٦) «الإكليل» ١ / ١٦.

(١٧) «الفهرست» ١٠٧ - ١٠٨.

(١٨) جمعت كثيراً مما نقل عن ابن يونس، وارجو الله أن يوفقني على استيعابها وإكمالها بمقتطفات أخرى، وبخاصة ابن مندة الذي كان معتمد السمعاني في نقله عن ابن يونس.

(١٩) انظر تفاصيل أوفى في كتاب «تاريخ التراث العربي» م١ ج٢.

(٢٠) «الإكمال» ١ / ٢٢٧.

(٢١) «الإكليل» ٢ / ٤٦٥.

هوامش على «رحلة ابن بطوطة»

(٢)

(٩) في المجلد ١ / ١٩٧ أورد أبياتًا لأبي الفتح ابن وكيع في وصف خليج تِنِّيس، ولم يترجم للشاعر ولا خرّج الأبيات.

يقول هلال بن ناجي: أمّا الشاعر فهو الحسن بن علي بن أحمد بن محمد بن خلف الضّبِّي، الشهير بابن وكيع التنِّيسي. كنيته أبو محمد (وليس أبو الفتح) أصل أسرته من بغداد. وجَدُّهُ محمد بن خلف ولقبه وكيع، وكان قاضي القضاة في بغداد وله مصنفات كثار أبرزها كتاب «أخبار القضاة» وهو مطبوع في ثلاثة أجزاء، توفي الجدّ سنة ٣٠٦هـ ببغداد.

وأمّا صاحبنا فهو شاعر مصنف له ترجمة في «يتيمة الدهر» ١ / ٣٧٢- ٤٠٠ تزخر بنماذج من شعره وتخلو من المحتوى ولا تقدم أية معلومات عن الشاعر. وترجم له ابن خلكان في «وفياته» ٢ / ١٠٤- ١٠٧ ترجمة جيدة، وأرخ وفاة الشاعر زمانًا ومكانًا. فقد توفي في تنّيس سنة ثلاث وتسعين وثلاث مئة بعد إصابته بالفالج. من مصنفاته الدالة على غزارة اطلاعه كتابه المطبوع «المنصف» في نقد شعر المتنبي. وكان ابن جنّي قد ألف كتابًا في الرد عليه.

نشر هلال بن ناجي ديوانه في بيروت سنة ١٩٩١- دار الجيل. ثم أعيد نشر الديوان في بغداد سنة ١٩٩٨ تحت عنوان «ديوان الحسن بن علي الضبّي الشهير بابن وكيع التنّيسي» والأبيات الثلاثة الواردة في الرحلة له في ذيل ديوانه ص ١٤٠. رواية عجز الأول: ذوائب القُضُب. ورواية عجز الثاني: صَفَّ قنًا سندسية العذب. وقد لحق العجز تحريف في الرحلة فأصبح: صب قنا.

(١٠) في المجلد ١ / ٢٠١ ستة أبيات لناصر الدين بن ناهض في وصف مصر. لم يخرجها محقق رحلة ابن بطوطة.

(١١) في المجلد ٤ / ٢٢١ أورد مقطعة لمحمد بن أحمد بن شِبرين السبتي أولها:

رعى الله من غرناطةٍ مُتَبَوَّأً ... يَسُرُّ حزينًا أو يجيرُ طريدا

ولم يخرجها. قلت: وله ترجمة جيدة في «الإحاطة في أخبار غرناطة» ٢ / ٢٣٩ - ٢٤٩ توفي سنة ٧٤٧هـ. ولم أجد المقطعة فيما أورده ابن الخطيب من شعره.

(١٢) في المجلد الأول ص ٣٠٤ أورد مقطعة لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد العنسي الغرناطي ولم يخرجها.

قلت: الأبيات (٢ - ٤) له في «الغصون اليانعة في شعراء المئة السابعة» لابن سعيد ص ١٤٤. رواية عجز الثاني: والنشر مرتفع والماء منحدرُ

وانفردت «الرحلة» بالبيت الأول

(١٣) في المجلد ١ / ٢٧٩ ورد بيتان لكشاجم لم يخرجهما المحقق.

قلت: هُما لكشاجم في ديوانه بتحقيق خيرية محمد محفوظ ص ١٩٩، من قصيدة أولها:

أرَتْكَ يَدُ الغيث آثارَها ... وأعلنتِ الأرضُ أسرارها

ورواية صدر البيت الثاني في ديوانه: هي الخُلد تجمع ما تشتهي

(١٤) في المجلد ١ / ٣٠١ أورد بيتين لعرقلة الكلبي الدمشقي أولهما:

الشامُ شامةُ وَجْنَة الدنيا كما ... إنسان مقلتها الغضيضة جلّقُ

ولم يخرجهما الدكتور المحقق. وهما لعرقلة في ديوانه - تحقيق أحمد الجندي ص ٦٨ برواية مطابقة. وجاء عجز البيت الثاني في الرحلة: ومن الشقيق جهنم ولا تحرق، فالواو زائدة، من تطبيعات المطبعة.

(١٥) في المجلد ١ / ٢٧٥ وردت مقطعة لجمال الدين علي بن أبي

منصور، لم يترجم له المحقق ولا خَرَّجَ المقطعة. قلت: هو الفقيه الوزير أبو الحسن علي بن ظافر بن الحسين المعروف بابن أبي منصور. والأبيات من قصيدة له مدح بها الملك الظاهر بن يوسف بن أيوب في «الأعلاق الخطيرة» الجزء الأول - القسم الأول ص ٤٠٤ - ٤٠٥. رواية رويّ الثاني: أزاهرا. وصدر الثالث: ويظل (وهو الصواب).

(١٦) في المجلد ١ / ١٩٥ وردت مقطعة لعلي بن موسى بن سعيد الغرناطي، أولها:

خَيِّمْ بجلق بين الكأس والوتر ... في جنّة هي ملْءُ السمع والبَصَرِ

وقعت فيها تطبيعات (أغلاط مطبعية): لفظة خيِّم، ضبطت بفتحة فوق الشدة وهو خطأ. وجلِّقَ، ضُبطت بكسر الجيم وسكون اللام، وهو خطأ بيِّن، والمحقق لم يخرج المقطعة. قلت: وهي من نادر شعر ابن سعيد، فقد انفردت بها رحلة ابن بطوطة ولا وجود لها في المصادر الأخرى، فهي من فوائد الرحلة.

(١٧) في المجلد ١ / ٢٧٨ مقطعة لأبي العلاء المعري. قال محقق الرحلة انها في «سقط الزند» من قصيدة حول زفاف أحد أمراء حلب.

قلت: وقد وقع في البيت الأول خطأ في الضبط وتطبيع. ورد البيت هكذا:

حَلَبٌ للوارد جنّةُ عَدْنٍ ... وهي للغادرين نارٌ سعيرُ

وصواب الرواية: حَلَبٌ للواردين... .... نارُ سعيرِ

فبقية الأبيات قافيتُها راء مكسورة. وفي «سقط الزند» - طبعة دار صادر ودار بيروت - ١٩٦٣. ص ٧٢ - ٧٣. رواية صدر الأول: حلبٌ للوليّ جنّة عدنٍ.

(١٨) في المجلد ٢ / ٥٩ ورد بيتانِ لعبدالوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي في مدح بغداد ولم يخرجهما وفي الهامش ترجم ترجمة مقتضبة للمذكور ولم يذكر مصدره كما اعتاد أن يفعل.

يقول هلال بن ناجي: للشاعر الفقيه عبدالوهاب ترجمات في مظان عدة من بينها: «فوات الوفيات» ٢ / ٤١٩ و«الديباج المذهب» ٢ / ٢٦- ٢٩ و«ذخيرة ابن بسام» - القسم الرابع - المجلد الثاني ص ٥١٥- ٥٢٩ وهي أجود ترجماته وأوسعها.

(١٩) في المجلد ٢ / ٥٩ وردت أربعة أبيات للقاضي عبدالوهاب بن علي بن نصر المالكي البغدادي ولم يخرجها محقق الرحلة.

قلت: هي له في «الذخيرة» ق٢ المجلد٢ ص ٥١٦ مع اختلاف في الرواية.

رواية صدر الثاني: قاليًا لها.

ورواية الرابع: أهوى وصاله ... واخلاقهُ تنأى به وتخالف.

(٢٠) في المجلد ٢ / ٥٩ بيتان للقاضي عبدالوهاب بن علي المالكي لم يخرجهما أيضًا.

قلت: هما له في «الذخيرة» ق٢ م٢ ص٥٢٥- ٥٢٦. رواية صدر الثاني في «الذخيرة»: أصبحت فيها مهانًا في أزِقَّتها.

(٢١) في المجلد ٢ / ٦٠ وردت أربعة أبيات لعلي بن النبيه في مدح بغداد أولها:

آنَسْتُ بالعراق بدرًا منيرا ... فطوَتْ غيهبًا وخاضت هجيرا

قلت: لعلي بن النبيه الشاعر المصري ديوان مطبوع، لكن محقق الرحلة لم يُخرج المقطعة فيه. وديوانه بتحقيق عمر محمد الأسعد - دار الفكر ١٩٦٩. والأبيات من قصيدة في مدح الإمام الناصر لدين الله ص١٠٠- ١٠١. رواية صدر الأول في ديوان: برقا منيرا. ورواية صدر الثاني: ريّا نسائم.

(٢٢) في المجلد الرابع ص ٢١٥- ٢١٧ أورد أحد عشر بيتًا من قصيدة شهيرة لمحمد بن غالب الرصافي البلنسي في مدح مؤسس الدولة الموحدية

عبد المؤمن بن علي. ولم يخرجها في ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور إحسان عباس – بيروت ١٩٦٠.

قلت: في رواية الديوان لبعض الأبيات اختلافات:

رواية الثاني في الديوان: حتى رمت جبل الفتحين من كَثَبٍ

ورواية عجز التاسع: مُغْفَرّ الأسارير . والمغفرّ: المحجوب المستور

وقد تنبه المحقق الجليل إلى وقوع نص الرحلة في خلط في رواية بعض أبيات هذه القصيدة ونَبَّه على ذلك في الهامش رقم ١٩.

قلت: حين يسقط عجز البيت الأول وصدر البيت التالي، ويتصل صدر الأول بعجز الثاني كما حدث في رواية الرحلة، يقال عنها في الاصطلاح اللغوي: روايةٌ مُداخلة.

(٢٣) في المجلد الأول ص ١٧٠ أورد أربعة أبيات لعلي بن حبيب التنوخي في بلدة صفاقس أولها: سُقيا لأرض صفاقس ذات المصانع والمُصَلّى

فلم يُخَرِّجْها ولا ترجم لشاعرها.

قال هلال بن ناجي: أمّا الشاعر فهو تونسي صفاقسي له ترجمة في كتاب «الأنموذج» لحسن بن رشيق ص ٢٢٥ – ٢٢٧ وفي «وفيات الأعيان» ٦ / ٢١٥ وأمّا الأبيات فهي له من مقطعة في «الأنموذج» ص ٢٢٦ – ٢٢٧.

(٢٤) في المجلد الأول ص ٣٠٣ – ٣٠٤ أربعة أبيات في تحية دمشق، قال ابن جزي في الرحلة: إنها للقاضي الفاضل عبدالرحيم البيساني من قصيدة نُسبت أيضًا لابن المنير. ولم يخرجها محقق الرحلة، وإن كان قد ترجم للشاعرين المذكورين.

قلت: للقاضي الفاضل ديوان مطبوع في جزءين بتحقيق د.أحمد أحمد بدوي – القاهرة ١٩٦١ ولم أجد الأبيات في ديوانه، ولابن منير الطرابلسي

ديوان مطبوع جمعه وحققه د. سعود محمود عبدالجابر ولم أجد الأبيات فيه أيضاً، فالديوان المذكور قام على الجمع وليس على أصل مخطوط، وأرى أن هذه الأبيات أَلْصَقُ بابن منير الطرابلسي فَلَهُ أشعار كثيرة في وصف متنزهات دمشق وقراها مثبتة في ديوانه المطبوع، وله في ديوانه قصيدة على وزنها وقافيتها ص ١٥٢ - ١٥٣ أولها:

أخلى فصدّ عن الحميم وما اختلي ... ورأى الحمام يُغصّه فتوسّلا

ربّما تكون الأبيات منها. فالأبيات من فوائد الرحلة.

(٢٥) في المجلد ٣ / ٢٣٦ وردت مقطعة لابن بطوطة من قصيدة قالها مدح بها أحد السلاطين في مملكة محمد بن تُغلق. وفيها البيت التالي:

أأذكرها أم قد كفاني حياؤكم ... فإنّ حياكم ذكرهُ كان أجملا

قلت: وهو من قول الشاعر القديم:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني ... حياؤك إنَّ شيمتكَ الحياءُ

(٢٦) في المجلد ٢ / ٨٥ أورد بيتًا لأبي نواس هو:

طابَتْ (نَصيبين) لي يومًا وطبتُ لها ... ياليت حظّي من الدنيا نَصيبَيْنِ

ترجم المحقق لأبي نواس، ولم يخرج البيت في ديوانه المطبوع طبعات كثيرة.

قلت: ولم أجد البيت في «ديوان أبي نواس» - تحقيق أحمد عبدالمجيد الغزالي - بيروت.

(٢٧) في المجلد ١ / ٢٦٩ أورد ستة أبيات لابن سعيد الغرناطي ولم يخرجها، أولها:

حمى اللهُ من شَطَّيْ حماةَ مناظرًا ... وقفتُ عليها السمعَ والفكرَ والطرفا

قلتُ: هي لابن سعيد في «نفح الطيب» للمقري ٣ / ٩١ - تحقيق يوسف البقاعي - ١٩٨٦ رواية عجز الثاني: تمنح الواصفَ الوصفا

رواية صدر الثالث: يلومون أن أعصي التَّصوّن والنهى

ورواية عجز الخامس: وأشبهها غرفا

(٢٨) في المجلد ١ / ٢٧٩- ٢٨٠ أورد ستة أبيات لابن سعيد الغرناطي ولم يخرجها.

قلتُ: الأبيات لابن سعيد في «نفح الطيب» ٣ / ٩١ - تحقيق يوسف البقاعي - دار الفكر - بيروت ١٩٨٦.

رواية الثالث في «النفح»:

لاخلا جوسق وبطياس والسَعْداء من كلّ وابلٍ غيداق

ورواية عجز الرابع: فيه يُسْقى المنى بكأسٍ دهاقِ

(٢٩) في المجلد ٢ / ٢٠٤ أورد بيتين لصفي الدين الحلي ،ولم يخرجهما.

قلت: هما له في ديوانه ص ٥٨٥. رواية عجز الأول في الديوان:

يَسْفي الرمادَ على كانونه الحَرِبِ . .

والحرِب هو الذي ينادي بالويل لفزعه.

(٣٠) في المجلد الأول ص ٢٧٧ من الرحلة أورد ثلاثة أبيات للبحتري، أولها:

يابَرْقُ أسْفِرْ عن قُويق مطالبي حَلَبٌ فأعلى القصر من بِطْياسِ

لم يخرجها في ديوانه. وديوانه في أربعة أجزاء مطبوع بتحقيق صديقنا حسن كامل الصيرفي في مصر سنة ١٩٦٣.

قلت: الأبيات من قصيدة للبحتري في ديوانه مدح بها محمد بن عبدالملك

بن صالح العباسي ص ١١٣٤- ١١٣٩.

ورواية الديوان للأول: يابرقُ أَسْفِرْ عن قُويق فَطُرَّتي حلبٍ ......

والطُرَّة: طَرَفُ كلّ شيء.

وكلمة (مطالبي) تحريف، وهو تحريف لحق كل مخطوطات الرحلة فيما يبدو والصواب ما ورد في الديوان، إذْ المعنى يُساوق روايةَ الديوان، فالشاعر يدعو البرق أن يُسفر عن نهر قويق وعن طَرَفَيْ حلب وأعلى القصر من بطياس وعن منابت الورد المعصفر صبغه... الخ.

(٣١) في المجلد ١ / ٢٧٥ أورد خمسة أبيات للخالدي في وصف قلعة حلب ولم يخرجها، أولها:

وقلعة عانقَ العيون سافلها وجاز منطقة الجوزاء عاليها

قلت: الأبيات للخالديين في ديوانهما ص ١٦٥- ١٦٦ من قصيدة.

وقد وقعت في رواية الأبيات في الرحلة تحريفات. أبرزها: (وقلعةٍ عانقَ العَيُّوقُ سافِلهَا). والعَيُّوق نجم أحمر مُضيءْ، يتلو الثريا لا يتقدمها سُمِّي بذالك لأنه يعوق الدبَران عن لقاء الثريا. ورواية الرحلة: العيون، تحريف.

إذا الغمامةُ راحت غاض ساكنُها حياضَها قبل أن تهمي عواليها

راحت: صوابها: لاحت. غاض: صوابها: خاض. عواليها: ربّما صوابها: عَزاليها.

(٣٢) في المجلد الثاني ص ٥٩ أورد أربعة أبيات لأبي تمام في بغداد ولم يخرجها.

قلتُ: هي في ديوانه في خمسة أبيات المجلد الرابع ص ٤٣٨ بتحقيق محمد عبده عزام ويبدو أن تحريفات لحقت رواية الرحلة. ورد في الرحلة:

كانت على مائها والحربُ مُوقدةٌ والنار تُطفأ حُسْنًا في نواحيها

وصوابها كما ورد في الديوان : كانت على ما بها .... والنارُ تُطْفِئُ ...

وورد في الرحلة : مثلُ العجوز . الصواب : مثلَ العجوز .

وبعد فانّ كل ما تقدم لا يمسّ غير شِعْب صغير من شعاب هذا السفر الضخم بمجلداتها الخمسة .

ومن غير شك فإنّ الوسط العلمي كان يتطلع إلى إخراجةٍ علمية لهذه الرحلة تحلّ كثيرًا من غوامضها ، وتصوب أوهام الناشرين القدامى من خلال مراجعة الأصول الخطية الكثيرة التي كشفت عنها دور الكتب ، ومن خلال استيعاب ما نشر عن هذه الرحلة مشرقًا ومغربًا ، بالعربية أو بغيرها من اللغات التي تُرجمت إليها الرحلة .

وقد أُتيح لهذه النشرة التي نَهَدَ بها عالم مؤرخ مغربي جليل ، ما لم يُتح لغيرها ، ذلك أن المحقق الفاضل الدكتور عبدالهادي التازي بسبب اختصاصه في التاريخ ، وبسبب معرفته مدلولات كثير من الألفاظ المغربية - الواردة في الرحلة - بحكم انتمائه إلى المغرب ، وبسبب رحلاته الكثيرة وإقامته سنواتٍ طوالا سفيرًا للمغرب في أرجاء متعددة من الوطن العربي والمشرق الإسلامي ، وبسبب وقوفه على واحد وثلاثين مخطوطة من مخطوطات رحلة ابن بطوطة أصلاً ومُختصرًا ، وبسبب اهتمام (أكاديمية المملكة المغربية) بإخراج الرحلة إخراجًا حسنًا ، وبسبب اتقان محققها اللغتين الإنكليزية والفرنسية . فقد وفق في عمله ايما توفيق ، واحتلت هذه النشرة العلمية مكانتها الجديرة بها في الأوساط العلمية . وإنني آمل أن تسهم هذه الملاحظات في رفد هوامش الرحلة .

والله من وراء القصد .

بغداد حررها : هلال بن ناجي

الحسن اليوسيّ: حياته وآثاره

(١٠٤٠ / ١١٠٢هـ)

(٢)

أخلاقه وعلمه: كان اليوسي مثلاً يحتذى به في خلقه، ونبراسًا يضيءُ في علمه، جُبِل على نمط من خصال الطبع والسلوك في الحياة، فقد تربَّى تربية دينية، وتميز بالصلاح ونشأ على حب الخير، أما أخلاقه فتظهر واضحة في كتبه، منها تواضعه، فكان مع شهرته وارتياد الكثير من علماء المغرب مجالِسَه، لم يُصَبْ بالغرور بل كان يرى نفسه واحدًا من المسلمين، قال: (إني لا أجعل لنفسي مَدْخلاً في أية طريقة، اللهم إلا في محبّتها والايمان بها، وانما أنا من عوام المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلاّ الله وانَّ محمدًا رسول الله)(١)، وكان يكرر أقوالاً مثل التي ذكرناها، منها: أنا واحد من السكان، وأنا واحد من المسلمين وما شاكل ذالك.

ومنها صراحته، فقد كان اليوسي صريحًا في تعامله مع الناس، لا تأخذه في الحق لومة لائم، حارب البدع والضلالات التي انتشرت في زمانه وصارح عوام المسلمين بخطرها وشرورها، قال: (إذا ظهرت البدعة وسكت العالم فعليه لعنة الله)(٢). وقال: (أما تعلمون أنه لا يكون الفقير فقيرًا حتى يكون مثل الأرض، يطرح عليها كل قبيح، ولا يخرج منها إلاّ كلّ مليح)(٣).

ومنها ثقته بعلمه واعتزازه بتحصيله الفقهي والعلمي، قال: (كانت قراءاتي كلها أو جلها فتْحًا ربّانيًا، ورزقت ولله الحمد، قريحة وقادة، فكنت بأدنى سماع ينفعني الله، فقد أسمع بعض الكتاب، فيفتح اللهُ عليّ في جميعه فتحًا ظاهرًا وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه، ورُبَّ كتابٍ لم أسْمَعْهُ أصلاً غير انّ سماع بعضٍ منه في كل فن مبدأ للفتح، وتتميمًا لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ ولا تستوحش مما ذكرناه ظنًّا منك أن الربح أبدًا يكون على قدر رأس

المال، كلا فقد يبلغ الدّرهم الواحد ألفَ مثقالٍ وما ذالك على الله بعزيز)[٤]، وقد يرى من يقرأ هذا القول: انّ اليوسيَّ كان مغرورًا أو مُتَبَجِّحًا، أو ذا نفج علمي، والعكس صحيح؛ فاليوسي أرادَ من قوله شكر الله جلت قدرته على نعمه، فالذاكرة والفطنة والذكاء من نِعَمِ الله، وعلى المؤمن ذكرِ هذه النعم كلما سنحتْ فرصةٌ لذالك، واليوسي كان ينطلقُ من هذا المنطق في ذكر هذه النِعم، ليس إلا.

أما علمه فيظهر جليًّا في دراساته المتنوعة، ومؤلفاته الكثيرة، فقد اتَّجه إلى طلب العلم منذ صغره، وتولي التدريس في (الزاوية البكرية) عل حداثة سنّه، وجال في مدن المغرب يتصدر حلقات التدريس، يدوّن الكتب ويكتب الرسائل، ويدعو إلى محاربة الخرافات، وتنقية الدين من الشوائب.

يقول التعارجي: (لما دخل اليوسي (مراكش) تصدر فيها لإقراء علم التفسير فمكث في تفسير الفاتحة نحو ثلاثة أشهر وهو يبدي في كل يوم من التحقيق أسلوبًا، ويلقي من التحريرات صنوفًا، فعجب الناس لحسن أدائه وغزارة مادته مع أنه ربما يبيت والناس معه، ولا يطالع كتابًا، ولا يراجع مؤلفًا، فإذا أصبح قعد على كرسيه وأطلق لسانه بما يبهر العقول ويحير الأذهان)[٥]. وهذه شهادة واضحة في قدرة اليوسي وذكائه وفطنته، ولم تكن هذه القدرة غائبة عنه، قال: (إنه بلغ درجة سعد الدين التفتازاني والسيد الجرجاني وأضرابهما)[٦]، وتذكر كتب التراجم أنه سأله يومًا سائل، فقال له: (اسمع ما لم تسمعه من إنسان، ولا تجده محررًا في ديوان، ولا تراه مسطرًا ببنان وانما هو من مواهب الرحمن)[٧].

وقد أشادَ الأدباءُ وأعلامُ التراجم بمواهب اليوسي وقدراته؛ يقولُ ابنُ مخلوفٍ: هو (شيخ مشايخ المغرب على الاطلاق، الإمام الذي وقع على علمه وصلاحه الاتفاق، المتضلع في العلوم، حامل لواء المنثور والمنظوم)[٨]، وقال

فيه صاحب «نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة»: (شيخ حسن السمت، سليم الطبع عن العوج والأمت، تلقّيْت خبره من الرواة، فرأيت له ثناء حسنًا يعطر الأسماع والأفواه، فهو مستغن في حد ذاته عن زيادة الأوصاف، وله شعر نَعْتُهُ بالحسن من مراعاة الانصاف)(٩). ولا ينكر أحدٌ من الباحثين ما لليوسي من مكانةٍ علميةٍ، دفعت العلماء إلى أنْ يجعلوه مجدّد المئة الحادية عشرة، يقول اليفرني: (هو المجدد على رأس هذه المئة لما اجتمع فيه من العلم والعمل، حيث صار إمام وقته وعابد زمانه)(١٠). ويقول محمد الحجوي: (انتهتْ إليه الرياسةُ الكبرى في العلم في زمنه، وله شهرة ذائعة في المشرق والمغرب كشهرة تواليفه، ويعد مجدداً على رأس المئة الحادية عشرة)(١١).

زِدْ على ذالك، فقد عَدَّهُ بَعْضُ العلماء غَزّاليَ عصره، يقول أحمد الناصري: (كان اليوسيُّ غَزّالي وقته علمًا وتحقيقًا وزهدًا وورعًا)(١٢)، وعدّه أبو سالم العياشي بمنزلة الحسن البصري، قال:

مَنْ فاتَهُ الحَسَن البصريّ يدركهُ فَلْيَصْحب الحَسَن اليوسيّ يَكْفِيْه

وقال فيه محمّد بن زاكور: (هو حبر الأحبار وجُهَينة الأخبار، وزين القرى والأمصار، العديم النظير في سائر الأقطار)(١٣)، وقال فيه الكردودي: (اليوسي كان من أكابر الفحول، وإمامًا في المعقول والمنقول، عالمًا ماهراً وبحراً في العلوم والمعارف زاخراً، محققًا للدراية، جامعًا لأشتات الرواية، له عارضة في النقل والتحقيق)(١٤). وقال فيه نقولا زيادة: (كان فقيهًا لغويًّا أديبًا مؤرّخًا صوفيًّا شاعراً، وقد خلف في كل هذه النواحي كتبًا ودراسات هي في الطليعة بالنسبة لعصره)(١٥).

وفاته: اختلف المترجمون في سنة وفاة اليوسي، فذكر بعضهم انه توفي سنة اثنتين ومئة وألف من الهجرة(١٦)، في حين ذكر الزركلي انه توفي سنة ثلاث ومئة وألف من الهجرة(١٧)، وجعل ابن سودة سنة سبع ومئة وألف من

الهجرة سنة وفاة الشيخ[١٨]، في حين ذكر الجبرتي أنه توفي سنة إحدى عشرة ومئة وألف من الهجرة[١٩]، وتابعه في ذالك اسماعيل باشا البغدادي[٢٠] وجرجي زيدان[٢١]، وأرى في قول الزركلي وابن سودة والجبرتي وَهْمًا إذ تُشير المصادرُ إلى أنَّ اليوسيَّ تُوفي عقب عودته من الحج، وفي رحلة ولده (محمد) الذي كان مصاحبًا لوالده، أن اليوسي خرج إلى الحج سنة واحد ومئة وألف، وأنه رجع إلى بلده مباشرة، وتوفي عقب عودته من الحج، لذا رَجَّحنا أنْ تكونَ سَنَة وفاته هي: اثنتين ومئة وألف من الهجرة، وتحدد بعضُ المصادر يوم وفاته، فتقول إنه توفي الخامس عشر من شهر ذي الحجة[٢٢]، أو ليلة الاثنين الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة[٢٣]، ودُفن في قبيلته (بنا مزيزت).

آثاره: ألّفَ اليوسيُّ مجموعةً من الكُتُب نالت استحسان كثير من العلماء، وَوُصِفَتْ بأنها نفيسة ومفيدة، وأنه يسير في كتبه على غير ما عهد عند معاصريه، و:(انك لتجد في مؤلفاته طريقة جديدة في الكتابة، تذكرك بطريقة أكابر الكتاب القدامى أمثال ابن المقفع والمبرد وأضرابهما)[٢٤].

وهذا ثَبْتٌ بمؤلفاته:

١- أَخذ الجُنَّة عن أشكال نعيم أهل الجنة، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.

٢- أُرجوزة فقهية تشرح أركان الإسلام، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

٣- تذكرة الغافلين، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

٤- تقييد بشرح قول خليل: (وخصصت نية الحالف)، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.

٥- حاشية على كبرى السنوسي، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

٦- الدر المصون، مخطوط.

٧- زَهْر الأكم في الأمثال والحِكَم، طُبع سنة ١٩٨١ بتحقيق الدكتور محمد حجي والدكتور محمد الأخضر بثلاثة أجزاء.

٨- شرح أم المنطق، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.

٩- شرح السلم المرونق للأخضري ؟.

١٠- شرح على الطالع المنتشر ؟.

١١- شرح قصيدة عقد جواهر المعاني في مناقب عبدالقادر الجيلاني ؟.

١٢- شرح تلخيص المفتاح للقزويني ؟.

١٣- شعر في مدح خير البرية أوله القصيدة المشهورة:

جدّ في سيرها فلست تلام هذه طيبة وهذا المقام

١٤- الفتوحات السوسية المشتملة على الأنوار القدسية، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

١٥- الفهرست، مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط.

١٦- القانون في أحكام العلم والعالم والمتعلم، له طبعتان، الأولى سنة ١٣١٠هـ والثانية سنة ١٣١٥هـ.

١٧- قواعد الإسلام من مضمون حديث النبي عليه السلام، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

١٨- القول الفصل في الفرق بين الخاصة والفصل، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط.

١٩- الكناشة العلمية، مخطوطة بالخزانة الملكية بالرباط.

٢٠- الكوكب الساطع بشرح جمع الجوامع للسبكي، مخطوط بدار الحديث الحسنية بالمغرب.

٢١- المحاضرات في اللغة والأدب، له ثلاث طبعات، الأولى سنة ١٣١٧هـ والثانية سنة ١٩٧٧، والثالثة سنة ١٩٨٢م.

٢٢- مشرب العام والخاص من كلمة الاخلاص، طُبع سنة ١٣٢٧هـ.

٢٣- منظومة في العبادات، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

٢٤- النسبة الحكمية بين الطرفين الموضوع والمحمول، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

٢٥- نفائس الدرر على شرح المختصر للسنوسي، مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط.

٢٦- نيل الأماني في شرح التهاني، له طبعتان؛ الأولى سنة ١٢٩١هـ والثانية سنة ١٣٢٩هـ.

كما كَتَبَ اليوسيُّ رسائلَ كثيرة عالجتْ موضوعاتٍ مختلفةً؛ منها التفسير والحديث والتصوف والمنطق والأصول واللغة والأدب، وقد جمعت الباحثة فاطمة القبلي هذه الرسائل في كتاب عنوانه «رسائل أبي علي اليوسي».

والملاحظ على مؤلفات اليوسي انها ضَمَّتْ علومًا مختلفة، وهذا يدلُّ على سعة اطلاعه، وغزارة معلوماته بما أَهَّلهُ للكتابة في مثل هذه العلوم، ونرى كثيراً من مؤلفاته لم يكتمل، وسبب ذالك حياة اليوسي القلقة، ولاسيما بعد هَدْم (الزاوية البكرية)، فإنه كما رأينا،. كان كثير التنقّل لا يعرف الاستقرار، يقول اليوسي: (وكيف لا يعذر ذو بال مُتَقَسِّم ووبال مُتَكَسِّم، وشخص لا يبين لمتوسم،.... وكيف يمكن لمثلي أن يجمع بين كلمتين، فضلاً عن فصلين...)[٢٥].

شعره: ترك اليوسيُّ شعراً كثيراً، جَمَعَهُ ولده في ديوان ما زال مخطوطًا، وعمل له عبدالله كنون منتخبًا، غير أنه لم يرَ النور، وتقول المصادر: إن ديوان اليوسي حققه عبدالحي محمد المنيف، إلاّ انها لم تذكر زمان الطبع ومكانه.

وكان اليوسي أديبًا راوية للشعر، يستحضر دواوين أبي تمام والمتنبي والمعري، ويملي قصائدها عن ظهر قلب، وله أشعار حسنة والشعر عنده أسهل من النَفَس، وله قدرة فائقة على النظم حتى انه قال -ما سبق أن قاله أبو العتاهية-: (لو شئتُ ألا أتكلم إلا بالشعر لفعَلْتُ).

وأغلب شعر اليوسي حكم وأمثال فيه (نفحة صوفية وسمو عن أغراض الدنيا وأعراض الخلق)[٢٦]، ويرجع هذا إلى تكوينه الفكري والفلسفي القائم

على التَّصوف، وهو في نظمه مهتمٌّ بالمعاني، ولا يولي الألفاظ عناية مخصوصة، لذا تجد في بعض مفرداته لحنًا أو ضُعْفًا.

نظم اليوسيُّ في الأغراض المعتادة من مديح وهجاء ونسيب ورثاء وفخر، وتتّسم مدائحه بالسَّرْد وتبتعد عن التجميل الفني، أما هجاؤه فقليل لترفعه عن ذالك، ويَتّسِم غَزَلُهُ بالافتعال والبعد عن تجارب من عانى مِنْ هَجْر الحبيب أَوْ صدّه، فجاء متكلفًا بعيدًا عن جمالية فن التعبير الشعري، ويبقى رثاؤه الغرض الرئيس في شعره، إذ تتجلى عاطفته واضحة، وتتحلق مشاعره في ملكوت السماوات العُلى، يذكر الموت ويذكّر الخلق به كي يأخذوا العبرة من الدنيا.

وسنذكر بعضًا من شعره بحسب الأغراض التي تناولها.

قال في مدح الرسول الأكرم ﷺ:

محمدٌ المُهْدى إلى الناس كافةً	وسرُّ الوجودِ الطاهرُ المتخيّرُ
نبيٌّ أَتَى والكَوْنُ أَسْوَدُ مظلم	فأَصْبَحَ منه وهو أَبْلَجُ نَيّرُ
هو الغرّةُ البيضاءُ والكونُ أدهمٌ	هو الدرّةُ العصماءُ والكونُ جوهرُ
له المعجزاتُ الباهراتُ ووجهه	يرى صدقه مَنْ يستبين وينظرُ

وقال في مدح محمد بن أبي بكر الدلائي:

ياأيها الحبّ الذي سأقول	قولاً إليه مجازه مقبولُ
إني وَقَدْ أَصْبَحتُ منك كما أتى	شعرٌ قديمٌ لفظه معسول
(وأشدُّ ما لقّيْتُ من ألم الهوى	قرب الحبيب وما إليه سبيل)
(كالعِيْس في البيداء يقتلها الظما	والماء فوق ظهورها محمول)

وفي رثاء (الزاوية الدلائية)، قال:

أكلف جَفْنَ العين أَنْ ينثرَ الدرّا	فيأبى ويعتاض العقيق بها حمرا
وأَسْأله أَنْ يكتم الوجد ساعة	فيفشي وإنّ اللوم آونةً أَغْرَى

وَقَدْ كُنْتُ أَسْتَوْصِيْه حتى توقدتْ … جذَى الوَجْد فاستسقيته يطفئ الجمرا
على أنّ دَمْعَ العين فَضْل حُشاشة … تذاب فماذا ينفع الدمع أَنْ يُجْرَى؟
وكانت رياض الحسن تزهو نضيرة … فكاهاتهم (؟) أَضْحت بأرجائها زهرا
وكانت مدامات الوصال مدامة … على القوم صرفا لا مزيجًا ولا نزرا
أصابتهم عين الكمال فغادرت … أَكُفَّهُمُ عن كل ما جمعت صفرا

وقال في النسيب:

ومحزونة بالبين طال بها الجوى … علينا وشوق بالجوانح لَدَّاغُ
بقيتُ وجفناها يباريهما الحيا … وما تحت جنبيها من الفرش لذّاغُ
إلى أن تسخَّى الدهرُ بيني وبينها … ولاح ضياءٌ للمسرات بزّاغُ
فلما انْقَضَى التسليم بيني وبينها … وفاض لها دمع من العين نشّاغُ
فقالت: تذكرت الفراق غداً بدا … لقلبي عن تلك المسرات صدّاغُ

وقال في وصف طباع الناس:

ألم تر أنَّ الدهرَ حُبْلَى أنينة (؟) … ولادَتها يومًا وإن لم تكن تُدرَى
فمن منَحٍ تُسْلي ومن محن تُنسي … نتائجها صغرى على المرء أو كبرى
ولا تأمنن أبناءه إن تحبَّبُوا … إليك فمن يشبه أباه فقد برا
وكل بني دهرٍ فأشباه دهرهم … على ما قضى الله الحكيم وما أجرى
مَتَى ما ارْتَجوا رغباءَ منك تقربُّوا … إليك وأبدوا خالصَ الود والبِرّا
وأخفوا ذَميمًا كان فيك وأظهروا … جميلاً وقالوا: ذو محاسن لا تمرى

وقال في الحكمة:

لعمرك ما مَنْ بَثَّ سرًّا بذي لُبٍّ … ولا مَنْ حشاه منه أَمْسَى على كرب
ولكن أخو الحلم الذي ما أَذَعْتَهُ … تَنسَّاه حتى ليس يَهْجِس بالقلب

وقال في الهجاء:

على رسلكم يا أهل (فاس) فإنني ... فتى ليس بالفَدْم الغبيِّ ولا الغَمْرِ

أنا الصارمُ الماضي ويارُبَّ نافث ... يُخلِّق في البحث الأديمَ ولا يفري

وبعد، فهذا بحثٌ موجز، عن عالمٍ لغوي، يكاد المشرقيون من العرب لا يعرفون عنه شيئًا، تناولنا فيه حياته وسيرته ومؤلفاته، وسنكشف في بحثين قادمين -إنْ شاءَ اللهُ- عن جهوده اللغويَّة و(الدلاليّة) وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

كلية المعلمين - جامعة بابل - العراق - الدكتور أسعد محمد علي النجار

الحواشي: (١) «رسائل أبي علي اليوسي» ٢ / ١٥٣، فاطمة القبلي، الدار البيضاء ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(٢) «المحاضرات في اللغة والأدب» ١ / ٤٠.

(٣) «رسائل أبي علي اليوسي» ٢ / ٤٢٦.

(٤) «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» ٧ / ١٠٨، أحمد بن خالد الناصري، الدار البيضاء ١٩٥٦.

(٥) «الاعلام بمن حلَّ مراكش واغمات من الأعلام» ٣ / ١٥٨.

(٦) «الاستقصا» ٧ / ١٠٩.

(٧) «الاعلام بمن حلَّ مراكش وأغمات من الأعلام» ٣ / ١٥٨.

(٨) «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» ٣٢٨، محمد بن مخلوف، بيروت (د.ت).

(٩) «نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة» ٥ / ٤٣، محمد بن جمال الدين المحبي، القاهرة ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

(١٠) «عبقرية اليوسي» ١٥، الدكتور عباس الجراري، الدار البيضاء ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(١١) «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» ١١٧، محمد بنْ الحسن الحجوي، تونس ١٣٤٩هـ.

(١٢) «الاستقصا» ٧ / ١٠٨.

(١٣) «نشر أزاهير البستان» ٨٨، محمد بن زاكور، الرباط ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

(١٤) «عبقرية اليوسي» ١٨.

(١٥) «لمحات من تاريخ المغرب» ٣٠٣، الدكتور نقولا زيادة، بيروت (د.ت).

(١٦) ينظر مثلاً «الزاوية الدلائية» ١٠٢ «رسائل أبي علي اليوسي» ١ / ٥١.

(١٧) «الاعلام» ٢ / ٢٣٧، خير الدين الزركلي، بيروت ١٣٦٩هـ- ١٩٦٩م.

(١٨) «دليل مؤرخ المغرب الأقصى» ٢ / ٥٩٦، عبدالسلام بن سودة، الدار البيضاء ١٩٦٠م.

(١٩) «عجائب الآثار» ١ / ١٧٣، عبدالرحمن الجبرتي، القاهرة ١٩٥٨م.

(٢٠) «هدية العارفين» م١ / ٢٩٦.

(٢١) «تاريخ آداب اللغة العربية» ٣ / ٣٠٦، جرجي زيدان، دار الهلال ١٩٣٧.

(٢٢) «معجم المؤلفين» ٣ / ٢١٩، عمر رضا كحالة، دمشق ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.

(٢٣) «رسائل أبي علي اليوسي» ١ / ٥١.

(٢٤) «الزاوية الدلائية» ١٠٣.

(٢٥) «زهر الأكم في الأمثال والحكم» ١ / ١٥، الحسن اليوسي، الدار البيضاء ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

(٢٦) «النبوغ المغربي في الأدب العربي» ١ / ٢٥٦، عبدالله كنون، بيروت ١٩٦١م.

(٢٧) «الوافي بالأدب العربي في المغرب الأقصى» ١ / ٣٥٧، محمد بن تاويت، الدار البيضاء ١٤٠١هـ- ١٩٨٢م.

موقف الفقهاء من التسعير في الأسواق الإسلامية

(٢)

اجتهاد الفقهاء: يبدو أن الفقهاء وجدوا أنفسهم مضطرين لأن يجتهدوا في هذه المسألة ليجدوا حلاً مقبولاً للحالات المستعصية التي كان يتعرض لها الناس في بعض الأحيان حيث تزداد حمّى الأسعار ويغلو ثمن الحاجات غلاء فاحشًا، وتتسع دائرة الجشع، ويعم ضررها ليطال أناسًا كثيرين من أبناء المجتمع. ومع ذالك فإن استقراء النصوص يظهر لنا أن قسمًا من الفقهاء أفتى بتحريم التسعير في كل الحالات حتى وان غلا السعر غلاء كبيراً، حيث قال الماوردي: لا يجوز أن يسعر على الناس الأقوات ولا غيرها في رخص وغلاء[١]. وقول الماوردي سدَّ الباب أمام المسؤول، ولم ير مسوغًا شرعيًّا يبيح لهم التدخل في الأسعار بأي حال من الأحوال. بينما أجاز فريق آخر من الفقهاء للمسؤول أن يتدخل في أمور الأسعار بقدر محدود وضمن ضوابط. فيكون تدخله في نطاق التوجيه والإرشاد، بحيث لا يلحق أي إجحاف بالبائع. في حين قال فريق ثالث: إنه يجوز للمسؤول التدخل في الأسعار إذا كان الحاكم عدلا، ورأى أن تدخله هذا يحقق مصلحة المسلمين، ويصون حقوقهم. فعندئذ يعمل على جمع وجوه أهل سوق والسلعة المراد تسعيرها، ويحضر معهم غيرهم، ويستأنس برأيهم، فيخرج بحصيلة يحقق من خلالها موازنة دقيقة بين مصلحة البائع والمشتري، على أن يكون عمله هذا بعيداً عن الإكراه والقهر، وإنما هو قريب من الرضا والتسامح. وبذالك قال صاحب كتاب «التيسير في أحكام التسعير»: يجب على صاحب السوق الموكل بمصلحته أن يجعل للباعة ربحًا معقولاً ويمنعهم من الزيادة عليه، ويتفقدهم في ذالك ويلزمهم إياه[٢]. ومما يعزز هذا الاتجاه ويؤكده، أن بعض الفقهاء أعطوا العدول المسلمين حق تسعير المواد الغذائية[٣]. وأجاز ابن عابدين للمسؤول أن يسعر مواد الطعام الضرورية بمشورة أهل الرأي، إذا حصل غلاء وتعدّى الأرباب عن القيمة تعديًا فاحشًا.

ولعل ابن عابدين منطلق عن فتوى الإمام مالك الذي أجاز لولي الأمر أن يسعر على الناس في عام الغلاء فقط(٤).

ويسهم الغزالي في مسألة التسعير، إذْ لا يُجيز للإمام التدخل في أسعار البضائع المعروضة في الأسواق في الظروف الطبيعية. أما في حالة حصول سنين قحط وشحَّة في الإنتاج، واضطراب الأسعار فهناك رأيان أحدهما يُجيز للإمام التدخل في الأسعار إذا استهدف مصلحة الناس، والرأي الثاني لا يجيز التدخل في الأسعار لعموم النهي(٥). والغزالي في حكمه هذا منطلق من حكم الله عزَّ وجلَّ فيما يأمر به على ألسنة رسله، وليس فيما يستنبطه ذو العلم بعلمه، ولا يستدل عليه ذو العقل بعقله. ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً﴾(٦). إلا أن الإمام مالكًا نظر إلى مسألة ارتفاع الأسعار من الزاوية الاقتصادية فاتضحت له آثارها السلبية على المجتمع، وانعكاساتها الصعبة، فقال: إذا رأى الإمام في ذالك مصلحة كان له أن يفعله(٧). وهنا يتضح أن مالكًا أجاز للإمام أن يسعر عندما يرى في عمله هذا مصلحة ينتفع بها المسلمون، لاسيما ذوي العسر منهم.

وإذا أُخذَ بالرواية المشار إليها هذه، والتي تجيز للإمام التسعير، فإذا سعر الإمام وباع الناس بذالك السعر فحسنٌ، وإن خالفوه في ذالك فهل ينعقد البيع أم لا؟ الصحيح أنه ينعقد، ولكن للإمام ان يعزر الذين خالفوا تسعيره(٨). ويرى الزيلعي أنه لا يحل للمسلم أن يشتري بما سعره السلطان لأن البائع في موضع المكره. كما انه يرى أن تسعير السلطان غير ملزم للبائع، لأن السلعة ملكه الخاص وله الحق التصرف به(٩). بينما أجاز فقهاء آخرون للإمام معاقبة المخالف للتسعيرة التي يضعها، وذالك حرصًا منه على مصلحة المسلمين(١٠).

ويبدو لنا أن الذين أجازوا عملية التسعير كانوا مضطرين وبذالك قيدوه بضوابط محددة، ولم يجرؤوا على أن يضعوه في مصاف الوجوب، أو الالتزام وإنما قالوا: لا بأس بتسعير السوق(١١). وفي هذه الحالة تصبح مسألة التسعير ضمن مضمون أضعف الإيمان، وهذا في بعض السلع. وهنا سلع أخرى لم يتحرج الفقهاء

من القول بأنه لا يجوز لأحد التسعير بها. قال ابن حبيب: لم يجز لأحد التسعير في القمح والشعير وشبهه، لأن ذالك إنما يبيعه جالبوه[١٢]. وأحسب أن رأي الفقهاء هنا محمول على عدم جواز تسعير مواد الطعام التي يجلبها المنتج إلى السوق. ولا يستبعد أن وراء ذالك هدفًا يرمي إلى تشجيع الإنتاج في مواد الطعام الأساسية التي تشكل قوت الناس. فضلاً عن أن الهدف يمتد إلى جعل المنتج ينتفع بمحصلة جهده الذي بذله في عملية الإنتاج. وقال الزيلعي: لا يسعر السلطان إلا إذا كان أرباب الطعام يتحملون على المسلمين، ويتعدون تعديًا فاحشًا، وعجز السلطان عن صيانة حقوق المسلمين إلا بالتسعير، فلا بأس به بمشورة أهل الرأي[١٣]. ويبدو أن الزيلعي كان حذرًا كل الحذر في إعطاء حكمه هذا، إذ نجده يستدرك ويقول: ينبغي للقاضي، أو السلطان، أن لا يتعجل بعقوبة من لم يلتزم بالتسعير عندما يعرض عليه هذا الأمر[١٤]. وهذا يعني أنه لم يكن مقتنعًا بمسألة إقدام المسؤول على تحديد سعر معين للسلع المعروضة في الأسواق.

ولا خلاف بين الفقهاء في أنه لا يسعر على جالب الطعام، لاسيما القمح والشعير. إذْ يؤكد الفقهاء على ضرورة التسامح معه ليستدام أمره فيكثر جلبه، ولا يلزم بسعر محدد لا برضاه ولا بغير رضاه، إذ له الحق في بيع سلعته بالثمن الذي يرتئيه، سواء كان هذا الثمن أقل من سعر السوق أو أكثر منه، ولا يلزم بائع سلعة بثمن سلعة أخرى مشابهة لسلعته تتصف بالجودة والإتقان[١٥].

قال المجيلدي: لا يسعر على جالب الحنطة والشعير والزيت والسمن واللحم والبقل والفواكه وما شابه ذالك مما يشتريه أهل السوق للبيع على أيديهم. أما الباعة من أهل السوق الذين يشترون من الجلابين وغيرهم، فإنهم كالجلابين لا يسعر عليهم، وإنما يقال لمن شذ منهم: إما أن تبيع بما تبيع به العامة، وإما أن ترفع من السوق[١٦] وفي رواية أوردها يحيى بن عمر مؤداها أنه: لا خير في التسعير، ومن حط عن سعر النّاس أقيم[١٧]. ومن هنا يتضح أن الذي يحط السعر يلزم باللحاق بسعر الناس، وإلا ترك البيع[١٨].

وحذر ابن عبدالرؤوف[١٩] من عواقب السماح للتجار بأن يشتروا مواد الطعام كالحنطة والشعير من المنتجين الزراعيين، لأن هؤلاء التجار سيضيفون إلى أسعار شرائهم أرباحًا هامشية يتحملها المستهلك وحده. وبذالك قال ابن عبدالرؤوف: لا يترك التجار يشترونه (الطعام) منهم ليبيعوه على أيديهم. وإنما يجوز التسعير في مثل الزيت والعسل والسمن واللحم والبقل والفواكه وشبه ذالك مما يشتريه أهل السوق من الجلاب للبيع على أيديهم[٢٠]. لأن التسعير في مثل هذه الحال يؤدي إلى عدم تمكن التجار من تحقيق أرباح فاحشة على حساب المستهلك، دون أن يجني المنتج شيئًا من هذه الأرباح. وبذالك جوز الفقهاء للإمام التدخل المباشر في السوق[٢١].

وجالب مواد الطعام غير الجيد لا يلزم بأن يبيعه بسعر الجيد، ذالك أن الإمام مالكًا لم يجز لصاحب السوق أن يلزم جالب الطعام غير الجيد أن يبيعه بسعر الجيد. أما إذا تأكد لصاحب السوق أن بائعًا تعمد فساد السوق فعندئذ له أن يخيّره بين أن يلحق بسعر الناس، أو أن يخرج من سوق المسلمين[٢٢].

لكن يحيى بن سعيد أجاز التسعير للجالب وغيره إذا كان الإمام عدلاً وكان ذالك صلاحًا للمسلمين. إذ قال ابن تيمية بوجوب التسعير إذا اضطر الناس إليه، إذ أنه رأى أن من التسعير ما هو ظلم وجور، ومنه ما هو عدل وحق[٢٣]. فالتسعير يصبح ظلمًا وجورًا إذا أدى إلى ظلم الناس وإكراههم على البيع بغير حق بثمن لا يرتضونه. أما إذا باع الناس سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم لأحد، حتى وإن كان بيعهم بسعر مرتفع اقتضته ظروف مستجدة، كشحة في السلع المعروضة وما شابه ذالك[٢٤].

وفي ضوء الفرضية الأولى التي أوردها ابن تيمية أمر الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥- ٣٢٠هـ) تجار بغداد أن يبيعوا مواد الطعام المعروضة في دكاكينهم بسعر المثل[٢٥]. ففي هذا الشأن أشار مسكويه إلى حصول غلاء في أسعار مواد الطعام فضج الناس واحدثوا شغبًا في الأسواق. ومما زاد الأمر سوءًا أن الجند تحركوا

متذمرين من هذا الغلاء، فكسروا المنابر وقطعوا الصلاة بعد الركعة الأولى، وتطاولوا على الوزير حامد بن العباس وشتموه، الأمر الذي دفع الخليفة المقتدربالله لأن يتدخل في الأمر بتحديد سعر معين لمواد الطعام حيث بيع كَرُّ[٢٦] الحنطة بنقصان خمسة دنانير، وبيع كر الشعير بحسب ذالك. وطالب الخليفة التجار والباعة أن يبيعوا بمثل هذا السعر، وقد استعان محتسب بغداد ابراهيم بن بطحا بالقائد هارون بن غريب. فسُعِّر الكر بخمسين ديناراً، والزم الباعة بهذا السعر، فرضي الناس وسكنوا[٢٧]. وذكر الصولي أن الوزير سعَّر مكوك الدقيق بثلاثة دراهم سنة ٣٢٤هـ. لكن يبدو أنه لم يلتزم الباعة بهذا السعر[٢٨].

وتشير النصوص أنه إذا شعر صاحب السوق بتواطؤ عدد من التجار لشراء نوع من السلع بأقل من الثمن السائد، ثم عملوا على بيعها بأكثر من الثمن المعروف، فعندئذ يحق للمسؤول أن يتدخل ويلزم هؤلاء بيع السلعة بعوض المثل، لأنهم اتفقوا على ظلم الناس[٣٠].

ويحذر ابن عبدون من محاولات دَلَّالي الحنطة وألاعيبهم، ويحث المسؤولين في الدولة على أن ينهوهم عن الزيادة في الأسعار، ولاسيما في الحبوب التي تعد مادة أساسية في قوت الناس لأن بعض هؤلاء الدلالين ممن لا تردعه مبادئ الدين[٣٠]. وأجاز ابن عبدون للمسؤولين عن السوق أن يراقبوا البيع، ويمنعوا ممارسة الربح الفاحش لأن في ذالك ضرراً كبيراً بعامة الناس، لاسيما في السلع التي تعد مواداً أساسية في غذاء الناس فليست هذه كسائر السلع[٣١].

وخلاصة القول؛ أن الدولة كانت تحاول أن تخفف من شدة وطأة أزمات الغلاء من خلال تدخلها في الأسعار بالقدر الذي تسمح لها به الظروف، أو من خلال توزيعها مواد عينية على الجند وأسرهم، الأمر الذي يحد من القدرة الشرائية لهؤلاء الذين هم نسبة لا بأس بها من السكان.

جامعة بغداد - كلية الآداب:

د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي :

(١) الماوردي «الأحكام السلطانية» ص ٢٥٦ . ابن عبدالرؤوف «في آداب الحسبة والمحتسب» ص ٨٨ .

(٢) المجيلدي «التيسير في أحكام التسعير» ص ٥١ و٥٣ .

(٣) العاملي – محمد جواد «مفتاح الكرامة» المطبعة الرضوية، (مصر : ١٣٢٣هـ)، ص ١٠٩ .

(٤) ينظر : «حاشية ابن عابدين» جـ٥ ، ص ٣٥٢ .

(٥) و(٧) ابن الاخوة «معالم القربة في أحكام الحسبة» ص ص ١٢٠ - ١٢١ .

(٦) سورة النساء، آية ٨٢ .

(٨) ن.م.

(٩) الزيلعي «تبيين الحقائق» جـ٦ ، ص ٢٨ .

(١٠) التلمساني «تحفة الناظر» ص ص ١٣٣ – ١٣٤ . المجيلدي «التيسير» ص ٥٥ .

(١١) ابن عبدالرؤوف «في آداب الحسبة والمحتسب» ص ٨٨ .

(١٢) ن.م.

(١٣) الزيلعي «تبيين الحقائق» جـ٦ ، ص ٢٨ .

(١٤) ن.م.

(١٥) ابن تيمية «الحسبة» ص ٣٣ .

(١٦) ابن عبدالرؤوف «في آداب الحسبة والمحتسب» ص ٨٨ .

(١٧) المجيلدي «التسير» ص ٥٣ .

(١٨) ن.م، ص ٥٢ .

(١٩) ابن تيمية «الحسبة» ص ص ٣٢ - ٣٣ . المجيلدي «التيسير» ص ٦١ .

(٢٠) ابن عبدالرؤوف «في آداب الحسبة والمحتسب» ص ٨٩ .

(٢١) ن.م.

(٢٢) المجيلدي «التيسير» ص ٦٣ .

(٢٣) ابن تيمية «الحسبة» ص ٢٨ .

(٢٤) ابن عبدالرؤوف «في آداب الحسبة والمحتسب» ص ٨٩ .

(٢٥) مسكويه «تجارب الأمم» جـ١ ، ص ٨٣ (حدث ذلك سنة ٣٠٧هـ) . ابن الأثير «الكامل» جـ٦ ، ص ١٦٣ .

(٢٦) الكر : مكيال عراقي قديم، وشاع استعماله في العصور الإسلامية، وكان يساوي ستين قفيزاً . ينظر : الخوارزمي «مفاتيح العلوم» ص ٢٠ و ٦١ . الفيروز آبادي «القاموس المحيط» مادة (مكك) . ابن منظور «لسان العرب» مادة (مكك) .

(٢٧) مسكويه «تجارب الأمم» جـ١ ، ص ص ٧٤ - ٧٥ . ابن الأثير «الكامل» جـ٦ ، ص ٢٦٣ . ابن الجوزي «المنتظم» جـ٦ ، ص ١٥٦ .

(٢٨) الصولي «اخبار الراضي» ص ٧١ .

(٢٩) ابن عبدون «رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة» ص ٤١ .

(٣٠) ابن عبدون «رسالة» ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص ٤١ .

(٣١) ن.م، ص ٥٣ .

النسب عند العرب والتصنيف فيه
حتى منتصف القرن الثالث الهجري

(٢)

٣- كتاب «الطبقات الكبرى» لمحمد بن سعد، كاتب الواقدي (ت ٢٣٠)، وهذا النَّوع من التصنيف موضوع لخدمة علم الرجال بالدرجة الأولى، وقُصد به تسهيل التمييز بين الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، لمعرفة الحديث المرسل أو المنقطع وتمييزه عن الحديث المسند، وللتمييز بين الأسماء المتفقة والمتشابهة، وقد تنوعت أساليب المصنفين في الطبقات، فبعضهم استخدم النسب في ترتيب كتابه، في حين أهمل آخرون هذا النَّمط[١]، والذي يهمنا هنا هو القسم الأول. وأبرز من صنّف فيه، من الذين وصلت إلينا كتبهم، هما محمد بن سعد وخليفة بن خياط، وإن كان ابن سعد قد تداخلت عنده عدة عوامل في ترتيب كتابه، كان النسب أحدها إلا أنه التزم الإطار العام للنسب في ترتيب أفراد الطبقة الواحدة فهو مثلاً (جعل الصحابة الذي هم الجيل الأول من الرجال في خمس طبقات، ولاحظ في تقسيمه هذا السَّبقَ في الإسلام والفضل، ثم لاحظ في إيراد التراجم داخل كل طبقة عنصر النسب والشرف، فالطبقة الأولى، وهم أهل بدرٍ: بدأهم برسول الله ﷺ ثم الأقرب فالأقرب إليه في النسب، فذكر من شهدها من بني هاشم ومواليهم، ثم من شهدها من بني عبد شمس وحلفائهم ومواليهم، ثم من شهدها من بني أسد بن عبد العزى وحلفائهم... وهكذا حتى أنهى بطون قريش) ثم بدأ بذكر الأنصار، فبدأ بالأوس ثم الخزرج. ثم الطبقة الثانية من الصحابة، وهم الذين لهم إسلام قديم ولم يشهدوا بدراً وشهدوا أحداً، ثم الطبقة الثالثة في من شهد الخندق، وهكذا حتى الطبقة الخامسة، ويسير في الترتيب على النسق السابق نفسه[٢]، وهذا الترتيب في النسب هو الذي سارت عليه كتب النسب قبله، فلكتاب «الطبقات الكبرى» علاقة بكتب الأنساب من هذه الناحية، وتبقى العوامل الأخرى التي راعاها ابن سعد في ترتيب كتابه، والتي هي (نوعية، وزمانية، وجغرافية، وعلو

الرواية والإسناد)[٣] تتعلق بعلم الرجال، إلا أن هذا يُعَدُّ تنوعًا في التصنيف في علم الأنساب، من جهة جَعْل النسب مدار البحث في التخصصات الأخرى، وتطورًا في استثماره بشكل أدق لخدمة العلوم الإسلامية المتنوعة.

أما منهج ابن سعد في عرض مادته العلمية، فقد اهتم بتراجم الصحابة والتابعين والأتباع من المتقدمين، فيطيل في بعض التراجم، ويُقسِّم الكلام فيها إلى مباحث وموضوعات، ويجعل لها عناوين، وبعضها مختصرة جدًا، وهو يسوق النَّسب ويرفعه إلى القبيلة، ويُفصِّل في أخبار الشَّخص، فيذكر أولاده وأمهاتهم وأنسابهن، وحال الأبناء من زواج وإنجاب أو انقراض، ويذكر تاريخ الولادة، وتاريخ الوفاة ومكانها وسببها، وشيوخ المُتَرْجَم له وتلاميذه وبعض مروياته ورحلاته، ويهتم بذكر أحواله الدالة على مكانته في العلم أو على درجة ورعه وتقواه، أو على ميوله وعقيدته مما له أثر في توثيقه وقبول رواياته في غير الصحابة، مع تركيزه في الغالب على ذكر أسانيد معلوماته؛ مما يُعطي تصورًا دقيقًا عن موارده.

ولم يهتم ابن سعد كثيرًا بالأخبار الأدبية والشعر، مقارنة بكتب الأنساب السابق ذكرها، ولا ريب أن هذا راجع إلى الهدف من تصنيفه لهذا الكتاب، والذي يتلخص في خدمة علم رجال الحديث.

٤ – كتاب «نسب قريش» للمصعب بن عبدالله الزبيري (ت ٢٣٦)، وقد بدأ بسياق النسب من جذم معد بن عدنان حتى وصل إلى ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة[٤]، ثم بدأ يُفصِّل في أنساب القرشيين مُبتدئًا ببني هاشم حسب التسلسل المعهود في كتب النسب.

ومنهجه العام في الكتاب شبيه بمنهج مؤرج وابن الكلبي، إلا أنه يتوسع أكثر في تفريع النسب وفي المعلومات التي يوردها، ويتضح هذا جليًا بمقارنة ما جاء في جمهرة ابن الكلبي عن قريش مع كتاب المصعب، فقد كان نصيب قريش من كتاب «الجمهرة» المطبوع بتحقيق ناجي حسن قرابة مئة صفحة مع تعليقات المحقق، في حين بلغ كتاب المصعب المطبوع (٤٤٨) صفحة مع

قلة تعليقات المحقق. فابن الكلبي مثلاً ذكر عن ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يقارب نصف صفحة[٥]، بينما كان نصيب ولده عند المصعب (٤٠) صفحة[٦]، بزيادة تفريع في النسب وزيادة في المعلومات التي أوردها. وذكر ابن الكلبي من ولد (المطلب بن عبد مناف) تسعة عشر شخصاً[٧]، بينما ذكر المصعب خمسة وثلاثين شخصاً، كما ذكر من الأمهات ثماني عشرة امرأة[٨] لم يذكرهن ابن الكلبي. إضافة إلى هذا توسع في المعلومات التي أوردها عنهم، فمثلاً قال ابن الكلبي عن عبيدة بن الحارث، بعد أن ذكر إخوته: (شهدوا بدراً مع رسول الله ﷺ فضُرب عبيدة على رجله ضربة مات منها بالصفراء)[٩]. وقال المصعب عنه: (وأمهم: شحيلة بنت خزاعي بن الحويرث بن حبيب بن مالك بن الحارث بن حُطيط بن جشم، من ثقيف. وكان عبيدة أسنَّ من النبي ﷺ وكان يُكنَّى أبا الحارث، وأسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر هو وأَخَواه الطفيل والحصين إلى المدينة. وكان أوَّلُ لواءٍ عقد رسول الله ﷺ لواءَ حمزة، ثم عقد لواءَ عُبَيْدة بن الحارث في ستين راكبًا، فلقوا أبا سفيان بن حرب على ماءٍ يقال له أحياء، من بطن رابغ، فلم يكن بينهم إلاَّ الرَّمْيُ، أول من رمى في الإسلام يومئذ سعد بن أبي وقاص، كان مع عبيدة. وقُتل عبيدة يوم بدر، قطع رِجْلَه شيبةُ بن ربيعة، وقتل عُبَيْدةُ شَيْبَةَ، فحُمل عبيدة إلى رسول الله ﷺ فقال له عبيدة: يارسول الله! ليت أبا طالب حيٌّ حتى يرى مصداق قوله:

كذبتم وبيت الله نُبْزَى محمداً ... ولمّا نُطاعِن دُونَهُ ونُناضِلِ
ونُسْلِمُهُ حتى نُصرَّعَ حولَه ... ونُذْهَلَ عن أبنائنا والحلائلِ

وَحُملَ عُبيدة فمات بالصفراء ودفن بها، وعبيدة يومئذ ابن ثلاث وستين سنة)[١٠].

واكتفى ابن الكلبي حينما ذكر خالد بن الوليد رضي الله عنه بأن قال: (سيف الله)[١١]، بينما تَرْجَمَهُ المصعب بصفحتين كاملتين[١٢]. وهكذا طريقته في بقية الكتاب.

ويلاحظ أن بني أمية استحوذوا على أكبر نصيب من الكتاب، حتى فاقوا بني

هاشم بأكثر من عشرين صفحة[١٣].

والكتاب ذو أهمية كبيرة لتأريخ فجر الإسلام، وخاصة لتأريخ الخلفاء الأربعة، وهو مصدر مهم في أنساب القرشيين وفي تحديد النسب من النساء، إذ يبدو اهتمام المؤلف وعنايته بذلك[١٤].

ويحتل الشعر منه جزءاً كبيراً، فقد أورد شعراً لأكثر من (١٧٠) شاعراً[١٥]، مما أعطى الانطباع بالارتباط الوثيق بين النسب والأدب والتاريخ. وظهرت فيه الأسانيد وصيغ التحديث والسماع أكثر من كتابي مؤرج وابن الكلبي[١٦]، وإن أهملها في أغلب كتابه، حتى في الأحاديث النبوية، إلا أن هذه خطوة في الارتقاء بكتب الأنساب عن مجرد السَّرد دون بيان موارد المصنف وتوثيق معلوماته.

والكتاب يُعَدُّ مصدراً أساساً لكل من جاء بعده، فالزبير بن بكار يأخذ جل معلوماته عن عمه المصعب، والبلاذري يعتمد عليه في كثير من أخباره عن قريش[١٧].

٥- كتاب «الطبقات» لخليفة بن خيّاط (ت ٢٤٠)، وهو مثل كتاب «الطبقات الكبرى» لابن سعد وُضِعَ لخدمة علم الحديث، ويُعد خليفة أكثر التزاماً بترتيب كتابه على النسب من ابن سعد، فقد جعل النسب هو الأساس الوحيد في ترتيب الصحابة والتابعين، ولم يراعِ العوامل التي راعاها ابن سعد والتي تداخلت عنده مع عامل النسب، وبهذا استطاع خليفة أن يحافظ على تسلسل القبائل من بداية كتابه، مع مراعاة فكرة القرابة من النبي ﷺ متابعاً بذلك كتب الأنساب، (وإن كان الترتيب على النسب يختفي بعد طبقة التابعين، ولا يعود إلى الظهور إلا في القسم الأخير الذي خصصه للنساء)[١٨].

ويقتصر خليفة في تراجمه على ذكر نسب الرجل لأبيه وأمه، ويرجع بالأنساب إلى ما قبل الإسلام، وبذلك يُقدِّم مادة غزيرة في النسب كانت موضع اعتماد الآخرين، كما يذكر كنية الرجل ورحلاته باختصار، ويهتم بذكر سني الوفاة، وفي بعض الأحيان يذكر من صلى على الرجل بعد وفاته، وفي تراجم

الصحابة يذكر حديثًا يرويه الصحابي عن النبي ﷺ، ولا يذكر تفاصيل عن حياة الرجال وأحوالهم وصفاتهم الجسمية والخلقية والأحداث التي وقعت لهم، كما يفعل ابن سعد، وإن كان يشير أحيانًا إلى مشاركة الرجل في الغزوات والفتوح، والوظائف التي شغلها، ويقتصر في هذا على وظائف الولاية والقضاء، كما اهتم بذكر الموالي الذين اشتغلوا برواية الحديث. ويقدم معلومات دقيقة عن خطط البصرة، دون بقية المدن(١٩). واتضحت موارد خليفة إذ سردها في بداية كتابه(٢٠)، وأشار في مواضع أخرى من الكتاب إلى مصادر لم يذكرها في البداية(٢١).

وبالجملة فإن كتاب خليفة يُعَدُّ مصدرًا مهمًّا في الأنساب اعتمد عليه كثير من المصنفين في الرجال والتراجم ونقلوا منه(٢٢).

٦- كتاب «جمهرة نسب قريش وأخبارها» للزبير بن بكار (ت ٢٥٦)، ولم يصل إلينا إلا القسم الأخير من الكتاب والذي يبدأ ببني أسد بن عبد العزى إلى آخر نسب قريش(٢٣)، وطُبع القسم الأول منه بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر، الذي شمل نسب بني أسد بن عبد العزى أجمع.

أما منهج الزبير فيه فهو سياق النّسب على نحو ما فعل عمّه المصعب في كتابه «نسب قريش»(٢٤)، ويتضح ذلك بمقارنة سلاسل النسب عندهما، إلا أن الزبير يزيد قليلاً عن المصعب في تفريعات النسب، ويتوسع جدًّا في الأخبار التي يسوقها مقارنة بالمصعب، فبينما جاء نسب أسد بن عبد العزى عند المصعب في عشرين صفحة، كان نصيبهم عند الزبير مجلدًا كاملاً يزيد على خمس مئة صفحة.

وَوَلَدُ ثابت بن عبدالله بن الزبير مثلاً ذكر منهم المصعب تسعة، وزاد عليه الزبير قرابة السبعة، وتوسع في أخبارهم، فبينما جاءوا عند المصعب في صفحة واحدة فقط(٢٥)، ترجم لهم الزبير فيما يقارب خمسين صفحة(٢٦). ومن هنا ندرك وهم من يَعُدُّ كتاب الزبير كتاب نسب محض(٢٧)، وعنوان الكتاب يكفي للدلالة على أنه ليس في النسب فقط بل في الأخبار أيضًا، وقد

لقي إسحاق بن إبراهيم الموصلي، المغني المشهور، الزبيرَ بن بكار فقال له: (ياأبا عبدالله! عملتَ كتابًا سمّيْتَهُ كتاب النسب وهو كتاب الأخبار). قال الزبير: (وأنت ياأبا محمد! أيّدك الله، عملتَ كتابًا في الأغاني وهو كتاب المعاني)[٢٨]. لكن الزبير حينما أطال فإنه (لم يُرد التكثُّر في الأخبار، بل جنح إلى تخيُّر أخبارٍ دالة على عقول أصحابها ونفوسهم وصفاتهم وشمائلهم ومنازلهم في الناس بفضل هذه السمات الظاهرة في أخلاقهم، فزيادة كتاب الزبير على كتاب عمّه هذه الزيادة البيّنة لم تكن في تفريع النسب وحده، ولا في الأخبار وحدها، بل في دلالة هذه الأخبار على أصحابها دلالةً مُبينةً مميزةً)[٢٩].

لكن مع هذا يلاحظ أنه استطرد في بعض المواطن بذكر أخبار وأنساب لا علاقة لها بموضوع الكتاب إلا في نطاق محدود، كذكره أخبار منظور بن زبان بن سيار الفزاري وأخبار آل سيّار؛ لأن ابنة منظور كانت تحت عبدالله بن الزبير، وذكره أيضًا أخبار سنان بن أبي حارثة المري وآله؛ لأن أم ابنة منظور التي تزوجها عبدالله بن الزبير هي مليكة بنت سنان المُرِّي[٣٠].

والزبير أيضًا توسع جدًّا في سياق الشعر، وأورد منه الكثير، حتى لا نكاد نجد هذا في غيره من كتب الأخبار والشعر، وذكر قصائد طوالاً لشعراء لم يرد لهم في المصادر إلا ذكر الأسماء أو البيت والبيتين من أشعارهم[٣١]، فهو وإن اتبع منهج من سبقه في الاهتمام بالشعر إلا أنه أولاه عناية خاصة، فساق مقطوعات وقصائد انفرد بها، أو وردت عند غيره مقتضبة فساقها هو كاملة[٣٢].

وبرزت في كتاب الزبير ميزة مهمة لم تتضح في الكتب السابقة إلا في مواطن قليلة جدًا، وهي وضوح موارده في هذا الكتاب، إذ قد اعتنى بالأسانيد عند سياقه الأخبار والأشعار بصورة واسعة، مما أثر على منهج كتب الأنساب الكبيرة التي تلته كما يبدو.

وما ذُكر عن الكتب السابقة من اهتمامها بالنساء والأمهات، وأماكن سكنى

القبائل وخطط بطونها ومصير بعض فروعها يقال أيضًا عن كتاب الزبير[٣٣].

ويدلنا على قيمة كتاب الزبير وأهميته في بابه أن الخطيب البغدادي اعتمده في كتابه «تاريخ بغداد»، إلى جانب كتاب «الأنساب» ليحيى بن الحسن الحسيني العلوي (ت ٢٧٧)، إذ نقل الخطيب عن كتاب الزبير وحده نحو مئة نصّ[٣٤]، رغم عدم احتياج الخطيب إلى الاقتباس من كتب الأنساب؛ لبعدها عن هدف الكتاب[٣٥].

د. عبدالعزيز بن سليمان المقبل

الحواشي:

(١) ينظر بحوث في تاريخ السنة ص ٧٤- ٧٥.

(٢) تنظر مقدمة محقق الطبقة الخامسة من «الطبقات الكبرى» ١ / ٦٣- ٦٤، تحقيق: د. محمد بن صامل السلمي، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ (١٩٩٣م)، مكتبة الصديق، الطائف.

(٣) المرجع السابق.

(٤) «نسب قريش» ص ٣- ١٢.

(٥) ص ٣٠- ٣١.

(٦) ص ٤٠- ٨٠.

(٧) «جمهرة النسب» ص ٦٠- ٦١.

(٨) «نسب قريش» ص ٩٢- ٩٧.

(٩) ص ٦٠.

(١٠) ص ٩٤.

(١١) «جمهرة النسب» ص ٨٨.

(١٢) ص ٣٢٠- ٣٢١.

(١٣) بنو هاشم من ص ١٧ إلى ص ٩١، وبنو أمية من ص ٩٨ إلى ص ١٩٦.

(١٤) مقدمة المحقق ص ٩.

(١٥) ينظر فهرس الشعراء ص ٤٦٧- ٤٧٠.

(١٦) تنظر مثلاً الصفحات ٣، ٢٤، ١٠١، ١٠٢، ١٩٧، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٦٩.

(١٧) ينظر «موارد البلاذري» ١ / ٢٩٦- ٣٠٠.

(١٨) تنظر مقدمة أكرم العمري لكتاب «الطبقات» ص ٣٨.

(١٩) ينظر المرجع السابق ص ٣٠- ٣٢.

(٢٠) الطبقات ص ٢.

(٢١) قدّم المحقق قائمة بموارد خليفة في دراسته للكتاب ص ١٥- ٣٠.

(٢٢) سرد بعضهم المحقق في مقدمة الكتاب ص ٦٤.

(٢٣) مقدمة المحقق ص ١٩. وأعاد طبعه حمد الجاسر مع القسم الثاني الذي لم يتمكن الشيخ محمود من تحقيقه مع عمل فهارس مفصلة للكتاب سنة ١٤٢٠هـ.

(٢٤) مقدمة المحقق ص ٥.

(٢٥) ص ٢٤٢- ٢٤٣.

(٢٦) من ص ٨٠ إلى ص ٢٣٤.

(٢٧) ينظر موارد البلاذري ص ٩٨.

(٢٨) تاريخ بغداد ٨ / ٤٦٩.

(٢٩) مقدمة محقق الكتاب ص ٥.

(٣٠) استغرق ذالك من ص ٥ حتى ص ٣١.

(٣١) تنظر مقدمة المحقق ص ٧.

(٣٢) ينظر مثلاً من ص ١٣٣ إلى ص ١٤٥، ١٤٩- ١٥٦، ١٦٥- ٢١٧.

(٣٣) تنظر مثلاً الصفحات ٣٤، ٥٩، ٧٤، ٧٥، ٢١٩، ٢٣٠، ٣٣٧، ٣٣٨.

(٣٤) ينظر موارد الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد»، د. أكرم العمري، ص ٢٠٥ - ٢٠٨، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ (١٩٨٥م)، دار طيبة، الرياض.

(٣٥) ينظر المرجع السابق ص ٢٠٥.

حملة مصطفى باشا على البحرين عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م

(٣)

TSM E 3004 ترجمة تقرير حملة البحرين عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م: لقد منح هذا الحقير (كاتب التقرير) سنجاقًا في ولاية الأحساء، وعندما وصلت الأحساء، (وجدت أن) الولاية المذكورة مثل (طائر) العنقاء موجودة بالاسم معدومة الوجود (موجود الاسم معدوم الجسم)، وعندما سألنا أمير الأمراء: (أين سنجاقنا؟)، أجاب: (سنجاقك على طرف ولاية نجد). وعندما قلنا: إن فتحها غير ممكن، وأنه من الصعب (لأي شخص) أن يذهب إلى هناك، ماذا علينا أن نفعل؟ فقال: (نحن ننوي فتح البحرين، وعند فتحها سأخبرك (عرض ايده لم) (عن) سنجاقك. وغزونا البحرين بعدها مع أمير أمرائنا.

والبحرين هذه عبارة عن جزيرة، وبرّ العرب قريب من البحر الهندي، مكونًا جانبًا من الأحساء، والبحر بين البحرين وبرِّ العرب مثل العرض الذي بين قرية قرتال واستانبول، وقد أخذنا (دوتوب) سفنًا وحمّلنا عليها خيولنا وتوجّهنا لجزيرة البحرين. وحاصرنا قلعة البحرين من ١٣ لغاية ٢٦ رمضان، وخرجت حامية القلعة وقاتلتنا بشراسة عدة مرات، وبينما كنا نقصف المدينة في ٢٦ رمضان، ظهرت ٢٢ غرابًا للفرنجة (فرنك) (البرتغاليين)، فجاءت ١٢ غرابًا، بينما ذهبت ١٠ أغربة للبصرة، (وكان هناك) (٢ قادرغة) قد جاءت معنا من البصرة، وكان محمد بك قد عين قائدًا (سردار) (على السفن)، وملأ (القادرغات) بانكشارية (يكجري) بغداد، وقد أرسلت هذه لتعقب الـ١٢ غرابًا للكفار التي ظهرت، وبالحيلة هرب الكفار الملاعين من (القادرغات)، وطاردت إحدى (قادرغاتنا) غرابًا لمدة ثلاثة أيام، دون جدوى[؟]، ثم عادت، وقبل وصولهما للميناء، جاء غراب للفرنجة وأطلق النار على سفن المؤونة، واحترقت كل سفن المؤونة بما عليها من مواد غذائية، وبعدها عادت (قادرغاتنا)، ولما نزل محمد بك وكل الإنكشارية مع الطاق للتزويد بالماء والطعام، وبينما كانوا في [فترة] راحة، تجمّعت كل أغربة الفرنجة في مكان

واحد، وفي الثالث من شوال، [جاء] ٢٢ غراب للفرنجة وهجمت على قادرغاتنا الراسية وأخذوها، واستشهد القبطان (قبودان) وقتلوا بعض الأشخاص الذين كانوا على متنها، واقتادوا الباقين أسرى، وهؤلاء الفرنجة المذكورون هم البرتغاليون، وكانت الأغربة بحج قايق السلطان، ملجأ العالم، وكان في كل منهما (القادرغات) اثنين أو ثلاثة مدافع (زابزان كذا والأصح ضربزان)، بعد السيطرة على قادرغاتنا، ألقى الفرنجة مراسيهم مقابلنا في ميناء القلعة، وتمركزوا هناك.

[وهنا] جمع أمير الأمراء البكوات للمشاورة، وبينما كنا نقصف القلعة، ظهر الفرنجة الذين هم على تلك الأغربة فجأة من إحدى زوايا الجزيرة، وقاموا بهجوم ليلي علينا، [وفي الاجتماع قالوا]: بأنه لا فائدة من خروج الحامية من القلعة، [وتوصلوا] إلى أفضل شيء هو أن يخرج بك القلعة على ظهر حصان، ع كوكللو بغداد لحماية الجزيرة ليلاً ونهاراً، واختاروا هذا الفقير (كاتب التقرير) لهذه الخدمة، وأخذ هذا الحقير يراقب أغربة الفرنجة ليلاً ونهاراً، لدرجة أنهم لم يكونوا قادرين حتى للتزود بالماء، (ولكن) جلبوا ماءهم من جزيرة أخرى.

وبعد استمرار المراقبة على هذا المنوال لعدة أيام، جاء جاوش (رسول) من أمير الأمراء ليجمعنا، وعند وصولنا قال لنا: لقد أقمنا صلحاً مع مراد ريس، حاكم القلعة، وسنقوم بوقف قصف المدينة، وسيعطونا أموال فرنكية، [كما سيعطونا سفينة (لارجاعنا). فقال هذا الحقير: (كلام لا مردود له، ليس لنا سبيل إلا بقصف وأخذ القلعة، لأنه إذا رفعنا الحصار، فإن الفرنجة سيتحدون مع حاكم القلعة، وسيجلبون مزيداً من القوات لحربنا، وإلا لن يتركونا حتى نموت من الجوع على هذه القلعة)، لم يوافق أمير الأمراء وباقي الجنود (مع ما قلته)، وفي ذلك اليوم، تركنا القلعة وخيّمنا بعيداً عن مرمى المدافع، وكتب [الكاتب] الحقير مخمّسا [شعر من خمسة أبيات] عن الجيش والباشا، وأرسلتها للباشا وهذا هو البند الأول:

إن جزيرة البحرين خطرة وصعبة، وكل أهلها من الروافض (رافضي)، وقد اتحدوا مع الكفار (البرتغاليين).

بقيت العساكر السردار لا حول لها ولا قوة (بي تدبير)، حامينا الوحيد الآن هو السيف.

كل ما هو مكتوب للشخص يتحقق، لأن كل شيء مقدر (للإنسان).

وبعد ثمانية أيام، وهم معزولون في تلك المنطقة، جاءت بارجة برتغالية كبيرة في ذلك الوقت، وفي صباح اليوم الثامن خرج لمواجهتنا الكفار، ومراد ريس حاكم القلعة، والعجم، وأمير عربي تابع لهم يعرف باسم ابن رحّال، وصرنا وجهًا لوجه، وضع [الكاتب] الحقير في كمين مع فرسان (اتلو) بغداد، وانشغلوا مع الفرنجة في الموقعة، حارب هذا (الكاتب) الحقير مع ٢٠٠ مع فرسان بغداد بالسيوف المجردة، وبعد أن دارت الموقعة لبعض الوقت، كان الكفار هم المنتصرون وطوّقونا، وذهبت إلى جناح الباشا متسائلاً: لماذا هزمت القوات، وهرب الباشا بمن معه من البكوات وقوات الأحسائي. وحوّل انكشارية بغداد مكان مرتفع إلى حاجز (واستمروا) وحدهم بالقتال، ولتشجيعهم، جمع هذا الحقير فرسان بغداد، ونازل الكفار متوكلاً على الله، وتساقط الكفار كالذباب بقدرة الله تعالى، وأخذ (عدد كبير) من الأسرى والأسلحة. وإذا سألت عن قوات بغداد، إن ٢٠٠ فارس و ٤٠٠ رامي (توفنكجي) قد أرسلوا من بغداد للأحساء.

رغم أننا منحنا النصر من الله، وبسبب أننا لا نملك سفنًا، والقوات كانت تواجه مجاعة عظيمة، فقد أرسل أمير أمرائنا واحدًا من أسراهم للقلعة وللفرنجة (للتفاوض)، فإذا أرجعنا أسراهم والمدافع، فإنهم في المقابل سيجلبون لنا سفنًا لتأخذنا (للأحساء)، [وكان هذا] بسبب وجود بعض ذوي الاعتبار (اعتبارلو آدم) بين الأسرى، وكان أحدهم قريبًا لملك البرتغال (برتقال بادشاهي)، وبذلك (أيله اولسه) فإن الأسير الذي أرسل عاد بأخبار (مفادها أن الكفار يطلبون) بالاضافة للأسرى والمدافع، أشياءنا وخيولنا، (وفي تلك الحالة) سيدعونا نذهب، وإلا فانهم سيجعلون الجوع يفتك بنا على هذه الجزيرة، وحل آخر (قالوا بأنه إذا) وافق أمير أمرائنا على إعطاء ٣٥ خيلاً و ٢٤٠,٠٠٠ اقجه فإنهم سيعقدون صلحًا، وفي تلك اللحظة، جاءت أنباء من

قبودان هرمز بأنه كان يجمع الفرنجة الذين بهرمز، وبأن حاكم هرمز أرسل وزيره مع ٣٠٠٠ من العجم، [وأمرهم] بعدم ابرام أي صلح مع الأتراك، حتى وصولهم سالمين، وللدفاع بقوة عن الجزيرة، ان بادشاه هرمز أعجمي، وقبودانه مثل وزير ملك البرتغال، وهو يتحكم في قلعة ديو وميناء كوه وكوجرات (وهي تخضع) لقبودان هرمز، ورغم وجود بكوات في كل منطقة، إلا أن قبودان هرمز يتحكم فيهم جميعًا.

إن (ملك) البرتغال في مدينة تعرف باسم لشبونة، في شمال مضيق سبتة، والتي توصل بستة شهور من هرمز. وبعد وصول هذه الأنباء مكثنا جائعين مع القوات على تلك الجزيرة، لم يجدوا أي شيء للأكل سوى التمر، وأكل هؤلاء الذين ضعفوا منا لحم الحمير طلبًا للقوة. وفي يوم جاءت الأنباء من القلعة بأن برتغاليًّا رفيع المستوى (بيوك بكي) حضر من هرمز لمقابلتنا، وعلينا أن نرسل شخصًا من بكواتنا ليبقى رهينة في القصر، فأرسل الباشا أيضًا هذا الكاتب الحقير، وعند وصول هذا الرجل الفقير، قابل مراد ريس، بك القلعة، ولما تكلم الكاتب الحقير عن الصلح، أجاب (مراد ريس) إن شاء الله الرحمن سأفعل شيئًا لكم على هذه الجزيرة حتى لا يرجع أحد للجزيرة كعدو، فقلت: إذا اتحدت مع مجموعة من الفرنجة، والعرب الأشرار، والعجم الملاحدة كما فعلت في السابق، فستكون هناك موقعة أخرى تماشيًا مع [قوله تعالى] ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة﴾ وإن شاء الله الرحمن سنكون نحن المنتصرون وستحتلّ، ولكن إذا انتصرتم فإن النصر سعادة لنا، ولكن حضرة البادشاه سيثأر لنا وستخسر أرضك ورأسك، ولا تنسى ذلك) وبعد أن قلت ذلك، أجاب إذا كان كذلك فان البادشاه قد أعطاني عهد نامه، سآخذ العهد وأترك القلعة ذاهبًا لكل أمراء الهند، وسأريهم إياها كل على حدة، ليعرفوا السلطان سليمان وأي بادشاه هو، الذي أرسل قواته ضدي بعد ابرام معاهدة وبعد أن فرغ من ذلك قال هذا الفقير حاشا للبادشاه، ...... بأن يعطي عهدًا ثم ينقضه بإرسال قواته، لقد أتينا غير مرخصين، بدون اذن من البادشاه، اعمل ما في وسعك لتخليص القوات ثم اعرض قضيتك على البادشاه، وسيظهر لك البادشاه، ...... منتهى

احسانه (سكا كللي واحسانلري اولور)، فقال مراد ريس: إن عرائضي لا تصل البادشاه، انهم لا يدعون رسلي تتعدى البصرة، أنا عاجز. فأجاب هذا الفقير: ان شاء الله الرحمن أنا سآخذها للأستانة، اعطني عرائضك وأنا سأسلمها للبادشاه. فوعد مراد ريس بالمساعدة لرجوع القوات [إلى الأحساء].

وعند رجوعي للقوات، ولما كان هناك صلح وصلاح بيننا لعدة أيام، جاء ٤٠٠ جندي من بردستان، التي هي ديار للعجم، لمساعدة بك القلعة، فوضعهم حاكم القلعة (بك) في مكان بالقرب من قلعته، ولما قال أمير أمرائنا: سأعطيك رجالاً لهجوم ليلي على العجم. فأجبت: سمعنا وأطعنا. وهاجمنا الملاحدة قرب الفجر، وقتلنا منهم عدة رجال ثم عدنا، وبعدها انقضى شهر، وجاء قبطان هرمز مع وزير بادشاه هرمز مع قوات ثقيلة العتاد، وكان مصراً على القتال أيضاً، ولكن في تلك اللحظة مات أمير الأمراء، فأرسل الجنود مع بقية البكوات الباقين هذا الكاتب الحقير للقلعة، فذهب هذا الحقير وسأل عن ضمان (رهن)، ولكن لم يعطوني ضماناً أكيداً لسلامتي، لذا توجهت إلى الكفار متوكلاً على الله، بدون ضمان [لسلامتي]، وأخبرت وزير قبودان هرمز وبادشاه هرمز بأن السلطان سيغار وسينتقم لنا، وبأننا سنكافح حتى نقتل، وفي هذه اللحظة جاء جاسوس من عند قواتنا، بأنباء وفاة أمير أمرائنا، فحبسني قبطان هرمز وأراد قتلي، وأخيراً أطلقوا سراحي للرسول، قائلين [بأن هذا لن يضر ؟].

أبرم البكوات والجنود وسلطان علي، حاكم القطيف، اتفاقاً مع قبطان هرمز، فأعطيت ١,٠٠٠,٠٠٠ (اون يوك) من اقجات الباشا (أي أمير الأمراء)، بالإضافة إلى أعداد كبيرة من خيول الجنود [للأعداد]، وأحضر الفرنجة سفناً، وفي الخامس من صفر عبرت القوات بسلامة إلى قلعة القطيف، [وهي] مكان في الأحساء، وعاشت القوات على التمر من بعد رمضان حتى صفر، لم يكن هناك شيء آخر للأكل، وعانوا من الجوع طيلة أربعة شهور كاملة.

[«العرب» يبدو أن الدكتور فيصلا عرب هذا البحث على عجلة، لهذا وقعت فيه جمل غير واضحة، وكلمات غير معربة]. (للبحث صلة)

جامعة الكويت / قسم التاريخ - د. فيصل عبدالله الكندري

«أنساب الأشراف» للبلاذري

[القسم السابع - الجزء الأول - تحقيق الدكتور رمزي بعلبكي سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)]

(٦)

وهذه بارقة أملٍ بأن كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري سيصدر محققًا تحقيقًا علميًّا، ومرتَّبًا على الوضع المعروف عن مؤلفه، في أجزاء متتابعة، ذالك أنني قرأت بأن (النشرات الإسلامية) التي تصدرها (جمعية المستشرقين الألمان) قد عهدت بهذا الكتاب مُجَزَّءًا لعدد من المحققين:

القسم الأول: سيقوم بتحقيقه ماهر جرار، وهو قيد الإعداد.

القسم الثاني: تحقيق فلفرد مادلونغ وهو قيد الإعداد.

القسم الثالث: العباس بن عبدالمطلب وولده تحقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري، وقد صدر سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م).

القسم الرابع: ثلاثة أجزاء أولها: بنو عبد شمس، قام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس، وصدر سنة ١٤٠٠هـ (١٩٧٩م) والقسم الثاني يحققه الدكتور الدوري وهو قيد الإعداد، والقسم الثالث: يحققه الدكتور رضوان السيد وهو قيد الإعداد.

القسم الخامس: سائر فروع قريش يحققه الدكتور إحسان عباس، وقد أخبرني الأستاذ الحبيب اللَّمْسِي بأنه قد صدر.

القسم السادس: تقوم بتحقيقه وِداد القاضي، وهو قيد الإعداد.

القسم السابع: جزءان عن سائر قبائل العرب، حقق الأول الدكتور رمزي منير بعلبكي، وقد صدر سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) والقسم الثاني: يحققه الدكتور محمد اليعلاوي وهو قيد الإعداد.

وقد سبق أن تحدثت عن أجزاء نشرت من هذا الكتاب:

أولها: الجزء الأول الذي حققه الدكتور محمد حميدالله، فقد نشرت ملاحظاتي حوله في مجلة «المعرفة» التي تصدرها وزارة المعارف قبل ربع قرن من الزمان.

كما تحدثت عن الجزء الثاني وهو يصل بين ما نُشِرَ بتحقيق الدكتور محمد حميدالله وبين القسم الثالث الذي حققه الدكتور الدُّوري، قام بتحقيق هذا الجزء الأستاذ محمود فردوس العظم، تحدثت عنه بتوسع في مجلة «العرب» (س ٣٣ ص: ٢٤٣ و٣٧٣ و٥٣٦ و٨٢٧ وس ٣٤ ص: ٢٧٢ و٤١٢ و٧١٩ و٨٣٨).

وها أنا وقد أكرمني الصديق الأستاذ عز الدين عمر موسى، الأستاذ بكلية الآداب في (جامعة الملك سعود) بنسخة من الجزء الذي حققه الدكتور رمزي بعلبكي، فأمتعت الفكر، وابتهجت بالصورة التي أُبْرِز بها، من حيث جودة التحقيق، وشدة العناية بالكتاب، والحرص على التقصي في تتبع ما يتصل به من نصوص، وحسن الإخراج، وجودة الطبع.

وقبل ذالك كنت حين اطلعت على عمل الدكتور البعلبكي حيال «جمهرة اللغة» لابن دريد - الصادر عن (دار العلم للملايين) في طبعته الثانية سنة ١٩٨٨م في ثلاثة مجلدات ضخام - غمرني فيض من التفاؤل بأن الساحة لم تَخْلُ بعْدُ من العلماء الغُيُرِ على تراثنا، وإن فقدنا منها أعلامًا مبرزين.

لم أطالع هذا الجزء إلاَّ للاستفادة منه، بعد أن اتضح لي ما بذله المحقق الكريم من جهد متميز بارز، في كل صفحة من صفحات الكتاب، ولكن عَنَّتْ لي ملاحظات رأيت إبداءها حول هذا العمل المبذول في التحقيق.

أولى الملاحظات: أن المحقق الكريم اعتمد في التحقيق على نسخ ثلاث هي: نسخة (استانبول) ورمز إليها بحرف (س) ويقصد بها النسخة التي في (مكتبة رئيس الكتاب) المضمومة إلى (المكتبة السليمانية العامة) وقد

وصفها الدكتور محمد حميدالله في مقدمة تحقيقه وصفًا موجزًا، وهي منسوخة بتاريخ ٢٠ ربيع الأول سنة ١١٢٣، وفي طرتها ما هو مكتوب في طرة المخطوطة الدمشقية، وقد أثبته الدكتور محمد حميدالله في مقدمته مما لا داعي لتكراره.

والنسخة الثانية التي رمز لها بحرف (م) هي نسخة الخزانة الملكية في الرباط.

والنسخة الثالثة رمز لها بحرف (ط) وقال بأنها تتميز بضبطها شبه التام، وأُضيف: بأنها تتميز أيضاً بالدقة بضبط الكلمات والمقابلات على بعض النسخ، وفي الهوامش ايضاح بعض كلمات إيضاحًا منقولاً عن الأصل، وفوق ذالك أن ناسخها حاول أن يقدم الكتاب أوثق نسخة على ما أوضح في آخرها مما سيأتي بنصه، ومع كل ذالك فقد لا تخلو من مَآخذ، منها ضبط بعض كلمات فيها ضبطًا لا يتفق مع ما بين يدي القارئ من المؤلفات، وقد يكون هذا الضبط رواية أخرى - إن لم يكن سهواً من الناسخ، ومن أمثلته - لا على سبيل الحصر:

- ص ٢١١-: (خالد بن عثم بن رِجْل). (رحل) في الموضعين في المخطوطة قد وضع تحت الحاء علامة الإهمال، ولكن ابن حجر في «تبصير المنتبه» - ص ٥٩٥- ضبطه بكسر الراء وسكون الجيم، ونقل عن ابن الكلبي أنه صحف إلى (زحل) باسم النجم، وأشرت إلى هذا لإيضاح أن ضبط النسخة قد لا يكون صحيحًا.

- ص ٢٥٣-: (وأمهم دغة بنت مغنج). في المخطوطة (معنج) وتحت العين علامة الإهمال، ولا يتفق هذا مع ما ورد في بعض كتب اللغة كـ«تاج العروس» رسم (غنج).

- ص ٢٨٧-: (كلاَّ زعمت أنه خَصِرٌ فمضت مثلاً). في المخطوطة

(حَصِر) وتحت الحاء علامة الإهمال، وهذا لا يتفق مع ما في كتب الأمثال التي أشار إليها المحقق (خَصِر) بالخاء.

إن هذه المخطوطة المحفوظة في الخزانة العامة في (الرباط) التي رمز لها المحقق الفاضل بحرف (ط) هي أصل المخطوطتين الأوليين فعنها نسختا، ولعلها أكمل نسخة وأقدمها - عُرِفَتْ حتى الآن - تحوي جميع ما عرف من هذا الكتاب، وقد جاء في آخرها ما نصه: (آخر المجلد الثاني والأربعين من الأصل المشروع في كتبه سنة إحدى وتسعين، والمفروغ منه في صفر سنة خمس وتسعين وثلاث مئة بمصر، وفي آخره: هذا ما صنفه أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري من «جمل أنساب الأشراف وأخبارهم» وتم الكتاب، وكان في الأصل على قدمه اضطراب في مواضع، من تقديم وتأخير، وإسقاط ومحو، أَتْقَنْتُ كل ذالك من نسخة أخرى، فصار هذا الفرع مُرَجَّحًا على أصله، وكان الشروع في كَتْبه يوم السبت الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين، والفراغ منه في يوم السبت بعد صلاة عيد الأضحى سنة تسع وخمسين وست مئة، على فترات تخللت الكتابة، وكتبه لنفسه صاحبه عبدالله، الفقير إلى عفوه وغفره، أحمد بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر الموصلي، ثم الدمشقي الشافعي بسكنه برباط السميساطي بدمشق).

وفي الهامش: ما يفيد بمعارضته بأصل قديم حسن وفي بعض مجلداته إشارة إلى قراءته في سنة تسعين وثلاث مئة، ثم وجدت فيه... ألحقتها، ومواضع منه رطوبة في الأصلين لكل منهما أتقنتها، كل هذه قد .... لكل واحد من الأصول الثلاثة فيه على انفراده مواضع ساقطة، ومواضع مضطربة، فكملت هذه النسخة ولله الحمد، وكانت المعارضة في مدة آخرها في ربيع الأول سنة إحدى وستين وست مئة، وكتبه.... أحمد بن محمد الموصلي حامداً الله عزَّ وعلا ومصليًّا على رسوله محمدٍ خاتم الأنبياء وعلى آله، وربما وقع في هذه

النسخة مواضع فيها اضطراب وخلل في النسخ الثلاث... فتركت على حالها وما بها من...).

ومواضع النقط كلمات لم تتضح في المصورة.

ومما يؤسف وقوع نقص في أصل هذه المخطوطة القيِّمة، ويقع فيما بين صفحتي (١٧٠) و(١٧١) - وهذا الترقيم حديثٌ - والنقص يقارب ستَّ صفحات، ويظهر أنه حدث في عهد متأخر.

اتضح لي هذا النقص من عدد كراريس الكتاب، فعددها ثمان وأربعون كراسًا وأربع ورقات، والكراس عشرون ورقة، وليست مرقمة الصفحات، بل اكتُفِي فيها بذكر عدد الكراريس، في أعلى الورقة الأولى من كل كراس.

ومن حسن الحظ أن مخطوطة (اسطنبول) نسخت منها قبل حدوث هذا النقص، الذي يبدو أنه وقع بعد أن وصلت النسخة إلى المغرب، كما يتضح هذا من مخطوطتين في الخزانة الملكية، وفي الخزانة العامة بالرباط صورة إحداهما وتاريخ نسخها في ربيع الثاني سنة ١٢٠٩، وتاريخ الثانية مقارب لهذا.

والملاحظة الثانية: أنه كان من الأولى أن تقدم تلك المخطوطة التي هي أصل للنسختين الأخريين في الاعتماد عند التحقيق.

ويقع هذا الجزء المطبوع منها من الصفحة الـ(٨٣٨) إلى الصفحة الـ(٨٨٨ ونصف) فالمجموع خمسون صفحة ونصف الصفحة، أما صفحات المطبوع فهي (٦٧٤) الأصل منها في (٤٨٣) والباقي جداول في النسب، وفهارس مفصلة، وإيضاح موجز عن عمل المحقق في صفحتين.

ومحتوى الجزء مما في أصل الكتاب هو قسم من (نسب بني تميم) يبتدئ بـ(نسب من بقي من ولد حنظلة) وهم - ولد قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. ثم (نسب بني سعد بن زيد مناة بن تميم) فـ(نسب بني عمرو بن تميم) ومن (نسب قيس عيلان) بدأ (بنسب غطفان) ولم يكمل، بل انتهى

بانتهاء ذكر (بني رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان).

ويبقى من صفحات النسخة (ط) من النصف الثاني من الصفحة الـ(٨٨٨) إلى ما يقرب من ربع الورقة الـ(٩٣٤) = ٤٦ صفحة وثلاثة أرباع الصفحة تحوي من الأنساب: بقية (نسب غطفان) على هذا الترتيب: (نسب بني فزارة) فـ(نسب بني عبس بن بغيض) فـ(نسب أنمار بن بغيض) ثم (نسب بني عبدالله بن غطفان) ثُمَّ (نسب عدوان) فنسب (فهم بن عمرو بن عدوان) ثم (نسب بني محارب بن خصفة) ثم (نسب بني مازن بن منصور بن عامر بن صعصعة) ثم (نسب بني سليم)، ثم (نسب ثقيف) وينتهي الكتاب أثناء الكلام على نسبهم منقطعاً.

الملاحظة الثالثة هي: ألاَ يدرك المحقق الكريم أن من يُعْنَى بدراسة هذا الكتاب والاستفادة منه قد لا يرجع إلى (جداول النسب) وقد بذل المحقق في إعدادها جهداً بالغًا، وهي ملحقة بهذه المطبوعة من (ص ٤٨٥) إلى (ص ٥٣٤) وسبق أن وضع (كاسكل) لجداول ما طبعه ظانًّا أنه كتاب «الجمهرة» وهما كتابان، أحدهما النصف الأول من «الجمهرة» والثاني النصف الثاني من كتاب «النسب الكبير» وقد نبهته إلى هذا الخلط قبل وفاته، فتمنى أنه عرف هذا قبل نشر الكتاب، ووَضْعُه تلك الجداول قد يفيد بعض الغربيين الذين لا يجدون الوقت المتسع لقراءة نصوص الكتاب.

الملاحظة الرابعة: أنني قرأت المطبوعة قراءة استفادة، ولكنني وقفت عند كلمات منها، ودفعني وقوفي هذا إلى أن أرجع إلى المخطوطة التي قلت عنها: إنها الأصل، وهي (المخطوطة الدمشقية)، فاتضحت لي كلمات رأيتها تخالف ما ورد في المطبوعة، فرأيت عرضها لا يخلو من فائدة، وسيأتي الحديث عنها.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

غَزِية: نسبها وفروعها وديارها وتحقيق نسب عتيبة

(١)

[تنشر هذه المجلة ما يأتيها من أبحاث متخصصين بأنساب العرب، ممن تثق بهم، وهي تقبل ما يقدم لها من تعليق بشرطين، أولهما: أن يكون المعلق من ذوي المعرفة ولا تقبل ما يأتيها من العوام وأمثالهم.

والشرط الثاني: أن يكون التعليق معتمداً على مصادر من الكتب القديمة المعترف بها، أما ما ينقل عن العامة وأمثالهم فلا تعيره أي اهتمام، لأن ما تنشره أبحاث متخصصين في هذا العلم، ولا يعلق عليه إلا بمثله، والمجلة لا غاية لها من ذالك سوى إثراء الأبحاث المتعلقة بعلم الأنساب.

أما ما نقل الأستاذ الأحيوي في هذا البحث عن ابن حزم -رحمه الله- فابن حزم من أجلة علماء المسلمين في العلوم الدينية، وأما في الأنساب فهو قد اختصر كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي، وأضاف إليه أنساب القبائل العربية المقيمة في الأندلس، أما ما زاده على هذا فهو -رحمه الله- من العلماء الذين يؤخذ من قولهم ما وافق الدليل، وكلامه عن نسبة قبيلة حرب إنه لم يطلع على كتاب «الإكليل» للهمداني، الذي أعلم منه في نسب حرب، إذ الفخذ الذي ذكره ابن حزم عن بني هلال صغير، بينما كانت فروع قبيلة حرب قد انتشرت قبل ذالك في الحجاز في خلال القرن الثالث والرابع الهجريين انتشاراً عظيماً].

غَزِيَّة: نسبها وفروعها وديارها وتحقيق نسب عُتَيبة:

غَزِيَّة بفتح الغين المعجمة أوله وكسر الزاي المعجمة ثانيه وتشديد الياء المثنّاة من تحت وفتحها ثالثة: قبيلة من أجلّ وأعرق قبائل هوازن بن منصور من بني قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهم بنو غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن، وأم غزية ماويَّة القضاعية قال الكلبي: (وفد جشم بن معاوية على كعب بن عُصيمة فزوّجه ابنته ماويَّة بنت كعب فولدت له غَزِيَّة وعديًّا وعامراً بني جشم)[١] وهي ماوية بنت كعب بن عُصَيمة بن اللَّبُوء بن أمر مناة بن جعثمة بن النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعه[٢] وقال: (عَصيمة دخل في بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن) قال: (يقال عَصيمة بن جشم)[٣] وقال: (ولد جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن: غَزية وعديًّا وعُصيمة)[٤] قلت: هاهنا عُصيمة بضم العين المهملة أوله لا بفتحها وقد سقط ذكر عامر بن جشم الذي ذكره الكلبي في موضع آخر

فقال: (ولد معاوية وهو الضباب بن كلاب: عمراً وخالداً أمهما بنت عامر بن جشم بن معاوية)[٥] والكلبي على دقّته سقط من كتابه ذكر بعض القبائل فمن ذالك انه لم يذكر زريق بن معاوية بن بكر ابن هوازن عند ذكره بني معاوية[٦] لكنه عند ذكره بجير بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم قال: (وهم في بني زُريق بن معاوية بن بكر بن هوازن)[٧] قلت: وولد جشم رُقية بنت جشم وهي أم لقبائل جليلة من هوازن، قال الكلبي: (ولد عامر بن صعصعة: ربيعة وهلالا ونميراً وسواءة والحارث درج، وأمهم رُقية بنت جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن)[٨] وولد نضيرة بنت جشم قال الكلبي في ذكر فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان: (ولد فزارة بن ذبيان عديًّا وأمه نضيرة بنت جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن)[٩] وقد نكحها مازن بن فزارة بعد أبيه قال الكلبي: (ولد مازن بن فزارة: سُمَيًّا وحُجانًا وأمهما نضيرة بنت جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن خلف عليها بعد أبيه)[١٠].

قال الأحيوي: هاهنا وقفة تتعلق بِزُريق بن معاوية، عمّ غزية بن جشم بن معاوية، فمن قبائل عتيبة في يومنا هذا الزُّرَّاق (ذوي زَرَّاق) ويقال لهم الزراريق وهم فيما يقال بنو زراق بن عاصي بن طلحة بن روق بن سالم بن صرير[١١]؟! والنسبة إليهم زراقي ويقيم معظمهم في (رُهاط)[١٢] فلعلهم بنو زريق بن معاوية مع ملاحظة ان قبيلة عتيبة تحوّل الياء إلى ألف كقولهم في عتيبة: عتابة ولعل أصل زراق: زريق والله أعلم وقد ذكرهم الحمداني (ت ٧٠٠هـ) من أحلاف آل مِرا من ربيعة من طيء[١٣] قلت: ولنعد للحديث عن غزية قال الكلبي: (فولد غزية: جُداعة وحُميًّا وعُتَيبة وعتوارة فولد جداعة: مالكًا والحارث وعلقمة منهم دُريد بن الصمّة الشاعر، وعبدالله بن الصمّة وهو معاوية بن بكر بن علقمة بن جداعة، قُتل دريد يوم حُنين مشركًا، وولد عتوارة بن غزية: إنسان بطن والخنابس فولد انسان: سدوسًا وغوفًا ومعاوية وعفيفًا والحارث منهم سلمة بن سمادر، وهو علقمة بن مجالد بن عامر بن معاوية بن

انسان ووهب وهو الشَّنَّة بن خالد بن عبد بن تميم بن عامر بن معاوية بن إنسان، والشنّة الآخر واسمه الصُّدَي بن عزرة بن بشر بن اذخرة اللذان قال لهما الفرزدق:

ياليتني بالشَّنَّتَيْن نلتقي ثُمَّ يُحاط حولنا بخندق[١٤]

ومن أخبار غزية ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي قال: (إنّ غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن كان نديمًا لربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فشربا يومًا فعدا ربيعة بن حنظلة على غزية بن جشم فقتله فسألت قيس خندف الدية فأبتْ خندف، فاقتتلوا فهُزمت قيس فتفرقت فقال فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة بن خزيمة:

أقمنا على قيسٍ عشيّةَ بارقٍ ببيض حديثات الصِّقال بواتك

ضربناهم حتّى تولّوا وخُلِّيَتْ منازل حيزت يوم ذاك لمالك

قال فظعنت قيس من تهامة، طالعين إلى بلاد نجد إلاّ قبائل فانحازتْ إلى أطراف الغور من تهامة فنزلت هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ما بين غور تهامة إلى ماوالي بيشة وبركًا وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين واوطاس وما صاقبها من البلاد)[١٥] وفي فرس غزية الشقراء القول السائر: (أشْأم من الشقراء) وعلى قول إنها فرس ابنه حُمي بن غزية قال الغندجاني: (قال أبو محمد الأعرابي: هذا قول أبي النَّدَى في الشقراء (فرس) لحمي بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وكانت رمحتْ غلامًا فأصابت فلوها فقتل فضرب بها هذا المثل)[١٦] وقال الزَّبيدي: (هذه الشقراء كانت لابن غزية بن جشم بن معاوية والذي في «التكملة» أنَّ هذه الفرس لغزية بن جشم لا لابنه فرمحت غلامًا فأصابت فلوّها فقتلته)[١٧] وقد كان لقبيلة غزية مشاركة في حوادث الجاهلية والإسلام فمن ذالك غزو بني جُداعة بن غزية لبني كعب بن أبي بكر بن كلاب وهو يوم قُتل فيه قيس بن الصِّمَّة، وكذالك

شاركوا قومهم هوازن في يوم حُنَين ضد النبي ﷺ وقد ذكرهم العباس بن مرداس السلمي رضي الله عنه فقال في قصيدة له في ذالك اليوم:

فإنْ يُهْدَوْا إلى الإسلام يُلْفَوْا ... أنوف الناس ما سمر السمير
وإن لم يسلموا فَهُمُ أذان ... بحرب الله ليس لهم نصير
كما حكّتْ بني سعد وحرْب ... برهط بني غزية عنقفير
كأنّ بني معاوية بن بكر ... إلى الإسلام ضائنة تَخُور
فقلنا اسلموا إنا أخوكم ... وقد برأت من الإحن الصدور[١٨]

والعنقفير: الداهية قال المسعودي: هاهنا وقفة هامة أخرى ففي شعر العباس نصٌّ على أن من قبائل هوازن قبيلة حرب[*] ومن الملفت للنظر اقتران ذكرها بذكر بني سعد بن بكر بن هوازن وغزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وقد ذكر عرّام بن الأصبغ السلمي أن قبيلة مسروح تُجاور بني سعد فقال في ذكر رهاط والحديبية ونواحيهما: (.. فهاؤلاء القريّات لسعد وبني مسروح وهم الذين نشأ رسول الله ﷺ فيهم ولهذيل فيها شيء ولِفَهْمٍ أيضًا) وقال في ذكر خيف ذي القبر: (سكانه بنو مسروح وسعد وكنانة وتُجّار ألفاف)[١٩] ونجد اليوم أن أحد قسمي قبيلة حرب هم بنو مسروح فهل من صلةٍ بين حرب وهوازن مع ملاحظة انّ ابن حزم نصّ على انّ حربًا من هلال ثمّ من هوازن؟ وقد ذكر دُريد بن الصمّة الجشمي غزيّة فقال:

وهل أنا إلا من غزية إنْ غَوَت ... غَويْتُ وإنْ ترشد غزيةُ أرشد[٢٠]

قال ابن منظور: (غزية قبيلة) وأورد بيت دريد بن الصمة وأضاف انه قال:

نزلت في غزية أو مراد[٢١]

وقال ابن دريد: (ومن قبائل بني جشم غزية)[٢٢] وقال ابن قتيبة في ذكرهم: (ومنهم غزية رهط دريد بن الصمة)[٢٣] وقاله ابن خلدون[٢٤] وقال

ابن الأثير: (الذي أعرفه ان غزية أيضًا فخذ من هوازن، وهو غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن خصفة بن قيس عيلان، منهم دريد بن الصمّة قتل يوم اوطاس كافراً)(٢٥) وقال ابن خلدون: (من جشم غزية رهط دريد بن الصمّة ومواطنهم بالسروات وهي بلاد تفصل بين تهامة ونجد) قال: (وسروات جشم متّصلة بسروات هذيل)(٢٦) وقال القلقشندي: (من هوازن: غزيّة) قال: (وهم بنو غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن منهم دريد بن الصمّة) وقال البتّي (ت ٤٨٧هـ): (ومن بطون هوازن: غاضرة) قال: (وغزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن)(٢٧). وقد كانوا يجاورون عَنْزاً وخثعم في بلاد السراة قال المقدسي (ت نحو ٣٨٠هـ): (القبائل تأخذ من السروات نحو الشام، فتقع في أرض الأغرّ بن هيثم ثم تخرج إلى ديار يعلى بن أبي يعلى ثمّ إلى سُرْدد، ثمّ إلى ديار عنز وائل في بني غزية، ثمّ تقع في ديار جرش والعتل وجلاجل ثمّ إلى ديار الشقرة بها خثعم ثم في ديار الحارث بلد يقال له ذنوب واسم ساحلها الشرى ثم في شَكْر وعامر، ثم في بجيلة ثمّ في فهم ثمّ في بني عاصم ثمّ في عدوان ثمّ في بني سلول ثمّ في مطار وبها معدن البرام ثمّ في بلاد برمة منها الأبرقة وحصن المهيا ثمّ أنت بالفلج)(٢٨) وكانت هوازن تنزل كما قال الكلبي: (ما بين غور تهامة إلى ماوالى بيشة وبركًا وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين واوطاس وما صاقبها من البلاد)(٢٩) وبرك هو برك الغماد ولا تزال قبيلة بني هلال احدى قبائل هوازن تقطن منطقة برك الغماد ونواحيها إلى يومنا هذا(٣٠) وقال الهمداني: (كلّ هذه البلاد من تبالة إلى نخلة ديار هوازن فيها من كلّ بطونها)(٣١) ويجاورهم بنو خثعم قال الكلبي: (نزلت خثعم ما بين بيشة وتربة وما صاقب تلك البلاد وما والاها فانتشروا فيها) وقال: (دار خثعم من هاؤلاء: تربة وبيشة وظهر تبالة)(٣٢) ويجاورهم بنو عنز بن وائل، وكانوا حلفاء خثعم قال الكلبي: (تيامنت عنز أيضًا فصارت حلفاء لخثعم)(٣٣) وقال: (عنز مع خثعم حيث كانوا حلفاء لهم قال: وفي الكوفة

درب يقال له درب العنزيين لم يبق منهم في ذالك الدرب أحد وهو إلى جنب خثعم وهم بالسراة مع خثعم حيث كانوا وكذالك هم بفلسطين مع خثعم)(٣٤) وقال أيضًا في ذكر عنز: (وهو مع خثعم بالسراة والكوفة وفلسطين)(٣٥) وقال الحازمي في ذكر اراشة بن عنز بن وائل وأخيه رفيدة: (وهما داخلان في خثعم)(٣٦) ويتّضح من هذا انّ عنزا حلفاء لخثعم ينازلونهم الديار في السراة تجاورهم قبائل من هوازن، ومن هذه القبائل قبيلة غزية التي كانت من بطون هوازن التي توجد في أقصى جنوب ديار هوازن في الجنوب الغربي بجوار خثعم وعنز، ومن القبائل التي ورد لها ذكر في نصّ المقدسي قبيلة يعلى بن أبي يعلى وهي من قبائل كنانة من مضر ذكرهم البلادي فقال: (قبيلة تسكن أسافل وادي يَبَة) قال: (ترجع بنسبها إلى كنانة) واستشهد بقول القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي (ت نحو ٦٩٦هـ) في رثائه الأمير قاسم بن علي الذروي قال:

وربّما أجلتكم عن دياركم عن الخصب أوبار الشآم وصوفها
هُمُ قتلوا موسى الكناني فاستوت كنانة يعليها معا وهطوفها(٣٧)

قلت: موسى الكناني هو من بني حرام أصحاب حَلْي، قال ابن رسول الغساني في ذكر بطون كنانة: (وبنو فُقيم وبنو حرام ومن بني حرام هاؤلاء موسى بن علي بن عطية وولده عيسى بن علي صاحب حلي)(٣٨) وبنو يعلى من حرام من كنانة ففي شعر ابن هتيمل ان كنانة قسمان: بنو يعلى والهطوف وموسى وقومه من أحد هذين القسمين، فاذا ما علمنا أنه حرامي وانّ حراما قبيلة من كنانة صليبة فإنّ هذا دليل بان بني يعلى من حرام ذكرهم ابن حزم فقال: (ولد ملكان بن كنانة: حرام وثعلبة وسعد وأسيد وغنم ولهم بطون جمّة)(٣٩) فيما الهطوف حلفاء لبني كنانة قال السكري: (بنو الهطف: بنو أسد بن خزيمة كانوا حلفاء لبني كنانة)(٤٠) وهم من بني عمرو بن أسد قال الجاسر: (ورد في كتاب «نور القبس المختصر من المقتبس» - ص ٢٦٠- بنو

الهطف بطن من بني عمرو بن أسد)[41] ويتضح من هذا ان بني يعلى فرع من بني حرام بن ملكان بن كنانة فكنانة قسمان: بنو يعلى والهطوف وموسى الحرامي من أحد القسمين فالشعر يذكره ويذكر قومه وبما أنه من بني حرام بن ملكان بن كنانة فإنّ هذا يعني أن بني يعلى كانوا يمثلون بني حرام، وأنهم فرع منهم، ومنهم موسى وآل بيته، وقد امتدت ديار قبيلة كنانة جنوباً إلى مخلاف عثر قال الهمداني في ذكر مخلاف عثر وأوديته ونواحيه: (وهو لخولان وكنانة والأزد وملوكه من بني مخزوم ومن عبيدها)[42] وبوجود بعض قبائل هوازن في هذه الأنحاء كبرك الغماد يكشف لنا عن امتداد عظيم لديار غزية من نواحي ديار عنز وخثعم وبني يعلى إلى نواحي الطائف في ديار قومهم هوازن عامة وديار جشم خاصة، وكانت ديار جشم تمتد إلى جهة بلاد الطائف وديار هذيل قال ابن خلدون: (سروات جشم متصلة بسروات هذيل)[43] ومن ديارهم جبل حضن قال السهيلي: (هو جبل متصل بالطائف) قال: (وسكانه: بنو جشم بن بكر وهو أول حدود نجد)[44] وقال نصر السكندري: (يسكنه بنو جشم بن بكر وهم اعجاز هوازن)[45] واعجاز هوازن أو عجز هوازن هم قبائل من هوازن قال ابن منظور: (عجز هوازن: بنو نصر بن معاوية وبنو جشم بن بكر كأنّهم آخرهم)[46] قلت: بنو جشم هم بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وجشم أخو نصر بن معاوية وقد وهم ابن رسول الغساني في قوله انهما ابنا بكر بن معاوية قال في ذكر بطون هوازن: (ونصر وغزية وجشم ابنا بكر بن معاوية وهم القبيلة المشهورة بجشم بن بكر ومنهم دريد بن الصمة)[47] وهذا النصّ يوهم ان غزية وجشم ابنا بكر وهذا غير صحيح فغزية هو غزية بن جشم وجشم ونصرهم ابنا معاوية بن بكر بن هوازن.

❖ فروع غزية ❖

تفرّعت قبيلة غزية إلى بطون وأفخاذ عدة منها:

أولاً- جُداعة: وهم بنو جداعة بن غزية[48] وقد ورد برسم خزاعة[49]

والأكثر هو القول الأول منهم دريد بن الصمّة واسم الصمّة معاوية بن بكر بن علقمة بن جداعة بن غزية بن جشم وأخواه عبدالله وهو معبد، وأبو أسامة زهير ابن معاوية(٥٠) وقيس بن الصمّة(٥١) ونسب دريد هكذا ساقه ابن حزم وكذالك الكلبي(٥٢) وغيرهما وقد زاد السمعاني وابن ماكولا وابن الأثير اسم الحارث فهو دريد بن الصمّة بن الحارث الخ النسب(٥٣) وقال التبريزي في ذكره: (جدّه الحارث بن معاوية أحد بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن)(٥٤) ومن أخبار جداعة أن قيس بن الصمّة أغار بهم على إبل بني كعب بن أبي بكر بن كلاب وانطلقوا بها فأدركهم بنو كعب فقتلوا قيس بن الصمّة وارتجعوا وذهبوا بإبل بني جداعة(٥٥) ومنهم سلمة بن دريد بن الصمّة وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري رضي الله عنه بسهم فأصاب ركبته فقتله وكان ذالك يوم اوطاس فلحقه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقتله(٥٦) وقد ولد جداعة: ١- مالك بن جداعة ٢- الحارث بن جداعة ٣- علقمة بن جداعة(٥٧) هذا ما ذكره الكلبي إلا انّ علقمة ورد عند الهجري(٥٨) علقة وهكذا هو عند الاشبيلي(٥٩) والبلبيسي(٦٠) وأبو عبيدة معمر بن المثنّي وابن سلاّم(٦١) والسمعاني(٦٢) وغيرهم وهو الصحيح، قال الاصفهاني: (علقة وقيل علقمة بن خزاعة)(٦٣)، ويقال لبنيه العلقات ممّا يرجّح رواية علقة واسمه حُتيف قال الهجري: (الحُتَفي في جشم بن معاوية إلى حُتَيف بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية يقال لهم العلقات رهط دريد بن الصمّة)(٦٤) وقال الاشبيلي: (النسبة إليه حتفي وهو [و] علقة وعلقي وعلاقة بنو جداعة يقال لهم العلقات وهم رهط دريد بن الصمّة)(٦٥) وقال البلبيسي: (وفي جشم بن معاوية علقة بن جداعة ابن غزية بن جشم بن معاوية منهم دريد بن الصمّة)(٦٦) وقال السمعاني: (في قيس علقة بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن)(٦٧) ولم يذكره ابن الأثير(٦٨) رغم انه كان يسجّل مافات السمعاني ذكره. قلت: وذكره ابن حبيب فقال: (في قيس عَلَقة بن جُداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر

بن هوازن)[٦٩] وقال ابن ناصر الدين: (في قيس: عَلَقة بن جُداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن) قال: (وقال أبو الوليد الكناني في «تهذيب الكتاب»: ورأيت في كتاب ابن الكلبي: عَلْقة بن جُداعة يعني بسكون اللام وقال أبو علي الهجري: حُتَيف وعَلْقة وعَلْقي وعلاّق بنو جداعة. انتهى. ورأيته في نسختين في «جمهرة النسب» لابن الكلبي بفتح اللام من عَلَقة بن جداعة وهو جدّ دريد بن الصِّمّة وهو معاوية ابن بكري بن علقة بن جداعة قتل دريد باوطاس يوم حنين مشركًا وكذالك أخوه عبدالله بن الصمّة)[٧٠] ومن فروع جداعة:

١- بنو حُتَيف بن جداعة: واحدهم حُتَفي، ويبدو أنَّ نصّ الهجري الذي أورده البلبيسي أن حُتيفًا يقال لهم العلقات وكذالك النصّ الذي أورده الاشبيلي في رسم الحتَفي وهو: (وهو علقة وعلقي وعلاق بنو جداعة يقال لهم العلقات)[٧١] وقد سبق ايراده - قد ناله الاضطراب فحتيف والنسبة إليه حتفي غير علقة والنسبة إليه علقي ذالك انه قد جرى العرف انه إذا كان لإنسان أو قبيلة اسمان غلب أحدهما على الآخر فنسب ابناؤها إلى الاسم المشهور ومما يؤكد هذا الاضطراب أنّ النص الذي أورده ابن ناصر الدين عن الهجري بيّن أن حُتَيف (وورد عنده حُنيف) وعَلْقة وعلْقي وعلاّق إخوة وهم بنو جداعة بن غزية.

٢- بنو علاّق بن جداعة.

٣- بنو علْقي بن جداعة.

٤- بنو عَلَقة بن جداعة: واحدهم علقي، ويفهم من نصّ الاشبيلي الذي عزاه للهجري ان هذه الفروع الثلاثة يقال لهم العلقات إلا أنني أرى أنَّ النصّ مضطرب فالعلقي واحد العلقات وهم بنو علقة بن جداعة قال السمعاني في رسم العلقي: (وفي قيس علقة بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن)[٧٢] وقاله البلبيسي[٧٣] وقد ذكرهم ابن منظور فقال: (بنو علقة رهط الصمّة ومنهم العَلَقات جمعوه على حد الهُبَيْرات (؟))[٧٤] وقد ذكرهم

ابن ناصر الدين في رسم العلقى[٧٥] ومن فروع بني علقة :

١- بنو الأَعْقَل : واحدهم اعقلي وهم بنو الأعقل بن بكر بن علقة بن جداعة ابن غزية بن جشم[٧٦] منهم جابر بن عيّاش الأعقلي أورد الهجري بعض شعره في امرأته وابنه منها ويدعى عياض[٧٧] ومنهم صموت الأعقلية ذكرها الهجري وأورد لها شعراً[٧٨].

٢- بنو زُهَيْر : واحدهم زهيري وهم بنو زهير بن ربيعة بن بكر بن علقة بن جداعة بن غزية بن جشم[٧٩] ومنهم أم قريد الزهيرية روى عنها الهجري وقال : (كنا جيرانا)[٨٠] يعني بالعقيق في المدينة[٨١] ومنهم مهمر بن سباحة (؟) الزهيري ذكره الهجري وأورد بعض شعره[٨٢] ومن فروع بني زهير :

١- بنو حَقّ : واحدهم حقّي وهم بنو حقّ وهو حرثان بن زهير بن ربيعة بن بكر بن علقة بن جداعة بن غزية بن جشم[٨٣] ومنهم محمد بن عبدالأعلى بن حبيب الحقي شاعر ذكره الهجري كثيراً وأورد بعض شعره ومنه بيتان في شوقه إلى حضن[٨٤] وهو من ديارهم.

٢- بنو عُرْوَة : واحدهم عروي وهم بطن من زهير ومنهم ابن رعلاء العروي الزهيري ذكره الهجري وأورد له شعراً ومنهم يعقوب بن عاصم العروي وشدّاد ابن زيد العروي شاعران ذكرهما الهجري أيضاً[٨٥].

٣- بنو خِصاف : واحدهم خصافي وهم بطن من زهير[٨٦] ومنهم طارق بن ظهر الخصافي ذكره الهجري وأورد بعض شعره[٨٧] ومنهم معلى بن محمد الخصافي والمصعب بن المغيرة الخصافي[٨٨].

٤- بنو عصمة : واحدهم عصمي وهم بطن من زهير منهم حنبل العصمي ذكره الهجري وأورد بعض شعره[٨٩] قال الهجري : (ثُبَل من غُران مَهْيَمَة للإبل بها هامت إبل حنبل الزهيري فرثاها، زهير جشم) وأورد شعره فيها[٩٠] وصفه الجاسر بقوله : (هو زهيري جشمي عَصَمي نسبة إلى عصيمة قال الهجري :

انشدني البريدي لرفاعة بن درّاج العصمي إلى عصيمة وكل جشمي)[٩١] وقد ظنّ أستاذنا حمد الجاسر أن عصيمة هذا - والصواب عصمة - هو عصيمة بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن[٩٢] ومصدره الإشبيلي[٩٣] والصحيح أن عصمة غير عصيمة بن جشم فقد نص الهجري، وهو أعلم وأوثق من الإشبيلي على أنّ عصمة من زهير بن ربيعة بن بكر بن علقة بن جداعة بن غزية بن جشم. وقد ذكرهم ابن حبيب في ذكره كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي فقال: (كان كريز هذا قد قتلت أباه ربيعة: بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن قتله صريح بن نضلة بن طريف بن كلفة بن الأحمر من بني عصمة)[٩٤] وقد ورد ذكرهم في حديث نبوي شريف قال رسول الله ﷺ من حديث طويل: «عبد قيس وجعدة وعصمة ثم قال: اسلم وغفار ومزينة وأحلافهم من جهينة خير من بني أسد وتميم وغطفان وهوازن عند الله يوم القيامة» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي صحيح غريب[٩٥] وأورده الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة حديث رقم ٢٦٠٦[٩٦]. قلت: العصمة اليوم من أهمّ فروع قبيلة عتيبة وأشهرها.

(للبحث صلة)

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي

الحواشي:

(١) «نسب معد واليمن الكبير» ٢ / ٤٤٩.
(٢) و(٣) المصدر السابق ٢ / ٤٤٩.
(٤) «جمهرة النسب» ص ٣٨٣.
(٥) المصدر السابق ص ٣٢٩ وذكره الهجري وسمّاه الأمرار فقال: (الأمرار: عامر بن جشم) وسمّاه الحافظ مغلطاي: قيس بن عامر بن جشم [«التعليقات والنوادر» ص ١٦٧٤ وحاشيتها].
(٦) «جمهرة النسب» ص ٣٢٩.
(٧) المصدر السابق ص ٤٠٤.
(٨) المصدر السابق ص ٣١٣.
(٩) المصدر السابق ص ٤٢٨.
(١٠) المصدر السابق ص ٤٠٤.
(١١) «العرب» سنة ٢٨ ص ٤٢.
(١٢) «معجم قبائل الحجاز» ص ١٩٤.
(١٣) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» ص ١٣٦.

(١٤) «جمهرة النسب» ص ٣٨٣.
(١٥) «معجم ما استعجم» ١ / ٨٧، «معجم البلدان» (رسم بارق).
(١٦) «العرب» سنة ٩ ص ٧٥٥.
(١٧) «تاج العروس» (رسم شقر).
(١٨) «السيرة النبوية» ٤ / ٩٤- ٩٥، «الروض الأنف ٤ / ١٢٨، «البداية والنهاية» ٤ / ٣٣٥.
(١٩) «نوادر المخطوطات» (٢) «أسماء جبال تهامة وسكانها» ص ٤١٠ و٤١٤.
(٢٠) «ديوان الحماسة» (شرح التبريزي) ١ / ٣٣٧، «نشوة الطرب» ٢ / ٥١٠، «جمهرة أشعار العرب» ص ٢٧٤، «تاج العروس» (رسم غزو).
(٢١) «لسان العرب» (رسم غزا).
(٢٢) «الاشتقاق» ص ٢٩٢.
(٢٣) «المعارف» ص ٣٩.
(٢٤) «تاريخ ابن خلدون ٢ / ٣٥٧.
(٢٥) «اللباب في تهذيب الأنساب» ٢ / ٣٨١.
(٢٦) «نهاية الأرب» ص ٣٨٧ و٣٨٨.
(٢٧) «العرب» سنة ١٥ ص ٥١٧.
(٢٨) «أحسن التقاسيم» ص ٩٧.
(٢٩) «معجم ما استعجم» ١ / ٨٧.
(٣٠) «العرب» سنة ٢٩ ص ٦٦٥- ٦٧٥، الجزيرة (الكويت) سنة ٢ ص ٣٦- ٣٩.
(٣١) «صفة جزيرة العرب» ٣٨٥.
(٣٢) «معجم ما استعجم» ١ / ٦٣ و٩٠.
(٣٣) المصدر السابق ١ / ٨٣.
(٣٤) «جمهرة النسب» ص ٤٨٦.
(٣٥) «الاشتقاق» ص ٦.
(٣٦) «عجالة المبتدي» ص ١٠.
(٣٧) «بين مكة واليمن» ص ١٧١.
(٣٨) «طرفة الأصحاب» ص ٥٩.
(٣٩) «جمهرة أنساب العرب» ص ١٨٩.
(٤٠) «شرح أشعار الهذليين» ٣ / ١٢٢٧.
(٤١) «التعليقات والنوادر» ٤ / حاشية ص ١٩٠٣.
(٤٢) «صفة جزيرة العرب» ص ٢٣٢.
(٤٣) «تاريخ ابن خلدون» ٢ / ٣٥٧.
(٤٤) المصدر السابق ٢ / ٣٣٤- ٣٤٥، «معجم البلدان» (رسم حضن).
(٤٥) «تاج العروس» (رسم حضن)، «معجم البلدان» (رسم حضن).
(٤٦) «لسان العرب» (رسم عجز)، «تاج العروس» (رسم عجز).
(٤٧) «طرفة الأصحاب» ص ٦١ وانظر ص ١٦.
(٤٨) «جمهرة النسب» ص ٣٨٣، «التعليقات والنوادر» ص ١٧١٨.
(٤٩) «جمهرة أنساب العرب» ص ٢٧٠، «الأغاني» ١٠ / ٢٤٣.
(٥٠) «جمهرة أنساب العرب» ص ٢٧٠.
(٥١) «الأغاني» ١٠ / ٢٥٠.
(٥٢) «جمهرة النسب» ص ٣٨٣.
(٥٣) «الأنساب» (رسم العريفي)، «الاكمال» ٦ / ١٦٩- ١٧٠، «اللباب» (رسم العريفي).
(٥٤) «ديوان الحماسة» (شرح التبريزي) ١ / ٣٣٧.
(٥٥) «الأغاني» ١٠ / ٢٥٠.
(٥٦) المصدر السابق ١٠ / ٢٥٠، «الإصابة» ٤ / ١٢٣.
(٥٧) «جمهرة النسب» ص ٣٨٣.
(٥٨) «التعليقات والنوادر» حاشية ص ١٧١٩.
(٥٩) المصدر السابق حاشية ص ١٧١٩.
(٦٠) المصدر السابق حاشية ص ١٨٣١.
(٦١) «الأغاني» ١٠ / ٢٤٣.
(٦٢) «الأنساب» (رسم العلقي).

(٦٣) «الأغاني» ١٠ / ٢٤٣.
(٦٤) «التعليقات» ص ١٧١٨ - ١٧١٩.
(٦٥) المصدر السابق حاشية ص ١٧١٩.
(٦٦) المصدر السابق حاشية ص ١٨٣١.
(٦٧) «الأنساب» (رسم العلقي).
(٦٨) «اللباب» (رسم العلقي).
(٦٩) «مختلف القبائل ومؤتلفها» ص ٩٥، «الاكمال» ٦ / ٢٥٦، «الايناس» ص ١٥٩.
(٧٠) «توضيح المشتبه» ٦ / ٣٢٢ - ٣٢٣.
(٧١) «التعليقات والنوادر» ص ١٧١٨ - ١٧١٩ وحاشية ص ١٧١٩ و١٨٣١.
(٧٢) «الأنساب» (رسم العلقي).
(٧٣) «التعليقات والنوادر» حاشية ١٨٣١.
(٧٤) «لسان العرب» (رسم علق).
(٧٥) «توضيح المشتبه» ٦ / ٣٢٢.
(٧٦) «التعليقات والنوادر» ص ١٩١٥ وحاشية ص ١٦٧٢ وحاشية ص ٥٥٦ وحاشية ص ٦٧٩.
(٧٧) المصدر السابق حاشية ص ٥٥٦ وص ١٦٧٢ وحاشيتها وص ١٩١٥.
(٧٨) المصدر السابق حاشية ص ٦٧٩ وحاشية ص ٥٥٦ وحاشية ص ١٦٧٢ وص ١٩١٥.
(٧٩) المصدر السابق حاشية ص ٦٨٥ وص ٢٤٢ وص ٦٧ وحاشية ص ١٧٧٠ وحاشية ص ١٨٢٢.
(٨٠) المصدر السابق ص ٦٦ - ٦٧ و٦٤١ - ٦٤٤ و٧٨٨ - ٧٨٩ و١٧٧٠.
(٨١) المصدر السابق ص ٦٥ و٢٥ و١٤٩.
(٨٢) المصدر السابق ص ٦٤٠.
(٨٣) المصدر السابق حاشية ص ١٧٣٠ و١٩١٨.
(٨٤) المصدر السابق ص ١٩١٨ و٨٢٨ وحاشية ص ١٧٣٠.
(٨٥) المصدر السابق حاشية ص ١٨٢٢ و١٩٢٥ وحاشية ص ٩٦٧ و١٧٧٠ و٩٦٧ - ٩٦٨ و١٨٢٢.
(٨٦) المصدر السابق ص ٢٤٢ وحاشية ص ١٧٤٤ و١٩١٩ وحاشية ص ٦٨٥.
(٨٧) المصدر السابق ص ٦٨٤ - ٦٨٥ و٩٧٨.
(٨٨) المصدر السابق حاشية ص ٦٨٥ وحاشية ص ١٧٤٤ و١٩١٩.
(٨٩) المصدر السابق ص ٦١١ - ٦١٢.
(٩٠) المصدر السابق ص ٦١٢ و١٧٧٠.
(٩١) المصدر السابق حاشية ص ٦١٢.
(٩٢) المصدر السابق حاشية ص ٦١٢.
(٩٣) المصدر السابق حاشية ص ١٨٢٥.
(٩٤) «المُنمّق» ص ٣٩٠.
(٩٥) «المستدرك» ٤ / ٨١.
(٩٦) سلسلة الأحاديث الصحيحة مجلد ٦ قسم ١ ص ٢٠٧ وفي الحديث: «... عُصيّة عصت الله ورسوله غير قيس وجعدة وعصية ثمّ قال: لأسلم وغفار ومزينة واخلاطهم من جهينة خير من بني أسد وتميم وغطفان وهوازن عند الله عز وجل يوم القيامة» [مجلد ٦ قسم ١ ص ٢٠٧] وكذا هو في «مسند الإمام أحمد» حديث رقم ١٩٣٩١ وكذا هو في «مجمع الزوائد» للهيثمي ج ١ ص ٤٣ كذا ورد عصية قال الألباني: (كذا الأصل وكذا في «جامع المسانيد» (١٠ / ١٩) و«المجمع» ولم يتبيّن لي وجه استثنائه بعد اثباته) [مجلد ٦ قسم ١ حاشية ص ٢٠٧] قلت: الصحيح ما ورد في «المستدرك» للحاكم: عصية عصت الله ورسوله. عبد قيس وجعدة وعصمة ثم قال: اسلم وغفار... الخ الحديث [«المستدرك» ٤ / ٨١] ومن المعلوم ان قبائل عبد قيس وجعدة وعصمة ليست من عصية كي يتمّ استثناؤها والله أعلم.

تباريـــح

[كان الوطني المفضال الشيخ عبدالمقصود خوجة، الذي اعتاد الاحتفاء بالبارزين من العلماء والأدباء والشعراء، بما يقيمه من أمسيات في داره، يخصصها للنخبة من أولئك، وكان منهم شاعرنا المبدع عبدالرحمن آل عبدالكريم الذي جادت قريحته بدرة فريدة، اجتزأت «العرب» بما يتسع له المجال من أبياتها و(يكفي من القلادة من أحاط بالجيد)]

صاحبا حِقبةَ الصِّبا أنبئاني ... عن أَماسٍ في عمق ذاكَ الزمان
عن ليالٍ أبليتُ فيها - طليقًا - ... صَفْوَ عمري أفْري جبال الأماني
لا تضنَّا بما يزيد اجتلائي ... - عَبْرَ إطلالتي - رؤى تحناني
علّني أستعيدُ صفحة عُمْرٍ ... عطّرتها خمائل الأقحوان
صفحةٌ خطّت العزيمة فيها ... أحرفًا سطَّرت جماعَ التفاني
كلما سابقتْ بمَعْدَى التباري ... للمعالي فازت بكسب الرهان
حفَّزتها مناهل الطُّهر والعزم ... لنيل المنى ومقت التواني
همةٌ خامرت وشيج فؤادي ... فانبرى يجتبي ملاح الجمان
فالتباري فيما يعودُ على النا ... سِ بخيرٍ ضربٌ من الإحسان
والتماري بفضليات المعالي ... كاحتمال الأبطال حرَّ الطِّعان
يجتبيها ألو النهى باقتدارٍ ... لتهادي أزكى الطباع الحسان
يفرعُ المجدَ حاذقٌ ألمعيٌّ ... لوذعيٌّ الصفات ثبْتُ الجنان
كلّما دبّت الخطوبُ توارت ... خَشْيةً أن ينوشها بالسنان
إنما العمر - ياأحبة - فخرٌ ... للعصامي، وخيبةٌ للهجان
إيه عبدَ المقصود ياأيها الشهم ... الرِّبحلُ السَّبّاقُ في الميدان
تفرع المجدَ في مجمع الأدب الأهوى(1) ... لحوزِ الحُظا ونيْلِ الأماني
آه لو كان ربع (شقرا) قريبًا ... لازدهى جيدُه بعِقْد الجمان

واكتست قارة[2] الجدود بريقاً
ضاءَ خَلٌّ[3] النَّقا وباقي المغاني

بين دِعصِ الملحا[4] ومَشْقَى طويق[5]
أربعٌ ذاب حبُّها في جناني

يُحفرُ المجدُ في الصخورِ ليبقى
وقلوبُ الرجالِ كالصُّوَّان

وبطونُ الأسفارِ كنزٌ مكينٌ
لا يضاهي ما أشرق النيّران

والتّعلاّتُ في التفاضُلِ عجزٌ
كالتنحي إبَّان وخزِ السنان

سنة الله في الحياة فراقٌ
في الأعالي وهابط في الهوان

فزْتِ بالنبل - ياعروس - نزيلاً
في رُباك المخضل بالأفنان

فزْتِ بالماجدِ الأديب صفيًّا
عبقري الحِجا نديّ البنان

دار عبدالمقصود أحيْت عكاظًا
وأعادت شادي بني (ذبيان)

إيه ياأيها الرفاق تحلّوا
وتملّوا بالوابل الهتّان

مكرمات الرجال يُهدي شذاها
نفْحَ وردٍ من وارفٍ فينان

لا ينال العلا سوى حاتمي
يرخص المال في مجال الرهان

عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

الحواشي :

(١) الأحب إلى النفس.

(٢) هي الأكمة المجاورة لـ(شقراء) المسماة باسمها.

(٣) معبر يجتاز رمال النفود شرقي شقراء بقربها، وهما اللذان قال عنهما زياد بن منقذ:

متى أمرُّ على الشقراء متسعفاً
خلَّ النقا بمروح لحمها زيم

(٤) أنف كثيب منبتر من العفار غرب شقراء بحوالي خمسين كيلاً.

(٥) أنف جبل طُويق المطل على سهل الحمادة شرقي شقراء بنحو ٢٠ كيلاً.

القرضة أهل رهاط من الأساعدة من عتيبة

كتب الأخ مسري بن خالد بن سفير الأسعدي من أهل (رهاط) ويعمل في الحرس الوطني في (الأحساء) تعليقاً على ما ورد في مجلة «**العرب**» س ٢٩ ص ٤١٠ عن فخذ القرضة من قبيلة الأساعدة بما يلي:

١- ورد ص ٤١٠: أن نسب الأساعدة في أسعد بن محمد بن جلهم. والصحيح أن نسب الأساعدة في سعود بن محمد بن جلهم.

٢- وفي ص ٤١١: أن ذوي صعب شيوخ الأساعدة اليوم. وهذا يحتاج إلى تثبت.

٣- وفي الصفحة نفسها: أن النمور بقوا في الحجاز، هم غالبية أساعدة رهاط اليوم. والصواب: أنهم ليسوا في رهاط بل في (مَدْرَكة).

٤- ص ٤١٥: أن (الضمو) من قرى الأساعدة تقع أعلى وادي رهاط وهي للنمور. والصواب: أنها تقع في جنوبي وادي رهاط وليست خاطة بالنمور.

٥- وفيها: أن الأساعدة يرأسهم عريمط بعد والده سلوم. والصحيح أن عريمط شيخ على ذوي ميرك من القرضة.

٦- لم يرد ذكر ثلاثة فخوذ من القرضة وهم: آل عجارة وآل مسيفر وآل خليفة. وذكر من فخذ القرضة في رهاط وضواحيها:

١- العجران (ذوي عجارة) ونسبهم في عجارة بن خشيلان بن حامد بن محمد بن قراض بن سعود وهم:

١- ذوو سفير　　٢- ذوو سفر　　٣- ذوو ضبيان
٤- ذوو ضبيب　　٥- ذوو عقاب　　٦- ذوو طلق　　٧- ذوو عبدالله

٢- المسافرة (ذوي مسيفر) وهم ينتسبون إلى مسيفر بن سافر بن جالي بن خشيلان بن حامد بن محمد بن قراض بن سعود وهم:

١- ذوو ضواي ٢- ذوو سيف ٣- ذوو خزام ٤- ذوو معضد.

٣- آل خليفة (ذوي خليفة) نسبة إلى خليفة بن نويجم بن مخيثل بن حامد بن محمد بن قراض بن سعود نقلاً عن كبيرهم فايز بن سعد بن غوينم بن خليفة بن نويجم بن مخيثل بن حامد بن محمد بن قراض بن سعود وهم:

١- ذوو غوينم ٢- ذوو شداد ٣- ذوو حازب.

٤- آل مبرك (ذوي مبرك) ينسبون إلى مبرك بن عواض بن مزنك بن محمد بن قراض بن سعود وهم: ١- ذوو مسيب ٢- ذوو عصيم.

٥- النمور (النمر) ونسبهم في جواري بن محمد بن عواض بن مزنك بن محمد بن قراض بن سعود وهم:

١- ذوو عائض ٢- ذوو ضواحي ٣- ذوو مغرق ٤- ذوو عواض.

٦- آل بريك (ذوي بريك) ينسبون إلى بريك بن سرحان بن جابر بن ناصر بن محمد بن قراض بن سعود نقلاً عن بدر بن وصال بن صامل بن عازب بن بريك الأسعدي في (الشرايع) وهم:

١- ذوو عازب ٢- ذوو عجاب ٣- ذوو عويزب.

وأرفق الأخ مسري بهذا التعليق شجرة نسب آل عجارة.

آل عيادة أهل قفار من بني تميم

كتب إلى «**العرب**» الأخ سلمان بن يوسف بن عيسى آل عيادة التميمي بما خلاصته: (آل عيادة يعدون من أهل قفار الأصليين، وكانوا بيت إمارة فيها، وينتمون إلى قبيلة بني تميم من ذرية فرج الحميضي من بني العنبر بن عمرو بن تميم، وكانوا كثيري العدد، إلا أن شح المياه وضيق المعيشة اضطر كثيراً منهم للنزوح إلى الشام والعراق وفارس، ولم يبق منهم سوى أسرتين أسرة من ذرية ليفان آل عيادة وهم يلقبون (الملاحات) واحدهم ملاحي، لقبوا بهذا لأن أحد أجدادهم حفر بئراً كان ماؤها ملحًا، ولا تزال أملاكهم في الجزء الشمالي من قفار، منهم علماء ورجال بارزون، ومن علمائهم محمد بن عبدالله بن بركة

بن ليفان آل عيادة وابنه عيسى، مترجمان ولهم أبناء.

والأسرة الثانية من ذرية فريح آل عيادة، ومن ذريته عبدالمحسن بن سليمان آل عيادة وأولاده. هذا ملخص ما كتب به الأخ سلمان.

حول (أبي العيناء اليمامي)

جاء في «**العرب**» س ٣٥ ص ٢٢ بحث جيد للدكتور صبري مسلم بعنوان (الطرفة هذا الفن الأدبي الممتع - طرف أبي العيناء نموذجاً) استعرض فيه كتاب «أبو العيناء الأديب البصري الظريف» تأليف الدكتورة ابتسام مرهون الصفار، فلم أجد في البحث ما يشير اطلاع كاتبه على كتابين صدرا عن أبي العيناء هما: «نوادر أبي العيناء ومخاطباته» من كتاب «نثر الدرر في المحاضرات» و«أخبار أبي العيناء اليمامي». الأول تحقيق الدكتور نعمان طه في ١٢٥ صفحة طبع عام ١٩٧٢ والثاني تأليف الأستاذ محمد بن ناصر العبودي في ١٥٠ صفحة طبع عام ١٣٩٨ عن (دار اليمامة) في الرياض، وكنت قد اهديت نسخة من الكتاب الأول للعبودي لعدم ذكره في مصادره، كما لم يأت ذكر لهذه الكتابين في حواشي البحث المذكور.

الرياض: محمد بن عبدالله الحمدان

[«**العرب**» شكر للأخ الكاتب، ولكن يلاحظ أن صاحب البحث تحدث عن (الطرفة) من حيث هي فن أدبي ممتع، لا عن طرف أبي العيناء خاصة، وإنما استعرض عنها الكتاب الذي تحت يده، ومعروف أن الكتب المكررة في موضوع واحد لا يعدو أكثرها التكرار].

آل سُلَمِي من بني العنبر من عمرو بن تميم

كنت استوضحت من الشيخ محمد بن عبدالمحسن الفريح حين مرت بي كلمة (سُلمي) في كتاب الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام «علماء نجد خلال ثمانية قرون» مضبوطة ضبطًا خلاف ما هو معروف، فتفضل الشيخ محمد

ببعث إجابة ما استوضحت عنه بكتابه المؤرخ في ٢٠ رجب ١٤١٩ بما هذا نصه :

١- (سُلْمِي) بضم السين المهملة وسكون اللام وكسر الميم وآخره ياء، ولعل ما هو موجود في الكتاب من أخطاء الطبع.

٢- (سُلْمِي) له ثلاثة أبناء، هم فواز ورشود وسليمان.

أما سليمان فذريته آل عصيمي في الزلفي، وأما رشود فله ثلاثة أبناء هم: محمود جد آل محمود في البكيرية، ورشيد جد آل عُبيد في البكيرية والبدائع، وآل قُمَيع في الخبراء والرس، وآل جويخان في البكيرية، وسالم جد آل الرُّبْع، وآل رشود في البكيرية. وأما فواز فذريته آل فريح في البكيرية.

٣- انتقل إلى البكيرية منهم رشود وفواز عام ١١٨٥، ورشود هو أول من توفي في البكيرية ودفن في مقبرتها الجنوبية، وانتقل أبناء سليمان إلى الزلفي قريباً من هذا التاريخ.

٤- انتقل آل عُبيد إلى البدائع عام ١٣٣٢ فدرس الشيخ سليمان فيها على الشيخ محمد بن علي الوهيبي إمام المنزلة الوسطى في البدائع، وكان ضريراً ثم في عام ١٣٤٧ قدم إلى البكيرية للدراسة على المشايخ ومنهم الشيخ محمد بن مقبل والشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن سُبَيّل - رحم الله الجميع -.

٥- وفاة والده عام ١٣٦٧ وسبب انتقالهم وجود ملك كبير لهم في البدائع، فأحبوا أن يلوه بأنفسهم، والمنتقل منهم هو عبدالله بن عبيد وابنه عبيد وذريتهما، وبقي بعضهم في البكيرية ولازالوا فيها حتى الآن.

البكيرية: محمد بن عبدالمحسن الفريح

السهول من بني عامر من العرب العدنانية الصريحة النسب

كان الأستاذ سلطان بن عبدالهادي السهلي صاحب مجلة «الجزيرة» التي تصدر في (الكويت) قد استوضح مني عن نسب قبيلته (السهول) فكتبت إليه بما ورد في كتاب «النوادر والتعليقات» للهَجَري من قوله: (حدثني السهلي من

بني أبي بكر بن كلاب) وقلت: إن بني بكر بن كلاب من بني عامر بن صعصعة التي تنسب إليها قبيلة سبيع، والصلة بين السهول وسبيع معروفة قوية، فهم كلهم من هوازن، يجتمعون مع النبي ﷺ في النسب في مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

ثم استزاد مني إيضاحًا فكتبت إليه بأنني وجدت تسلسلاً لنسب السهول بني سهل إلى ربيعة بن كعب بن كلاب، ونصه ما ورد في كتاب «الجبال والمياه والآثار» لنصر بن عبدالرحمن الاسكندري - وهو تحت الطبع - ونقله صاحب «معجم البلدان» في رسم (أخطَب) وهو: (أخطب جبل لبني سهل بن أنس بن ربيعة بن كعب) وكعب هو بن كلاب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن من قيس عيلان بن مضر بن نزار، وكان لكعب من الأبناء: عامر وربيعة وأوس، ولكل واحد منهم أبناء وأحفاد وهم من بطون هوازن.

ومن المعروف صلة القرابة بين سبيع وبين السهول في العهد الحاضر، وهذه الصلة تؤيدها النصوص القديمة، وليس لديَّ شك بأن بني سهل هم المذكورون في الكلام على جبل (أخطب) وهو من جبال جنوب غربي عالية نجد، ورد في شعر ناهض بن ثومة الكلابي وقد يكون معروفًا الآن، ولكنني أجهله.

المفيز من آل عويمر من الوداعين من الدواسر

كتب الأخ محمد بن ناصر بن عائض المفيز إلى «**العرب**» بأنه اطلع على كتاب «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» فلم ير ذكر اسم أسرته (المفيز) فيه، وقال عن أسرته: رؤساء قبيلة آل عويمر وبلدتهم آل عويمر، من الوداعين من الدواسر وهم أهل (الفرعة) الذين قالت فيهم الشاعرة المشهورة موضي البرازية قصيدتها المشهورة (الحمامة) التي مطلعها:

ياسعد عينك بالطرب يا الحمامه	ياللي على خضر الجرايد تغنين
إن كان ودك بالطرب والسلامه	عليك بالفرعة ديار الوداعين

• كتاب «العفو والاعتذار» لأبي الحسن: محمد بن عمران العبدي:

هذا الكتاب مما يصدق عليه قول أبي الطيب المتنبي:

أعزُّ مكانٍ في الدُّنَا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

لأنه جليل القدر محتوًى وأسلوبًا، فهو مما خلفه لنا العلماء المحققون الأوائل، في موضوع خصلتين من أبرز الخصال التي يجب التحلي بها، من أدابنا الإسلامية هما (العفو والاعتذار) ولا يقوم المجتمع الصالح للأمة بدون الاتصاف بهما، ومؤلفه من الرعيل الذين تلقوا علومهم عن أجلة علماء الأدب واللغة، ولهذا حاول جمع ما استطاع جمعه من النصوص الشرعية، ومما قيل في هاتين الخصلتين الكريمتين من العهد الجاهلي، حتى ما يقارب زمن المؤلف من أقوال الشعراء والعلماء وغيرهم، بأسلوب واضح، ناءٍ عن الصنعة والتكلف، وتشح المصادر - التي بين أيدي الباحثين - عن الإفصاح بما يوضح ما يُتَطَلَّع إليه من معرفة أحواله، إلاَّ أنه أبو الحسن محمد بن عمران العبدي المعروف بالرِقام البصري، من تلاميذ محمد بن دريد المتوفى سنة (٣٢١) لغوي راوية، أخذ عن شيخه ابن دريد فأكثر، وهو في كتابه هذا يروي عن غيره، وأعظم ما يرويه في كتابه عن أبي حاتم السجستاني وعمر بن شبَّة عن طريق رواة بينه وبينهما(١).

ومن ميزة هذا الكتاب إيراده شواهد شعرية لشعراء مشهورين، منها ما لم يرد في دواوين أولئك الشعراء المعروفة، ومنها ما هو منسوب إلى شعراء ضاعت دواوينهم.

وقد قام بتحقيق هذا الكتاب عالم جليل، ذو عناية متميزة في هذا الجانب من تحقيق كتب التراث، ومن أبرز أعماله تحقيقه لشعر ذي الرمة في ثلاثة مجلدات من مطبوعات (المجمع العلمي العربي في دمشق) وغيره من المؤلفات، وهو يرأس تحرير مجلة «الأدب الإسلامي» منذ إنشائها إلى الآن وهي في عددها الـ(٢٢)، وقد سبق أن قامت (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) في

الرياض بنشر تحقيقه الأول لهذا الكتاب سنة ١٤٠١هـ (١٩٨١م) ثم أعاد نشره مرة ثانية سنة ١٤١٣هـ وطبع للمرة الثالثة سنة ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) مصدّرًا بمقدمة عن المؤلف، وعن كتابه من حيث مصادره، ومنهجه وقيمته التي وصفها المحقق بقوله: (لا نغالي إذا قلنا: أن كتاب «العفو والاعتذار» كنز ثمين من كنوز تراثنا الأدبي، الذي ما يزال جانب كبير منه مضيّعًا أو مهملاً في زوايا المكتبات الحافلة بالمخطوطات، وأن الدراسة المتأنية لهذا الكتاب تظهر أنه ذو قيمة لغوية واجتماعية وأدبية)[٢] ثم فصل هذا، كما تحدث عن توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه.

أما الأصل المخطوط فقد ذكر أن الأيام لم تبق من نسخه إلاّ نسخة فريدة، محفوظة في مكتبة برلين برقم (٥٤١٦) يعود تاريخها إلى القرن الخامس الهجري، صورها له الدكتور فؤاد سزكين ثم اطلع بعد ذالك على أصلها، وقد وصفها وصفًا تامًا، وقد أوضح منهجه في التحقيق، وأثنى في الخاتمة على صديقه الدكتور فؤاد سزكين، وعلى أستاذه العلامة محمود شاكر، الذي أفاده من علمه الغزير حروفًا أثبتها في مكانها معزوة إليه وردت في مقدمة المحقق في الطبعة الأولى.

أما الطبعة الأخيرة فليس فيها زيادة عما ذكر، وقد جاءت المقدمة وما يتصل بها في (٢٥) صفحة، ثم الكتاب، فالجزء الأول منه في (٣١٥) من الصفحات، يليه الجزء الثاني صفحاته متصلة بما قبله بحيث تبلغ صفحات الجزءين (٦٠٤) تليها الفهارس المفصلة، وبها تبلغ الصفحات (٦٩٨) صفحة.

وقد قدم لي محققه العلامة الجليل الدكتور عبدالقدوس أبو صالح نسخة منه حين أكرمني بالزيارة يوم الخميس ٢٧ / ٦ / ١٤٢٠هـ أمده الله بمزيد من التوفيق والقوة ليواصل جهوده النافعة في خدمة الأمة في مجالها الثقافي الرحب.

الحواشي:

(١) المقدمة – ص ٥.

(٢) – ص ١١.

٤١٦ - ٤١٥

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج٧، ٨ س ٣٥ - محرم، صفر سنة ١٤٢١هـ)

(أيار، حزيران (مايو، يونيه) سنة ٢٠٠٠م)

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالا

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
منشئها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف وفاكس ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٧ ، ٨ س ٣٥ - محرم ، صفر ، سنة ١٤٢١هـ - أيار ، حزيران (مايو ، يونيه) سنة ٢٠٠٠م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٣١)

القَهْزُ : (القَهْر)

قال ياقوت في «معجم البلدان» : (القَهْزُ : بالزاي ، قال اللَّيْثُ : القَهْزُ والقِهْزُ لغتان ضَرْبٌ من الثِّيَاب يُتَّخَذُ من صُوْف ، كالمِرعزيِّ وربما خالطه الحرير ، قال العمراني : موضع ، وأنشد :

وِحَـافُ القَـهْـز أو طِلْخَـامُـهَـا) .

وفي «المعجم» أيضًا في رسم القَهْر : (القَهْر بالفتح وآخره راء ، ومعناه معلوم : وهو موضع في قول مزاحم العقيلي :

أَلَيْسَت جِبَال القَهْر قُعْسًا مَكَانَها ... وعَرْوَى وأَجْبَالُ الوِحَاف كَمَا هِيَا ؟

وقال أبو زياد : القهرُ أسافلُ الحجاز مما يلي نجداً من قبل الطائف ، وأنشد لخِدَاش بن زُهَيْر :

دَعُـوا جَـانِبي إنِّي سَـأَنْزِلُ جَـانِبًـا ... لَكُم واسـعًا بَيْنَ اليَـمَامَة والقَـهْرِ) .

وفي «معجم ما استعجم» : (القَهْرُ - بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده راء مهملة : موضع مجاور لقدس ، قد تقدم ذكره في رسم (عَرْوَى) قال الأَسْوَدُ بن يَعْفُر :

وجــــامِلٍ كَــــزُهَاءِ اللُّوبِ كَلَّفَـــهُ ... ذُوْ عَـرمَضٍ مِنْ مِـيَاهِ الْقَـهْرِ أَوْ قُـدُسِ

وقال جرانُ العَوْد:

فـدًى لِجـران الْعَـوْدِ والقَـهْـرُ دُوْنَهُ ... وذُوْ نَضَـدٍ مِنْ هَضْبِ حَـزْوَرَ مُـشْـرِفُ

والقَهْر أيضًا: مَوْضِع باليَمَنِ، مذكور في رسم الحَضَرِ، وهو لِعَبْدِ الْمَدَانِ، يدل على ذالك قول مُزَرِّدِ ضرار:

وَشَــــــبَّتْ لنـا نـارَان: نـارٌ بِرَهْوَةٍ ... ونَارُ بَنِي عَـبْـدِ المـدانِ لَدَى الْقَـهْـرِ

وقول طُفَيْل:

مُــجَـاوِرةٌ عَـبْـدَ المَـدَانِ وَمَنْ يَكُن ... مُــجَـــاوِرَهَا بِالقَـــهْـــرِ لم يَتَطَلَّعِ

أُنَاسٌ إذا مـــا أَنْكَـرَ الكَـلْبُ أَهْـلَهُ ... حَـمَـوْا جَـارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءَ مُضْلِعِ

وَقَال عَمْرو بْنُ مَعْدِي كَرِب:

أَبَـنِي زِيَـادٍ أَنْـتُـمُ مِـنْ قَـــــوْمِـكُـم ... ذَنَـبٌ ونَـحْـنُ فُـــــرُوعُ أَصْلٍ طَـيِّـبِ

نَصِلُ الخَـمِـيسَ إلى الخَـمِـيسِ وأَنْتُم ... بِالقَـــهْـــرِ بَيْنَ مُـــرَبِّقٍ ومُـكَـلِّبِ

لاَ تَحْــسِـبُنَّ بني كُـحَـيْلَةَ حَـرْبَنَـا ... سَوْقَ الحَـمِـيْـرِ بِجَـأْبَةٍ فـالْكَوْكَبِ

مُرَبِّق: يُربِّقُ الغَنَم. ومُكَلِّب: صَاحِبُ كِلاَب. وكُحَيْلَةَ: أمٌّ لبني زِيَاد سَوْدَاء، وَبَنُو زِيَاد من بَلْحَارِث بن كَعْب. انتهى.

أما الشطر الذي أورده ياقوت فهو من معلقة لَبِيد المشهورة، والرواية الصحيحة (وحَاف القَهْر أو طِلْخَامها) والقَهْرُ جبال معروفة، وطِلْخام وادٍ يقع جنوبها غير بعيد. وكل الشواهد التي أوردها البكري تَنْطَبِقُ على مَوْضِعٍ واحد، وهي تلك الجبال المعروفة في جنوب الجزيرة، والمتقدمون يتوسعون في التعريف فيعدُّون تلك المواضع من بلاد اليمن، وهذا صحيح بالنسبة لمن في الجزيرة، إذ لا يزال هذا التعبير مستعملاً، فحول مكة تنتشر قبيلة هُذَيْل،

فمنها من هو شمال مكة، ومنها من هو جنوبها، فمن شمال مكة يعرفون باسم (هذيل الشَّام) مع ذكر قبائلهم، ومن جنوب مكة يدعون (هُذَيْل اليَمَن) مع ذكر قبائلهم.

والقَهْرُ: سلسلةُ جبالٍ لا تزال معروفة تقع في الجنوب الشرقي من مدينة تَثْلِيْثَ، شرقًا عن وادي تَثْلِيْثَ الممتد من الجنوب إلى الشمال بمحاذاة تلك السلسلة المتداخلة الممتدة من الشمال إلى الجنوب بطول نحو خمسين كيلاً، ومن الشرق إلى الغرب بنحو ثلاثين كيلاً، وتنحدر منها أودية ترفد وادي تَثْلِيْثَ، وفي أعلى تلك السلسلة فراغٌ واسعة، أرضٌ منبسطة في بعضها مياه وفيها قرى منها قرية تدعى (قَيْنَة) هجرة للعطَافا من آل عَاطف من قَحْطَان، وطريقها لا تسلكه السيارات والنُّخَيل، والفُرَيع قريتان، ومن قرى القَهْر في غير السلسلة (العَيْن) عين قَحْطَان مركز حكومي، ومُرَيْغَان والنَّخيل، والغاية، والزُّرْق والدِّيْرة، وباقم، ونَعام، وسكان جبال القهر عادة من فروع الجحادر، وفي أطرافها الجنوبية أفرادٌ من قبيلة الحِبَاب، وهم أهل قرية (الأمواه) أما الوِحَاف فيعرف الآن باسم الوَحْف، وبقربه الوُحَيْف، جبل أصغر منه، وجبال الوِحَاف هذه جبيلات منقطعة، في سهولٍ أسفل وادي تَثْلِيْث، تبعد شمالاً عن مركز تَثْلِيْث بنحو خمسين كيلاً، وهي على جانب وادي تَثْلِيْثَ من الشرق، وينحدر من القهر عدد من الأودية منها النُّخَيْل وباقم، ورُهْنَة وصالة، وقُتَائد وتسمى (بنو قتائد)، و(بنو قتائدة) ولكل جَبَل من جبال القَهْر اسمٌ خاصٌ به، أوضح هذا في مقالة نشر في «**العرب**» - س ١٩ ص ٣٠٠ - وما بعدها للأستاذ فراج بن شافي بن ملحم، (وتقع جبال القَهْر هذه بقرب خط الطول: ٣٠َ / ٤٤ْ وخط العرض: ٤٠َ / ١٩ْ) أما طِلْحام فقد تقدم الكلام عليه في رسم (طِلْخَام) - بالخاء خطأ - وهو واد يقع جنوب القهر، غير بعيد. وعَرْوَى المذكورة مع القَهْرِ جبالُ بِقُرْبه، ذكرها الهَجَرِيُّ وغيره، ولا تزال معروفة، وكذا عَرْوَى التي

في العِرض، والقَهْر في الجنوب الشرقي منَ الجزيرة و(قُدْسُ) في الشمال الغربي منها بقرب المدينة يعرف باسم (ادقس) و(جبل عوف) والبكري - رحمه الله - يتوهم من ذكر الموضعين في شعْرٍ تَقَارُبُهَما، وهذا ليس صحيحًا ما لم تكن هناك قرينة توضح هذا التقارُبَ، وبنو عبد المَدَانِ من بني الحارث تمتد بلادهم من منْطَقَةِ نجرانَ جَنُوبًا حتَّى جِبال القَهْرِ شمالاً.

كَثَر: (كَشَر)

جاء في كتاب نصر (بَاب كُبْرٍ ... وكَتَرٍ وكَثْرٍ) ثم قال: (وما بدل التاء ثاء مثلثة: وادٍ في ديار الأزد).

وقد علقت على هذا في كتاب نصر بقولي: (لم أر هذا في «المعجم» وفي مستدركات «التاج»: وكَثَرَةُ محركة: وادٍ في ديار الأزد، وأرى نصرًا وصاحب «التاج» صحفا الاسم، وأن الصواب (كَشَر) بالشين المعجمة، وهو اسم جبل، والجبل قد يجتمع سيله في وادٍ يعرف باسمه، وكَشَرُ الجبل هذا له ذكر في الأخبار قال عنه ياقوت: جبل قريب من جرَش، ثم ذكر أن الاسم ورد في حديث الهجرة، كذا قال، والوارد في حديث الهجرة كُشْد - بالدال - لا بالراء، وقال البكري في «معجم ما استعجم»: كَشَر - بفتح أوله وثانيه بعده راء مهملة: جبل باليمن في أرض جرش، روى ابن اسحاق أن رجلين من أهل جرش قدما على رسول الله ﷺ ينظران ويرتادان، فبينما هما عنده بعد العصر إذ قال رسول الله ﷺ: «بأي بلاد الله شكر»؟ فقالا: يارسول الله، ببلادنا جبل يقال له كشر، قال ابن اسحاق: وكذالك يسميه أهل جرش، فقال رسول الله ﷺ: «ليس بكَشَر، ولكنه شَكَر» قالوا: ما شأنه يارسول الله؟ قال: «إن بُدْن الله لتنحر عنده الآن» وكان قومهما قد أصيبوا في تلك الساعة، فجلس الرجلان إلى أبي بكر وعثمان فقالا لهما: إن رسول الله ﷺ لينعى لكما قومكما فقوما إليه فاسألاه يدعو الله ليرفع عنهم، فقاما إليه، فسألا رسول الله ﷺ أن يدعو الله ليرفع عنهم، ففعل، وكان الذي أصابهم صُرَدُ بن عبدالله الأزدي، أمير رسول الله ﷺ على وفد الأزد. انتهى.

وقد تحدثت عن جبل شكر هذا بتوسع في كتاب «في سراة غامد وزهران» - ص ٤٥ - وما بعدها، وحاولت تحديد موقع بلدة جرش الذي يقع الجبل بقربها، وقد درست ولكن موقعها متوسط في بلاد قبيلة رُفَيدة، يبعد نحو أربعين كيلاً عن مدينة أبها في الجنوب الشرقي وجبل شَكَر يقع شرقها متصل بها، ويطلق عليه في هذا العصر اسم (حَمُوْمَة) أو الحَمَّة) وهو جبل مرتفع وكبير) انتهى.

كَرْد: (كَوْد)

قال نصر في باب (الكَوْرِ والكُوْرِ والكَرْد): (أما بفتح الكاف: جبل بين اليمامة ومكة لبني عامر، ثم لبني سلول، وبالضم: ثنية الكور في أرض اليمن بها وقعة، وأما بفتح الكاف وآخره دال: ماء لبني كلاب في وضح حمى ضرية) وكذا قال الحازمي وأرى هذا الاسم تَصَحَّف على نصر حيث ورد في مخطوطة كتابه بهذه الصورة - غير مضبوط - كما تصحف على الحازمي، حيث نص على أنه بالراء والصواب (الكود) بعد الكاف واو ثم دال، ويسمى الكود وهو جبل كان بقربه ماء لبني جعفر بن كلاب، ويعرف الآن باسم (الكودة) بفتح الكاف ويقع بين بلدتي القاعية وعفيف شرق الطريق وغرب هضب العرائس، يبعد عن بلدة عفيف شرقًا ما يقارب ستين كيلاً، والكود هذا يقع على وجه التقريب (بقرب خط الطول: ٠٠ / ٤٢ْ وخط العرض: ٢٠َ / ٢٤ْ). وهو الذي تكرر كثيرًا في المؤلفات الأخرى في بلاد بني كلاب جنوب غَرْبِ حِمَى ضَرِيَّة. وبقربه ماء (الكودة) لا يزال معروفًا.

كَرِيْتُ: (كَرِيْب)

قال يَاقُوتُ في «معجم البلدان»: (كَرِيْت: بفتح أوله، وكَسْر ثَانِيْه ثم ياءٍ مُثَنَّاة من تَحْت، وتاءٍ مُثَنَّاة من فَوْق، لا أَعْرف فيْه إلاَّ قولَهُمْ: حَوْلٌ كَرِيْتٌ أي تامٌّ: اسم مَوْضِع فِي شِعْر عَدِيٍّ بن زَيْد، وَقِيْلَ: ذُو كَرِيْبٍ مَوْضِعٌ فِي حَزْن بَني

يَرْبُوْع بَيْنَ الكُوْفَة وفَيْد) انتهى.

وقد تَقَدَّم الكَلاَم في رَسْم (الحَطَّابَة) وأن صوابَ الاِسْمِ كَرِيْبٌ، وَادٍ لاَ يَزَالُ مَعْرُوْفًا وقد حَدَّدتُ موقِعَهُ.

كَشَد: (كَشَر)

قال ياقوت في «معجم البلدان»: (كَشْر: بالفتح ثم السكون، وهو بدو الأسنان عند التَّبسُّم: جبل قريب من جرش، وفي حديث الهجرة: ثم سار بهما بعد ذي العضوين إلى بطن كَشْر وهما بين مكة والمدينة).

وكشر الذي بقرب جرش معروف تحدثت عنه في موضع آخر، أما الموضع الواقع في طريق الهجرة النبوية فهو (كشْد) بالكاف بعدها شين معجمة ثم دال - لا يزال معروفًا، فقد مررت به في رحلتي في تتبع طريق الهجرة، وقلت عنه في مجلة «العرب» - س ١ ص ٥٩١ -: ورد في «سيرة ابن هشام» و«معجم البلدان»: (كشر) ولكنه يعرف الآن باسم (أُمِّ كشْد) وهي تلعة تصب في وادٍ يدعى (ثَقيب)، يجتمع مع وادي القاحة، فيمر به المرء بعد أن يتجه من (بئر مبيريك) إلى جهة المدينة فيسير ما يقرب من خمسة عشر كيلاً، فكأنَّ طريق الرسول ﷺ ترك وادي القاحة يسارًا في هذه الجهة، ثم التقى به فيما بعد، وعلقت على هذا الاسم بما نصه: ثم تبطن بهما مَرْجِح من ذي الغَضَوين، قال ابن هشام، ويقال (العَضَوين) وأقول: المعروف الآن عند أهل هذه الجهة (العَصَوين) بالعين والصاد المهملتين، تثنية عَصًا، وهما تلعتان كبيرتان، وكل واحدة منهما تسمى (العَصَا) تلتقيان، ثم تَصُبَّان في وادي (مَجَاح) بقرب اجتماعه بوادي النخل، وأرى أن الغَضَوين أو العَضَوين تصحيف العصوين.

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

إسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(٧)

د- كتب الحديث النبوي:

إن الحديث عن نشر كتب الحديث النبوي يقتضي منا أن نفرق بين حقبتين مهمتين في تاريخ حركة الإحياء للكتب الدينية ومنها الحديث أولاهما: تلك الفترة التي بدأ فيها الاعتناء بالحديث النبوي منذ قيام الدولة السعودية الحديثة وحتى سنة ١٣٨٠هـ وقد شهدت هذه الفترة عهد الملك عبدالعزيز وبعض عهد الملك سعود -رحمهما الله-.

والحقبة الثانية عهد التوسع في مجالات النشر والتحقيق لكثير من كتب التراث، ومن أهمها كتب الحديث النبوي إلى عصرنا الحاضر.

وفي الحقبة الأولى كان التركيز على علم رواية الحديث أكثر من علم الدراية، فكان أن نُشِرت النصوص الحديثية التي تمس إليها حاجة الدارسين والعلماء. وكانت كتب الأحاديث المبنية على الأحكام من أكثر هذه الكتب تداولاً ونشراً. كما كانت العناية موجهة إلى كتب المتون، التي تصدر ضمن كتب المجموعات كي تلبي حاجة الدارسين في حلقات المشايخ بالمساجد أو مقاعد الدراسة الشرعية النظامية.

ومن أشهر الكتب التي لقيت رواجًا في هذه الفترة كتاب «عمدة الأحكام» لمؤلفه عبدالغني بن عبدالواحد المقدسي الجمّاعيلي (ت ٦٠٠هـ) فقد نُشر أولاً في مجموعة «الحديث النجدية» التي طبعت في الهند ثم في مطبعة المنار سنة ١٣٤٢هـ. ثم تتابع نشر هذا الكتاب في عدة طبعات. كما طبع شرحه المسمى «إحكام الأحكام» لابن دقيق العيد، وكان قد طبع في الهند سابقاً سنة ١٣١٣هـ. وطبع «شرح إحكام الأحكام» لابن الأمير الصنعاني سنة ١٣٧٩هـ.

وقد ألفت على متن «عمدة الأحكام» بعض الشروح الحديثة من قبل بعض

علمائنا مثل: فيصل بن عبدالعزيز آل مبارك[1]، وإسماعيل الأنصاري[2]، وحسن سليمان النوري، وعباس مالكي[3]، وعبدالله بن عبدالرحمن البسام[4] وعبدالله بن إبراهيم الخزيم بالاشتراك مع إبراهيم أحمد الوقفي[5]. وتكاد تتفق هذه الشروح في منهجها، فهي تشرح المعنى الإجمالي، وتفسر ألفاظ الحديث، وتستنتج ما يؤخذ منه. ومنها ما يتحدث عن راوي الحديث أو من أخرجه. وذالك يؤكد ارتباطها بمناهج الدراسة.

ومن كتب أدلة الأحكام المشهورة التي طبعت كتاب «بلوغ المرام من أدلة الأحكام» للحافظ أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) وقد طبع بعناية محمد حامد الفقي سنة ١٣٤٧هـ ثم توالت طبعاته. كما طبع شرح هذا الكتاب المسمى «سبل السلام شرح بلوغ المرام من أدلة الأحكام» لمحمد بن اسماعيل الأمير اليمني الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) مرات عديدة منذ زمن مبكر. ووضع بعض علمائنا المعاصرين شروحاً لبلوغ المرام مثل السيد أحمد حسن الدهلوي[6] وعلوي عباس مالكي وحسن سليمان النوري[7] وعبدالقادر شيبة الحمد[8].

كما نشر من كتب المتون «الأربعون النووية» في عدة طبعات مفردة، وضمن مجموعات وكتاب «رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» للنووي راجع أصله وعلّق حواشيه علوي عباس المالكي ومحمود أمين نواوي[9].

وإذا تركنا كتب المتون المتعلقة بحلقات الدرس إلى الكتب الكبرى التي بعثت لأول مرة أو تلك التي مست إليها دواعي الاختصاص لدى العلماء فإننا نجد من أهم ما نشر منها كتاب «جامع الأصول من أحاديث الرسول» لمجد الدين المبارك بن محمد بن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، الذي نشر على نفقة الملك عبدالعزيز وقد صدر منه ١٢ جزءاً بإشراف عبدالمجيد سليم مفتي الديار المصرية واعتناء محمد حامد الفقي. وكان الطبع على مخطوط بدار الكتب المصرية.

كما نشر «فتح الباري شرح صحيح البخاري» للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) نشرة جديدة محققة، أسهم في تمويلها مجموعة كبيرة من طلبة العلم في المملكة، وقرئ أصل المجلدات الثلاثة الأولى منه على الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وكان إذ ذاك مدرساً في كلية الشريعة في الرياض، وقد اجتهد الشيخ في تحرير نصوصه والتعليق على بعض مسائله، والتنبيه على بعض أخطاء المؤلف، واعتمد في تحقيق الجزء الأول منه على مطبوعة بولاق، وعلى قطعة خطية كانت في مكتب الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، واستمر التصحيح عليها إلى نهاية كتاب «الجنائز»، ثم بدئ التصحيح على نسخة أخرى وجدت في جازان، وتمت المقابلة عليها وعلى طبعة بولاق إلى كتاب «الحج»، ثم كلف الشيخ بجملة أعمال تمس المصلحة العامة (منها رئاسة الجامعة الإسلامية، والتدريس في المسجد النبوي) فانقطع عن مراجعة الكتاب، خوفاً من تعطل هذه المصالح من جهة وضنًّا بالكتاب أن يتأخر طبعه من جهة أخرى، واعتذر في نهاية الجزء الثالث عن مواصلة العمل فيه، وعهد إلى الشيخ محب الدين الخطيب، صاحب المطبعة السلفية بمصر، أن يكمل طبع الكتاب على مطبوعة بولاق، لكونها أصح الطبعات، وأقلها أخطاء، على أن يصحح محب الدين ما يمكن تصحيحه ويجتهد في إنجاز الكتاب(١٠).

والكتاب وإن بدا في الأجزاء الأخيرة منه صورة من النسخة البولاقية، إذ فقد التعليق والتصحيح على الأصول الخطية، إلا أنه امتاز بميزة أخرى مهمّة وهي ترقيم الكتب والأبواب والأحاديث، واستقصاء أطراف الحديث، والتنبيه على أرقام هذه الأطراف عقب كل حديث، وهو عمل فهرسي رائع قام به الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي وأكسب العمل ميزةً خاصة.

وفي هذه الفترة عضَّدت المملكة نشر كتاب: «المسند» للإمام أحمد بن

حنبل بتحقيق أحمد محمد شاكر، وقد رُوجعت بعض أجزائه على نسخة نجدية كانت لدى أبناء الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ.

أما كتب أصول الحديث ونقد الرجال، فقد بدأت العناية به، كالعادة، بنشر الكتب المتون كـ«المنظومة البيقونية» التي شرحها حسن مشاط وكانت مقررة على طلبة السنة الثانية من قسم العلوم الدينية في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة[11]. وقد صدرت قبل العهد السعودي ثم أعيد طبعها. ومن أشهر المتون «نخبة الفكر» لابن حجر العسقلاني و«ألفية العراقي» في مصطلح الحديث.

ولعل أهم ما حقق من كتب الرجال في تلك الفترة الكتب التي اعتنى بتحقيق معظمها الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، الذي حقق بعضها عندما كان يعمل في دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن، وبعضها حققه بعد عودته إلى الوطن. ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا: إنه كانت لهذا العالم المحقق نظرة في معظم كتب الحديث والرجال التي صدرت عن دائرة المعارف العثمانية في الهند بعد سنة ١٣٤٢هـ، حتى ما كان منه بتحقيق غيره. وآخر أعماله هو كتاب «الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكني والأنساب» للأمير الحافظ أبي نصر علي بن ماكولا الذي صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٨١هـ، وأبلى المعلمي في تحقيقه بلاءً حسنًا، فراجع الأصول، ووازن بين الروايات في كتب الرجال، وأضاف تعليقات جمة مفيدة بعد أن قدم الكتاب بمقدمة بلغت ٩١ صفحة، تحدث فيها عن التصحيف والتحريف وعن حرص العلماء على تلافي ذالك. ثم أتى بسرد وصفي متأنٍ لكتب المؤتلف والمختلف المطبوعة والمخطوطة، وأتبع ذالك بترجمة مفصلة للمؤلف ابن ماكولا، وحديث عن الكتاب ووصف لنسخه، وتكملة في منهج الكتاب ومنهج التحقيق. وقد صدر من «الإكمال» ستة مجلدات ثم اخترمت المنية المحقق الفاضل قبل أن يكمل عمله.

ومن كتب الرجال التي حققها علماء بلادنا في هذه الفترة كتاب «المستفاد من مبهمات المتن والإسناد» لزين الدين العراقي، وكتاب «ديوان الضعفاء والمتروكين» للإمام شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) وقد طبع في مكة سنة ١٣٨٧هـ وكلاهما من تحقيق الشيخ حماد الأنصاري.

أما الحقبة الثانية في حركة إحياء تراث الحديث النبوي الشريف. فهي التي يمكن التاريخ لها بدخول العقد التاسع من القرن الرابع عشر حين بدأت حركة التراث بشكل عام بالازدهار المتنامي لأسباب عدة من أهمها الوفرة المالية التي حظيت بها المملكة، وظهور آثار إنشاء الجامعات السعودية على حركة النشر والطبع، وخاصة تلك الجامعات التي أُنشئت فيها كليات وأقسام تختص بأصول الدين والشريعة والدراسات الإسلامية.

لقد تضافرت جهود هذه الجامعات فأوجدت حركة نشطة حول الحديث النبوي بفضل وجود أساتذة متخصصين في هذا المجال قدموا من شتى أنحاء العالم الإسلامي من جهة، وظهور موجة الدراسات العليا التي توسعت فيها هذه التخصصات على نحو ملحوظ.

وكان من نتائج ذالك ازدهار النشر والتوزيع لكتب التراث من قبل المكتبات التجارية داخل المملكة وخارجها. ولعلنا لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن ازدياد نشر هذه الكتب في البلدان العربية بشكل عام، وخاصة في مصر ولبنان، لم يكن له أن يحقق ما وصل إليه من توسع لولا هذه الحركة المتنامية التي قادتها جامعات المملكة في سبيل دراسة الحديث النبوي والعلوم الشرعية والتأليف فيها.

وتبع ذالك أيضًا أن زاد عدد المكتبات التجارية في المملكة زيادة كبيرة، إلى جانب ما قامت به المكتبات التقليدية القديمة في أسواق المملكة من نشاط في هذا المجال. ويلاحظ أن تحالفات قد تمت بين مكتبات أو دور نشر داخل المملكة وأخرى خارجها، لطبع الكتاب التراثي في الخارج وتوزيعه في الداخل. أو للنشر المشترك لبعض الكتب بين ناشرين محليين وغيرهم.

وإذا نظرنا إلى مجال الحديث النبوي بشقيه: علم الدراية وعلم الرواية بشكل عام فإننا نجد أن حركة الإحياء قد شملت مؤلفات تراثية كثيرة يصعب حصرها. وربما لا يجد الباحث بسبب ذالك ما يطمئن إليه من نتائج قاطعة تحدد اتجاهات هذه الحركة؛ من حيث مواضع الاهتمام التي حظيت بالتأليف (كتابة وتحقيقًا) دون غيرها. غير أن من الممكن الوصول إلى مؤشرات مقنعة بعض الشيء من خلال دراسة ما نشر من فهارس ببليوجرافية. ولعلَّ من أهم هذه الفهارس «دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة» لأصحابه محيي الدين عطية، وصلاح الدين حفني، ومحمد خير رمضان يوسف[١٢]. فهذا الدليل الذي ذكر محرره أنه اعتمد الكتب الحديثية المباشرة، دون ما يشبهها في الموضوعات أو ما يلحق بها، مثل كتب الزهد والرقائق إلا ما كان معظمها في الحديث، يمثل أساسًا – وإن لم يكن مستوعبًا – لفهرسة تشمل كتب الحديث المطبوعة تأليفًا وتحقيقًا. كما أنه في الوقت نفسه يمثل قدرًا كبيرًا من مؤلفات الحديث النبوي الصادرة في المملكة العربية السعودية. ولذالك فقد اعتمدنا عليه فيما قمنا به من دراسات إحصائية وتحليلية لحركة نشر مؤلفات الحديث النبوي، لكونه من أوفى ما اطلعنا عليه في موضوعه، ولأنه يمتد زمنيًا حتى سنة ١٤١٤هـ. ولاشك أن حركة التأليف والتحقيق وما يتبعها من نشر قد استمرت بعد هذا التاريخ.

يتضح من هذا الدليل الذي يحتوي على ٢٣٩٢[١٣] مادة مطبوعة في مجال الحديث النبوي باللغة العربية، أن عدد المؤلفات التي حققت أو نشرت في المملكة يبلغ ١٠١٩ مؤلفًا يمثل ما يقارب ٣١٪ مما رصد في ذالك الدليل من مطبوعات.

وتتوزع هذه المؤلفات التي أسهمت بها المملكة العربية السعودية بين ثلاث فئات هي:

- التحقيق. – الدراسة. – الرسائل العلمية (تحقيق ودراسة).

ويمكن تلخيص ذالك في الجدول الآتي:

الموضوع	الكتب المنشورة			الرسائل العلمية			المجموع
	تحقيق	دراسة	مجموع الكتب	تحقيق	دراسة	مجموع الرسائل	
علم الرواية	٢٩٨	٢٥٥	٥٥٣	١٢٦	١٧	١٤٣	٦٩٦
علم الدراية	١١٣	١٣٦	٢٤٩	٣١	٤١	٧٢	٣٢١
المجموع	٤١١	٣٩١	٨٠٢	١٥٧	٥٨	٢١٥	١٠١٧

جدول توزيع مؤلفات الحديث النبوي في المملكة العربية السعودية

ويمكن أن يستخلص من هذا الجدول ما يأتي :

١- أن الكتب المنشورة تمثل ما يقارب ٧٩٪ من هذه الأعمال بينما تمثل الرسائل ما نسبته ٢١٪.

٢- أن التحقيق في الكتب والرسائل يستأثر بما نسبته ٥٦٪ من جملة الأعمال بينما تمثل الدراسات ما يقارب ٤٤٪.

٣- أن علم رواية الحديث يستأثر بمعظم الأعمال إذ يرصد فيه ٦٩٦ مؤلفاً بنسبة ٦٨٪ من إجمالي الأعمال، بينما يختص علم الدراية بـ٣٢١ مؤلفاً بنسبة تقترب من ٣٢٪.

٤- أن التحقيق يتفوق في العدد على الدراسة في مجال الكتب المنشورة بفارق قليل إذ يمثل ما يزيد قليلاً عن ٥١٪ من جملة الكتب. بينما تمثل الدراسات النسبة المتبقية.

أما في الرسائل فيبدو الفرق كبيراً بين المؤلفات المحققة وتلك التي تعتمد على الدراسة إذ تشكل المؤلفات المحققة ما نسبته ٧٣٪ من الرسائل بينما يهبط عدد الدراسات إلى ما يقارب ٢٧٪.

٥- في داخل الفرعين الرئيسين (علم الرواية وعلم الدراية) نلاحظ ما يلي :

أ- أن التحقيق في علم الرواية يفوق الدراسات بفارق قليل في الكتب

المنشورة إذ يمثل نسبة تقارب ٥٤٪ وتمثل الدراسات ٤٦٪ بينما نجد الاتجاه نحو التحقيق في الدراسات العليا يبرز بنسبة كبيرة جداً إذ يمثل ٨٨٪ من الرسائل العلمية في علم الرواية. والباقي يمثل الدراسات.

ب- أما في علم الدراية فيمثل التحقيق ٤٥٪ من المؤلفات المنشورة بينما تمثل الدراسات ما يقارب ٥٥٪، ونجد الوضع قريباً من ذالك في حقل الدراسات العليا إذ يمثل التحقيق ما يمثل ٤٣٪ بينما تمثل الدراسات نسبة تقارب ٥٧٪.

(للبحث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي:

(١) اسم شرحه «خلاصة الكلام، شرح على عمدة الأحكام» ط١، الرياض، على نفقة عبدالمحسن بن عثمان أبا بطين سنة ١٣٦٩هـ.

(٢) اسم شرحه: «الالمام بشرح عمدة الأحكام»، الرياض، المكتبة السلفية سنة ١٣٨٠هـ، وتكرر طبعه بعد ذالك.

(٣) اسم شرحهما: «نيل المرام، شرح عمدة الأحكام»، مكة المكرمة، مط. مصحف مكة، سنة ١٣٧٧هـ.

(٤) اسم شرحه: «تيسير العلاّم شرح عمدة الأحكام»، القاهرة، مط. المدني سنة ١٣٨٠هـ.

(٥) اسم شرحهما: «موجز الكلام في شرح الأحكام من كلام خير الأنام»، مراجعة عبدالله الشلاش، الرياض، وزارة المعارف، سنة ١٣٨٠هـ.

(٦) اسم شرحه: «حاشية الدهلوي على بلوغ المرام»، دمشق / بيروت، المكتب الإسلامي، سنة ١٣٩٤هـ.

(٧) اسم شرحهما: «إبانة الأحكام شرح بلوغ المرام»، مكة المكرمة، مط. مصحف مكة سنة ١٣٧٧هـ، وطبع بعد ذالك.

(٨) اسم شرحه: «فقه الإسلام: شرح بلوغ المرام»، المدينة المنورة، مطابع الرشيد، سنة ١٤٠١هـ.

(٩) يوسف، محمد خير رمضان (محرر) «دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة» بيروت، دار ابن حزم، سنة ١٤١٦هـ، ص ٣٥٥.

(١٠) ابن حجر العسقلاني «فتح الباري شرح صحيح البخاري» تحقيق عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، القاهرة، المطبعة السلفية، بلا تاريخ، ٣ / ٦٢٥.

(١١) اسم شرحه: «التقريرات السنية في حل ألفاظ البيقونية» و«البيقونية» هي منظومة عمر بن محمد بن فتوح البيقوني في علم المصطلح.

(١٢) سبقت الإشارة إلى المعلومات البيليوجرافية عنه في هامش رقم ٢٤.

(١٣) يظهر في نهاية الكتاب ٣٣٩٢ رقماً للمواد المرصودة فيه، وهو خطأ سببه قفز في هذه الأرقام بمقدار مئة مدخل بعد الرقم ١٣٤٠. إذ أصبح ١٤٤١ مما زاد في هذه الأرقام. وقد اعتمدنا المرصود حقيقة وهو ٣٢٩٢ مادة.

نظرات في تحقيق النصوص الجغرافية العربية

(١)

[هذا البحث القيم ألقاه الأستاذ الدكتور عبدالله بن يوسف الغنيم، رئيس مركز البحوث والدراسات الكويتية، في المؤتمر الخامس لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الذي عقد في مقر المؤسسة في لندن للفترة من ١٦ و١٧ شعبان ١٤٢٠ (٢٤ و٢٥ نوفمبر ١٩٩٩م) عن (علوم الأرض في المخطوطات الإسلامية، ولقيمة هذا البحث العلمية رأت «العرب» تقديمه لقرائها].

يشكل التراث الجغرافي العربي ركنًا أساسيًّا من مكتبتنا العربية، ومن تراث الإسلام الحضاري، وما زال وسيظل مجال العمل في دراسة ذالك التراث مفتوحًا أمام الباحثين والدارسين، فعلى الرغم مما نشر من كتب الجغرافيا العربية قديمًا وحديثًا، هناك العديد من الملاحظات التي ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار عند التقويم السليم لذالك التراث الغزير الذي أسهم إسهامًا كبيرًا في تطوير الفكر الجغرافي، وفي تقديم مناهج وأفكار جديدة ما زالت محل تقدير الأوساط العلمية.

وهذه الورقة محاولة من مختص، عايش ذالك التراث نحو ثلاثين عامًا قضاها في التحقيق والدراسة والبحث، للتعرف على أوجه القصور التي يعانيها المشتغل بذالك التراث، وبيان أسلوب التعامل مع النصوص الجغرافية والخرائط والمصطلحات، بما يحقق الفائدة المأمولة من تحقيق تلك النصوص ونشرها، وسنقتصر على أمثلة ونماذج محدودة نقدر أنها ستكون وافية بالغرض الذي نهدف إليه في هذا البحث.

وفي تقديري أن تغطية الموضوع على النحو المنشود تتحقق من خلال جوانب خمسة، هي: الحاجة إلى إعادة نشر الكتب التي سبق تحقيقها في القرن الماضي، وإعادة النظر في بعض الكتب التي تم تحقيقها في العقدين الأخيرين، وبيان ضرورة مشاركة الجغرافي المختص في تحقيق النصوص

وتحليلها والإفادة من مصطلحاتها، ثم العمل على دراسة الخرائط والمصورات الجغرافية القديمة العربية دراسة نقدية، وأخيراً التوصيات التي نراها مناسبة في هذا المجال.

أولاً- تحقيق التراث الجغرافي الذي تم إصداره في القرن التاسع عشر ونشره:

مضى نحو قرن من الزمان أو أكثر على تحقيق جانب هام من تراثنا الجغرافي ونشره على أيدي رينو ودي سلان ووستنفلد ودي خويه وغيرهم، ومع ذالك فإن أغلبية الدراسات والكتب الجغرافية العربية التي تم نشرها حديثًا تعتمد بشكل أساسي على تلك الأعمال التي قام بها أولئك المستعربون الكبار، فالمكتبة الجغرافية العربية التي نشرها دي خويه بين عامي ١٨٧٠ و١٨٩٤م، والتي تضم تسعة من كتب البلدان العربية الأساسية تم تصويرها ونشرها في البلاد العربية بعد نحو قرن من نشرها في أوروبا، ولم يتم النظر في إعادة تحقيق سوى أربعة كتب من الكتب التسعة المذكورة، ويصدق ذالك أيضًا على عديد من كتب الجغرافيا الإقليمية والمعجمات الجغرافية وكتب الرحلات والعجائب، ومثال على ذالك كتاب «تقويم البلدان» لأبي الفداء، الذي نال حظًا كبيراً من النشر والتحقيق والترجمة في أوروبا، لا نجد له حتى الآن طبعة اضطلع بها محقق عربي، وما زالت الطبعة التي نشرها رينو ودي سلان عام ١٨٤٠ في باريس هي المعتمد الأساسي لذالك الكتاب رغم اكتشاف عشرات النسخ من مخطوطات ذالك الكتاب القيم، والتي يمكن أن يضيف الاطلاع عليها واستخدامها في التحقيق فوائد كبيرة، فضلاً عن الدراسات والبحوث النقدية المهمة التي كتبت عن ذالك الكتاب، والتي تضيف بعداً آخر ييسر عمل التحقيق والبحث في مضمون الكتاب ونصوصه المختلفة. والأمر نفسه يمكن أن يقال عن كتابي «معجم ما استعجم» للبكري و«معجم البلدان» لياقوت

الحموي. فالكتاب الأول – على سبيل المثال – أصدره وستنفلد بجوتنجن بألمانيا بين عامي ١٨٧٠ و١٨٧٧م معتمداً على عدة نسخ مخطوطة محفوظة في مكتبة كامبردج ولندن وليدن وميلانو، ثم نشره الأستاذ مصطفى السقا في أربعة مجلدات بالقاهرة بين عامي ١٩٤٥ و١٩٥١م معتمداً على طبعة وستنفلد إضافة إلى النسخ التي عثر عليها في مكتبات مصر.

وما تزال هناك نسخ كثيرة من مخطوطات المعجم في مكتبات العالم لم يرجع إليها وستنفلد والسقا، ومنها النسخ التي عُثر عليها أخيراً في المغرب، وقد تؤدي دراسة تلك النسخ وتحقيقها إلى طبع نسخة أفضل للمعجم.

وقد أشار وستنفلد إلى اختلاف النسخ المخطوطة للمعجم فيما بينها، وعلل ذالك بأن البكري كتب المعجم أولاً، ثم أذاعه وتهاداه الناس والرؤساء، ثم أعاد النظر فيه – متصفحًا ومنقحًا – فبدت له أشياء لم يفطن لها أول الأمر فأصلحها على هامش بعض النسخ أو كما يقول وستنفلد، في أوراق وجذاذات ألحقها بمواضعها من الكتاب، فبعضهم عثر على نسخة منه منقحة، فنقلها كاملة، وبعضهم نقل الجذاذات كلها، وبعضهم نقلها ناقصة، فاختلفت نسخ الكتاب في أيدي الناس.

ومن أقدم النسخ التي وصلتنا من كتاب البكري النسخة المخطوطة في المكتبة الأزهرية بالقاهرة (مخطوطة رقم ٢٦٢) وهي نسخة غير كاملة، ويرجع تاريخ نسخها إلى سنة ٥٩٦ هجرية، وتقع في جزأين: الجزء الأول مبتور من أوله ويبتدئ مع بداية صفحة ١٣٢ من طبعة السقا، وينتهي بآخر الجزء الأول. أما الجزء الثاني فهو موافق للجزء الثاني المطبوع. والنسخة بخط أندلسي جميل.

وقد أشار مصطفى السقا إلى هذه النسخة وذكر أنها: (في الغاية من الصحة والضبط والوضوح، ولو كانت كاملة لفاقت جميع الأصول الموجودة من هذا

الكتاب، وأن على هامشها ما يفيد أنها قوبلت على أصل بخط المؤلف).

وتكلم السقا عن التعليقات التي تحفل بها هوامش هذه النسخة، ولكنه - مع الأسف - لم يستفد من هذه التعليقات والهوامش فأغفلها تمامًا في نشرته مع أنها تحتوي زيادات وتصويبات كثيرة أهمها تلك التعليقات المنقولة من كتاب «النوادر» لأبي علي الهجري، وهناك تعليقات أخرى أقل أهمية عن أبي حاتم وابن دريد وابن هشام وأبي الفرج الأصبهاني وغيرهم.

وبدراسة الحواشي المنقولة عن أبي علي الهجري، وهي أكثر من ثمانين تعليقًا وجدت أن معظم تلك التعليقات عبارة عن مواضع جديدة مضافة إلى الكتاب، وقد كتبت في الهامش أمام موضعها من الترتيب المعجمي، ومن أمثلة تلك الزيادات:

١- التَّغاليل: قال الهجري: سألت سليمان بن يزيد العمري عن قوله:

(ليبدو لي الأعْلام من شقٍّ تغْلل).

قال: تغلل، معجمة الغين، هضبة من منحنى بيشة، ويجمع التغاليل. وقال في موضع آخر: تغاليل عُقَد بين غمرة وبين القشاش رياض تصب في الحرة نحو غمرة وهي (تغاليلات).

٢- جَرْبان: قال الهجري: وجربان سائلة إلى قرب (ذهبى)، ومَلْك الوادي: الذي يملأ سيله، قالت الأنعمية - وتزوجت بالعراق:

ألا حبَّذا من مَلْك جربان نظرة وجَرَبْان من أهل العراق بعيدُ

٣- الحلوة: قال الهجري: وسألته: يعني الخلصي - عن الحلوة بئر مزينة، لبني صخر من مزينة، فقال: هي بالمنصرَف، تدفع في غيقة، وليست بالجي، وللنبي ﷺ مسجد بالحلوة ومسجد بالبضة، وهي تلعة بيضاء أسفل من (ركوبة) بميل ونصف، والبضة بالجي، والجي ما بين ركوبة إلى الرُّويثة: قال الهجري: عين ضبعة: بئر يقال له البضة.

ولا يتسع المجال لذكر جميع الزيادات، فقد كان على محقق الكتاب أن يضيفها في أماكنها من المعجم ولا يغفلها ذالك الإغفال، وخصوصاً أن الظن قائم أنها من إضافات البكري نفسه، فإذا أضفنا ما وُجد حديثًا من نسخ «معجم البكري» إلى إغفال مصطفى السقا للمادة القيمة التي توافرت في النسخة الأزهرية من الكتاب، فإن الحاجة ماسة إلى نشرة جديدة دقيقة لكتاب المعجم توضح بعض الجوانب التي لا يزال يكتنفها الغموض حوله.

أما «معجم البلدان» لياقوت الحموي، فقد تيسر في الوقت الراهن أمر الحصول على عشرات النسخ القديمة الموثقة التي لم يكن في مقدور وستنفلد الاطلاع عليها وقت نشره للمعجم في القرن الماضي. ولابد أن بعضها يتضمن إضافات وتصحيحات لطبعاته المتعددة المتمثلة في نشرة وستنفلد في ليبزج ١٨٦٦م، ونشرة أمين الخانجي في القاهرة ١٣٢٣هـ ونشرة دار صادر في بيروت، وبجانب النسخ المخطوطة، فقد صدرت خلال العقود الأخيرة عشرات من كتب التراث العربي في مجالات الأدب والشعر والتاريخ والتراجم والجغرافيا، وكثير منها يُعَدّ من المصادر التي اعتمد عليها ياقوت وسنداً مهمًّا للمشتغل بتحقيق الكتاب.

ويدرك الحاجة إلى طبعة جديدة لكل من «معجم ما استعجم» للبكري و«معجم البلدان» لياقوت الحموي كل مطلع - عن قرب - على الحواشي والتعليقات القيمة التي على نسخة أستاذنا محمود محمد شاكر - رحمه الله - من المعجمين المذكورين. وكذالك الاستدراكات التاريخية والجغرافية المهمة التي كتبها أستاذنا الشيخ حمد الجاسر - أمد الله في عمره - على مدى ما يزيد على نصف قرن من الزمان، سواء فيما كتبه في بحوث وتعليقات في المجلات العلمية المختلفة وعلى رأسها مجلته القيمة «**العرب**»، أو فيما حققه من كتب تتصل بجغرافية الجزيرة العربية وتاريخها وآدابها. وقد عزز كل ذالك بدراسات

ميدانية واسعة لغرض تحديد الأماكن المذكورة في المعجمين والتحقق من مواضعها.

ثانيًا- إعادة النظر في الكتب التي تم تحقيقها خلال العقدين الأخيرين:

راجت في العقدين الأخيرين سوق التراث العربي رواجًا كبيرًا، وكثر المحققون الذين لا يمتلكون من أدوات التحقيق وفنونه شيئًا، فعبثوا بالتراث العربي، وأساؤوا إلى نصوصه إساءة بالغة. وساعدهم على ذالك تساهل بعض أساتذة الجامعات الذين لم يقدروا المسؤولية في إشرافهم على الرسائل التي تتضمن تحقيق النصوص القديمة وسطا البعض على أعمال الآخرين فانتحلوها ونسبوها إلى أنفسهم دون وجه حق.

ولم يكن ذالك مقصوراً على البلاد العربية، بل تعداه إلى عديد من الرسائل العلمية التي نوقشت في بعض الجامعات الأوروبية. ونال الجغرافيا جانب من ذالك العبث، فكانت النصوص المنشورة لا يراعي فيها الاهتمام بتصحيح أسماء المواضع وبيان أماكنها، والإبقاء على النص كما هو دون تعليق أو تصحيح أو تحليل أو ربط مع النصوص السابقة أو اللاحقة عليه لاستجلاء قيمته وبيان مكانة الكاتب ودرجته. وسنضرب مثالاً واحداً على ذالك وهو رسالة نال عنها صاحبها درجة (الدكتوراه) من كلية الآداب والعلوم الإنسانية من جامعة باريس - الثالثة (السربون الجديدة) في عام ١٩٧٥ تحت إشراف الدكتور أندريه ميكيل وهو أستاذ معروف ومشهود له بالخبرة في مجال تحقيق ونشر التراث الجغرافي العربي وترجمته إلى اللغة الفرنسية. وصاحب العمل هو أدريان فان ليوفن (A.P. van Leewin) الذي أعد لرسالته المذكورة نص كتاب «المسالك والممالك» لأبي عبيد البكري، وأنجزه في ثلاثة مجلدات تتضمن

النص باللغة العربية وفهارس تفصيلية مع مقدمة باللغة الفرنسية عن حياة الرجل وعصره ومصادره، ثم طبعت هذه الرسالة بحذافيرها بتوصية من وزارة الثقافية التونسية في عام ١٩٩٢، ونشرتها المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة) بالتعاون مع الدار العربية للكتاب والغريب أن (أدريان ليوفن) قد أدخل معه شخصاً آخر أشركه في أعمال التحقيق والفهرسة رغم أن ما نشر لا يختلف عن أصل الرسالة التي قدمها - بطبيعة الحال، منفرداً - ولم أجد تفسيراً لذالك.

وقد ارتكب (ليوفن) أخطاء فاحشة في تحقيق نص كتاب البكري، أولها: أنه لم يرجع إلى ثلاث نسخ مخطوطة مهمة من الكتاب، هي نسخة مكتبة محمد المنوني بالرباط التي يرجع تاريخ نسخها إلى القرن السادس الهجري، فهي من أقدم النسخ وأوثقها. كما لم يرجع إلى نسخة الخزانة العامة بالرباط رقم (٧٨٧ د)، ولا إلى نسخة المكتبة الناصرية بلكهنو بالهند رقم ٥٩. وثانيها: أن أسماء المواضع جاءت مصحفة دون تنبيه أو إشارة أو تعليق لبيان وجه الصواب في النص، وهذه أقل خدمة يمكن أن يقوم بها محقق نحو نص من النصوص. وقد اكتفى (ليوفن) بالإشارة إلى فروق النسخ دون استقصاء.

ونضرب فيما يلي مثالاً واحداً على ذالك الإهمال نأخذه من بيان (الطريق من البصرة إلى مكة) الوارد في ص ٣٨١ من الجزء الأول من كتاب «المسالك والممالك» المطبوع في تونس. وسنورد الفقرة بين قوسين ثم نورد تعليقنا عليها:

- (من البصرة إلى السحابية ثمانية أميال). والصواب (المنجشانية) بدلاً من السحابية. قال ياقوت (٤ / ٦٥٨): (وهو منزل وماء لمن خرج من البصرة يريد مكة). وفي كتاب «البصرة» للتاجي: (المنجشانية حد كان بين العرب والعجم بظاهر البصرة قبل أن تخط البصرة). وانظر أيضاً «المسالك

والمسالك» لابن خرداذبة (ص ١٤٦) و«الأعلاق النفيسة» لابن رستة (ص ١٨٠)، وكتاب «المناسك» المنسوب للحربي (ص ٥٧٥).

- (إلى الحفيرة عشرة أميال). الصواب (الحفير) وهكذا وردت في إحدى النسخ التي لم يشر إليها المحقق. قال ياقوت (٢ / ٣٩٧): (والحفير أيضًا ماء لباهلة بينه وبين البصرة أربعة أميال يبرز للحاج من البصرة، بينه وبين المنجشانية ثلاثون ميلاً. وقال الحفصي: إذا خرجت من البصرة تريد مكة فتأخذ بطن فلج، فأول ماء ترد الحفير). ويلاحظ أن ياقوتًا قد جعل ما بين البصرة والحفير أربعة أميال، وهذا خطأ، ولعله أراد أربعة فراسخ، فيكون بعد ما بينهما ستة عشر ميلاً، وهو قريب من الرقم الذي ذكره كل من ابن رستة والمقدسي وهو ثمانية عشر ميلاً.

- (إلى الرُّحيل ثمانية وعشرون ميلاً، إلى السنجك ستة وعشرون ميلاً). والسنجك هو (الشجي)، ذكره ياقوت وابن خرداذبة وابن رستة وغيرهم.

- (إلى الروحا ثلاثة وثلاثون ميلاً). والصواب (الخرجاء)، ذكر ياقوت أنها ماءة احتفرها جعفر بن سليمان قريبًا من الشجي بين البصرة وحفر أبي موسى في طريق الحاج.

- (إلى حفر أبي موسى ستة وعشرون ميلاً، إلى ماوية اثنان وثلاثون ميلاً). وجاء بعد هذه العبارة في إحدى مخطوطات «المسالك» (إلى ذات العشر) وهي إحدى مراحل الطريق على بعد تسعة وعشرين ميلاً من ماوية ولم يذكرها المحقق.

- (إلى السرعة ثلاثة وعشرون ميلاً). الصواب (الينسوعة) وهو موضع معروف على طريق الحاج البصري.

- (إلى السمية تسعة وعشرون ميلاً). والصواب السمينة. وهو ماء لبني

الهجيم فيه آبار عذبة وآبار ملحة، ذكر ياقوت (٢ / ١٥٣) أنه منزل قبل النباج.

- (إلى الساج ثلاثة وعشرون ميلاً). والصواب (النِّباج) موضع معروف في طريق الحاج البصري.

- (إلى العوسجة سبعة وعشرون ميلاً، إلى القريتين اثنان وعشرون ميلاً). وقد سقط من مطبوعة ليوفن بعد هذه العبارة أربعة منازل وردت في أحد أصول كتاب «المسالك» المخطوطة، كما وردت في معظم كتب الجغرافيا العربية التي تكلمت عن الطريق من البصرة إلى مكة، وهذه المنازل هي رامة وامّرة وطخفة وضرية.

- (إلى حويلة اثنان وثلاثون ميلاً). الصواب (جديلة) ذكرها ابن خرداذبة (ص ١٤٦) وياقوت (٢ / ٤٢).

- (إلى ملحَه خمسة وثلاثون ميلاً). الصواب (فلجة) بالفاء. ذكرها ابن خرداذبة (ص ١٤٦) وياقوت (٣ / ٩١١).

- (إلى وجرة أربعون ميلاً، إلى أوطاس أربعة وعشرون ميلاً، إلى السكة، ومن السكة..). الصواب (الشبيكة) وليس السكة. وقد ذكرها كل من ابن رستة والمقدسي.

- (إلى مدان ثلاثة أميال). الصواب (مرّان) وفق ما ورد في معظم المصادر.

ومما تقدم يتضح أنه من بين ٢٤ منزلاً من منازل طريق البصرة إلى مكة لم يقم المحقق بالإشارة إلى أي تصحيف من التصحيفات الواردة في أسماء نحو أحد عشر منزلاً منها. ولم يتنبه أيضاً إلى المنازل الأربعة التي سقطت من نصه والتي هي موجودة في أحد أصول الكتاب فضلاً عن المصادر الأخرى. ولو كلف المحقق نفسه عناء النظر في أي كتاب من «المسالك والممالك»، وهي متاحة ومبذولة، لاستطاع أن يتحقق من سلامة النص.

وإذا كان هذا حالنا مع نحو عشرة أسطر من كتاب واحد فكيف يمكن أن نثق في بقيته؟ وأين لنا بالوقت الذي نتتبع فيه أعمال المحققين ونستدرك عليهم أخطاءهم وما ارتكبوه من جرم بحق نصوص التراث العربي؟

ومع الأسف الشديد فقد حدثت مثل هذه الأخطاء في الطبعة الجديدة من «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للشريف الأدريسي التي أعدها المعهد الإيطالي للشرق الأدنى والأقصى بروما، والتي قام بإعدادها نفر من العلماء من مختلف أنحاء العالم، وصدرت بين عامي ١٩٧٠، ١٩٨٤، ثم أعيد طبعها في بيروت عام ١٩٨٩.

ففي (ص ١٦٠) من طبعة روما ذكر للطريق من اليمامة إلى مكة وهو طريق يتصل بطريق البصرة إلى مكة الذي ذكرناه قبل قليل عند منزل القريتين قبل أن يتجه إلى مكة، وقد وردت في أسماء منازل هذا الجزء من الطريق التصحيفات التالية: (طقجة) والصواب (طخفة)، و(صربه) والصواب (ضرية) و(قلجة) والصواب (فلجة) و(الرقيبة) والصواب (الدثينة).

ثالثاً- مشاركة الجغرافي المختص في تحقيق النصوص الجغرافية وتحليلها:

إن معظم الكتب الجغرافية العربية التي نشرت حتى الآن، سواء في أوروبا أو في البلاد العربية، قام بتحقيقها ونشرها علماء غير جغرافيين من لغويين ومؤرخين وغيرهم، وهاؤلاء قد يسروا السبيل أمام الجغرافي، ووفروا عليه بعض الجهود التي كان عليه أن يبذلها في جمع ذالك التراث وتحقيقه، إلا أن أعمالهم تفتقر إلى ثقافة الجغرافي ومنهجه في البحث والتحليل، ولهذا وقع عدد من المحققين في بعض الهفوات سواء في قراءة النصوص أو في التعليق عليها، وسنعرض لمثالين على ذالك:

(١) جاء في الطبعة التي أصدرها كل من إبراهيم أحمد العدوي وعلي محمد

عمر من كتاب «فضائل مصر» لعمر بن محمد بن يوسف الكندي (القاهرة ١٩٧١، ص ٦٠): (... وسد الترع، وقطع القضب والخَلْفاء، وكل نبت مضر بالأرض) وجاء في حواشي التحقيق: (القضب كل شجرة طالت وبسطت أغصانها). ومع أن ما ذكر هو صفة القضب في كتب النبات، إلا أن الصواب القصب بالصاد المهملة والحلفاء بالحاء المهملة أيضًا، وهما من النباتات المضرة التي تسد الترع والمصارف.

(٢) وفي رحلة أحمد بن فضلان جاء ذكر شجر في بلاد الصقالبة (مفرط الطول وساقه أجرد من الورق، ورؤوسه كرؤوس النخل له خوص دقاق، إلا أنه مجتمع، يجيئون إلى موضع يعرفونه من ساقه، فيثقبونه ويجعلون تحته إناء فيجري إليه من ذالك الثقب ماء أطيب من العسل إن أكثر الإنسان منه أسكره كما يسكر الخمر).

وفي حواشي التحقيق يقول المحقق الدكتور سامي الدهان، وهو عالم فاضل: (لعله - أي ابن فضلان - يعني بهذا الشجر قصب السكر). وهذا وهم من المحقق، فقصب السكر - كما هو معروف - لا ينمو في المناطق الباردة التي وصلها ابن فضلان، كما أن صفة الشجر المذكور تختلف عن صفة قصب السكر الذي لا يفرز ماءه عند ثقبه بل يحتاج إلى عصر شديد ليَخرُج ماؤُه (رسالة ابن فضلان تحقيق سامي الدهان، دمشق ١٩٥٩، ص ١٢٩).

وبجانب الثقافة العامة التي يقدمها الجغرافي المختص، فله منهجه في فحص النصوص وتحليلها والتأكد منها، ومن وسائله في ذالك الدراسة الميدانية التي تتيح له التعرف عن قرب على الإقليم أو المنطقة التي يتحدث عنها المؤلف، والتوصل إلى مواضع العمران القديم عن طريق البحث في معطيات المكان الجغرافية، والربط بين الطرق وطبوغرافية المنطقة محل البحث. والخروج من كل ذالك بخرائط تفصيلية تثري النص المحقق وتضفي عليه مزيداً من الوضوح.

وفي اعتقادي أن النجاح الذي حققه بعض المحققين الذين لم يكونوا مؤهلين بدرجة علمية جغرافية، يعود إلى استخدامهم هذه الوسائل في الكتب التي حققوها أو في البحوث المعتمدة على النصوص الجغرافية القديمة.. ولنا في ذالك أمثلة واضحة. فأستاذنا الشيخ حمد الجاسر أمدته دراساته الميدانية بفيض من المعلومات التي أعانته - بجانب ثقافته الموسوعية - على تحقيق النصوص. واقترن عمله باستخدام الخرائط كوسيلة لا غنى عنها من وسائل البحث أو التوضيح. وقد أصبح الشيخ حمد بذالك رائداً في توظيف المعرفة الجغرافية في أعمال التحقيق.

ومن ناحية أخرى لم يكن في مقدور الإنجليزي (لي سترانج G. Le Strange) أن يصل إلى النتيجة الرائعة التي توافرت في كتابه «بلدان الخلافة الشرقية» لولا اتباعه المنهج الجغرافي في البحث، ويقال ذالك أيضاً على العمل الكبير الذي بذله المؤرخ الروسي (بارتولد V. V. Bartold) في كتابه «تاريخ تركستان من الفتح الإسلامي إلى الغزو المغولي»، والكتابان المذكوران يعتمدان بشكل أساسي على المصادر العربية القديمة، ويقدمان صورة رائعة للجغرافيا التاريخية لمشرق العالم الإسلامي بالاعتماد على البحث الميداني وتحليل المصورات والخرائط الجغرافية.

ونعالج في الموضوعين التاليين تفصيلات أخرى حول أثر مشاركة الجغرافي المختص في تحقيق النصوص الجغرافية، والفوائد التي يمكن أن يحصل عليها نتيجة تلك المشاركة مع التطبيق على موضوع المصطلحات الجغرافية، والخبرة التي يتيحها اختصاصه في تحقيق الخرائط الجغرافية القديمة.

(للبحث صلة)

الكويت: د. عبدالله بن يوسف الغنيم

مصادر دراسة أنساب القبائل اليمنية في العهود الإسلامية الأولى

(٣)

مؤلفات أهل اليمن عن أنساب أهلها: ذكرنا من قبل أن أهل اليمن كانوا عند ظهور الإسلام منظمين على أسس قبلية في كافة أرجاء بلادهم بما في ذالك المدن والقرى والأرياف التي كانت مراكز للصناعة والتجارة والزراعة. وكان المتصلون من أهلها بالرسول ﷺ من الوفود، والمنسوجات المنوعة التي تصنع فيها منسوبة إلى العشائر التي تسمى بها كثير من المواضع الجغرافية، ومنذ زمن الخليفة أبي بكر الصديق هاجرت أعداد كبيرة من أهل اليمن، وانضمت إلى الجيوش الإسلامية، التي قاتلت الروم والفرس، وفتحت العراق وأقاليم المشرق، وبلاد الشام والجزيرة الفراتية، ومصر وشمالي إفريقية والأندلس، واستقرت في الأمصار الرئيسة، في الكوفة ومدن بلاد الشام والفسطاط والقيروان، والمراكز الممصرة الأخرى، ونظم ديوان العطاء في كافة هذه الأمصار على أسس قبلية، وتُثْبَتُ نسبة رجالها إلى العشائر التي ينتمون إليها، وعنيت كتب التاريخ بذكر نسبة من شارك في الحوادث إلى عشائرهم، وليس إلى المدن والمناطق الجغرافية التي جاؤوا منها، ومن حصيلتها يمكن معرفة كثير من المجموعات اليمانية التي استقرت بعد الفتح الإسلامي في الأقاليم والمراكز الإسلامية خارج اليمن، وهي توضح انتظام أهل اليمن في المناطق الجديدة التي استقروا فيها، وتقدم عن التنظيم القبلي في اليمن التي جاؤوا منها فكرة عامة غير دقيقة، لأن المهاجرة من اليمن لم تكن هجرتهم وفق نظم محددة، فبعض العشائر هاجرت منها أعداد كبيرة، وبعضها هاجر منها القليل، وكثرة أفراد عشيرة في الأمصار لا يستلزم حتماً كثرتهم في ديار اليمن.

ابن الحائك الهمداني: ومعلوماتنا عن أحوال السكان في اليمن في القرون الإسلامية الأولى متفرقة غير متماسكة، ولم يصلنا عنها كتاب

مستوعب متماسك قبل كتاب ابن الحائك الهمداني، الذي عاش في القرن الرابع الهجري، ويظهر ما ذكر في مؤلفاته التي وصلتنا على أنه كان موسوعي المعرفة، امتد اهتمامه إلى ميادين واسعة في اللغة، والفلك، ووصف البلدان والسكان والمنتوجات في اليمن وأشار باقتضاب إلى بعض أحوال أهل اليمن في خارجها، وإلى عدد من المؤلفين البارزين المعنيين باليمن وأخبارها، ممن كانوا مقيمين خارجها، مما يدل على اطلاعه على علمهم. وذكر في كتابيه «صفة جزيرة العرب»، والأجزاء المطبوعة من «الإكليل» معلومات متفرقة عن الأحوال قبيل الإسلام وبعده، ولكن أكثر معلوماته عن الأحوال في زمنه، فمادته عن تطورات الأحوال الجغرافية والسكانية مهمة، ولكنها غير مستوعبة، وتحملنا أهمية مادته إلى إفرادها بتحليل خاص للمصادر التي اعتمدها دون الايغال في بحث أصولها التي تطرق إليها محمد عبدالقادر بافقيه في بحثه القيم الموسوم بـ«الأنساب والسير اليمانية عناصرها ومصدرها».

علماء الشمال عند الهمداني: كان الهمداني مطلعًا على بعض ما كتبه أهل الشمال عن اليمن، فقد نقل في «الإكليل» عن محمد بن إسحاق، وابن الكلبي، ووهب بن منبه وكعب الأحبار وابن عباس فعن محمد بن اسحاق نقل عنه برواية ابن سلمة في الجزء الأول عن نزول آدم وحواء، وعن ابليس وآدم (٣٥) وشيت (٤٣) وأولاد نوح (٦٣) وأنوش (٦٤) والسواد (٦٧- ٧١) وأرفخشد (٨٣) وراعد (٨٥) وزواج الحارث بن مضاض (١٠١) وعن الرسول ﷺ (١١٣)، ونقل عنه في الجزء الثاني خبرًا واحدًا عن غسان (٢/ ٢٢٧) ولم أجد نقلاً عنه في الجزئين الثامن والعاشر.

وعن ابن الكلبي نقل في الجزء الأول عن الكتاب العربي (٧٨) وجرهم بن عامر (٨٥) وذي جدن (٩٤) وقحطان (١١٨، ١٢٦). ونقل في الجزء الثاني عن ردمان (٤٢) وأخبارًا عن الكوفة (٢٣٠) وعن الرسول ﷺ (٢١٨) وأخبارًا أخرى متفرقة (٢/ ٢٩٢/ ٢٩٦/ ٣٦٣/ ٣٦٦).

كما نقل في الجزء الثامن من «الإكليل» عن ابن الكلبي في خمسة عشر

موضعًا أكثرها لا تتعلق باليمن، فمنها رواية عن هدم آثار تدمر (١٤٤) واصبهان (١٩٦، ١٩٧) والحيرة (١٧٧) والأردن (١٩٨) والمدينة (١٩٩) ووادي القرى (٢٥٦) وافريقية (١٥٤) وكلام لابن عباس عن نبش القبور (١٥٧). كما روى عنه ثلاثة أخبار عن نبش القبور في اليمن (١٧٠) وعن حضرموت (١٤٧، ١٦٠).

وهب بن منبّه: لم ينقل الهمداني عن وهب بن منبه في الجزئين الأول والثاني من «الإكليل» وإنما نقل عنه في الجزء الثامن أخبارًا عن تاريخ اليمن وهي تشمل قصر غمدان (٢٢-٢٣)، وقبر هود (٢٨٠) وذو القرنين (٢١٨) وموت لقمان (٢١٧) والمعافر (٢٠٩) وجرم (١٨٣، ١٨٦) ولقب حمير (٢٠٨) وقصيدة في رثاء أسعد تبع (٢٨٩) وذو نواس (٢١٨) وكل هذه أخبار تاريخية لا علاقة لها بالأنساب.

كعب الأحبار: أشاد الهمداني بكعب الأحبار، وهو يماني فقال: (يروى الصعديون مرفوعًا إلى إبراهيم بن عبدالملك الخنفري قال: قرأت كتب كعب الأحبار وكان رجلاً من حمير، من ذي رُعَيْن، وكان قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان واسع العلم (١ / ٥٥)، وأن كعبًا كان أعلم أهل زمانه بالكتب الأولى. (٢ / ٣٥٦)، غير أن الهمداني لم ينقل عنه في الجزئين الأولين غير خبرين (١ / ٥٥، ٢ / ٣٥٦) ونقل في الجزء الثامن أخبارًا عن نقش وجد في صنعاء (١٥٥) وهي لا علاقة لها بالأنساب.

وأشار الهمداني إلى ما كان يحفظه عُبَيد بن شَرية من أخبار حمير وأشعارهم (٨ / ٧١) ونقل عنه في الجزء الثامن أخبارًا عن لقمان (٢١٥) وعن ذي القرنين (٢٣٢، ٢٤٠).

ونقل عن عبدالله بن العباس بعض الأخبار المتعلقة بالأقدمين فروى عن كوثى (١ / ٦٤) وإشارة إلى أن الرسول ﷺ لم يرجع في النسب إلى أقدم من معد بن عدنان (١١٤) وروى أيضاً عدة روايات (٨ / ٣٥، ١٥٧، ١٨٢، ٢١٢) لا علاقة لها بالأنساب.

وأشار إلى ابن خُرْدَاذْبة (١ / ٢٣٧) ، وإلى نقله عن أبي معشر عن عمر الدنيا (١ / ٤٦) .

ملاحظات الهمداني على النسابين الشماليين: انتقد الهمداني نسّاب المؤلفين الشماليين على تقصيرهم في أبحاثهم فقال : (ورأيت أنساب تلك النواحي لاسيما الكلبيين استقصوا في أنساب ولد مالك بن حمير لما كان منهم وعنهم بِراءٍ ومَسْمع ، وأتوا من نسب أخيه الهميسع بن حمير بمثل أثر في عَفْر ، لا دارس فيعفو ولا بين فَيَبْدو ، لما قلت رحلتهم إلى من قطن منهم اليمن ، ولم يلقوا بنهوجهم من ذوي معرفتهم غير أعقاب من ظعن بنتف ذالك واختص ذا ، وأتوا من أنسابهم بعنق يختلف عنها بدنها ، وكذالك غيرهم من النساب ، حتى أن محمد بن اسحاق أتى فيما سمعنا عنه نسب ولد الهميسع في خمسة أسطر .

وقال في مكان آخر : وكذالك سبيل نساب العراق والشام يقصرون في أنساب كهلان ومالك بن حمير ليضاهوا أنساب ولد الهميسع إذْ كانت مزبرة في خزائن حمير ، وكذالك همدان وناعط .

المساند والنسابون: ذكر الهمداني من مصادره المساند ، فذكر مساند حمير ، ومسند ناعط ، وأشار إلى ما في مسند بصنعاء على بعض الحجارة التي نقلت من قصور حمير وهمدان[١] .

وذكر أن محمد بن أحمد الأوساني قال : قرأت حجراً مما نقل من صدفان إلى صنعاء ، وقرأت مثله في مسند بعمران من البون[٢] .

وذكر أن مسلمة بن يوسف بن مسلمة الخولاني قال : إنه قرأ مسنداً على حجر في مسجد خيوان ، والحجر مما اقتلع من بعض قصور الجاهلية .

وذكر أنه قرأ في مسند في ريدة ، ومسنداً في ظباء بخيوان عادي ، وفي مسند في قصر ريدة تلفم .

وذكر أن أحمد بن أبي الأغر الشهابي من كندة قال : إنه قرأ في مسند ناعط[٣] .

وذكر أن يحيى بن كليب قاضي صنعاء كان خبيراً ببطون حمير. وأهل الخبرة من السخطيين وغيرهم من علماء حمير. كما قال: أبو نصر والأبرهي وعلماء حمير أجمعوا أن حمير اليمن وأبو نصر يقولون(٤).

أبو نصر: اعتمد الهمداني في معلوماته عن حمير على أبي نصر محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن وهب بن أبي زرعة بن سبأ، ووصفه بأنه شيخ حمير وناسبها وعلامها، وحامل سفرها، ووارث ما أدخرته ملوك حمير في خزائنها، من مكنون علمها، وقارئ مساندها. وقال: إنه كان بحاثة قد لقي رجالاً، وقرأ زبر حمير القديمة ومساندها الدهرية، فربما نقل الاسم على لفظ القدماء من حمير، وكانت أسماء فيها ثقل فخففتها العرب وأبدلت فيها الحروف الذلقية وسمع بها الناس مخففة. ثم يقول: فما أخذته عنه ما أثبته في كتابي هذا من أنساب بني الهميسع بن حمير وعدة الأذواء وبعض ما يتبع ذالك من أمثال حمير وكلماتها، إلا ما أخذته عن رجال حمير وكهلان وسجل خولان القديم بصعدة، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران والجوف وخيوان وما خبرني به الآباء والأسلاف(٥). وفي هذا الكلام إشارة تدل على أن أبا نصر كان معتمده في بعض الأجزاء المفقودة من الكتاب، وخاصة الجزئين الرابع والخامس اللذين تحدث فيهما عن السيرة القديمة إلى عهد تبع أبي كرب، وفي السيرة الوسطى من أول أيام أسعد تبع إلى أيام ذي نواس، ولعله أخذ عنه في الجزء السادس الذي تحدث فيه عن السيرة الآخرة إلى الإسلام، والسابع الذي ذكر فيه التنبيه على الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة والتاسع عن أمثال حمير وحكمها باللغة الحميرية. على أن ما نقله في الجزئين الأولين، وأشار إليه في الجزء الثامن يُيَسِّر تقديم صورة تصدق ما ذكره عنه.

ونقل عنه معلومات عن الأنساب العالية من اليمن، فنقل عنه في الجزء الأول عن يعرب (١٢٤) وحمير (١٢٩) وربيعة (١٣٠) ومرة (١٣٣)، ووضع هذه المعلومات القليلة مع نصوص نقلها عن عدد من نسابي أهل الشمال،

وخاصة ابن الكلبي وابن إسحاق. وهذا يدل على أن معلومات أبي نصر في ذالك غير متفردة، وإن كانت قلة النقل فيها لا تكون دليلاً قاطعًا على أن أبا نصر اقتضب في الأصل الكلام عن الموغلين في القدم من أهل اليمن.

صرح الهمداني في الجزء الثاني بنقله عن أبي نصر المعلومات عن أولاد الهميسع بن حمير (٣) والصدف (١٣) وأبين (٤٧) وولد الحارث بن شمر ذي الجناح (٧٨) والصوأر (٨٧) والغوث (٩١) واقيان (١٠٦) والصباح (١٥٤) وملحان (٢٣٨) وأسعد تبع (٢٥٦) وبني الحارث (٢٧٤) والأوزاع (٢٨٢) وحضور (٢٨٥) وآل جديد (٢٩٣) وآل ذي جدن (٢٩٣) وذي سحر (٣٢٠) والأملوك (٣٣٧) ورعين (٣٥٧) وذو هجر (٣٦٩) وذو جدن (١٩٨) ولم يذكر النهاية التي نقل عن أبي نصر النصوص المستفيضة. ولعله أخذ معظمها عنه، وتحدث عن ظفار وأبوابها ٨ / ٢٩، ٣٢ وعن هدم سدّ مأرب (٨ / ٧٧) وعن قصائد لعلقمة بن ذي جدن (٨ / ٣٩، ٧١).

وذكر معلومات أوردها عن مصادر أخرى ونص على أنها تخالف آراء أبي نصر (٢ / ٦، ١٣، ٥٢، ٥٩، ٨٥، ٩١، ١٥٥، ١٥٦، ٢٤٥، ٣٥٧).

وأشار إلى رأي لأبي نصر رآه غير صحيح (٢ / ٦٠) وذكر أن أبا نصر لم يذكر بني هجر، وهم من رعين، وأن أبا نصر يشهر بصنعاء بأبي نصر الحنبصي، نسب إلى مسكنه وهو قصر جاهلي يقال له ذي يهر ببيت حنبص يكون من صنعاء على بعض يوم، ويذكر الأكوع ناشر الكتاب أنه يقع جنوب غرب صنعاء.

وبيت حنبص محفد فيه نهر الغيل وبه (آثار عظيمة من القصور وكان قد بقي منها قصر عظيم كان أبو نصر وآباؤه يتوارثونه من زمان جدهم ذي يهر)، ولزم الموضع اسم حنبص بن يعفر اليهري لأن أشهر من سكنه من آل يهر، ولما سيطر القرامطة على صنعاء هرب أبو نصر إلى صعدة وظل فيها حتى نقص أمر القرامطة[٦].

أشار أبو نصر إلى اعتماده في بعض معلوماته على المساند في صفاح الحجارة وفي بعض القبور[٧]. وذكر بعض مصادره، ومنهم نسّاب حمير، وذكر أنه أخذ من بعض النساب، دون أن يحددهم. كما ذكر أنه أخذ بعض أخباره من وجهين: الأبرهي، وأسلافه.

الأبرهي: وممن نقل عنهم الهمداني في النسب: الأبرهي، ولم يذكر اسمه الكامل غير أنه ذكر أن أبا نصر قال: إنه أخذ نسب آل صيفي من (إبراهيم بن أحمد بن محمد بن يونس الأبرهي رضي الله عنه ومن أسلافي). ولعله هو الأبرهي الذي كان أحد مصادر الهمداني.

نقل الهمداني عن الأبرهي نصًا واحدًا في الجزء الأول عن أولاد قحطان ولم ينقل عنه في الجزئين الثامن والعاشر، وإنما نقل عنه في الجزء الثاني، عشرين نصًا عن يرسم والأملوك وأولاد الصوار وأم ذي نواس (٦٣) ورداع (٩٢) وبطون ألهان (١٠٣) وأولاد مالك (١٦٢، ٢٨٣) وكهلان (١٩٢) واوحد بن مالك (١٩٣) وولد الغوث (٢٤٦)، ٢٤٧) ومواطن الأوزاع (٢٥٣) وولد ذي يزن (٢٥٦) وولد الحارث بن عبد كلال في زمن ولاية معن بن زائدة (٣٦٦).

وذكر معارضة الأبرهي لأبي نصر في نسب ألهان (١٠٤) ووصاب (١٠٥) وسعد بن زرعة (١٦٠) ونسب نعيم بن حضور (٢٨٤).

الأوساني: وممن نقل عنهم الهمداني: الأوساني، وهو أبو عبيدالله محمد بن أحمد. ويبدو أنه كان معاصرًا للهمداني إذ يقول عن ذي جهيف بن ماذن: وبهذا أخبرني محمد بن أحمد الأوساني وقد نقل عنه معلومات عن النبي صالح من أسلافه، كما نقل عن الحسن بن أبي طالب الأبناوي نصًّا عن وادي ظهر. وكان يقرأ المسند.

ونقل الهمداني عن الأوساني معلومات عن قصر تلفم، وانهدام غيل صنعاء، وسبأ، وآل الصوأر وعن حضور، وعدة نصوص عن وادي ظهر وقد يرجع ذالك إلى أن مساكن ذي أوسان بوادي ظهر التي يسكنها أيضًا آل ذي صائد، وبها

بقية من آل ذي ثاجر وآل ذي غامد.

وممن لقي الأوساني وكتب عنه أبو محمد الحكمي، وهو عبدالله بن سليمان الحكمي، قال الهمداني: رويت عن محمد هذا سنة ٣٥٦ وهو من عمره في ثمانين وكتبت عنه، وقتل في سنة ٣٦٠. وأشار الحكمي إلى تصحيحه بعض ما رواه الأوساني وعلق على كلامه وأضاف بعض المعلومات.

سجلات خولان وعلمائها: ذكر الهمداني أن مما لم يأخذه عن أبي نصر سجل خولان القديم بصعدة، وعن علماء صنعاء وصعدة ونجران وخيوان، وما خبرني به الآباء والأسلاف ولصعدة مكانة خاصة في حياة الهمداني، فهو يقول عنها: صعدة وقد سكنت فيها عشرين سنة، فأطلعت على أخبار خولان وأنسابها ورجالها كما اطلعت على بطن راحتي، وقد رأيت سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث في الجاهلية من أخبارهم ما دخل في هذا الكتاب ومما دخل في كتاب الأيام.

وذكر أيضاً علماء صعدة الذين أخبروه أن الأصبغ لم يسلم وعن خروج بني حرب.

وذكر أحمد بن ابراهيم الزعبلي خاله موسى بن هارون البارقي وكان علامة، وروى الخبر عن أسلافه وآل المفضل اللعويون عن أسلافهم، وعلماء الصعديين حيث دخل في بعض إلا ما اختلفوا عليه.

وذكر انه نقل عن علماء خولان بحثًا طويلاً وقصائد، وقال: حدثني نفر من علماء خولان عن أسلافهم. كما قال: قال بعض نساب خولان. دون أن يذكر أسماءهم.

وروى الهمداني عن أحمد بن إبراهيم الزعبلي خبراً واحداً في بعض الحوادث وروى عن محمد بن إبراهيم الزعبلي حديثًا طويلاً عن معاوية(٨)، ولعلهما شخص واحد والخطأ في التسمية.

أتاح طول مقام الهمداني في صعدة له فرصة الإفادة من علمائها إضافة إلى ما أخذه من السجل، وقد ذكر عدداً ممن أفاد منهم ومن أبرزهم ابن أبي الجعد وهو

عريف بني جماعة بن شرحبيل، وقد نقل عنه أربع صفحات (١ / ٣٥٠-٣٥٤) بعضها عن طريق المسلم بن عباد الاكيلي.

ونقل عن عبدالخالق بن أبي الطلح بن محمد الجهور، وكان أحد الفصحاء والعلماء بالأنساب. وكان هو وعبدالله بن محمد بن عباد أشعر أهل اليمن في عصرهما، ونقل له الهمداني قصائد طويلة بعضها في هجاء الأبناء.

ونقل الهمداني عن نفر من علماء خولان عن أسلافهم عن محمد بن عيسى بن المستنير الزبيدي وعن زيد بن مسلمة أخي بني حي وهما من علماء أرض نجد.

رواة آخرون: ونقل عن محمد بن أحمد القهبي السمسار الصنعاني وأدركه شيخًا، قال: حدثني أبي عن عمه وكان صديقًا لعباد بن محمد وكان خبيراً بالسخطيين.

ذكر الهمداني أهل السجل (٢ / ١٣، ٢٥٨، ٢٨٠، ٣١٩) وأصحاب السجل (١ / ١٣٦، ٢٦٣) وبعض وضعه السجل ونساب الهميسع (٢ / ٣٥٥) فهذا ما في السجل (١ / ١٣٣). كما ذكر وقرأت في السجل الأول وسجل خولان وحمير (١ / ١٩٣).

وذكر سجل صعدة وما فيه من كلام عن عروة بن أذينة (٢ / ٣٢٩) وعلماء صعدة من حمير وأصحاب السجل (٢ / ١٦٣)، وذكر ابن قطعة وهو من بعض ورثة السجل (١ / ٣٥٥).

ونقل: قال علماء الصعديين وأصحاب السجل القديم سجل ابن ابان، ولعل السجل الذي أشار إليه في النصوص المشار إليها هو ما قاله عنه انه قرأ في صعدة سجل محمد بن أبان الخنفري المتوارث في الجاهلية من أخبارهم مما دخل في هذا الكتاب ومما دخل في كتاب الأيام.

ذكر الهمداني معلومات وافية عن محمد بن أبان الخنفري، فهو يتحدر من زرعة بن عمرو الذي كان آباؤه (يتولون للتبابع أعمال المعافر ومأرب وحضرموت، ويدخلون في قيالة حمير، وكانت أقوالها تكون في كل عصر

ثمانين قيلاً)، وكان زرعة وابنه حجر من أبرز أقيال سيف بن ذي يزن، وكذالك حريز بن زرعة وابنه ميمون.

وكان محمد بن أبان بن ميمون ولد في ولاية معاوية، وتوفي سنة ١٩٥ ولم يكن في عصر محمد بن أبان مثله نجدة وفصاحة وكرمًا وذمامًا وحسن جوار ولين عريكة مع شدة العارضة، وهما الأنفة وبعد الهمة. وكان شاعراً أورد له الهمداني عدة قصائد.

ومحمد بن أبان هو الذي أخرج بني حرب بن سعد بن سعد إلى قدس ورضوى في الحجاز في سنة ١٣١، وأخرج بني غالب إلى غزوان من جبال مكة، ثم قاوم معن بن زائدة بصعدة وحاربه وأخذ بثأر نمر بن زيد الغالبي.

وذكر الهمداني أنه اعتمد في نسبة اللعويين رواها عن زبور قديم بخط أحمد ابن موسى بن أبي حنيفة المعروف بالديدان عالم أهل البون في عصره، وذكر أيضًا نساب همدان وأعراف الأهنوم.

ونقل أخبار حضرموت عن أبي راشد وكان خبيراً بهم قد سكن بينهم أكثر دهره بالأسفار وقد نقل عنه عن عشائر مهرة وعن الحضارمة، وعن سقطرة، ونقل في حضرموت عن كوبل بن محمد بن كوبل (وكان بهم خبيراً).

وعن نسب الصدف نقل من محمد بن زعاب بن الحارث بن محمد الصدفي ولعله هو المقصود بقوله: قال الصدفيون.

بغداد: الدكتور صالح أحمد العلي

الحواشي:

(١) «الإكليل» ١/ ١٣، و١٠/ ٣٠ و١٠/ ١٧ و١٠/ ١٥.

(٢) «الإكليل» ٨/ ١٠٣، وعن «مسند البون» ١٠/ ١٦، ١١٢.

(٣) «الإكليل» ١٠/ ١٦ و١٠/ ١٩ و١٠/ ١٥.

(٤) «الإكليل» ٢/ ٣٨٥/ ٤٠٥/ ٤٤٤.

(٥) «الإكليل» ١/ ٨، ١/ ١٣.

(٦) «الإكليل» ١/ ١٠/ ٦٤/ ٦٥/ ٦٣ و٨/ ١٠٣.

(٧) «الإكليل» ١٠/ ٢٦٩.

(٨) «الإكليل» ٢/ ١٢١- ١٣٠.

مساهمة (الدوري) في تفسير التاريخ العربي الإسلامي

(١)

[أقامت (مؤسسة عبدالحميد شومان) في عمّان ندوة تكريم للعلامة الجليل الدكتور عبدالعزيز الدوري، في ١١- ١٢/٧/١٤٢٠هـ (٢٠- ٢١/١٠/١٩٩٩م) وخصصت هذه الندوة للحديث عن المحتفى به (إنسانا، ومؤرخا، ومفكرا) وقد شارك أستاذنا الدكتور عز الدين عمر موسى، أستاذ التاريخ الإسلامي، قسم التاريخ، (كلية الآداب، جامعة الملك سعود) بهذا البحث الممتع، الذي ترى مجلة «العرب» في إتحاف قرائها به إسهامًا بالمشاركة في تقدير عالم جليل خدم تاريخ الأمة دراسة ونشرًا بآثاره التي تعد روافد قوية لتطور دراسة ذالك التاريخ، ثم بإمداد قراء هذا البحث الشامل الرصين بأثر جهد متميز لأستاذ من خيرة المعنيين بالدراسات التاريخية في جامعة هي الأولى من جامعات بلادنا].

أدلى كثيرمن العرب المحدثين بدلوهم في وعاء التاريخ الإسلامي، بحثًا في جزئية معينة أو موضوع محدد أو حقبة، تطول أو تقصر، أو إقليم، يضيق أو يتسع... وقليل هم أولئك الذين حاولوا القيام بمسح شامل لمسيرة ذالك التاريخ وربط أجزائه المتناثرة بصورة مشابهة لما أخرجه (كارل بروكلمان) في تاريخه... وهنا تبرز ريادة جرجي زيدان في تمدنه، وفيليب حتي في تاريخه، والشيخ الخضري في محاضراته، وحسن إبراهيم حسن في تاريخه...

وتختلف هذه الأعمال في مناهجها وتصوراتها وطرائقها، ولكنها تشترك في سمة واحدة بارزة، وهي أنها أعمال وصفية... ولئن أعطت صوراً لأحداث ذالك التاريخ، ووضحت جوانب من حضارته، إلا أن كل عمل منها تنقصه المنظومة الفكرية، ويسميها الدوري (المنطلق)[١]، التي تنظر في وحدة ذالك التاريخ، وان اختلفت أحوال فتراته، ومن ثم تعلل وتفسر تحولاته. ومن جاء بعدهم وسعى سعيهم، حذا حذوهم، بصورة غالبة. ولا تختلف مؤلفاتهم في هذا الباب عن أولئك إلا في محاولات لإعادة الترتيب والتقسيم والتفصيل... ولعل خير ما يمثل ذالك أعمال كل من أسعد طلس وأحمد شلبي.

ومن ثمَّ لا تجد عند المؤرخين العرب المحدثين جهدًا يماثل ما قام به (برناد لويس) في مؤلفه «العرب في التاريخ»... فهو كتاب صغير الحجم، محكم

البناء، فيه محاولة لتفسير ذالك التاريخ في استمراريته وانقطاعاته، في استقراراته وتغيراته، في صعوده وهبوطه... فهو سعي لإعطاء صورة شاملة مترابطة عن تاريخ العرب في فصوله المختلفة والعوامل الفاعلة فيه، فهو جهد مقدر، قد تتفق أو تختلف معه.

والغريب أن المذاهب الفكرية الغربية التي أثّرت في الحياة العربية المعاصرة تأثيراً كبيراً لم تفعل فعلها في تفسير التاريخ الإسلامي إلا في محاولات جزئية في موضوعات معينة، صنيع تناول (بندلي جوزي) للحركة الفكرية في الإسلام. ويبدو أن هذه الظاهرة ترجع إلى ثلاثة عوامل رئيسة:

أولاً: إن رواد الصناعة التاريخية الحديثة والمعاصرة قد جددوا مناهجهم وطرائق بحثهم وأساليبه، نتيجة الانفتاح على الدراسات الغربية، خاصة الاستشراقية، ولكنهم تقوقعوا في ميادين تخصصاتهم الدقيقة؛ موضوعًا أو زمانًا أو مكانًا، فأبدعوا في دراساتهم المحدودة، وغدوا أعلامًا فيها، وحسبك أن تذكر رجالاً في قامة أسد رستم وجواد علي ومحمد مصطفى زيادة وحسين مؤنس وصالح أحمد العلي ومحمد الفاسي وأضرابهم، على اختلاف في مدى اهتمامهم بما يربط ذالك التخصص بما قبله أو بعده والمناطق التي حوله... ولكنهم جميعًا ما استبصروا قضية الاستمرارية في التاريخ الإسلامي أو ترابط حلقاته وتداخل مناطقه وأجزائه، لهذا لم يحفلوا بالبحث عن الصورة الشاملة فضلاً عن تعليلها، أو قل إن بعضهم، ولعل أغلبهم، لم يعتبر ذالك من صناعته.

ثانيًا: تزامن عصر الانفتاح في الصناعة التاريخية عند العرب المحدثين مع بزوغ عصر الثورة الوطنية الذي استمر إلى بعيد الحرب الكونية الثانية، فكرس الاهتمام بالتاريخ الوطني وأكده، فجاء معظم الدراسات العلمية الجادة محلية الاهتمام، وطنية الصبغة... وزاد قيام الجامعات الوطنية هذا التوجه رسوخًا، ولا يحدث تعدية إلا على استحياء، ومع مقاومة من دعاة التاريخ الوطني أو الإقليمي المحدود، وذالك لسد الحاجة التدريسية في كثير من الحالات. ولا تظهر

محاولات تركيبية شاملة في التاريخ الوطني وتفسيره إلا نادراً، من هذا جهد عبدالله العروى في التاريخ المغربي.

ثالثاً: تميز النصف الثاني من القرن الحاضر بانتصار التيار القومي سياسيًّا ثم انحساره، وبلورة الصحوة الإسلامية واستمرارها... بيد أن التيارين لم ينتجا عملاً جاداً في مجال كتابة التاريخ الإسلامي وتفسيره، قوميًّا أو إسلاميًّا، مع علو الصيحة عند الفريقين لإعادة كتابة تاريخ (الأمة). وقد لاحظ الدوري هذه الظاهرة قبل أكثر من أربعة عقود[٢]، وهي لا تزال قائمة. وهذا ليس بمستغرب، فقد نظر أغلب أهل التيار الأول إلى التاريخ عباءً إلا من استلهام بطولاته، ورآه أهل التيار الآخر بلا شوائب، فأرادوا الاعتصام بآثاره والاستنارة بهديه، فالواجب إحياؤه. ومواقف التيارَيْن متناغمة من الرؤى السياسية التي وجهتهم والقائمة على الشعارات لا الدراسات المنهجية... لأن العمل عندهم سابق للفكر... ولهذا لم تجر بحوث تهدف إلى معرفة كيف تكونت الأمة، وكيف تبلورت خصائصها، وما هي مكامن القوة والضعف في مسيرتها، استبصاراً لمعرفة حاضرها وتشوفًا لرسم صورة لمستقبلها. وهذا، بلا ريب، هو عمل مؤرخ مفكر منحاز، لا جماع روايات، ولا محقق جزئيات، وإنما يتعدى كل هذا إلى سبر غور الحقائق محاولاً فهم صيرورتها النهائية والعوامل الفاعلة فيها ليكشف للأمة ذاتها... وما هذا إلا لأن هناك فرقًا كبيراً بين المؤلف عامة والمؤرخ خاصة وبين المفكر. فالمؤلف هو نتاج عصره... والمفكر هو من يتجاوز عصره، بتجاوزه ركام الماضي وأتراحه وأشواقه، وتخطيه غيوم الحاضر وفوراته، وكشفه آفاق المستقبل الآتي وإشراقاته...

وكان عبدالعزيز الدوري مؤرخاً مفكراً لا مؤرخًا فحسب، فلم تأسره اللحظة المعاشة فينفعل بها، شأن الأديب الفنان، أو السياسي الحزبي الذي يبتغي الكسب الأني، ولكنه انفعل معها وفعل فيها شأن المؤرخ المفكر، فسعى من خلال أبحاثه المتعددة وجهوده التعليمية المتنوعة أن يدرس التاريخ العربي

الإسلامي بحثًا عن تكوين الأمة، فبحث عن وعيها لذاتها ثم تشكيلها لهويتها... وهنا يبرز تفرد الدوري مؤرخًا مفكرًا وتميزه.

لعله من المفيد الإشارة إلى أن الدوري، ومنذ وقت مبكر في تطوره الفكري، كان متيقظًا إلى خطورة الأخذ بنظرية من نظريات تفسير التاريخ الغربية وتطبيقها على تاريخ صدر الإسلام، لأنها (جميعًا ترتبط بظروف المجتمعات الغربية وبتطورها، وإنه ليس من الدقة أن نأخذها مجردة عن ظروف نشأتها). وفي رأيه إن مثل هذه المحاولة إن هي إلا محاولة لتبرير وتأييد تلك النظرية، وفي آثار التاريخ وسجله متسع لذالك، ولكن مثل هذا العمل يكتب التاريخ الذي نريده لا الذي كان... ولهذا يذهب إلى أن المنهج السليم (أن ننظر إلى التاريخ بذهن مفتوح، وأن نحاول استقراءه للتوصل إلى النتائج). ثم ينبه إلى (أن الإنسان جزء من مجتمع له مشاكله وثقافته وتياراته، وإرثه الحضاري، وهذه كلها تؤثر في تفكير المؤرخ، ولعلها تكون لديه بعض الفرضيات والمفاهيم العامة). ثم يضيف إلى ذالك خصوصية تاريخ الأمة المبحوث، فطبيعة هذا التاريخ (قد تختلف عن طبيعة تاريخ أمة أخرى، فتتطلب فرضيات تنبثق عنه مما لا يصدق على التاريخ الآخر)(٣). وعلى هذا فإن أي محاولة لفهم تفسير الدوري للتاريخ العربي الإسلامي ينبغي أن تتبع استقراءه لذالك التاريخ، والنظر في التيارات المعاصرة التي أثرت في تكوينه الفكري ومنها انبثقت تصوراته ومفاهيمه ومصطلحاته في تناول ذالك التفسير.

يبدو أن الدوري بدأ مؤرخًا في حضن الصناعة التاريخية المتخصصة المتأثرة بالوطنية والمحلية، وتبدى ذالك في بحثه «تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري». وأصله رسالة دكتوراه أنجزت بالإنجليزية في سنة ١٩٤٢م، وعربت دون تغيير ونشرت لأول مرة عام ١٩٤٨م، وأبقى في طبعته الثانية (عام ١٩٧٤م) أساس الدراسة كما وضع أول مرة مع أنه أضاف معلومات جديدة من المصادر والدراسات التي ظهرت بعد ذالك.

وكان في هذا البحث مؤرخًا متخصصًا صارم المنهج، مستقصٍ مصادره، محللاً معلوماته، مجليًّا للحقائق التاريخية الاقتصادية المفردة من مظانها المتناثرة، راسمًا صورة النشاط الاقتصادي في عراق القرن الرابع الهجري بصورة غير مسبوقة، ولا تزال هي الوحيدة في بابها زمانًا ومكانًا على الرغم من مضي أكثر من خمسة عقود على كتابتها لأول مرة.

غير أن الدراسات عانت، بصورة عامة، من عدم ربط الحقائق المفردة التي توصل إليها البحث مع بعضها لإعطاء صورة شاملة متكاملة عن عراق القرن الرابع الهجري، وكيف تبلورت فيه المتناقضات الاقتصادية... إذ كيف تزدهر الجهبذة والصيرفة في وقت انهار فيه النظام النقدي؟ وكيف يكون (التغيير في الأسعار محدودًا نسبيًا مما يشعر بشيء من الاستقرار في مستوى المعيشة)[٤]، وفي الوقت ذاته تكون هناك ثورات للعمال (لدرجة لا سابق لها)[٥]؟ وأين الشريحة الاجتماعية والوسطى؟ وماذا تمثل ظاهرة إخوان الصفا في الأزمة التي واجهت تلك الشريحة؟ وكيف يشهد العراق تمكن الاقطاع العسكري الذي كرس التجزئة السياسية وعمق الأزمة الاقتصادية، وعرى أزمة الخلافة العباسية ثم تبلغ الحضارة الإسلامية أوجها الذي بينه (آدم متز) عن القرن ذاته في المنطقة عينها؟!

وبلا ريب إن حل هذه المعضلات يتطلب النظر إلى الحقائق المفردة من خلال خط التطور العام للتاريخ الإسلامي، وهو عمل المؤرخ المفكر... ويبدو أن الدوري وقتها أراد أن يكون مؤرخًا متخصصًا، غير أن حسه النقدي، وتكوينه الثقافي وتركيب بيئته العراقية فرضت عليه شيئًا قليلاً من روح المؤرخ المفكر، تجلى في مناقشته للعوامل التي أثارت العمال[٦] وفي تحديده للضرائب وأنواعها[٧]... ولكن ذالك لم يتطور إلى ضرورة ملحة لفهم مشكلة قرن الدراسة ومكانها من خلال مسيرة التاريخ الإسلامي العام... غير أن ذالك سينمو مع الزمن، ويشكل ركنًا أساسيًّا في تفسيره للتاريخ الإسلامي، ومصاحبًا

لمسألتين أخريتين ؛ قضية المصادر وما تمثله من تيارات، وقضية دراسة التاريخ دراسة شاملة لجميع نواحي الحياة الإنسانية، فلا يتتبرس المؤرخ في التاريخ السياسي العسكري، ولا ينحصر في دراسة الدول والحكام دون النظر لشرائح المجتمع الأخرى... وهذه المسائل الثلاث ستلح عليه من خلال دراساته لعصور أخرى من تاريخه المحلي الوطني.

ويبدو أن دراسته للتاريخ العباسي وتدريسه عقب رجوعه من لندن إلى بغداد أكسبه في فترة وجيزة روح المؤرخ المفكر، خاصة وأن له قابلية لذالك، بما يثيره مع نفسه من تساؤلات، كما أن بيئة العراق الفكرية والسياسية وقتذاك مسعفة على التفكر فيما كان، وما هو كائن، وإلى أين المآل؟!! وهذه هي الفترة التي أصدر فيها مؤلفيه «العصر العباسي الأول» و«دراسات في العصور العباسية المتأخرة» في عام واحد، هو سنة ١٩٤٥م...

وجاءت معالجته للعصر العباسي الأول تقليدية من حيث تناوله التاريخ وفقًا لتعاقب الخلفاء، وكأن عصر كل خليفة وحدة قائمة بذاتها، وهو المنهج الذي درج عليه المؤرخون العرب المحدثون في بدايات الاهتمام بإعادة كتابة التاريخ الإسلامي، من لدن الشيخ الخضري. واختلف الدوري عنهم في قدرته على التحليل والتعليل والتركيب، فجاء بآراء جديدة في المسائل الجزئية التي درجوا على معالجتها، مثل صنيعه مع أوضاع الموالي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومبادئ الدعوة العباسية وتنظيماتها والمهدي والزندقة وحقيقة العلاقات بين الرشيد و(شارلمان) ونكبة البرامكة. واللافت هنا تمكنه من الصناعة التاريخية، فالحقائق المفردة التي توصل إليها ما جاءت حقائق جديدة إلا عضدتها، وما ظهرت دراسات جديدة إلا أكدتها[٨].

والراجح أنه شعر بأن مثل هذا المنهج، مع فوائده تلك، لا يساعد على تكوين صورة شاملة للعصر، ولا في معرفة التيارات التي صنعت أحداثه ووجهتها، ولا دراسة كافة الجوانب الحضارية متكاملة بما يسعف في إدراك

الترابط والاستمرارية في تاريخ عصر الدراسة... وحاول أن يسد بعض الخلل بعدد من الطرائق:

أولاً: وضح الجوانب الحضارية من إدارية ومالية في ختام بحثه لعصر كل خليفة لإدراك شيء من الشمولية. وعقد فصلاً عن الضرائب في العصر كله لتبيان الخط المتصل في تطور هذا الجانب من الإدارة المالية، وتوقف أحياناً غير قليلة عند مناقشة الخلفية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للشرائح الاجتماعية، مثل الموالي، أو الحركات والتيارات الفارسية.

ثانيًا: حرص على تبيان الصلة بما كان في عصر الدراسة وما كان قبله وما جاء بعده، لتوضيح الاستمرارية في مسيرة التاريخ، فكتب فصلاً ناقش فيه معنى الانتقال من الأمويين إلى العباسيين، وأوضح أن مجرد مجيء العباسيين لا يعني انقطاع في التطورات الحضارية، فقد ساروا على نظم الأمويين نفسها في الضرائب والإدارة المحلية والدواوين والجيش والوزارة، وتمم العصر العباسي الأولى الفترة الأموية من الوجهة الثقافية، وظلت السيادة العليا للعرب وإن فقدت قبائلهم امتيازاتها. واهتم بتتبع جذور بعض ظواهر العصر، مثل الحركات الفارسية، لاسيما حركة الغلو، ونظر إلى فترة المعتصم كمرحلة انتقال من عصر إلى آخر، فبيّن استمرار مظاهر العصر الأول وبدايات العصر التالي.

ثالثًا: وقف عند بعض المسائل التي ستشكل، فيما بعد، ركائز رئيسة في تفسيره للتاريخ العربي الإسلامي عندما ينظر نظرة شاملة لمسيرة ذالك التاريخ كله، فقد فنّد الرأي القائل إن (دولة بني العباس أعجمية خراسانية، ودولة بني مروان أموية عربية)، وأوضح أن الأولى أممية إسلامية والثانية عربية؛ لأن سلطان العرب لم ينته بسقوط الأمويين، فالخلفاء عرب هاشميون، يعتزون بنسبهم، ولئن قربوا الفرس فإنهم قد نكلوا بهم كلما تعاظم نفوذهم، وإذا أعطوهم المناصب الهامة فقد استخدموا عدداً كبيراً من العرب ولاة وقادة...

كما ظلت اللغة العربية لغة السياسة والثقافة والأدب، وظل النسب العربي والولاء العربي مصدري فخر[٩]. وألمح إلى تضافر الزندقة والشعوبية لإضعاف الإسلام تمهيداً لضرب العرب[١٠].

وهذه الوقفات، على اقتضابها، وإن لم تتبلور في نظرة تفسر التاريخ العباسي وتضعه في مجرى التاريخ العربي الإسلامي العام إلا أنها تدل دلالة واضحة على قوة حس المؤرخ المفكر عند الدوري في تلك المرحلة المبكرة من تطور فكره التاريخي، وهي إشارات ستسعفه كثيراً في بلورة مفهومه الشامل في تفسير التاريخ العربي الإسلامي في سائر مراحل تكون ذالك المفهوم.

ثم خطى بذالك المنهج القائم على الشمولية والاستمرارية خطوات أبعد في كتابه الآخر، المكمل للأول من حيث تناول الفترة العباسية، وهو «دراسات في العصور العباسية المتأخرة» (١٩٤٥م). ومع أنه قد سار على المنهج التقليدي في تناوله للفترة من الواثق إلى المهتدي والإمارات الفارسية وخلافة المقتدر، إلا أنه كان يعي ضرورة الدراسة الشاملة التي تتعدى الشخصيات والحوادث إلى فهم العوامل والتيارات؛ الظاهرة والخفية، التي صنعت الحوادث وشكلت الشخصيات، حتى يتاح النظر إلى كل ذالك في سلسلة مترابطة توضح مسيرة التطور واتجاهاته في العصور العباسية متكاملة. فقدّم بين يدي كتابه مقدمة ضافية، موضحاً فيها العوامل والتيارات التي انتظمت تاريخ العصور العباسية المتأخرة، وصبغتها بصبغتها، وشكلت أحداثها، وحددت اتجاهاتها. وربط بين العصور العباسية، أولها ومتأخرها، وأبرز عوامل الضعف التي كانت كامنة في طور القوة ولكنها لم تفعل فيها إلا في وقت انحلالها.

لهذا كله، درس العوامل الجغرافية: اقتصادية وطبيعية، والتركيب السكاني والأوضاع الاجتماعية والحياة الفكرية في تكوين الظاهرة التاريخية في عصر دراسته. وتجلى ذالك في معالجته للحركات السياسية المناهضة للخلافة؛ مثل

ثورة الزنج وحركة الإسماعيلية والقرامطة وظاهرة البويهيين الذين قهروا الخلافة وأسروها حوالي قرن من الزمان. ومن ثم استطاع أن يضع حركات التطرف والغلو في موضعها من خط التطور العام للتاريخ الإسلامي، ووضّح أنها لا تظهر نتيجة لفعل شخص بعينه وإنما تكون تيارات هامة فاعلة عندما تواتيها الظروف، وتلبس ثوب الدين تمويهاً وتعمية على العامة.

ومن هنا تنبه إلى ضرورة فهم العصر العباسي كله في سياق التاريخ الإسلامي من خلال دراسة شاملة للبدايات. ثم جاءت فترة اهتم فيها بذالك، فأثمرت كتابه «مقدمة في تاريخ صدر الإسلام». وهو خلاصة (آراء وملاحظات عرضت له منذ ١٩٤٣م إلى ١٩٤٩)[١١]، وبه ومعه بدأت فترة التحول من تاريخ القطر إلى تاريخ الأمة... ومن دور المؤرخ المتخصص إلى دور المؤرخ المفكر، وتشكلت فيه نظرته لتفسير تاريخ صدر الإسلام.

(للبحث صلة)

جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم التاريخ، د. عز الدين عمر موسى

الحواشي:

(١) «كتابة التاريخ العربي»، المستقبل العربي، بيروت، أيلول ١٩٩٢م، السنة ١٥، العدد ١٦٣، ص٩.

(٢) «التاريخ والحاضر»، تفسير التاريخ، عبدالعزيز الدوري وآخرون، بغداد، مكتبة النهضة، د.ت.، ص١٠- ١١.

(٣) المرجع نفسه ص ٦- ٧؛ ومع أن هذا القول قد يرجع إلى فترة تالية لكتابة مؤلفه مقدمة في «تاريخ صدر الإسلام» (١٩٤٩م) إلا أن هذا هو المنهج الذي اتبعه في المقدمة.

(٤) «تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع»، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٤م، ص ٢٣٦.

(٥ و٦) المرجع ذاته، ص ٧٩ وما بعدها.

(٧) المرجع ذاته، ص ١٧٥ وما بعدها.

(٨) انظر مثلاً آراءه حول طبيعة الدعوة العباسية وما تمثله في كتابه «العصر العباسي الأول»، بغداد، منشورات دار المعلمين، ١٩٤٥م، وقارنها بما ورد في مقاله (ضوء جديد على الدعوة العباسية)، «مجلة كلية الآداب والعلوم»، بغداد، ١٩٥٧م. وقارن ذالك كله بما توصل إليه فاروق عمر فوزي في دراسته عن طبيعة الدعوة العباسية.

(٩) «العصر العباسي الأول»، ص ٣٦- ٣٧.

(١٠) نفسه، ص ٩٠- ٩١.

(١١) «مقدمة في تاريخ صدر الإسلام»، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠، التصدير والإهداء.

ديوان الرحالة ابن جبير

جمع وتحقيق د. منجد مصطفى بهجت

صدر للباحث العراقي الدكتور منجد مصطفى بهجت مجموع شعر الرحالة الأندلسي وسمه بـ«ديوان الرحالة ابن جبير»، وما وصل إلينا من شعره: جمع وتحقيق ودراسة[١]. وهو عمل محمود مادام ديوانه الشعري الكامل لم يصل إلينا بعد، وعسى أن تجود به الأيام كما جادت بكثير من كتب تراث أمتنا في الفردوس المفقود.

والأستاذ منجد سبق أن صدرت له مجموعة من البحوث والمؤلفات في الأدب الأندلسي مما جعله على اطلاع واسع بهذا الأدب، تحقيقًا ودراسة[٢]. بالإضافة إلى ذالك أن الباحث سبق له أن نشر مجموعة من أشعار ابن جبير منذ مدة تزيد على عشرين سنة[٣]، مما يدل على استقصاء وتأن قبل إصدار هذا الديوان، ويوضح ذالك قوله: (وبعد أن بحثت عن مظان ديوان ابن جبير في فهارس كتب المخطوطات ولم أعثر عليه تتبعت أشعاره وتقرّيتها فيما تيسر من مصادر أندلسية ومشرقية مخطوطة ومطبوعة، وعزمت على إخراجها جاريًا في ذالك على مذهب صناع الدواوين في عصرنا، ولم أجد بأسًا من تسميته بالديوان ما دام أكبر مجموع شعري له)[٤]. ويؤكد هذا استغلاله كافة المصادر التي اهتمت بأدب ابن جبير، المطبوعة منها خاصة، حتى بلغت ثمانية وستين مصدرًا ومرجعًا، المخطوط منها والمطبوع.

والعمل يتكون من مقدمة ودراسة فمجموع الشعر، لتعقبها مجموعة من الفهارس. وقبل ذلك قدم الديوان الباحث العراقي المشهور الدكتور عماد الدين خليل بمقدمة شبيهة بمقالة نقدية مركزة لشعر ابن جبير في سبع عشرة صفحة، وإثرها أتت مقدمة المحقق التي بين فيها الدوافع التي كانت وراء إقدامه على صناعة ديوان الشاعر بعد مدة تزيد على عقدين من الزمن، كما بين

جهود الباحثين في جمع شعر الرجل، مشيراً بالخصوص إلى عمل الأستاذ فوزي الخطبا الموسوم بـ«شعر ابن جبير: جمع وتحقيق وتقديم» الصادر عن دار الينابيع للنشر والتوزيع سنة ١٩٩١م. فهذا العمل جاء ناقصًا في مادته الشعرية بالنسبة للذي يقدمه المحقق، على حد قوله(٥). كما أوضح منهج تحقيقه ودراسته، ومصادر الشعر الذي يقدمه.

أما الدراسة فقد شملت حياة ابن جبير وسيرته ورحلته وأدبه، شعراً ونثراً، في حجم خمسين صفحة.

وإثر ذالك يأتي القسم الثاني الذي خص به ديوان الشعر المتكون من خمس وثمانين قطعة من القصائد المطولة والمقطوعات والمقطعات والنتف الشعرية، عدتها زهاء خمس مئة بيت.

وفي الأخير ختم عمله هذا بمجموعة من الفهارس التي تعد المفاتيح الأساسية في كل عمل علمي يتسم بالجدية والضبط.

ولأهمية هذا العمل العلمي الهام قررت أن أستدرك عليه ما فات المحقق الكريم من أشعار ابن جبير، التي وردت في مصادر لم يطلع عليها، وعدد القطع التي جمعتها تصل إلى سبع عشرة، فيها القصيدة الطويلة والمتوسطة والمقطعة القصيرة، عدة مجموعها واحد وخمسون ومئة بيت، وهو ما يمثل زهاء ثلث الشعر الوارد في الديوان المصنوع. وهذه الكمية قمينة بأن تضاف إلى المجهود الذي بذله الدكتور منجد، عسى أن يضيفه إلى عمله عند إعادة طبع الديوان، لتكون الصورة أكثر وضوحًا لدى دارس شعر ابن جبير.

وقد استقيت هذا الشعر من مصدرين هامين هما: «كنز الكتاب» الذي ظهر حديثًا، حققته الباحثة الدكتورة حياة قارة وقدمته موضوعًا لأطروحة (الدكتوراه)(٦). ومجموع ما استخرجت منه من الشعر الذي لم يرد في نشرة الأستاذ منجد قطعتان، عدتهما تسعة أبيات..

أما المصدر الثاني هو مخطوط «أعلام مالقة» لابن عسكر وابن خميس، وكنت قد استخرجت منه جميع أشعار ابن جبير، ولما اطلعت على الديوان المطبوع اكتفيت بالاحتفاظ بما لم يرد فيه. وصادف تحرير هذه المقالة ظهور هذا المخطوط محققًا ومطبوعًا في هذه الأيام(٧) مما جعلني أراجع هذا الشعر في ضوئه، واعتمده في الإحالات - زيادة على المصدر الأصلي - بعد أن أصبح في متناول المهتمين والقراء.

وفي آخر هذه الكلمة أهدي هذا العمل تحية إخاء ومحبة إلى أخي الدكتور منجد مصطفى بهجت الذي لم يتوقف قلمه عن الاهتمام بتراث الفردوس المفقود، رغم وجوده بديار الغربة بعيدًا عن أهله ووطنه.

الشعر المستدرك:

(١) ومن شعره [طويل]:

وَيَوْمٍ تَضُوعُ الشَّمْسُ حَلْيًا بِحُسْنِه ... تُفَضِّضُهُ طَوْرًا وَطَوْرًا تُذَهِّبُ

تُرِيه كَحَلْيٍ مُشْرِقِ الْوَجْهِ في الضُّحى ... وتُضْمِرُ شَجْوًا في الأصِيلِ فَيَنْحبُ

تَبَسَّمَ عَنْ ثَغْرِ الْعَشِيَّةِ مِثلَ ما ... جَلا صُفْرَةَ المِسْوَاكِ أَلْعَسُ أَشْنَبُ

تَجَلّي بِهِ غُصْنٌ تَطَلَّعَ بِشْرُهُ ... فقُلْنا أيَبْدو الصُّبْحُ، والشَّمْسُ تَغْرُبُ

وقد قابَلَتْنا مِنْ سَجاياه نفحَةٌ ... أَنَمُّ مِنَ الْمِسْكِ الْفَتيقِ وأَطْيَبُ

شَمائِلُهُ تُزْهَى الشَّمُولُ بطيبِها ... وما خِلْتُ أنَّ الرَّاحَ بالرَّاحِ تعجبُ

تُدارُ (؟) عَلَيْنا بالكُؤوسِ كَواكِبٌ ... إذا غابَ مِنْها كَوْكَبٌ لاحَ كَوْكَبُ

فَنَشْرَبُها في وِرْدِهِ وَهْيَ عِنْدَنا ... أَلَذُّ مِنَ الْعَيْشِ الْهَنِيِّ وأَعْذَبُ

بِمَجْلِسِ أُنْسٍ وَدَّتِ الشَّمْسُ لَوْ تَرَى ... كُؤُوسًا بِها بَيْنَ النَّدامى فَتَشْرَبُ

يُذَكِّرُنا دارَ النَّعيمِ بِحُسْنِه ... يُعيدُ شَبابَ الْمَرْءِ وَالْمَرْءُ أَشْيَبُ

مَحَبَّتُنا أَضْحَتْ إِلَيْهِ وَسيلَةً ... فَتُدْني إلى مَرْضاتِهِ وَتُقَرِّبُ

«أعلام مالقة» المخطوط، الورقة: ٥٥، المطبوع: ١٤١ - ١٤٢.

(٢) ومن شعره يرثي : [طويل]

رأى الْحُزْنُ مَا عِنْدِي مِنَ الحزنِ وَالْكَرْبْ ... فَـرُوِّعَ منْ حَـالي فَلمْ يَـسْـتَـطِعْ قُـرْبِي
وَأظْهَـرَ عَـجْـزًا عَنْ مُـقَـاوَمَـةِ الأسَى ... وأيقن أنَّ الخطْبَ أعْظَمُ مِنْ خَطْبِي
وقال التمسْ غَيْري لِنفْسِكَ صَاحِبا ... وَقُلْ للرَّدى حَسْبِي، بَلغْتَ الْمَدَى، حسبي
فَقُلْتُ وَهلْ يَكْفِينِي الْوَجْدُ صَاحِبًا ... وَكَيْفَ وَمَا بي قَدْ تَعدّى إلى صَحْبِي
فَلمّا انْتَهَتْ بِي شِدَّتِي في مُصِيبَتِي ... وَبَرَّحَ بِي يَأْسِي رَجَعْتُ إِلى رَبِّي
فَاسْتَنْشَقْنَ رَوْحَ الرِّضَى بِقَضَائِهِ ... فَنَادَيْتُ يَابَرْدَ النَّسِيمِ على قَلْبِي
إلى اللهِ أشْكُو بالرَّزَايَا وَفِعْلَها ... فَقَدْ كَدَّرَتْ شِرْبِي وَقَدْ رَوَّعَتْ سِرْبِي
سَلِ اللَّيْلَ عَنِّي هَلْ أمنْتُ إلى الْكَرَى ... فَكَيْفَ وَأَجْفَانِي مَعَ النَّوْمِ في حَرْبِ
وَقَدْ رَقَّ لي حَتَّى تَفَرَّى أديمُهُ ... وَأَقْبَلَ يَبْكِينِي بَأَنْجُمِهِ الشُّهْبِ
لِحَالِي أَبْدَى الرَّعْدُ أَنَّةَ مُوجَعٍ ... ولي الْبَرْقُ شَعَّ في التَّرامي مَعَ السُّحْبِ
وَلِي لبسَ الْجَوُّ الْحِدَادَ بِدُجْنَةٍ ... وَأسْبَلَ دَمْعَ الْقَطْرِ سَكْبًا عَلى سَكْبِ
ومِنْ أجْلِ مَا بِي أبْدَتِ الشَّمْسُ بِالضُّحَى ... شُحُوبَ ضَنًى قَبْلَ الْجُنُوحِ إلى الْحَجْبِ
عَلَى وَاحِدٍ قَدْ كَانَ لي فَفَقَدْتُهُ ... عَلى غِرَّةٍ فَقْدَ الْجَوَانِحِ لِلْقَلْبِ
فَحُزْنِي عَلَيْهِ جَاوَزَ الْحَدَّ قَدْرُهُ ... وَلاَ حُزْنَ يَعْقُوبٍ وَيوسُفَ في الْجُبِّ
وَأكْثَرُ إشْفَاقِي لأمٍّ حَزِينَةٍ ... مُقَسَّمَةٍ بَيْنَ الأسَى فِيهِ وَالْحُبِّ
وَأذهلَهَا عَنْ حَالِهَا فَرْطُ وَجْدِهَا ... عَلَيْهِ وَقَدْ يُسْتَسْهَلُ الصَّعْبُ للصَّعْبِ
بُنَيَّ أجِبْهَا فَهْيَ تَدْعُوكَ حَسْرَةً ... وَأدْمُعُهَا تَنْهَلُّ غَرْبًا عَلى غَرْبِ
بُنَيَّ أحَقًّا صِرْتَ رَهْنَ يَدِ الْبِلَى ... وَنَهْبَ الثَّرَى أمْسَيْتَ، يَالكَ مِنْ نَهْبِ!
بُنَيَّ عَسَاهَا نَوْمَةٌ، فَانْتَبَاهَةٌ ... فَكَمْ ذا أنادي الْعَيْنَ : طَالَ الْكَرَى تَعْبي

بُنَيّ أعِرْني مِنْ مَنامِكَ خلْسَةً ... لعلِّي أنْ ألقى مُناي مِنَ الْغَيْبِ
بُنَيَّ أرِحْني بالإجَابَةِ مُخْبِرًا ... فقَدْ كُنْتَ ذا رَأْيٍ، فما لكَ لا تُنْبي
بُنَيَّ وفي طَيِّ الْحَشا كُنْتَ ثاويًا ... فكَيْفَ سَخَتْ نَفْسي بدفْنِك في التُّرْبِ
فلا غَرْوَ أنْ أضْحى لكَ الْغربُ مَدْفنًا ... فإنَّ مَغيبَ الشَّمْسِ وَالْبدْرِ في الْغرْبِ
لقَدْ هَصَرَتْ كفُّ الْمَنُونِ إلى الْبلى ... قَضيبَ شَبابٍ كانَ منْ أنْضرِ الْقُضْبِ
فَيَا غُصُنًا حَقَّتْ أزاهِرُ حُسْنِه ... تُحلِّيكَ أجْفَاني بلُؤْلُؤها الرَّطْبِ
وَيا أحْمَدُ الْمَحْمُودُ قَدْ كُنْتَ مُشْبِهًا ... بطيبِ الْخِلالِ الْحُلْوِ والْبَارِدِ الْعَذْبِ
لآلِ جُبَيْرٍ فيكَ أيُّ فَجِيعَةٍ ... فَمَا مِنْهُمُ مَنْ يَسْتَفِيقُ مِنَ الْكَرْبِ
وَقَدْ كُنْتَ وُسْطى الْعِقْدِ فيهِمْ فَرُبَّما ... نَقَضْتَ، فَصارَ الْعِقْدُ مُنْتَثِرَ الْحَبِّ
وَكَمْ خَالةٍ أمْسَتْ عَلَيْكَ بِحالةٍ ... مِنَ الْحُزْنِ ما تَنْفَكُّ ذاهِلةَ اللُّبِّ
وأبْنَاءِ خالاتٍ تُسَقِّيهِمُ الأسَى ... كُؤُوسًا وَهُمْ حَتَّى إلى الآنَ في الشُّرْبِ
وَصَاحِبَةٍ قَدْ كُنْتَ صَبًّا بِذِكْرِها ... وَكُنْتَ لها حِبًّا، وَناهيكَ مِنْ حِبٍّ
فَأنَّتْ وَهامَتْ فيكَ بالوَجْدِ وَالأسَى ... وَحُقَّ لها فالصَّبُّ يُفْجَعُ بالصَّبِّ
وَراحَتْ بأثوابِ الْحِدادِ وَطالَما ... لها كُنْتَ تَسْتَخْفي الْحَريرَ مَعَ الْعَصْبِ
وَكَمْ أجْنَبِيٍّ فيكَ قَدْ باتَ ساهِرًا ... تُقَلِّبُهُ الأفْكارُ جَنْبًا إلى جَنْبِ
رُزِقْتَ قَبُولاً ما سَمِعْتُ بِمِثْلِه ... فَهَذا على هَذا بإشْفاقِه يُرْبي
وكُنْتَ وَصُولاً لِلْقَرابَةِ جَارِيًا ... لمَرْضاتِهِمْ، بَرًا بَرِيئًا مِنَ الْعُجْبِ
مُجِدًّا إذا كُلِّفْتَ أمْرَ مُلِمَّةٍ ... مَضَيْتَ مَضاءَ السَّهْمِ وَالصَّارِمِ الْعَضْبِ
جَوَادًا كَريمَ النَّفْسِ تَلْتَذُّ بالنَّدى ... فَتَسْخُو وَلا تُخْفي، وتُحْيي وَلا تَجْبي
حَريصًا على نَيْلِ الْمَعالي بِهِمَّةٍ ... كَسَبْتَ بِها مِنْ ذُخْرِها أفْضَلَ الْكَسْبِ
وَكَانَتْ لَكَ الآدابُ رَوْضَةَ نُزْهَةٍ ... وَكُنْتَ مُحِبًّا في مُطالَعَةِ الْكُتْبِ

تُفَتِّقُ زَهرَ النَّثْرِ في الطِّرْسِ يَافِعًا وتَنْظِمُ دُرَّ الشِّعْرِ نَظْمًا بِلا تَعْبِ
وَمَا زِلْتَ بالهَدْيِ الْجَمِيلِ وَبالحِجا مُعِزًّا لأهْلٍ في الْبِعَادِ وفي الْقُرْبِ
وَزَادَ على الْعِشْرِينَ سِنُّكَ أرْبَعًا فَعَاجَلكَ الْحَيْنُ الْمُقَدَّرُ بالذَّنْبِ
شَهِيدًا بِطاعُونٍ أصابَكَ بَغْتَةً كَمِثْلِ شَهِيدِ الطَّعْنِ في ساحَةِ الضَّرْبِ
وكُنْتَ غَرِيبًا فاسْتَزَدْتَ شَهَادةً لأُخْرَى كَبُشْرَى سَيِّدِ الْعُجْمِ والْعُرْبِ
أطِلْتَ مَغِيبًا ثُمَّ جِئْتَ مُوَدِّعًا إلى سَفَرٍ يَدْنُو مُدلاً عَلى الرَّكْبِ
ولَمْ أشْفِ مِنْ لُقْيَاكَ قَلْبِي فَلَيْتَنِي لِبَرْحِ اشْتِيَاقِي لوْ قَضَيْتُ بِهِ نَحْبِي
وَعُقْبَاكَ بَعْدِي كُنْتُ أرْجُو بَقَاءَها زَمانًا لِيَبْقَى مِنْ بَنِيكَ بِهَا عَقْبِي
رَضِيتُ بِحُكْمِ اللهِ فِينا فَإنَّمَا نُقِلْتَ لِحِزْبِ اللهِ بُورِكَ مِنْ حِزْبِ
وَإنِّي لَراضٍ عَنْكَ، فَابْشِرْ، وبالرِّضَا أرَجِّي لكَ الزُّلْفى ومَغْفِرَةَ الذَّنْبِ
فَجَادَتْ عَلى مَثْواكَ مُزْنَةُ رَحْمَةٍ وبَوَّأكَ الرَّحْمانُ في الْمَنْزِلِ الرَّحْبِ

وشعره رحمه الله موجود بأيدي الناس، وتوفي رحمه الله تعالى بالاسكندرية في ليلة الأربعاء السابع والعشرين من شعبان عام أربع وعشرين وست مئة.

«أعلام مالقة» المخطوط، ورقة: ٥٨- ٦٠، المطبوع: ١٤٧- ١٤٩.

(٣) ومن شعره: [كامل]

بِأبِي رَشًا سَفَكَتْ دمِي ألْحَاظُهُ وَسَبَى بِرائِقِ حُسْنِهِ الألْبَابَا
مَنْ كَانَ يُنْكِرُ سَفْكَهُ فَلْيَأتِهِ يَرْمُقْ دَمِي في رَاحَتَيْهِ خِطَابَا

«أعلام مالقة» المخطوط، ورقة: ٥٧، المطبوع، ص: ٠٠

[«العرب»: خطابا: ألا تكون (خضابا)؟!]

(٤) ومن شعره: [متقارب]

ألا رُبَّ عِرْضِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ لِسانِكَ لَمْ يُسْتَبَحْ

إذا كُنْتَ في النَّاسِ ذا غَيْبَةٍ ... تُبيحُ بِهَا مُنْكَرًا لَمْ يُبَحْ
فَلَسْتَ بِأَوَّلِ ذِئْبٍ عَوَى ... وَلَسْتَ بِأَوَّلِ كَلْبٍ نَبَحْ

«أعلام مالقة» المخطوط، ورقة: ٥٧، المطبوع، ص: ١٤٥.

(٥) ومن شعره في مدح أمير المؤمنين أبي يعقوب ابن أمير المؤمنين:

[كامل]

عِيدٌ بما يَهْوى الإمامُ يَعودُ ... ما اخْضَرَّ في وَجْهِ الْبَسيطةِ عودُ
لَوْلا لُزومُ الشَّرْعِ لَمْ نَحْفَلْ بِهِ ... إذ كُلُّ يَوْمٍ في ذُراه لَعيدُ
حَيَّا بِما لِلْعيدِ بَدْرِ خِلافَةٍ ... يَهْنيهِ أنَّ قِرانَهُ لَسَعيدُ
وأتى يُجَرِّرُ بِالْمَجَرَّةِ ذَيْلَهُ ... رَكْضًا وإنَّ مَزارَهُ لَبَعيدُ
وكأنَّما أضْناهُ شَوْقٌ لِقائِه ... أمِنَ الأهِلَّةِ هائِمٌ وعَميدُ
لَمْ تَثْنِهِ الأشْواقُ عَنْ حَسَدٍ لَهُ ... إحْدى العَجائِبِ وامِقٌ وحَسودُ
بُشْرى أميرَ الْمُؤْمِنينَ فَإنَّهُ ... عيدٌ حَدَتْهُ لِلْفُتوحِ سُعودُ
طَرِبَ الْجَوادُ وقَدْ عَلَوْتَ بِمَتْنِهِ ... حَتَّى كأنَّ صَهيلَهُ تَغْريدُ
يَهْفو بِعِطْفَيْهِ الْمَراحُ فَيَرْتَمي ... لَعِبًا ويَنْقُصُ تارَةً ويَزيدُ
وَلَرُبَّما سالَتْ عَلَيْهِ سَكينَةً ... حَتَّى تَخالَ بِعِطْفَتَيْهِ خُمودُ
يُزْهَى فَيُظْهِرُ نَخْوَةً لَمّا رأى ... بِكَ أنَّهُ في حُسْنِهِ مَحْمودُ
كَيْفَ اسْتَقَلَّ بِطَوْدِ حِلْمٍ راجِحٍ ... والطَّوْدُ يَثْقُلُ حَمْلُهُ ويَؤودُ
لَوْ كُنْتَ تَرْضَى نَعْلَتَهُ خُدودَهَا ... مُسْتَشْرِفينَ بِهِ الملوكُ الصِّيدُ
مَلِكٌ تَوَدُّ النَّيِّراتُ لَوَ انَّها ... حَلْيٌ عَلى أعْطافِهِ وفَريدُ
أوَ ما كَفاهَا أنَّ شِسْعَ نِعالِه ... بِجَبينِ أشْرَفِهَا سَنًا مَعْقودُ
يامَنْ يَرومُ بُلوغَ بَعْضِ صِفاتِهِ ... هَيْهاتَ لَيْسَ لِكُنْهِها تَحْديدُ

كَمْ ذا تُحَاوِلُ عَـدَّ زَهْرِ خِـصَـالِه   أقـصـر فَـمَـا لأقَلِّهَـا تَعْـدِيدُ

• «أعلام مالقة» المخطوط، ورقة: ٥٣- ٥٤، المطبوع، ص: ١٤٠- ١٤١.

(٦) ومن شعره: [كامل]

عُلِّقْتُـهُ كَـالسَّـيْفِ راعَ بَهَـاؤُهُ   لكِنْ بِغَـيْـرِ جَـوَانِحِي لَمْ يُغْـمَـدِ

عـافـوا العِـذَارَ بِصَـفْحَتَيْه وَمَـا دَرَوْا   أَنَّ الْفِـرِنْدَ مِنْ كُلِّ مُـهَنَّدِ (؟)

«أعلام مالقة» المخطوط، ورقة: ٥٣، المطبوع، ص: ١٤٤.

(٧) وأهدى إليه صهرُهُ أبو جَعْفَر الْوَقَشِي سَيْفًا وَكَتَبَ مَعَهُ أبياتًا، فراجعه بهذه الأبيات: [متقارب]

لكَ الشُّكْرُ شَـفَّـعْتَ بِيضَ الأمـاني   بِأَبْيَضَ صَـافَـحَنِي بِالنِّجَـادْ

تَـهَـادَى بِـأَرْبَعَـةٍ مِـثْلِـهُ   حِـدَادٍ لَبِـسْنَ حِـدَادَ الْمُـرَادْ

سُـيُـوفٌ مِنَ النَّظْمِ مَطْبُـوعَـةٌ   مُـقَلَّلَةٌ عَـرْكَ كُلِّ انْتِـقَـادْ

أَتَـتْنِي فـي الطِّرْسِ مَـسْلُولَـةً   فَـأَغْـمَـدْتُهَـا فِي سَـوَادِ الفُـؤَادْ

وَأَعْـدَدْتُ هَـذَا لِـيَـوْمِ الْفَـخَـارِ   وَأَعْـدَدْتُ هذَا لِـيَـوْمِ الْجِـلادْ

«أعلام مالقة» المخطوط، ورقة: ٥٦، المطبوع، ص: ١٤٣.

(٨) وكتب أبو الحسن بن جبير إلى أبي عبدالله الرصافي (يعني الرصافي البلنسي) مستنجزاً عدته في منظوم وعد به: [طويل]

ألا هَلْ نَـسِـيـمٌ لِلرُّصَـافِي مُـبَلِّغٌ   تَحِـيَّـةَ مُـشْـتَـاقٍ يُفَـتِّـقُـهَـا زَهْرَا

فَتًى كُلَّمَا اسْتَعْرَضْتُ بِالْخَيْرِ ذاته   زَكَتْ مِثْلَ ما خَلصت مِنْ سَبْكه التِّبْرَا

عَلِقْتُ بِهِ فِي الدَّهْرِ عِلْقَ مَـضَنَّـةٍ   فَـأَعْـدَدْتُهُ ذُخْـرًا وَحَـسْبِي بِهِ ذُخْـرا

فَـأَدْنَـتْنِي الأَيَـامُ مِنه مَـوَدَّةً   عَقَدْنَا عَلَى حُكْمِ الإِخَاءِ بِهَا صِهْرا

عَلَى أَنْ سَـيُـهْـدِيهَـا إليَّ عَـقِـيلَةً   مِن الفِكْرِ يَثْنِي الطِّرْسَ مِنْ فَوْقِهَا خِدْرا

وَلم أتّهِمْ تَسْويفَه غَيْرَ أنّني أقولُ له شوقي لعلَّ له عُذْرا

«كنز الكتاب»: ٢ / ١٣٩- ١٤٠ فكتب إليه الرصافي مراجعًا:

لنعم القوافي الزهر يمم راكب محل فحياني بها تحفة بكرا

(وقصيدة الرصافي مما انفرد به هذا المصدر أيضًا، وقد سبق لي أن استدركت مجموعة من أشعاره على الديوان الذي حققه د. إحسان عباس، وأرسلتها إلى مجلة «دراسات أندلسية» بتونس، ولحد الآن لا علم لي إن كانت منشورة أم لم تنشر بعد).

(١) أشارت المحققة في الهامش (٣٢٧م) بما يلي: (في حاشية الأصل (أقل)).

(٩) ومن شعره رحمه الله في طاق مجلس: [منسرح]

أصْبَحْتُ مِثْلَ الْجنان في الصَّدْرِ أصونُ ما أحْتَويه كَالسِّرِّ

في خَيْرِ قَصْرٍ تُريكَ ساحَتُهُ في مَطْلعِ الشَّمْسِ مَطْلعَ الْبَدْرِ

كَأنَّني في جِدارِ مَجْلِسِه عَينٌ وبابي جَفْنٌ بلا شَفْرِ

فلْتَدْعُ يامُبْصِري لِسَاكِنِه بالسَّعْدِ والْمُلْكِ آخرَ الدَّهْرِ

«أعلام مالقة» المخطوط، ورقة: ٥٤- ٥٥، المطبوع، ص: ١٤٢.

(١٠) ومن شعره يمدح أمير المؤمنين أبا يعقوب ابن أمير المؤمنين حين هجرته إلى الحضرة الإمامية مراكش، وذلك في رمضان المعظم سنة أربع وستين وخمس مئة: [كامل]

بُشْرايَ أبْصَرْتُكَ خَيْرَ إمامِ في حَضْرَةِ القُدْسِ والإعْظامِ (؟)

أمّا وقَدْ ألْقَتْ إليهِ يدُ النَّوى فلأعْفُونَّ جِنايةَ الأيّامِ

ولَوَ أنَّني شِئْتُ انْتِصارًا لَمْ أكُنْ فيهِنَّ إلاّ فاقِدَ الأحْكامِ

أنْهَضْتُ عَزْمي فاسْتَطارَ مُصَمِّمًا فكأنَّني أنْبتُ غَرْبَ حُسامِ

أهْجَعْتُ نومي لابِسًا خِلعَ الدُّجى … وَحْدي فما عَرَجْتُ بالنُّوّامِ
هي هَجْعَة هجَرتْ لها سِنَةَ الْكَرى … فالْجَفْنُ لمْ يُطْعَمْ لذيذَ منامِ
لمْ أكْترِثْ لِشَتاتِ شَمْلي بالنّوَى … فكأنّما للشَّمْلِ جَمْعُ نظامِ
شوقًا إلى دارِ الخلافةِ إنّها … دارُ الهُدى ومُعَرَّسُ الإسْلامِ
مِنْ كُلِّ مُعْطِيَةٍ على عِلاّتِها … وَخْدًا، لها في الشَّهْرِ سَيْرُ الْعامِ
جَبٍّ السُّرَى منها سَنام فَقارِها … فكأنّها خُلِقتْ بغَيْرِ سَنامِ
فأتتْ كأمْثالِ القِسيِّ ضَوامِرًا … وَلَرُبَّما مَرَقَتْ مُروقَ سِهامِ
وافَتْ أميرَ الْمؤمنينَ بِنا على … شَحطِ النَّوى، فَلَها يَدُ الإنْعامِ
لوْ أنْعلْت حُرَّ الْخُدودِ كَرامَةً … لمْ تَقْضِ واجِبَها مِنَ الإكْرامِ
وَلَوِ اسْتَطَعْنا لمْ تَكُنْ تَطأ الثرى … إلاّ على الأرْواحِ وَالأجْسامِ
كَيْما تَرى ما دامَ إيْضاعٌ لها … لا تَشْتَكي مِنْ وَضْعِ خُفٍّ دامِ
وبِوَدِّنا لوْ لمْ نُكَلِّفْها السُّرَى … لِيَكونَ هذا الْحَقُّ لِلأقْدامِ
حتَّى إذا رُفِعَ الْحِجابُ بَدا لنَا … مَلِكٌ وقُلْ إنْ شِئْتَ بَدْرَ تَمامِ
فتَسَكَّنَ الجأشُ الطَّموحُ عُبابُهُ … بِطلاقَةٍ مِنْ وَجْهِهِ الْبَسّامِ
وَدَنَا الْجَميعُ لِلثْمِ راحَتِهِ التي … هيَ مَعْدنُ الأرْزاقِ وَالأقْسامِ
وانهَلَّ بَعْدَ تَعَلُّلٍ بَسْطُ الْمُنَى … فَتَلا ومِيضُ البَرْقِ صَوْبُ غَمامِ

وهي طويلة.

«أعلام مالقة» المخطوط، و: ٥٣، المطبوع، ص: ١٣٩.

(١١) ومن شعره أيضًا: [مخلع البسيط]

طَهِّرْ بِماءِ التُّقى جَنابَكْ … واصْحَبْ عَلى حالِهِ زَمانَكْ
وَدارِ أبْناءَهُ عَسى أنْ … تَنالَ مِنْ بُغْيَتِهِمْ أمانَكْ

وَاصْمُتْ إذا ما سَمِعْتَ لغْواً   وَلا تُحَرِّكْ بهِ لِسَانَكْ

«أعلام مالقة» المخطوط، و: ٥٨، المطبوع، ص: ١٤٧.

(١٢) ومن شعره وكتب بها إلى بعض إخوانه يصف لعبة كُرَّجٍ كانت بمجلسه: [مخلع البسيط]

يَاخَيْرَ خلٍّ فَدَتْهُ نَفْسِي   والنَّفْسُ في حَقِّهِ تَهُونُ

حُدِّثْتُ عَنْ مَجْلِسٍ أنِيقٍ   فِي مِثْلِهِ يَحْسُنُ الْمُجُونُ

جَالَ بِهِ فَارِسٌ ظَرِيفٌ   تَتْبَعُهُ لحْظَهَا الْعُيُونُ

في شكَّةِ الْحَرْبِ قَدْ تَبَدَّى   يَرْجُمُهُ وَهْمَهَا الظُّنُونُ

ذو حَرَكَاتٍ يخِفُّ فِيهَا   مَنْ لَمْ يَزَلْ دَأْبُهُ السُّكُونُ

رَقَّتْ فلَوْ أنَّهَا نَسِيمٌ   ما شَعَرَتْ مَسَّهُ الْغُصُونُ

لَوْ أنَّهُ جَالَ فِي الْمَآقِي   ما أحَسَّتْ بِهِ الْجُفُونُ

فَهَلْ إلى مِثْلِهِ سَبِيلٌ   وَمِثْلُهُ قَلَّما يَكونُ

«أعلام مالقة» المخطوط، و: ٥٦، المطبوع، ص: ١٤٤- ١٤٥.

(١٣) ومن شعره رحمه الله في منقلةٍ: [كامل]

أنَا لِلنَّدامَى نُزْهَةُ الْمُسْتَمْتِعِ (؟)   تَبْدُو نُجُومُ سُعُودِهِمْ في مَطْلَعِ

ما بِيَ مَوْضِعُ لحْظَةٍ إلاّ احْتَوَى   نَقْلاً فلِي في النَّفْسِ أكْرَمُ مَوْضِعِ

أنا مُسْتَطِيلُ الشَّكْلِ إلاّ أنَّني   قُسِّمْتُ بَيْنَ مُسَدَّسٍ وَمُرَبَّعِ

فَمَتَى أكُنْ والأقْحوانُ بِمَجْلِسٍ   لمْ يُؤْثِرِ النُّدَمَاءُ إلاّ مَوْضِعي

الْفَضْلُ لِي وَإنِ اشْتَبَهْنَا مَنْصِبًا   وَكَفَى بأنِّي مِنْ ذَوَاتِ الأرْبَعِ

«أعلام مالقة» المخطوط، و: ٥٥، المطبوع، ص: ١٤٢.

(١٤) وكتب ابن جبير إلى بعض إخوانه: [طويل]

خليلي أبا بَكْرٍ فَهَلْ ثَمَّ حيلة يَكونُ إليها في نَواكَ رُجوعي
سَيُخبِرُكَ السُّلْوانُ أنّي رُمْتُهُ فَحالَ اشْتِياقِي دُونَهُ ونُزُوعِي
ولوْ كُنْتَ في غَيْرِ الضُّلوعِ مُخَيّمًا عَذَرْتُ على هذا الحَنينِ ضُلُوعي

«كنز الكتاب» ٣ / ٥٤٦ .

(١٥) وله أيضًا : [طويل]

يَقُولُونَ إنَّ الْعَيْنَ دَاعِيَةُ الْهَوَى ولَوْ صَحَّ ذا ما كانَتِ النَّفْسُ تَعْشَقُ
فُؤَادُ الْفَتَى لا عَيْنُهُ يُوجِبُ الْهَوَى فَرُؤْيَتُهُ مِنْ رُؤْيَةِ الْعَيْنِ أصْدَقُ
ولَيْسَ بُكَاءُ الْعَيْنِ حُبًّا وإنَّمَا لإشْفَاقِهَا لِلقَلْبِ تَبْكِي وتُشْفِقُ

«أعلام مالقة» المخطوط ، و : ٥٧ ، المطبوع ، ص : ١٤٥ .

(١٦) ومن شعره رحمه الله وكتب به إلى أبي الحسن بن مرتين : [رمل]

لَوْ أعْطَافَ الْغُصُونِ الْمُيَّسِ والصَّبَا تُزْجِي عَلِيلَ النَّفَسِ
وابْتِسَامِ الرَّوْضِ لِلطَّلِّ، وقَدْ رَقْرَقَ الدَّمْعَ بِجَفْنِ النَّرْجِسِ
مَا رَأَيْنَا يَوْمَ أنْسٍ مِثْلَهُ كَانَ أسْنَى بُغْيَةِ الْمُلْتَمِسِ
وتَلَتْهُ لَيْلَةٌ صَفْحَتُهَا ألِفَتْ شَمْلَ اقْتِرَاحِ الأنْفُسِ
أضْحَكَ اللَّهْوُ بِنَا ثَغْرَ المنى فَبَدَتْ سُمْرَتُهَا كَاللَّعَسِ
جُمِعَتْ أطْرافُهَا مِنْ قِصَرٍ لِلْفَتَى مَغْرِبُهَا كَالْغَلَسِ
وسَمَتْ زُهْرُ اللَّيَالِي حِلْيَةً فَتَحَلَّتْ بِنُجُومِ الأكْؤُسِ
وابْنَةُ الْكَرْمِ عَرُوسٌ تُجْتَلَى فَتَخَيَّلْ حُسْنَ ذاكَ الْمَعْرَسِ
نُزْهَةٌ قَادَتْ إلَيْهَا زَوْرَةٌ فَاغْتَنِمْهَا نَظْرَةَ الْمُخْتَلِسِ
يَالَهُ مِنْ مَجْلِسٍ فُزْتُ بِهِ مِنْ فَتًى شَرَّفَ صَدْرَ الْمَجْلِسِ
عِلْقُ مَجْدٍ جَادَ مِنْ خِلْتِهِ بِالْعَلَقِ الْخَطِيرِ الأنْفَسِ

لأبي عَمْرو بن مَرتين عُلاً … أنْطَقَتْ بالْمَدحِ أهْلَ الْخَرَسِ
أرْوَعُ يُطْلِعُ مِنْ آدابِه … شُهُبًا تَجْلُو دَيَاجِي الْحِنْدِسِ
ذُو بَنانٍ مِثْلَ شُؤْبُوب الْحَيَا … وَذَكَاءٍ كَاشْتِعَال الْقَبَسِ
مَنْ يُسَابِقْهُ إلى مَعْلُوة … رامَ بِالْعِيرِ سِبَاقَ الْفَرَسِ

«أعلام مالقة» المخطوط، و: ٥٥- ٥٦، المطبوع، ص: ١٤٣- ١٤٤.

(١٧) وكتب إلى أبي الحَكَم بنِ هَرَوْدس رحمة الله عليه: [متقارب]

أبَا حَكَمٍ أيْنَ عَهْدُ الْوَفَاء … فَقِدْمًا عَهِدْتُكَ تُعْزَى إلَيْه
وَمَا الْعُذْرُ في أنْ أتَاكَ الرسول … فَأصْدَرْتَهُ ضَارِبًا لِصَدْرَيْه

«أعلام مالقة» المخطوط، و: ٥٥، المطبوع، ص: ١٤٢.

وَجدة: (كلية الآداب جامعة محمد الأول): الدكتور مصطفى الغديري

هوامش التقديم:

(١) صدر الديوان عن دار الرفاعي بالرياض - المملكة العربية السعودية. ط أولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م في حجم ١٧٤ صفحة من القطع المتوسط.

(٢) للباحث عدة مؤلفات في هذا الميدان، تحقيقًا ودراسة، منها «الاتجاه الإسلامي في الأدب الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين»، «الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة»، «البحر في الشعر الأندلسي»، «ديوان ابن الجزار السرقسطي: دراسة وتحقيق»، «ديوان ابن الجنان: دراسة وتحقيق»، بالإضافة إلى بحوث أخرى نشرت في المجلات والدوريات المختلفة.

(٣) ابن جبير الأندلسي شاعراً، «مجلة آداب الرافدين»، الموصل: عدد ٩، ص ٤٦١- ٥٢٩ سنة ١٩٧٨م، ثم بحثه المستدرك على شعر ابن جبير، «مجلة معهد المخطوطات العربية»، الكويت: المجلد ٢٩ / ١ / ١٩٨٥م، ص: ٩- ٢٠.

(٤) دراسة المحقق لشعر الديوان: ٦١.

(٥) انظر تعليق الباحث، ص: ٣٠، هامش: ١.

(٦) «كنز الكتاب ومنتخب الآداب» تأليف أبي إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي الفهري الشريشي الأندلسي، المعروف بالبونسي (٥٧٣هـ- ٦٥١هـ) السفر الأول من النسخة الكبرى، تحقيق ودراسة د. حياة قارة، هيأته تحت إشراف الدكتور محمد مفتاح الصغير سنة ١٩٩٦م يوجد مرقونا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز، جامعة محمد بن عبدالله بفاس. المغرب.

(٧) «أعلام مالقة» تأليف أبي عبدالله بن عسكر وأبي بكر بن خميس، تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور عبدالله المرابط الترغي، دار الغرب الإسلامي ببيروت، ط أولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

هوامش على مستدرك الاعرجيّ المُعَنْون:

(ممّا أَخَلَّت به الدواوين)(*)

(١)

وقفتُ بأخرة على عدد مجلة «العرب» المؤرخ رمضان ١٤١٩ ص ١٨٠ وفيه مقالة الاعرجي المعنونة (مما أخلّت به الدواوين)، وقد رأيته في أثنائها يخص بعض أعمالي باهتمام خاص ناقدًا ومستدركًا، ورأيتُه قد جانَبَ الصواب في كلّ ما كتبه، فَحَبَّرْتُ ردّي هذا:

شعر ابن أبي طاهر: صَنَع الاعرجيُّ مُسْتَدْرَكًا على ما جمعتُه ونشرتُه من شعر ابن أبي طاهر في كتابنا «أربعة شعراء عباسيون» المطبوع في بيروت عام ١٩٩٤ بدار الغرب الإسلامي. وقد رجع في مستدركه هذا إلى مخطوطتين «تلقيح العقول» لابن أبي اليُسر الرياضي، وكتاب «الشعر» لابن شمس الخلافة. وأحصيتُ عِدَّة مستدركه فإذا بها (عشرة أبيات فقط)، استدركها وأضافها إلى مجموع شعر صَنَعْتُهُ جاوز الأربع مئة بيت، لقد كان الإنصاف يوجبُ على الناقد المُسْتَدْرِك ذكر هذه الحقيقة، لكنه أغفلها وكانت حصيلة استدراكه تعادل اثنين ونصف بالمئة من عملنا المنشور.

لقد سها الناقد عن تصريحي غير مرة بأنّ باب الاستدراك يظلّ مُشْرَعًا على الدواوين المصنوعة في زمننا هذا، كُلّما نُشِر مخطوط غميس، أو وَقَف باحث على عِلْقٍ مخطوط من أعلاقنا، قلتُ ذلك وأنا استدرك على «ديوان مروان بن أبي حفصة» صنعة الدكتور حسين عطوان بالنص التالي: (غير أنّ هذا الديوان شأن كلّ دواوين القدماء المصنوعة في زمننا هذا، يظلّ عُرضة للاستدراك)(١).

وقلتُه وأنا استدرك على «شعر الكميت بن زيد الأسدي» صنعة الدكتور داود سلوم بالنص التالي: (غير أن هذا الصنيع العلمي - شأن كلّ الأعمال التي تقوم على جمع شعر شاعر من بطون المصادر - يظلّ عرضة للاستدراك على مرّ الزمان)(٢).

وقلتُه في أواسط السبعينات وأنا استدرك على «ديوان الحسين بن الضحاك»

صنعة صديقنا عبدالستار أحمد فرّاج - رحمه الله - بما نصّه[٣]: (وشأن كل أعمال المعاصرين في جمع دواوين السلف المفقودة، يظلّ باب الاستدراك عليه مفتوحًا). بل جَسَّدّتُ هذا المبدأ عمليًا، وأنا استدرك على أعمال صَنَعْتُها بنفسي، حين استدركت على مجاميع شعرية كنت جمعتها وحققتها للناشئ الأكبر والمريميّ وأبي هفّان والحسن بن أسد الفارقي وأبزون العُماني والببّغاء والتنوخي الكبير والأخيطل الأحوازي والأقرع بن معاذ القشيري. ونشرت هذه المستدركات إقرارًا بالنقص الملازم لعامة البشر. فمن يستدرك على نفسه يعلم انّ باب الاستدراك يظلّ مفتوحًا أبَدَ الآبدين، مادام هناك مخطوطات عربية لم تُنْشرُ، ومطبوعات لم تُنَقَّر.

وقد عَبَّرْتُ عن هذا الباب المفتوح بقولي وأنا استدرك على ما نشرته من شعر الناشئ الأكبر بما نصّه: (لقد أكَّدْتُ غير مرة أنّ أيّ مجموع شعري قائم على الجمع عُرْضَة للاستدراك، ما دامت المطابع ترفد القُراء بالجديد النادر من النصوص المخطوطة)[٤].

لكن الأعرجي أتعب نفسه في البحث عن عبارة وردت في ثنايا استدراك لي فأثْبَتَها مقتطعة عمّا قبلها وبعدها ليظهرني في مقام الزاعم انني ممن لا يُستدرك عليه!! والعبارة (الأمر الذي يقطع الطريقَ على من يريد سلوك السبيل ذاته). وحين نعود إلى الأصل الذي اقتطعت منه هذه العبارة نجده بالنص التالي[٥]: (عام ١٩٨٠ أنهيت صنع ديوان الناشئ الأكبر، ونُشر في خمسة أعداد متتالية [من «المورد»] ابتداءً من المجلد الحادي عشر الصادر سنة ١٩٨٢ وفي بواكير عام ١٩٨٨ فاتحني طالب (الماجستير) السيد كريم علكم عويز راجيًا تزويده بتوصية إلى اللجنة المختصة بالدراسات العليا تتضمن صلاحية موضوع: «الناشئ الأكبر: حياته وشعره» مادة لرسالة (ماجستير)، لما يعرفه أعضاء اللجنة المذكورة من صفة الاستقصاء فيما أنشره، الأمر الذي يقطع الطريق على من يريد سلوك السبيل ذاته. فاستجبتُ لطلبه، وزودته بتوصية تتضمن انني درست حياة الناشئ الأكبر مُفَصّلاً، وَعَرَضْتُ لآثاره، وجمعتُ شعره إلاّ أن مجال

القول واسع [فيه] فأنا لم أدرس أغراض شعره ولا موسيقاه، ولا تتبعت الشعراء الذين تأثر بهم أو تأثروا به، إلى غير ذلك من موضوعات شعره وفنّه.

فهو يصلح مادة لرسالة جامعية. وهكذا كان، وسُجِّلت رسالة الطالب عام ١٩٨٨ ونال عنها درجة (الماجستير) في النصف الثاني من عام ١٩٨٩ من آداب جامعة بغداد، وكانت ولمّا تزل مطبوعة بـ(الرونيو) وقد لاحظ استاذان ممّن تولوا مناقشة رسالة الطالب المذكور هما الدكتوران محسن غيّاض وعباس الصالحي، انه اعتمد ما جمعته من شعر الناشئ الأكبر دون أن يضيف بيتًا واحداً إلى ذلك المجموع الذي نشرته عام ١٩٨٢).

ومدلول عبارتي - دون أن تُقْتَطع - واضح، وهو: ان المجاميع الشعرية التي أصْنَعُها تقطع الطريقَ على من أراد صُنْعَ مثلها في موضوعها. فالشعراء الذين صنعتُ دواوينهم لم يقم أحد بصنع دواوينهم بشكل أكمل على امتداد ربع قرن من الزمن وزيادة. لكنّ ذلك لا يمنع أن يستدرك بعضهم أشعاراً عليها في مستقبل الأيام، وهو ما لم نَرَهُ أو نقرأه حتى اليوم باستثناء مستدرك الاعرجي موضوع حديثنا، ونسبته اثنان ونصف بالمئة من عملنا.

لقد استدرك الناقد على شعر ابن أبي طاهر المقطعة التالية نقلاً عن مخطوطة «تلقيح العقول»:

وصدّقوا فيَّ أقوالاً تقوّلها ساعٍ، ولستُ لمن يسعى بمطواعِ
فإنْ تَصُدّي بلا جُرم ولا تِرَةٍ وتولعي فيَّ ظُلْمًا أيَّ إيلاع
فقد يرى الله أني قد أُجِنُّ لكم حُبًّا أقام هواهُ بين أضلاعي

ثم قال: ولستُ على ثقة من نسبة هذه الأبيات الثلاثة إلى ابن أبي طاهر، فقد رواها بريَّةُ بقوله: (اخبرنا أبو محمد الابحريّ، قال: وجد أبو العيناء على أحمد ابن أبي طاهر لشيء بَلَغَهُ عنه، فوافاه أحمد بن أبي طاهر، فقال له...)، فمن أسلوب بريّة في كتابه ألاّ يُفَرِّقَ بين التمثل والقول. -انتهى كلام الاعرجي-:

يقول هلال بن ناجي: ومن المستغرب أن يخفى الأمر على الاعرجي،

والأبيات نفسها تصرخ أنّ منشدها تمثّل بها. فالشاعر في الأبيات يحدّثُ امرأة، وفي رواية الخبر أنّه خاطب بها أبا العيناء، وهو رجل -، إذن فالصواب انه تمثّل بها، ولأنّه لم يرد في النص أن ابن أبي طاهر أنشدها لنفسه، فلا تصح نسبتها له اطلاقًا. ثم يقول الاعرجي: (وكما أجهد الأستاذ هلال نفسه مشكوراً متفضّلاً في تعداد أسماء من روى عنهم، فقد أجهد نفسه في تعداد أسماء كتبه [كتب ابن أبي طاهر]، فأحصى منها أربعة وخمسين كتابًا... حتى قال: وفاتَهُ كتاب آخر، في هذه القائمة... ذكره الصفدي وهو كتاب «من كان بسامرا[ء] من الكُتّاب والشعراء»(٦). فالناقد هو الآخر أجهد نفسه كثيراً ونقّر في المخطوط والمطبوع ما شاء له التنقير، فظفر بخبر كتاب واحد من مصنفات ابن أبي طاهر المفقودة فاتني ذكره، بعد أن أحصيتُ له أربعة وخمسين كتابًا. لكنه في ذكر هذا الكتاب الواحد لم يذكر مصدره.

وقال الاعرجي: (أحصى الأستاذ هلال ناجي من روى عنهم ابن أبي طاهر فقال: انّ ممن روى عنهم محمد بن سعد ثم قال في الحاشية («بلاغات النساء» ص ٥٥ وورد باسم عبدالله بن أبي سعد في البلاغات ص ٨٤ فلعلّهما شخص واحد).

وعقّب الاعرجي بما نصه: لا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال أن يكونا شخصًا واحدًا، إذْ هما شخصان، فعبدالله بن أبي سعد هو: أبو محمد الوراق: عبدالله بن عمرو بن عبدالرحمن بن بشر الأنصاري، بلخيّ الأصل، سكن بغداد، وحَدَّث بها... روى عنه ابن أبي الدنيا ومحمد بن خلف بن المرزبان ولد سنة ١٩٧هـ ومات سنة ٢٧٤) فإذا عرفنا انّ ابن المرزبان من معاصري ابن أبي الطاهر ومن أصدقائه لم يعسر علينا أن يكون ابن أبي طاهر قد روى عنه، كما روى عنه صديقه ابن المرزبان. ولا أعرف بعد هذا كيف توحَّد اسم عبدالله بمحمد، ولا أعرف كيف توحّد اسم عمرو بـ(سعد). أما محمد بن سعد فغيرُ بعيد أن يكون كاتب الواقدي صاحب «الطبقات» فقد روى عنه ابن أبي الدنيا أيضًا، وكان لأحمد يوم توفي ست وعشرون سنة. وهذا الذي نقلناه من مقالة الاعرجي ص ١٩٦-١٩٧ من مجلة «العرب» السعودية مُغايرٌ للحقيقة جملة وتفصيلاً،

فبالرجوع إلى كتابنا «أربعة شعراء عباسيون» ص ٢٣٤ نجد ما نصّه: [عبدالله بن سعد[٢٨]. وفي الهامش رقم (٢٨): بلاغات النساء ص ٥٥ وورد باسم عبدالله بن أبي سعد في البلاغات ص ١٨٤، فلعلهما شخص واحد]. وأقول: ما أثْبَتُّه واضح: عبدالله بن سعد وعبدالله بن أبي سعد، لعلهما شخص واحد.

وعلى الصفحة ٢٣٥ ما نصه: محمد بن سعيد[٣٦]. وفي هامش الصفحة ذاتها ما نصّه: (٣٦) بلاغات النساء ١٤٠ ولعله محمد بن سعد المارّ ذكره. [أي ان محمد بن سعيد لعلّه محمد بن سعد].

فليس في كتابنا خلط لاسم عبدالله بمحمد، ولا تَوَحُّدُ اسم عمرو بسعد.

وأرفق طيًا الورقتين ٢٣٤ و٢٣٥ من كتابنا [«**العرب**»: يمكن للباحث أن يرجع إليهما في أصل الكتاب].

وقال الاعرجي: (قرّر الأستاذ هلال على الصفحة ٢٧٩ صحة ما ذهب إليه الصولي من انّه [ابن أبي طاهر] صحفي. ثم قال: وعلى أن الأستاذ هلال يُقرّ بأنّ صاحبه صحفيّ إلاّ أنه لم يتحرج أن يسرد علينا قائمة بأسماء من روى عنهم، ونحن نعرف أنّ الرواية لا تكون إلاّ بالمشافهة كأن يقول الشيخ: حدثنا فلان فيحفظ عنه تلميذه هذا الحديث ثم يرويه عنه بسنده للناس. فإذا كان ابن أبي طاهر صحفيًّا فكيف تهيّأ له أن يروي؟ انّ ابن أبي طاهر وهو يزعم أنه روى لا يعدو أن يكون مُدَلِّسًا. وفي هذا الكلام أخطاء. فقد قلت على الصفحة ٢٣٢ من كتابنا «أربعة شعراء عباسيون» ما نصه: (ولم تذكر المصادر أنّه درس على شيخ من شيوخ العلم بل ثقّف نفسه تثقيفًا ذاتيًّا بقراءاته الكثيرة، وبالحفظ والسماع. وكان القدامى يعدون ذلك عيبًا ويَصِمُون صاحبه بأنه (صحفي) وإلى هذا يشير أبو بكر الصولي إذ يقول فيه: (وقد رأيته بالبصرة سنة سبع وسبعين ومئتين وقدّمه إليَّ أحمد بن علي المادرائي، وكتبت عنه مجلسين أو ثلاثة. فلمّا رأيته صحفيًّا لم أَرَ عنده ما أريد تركته). ثم قلت على الصفحة ٢٧٩ من كتابي المتقدم: (أمّا قول الصولي في ابن أبي طاهر: إنه صحفي، وأراد انّه لم يدرس على عالم أو شيخ بالذات، فهذا صحيح عرفناه عند الحديث عن مصادر ثقافته.

وكان القدماء يعدون هذا عيبًا. وذكرت في هامش الصفحة ذاتها ما نصه: رأى بعض القدماء فضلاً في الأخذ عن الكتب ولم يرونه عيبًا (انظر «جامع بيان العلم وفضله» ص ٢٤٧ - ٢٥٠).

الخلط الذي وقع فيه الناقد مَأْتَاهُ أنه اعتبر من روى عنهم ابن أبي طاهر أي سمع منهم أخبارًا شيوخًا له. وهذا خطأ، فرواية أخبار عن رجال ذكرهم ابن أبي طاهر لا تجعل منهم شيوخًا له. الشيخ من درس عليه ابن أبي طاهر وتتلمذ له وأتمّ عليه كتابًا أو علمًا. فلا يصحّ الخلط بين الشيخ والراوي. أمّا قول الناقد: إن ابن أبي طاهر وهو يزعم أنه روى لا يعدو أن يكون مُدلّسًا!! فهذا كلام فيه افتئات على السلف، وفيه خلط بين مدلول لفظة الشيخ الذي يتلقّى عنه التلميذ علمًا من العلوم أو جملة علوم أو يأخذ عنه كتابًا ما. وبين الراوي الذي ينقل عنه شخص خبرًا ما. وقد كانت الكتب (الصحف) مصدر ثقافة ابن أبي طاهر الرئيس، وهذا لا يتعارض مع روايته كثيرًا من الأخبار عن رواة متعددين لم يكونوا شيوخه.

وأدار الاعرجي كلامًا كثيرًا حول نسبة بعض الأبيات من شعر ابن أبي طاهر، فقال عن المقطعة التي أولها:

إذا أبو أحمدٍ جادَتْ لنا يَدُهُ ... لم يُحمد الأجودان: البحرُ والمطرُ

انها ليست خالصة النسبة لابن أبي طاهر، فقد رواها ابن شمس الخلافة في كتاب «الشعر» على أنها لابن أبي البغل الكاتب، ونسبها ابن رشيق في «العمدة» إلى أحمد بن محمد الكاتب. وأثبت حسين نصّار شيئًا منها في زيادات «ديوان ابن الرومي».

يقول هلال بن ناجي: لقد رجعتُ في تخريج هذه المقطعة ونسبتها إلى ابن أبي طاهر إلى أربعة مصادر هي: «ديوان المعاني» للعسكري وكتاب «الصناعتين» له أيضًا، و«جنى الجنّتين» للمحبّي و«الدر الفريد» لمحمد بن ايدمر. ولم يكن كتاب «الشعر» لابن شمس الخلافة من مصادري.

وأمّا ورود بعضها في زيادات ديوان ابن الرومي، فلا يؤبه له بسبب انّها لم

ترد في مخطوطات ديوانه الكُثْر. وأمّا ابن رشيق فهو رجل مغربي متأخر عن العسكري وقد يكون أخطأ في نسبة الأبيات التي أجمعت أربعة مصادر قديمة على أنها لابن أبي طاهر.

وقال الاعرجي: إنّ الأبيات الأربعة التي أوّلها:

وتاهَ سعيدٌ أنْ أُعيرَ رئاسةً وقُلِّدَ أمراً كان دون رجاله

هي للبحتري في ديوانه، وقال: إن صاحب «الدر الفريد» نسبها للبحتري ولابن أبي طاهر، أي انّها متدافعة على رواية صاحب «الدرّ الفريد».

يقول هلال بن ناجي: لقد خَرَّجْتُ المقطعة وهي في خمسة أبيات في مصدرين قديمين منسوبة لابن أبي طاهر. أقدم هذين المصدرين مخطوطة «الأُنس والعرس» للآبي صاحب «نثر الدر» وهو حجّة صدوق. والثاني: «محاضرات الأدباء» للراغب الأصبهاني وقد أورد ثلاثة أبيات منها منسوبة لأحمد بن أبي طاهر. واختلاف نسبة الأشعار والتدافع فيها أمرٌ معروف في العصر العباسي.

لقد كان ابن أبي طاهر من عمالقة الشعراء في عصره. قال عنه أبو هلال العسكري في معرض ذكر مقطعته التي أوّلها:

إذا أبو أحمدٍ جادَتْ لنا يَدُهُ لم يُحمدِ الأجودان: البحرُ والمطرُ

قال[٨]: (لو استعمل الإنصاف، لكان هذا أحسنُ مَدْحٍ قاله متقدم ومتأخر).

وقال أبو العيناء - وهو من هو دراية وبَصَراً بالشعر ورواية[٩]: (ابن أبي طاهر أشعر الناس في بيتيه، حيث يقول:

اذهبا بي إنْ لم يكن لكما عَقْرٌ (م) إلى تُرْبِ قبره، فاعقراني

وانْضَحا من دمي عليه، فقد كا نَ دمي من نَداه لو تعلمان

فحسبه فضلاً وتقدماً وإقراراً بشاعريته شهادة هذين العلمين الناقدين: انه أحسن مادحٍ وأحسن راثٍ.

وقول الجرجاني عنه[١٠]: (وقد أحسن أحمد بن أبي طاهر في محاجّة البحتري لمّا ادّعى عليه السرق) فأحمد بن أبي طاهر شاعر مجيد، وانّما أخمل ذكره بين

الشعراء انصرافه إلى التأليف والتصنيف، حتى جاوزت مصنفاته الخمسين كتابًا(١١). بعضها في أربعة عشر جزأً مثل «المنظوم والمنثور» الذي وصلتنا منه أجزاء ثلاثة. وأخمل شهرةَ شعره أيضًا انه لمن يُعْنَ بجمع ديوانه. مثل هذا الشاعر المجيد لا يُستَبْعَد دخول بعض أشعاره في دواوين مشاهير عصره كأبي تمام والبحتري. شاهد ذلك قول ابن المعتز(١٢): [وابن أبي طاهر هو القائل:

إذا اليد نالَتْها بضغنٍ توقّرتْ ... على ضغنها، ثم استقادتْ من الرجْلِ)

وقد رُوِيَ هذا البيت في قصيدة لأبي تمام، والبيت لابن أبي طاهر].

وقد ذكر بعض نقّاد الأدب انّ المتنبي - شاعر العربية الأكبر - تأثّر ببعض معانيه(١٣).

وإذا كانت هذه مكانة شعر ابن أبي طاهر، فلا عجب إذا دخلت بعض أبياته في شعر البحتري ونُسبت للأخير، ذلك أن الخصومة بين البحتري وأحمد بن أبي طاهر تجلّت في صورٍ عدة. فابن أبي طاهر صَنَّفَ كتابًا برأسه في «سرقات البحتري من أبي تمام» وإذا كان أصل هذا الكتاب قد ضاع، فقد وصلت إلينا منه نُقول كثيرة في كتاب «الموازنة» للآمدي. ثم إن البحتري اتهم صاحبنا بالسرقة. قال جعفر بن حمدان في كتاب «الباهر»: (وكان من أسرق الناس لنصف بيت وثلث بيت، قال: وكذا قال لي البحتري فيه)(١٤) فَرَدَّ أحمد بن أبي طاهر على اتهام البحتري له بالسرقة بقوله مُحاججًا ودافعًا التهمة عن نفسه من قصيدة(١٥):

هل يأخذُ الزاخرُ الفيّاضُ من وَشَلٍ ... ويخلطُ الصِّفْرَ بالصافي من الذَهَبِ؟
وكيف يدخل في عرض المواكب مَنْ ... يَنْشَقُّ عنه غبارُ الجحفل اللَّجِبِ
والشعرُ ظَهْرُ طريقٍ أنتَ راكِبُهُ ... فمنهُ مُنْشَعِبٌ أو غيرُ مُنْشَعِبِ
وربَّما ضمَّ بين الركب مَنْهجُهُ ... وألصق الطُّنُبَ العالي إلى الطُّنُبِ
أظَنَّ دَعْوَتَهُ في الشعر جائزةً ... له عليَّ، كما جازَتْ على النَسَبِ

وقد انجرّ الأمر إلى مهاجاة بينهما، فاتهم كل منهما صاحبه بالسرقة. وزاد ابن أبي طاهر أن صنّف كتابًا في سرقات البحتري من أبي تمام، وشكّك في نَسَبه في طيّء وأناف في هجوه شعر البحتري(١٦). وفي كلّ الأحوال لم يخرج

البحتري منتصراً في هذه المعركة - رغم مكانته الشعرية الرفيعة - هذه الخصومة الثابتة بين الشاعرين جعلت الرواة يترددون في الجزم بنسبة المقطعة التي أولها:

وتاه سعيدٌ أَنْ أعير رئاسةً وقُلّد أمراً كان دون رجاله

فصاحبُ «الدرّ الفريد» - وهو متأخر - ينسبها لهما معًا دون ترجيح، فهي متدافعة عنده والآبي المتوفى سنة ٤٢١هـ وهو حجّة ينسبها لابن أبي طاهر. والراغب الأصبهاني ينسب ثلاثة أبيات منها لابن أبي طاهر. وقال الاعرجي: انه رجع إلى ديوان البحتري فوجد أربعة أبيات منها فيه!! وهذا كلام مغايرٌ للحقيقة والواقع، فديوان البحتري في أتمّ وأكمل طبعاته بتحقيق صديقنا حسن كامل الصيرفي - رحمه الله - خلْوٌ منها. ولا وجد لأيّ بيت منها فيه، ومما يعزز نسبة المقطعة لابن أبي طاهر أن في مجموع شعره بصنعتنا مقطعة برقم ٨٤ تؤكد الخصومة بينه وبين سعيد المذكور أولها:

قد كشفناكَ ياسعيدُ فما كُنْـ ـتَ على الكشف بالصَّديق الصدوق

فالمهجو فيهما واحد. وقد كنتُ أحصيت من روى عنهم ابن أبي طاهر، فعددت منهم واحداً وثمانين رجلاً. فأضاف الناقد بعد خمسة أعوام من صدور كتابنا، راوِيًا آخر لكنّه خلافًا للطريقة العلمية لم يذكر مصدر استدراكه هذا.

وحصيلة ما تقدم: أن الاعرجي قد استدرك على مجموع شعر أحمد بن أبي طاهر عشرة أبيات مما فاتني، والمجموع المنشور بصنعتي جاوز الأربع مئة بيتًا.

واستدركَ كتابًا واحداً من آثار ابن أبي طاهر، وكنت أحصيتُ له أربعة وخمسين كتابًا واستدركَ راويًا واحداً ممن روى عنهم ابن أبي طاهر، وقد أوردتُ اسماء واحد وثمانين منهم. وأترك الحكم بعد هذا للقراء الكرام على مدى الأهمية العلمية لهذا المستدرك. وعلى مقدار النقص الذي اعتور عملي.

وبعد: فاستكمالاً لعملي العلمي أضيف (سبعة عشر بيتًا) من شعر ابن أبي الطاهر تلقطتها من شتيت المصادر بعد طبع كتابي. أثبتها هنا خدمة لشعر هذا

الشاعر المجود، وتأكيدًا لحقيقة هي: (أنّ باب الاستدراك سيظل مفتوحًا أمدًا طويلاً).

– ١ –

قال أحمد بن أبي طاهر(١٧):

وحـــاســـدٍ يحـــسـب في حَطِّه … إيّاي مـــا يدعـــو إلى رَفْـــعـــه
أصـــبـــحتُ بالفـضل الذي لم أزَلْ … أجْـمَعُ مـا فَـرَّق من جَـمْـعـه
بمـــوضع الطَّرْفَـــةِ من عَـــيْنه … ومـــوضع الوَقْـــرَةَ من سَـمْـعـه
وليس لي ذَنْبٌ سوى ما رأى … من نعـــمـــة الله ومن صُنْعـــه

– ٢ –

وقال أحمد بن أبي طاهر في أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة من كلمة(١٨):

عـــسى وعَلَّ اللهُ أنْ يَرفَعَ الـ … دنيـا إلى جـانبـهـا المُـتْـرَعِ
فـــيُـــدرك الآملُ آمـــالَهُ … من غُلَّةٍ في الصـدر لم تُنْقَعِ
سِـتْـرُ أبي العـبـاس سِـتْـرٌ عن الـ … دِنيـا وعن جـانبـهـا الأَوْسَعِ
مـتى أرى مـوكـبَـهُ مـوكـبًـا … قـد ألْحَقَ المـبطئَ بالمُـسْـرعِ
وقـد غـدا مِلْءَ صـدور العـدى … والصـدر في المحـفل والمجـمع
وصـــاحب النذير والرأي والـ … عـــالي على الأَرْفَعِ والأوْضَعِ
والصـــائن النافع سلطانه … إذا امـــرؤٌ ضَـــرَّ ولم يَنْفَعِ
ذلك يومٌ غـــائبٌ شَـــرُّهُ … أعْطِيَ مـا اخـتـار ولم يُمْنَعِ
إنْ يَسْـتَـتِـر عنّا فكم مَنْظَرٍ … لمـجـده فـينا وكم مَـسْـمَعِ
والليث قـد يَخْـدُرُ في غـيله … وهو متى صـارعْـتَـهُ يَصْـرَعِ

– ٣ –

وقال أحمد بن أبي طاهر طيفور(١٩):

كـان الـشـبـابُ مَطِيَّـةً أنضـيـتُـهـا ... في اللهــو بين مُــحَــرَّمٍ ومُــحَلَّلِ
وبَلغْتُ غــايةَ مـــا يلذُّ بـه الفـــتى ... من صَــبْــوةٍ وفُــتُــوَّةٍ وتَغَــزُّلِ
فَلَهَـوْتُ غـيــر مُعلّلٍ وفـتكتُ غـيـ ... ـر مُـضَلّل ونَسكْتُ غـيـر مُـعَـذَّلِ

العراق - الأعظمية: هلال بن ناجي

الحواشي:

(*) [العرب: يبدو أن ما حل بقطرنا الكريم العراق من نكبات قاسية كان ذا أثر عميق في نفوس بعض أساتيذنا هناك، فيما تعبر عنه بعض كتاباتهم، مما تضطر «العرب» لأسباب قاهرة على نشر بعضها، معتذرة عن الاستمرار في ذالك مما يسبب إثارة الحزازات بين أولئك الأساتذة الذين نكن لهم في القلوب الحب والتقدير.

و«العرب» لم تنشأ إلا لتقوية الارتباط بين مثقفي الأمة والبعد ما أمكن عما يثير من التأثير السيِّئ في النفوس ولهذا تعتذر عن نشر بقية المقال وتكتفي بهذا، وكما يقال: يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد].

(١) «المستدرك على صُنّاع الدواوين» ج١ ص ١٦٣. (٢) «المستدرك على صُنّاع الدواوين» ج١ ص ١٤٨.

(٣) «المستدرك على صُنّاع الدواوين» ج١ ص ٦٨. (٤) «المستدرك على صُنّاع الدواوين» ج١ ص ٣١٥.

(٥) «المستدرك على صُنّاع الدواوين» ج١ ص ٣١٤.

(٦) ان عدم ذكره اسم كتاب الصفدي والجزء والصفحة فيه يجعل كلامه كلّه غير علمي. على انني كنت قد احتطت لنفسي فقلت بعد إذ ذكرت واحداً وثمانين راوياً ما نصّه: (ومن دون شك أن ثمة عشرات من العلماء الرواة روى عنهم أحمد بن طيفور في مصنفاته الكثيرة التي لم تصلنا) «أربعة شعراء عباسيون» ص ٢٣٤.

(٧) «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله» لأبي عمر يوسف بن عبدالبر النمري القرطبي – حققه عبدالرحمن محمد عثمان – ط٢ – القاهرة ١٣٨٨هـ= ١٩٦٨م.

(٨) «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري ١ / ٤٨. (٩) «المحاسن والمساوئ» ص ٣٤٦.

(١٠) «الوساطة» ص ٢١٥. (١١) تنظر قائمة مصنفاته في كتابنا «أربعة شعراء عباسيون» ص ٢٣٩– ٢٤٣.

(١٢) «طبقات الشعراء» لابن المعتز ص ٤١٦– ٤١٧.

(١٣) «الفتح على أبي الفتح» ص ٧٠، «الوساطة» ص ٣٢٣، «المصنف» ١٤٩، «التبيان» ١ / ١٨٦ و٢ / ٢٦١.

(١٤) «الفهرست» ص ١٦٣. (١٥) «أربعة شعراء عباسيون» ص ٢٩٦.

(١٦) «ديوان البحتري» ص ٥٣٧ و«الرسالة الموضحة» ص ١٦١ و«الموشح» للمرزباني ص ٥٣٧ ومخطوطة «المنتخل» للميكالي – مصورة في خزانتي – الورقة، ٨٢ و«الموشح» ص ٥١١.

(١٧) «جنة الرضا في التسليم لما قدّر الله وقضى»: الغرناطي ج١ ص ٢٧٤.

(١٨) «أوراق الصولي» – مخطوطة بطرسبورغ – مصورة في خزانتي.

(١٩) «التذكرة الفخرية» للأربلي – طبعة بغداد – بتحقيق نوري القيسي وصاحبه ص ٥٤– ٥٥.

نتائج حملة مصطفى باشا على البحرين

(٤)

قام مصطفى باشا أمير أمراء (بكلر بك) الأحساء بغزو جزيرة البحرين عام ٩٦٧هـ/ ١٥٦٠م، وكان لها نتائج كبيرة ليس على الأحساء فقط وإنما على البصرة أيضًا، وفي الوقت الذي عانت الأحساء من تلك النتائج، فإن البصرة كسبت الكثير من جراء ذلك، وسنتناول هنا النتائج بالتفصيل، وسنناقشها كل واحدة على حدة.

أ- ولاية البصرة:

١- **أسطول البصرة:** عندما توجهت القوات العثمانية إلى البحرين، طلب مراد ريس حاكم البحرين، معونة البرتغاليين ضد العثمانيين للتدخل مباشرة في شؤون البحرين، ولم يهدد الأسطول البرتغالي ولاية الأحساء فقط، وإنما ولاية البصرة أيضًا، لذلك فإن بهرام باشا[١]، أمير أمراء البصرة، طلب معدات وأسلحة وسفن من الحكومة[٢]. واتخذت الحكومة خطوات جادة لبناء أسطول للبصرة، ويعكس ذلك محتوى أول حكم (فرمان) أرسل إلى أمير أمراء ذي القادر[٣]، معلماً إياه بضرورة ارسال أخشاب وأشجار من غابات مرعش[٤]، وإرسال -بالإضافة إلى ذلك- نجارين وبعض الخبراء، مع سجل يحتوي معلومات اضافية حول كمية الأخشاب والأشجار المطلوبة، وطلب منه اتمام هذه المهمة[٥]. شريطة أن ترسل الأخشاب والأشجار إلى بيره جك[٦]، من أجل بناء أسطول البصرة[٧]. وأرسل حكم آخر إلى الوزير محمد باشا[٨]، الذي أخبر في البداية عن الوضع في الخليج وأمر بأن يأخذ ٢٠٠٠٠٠ اقجة من خزينة مصر، وأن يرسل ١٠٠٠٠٠ منها إلى أمير أمراء البصرة[٩]، كما أخبر بأن يحضر صناع السفن من طرابلس[١٠] وطرابزون[١١]، وأن يرسلها إلى بيره جك[١٢]. والظاهر من الوثائق أن الأوامر الأولى قد صدرت ببناء عشرين سفينة

لأسطول البصرة، إلا أن الأخشاب التي قطعت كانت تكفي لعشر سفن فقط، كما أن العدد الإجمالي قد خفض في آخر الأمر ليصل إلى خمس سفن من نوع القادرغه[١٣]، ومن أجل تزويد الأسطول فقد أرسلت الحكومة ٤٠٠ مجداف مع صناعين أكفاء وقائد[١٤]. وقبل إرسال الأخشاب والمعدات الأخرى إلى بيره جك، فإن محمد باشا تلقى تعليمات من الحكومة في ١٣ جمادى الأولى ٩٦٧هـ (١٠ فبراير ١٥٦٠م) بأن يستطلع أفضل الطرق لإرسال السفن المذكورة إلى البصرة دون أية خسائر[١٥]، كما كانت الحكومة تواقة لمعرفة فيما إذا كان الأسطول سيمر من خلال الأراضي التي يسيطر عليها علي بن عليان[١٦] الذي كان في ثورة مستمرة في شمال البصرة[١٧]. وبعد شهر تلقت الدولة أخباراً من محمد باشا بأن أفضل الطرق وأسلمها بأن تجمع الأخشاب وترسل من بيره جك عن طريق نهر الفرات إلى نهر دجلة، ثم تنقل عن طريق الجمال إلى بغداد، ثم هناك احتمال بناء السفن في بغداد أو وضع الخشب على زلاقات خشبية[١٧ مكرر] لنقلها إلى البصرة مع المعدات والأدوات والمؤن، لبناء السفن هناك[١٨]. كما قد أمر محمد باشا بأن يرى فيما إذا كانت عشر سفن كافية لأسطول البصرة. وقال في رده بأنه بحاجة إلى الأموال لدفع رواتب النجارين، كما أنه أوضح للحكومة بأنه لا يوجد هناك جدافون[١٩] في تلك المنطقة تكفي لعدد السفن المذكورة، وأنه سأل الخبراء عن العدد الفعلي اللازم، مخبراً الحكومة بأن خمس سفن كافية لأسطول البصرة، ثم أمر محمد باشا بأن يبني خمس سفن، وأن يحتفظ ببقية الخشب في مكان مناسب ويحرسه[٢٠].

تلقت الحكومة معلومات من الوزير محمد باشا بأن الأخشاب قد حملت على ستين سفينة وتركت ميناء (بيره جك) في بداية شعبان (٢ أبريل) عن طريق الفرات، ووصلت بغداد في السابع من الشهر، وأن الخشب في طريقه للإرسال إلى البصرة عن طريق دجلة[٢١]، ومع شديد الأسف فان الوثائق

العثمانية لا تذكر أي شيء آخر عن الأسطول أو عن دوره في المنطقة.

٢- حماية البصرة: من أهم المشاكل التي واجهت العثمانيين في البصرة هو نقص الرجال من أجل حماية وحفظ منطقة البصرة، ففي بدايات رجب ٩٦٧هـ (أواخر مارس ١٥٦٠م) أرسل أمير أمراء البصرة رسالة إلى الديوان الهمايوني (ديوان همايون) مخبراً إياهم بأن بعض رجاله قد ماتوا بسبب الطقس القاسي في منطقة البصرة، بينما استشهد البعض الآخر في المعارك، وطلب ٢٠٠ رجلاً لطائفة (كوكللو) و٢٠٠ آخرين لطائفة عزاب، إلا أنه طلب منه بأن يحدد العدد المطلوب بالضبط للوظائف الشاغرة[٢٢]، وبعدها أخبرهم بأنه بحاجة إلى ٧٣ رجلاً لطائفة (كوكللو)، و٧٠ آخرين، ثم أخبر الديوان الهمايوني أمير أمراء بغداد، بأن يعين ٧٣ رجلاً لطائفة (كوكللو) بغداد، و٧٠ آخرين ويضيفهم إلى عزاب بغداد، وطلب منه بأن يرسلهم إلى أمير أمراء البصرة بطريق التناوب، وطلب من الأخير بأن يدفع رواتبهم (علوفة) مع زيادة[٢٣]. ومن أجل تقوية السيادة العثمانية على أطراف البصرة، كان على الديوان الهمايوني بأن يستجيب للتقارير والرسائل التي تلقاها من الأمراء المحليين في ولاية البصرة ويمكن تلخيص تلك الرسائل في التالي:

- أرسل أمير أمراء البصرة رسالة للحكومة يخبرهم فيها بأن القوات التي أرسلت لحماية قبان[٢٤] التي تقع على حدود البصرة، لا يوجد لهم مكانة للإقامة، لذلك فقد رأى بأنه من الضروري بناء قلعة لهم في مكان مناسب، وفي ٨ شعبان ٩٦٧هـ (٤ مايو ١٥٦٠م) تلقى أحكاماً بعرض تقدير صحيح عن التكلفة وكمية المواد المحتاجة[٢٥].

بينما كانت معظم القوات العثمانية في البحرين، أخبر أمير أمراء البصرة بأن ميرزا علي، حاكم منطقة دورق[٢٦]، التابعة لبلاد فارس والواقعة قرب حدود البصرة، قد تعاون واتحد مع البرتغاليين، وجاؤوا لولاية البصرة متآمرين على

زرع الفتنة وعلى نهبها، كما أرسل ميرزا علي رسالة للبرتغاليين محرضاً إياهم على غزو البصرة، وجاءت السفن البرتغالية نتيجة لذلك، وأوقعوا خسائر بالولاية وعلى المارين، كما انغلق ميناء البصرة، وطلب أمير أمراء البصرة ارسال قبطان للمنطقة(٢٧). وأخبر أمير أمراء البصرة الحكومة في بدايات ابريل بأن قلعة زكية(٢٨) مبنية في منطقة منخفضة، وأن الماء على وشك أن يسقطها، وعرض على الحكومة بأن بناء قلعة جديدة في تلك المنطقة سيكلف ١٠٠٠٠٠ اقجة بينما تصليح القلعة الموجودة سيكلف ٣٠٠٠٠ اقجة فقط.

وهنا اهتم السلطان بنفسه في هذا الموضوع، ووقع على الحكم، من أجل منع البرتغاليين من ايذاء الولاية(٢٩)، وقد أمر أمير أمراء البصرة بأنه إذا كان من السهولة اصلاح القلعة، فانه ينبغي اصلاحها، أما إذا كانت غير قابلة للإصلاح، فانه لابد من بناء قلعة جديدة في مكان مناسب، وفي كلتا الحالتين فانه يتوجب على القلعة بأن تكون قوية ومحصنة(٣٠).

في أواخر أبريل أو بدايات مايو ١٥٦٠ اشتكى حسن حاكم أو أمير (سنجاق بك) أبو غربة(٣١) للحكومة بأنه لا يوجد مكان في منطقة يصلح للإقامة، وعرض على الديوان الهمايوني بأن القلعة المسماة (دورنة) الواقعة بالقرب من سنجاقة (أبو غربة)، قد أصبحت وكراً للصوص وقطاع الطرق، وطلب لذلك إقامة مستوطنة في منطقة (دورنة)، وأجيب طلبه بأن يفعل ما يراه مناسباً للمنطقة والولاية(٣٢).

من أجل حراسة قلعة (دورقستان)، أعرب أمير أمراء البصرة للحكومة عن حاجته للجنود، وفي ٢٣ ذي القعدة ٩٦٧هـ (١٥ أغسطس ١٥٦٠م) وافقت الحكومة على طلبه بأن يجمع ١٥٠ جندياً لحراسة قلعة (دورقستان)(٣٣)، وذلك من المناطق التالية: ٣٠ جندي من (كوكللو) البصرة، و٢٠ من (كوكللو) فتحية(٣٤)، و٥٠ من (كوكللو) رحمانية(٣٥)، و٥٠ رجلاً من

عزاب البصرة والمدينة[٣٦] (٢٥ من كل منهما) ليكون الحاصل ١٥٠ رجلاً، وطلب من أمير أمراء البصرة بأن يعينهم ويوزعهم في القلعة المذكورة[٣٧].

والظاهر من الوثائق العثمانية بأن طائفة (كوكللو) كانوا يعانون من نقص رواتبهم أو تأخرها، لذلك كانوا يفرضون بعض الضرائب التي عرفت باسم (بدعتلر) (وهي ضرائب غير رسمية أو شرعية من قبل الحكومة) على الرعاية في ولاية البصرة، فأمر أمير أمراء البصرة بأن يحذر أولئك الذي يظلمون الرعايا، أيًّا كانوا، وأن يعلن للرعايا بالتقدم لإخباره عمن لا يستجيب للأوامر، ويستمر في ظلمه للناس، وطلب منه بأن يكتب للحكومة عن اسم ووصف الأشخاص الذين يخالفون التعليمات، وذلك ليتم معاقبتهم بصورة مرضية ليكونوا عبرة لغيرهم، وأخبر بأنه سيكون مسؤولاً إذا حدث مثل هذه الأعمال ضد الرعايا[٣٨].

(للبحث صلة)

جامعة الكويت، كلية الآداب: د. فيصل بن عبدالله الكندري

الحواشي:

(١) ذكر اسمه في مهمة دفتري ٣، ص ٣٧١.

(٢) مهمة دفتري ٣، ص ١٤٠، رقم ١.

(٣) لقد سيطر العثمانيون على إمارة ذي القادر في عام ٩٢١هـ (١٥١٥م) ثم تحولت إلى إمارة (بكلر بكلك) عرفت باسم القادرية، وكانت مركزها في مرعش، من أجل مزيد من المعلومات حول هذه الامارة انظر:
J.Mordtmann, "Dhu I-Kdir", Encyclopeadia of Islam (new edition). (E 12), Vol II, p. 239- 240.

(٤) وهي مدينة في جبال طوروس في جنوب الأناضول، وكانت إحدى المراكز الأساسية للتجارة في أطراف سوريا، وتحتوي على كميات وفيرة من الأخشاب في غاباتها. من أجل مزيد من المعلومات حولها انظر:
S.Faroqhi, "Mar ash", E 12, Vol VI, p. 505- 510.

(٥) مهمة دفتري ٣، ص ١٦٩ رقم١. حملت هذه الوثيقة إلي وجهتها في ٢٨ محرم ٩٦٧هـ/ ٣٠ اكتوبر ١٥٥٩م.

(٦) تقع بيره جك على الضفة اليسرى للفرات. وتقع في تركيا الحالية. وأخضعت للعثمانيين في الفترة ما بين ٩٢٠- ٩٢٣هـ (١٥١٤- ١٥١٧م) واحتفظ العثمانيون بترسانة صغيرة هناك. لتغطية احتياجاتها للأساطيل الصغيرة في الفرات. من أجل مزيد من المعلومات انظر: M.Streck, "Biredjik", E 12, Vol I, p. 1233- 1234.

(٧) مهمة دفتري ٣، ص ٢٦٣ رقم ٢.

(٨) وهو الشهير بـصقللي محمد باشا. تولى الصدارة العظمى في عام ٩٧٣هـ (١٥٦٥م) قام بدور بارز في حياة السلطان سليم الثاني، اذ أن خبرته وعملياته العسكرية، ساعدت كثيراً على المحافظة على كيان الدولة

العثمانية. من أجل مزيد من المعلومات انظر: قطب الدين النهروالي، «الاعلام بأعلام بيت الله الحرام» (بيروت، بدون تاريخ ب.ت.) ص ٣٠٥- ٣٠٨ ومحمد فريد بك، «تاريخ الدولة العلية العثمانية» (بيروت، ١٩٧٧) ص ١٠٩.

(٩) أما فيما يتعلق بـ ١٠٠٠٠٠ الأخرى فانه طلب منه بأن يرسلها إلى قوات الروميلي، ووردت إليه التعليمات بأن يأخذ المبلغ من خزينة حلب إذا لم يصل المبلغ من مصر، وإذا كان هناك احتمال التأخير، فيأخذها كدين من خزينة أمد. انظر: مهمة دفتري ٣، ص ٢٦٣ رقم ٣ و ٤. واحتاجت الدولة لذلك المبلغ لتمول مصاريف قوات الروميلي التي توجهت لإخماد ثورة شيخ زاده بايزيد السلطاني القانوني، والتي استمرت من عام ١٥٥٣- ١٥٥٩. حول هذه الثورة راجع: Danismend, Osmanli Tarihi Kronolojisi, Vol II, p. 309- 328. وهذا يدل على أن اسطول البصرة كان أقل أهمية من ثورة بايزيد بالنسبة للحكومة، لأنها كانت حريصة على تمويل القوات العثمانية. انظر: مهمة دفتري ٣، ص ٢٦٣ رقم ٣و ٤.

(١٠) أصل الكلمة مشتق من الكلمة اللاتينية Tripolis وتقع طرابلس على الساحل اللبناني على البحر المتوسط راجع: Buhl, "Trabuls" Encyclopaedia of Islam (new edition) (photographic reprint) (E 11), Vol VIII, p. 660.

(١١) طرابزون (Trebizond) كلمة مشتقة من الأصل اللاتيني وتقع على الزاوية الجنوبية الشرقية من البحر الأسود، وتفصلها الجبال العالية عن آسيا الصغرى وأرمينيا، واستولى عليها السلطان الفاتح في عام ١٤٦٠ راجع: I.Kramers, "Trabzun", E 11, Vol VIII, p. 660- 662.

(١٢) مهمة دفتري ٣، ص ٢٥٨، وتاريخ الوثيقة ٣ جمادى الأولى ٩٦٧ (٣٠ يناير ١٥٦٠).

(١٣) القادرغة سفينة خفيفة ذات مجاديف، وهي مزودة من ١٦- ٢٤ مقعداً على كل جانب. انظر: C.Imber, "The Navy of Suleyman the Magnificent" Archivum Ottomanicum, Vol VI (1980), p. 279 et S.Ozbaran, Ottoman Turks, p. 75 n. 51.

(١٤) مهمة دفتري ٣، ص ٢٨٦ رقم ١.

(١٥) مهمة دفتري ٣، ص ٢٦٣ رقم ٢.

(١٦) كان ابن عليان حاكماً على منطقة الجزائر التي تقع في شمال البصرة، وتتكون معظم أراضيها من المستنقعات، عندما دخل السلطان القانوني بغداد في عام ٩٤١هـ (١٥٣٤م) أرسل علي بن عليان ولاءه للسلطان العثماني، واستمرت العلاقة الحسنة بين الطرفين لبعض الوقت، إلا أن ابن عليان سرعان ما شارك في ثورة راشد بن مغامس حاكم البصرة عام ٩٥٣هـ (١٥٤٦م) وأعلن بعد ذلك ابن عليان ثورته في عام ٩٥٦هـ (١٥٤٩م) في منطقة الجزائر، وقد استمرت ثورته لسنوات عديدة راجع حول: F.Alkanderi, The Ottomans and the Gulf in the Mid-Sixteenth Century, Ph. D.Thesis, University of Manchester, 1992, p. 99- 102.

(١٧) رغم أن الوزير محمد باشا قد أمر مراراً بأن يستطلع فيما إذا كانت السفن ستمر في منطقة خطرة ولاسيما الأراضي التي كان يسيطر عليها ابن عليان (مهمة دفتري ٣، ص ٢٦٣ رقم ٢ وص ٢٩٠) إلا انه لا يذكر شيئاً عن ذلك.

(١٧) مكرر: هي عبارة عن مجموعة من الخشب قد جمعت معاً على هيئة لوح مستطيل، لتوضع فوقها الأشياء.

(١٨) مهمة دفتري ٣، ص ٢٩٠.

(١٩) كان المجدفون في العادة يأتون من مناطق مختلفة من أرجاء الأمبراطورية، وكانوا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، أسرى الحرب الأجانب، والمجرمون، والرجال الذين يجمعون سنوياً من ولايات آسيا الصغرى وأوروبا، والقسم الأخير كان يوفر أكبر مجموعة من الرجال في الأسطول (Imber, "Navy", p. 265) وكان هناك نوعان من المجدفين الذين ساهموا في النقليات النهرية، إذ النوع الأول كان يتكون من المجدفين المدفوعي الأجر الذين كانوا يجمعون من حلب والذين كانوا ينقلون البضائع حتى قناة الفلوجة في بغداد، حيث كانت

البضائع تسلم إلي العمال المحليين المدفوعين الأجر، والنوع الآخر كانوا ينقلون البضائع حتى قناة الفوجة في بغداد، حيث كانت البضائع تسلم إلى العمال المحليين المدفوعين الأجر، والنوع الآخر كان يختار من بين المجرمين في تلك المنطقة، وفي حالة النقص فان أعداد أخرى من المجرمين كانت تجلب من حلب وديار بكر (C.Orhonlu et T. Isiksal, "Osmanli Devrinde Nehir Nakliyati Hak-kinda Arastirmalar Dicle ve Furat Nehirlernde Nakliyat", Tarih Dergisi, Vol XIII, Sayi 17- 18 (1968, pp 77- 103), p 84).

(٢٠) مهمة دفتري ٣، ص ٣٩٦ رقم ٤، ص ٤٥٣ رقم ١، وأرسلت الرسالة الأولى في ٢ رمضان ٩٦٧هـ (٢٧ مايو ١٥٦٠م).

(٢١) منحت الحكومة أمير (بك) بيره جك مبلغاً وقدره ٢٠٠٠٠ اقجة بعد انتهائه من بناء أسطول البصرة: (Imber, "Navy" p. 274).

(٢٢) مهمة دفتري ٣، ص ٣٤١ رقم ٣، لقد أرسلت الرسالة له بتاريخ شعبان ٩٦٧هـ (ابريل ١٥٦٠م).

(٢٣) مهمة دفتري ٣، ص ٣٧١ أرسل هذا الحكم إلى أمير أمراء بغداد في ١٧ شعبان ٩٦٧هـ (١٢ مايو ١٥٦٠م).

(٢٤) كانت قبان (أو قبان) تقع قرب نهر قارون، بلغ دخلها السنوي ٢٠٢٢٠ اقجة في عام ٩٥٩هـ/ ١٥٥٢م (انظر: طابو تحرير دفتري رقم ٢٨٢، ص ٢٧٣).

(٢٥) مهمة دفتري ٣، ص ٣٦٠ ولا تقدم الوثائق العثمانية أية معلومات اضافية عن هذه القلعة.

(٢٦) دوراق هو الاسم القديم لقرية تعرف باسم الفلاحية، وخور دوراق هو فرع لخور موسى.

(٢٧) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٥ رقم ٣، أرسل هذا الحكم في ٢٣ شعبان ٩٦٧هـ (١٩ مايو ١٥٦٠م) ولم تذكر الحكومة أي شيء عن القبطان، وانما طلبت منه بأن يتخذ الحيطة في معالجة الأمور في تلك الولاية وألا يتصرف خلافاً لإتفاقية أماسية عام ١٥٥٥م التي وقعت مع فارس.

(٢٨) عندما قامت الحكومة العثمانية باجراء إحصاء في منطقة البصرة في رجب ٩٥٩هـ (يونيو ١٥٥٢م) كان هناك ٨٤ عائلة (خانة) و٨٥ عازباً (مجرد) في منطقة زكية، وبلغ دخلها السنوي حسبما ذكره الدفتر أو السجل ٢٧٦٦٨ اقجة، بينما الحقيقة بلغ ٢٧٦٧٦ اقجة. (انظر: طابو تحرير Tapu Tahrir دفتري رقم ٢٨٢، ص ٣٨.

(٢٩) ان عبارة باخط شريف تظهر على طرف الحكم.

(٣٠) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٣ رقم ٢، وأرسلت هذه الرسالة بتاريخ ٢٣ شعبان ٩٦٧هـ/ ١٩ مايو ١٥٦٠م.

(٣١) كانت أبو غربة قرية أو قلعة في منطقة الجزائر، وأعطي حاكمها لقب سنجاق بك في ٩٦٦هـ (١٥٥٨م). (انظر: طابو تحرير دفتري رقم ٣١٣، ص ٥٣٤ ص ٣٨- ٣٩.

(٣٢) مهمة دفتري ٣، ص ٤٠٦ رقم ٢، جمل إليه هذا الحكم في ١٤ رمضان ٩٦٧هـ (٨ يونيو ١٥٦٠م).

(٣٣) وهي مستوطنة في جنوب عربستان، واختفى هذا الاسم من الوجود. (٣٤) قرية في منطقة الجزائر.

(٣٥) لم نتمكن من تحديد موقعها في الخريطة، إلا أنه يعتقد بأنها تقع في منطقة الجزائر، ومنحت لمراد كسنجاق في رجب ٩٦٦هـ (مايو ١٥٥٩م) بقيمة ٢٠٠٠٠٠ اقجة (انظر: طابو تحرير دفتري رقم ٣١٣، ص ٥٣٧).

(٣٦) قرية صغيرة على الضفة اليمنى من نهر الفرات، وعلى بعد حوالي ١٢ ميلاً من قورنة.

(٣٧) مهمة دفتري ٣، ص ٤٨١ . أعطي الحكم للكتخدا أحمد في ٢٣ ذي القعدة ٩٦٧هـ (١٥ أغسطس ١٥٦٠م).

(٣٨) مهمة دفتري ٣، ص ٥٠٨ رقم ١، أرسلت الرسالة بتاريخ ٢٠ ذي الحجة ٩٦٧هـ (١١ سبتمبر ١٥٦٠م).

نظرات في كتاب:

«التعليقات والنوادر» لأبي علي هارون بن زكريا الهَجَري

[مما يُحمد للأستاذ الكريم خالد بن زيد المانع متابعته المتواصلة لما يُنشر متعلقا بتاريخ الأمة من مؤلفات أو دراسات أو أبحاث، تتبع المستفيد المستزيد من العلم والمعرفة، وله عناية خاصة بعلم الأنساب، يبدو من خلال ما أبداه من مُلاحظاته هذه حول كتاب قلَّ مَنْ أعاره اهتمامًا على جلالة قدره، وغزارة ما يحويه من أنواع المعرفة] .

يعدُّ كتاب «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري من أهم المراجع التي لا غنى للباحث في تاريخ الجزيرة العربية وآثارها عنها، خاصةً لمن يبحث في أصول القبائل الحديثة وصلتها بالقبائل القديمة، إذ تجد عنده من التفصيل في فروع القبائل ما لا تجده عند غيره .

ويرجع تفرد أبي علي الهجري في هذا الجانب إلى كونه أحد أبناء هذه الجزيرة عاش بين جبالها ووديانها، وتنقَّل بين قبائلها، وسكن بين أهلها، بل لم يعرف عنه مغادرة جزيرة العرب، لذالك نقل لنا صورة مفصلة دقيقة عن قبائلها وأشعارها، وأنسابها، ومواضعها، بخلاف غيره من العلماء ممن يقبع في المدن العامرة في العراق والشام، وينقل عمن يفد إلى المدن من رجال البادية، فربما نقل عن البعض وترك الآخر، أو نقلت له الصورة خلاف الواقع .

ومما يثلج صدر الباحث أن يتصدى لتحقيق هذا الكتاب أحد من عانى هذا العمل فترة من الزمن بجد واجتهاد حسب الطاقة، فقام بتحقيقه ومقارنة نصوصه، ثم تتبع جميع من نقل عنه في عصور متفاوتة حتى اجتمع إليه كمّ عظيم من هذا المؤلف القيم، سدّ به ثلمةً من الجزء المفقود منه .

وعندما يتصفح القارئ المجلد الرابع من الكتاب المتعلق بـ(النسب) يرى سعة علم الشيخ حمد الجاسر من خلال الاستدراكات النادرة التي ملأ بها حاشية الكتاب تعليقًا على أنساب القبائل المذكورة حتى أصبح مرجعًا لمن يدخل هذا الباب أو يقوم بتحقيق أحد مصادره .

وحين قرأت الكتاب لفت نظري بعض الأشياء التي أردت تقديمها للقارئ الكريمِ كي يناقشها، وتكون الفائدة أكثر... وهي كما يلي:

أولاً- جاء في قسم الأشعار التي لم يتضح قائلها ولا راويها [ج٢ / ص٩٣٢] ما يلي: في النخل:

تعال إلى أم العيال فحُلَّها	ولا تجل عنها خشية الموت والقدرِ
ومت حزنًا من غيظ حمٍّ ركزتها	أُخذْتَ على باب التهضم والعسرِ
طوال القنا قد فرّج الزرع بينها	تحشُّ بأنضادٍ ثقالٍ من الوقرِ
قد أصبح فيها (مالكٌ) لا يهابكم	وأصبح في خيم الهلال (بنو جبر)
رخيصًا بأيديهم عَصِيرٌ دليلها	وقد كان يغلو عندكم يا (بني بشر)

ورد في هذه الأبيات ذكرٌ لقبيلة تدعى (بني جبر) لم تنسب إلى قبيلة، بل جاء ذكرهم مقروناً مع (مالك)، فلعلهم منهم أو إخوة لهم. إلا أن هذه القبيلة لم تأخذ موضعها تحت حرف (الجيم) في قسم الأنساب، كما أن الشيخ لم يعلّق عليها بشيء، بل لم يأت لها ذكرٌ حتى في الفهارس العامة في آخر الكتاب.

ثانيًا- لم يذكر اسم (حصين) إحدى فصائل ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عُقَيل في موضعه في حرف الحاء من قسم الأنساب.

ثالثًا- جاء في رسم (الحكيمي من خويلد من بني عقيل) [ج٤ / ص١٧٣٠] نسبة (الحكيمي) صحيحة إلى خويلد بن عوف بن عامر بن عُقَيل.

وكان قد ورد في هامش [ج٢ / ص٦٠٤] ما يلي: الحكيمي نسبة إلى حكيمة بن الأعلم بن خويلد بن عوف بن عُقَيل، والخويلدي نسبة لخويلد المذكور أو لخويلد بن معاوية بن حزن بن عبادة بن عقيل - وبنو خويلد هاؤلاء يقال لهم بنو العوفية، وقد فصّل الهجري بطونهم، ولكنه لم يذكر بني حكيمة. انتهى. والصحيح في نسب (الحكيمي) أنه إلى بني خويلد بن عوف

بن عامر بن عقيل، وليسوا من بني خويلد بن معاوية بن حزن بن عبادة بن عقيل وذالك لوجود ما يصرف هذا الالتباس وهو عدة أمور:

١) ذكر الإشبيلي والفاسي في مختصريهما لكتاب الرشاطي ما يلي: (وفي عقيل الحكيمي ينسب إلى حكيمة بن الأعلم بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل) [ج٤ / ص١٧٣١].

٢) ما قاله ثبوّح مولى المختار بن الخطاب الكليبي الخفاجي يجيب الحكيمي من بني خويلد [ج٢ / ٥٥١].

عجبت لمهدٍ شعره حين شبَّه	وهو بجبال (الْفرد؟) غبرٌ لهو بها
تغنّى مغنٍ من (حكمية) كاذبٌ	ومن شرٍّ أخلاق الرجال كذوبها
فلو كنت حرًّا من صميم (خويلدٍ)	يحامي على الأحْساب ممن ينوبها

إلى أن قال:

أتذكر (عمرانًا) وتنسى عصابةً	بفُوَّهَة (الهدّار) شبعان ذيبها
ينادون بـ(الهدار) (عوف بن عامرٍ)	بأسمائها لا بالكنى ما تجيبها

فقد ذكر الشاعر نسبه مفصلاً في هذه القصيدة (حكيمة - خويلد - عوف ابن عامر).

٣) لم يذكر الهجري في تفصيله لأنساب خويلد بن معاوية اسم (حكيمة) مع أنه أسهب في ذكر أنسابها بالتفصيل، ولو كان من فروع خويلد بن معاوية لعدّ هذه القبيلة لاشتهار أحد شعرائها. [ج٤ / ص١٧٤٧].

٤) أن شهرة بني خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل في القبيلة أوضح من شهرة بني خويلد بن معاوية بن حزن بن عبادة بن عقيل فقد ذكر الهجري قول الشاعر:

(عُقَيلٌ) غرةٌ خلقت لـ(كعبٍ)	و(عوف) غرة لـ(بني عُقَيْل)
رجال من (خويلد) (آل عوفٍ)	حيال الشمس أو مجرى سهيل
فنعم مناخ أرملةٍ عجافٍ	وملقى نسعتين على رُحيل

[ج٢ / ص٩٣٩].

رابعًا- جاء في قسم الأشعار [ح٢ / ص٦٨٦] في أشعار العامري ما يلي:

وأنشدني للعامري، من عامر ربيعة، ويقال كلابي:

فإن على (الأُوانَة) من (عُقَيْلٍ)	فتى كِلْتَا اليدين له يمينُ
يفدي (الخالدي) بوالديه	خريميٌّ بوالده ضنينُ
وقفت بباب قبته ودوني	من الظلماء ملتبسٌ حصين
فقام إليّ أروع (خالديّ)	يُجَلِّي الليل لي عنه الجبين
أتيته والمطيّة كبر همي	فقال لك المطيّة والقرين

وفي [ج٢ / ص٦٠٦] بعد القَرِين: أي بعيران مقرونان في حبل. انتهى، وهنا لي وقفتان:

الأولى: ورد في هذه الأبيات قصةٌ لرجلٍ كريم النفس يسمّى (الخالدي)، وهذا الرجل (الخالدي) نُسب في هذا البيت الأول أنه من (بني عقيل)، ومع ذلك لم يُذكر رسم (الخالدي) في موضعه في حرف الخاء في قسم الأنساب، ولا في حرف العين عند رسم (عقيل).

الثانية: ورد في أشعار حُمَّر بن الأشهب (أبي كليب العامري) جزءٌ من هذه القصيدة حيث قال أبو علي الهجري [ج٢ / ص٦٠٦]: وأنشدني أبو كليب حمّر بن الأشهب من بني عامر بن ربيعة. انتهى، وفي الموضع أمامنا ذكر أنّه عامري، ويقال: كلابي، فيظهر أن القصيدة لرجلٍ واحدٍ هو حمّر بن الأشهب (أبو كليب العامري) من عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، فيكتفى بذكر هذه الأبيات في موضع أشعاره فقط، دون إيرادها في أشعار العامري التي قد يقصد بها هو أو غيره.

خامسًا- في موضع (خويلد من بني عقيل من هوازن) [ج٤ / ص١٧٤٧] جُمعت قبيلتان تحملان هذا الاسم وينتميان لقبيلة واحدة الأولى بنو خويلد بن

معاوية بن حزن بن عبادة بن عُقيل، والأخرى بنو خويلد بن عوف بن عامر بن عُقَيل. وكان الأولى وضع كلٍّ قبيلة في موضعٍ خاص بها.

سادسًا- في قسم الأنساب [٤ / ١٧٥٩] في رسم (ربيعة من عُقَيل بن كعب من هوازن) إهمالٌ لفصائل ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل: شداد وعلي وعَبِيدة وحصين وناشب، وعقال الذي ورد ذكرهم في [ج٤ / ١٧٦٢] في رسم (الرقيطاوي).

قلت: ومن أبناء ربيعة بن خويلد (عامر) صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ويلقَّب بـ(أبي جرادة)، وهو جد آل (العَدِيم) قضاة حلب، منهم المؤرخ المشهور كمال الدين بن العديم (٥٨٨- ٦٦٠هـ) صاحب «بغية الطلب في تاريخ حلب» وهو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبدالله بن محمد بن عامر (أبي جرادة) بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل[١].

سابعًا- لم يذكر اسم (شداد) إحدى فصائل ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل في موضعه في حرف الشين.

ثامنًا- جاء في قسم الأنساب [ج٤ / ص١٨٠٩] في موضع (العائذي من عقيل من هوازن]: صاحب سلامة ميمون بن شيخ العائذي من خويلد عقيل من عبيدة. عبدالله بن عاصم العائذي من ربيعة بنت عقيل.

وكان ورد في حاشية أشعار ميمون بن شيخ العقيلي [ج٢ / ٨٧٨] ما يلي: في نسب هذا الشاعر اضطراب، إذ خويلد هو ابن عوف بن عامر بن عقيل، وعائذ من ربيعة بن عقيل، وقد تكون كلمة العائذي هنا تحريف (العبايد) كما يأتي. وعبيدة ليسوا من بني عقيل، بل من بني قشير على ما في كتاب الهجري الذي بين أيدينا انتهى.

قلت: بل ورد في قسم الأنساب [ج٤/ ص١٧٦٢] في رسم (الرقيطاوي في

عقيل من هوازن) ما يفيد بوجود عَبيدة في عُقَيل: قال الهجري: وفصائل ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عُقَيل: شداد وعلي وعبيدة وحصين وناشب، وعقال. وهاؤلاء سوى ناشب يقال لهم: الرقيطا. انتهى، فإذن تكون نسبة (عائذ) لعبيدة بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل، وليسوا من (بني قشير).

ولولا ما نصّ عليه (ابن رسول) توفي سنة ٦٩٦هـ في «طرفة الأصحاب» من أن آل عائذ، وآل شداد، وبنو قيس، وآل السفر، وآل الصلت وأصحابهم يسمّون الأبطن من ولد معاوية بن عمرو بن معاوية بن الحارث الجنبي، وأن أمهم عبيدة بنت مهلهل وإخوتهم لأمهم آل ضيغم وآل راشد، من آل منيف من جنب(٢) لجزمنا بأن قبيلة (عائذ) الموجودة في نجدٍ الآن من قبيلة (بني عقيل).

تاسعًا- لم يذكر اسم (عَبيدة) إحدى فصائل ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل في موضعه في حرف العين [ج٤ / ص١٨١٣].

عاشرًا- جاء في رسم (العرعري من عقيل من هوازن) [ج٤ / ص١٨٢١] ما يلي: أورد لنميرية لم يسمها:

قضيت نذوري من نمير بن عامرٍ ولي في الذليل (العرعري) نُذورُ

جاء في هامش الأصل: عرعري من عامر بن عقيل.

قلت: عرعري نسبةً إلى عُرْعُرة بن ربيعة بن عامر بن عقيل: قال ابن السكيت (١٨٦- ٢٤٤هـ) في «إصلاح المنطق» في باب: ما أتى مثنى من أسماء الناس لاتفاق الأسمين: (وفي عقيل ربيعتان: ربيعة بن عقيل، وهو أبو الخلعاء. وربيعة بن عامر بن عقيل، وهو أبو الأبرص، وقحافة، وعُرْعُرة، وقرة). انتهى(٣).

الحادي عشر- لم يذكر اسم (علي) إحدى فصائل ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عُقيل في موضعه في حرف العين [ج٤ / ص١٨٣١].

الثاني عشر- جاء في رسم (الغيلاني من عقيل من هوازن) [ج٤ / ص١٨٤٣]: وأنشدني لعبدالله بن عاصم الغيلاني أحد بني عامر من ربيعة بنت عقيل في جُمْل الخثعمية. وعبدالله بن عاصم الغيلاني يرجع إلى (عائذ) من عَبِيدة بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل. حيث جاء في رسم (العائذي من عقيل من هوازن) [ج٤ / ص١٨٠٩]: عبدالله بن عاصم العائذي من ربيعة بنت عقيل، وأنشدني لصاحب جُمْل، واختلفوا فكثير منهم يقول: عبدالله بن عاصم العائذي من ربيعة بنت عقيل.

الثالث عشر- جاء في رسم (المنيني في عقيل من هوازن) [ج٤ / ص١٨٨٦]: وأنشدني أبو علي الهجري للحرشي يمدح آل منين رهط (الحر) من بني مالك ثم أحد بني ربيعة بن عوف بن عامر بن عقيل، وجاورهم فأحمد:

رحلنا وودّعنا بِـ(طخْفَةَ) جيرةً ... من (آل منين) كلُّ جارٍ مودّع
سواءٌ أجاورت (المنيني) أم دجا ... عليك الحيا في كل صيفٍ ومربع
لك الله لا يأتيك ضيمٌ ولا أذى ... ولا ذلةٌ ما دام يعطي ويمنع

قلت: آل منين هاؤلاء من بني مالك بن ربيعة بن عوف بن عامر بن عقيل و(الحر) المذكورة هنا وردت في بعض نسخ المخطوطة (الحير) [ج٢ / ص٥٩٧]، إلا أن الصحيح أنها مصحّفة من كلمة (الجبر).

فيكون (آل منين) هاؤلاء رهط (الجبر) لعدة أمور:

١) أن هذا ما ذكره الإشبيلي في مختصره [ج٤ / ص١٨٨٦ الحاشية].

٢) ما ورد في قسم الأشعار [ج٢ / ص٩٠٤] من قصيدة نوال بن التَّغاء القشيري: لما نجعوا (الشَّوْرَيْنِ) وهما قفّان من أطراف شرقي (الحلَّة) من دار بني نمير جاء فيها:

فلمَّا بدا (الشوران) شورٌ به الردى ... وشورٌ به (القلعان) كرّ بنا (جبرُ)

٣) ما ورد في قسم المواضع [ج٣ / ص١٠٨٣]: وقال أبو علي: قال

العقيلي: وذكر جبر ويسمّى الحويسر - وهو رجلٌ منهم - فاحترده القوم فقتلوه يعني وقعوا في نويسٍ قليل.

الرابع عشر- جاء في حرف الميم في رسم [المُهَيَّا من عُقَيل من هوازن) [ج٤ / ص١٨٨٨]: من قصيدة لسباق الباهلي:

أما قد قلت ويحك (فارِضُوني) إلى أهل (اليمامة) أو (ضَرِيَّة)
وإن شئتم إلى أهل (المهيا) ففيهم كل مكرمة وهية

من بني عبادة بن عقيل.

سراعًا مجهدين إلى عداهم ونهضتهم على (كعب) وطيّة

من ولد كعب بن ربيعة لأنهم قومهم، وإنما أراد أن بأسهم على مَنْ بَعُدَ منهم.

حموا ما بين دار (بني سليم) إلى ما ردّ (فيد) إلى (طمية)
إلى دار (الحسريش) فـ(بطن برك) ديار لا تعنِّفها الرعية

أبو المقلد جعفر بن عمرو بن المهيا سيد كعب اليوم، ومنهال بن عمرو. انتهى.

قلت: ورد ثلاثة أشخاص من هذه الأسرة (آل المهيا) في كتاب «التعليقات والنوادر» هم:

١) أبو المقلد جعفر بن عمرو بن المهيا سيد كعب في وقت أبي علي الهجري.

٢) أخوه منهال بن عمرو بن المهيا.

٣) ابن عمه علي بن المضاء بن المهيا، أحد رواة أبي علي الهجري [ج١ / ص١٠١]. ومع ذلك لم يسلسل نسبهم إلى عقيل بن كعب، مع أن جعفر بن عمرو بن المهيا هو أحد أجداد (آل المسيب) ملوك الموصل في القرن الخامس الهجري في عهد الدولة العباسية، والذي اشتهر منهم قريش بن بدران بن

المقلد بن المسيب بن رابع بن المقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا وعمه قرواش بن المقلد، وغيرهم.

والمهيَّا كما ورد في «بغية الطلب في تاريخ حلب» لأحد أفراد هذه القبيلة كمال الدين بن العَديم العُقَيلي (٥٨٨- ٦٦٠هـ) هو: المهيّا بن يزيد بن عبدالله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة(٤).

وقد ترجم ابن خلكان (٦٠٨- ٦٨١هـ) للمقلد بن المسيب وذريته في «وفيات الأعيان» إلا أنه صحّف كلمة (المهيا) إلى (المهنّا)(٥).

كما أن ابن خلدون وضع مبحثًا كاملاً عن دولة بني عقيل في الموصل إلا أنه صحّف كلمة (المهيّا) إلى (مهنّد)(٦).

وهذه الملاحظات السابقة جميعها تتعلق بالجزء الرابع الخاص بالنسب، وخلال اطّلاعي على الجزء الثالث رأيت بعض الأمور التي يمكن أن تصنّف في الأخطاء المطبعية، نذكرها لإمكان تلافيها في الطبعات اللاحقة، وهي:

أولاً: جاء في قسم المواضع في رسم (أكمة) [ج٣/ ص١٣٢٦] من قصيدة لعبادة بن البراء أحد بني عبدالله بن جعدة:

ألا أيها الغادي بأكمة أهلُه ... سقى الله مُسقي الغيث أرضًا تؤدبها

فأبلغ عنّي أهل (كوزٍ) رسالة ... طويلاً بحجرٍ حَبْسُها ونشوبها

ذُكر في الحاشية تعليقًا على كلمة (كوز): في الأصل (كوز) تصحيف.

قلت: ويظهر أن الصحيح (كرز) بالراء لا بالواو. فقد جاء في «بلاد العرب» للحسن بن عبدالله الأصفهاني وهو يعدد منازل بني جعدة: وسوق الفلج ببطحاء، وادٍ يُسمّى وادي أكمة. واسم الوادي كرْز. إلى أن قال: وأكمة: قرية بها منبر وسوق، وهي لجعدة، إلا قليلاً من أعلاه لبني قشير، وكرز ساقيتها، وأكمة بين جبال.

كما جاء أيضًا في تعليق الشيخ حمد الجاسر على الكتاب في الحاشية: و(كرْزٌ) لا يزال معروفًا، واستشهد بثلاثة أبيات لشاعر عامي[(٧)].

ثانيًا: في رسم (حمى ضرية) [ج٣/ ص١٤٢١]: وقع خطأ مطبعي في أسفل الصفحة بتأخير البيت عن موضعه ونقله إلى الصفحة التالية.

ثالثًا: جاء في موضع (الشوران) [ج٣/ ص١٥٠٦] في بيت لسلم بن رمّاح الأسدي من (لبيني):

أبا الصَّلت أكثر حَمْدَكَ لله إنّما جزاء الذي أولاك نعمته الشكر

هكذا ضبط شكله، وهو بذالك لا تستقيم قافيته، ولعل الصحيح في ضبطه ما ورد في أشعار سلم بن رماح في [ج٢/ ص٦٥٦].

أبا الصَّلت أكثر حَمْدَكَ اللهَ إنّما جزاء الذي أولاك نعمته الشكر

وفي الختام أشكر شيخنا الفاضل على جميع ما يبذله في حفظ تراث هذه الأمة وتاريخها وآدابها، كما أنوّه بالجهد العظيم في تحقيق هذا الكتاب القيم، وأرجو أن تكون هذه الورقات تصب في خدمة تراثنا المجيد، للوصول به إلى ما يتمناه كل قارئ وباحث.

الدلم (الخرج): خالد بن زيد بن سعود المانع

الحواشي:

(١) ياقوت الحموي، «معجم الأدباء»، ج٥، ص٢٠٦٨، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٣م.

(٢) ابن رسول، «طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب»، ص١٢٢، بيروت، دار المدينة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

(٣) ابن السكيت، «إصلاح المنطق»، ص٤٤٧، دار المعارف بمصر، ط١٢٨٦، تحقيق عبدالسلام هارون، وأحمد شاكر.

(٤) ابن العديم، «بغية الطالب في تاريخ حلب»، ج٢، ص٩٢٩، بيروت، دار الفكر، تحقيق سهيل زكار.

(٥) ابن خلكان، «وفيات الأعيان»، ج٥/ ص٢٦٠، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ.

(٦) «تاريخ ابن خلدون»، ج٧، من ص٤٤٥ – ٥٧٩، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨١م.

(٧) الأصفهاني، «بلاد العرب»، ص٢٢٤، ٢٢٧ – الرياض، دار اليمامة، ط١، ١٣٨٨هـ، تحقيق الشيخ حمد الجاسر، والدكتور صالح العلي.

الأعمار ينهبها مَرُّ الليالي ...

عَـــمْــــرَاهُ لو أنَّ لي ياصَــــاحِ أجْنِحَـــةً
أفْـــرِي بهــا الجــوَّ لا أَلْوِيْ على أحــدِ
كــيـمــا أجــاوزَ دَرْبِي غـــيــرَ مُكْتَــرِثٍ
بِجَــحْــفَلٍ عَــبْــرَ كُلِّ السُّــبْلِ مُنْسَــرِدِ
لا ينـقــــضي أَرَبٌ إلاَّ مُــــسَــجَـــاهَدَةً
والوقتُ لا يَرْفُــدُ الســاعــين بالْمَــدَدِ
وناشِــدُ المـــجــدِ تَوَّاقًــا لأفْــضَلِهِ
لا يـرقُبُ الرِّفْــــــدَ مـن عَمٍّ ولا وَلَدِ
نُمْــسـي ونُصْــبِحُ والأَعْــمَــارُ يَنْهَبُهَــا
مَــرُّ الليــالي مُــرِيغًــا غَــيْــرَ مُــتَّئِدِ
واللهَ أحْــمَــدُ كم عــاصَــرْتُ مِنْ حِقَبٍ
وكم تَلَقَّــيْتُ من سَــعْــدٍ ومِنْ نَكَدِ
لَكِنَّنِيْ -والشَّــبَــابُ الغَضُّ يَغْــمُــرني-
أَهْفُــو إلى كُلِّ مَــا يَهْنَا بهــا بلدي
أجْــتَــرُّ أَحْلَى الأَمَــاني من مَنَابِعِــهَــا
قَسْــرًا وأَسْــعَى إِلَيْــهَــا سَعْيَ مُجْتَهِدِ

الرياض: عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

العواسج: من الدواسر

[كانت «العرب» قد طلبت إيضاحًا عن أسر (الدواسر)، من الأخ الأستاذ عبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب - وهو ذو عناية متميزة بأنساب قبيلته (الدواسر)، فكتب - وفقه الله وشكر له - هذا البحث].

زودني الأخ عيسى بن إبراهيم العيسى، وهو من أهل (ثادق) بمعلومات عن أنساب (العواسج) في ثادق هاهي:

فروع العواسج:

١ - آل حِزاب، آل عبيد، آل ربيعة، ومن آل ربيعة آل سلطان وآل صالح.

٢ - آل عمران: ومنهم آل سويلم، ومن آل سويلم يتفرع الفوزان، والمشارِي، والدِّباس، والفارس وآل يحيي وآل سعد وآل سليمان، ومن آل عمران آل سليمان المطاوعة، ومن ذرية عمران آل سلامة ويتفرع من آل سلامة آل إبراهيم.

٣ - آل منيع: ويتفرع من آل منيع آل فايز، وآل غدير، وآل مانع وآل حسن.

٤ - آل عَبَّاد: ومنهم المؤرخ ابن عَبَّاد (ت ١١٧٥هـ).

٥ - آل صبيح: ومنهم آل غَرْشي.

٦ - ومن العواسج آل فُهيد وآل حماد.

هذه أسر العواسج في (ثادق)، وقد اطَّلعت على كتاب «إمارة الزبير بن هجرتين» تأليف عبدالرزاق الصانع، ورفيقه، فوجدت فيه معلومة مغلوطة عن نسب (المنديل) الذين كانت لهم شهرة في (الزُّبير) والعراق، ويطلق عليهم (البشوات) منهم إبراهيم باشا المنديل، وعبداللطيف باشا المنديل، حيث نسبهم إلى المنديل الذين في بني خالد، ومنديل بني خالد أسرة أخرى، ولا علاقة لهم بالمنديل الذين في (الزبير) وأن المنديل هاؤلاء أصلهم من

عــلاقــة لـهـم بالـمـنـديل الـذين في (الـزبـيــر) وأن الـمـنـديل هـاؤلاء أصـلـهـم من (جلاجل) ولجدتي أم الوالد إبراهيم الأحيدب بآل منديل قرابة، فهي هيلة بنت عبدالله بن فهد بن عبدالكريم بن سويد، فقد ساق إبراهيم المنديل نسب أولاد جده على هذا النسق: محمد بن عبدالله بن إبراهيم بن سليمان بن حماد بن عامر الدوسري الذي حكم (سُدَير) كله على هذا:

١- المنديل: ذرية منديل بن فوزان بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم.

٢- الشُّهَيل: ذرية شهيل بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم.

٣- التركي ذرية تركي بن محمد بن عبدالله بن إبراهيم، وهم في (جلاجل) وهناك أسرة أخرى يقال لهم (التركي) في (جلاجل) و(حرمة) من ذرية تركي بن إبراهيم أخي عبدالله بن إبراهيم وقد أوردت نسب الأسرتين لإزالة الالتباس.

٤- السُّوَيْد: ذرية محمد بن عبدالله بن إبراهيم، ولهم إمارة (جُلاجل) قديمًا وحديثًا، وأولاد سُوَيْد هم: عبدالكريم، فهد، محارب، علي، والإمارة في آل علي، يتضح هذا مما كتبه إبراهيم المنديل في بيان أنساب ذرية محمد بن عبدالله بن إبراهيم عام ١٣١٧ ونقله عن خطه أحمد بن عبدالعزيز بن سلمان عام ١٣٧٠.

الرياض: عبدالعزيز بن إبراهيم الأحيدب

[«العرب» ورد ذكر العواسج في «صفة جزيرة العرب» ص ٢٥٥ للهمداني الحسن بن أحمد (٢٨٠/٣٥٠ تقريبًا) وأنهم من سكان جُرَش - بضم الجيم - كورة نجد العليا من ديار عنز وهي اليوم خراب. وعلق القاضي محمد الأكوع على هذا بقوله: ويعرفون الآن باسم (العواشز) في وادي ابن هشبل وهو من روافد وادي بيشة ولها بقية في خولان، انتهى. وأخبرني أحد آل ربيعة المنتسبين الى الشيخ العوسجي المؤرخ أن منهم من ينزل (وادي ابن هشبل) أثناء (وادي بيشة) أن بين العواسج في نجد وبين أولئك مواصلة في هذا العهد].

أسرة آل وطبان

سبق أن نشرت «العرب» - س ٣٣ ص ٢٥٨ - مقالاً للأستاذ عبدالعزيز بن

(أن زيد بن وطبان كان أميراً للدرعية) ثم ذكر الكاتب نسب الشيخ محمد بن عبدالمحسن الخيال فنسبه إلى زيد بن وطبان بن مرخان.

وقد كتب إلى «العرب» الأخ محمد بن وطبان بن محمد الوطبان من (الرياض) كتاباً قال فيه: بما أنني انتمي إلى هذه الأسرة الكريمة (أسرة آل وطبان) أود أن أشير إلى أن زيداً المذكور - وهو آخر من حكم الدرعية - من ذرية ربيعة بن مرخان، حيث انتقل الحكم بعد ذالك إلى ذرية مُقْرِن بن ربيعة بن مرخان، ومرخان الأول هو جد الأسرة السعودية الكريمة. أحببت التنبيه عن ذالك حفظًا وصيانة للتاريخ.

وتحقيقًا لرغبة الأخ محمد الوطبان جرى نشره.

نسب النوامسة أيضًا

بعث الأخ ماضي بن صبر النومسي أستاذ التربية الإسلامية في ثانوية الإمام الشوكاني في الرياض إلى مجلة «العرب» ما نصه: (اضافة إلى ما ورد في «العرب» س ٣١ ص ١٣٥ حول عشيرة النوامسة، فإن هذه العشيرة منسوبة إلى نومس بن محمد بن شعيل بن نومس بن دليم بن صقر بن علي بن سليمان ابن عبيد بن بشر من عنزة. ولنومس ابن هو عايد وابناؤه ستة: الدغيش، الراشد، الرشيد، الرشيّد، الرشود والعيد، سمي بكل اسم من هاؤلاء فخذ، يشكلون مجموع عشيرة النوامسة، التي تسكن في قريتي (الشقة) و(لبدة) جنوب مركز (الشملي) التابع لمنطقة حايل، ومن امرائهم الفندي في (الشقة) والزيدان في (لبدة)، ويعودون لشيخ شمل قبائل ولد سليمان الشيخ صالح الأمعط العواجي). انتهى وذكر الكاتب مراجعه وهي مؤلفات ابن عبّار وابن دخنة الشريفي وسليمان الطيب، و«العرب» لا تعرف شيئًا عن أحوالهم.

«المسالك والممالك»

لابن خرداذبة (نحو ٢٠٥ / ٣٠٠هـ)

أعده للنشر: خير الدين محمود قبلاوي

لعل الفضل الأول في نشر هذا الكتاب يعود للمستشرق الهولندي (دي غويه DE GOEJE) (١٨٣٦ / ١٩٠٩م) الذي نشره مضيفاً إليه كتباً أخرى في موضوعه ضمن مجموعة (المكتبة الجغرافية العربية)، نشره مع مقدمة وترجمة باللغة الفرنسية في ليدن سنة ١٣٠٦ (١٨٨٩م).

ثم نشرت كتب هذه المجموعة على عِلاّتها، وممن تولى نشرها (دار إحياء التراث العربي في بيروت)، فقام الدكتور محمد مخروم بنشر الكتاب ووضع له هوامش وفهارس.

وفي هذه الأيام قدم لي الابن الكريم الأستاذ خالد بن خنين، الملحق الثقافي لبلادنا في بلاد الشام نسخة نشرتها (وزارة الثقافة) في سورية، في سلسلة تصدرها الوزارة تحت عنوان (مصادر التراث العربي) وجاء الحلقة الـ(٨١).

لقد سررت من اتجاه هذه الوزارة الكريمة لنشرها هذا الكتاب وأمثاله، ولكنني بعد أن تصفحته، وهو من إعداد وتقديم الأستاذ خير الدين محمود قبلاوي، لم أجد فيه ما كنت أتطلع إليه، مما كان مؤملاً ومعهوداً، من مثل وزارة جليلة تعد حارسة لتراث الأمة، مما يستلزم أن تبذل العناية الوافية في تحقيق المنشور من ذالك التراث.

لعل قلة المعنيين بالدراسات الجغرافية القديمة كان من الأسباب التي حالت دون إبراز هذا الكتاب بالصورة المتوخاة، وإنْ بذل المُعدُّ لنشره جهدَهُ، فوضع مقدمة للكتاب، استقى أكثر ما فيها من كتاب (بروكلمان) و«تاريخ الأدب

الجغرافي» وغيرهما، وأرخ سنة ولادة ابن خرداذبة بـ(٢٠٥) ووفاته سنة (٣٠٠هـ)، مع أنه قد اختلف المؤرخون في ذالك، فالزركلي قال عن سنة ولادته (نحو ٢٠٥) وتوفي نحو (٢٨٠هـ) فكان الأولى بالمُعِدِّ أن يسبق تاريخ ولادته ووفاته بكلمة (نحو) ليخرج من التبعة.

وتحدث الأستاذ محمود عن الكتاب فنقل عن (دي غويه): لا توجد له نسخة خطية كاملة. ونقل عنه أشياء مهمة تتعلق بالكتاب ومؤلفه، وقال: بأن مادته المجموعة كانت مصدراً لكثير من الجغرافيين المتأخرين كابن الفقيه، وابن حوقل والمقدسي والجيهاني والمسعودي واليعقوبي. أليس من الملائم أن يتبع مظانّ وجود المخطوطات، ويطلع مع مصادر وصفها في الفهارس والمؤلفات، دون الاقتناع بقول باحث مضى لعهده ما يزيد على القرن، كشفت فيه مخطوطات كانت مجهولة. وعرفت مؤلفات يظن أنها مفقودة؟!

ثم أشار إلى أنه اعتمد على طبعة المستشرق (دي غويه)، وهي تشتمل على كتابي «المسالك والممالك» لابن خرداذبة، ونبذ من كتاب «الخراج» لقدامة بن جعفر، وقال: بأن الغاية التي دفعته لإعادة طبع الكتاب والعناية به، تعريف القارئ العربي على المكتبة الجغرافية العربية وغناها، فاختار هذا الكتاب الرائد، بتوجيه من أستاذه الدكتور عدنان درويش، الذي يحرص - دائماً - على تقديم التراث العربي بالصورة المُثْلَى.

ثم وصف الخطوات التي قام به لاخراج الكتاب، ولا جديد فيها.

ومن المعروف أن أسماء المواضع عرضة للتصحيف والتحريف، ولهذا كان نصيب هذه الطبعة وما تقدمها من ذالك وافراً.

والأدهى من هذا الأمر وقوع أخطاء في ترتيب منازل الحج - التي قد أشبعت دراسة وتحقيقاً -، كما وقع في هذا الكتاب في وصف طريق الجادة من معدن

النُّقْرة إلى مكة فقد ورد ما ملخصه: (من معدن النقرة إلى مغيثة ماوان ثلاثة وثلاثون ميلاً، ثم إلى الربذة أربعة وعشرون ميلاً، ثم إلى معدن بني سليم أربعة وعشرون ميلاً، والمتعشى شَرَوْرَى على اثني عشر ميلاً، ثم إلى السَّلِيلة ستة وعشرون ميلاً، ثم إلى العُمَق أحد وعشرون ميلاً، ثم إلى الأفيعية اثنان وثلاثون ميلاً، ثم إلى المِسْلح وهو ميقات أهل العراق أربعة وثلاثون ميلاً)(١).

وترتيب المنازل على هذه الصفة خطأ، لعله نشأ من كون أحد نساخ الكتاب قفز نظره من منزلة إلى أخرى، ثم حاول استدراك ذالك، فوضع الصواب في الهامش، وعند النقل جهل الناقل موضع ما أُلحق بهامش الكتاب.

وهذا الخطأ في الكتاب قديم، يدل على هذا أن بعض من أتى بعد ابن خرداذبة لم يدركه، ومنهم قدامة بن جعفر (المتوفى سنة ٣٢٠)، فقد ورد في كتابه «الخراج» ما ملخصه(٢): (من النقرة إلى مغيثة ماوان سبعة وعشرون ميلاً، ومن مغيثة إلى الربذة أربعة وعشرون ميلاً، ومن الربذة إلى معدن بني سليم تسعة عشر ميلاً، ومن معدن بني سليم إلى العُمَق ستة وعشرون ميلاً، ومن العمق إلى أفيعية أثنان وثلاثون ميلاً، ومن أفيعية إلى المِسْلح أربعة وثلاثون ميلاً).

ويوضح الخطأ في هذا الترتيب أمور:

أولها: أن كل هذه المواضع لا تزال معروفة، ولكنها لا تتفق مع هذا الترتيب، فالربذة تقع بعد مغيثة الماوان وبعدها الرَّبذة، ثم من بعد الربذة السَّلِيلة، ثم من بعد السليلة العُمَق، ثم من العمق إلى معدن بني سليم، ثم من المعدن إلى أفيعية.

وعلى هذا جاء وصف هذا الطريق عند متقدمي العلماء، ممن عاصر ابن خرداذبة، كما في الكتاب المنسوب للحربي وهو مؤلف في القرن الثالث(٣)

وفي كتاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني - وهو من أهل القرن الرابع الهجري-[4] حيث عد مناهل الطريق للمتوجه من مكة إلى النقرة.

ولا أطيل بذكر ما ورد عن هذين الكتابين وعن غيرهما من المصادر القديمة فهي بين أيدي القراء.

الأمر الثاني: أن مواقع تلك المواضع مرسومة في المصورات الجغرافية، وقد وضعت خطوط أطوالها وأعراضها على النحو الآتي كما في كتاب «معجم الأسماء الجغرافية» للأستاذ الدكتور أسعد سليمان عبده:

(ماوان) على خط الطول: (٠٠ / ٤٧°) وخط العرض: (٥٢َ / ٢٣°).

(الربذة) على خط الطول: (١٧َ / ٤١°) وخط العرض: (٣٩َ / ٢٤°).

(السليلة) على خط الطول: (٣٧َ / ٣٨°) وخط العرض: (٣٠َ / ٢٥°).

(العمق) على خط الطول: (٥٩َ / ٤٠°) وخط العرض: (٥٨َ / ٢٣°).

(معدن بني سليم) على خط الطول: (٥٢َ / ٤٠°) وخط العرض: (٣٠َ / ٢٣°).

(أفيعية) على خط الطول: (٢٢َ / ٤١°) وخط العرض: (٢٧َ / ٢٥°).

(المسلح) على خط الطول: (٤٣َ / ٤٠°) وخط العرض: (٣٧َ / ٢٢°).

(شرورى) على خط الطول: (٥٩َ / ٤٠°) وخط العرض: (٤٧َ / ٢٣°).

ومن هذا يتضح ما وقع في الكتاب من خطإ.

ولمزيد من الإيضاح يحسن مراجعة معجمات تحديد الأمكنة المعروفة.

أما ما وقع في الأسماء من الأخطاء، فليس في استطاعتي الحديث عنها كلها إلا أنني سأذكر بعض كلمات اعترضتني أثناء المطالعة:

١ - ص١٧٦ : في الكلام على وادي السباع الواقع بين المغيثة والكراع في طريق الحج الكوفي أورد قول جرير :

إنَّ الـرَّزيـة مَـنْ تضمَّـن قبـرَهُ وادي السِّباع لكل جنبٍ مصرعُ

وادي السباع المذكور هنا هو الوادي التي تقع فيه بلدة (الزبير) في العراق، بعيد عن هذا الموضع وأسماء المواضع تتكرر مع تباعدها .

٢ - ص١٧٨ : (وصدقات بكر بن وائل إلى صاحب طريق مدة) .

والصواب : صاحب طريق مكة .

٣ - ص ١٧٩ : (وكان عليها وعلى تهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان البادية يجبي خراجها) .

ولعل الصواب ما ورد في «معجم البلدان» في الكلام على الزارة ونصه : (وكان على المدينة وتهامة في الجاهلية عامل من قبل مرزبان الزارة يجبي خراجها) انتهى، وانظر عن الزارة (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» .

٤ - ص١٨٢ : في وصف طريق هجرة المصطفى ﷺ : (ثم استبطن به مدلجة مجاج، ثم سلك مرجح من مجاج، ثم بطن مرجح ذي الغضوين) .

فصواب مجاج (مجاح) وهو اسم واد لا يزال معروفًا، يقع في طريق الهجرة النبوية، ووقع في بعض كتب السيرة (مجاج) كما هنا و(محاج) وصوابه (مجاح) كما أوضح هذا السهيلي في حاشيته على السيرة واستشهد بقول محمد بن عروة بن الزبير :

لَعَنَ اللهُ بطنَ لِقْفٍ، مَسيلاً و(مجاحًا) وما أحب (مجاحًا) !!

لقيتْ ناقتي بـه، وبـ(لقفٍ) بلدًا مجدبًا، وأرضًا شَحَاحًا !

إن وادي (مجاح) لا يزال معروفًا، وهو من فروع وادي النخل، يصب فيه قبل اجتماعه بوادي (القاحة) بما يقرب من خمسة أكيال قبل (بئر مبيريك).

وقد رسم في المصور الجغرافي رقم (I 10 B - أبحاث جيولوجية مختلفة) (نجاح) والصواب ما ذكرنا.

و(مرجح) رافد من روافد مجاح، و(الغضوين) صواب الاسم كما يعرف الآن عند أهل هذه الجهة (العَصَوين) تثنية عصا، وهما تلعتان كبيرتان، كل واحدة منهما تسمى (العصا) تلتقيان ثم تصبان في وادي مجاح بقرب اجتماعه بوادي النخل.

٥- ص١٨٦ : في ذكر طريق مكة إلى الطائف: ثم بطن نعمان، ثم يصعد عقبة جراء، ثم يشرف على الطائف.

(جراء) هذا صوابه (كَرَاء) جبل لا يزال معروفًا وعقبته كانت من أشهر عقبات الطريق، وقد سهلت في العهد الحاضر.

واكتفي بهذه الملاحظات لأن الموضوع أوسع من أن استطيع استيعاب الكلام فيه، وكان الأولى بمعد الكتاب للنشر أن يراجع أسماء المواضع على ما ورد في «معجم البلدان» لياقوت و«معجم ما استعجم» للبكري، وما ألف عن البلاد الإسلامية خارج بلاد العرب ككتاب «بلدان الخلافة الشرقية» وكتاب «تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي» وغيرهما.

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) ص ١٣٨.　　(٢) ص ١٣ طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٣) «المناسك» ص ٣٣٣ ولعله كتاب «الطريق» لتلميذه القاضي وكيع محمد بن خلف بن حيان.

(٤) ص ٣٣٨ طبعة دار اليمامة.

٤١٨ - ٤١٧

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج ٩، ١٠ س ٣٥ - الربيعان، سنة ١٤٢١هـ)

(تموز، آب (يوليه، أغسطس) سنة ٢٠٠٠م)

دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العَرَب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف وناسوخ ٤٦٢١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩، ١٠ س ٣٥ - الربيعان، سنة ١٤٢١هـ - تموز، آب (يوليه ، أغسطس) سنة ٢٠٠٠م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٢)

كَوْدَى أُثَالٍ : (كَوْرَا أُثَال)

قَالَ البَكْرِيُّ في «معجم ما استعجم» : (كَوْدَى - بِفَتْح أوَّله ، وبدال مهملة مَقْصُورٌ ، عَلَى وَزْن فَعْلَى : موضع مُتَّصِلٌ بِأُثَالٍ المتقدم ذكره ، يُضَاف إليه ، فيقال كَوْدَى أُثَال ، قال ذُو الجَوْشَنِ أَوْسُ بن الأَعْوَرِ الضِّبَابِيُّ :

أَمْـسَـى بِكَـوْدَى أُثَالٍ لا بَـرَاحَ بِـهِ ... بَعْـدَ اللِّقَـاءِ وأَمْـسَى خَـائِفًا وَجِـلاً)

وقال ياقوت في «معجم البلدان» : (كُوْدُ - بالضم ، وآخره دال مهملة ، وهو كُوْدُ أُثَال وقد تَقَدَّم ذكر أُثَال : علمٌ مُرتَجَلٌ لاِسْمِ موضع قُتِلَ فِيْه الصَّمِيْلُ بنُ الأَعْوَرِ الضِّبَابِيُّ فقال ذُو الجَوْشَنِ الضِّبَابِيُّ :

أَمْـسَـى بِكُـوْدِ أُثَالٍ لا بَـرَاحَ لَـهُ ... بَعْـدَ اللِّقَـاءِ وأَمْـسَى خَـائِفًا وَجِـلاً

هكذا ضَبَطَه الحَازِمِيُّ ، وقال غيره : كَوْدُ - بالفَتْح - مَصْدَر كَادَ يَكُوْدُ كَوْدًا ، مَاءٌ لِبَنِي جَعْفَر ، وَقِيْلَ : جَبَلٌ ، وأَنْشَدَ :

مِثْل عَمُوْدِ الكَوْدِ لاَ بَل أَعْظَمَا

والعَمُوْد : هَضْبَةٌ عَظِيْمَةٌ حذاء الكَوْد ، ولا أدري أَهُو الأَوَّلُ أَمْ غَيْرُهُ ، فَإِنْ كَانَ وَاحِدًا فالرِّوَايَةُ الأَخِيْرَةُ أَحَب إِلَيَّ لأَنَّها دَاخِلَةٌ في التَّصْرِيْف ، والأَوَّلُ إِنْ لَمْ يَكُن جَمْعًا لِكَادَة مِثْلَ قَارَة وقُورٍ ولاَبَة ولُوبٍ وإلاَّ فَهُوَ مُرتَجَلٌ والمُشْتَق أَكْثَر

اسْتِعْمَالاً) انتهى.

اسم الكَوْر يُطْلَق عَلَى عِدَّة جبَال، فَهُنَاك الكَوْرُ يَقع عَلَى جَانب وَادي رَنْيَة، وأضافه الهمداني إليها، وهو يَبْعُدُ عن مَدِيْنَة رَنْيَة بمسافة سَبْعَة أكيال تقريبًا - «العرب» - س ٤ ص٥٧٣ -، وكَوْرُ أُثَال بالتَّثْنِيَة بإضافة الْكَوْر إلَى جَبَلٍ بقربه فَثُنِّيَ، وهما مضافان إلى أُثَالٍ فِي قَوْل لَبِيْد:

عَلَى الأَعْرَاضِ أَيْمَنُ جَانِبَيْهِ وأيْسَرُهُ عَلَى كَوْرَي أُثَال

أما أُثَال المَذْكُور هُنَا فهو مَنْهَلٌ لا يزالُ معروفًا بقرب جَبَلِ الكَوْر، والكَوْرُ هَذَا يُعْرَف باسم كَوْرِ المَجَامعَة فَخِذٍ من سُبَيْع، والماءُ منسوب إليهم - «العرب» - س٧ ص٧٠٧ - وقد حَدَّدَ موقعه الدكتور أسعد عبده - في الخريطة (بقرب خط الطول: ٤٤َ / ٤٢ْ وخطِّ العرض: ١٦َ / ٢١ْ) وذكر أنه سُمِّيَ في الخريطة (جَبَل المَجَامع)، واعتمد على دراسة ميدانية قام بها.

وكَوْرُ بُرَيْهَةَ أو آل عُمَيْر، فخذ من قبيلة سُبَيْع أهل رَنْيَة، ويقع هذا في الجنوب الغربي من مدينة بِيْشَةَ على نحو سبعين كيلاً، على ضفة أعلى وَادي رَنْيَة، وهو سلسلة جبلية تتوسطها أَكَمَةٌ حَمْرَاءُ عظيمةٌ يَفْصِلُ بينها وبين الكَوْر رِيْعٌ، وتسمى الأَكَمَةُ الكُوَيْرَ، فيقال الكَوْرُ والكُوَيْر، وهذا يقع في الجنوب الغربي من كَوْرِ رَنْيَةَ، ويبعد عن رَنْيَة نحو سبعين كيلاً تقريبًا، وهو على ضِفَّة واديْها من الجنوب بين أَبِيْدَةَ وتَبَالَةَ في الطَّرَف الجَنُوْبي الغَرْبي من الحَرَّة «العرب» - س١٨ ص١١١٥ - وكَوْرُ بُرَيْهَةَ هَذَا حَدَّد موقعه الدكتور أسعد عبده على الخريطة (بأنه بقرب خط الطول: ٤٨َ / ٤٢ْ وخط العرض: ٠٩َ / ٢١ْ) وذكر أنه مكتوب في الخريطة (كور برحة) وسماه (كور برهة) واعتمد على دراسة ميدانية قام بها.

وهناك كَوْرٌ أضافه الهمدانيُّ إلى جُرَشَ، ولعله القريب من جبال القَهْر، وأضافه البكريُّ في «معجم ما استعجم» - ٦٦٢ - إلى طِلْحَام الوَادي الذي يقع

شمالِ القَهْر، وقد يكون هذا الذي قيل عنه أنَّه بنَجْرَان لقُرْبه منها.

أما الكَوْرُ الوارد في شعر العُجَيْر السَّلُوْلِي وهو من سكان بِيْشَة، وأنه عنى كورَ عَامِر تَيْم، وهاؤلاء من خَثْعَم، فقد يكون قصد كَوْر بُرَيْهَةَ الموالي لبلاد خَثْعَم، وكَوْرُ آل عُمَيْر منه تمتد فروع وَادِي الذِّهَاب الواقع فيما بين رَنْيَة وبِيْشَة وهو إلى الأخِيْرَة أقْرَب. «العرب» - س١٨ ص١١١٦-.

مَايِد: (مَأْبِد)

قال نَصْر في كتابه «الأمكنة والمياه والجبال»: (بَاب مَانِد ومَايِد ومَايِر: ما بعد الألف نون بلد بَحْرِيٌّ يجلب منه ثيابُ كتَّانٍ رقاقٌ وصفاق. وما بعد الألف ياء تحتها نقطتان: جبل بالسراة. وما عوض الدال راءٌ: صُقْعٌ أَحْسبُهُ عُمانيا) انتهى.

وقال الحازميُّ في هذا الباب من كتابه «الأماكن»: وأما مأبد بالباء المكسورة تحتها نقطة كذا عند الأَبِيْوَرْدِيِّ، وقال غيره تحتها نقطتان جبل باليمن، وأنشد لأَبِي ذُؤيب:

يَمَانِيَّةٍ أَحْيَالَهَا مَظّ مَأْبِدٍ   وآلُ قِرَاسٍ صَوْبُ أَرْمِيَةٍ كُحْلِ

وقالِ البَكْرِي في «معجم ما استعجم»: مَأْبِد - بفتح أوله وإِسْكَان ثَانِيْه بعده بَاء مُعْجَمَة بواحدة ودَال مُهْمَلَة: مَوْضِع مَذْكُور في آل قراس. وقال في آل قراس: مَأْخُوذ من قَرِس البَرد وهي جبَال بِالسَّرَاة بَارِدَة من جبَال هُذَيْل وبعضهم يقول بَنَات قِرَاس ثم أورد بيت أَبِي ذُؤَيْب وشرحه.

وقال يَاقُوت في «مُعجَم البُلْدَان»: مَابِد بِالْبَاء المُوَحَّدَة المَكْسُوْرَة مَوْضِع في قَوْل أَبُو ذُؤَيْب.

وقال أيضًا فِي رَسْم (مَائِد) من مَادَة يَمِيْد فهو مائدٌ إذا تمايل منثنيًا متبخترًا. انتهى. أما بيت الشعر فقد ورد الاسم في كتاب «شرح أشعار

الهذليين» -٩٦- :

يَمَانِيَّةٌ أَحْيَالَهَا مَظَّ مَأْبِدٍ وآلِ قِرَاسٍ صَوْبُ أَرْمِيَةٍ كُحْلِ

وقال عن آل قِراس : موضع. وقال الأصمعي : أجبل بارِدَةٌ أو جَبَلٌ بَارِدٌ، وآلُهُ ما حوله من الأرض إلى أن قال : وَمأْبِدُ : موضع، وشرح البيت نقلاً عن ابن حبيب، ولم يورد الاسم في هذا الكتاب إلا بالباء الموحدة.

ومما تقدم يتضح أن نصراً أورده بالْيَاء تحتها نقطتان (مايد) ولكن الحازمي بدأ بقوله : بالباء المكسورة تحتها نقطة كذا عند الأَبِيْوَرْدِيِّ، وقال غيره : تحتها نقطتان : وياقوت أورده بالصورتين مما يدل على عدم تحققه صحة الاسم.

وقد قال الأستاذ عاتق بن غيث البلادي في كتابه «معالم الحجاز» ما هذا نصه : (إنَّ مَأبَدَ - وهذيل اليوم تفتح الباء - جبلٌ في صدر وادي رَهْجَان أَحَد روافد وَادي نَعْمَان على قرابة ٤٥ كيلاً جنوب شرقي مكة، فيه مياه نبوع، للجوابرة من هذيل، وفيه يقول نُوَار الدعديِّ :

قال السناني بدا في راسْ حَيْدِ عَسْرِ مَبْدَاهْ مع طَلْعَةَ الشمس مَالي لا شْطُوْن ولا رِعِيَّهْ

هذَا واقُولهْ نهارٍ وقْت فِي مَابَدٍ منَ أعْلاَهْ في رَاسْ حَيْدٍ سقَاهَ الْغَيْث منْ رايحْ عَشيَّهْ

وفي الجبل معاسلُ يُجْنَى منها العسل الجيد) انتهى.

ووادي رَهْجَان هذا يفيض في وادي نَعْمَان في الجنوب على مقربة من عين زُبَيْدَةَ، وتنحدر فروعه من جبال تعرف باسم جبال نَعْمَان (بقرب خط الطول : ١٠ً / ٤٠ْ وخط العرض : ١٢ً / ٢١ْ) ولا أستبعد أن اسم الجبل الموضوع فوق خارطة بني دَعْد في صدر وادي رَهْجَان الصادرة عن (إدارة المساحة الجوية في وزارة البترول والثروة المعدنية) بقرب خط الطول ٠٧ً / ٤٠ْ وخط العرض : ١٤ً / ٢١ْ) وكتب اسمه بالعربية (محاديد) وبالحروف اللاتينية (MHADID) انه (مايد) بالياء المثناة، وإذا صح هذا فلا يزال الاسم مُشْكلاً لم يتضح لي صوابه.

مَبْكَثَة : (مَنْكَثَة)

قال البكريُّ في «معجم ما استعجم» : (مَبْكَثَةُ – بفتح أوله وإسكان ثانيه، بعده الكاف المفتوحة، والثاءُ المثلثة والهاء. ويقال : مَبْكَث بِلاَ هَاء : موضع مذكور في رسم الأَجْرَد المتقدم ذكره في حرف الهمزة).

وقال في رسمِ (الأَجْرَد) : (فمن أودية الأَجْرَد التي تسيل في الجَلْسِ : مَبْكَثَة وهي تلقاء وادي بُواط، ويلي مَبْكَثَة رَشَادُ، وهو يصبُّ في إضَم). انتهى.

وقال ياقوت في «معجم البلدان» : (مَنْكَثَة – بالفتح : اسم المكان من نكث ينكُث، وهو أن يُحَلَّ بَرْمُ الأكسِيةِ المنسوجة ثم تُغْزَلُ ثانيةً، ومنه نكَثَ العهد : وهو وادٍ من أودية القَبَلِيَّةِ عن الزمخشري عن عُلَيٍّ) انتهى.

وقول ياقوت هو الصواب، إذ الوادي لا يزال معروفًا وهو كما نقل ياقوت عن الزمخشري عن السيد عُلَيٍّ الخبير بمواضع الحجاز والعرب، وهو في كتاب الزمخشري «الأمكنة والمياه والجبال» والقَبَلِيَّةُ هي الأودية التي تنحدر من الحجاز مقبلة نحو المدينة وبِضدِّها الغورية التي تتجه نحو الغرب إلى جهة البحر. وانظر كتاب «التعليقات والنوادر» عن الهَجَري.

ووادي مَنْكَثَة – بالميم بعدها نون فكاف فثاء مثلثة – : موضع لا يزال معروفًا، تنحدر فروعه من قرب البِئْر المعروفة باسم بُوَاط (على مقربة من خط الطول : ٠٢َ / ٣٩ْ وخط العرض : ٤٣َ / ٢٤ْ) ويتجه مشرقًا نحو القبلة.

وقد رسم في خريطة (بُوَاط) الصادرة عن (إدارة المساحة الجوية بوزارة البترول والثروة المعدنية).

(للبحث صلة)

حمد الجاسر

إسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(٨)

١- علم الرواية:

لقد شملت الحركة العلمية حول الحديث الشريف في المملكة نشر كتب للأئمة الستة مع صحيحي ابن حبان وابن خزيمة، وأعداد من الجوامع، والمسانيد، والسنن وكتب بعض أئمة الفقه الأربعة، والمستدركات. وكتب الفهارس، والمعاجم، والمنتخبات والمختارات والمستخرجات. كما شملت الحركة الكتب المتعلقة بتخريج الأحاديث النبوية في تصنيفاتها المختلفة. وبعض الأجزاء، والفوائد والأمالي، ومجموعات معينة من الأحاديث (كـ«الأربعين النووية»، التي استأثرت بالنشر والشرح بشكل ملحوظ) كما شملت حركة التحقيق مجموعات من المؤلفات تختص ببعض شروح أحاديث معينة، ومؤلفات تتعلق بأنواع الأحاديث، كالأحاديث العالية والمدرجة والموقوفة والناسخة والمنسوخة والموضوعة والأحاديث القدسية.

وإذا أردنا تحليل المعلومات الواردة في «دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة» لمعرفة أكثر الموضوعات نشراً في المملكة فإننا نجد أن الجوامع الموضوعية، التي تضم أحاديث مختصة بموضوع واحد يمكن أن تكون أبرز هذه الموضوعات.

ويبين الجدول الآتي أهم موضوعات هذه الكتب:

الموضوع	تحقيق	تأليف	المجموع
العقائد	١٩	٤	٢٣
الفقه	٣٣	٦١	٩٤

الآداب والأخلاق	٢	٨	١٠
الأدعية والأذكار	١٤	٣٥	٤٩
الطب النبوي	١	٤	٥
التفسير والتاريخ	١	١	٢
الجهاد	٣	٠	٣
الفتن	٦	١٢	١٨
الفضائل والمناقب	٧	٤	١١
المجموع	٨٦	١٢٩	٢١٥

أعداد الكتب المنشورة في الجوامع الموضوعية

وقد أنتجت الحركة عدداً ملحوظاً من كتب المسانيد، المشتملة على مرويات الصحابة كـ«تهذيب الآثار، وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار» لأبي جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) وهو يشتمل على مسند عمر بن الخطاب ومسند علي بن أبي طالب ومسند عبدالله بن عباس رضي الله عنهم. وقد نشر مرتين بتحقيقين أحدهما بعناية محمود محمد شاكر سنة ١٤٠٣هـ، والثاني بتحقيق ناصر بن سعد الرشيد وعبدالقيوم عبدرب النبي ١٤٠٢ - ١٤٠٤هـ[١]، ومسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ) بتحقيق عبدالله الصديق العماري[٢] ومسند أسامة بن زيد رضي الله عنه بتحقيق حسن بن أمين بن المندوة سنة ١٤٠٩[٣] ومسند أم المؤمنين عائشة من كتاب مسند ابن راهويه (ت ٢٣٨هـ)[٤]. وحظيت مسانيد الطيالسي، وأبي يعلى، والبزار، وكذلك مرويات الصحابة في مسند الإمام أحمد بن حنبل بعناية خاصة من الباحثين وطلاب الدراسات العليا[٥]، ونشرت ستة أعمال تخص مسند

الإمام أحمد، ويعد هذا المسند أكثر كتب أئمة الفقه الأربعة رواجًا سواء في الكتب المنشورة، أو في أعمال طلاب الدراسات العليا[٦].

أما موطأ الإمام مالك فيأتي في المرتبة الثانية من حيث العناية به من قبل الناشرين[٧] وقد نشر «الموطأ» من قبل دار الإفتاء بالرياض سنة ١٤٠٤هـ بالاشتراك مع دار النفائس. كما أن «الموطأ» برواية عبدالرحمن بن القاسم (ت ١٩١هـ) وتلخيص محمد القابسي (ت ٤٠٣هـ) قد نشر بتحقيق محمد بن علوي بن عباس المالكي في دار الشروق بجدة. أما أقدم كتاب، تناول «الموطأ» نشرًا في المملكة فهو كتاب «المسوى من أحاديث الموطأ» لشاه ولي الله الدهلوي، وقد طبعته المطبعة السلفية بمكة المكرمة سنة ١٣٥٣هـ.

ولا يسجل الدليل كتبًا نشرت في المملكة أو رسائل أعدت تخص آثار الإمام أبي حنيفة في الحديث. أما الإمام الشافعي فقد حظيت سننه بالنشر مرتين[٨].

وقد ظهر اتجاه في حركة الإحياء نحو تحقيق كتب «الأجزاء»، إذ يرصد الدليل لنا ٢٠ عملاً محققًا منها[٩]:

- جزء ابن جريج (ت ١٥٠هـ) بعناية عبدالله بن إبراهيم الرشيد.
- جزء البطاقة، لأبي القاسم حمزة بن محمد بن العباس الكناني (٣٥٧هـ).
- جزء فيه حديث سفيان بن عيينة، رواية زكريا المروزي عنه، تحقيق أحمد ابن عبدالرحمن الصويان.

ومن الحقول الخصبة التي شملتها حركة الإحياء حقل تخريج الأحاديث على أنواع مختلفة فهنالك التخريجات العامة، وقد حقق من كتب التراث القديم مما يتعلق بها ثلاثة كتب هي[١٠]:

- «رسالة الحافظ البارع البيهقي إلى أبي محمد الجويني»، تحقيق وتخريج إبراهيم عبدالله الحازمي.

- «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» لابن قيم الجوزية تحقيق عبدالفتاح أبو غدة.

- «الجد الحثيث في بيان ما ليس بحديث» تأليف أحمد بن عبدالكريم العامري الغزي (ت ١١٤٣هـ) بعناية بكر بن عبدالله أبو زيد.

ومن ذلك تخريج أحاديث كتب معينة مثل: «تحفة الطالب بمعرفة أحاديث مختصر ابن الحاجب» لابن كثير (٧٧٤هـ)، بتحقيق عبدالغني بن حميد الكبيسي، وكان أصله رسالة ماجستير أجيزت في جامعة أم القرى سنة ١٤٠٢هـ، ونشرته دار حراء سنة ١٤٠٦هـ. والغريب أن هذا الكتاب قد حقق بعد ذلك في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأجيز سنة ١٤٠٦هـ[١١].

ومن ذلك كتاب «تخريج الأحاديث الضعاف من سنن الدار قطني»، لأبي محمد عبدالله بن يحيى الغساني (ت ٦٨٢هـ) بعناية أشرف بن عبدالمقصود، ونشرته دار عالم الكتب بالرياض سنة ١٤١١هـ[١٢].

أما الكتب المعاصرة التي خرّجت أحاديث بعض الكتب المعينة، فعددها سبعة كتب منها[١٣]:

- «تخريج أحاديث الروض المربع» لمحمد بن صالح العثيمين.

- «طريق الرشد إلى تخريج أحاديث بداية ابن رشد»، لعبداللطيف بن إبراهيم آل عبداللطيف نشرته الجامعة الإسلامية سنة ١٣٩٧هـ.

- «تخريج أحاديث وآثار كتاب «في ظلال القرآن» لسيد قطب»، لعلوي السقاف.

وفي مجال الدراسات العليا أجيزت كثير من الرسائل التي تعالج أحاديث

كتب معينة (١٨ رسالة)[١٤] وقد انقسمت من حيث التناول إلى قسمين:

١- أن يحقق الدارس كتابًا تراثيًّا يتناول تخريج أحاديث كتاب معين مثل كتاب «البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للرافعي» لابن الملقن (ت ٨٠٤هـ) حيث ينحصر العمل في تحقيق الكتاب ودراسته.

٢- أن يعمد الدارس إلى كتاب، أو موضوع من كتاب، فيستخرج أحاديثه ويدرسها ويحققها. كما في الرسائل الآتية:

- أحاديث «الاعتصام» للشاطبي، تحقيق وتخريج، لعمر بن سليمان المكحل[١٥].

- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في كتاب «الأموال» لأبي عبيد القاسم بن سلام. لعبدالصمد بكر عابد[١٦].

- تخريج أحاديث سورة الرعد من تفسير ابن كثير، لمحمد عبده عبدالرحمن، وقد كان رسالة ماجستير أجيزت من الجامعة الإسلامية سنة ١٤٠١هـ تبعتها رسالة «تخريج ودراسة أحاديث سورة الكهف من تفسير ابن كثير» وهي رسالة الدكتوراه للباحث نفسه ومن الجامعة ذاتها[١٧].

وإلى جانب ذلك نجد التحقيق يقل بشكل ملحوظ في تخريج الأحاديث المفردة مثل تخريج «حديث الأسماء الحسنى» لابن حجر العسقلاني، حققه مشهور بن حسن بن حجر بن سلمان ونشرته مكتبة الغرباء بالمدينة المنورة سنة ١٤١٣هـ[١٨] و«حديث الستة من التابعين، وذكر طرقه واختلاف وجوهه» للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)[١٩] ولكنه يكثر بشكل ملحوظ في مؤلفات علمائنا المعاصرين. (١٩ كتابًا)[٢٠]، ومن أمثلة هذه المؤلفات «تصحيح حديث صلاة التراويح عشرين ركعة» لإسماعيل بن محمد الأنصاري، و«فتح

الغفور بتضعيف حديث السفور» لخالد بن علي العنبري، ورسالة: «كشف اللثام عن حديث غربة الإسلام» لعبدالله بن يوسف الجديع[٢١].

أما شروح الأحاديث المفردة فقط حظيت بإقبال شديد سواء في تحقيق ما ألفه علماؤنا الأقدمون منها. أو في مؤلفات علمائنا المعاصرين. وبعض شروح هذه الأحاديث من تأليف زين الدين ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) مثل كتاب «شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا» وهو من أوائل المطبوعات في العهد السعودي بعد توحيد الجزيرة فقط طبع بمكة بمراجعة عبدالظاهر محمد أبي السمح سنة ١٣٤٧هـ في المطبعة السلفية. ومثله كتاب «غاية النفع شرح حديث تمثل المؤمن بخامة الزرع» لابن رجب. وقد طبع بمطبعة الترقي الماجدية بمكة المكرمة سنة ١٣٤٧هـ[٢٢].

وبعض هذه المؤلفات رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية مثل شرح حديث أبي ذر «ياعبادي إني حرمت الظلم على نفسي»، وشرح حديث «إنما الأعمال بالنيات»[٢٣].

أما الدراسات المعاصرة حول بعض الأحاديث المفردة فمثل دراسة حديث «نَضّر الله امرأ سمع مقالتي» رواية ودراية لعبدالمحسن العباد، ودراسة حديث: «أو ولد صالح يدعو له» لإبراهيم بن عبدالله السنيد[٢٤].

وفي مجال الأحاديث الموضوعة يرصد لنا الدليل ستة مؤلفات من كتب التراث القديم، منها كتاب «تذكرة الموضوعات» لابن القيسراني (ت ٥٠٧هـ) تعليق محمد مصطفى الحدري، نشرته مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة بمكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ وكتاب «أحاديث مختارة من موضوعات الجورقاني وابن الجوزي» تحقيق وتعليق عبدالرحمن بن عبدالجبار الفريوائي، نشرته مكتبة الدار بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٤هـ[٢٥].

أما التأليف المعاصر في الأحاديث الموضوعة فلا يتعدى مؤلفين اثنين[٢٦]. وكذلك الأمر بالنسبة للتحقيق في مجال الرسائل الجامعية[٢٧].

وقد لقيت فهارس الكتب، وكتب ترتيب الأحاديث والأطراف عناية واضحة، فمما حقق منها كتاب «المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي»، حققه سمير أمين الزهيري وطبع في الرياض سنة ١٤١٠هـ[٢٨]. أما المؤلفات المعاصرة من الفهارس وكتب ترتيب الأحاديث فقد رصد الدليل منها ٣٠ كتابًا نشرت في المملكة وتلمع أسماء تخصصت في تحقيق كتب الفهارس، أو في وضعها. مثل عبدالرحمن دمشقية، الذي حقق كتاب «ترتيب أحاديث وآثار تلخيص الحبير» لابن حجر العسقلاني، ونشرته مكتبة الرشد في الرياض سنة ١٤٠٧هـ. ولدمشقية من الفهارس التي صنعها ونشرت في المملكة:

- ترتيب أحاديث وآثار «سنن الدارمي».
- فهارس أحاديث وآثار «كتاب السنة» لأبي بكر عمر بن عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني.
- فهارس «شرح معاني الآثار» للطحاوي.
- فهارس «مسند أبي عوانة»[٢٩].

إلى جانب فهارس أخرى نشرت له خارج المملكة.

وممن تخصصوا في صنع الفهارس الحديثية من المعاصرين ونشرت أعمالهم في المملكة: علوي السقاف[٣٠]، وأم عبدالله بنت محروس العسلي[٣١]، وعمر غرامة العمروي[٣٢]، وعدنان عرعور[٣٣]، وغيرهم[٣٤].

(للبحث صلة)

د. أحمد بن محمد الضبيب

الحواشي :

(١) «دليل مؤلفات الحديث النبوي المطبوعة»، رقم ٢٣٣٧ و٢٣٣٨.

(٢) نفسه، رقم ٢٣٥٠.

(٣) نفسه، رقم ٢٣٥٦.

(٤) نفسه، رقم ٢٣٤٨، وانظر ٢٣٦٠.

(٥) سبق الحديث عن ذلك في فصل الدراسات العليا.

(٦) «دليل مؤلفات الحديث النبوي»، انظر الأرقام: ٢٥٠٣، ٢٥١١، ٢٥٥٧، ٢٥٧٩، ٢٧٨٥، ٢٧٩٠.

(٧) نفسه، الأرقام: ٢٤٥٣، ٢٤٨٠، ٢٤٨١، ٢٤٨٣.

(٨) نفسه، رقم ٢٤٩٦ و٢٤٩٨.

(٩) نفسه، الأرقام: ٢٩٧٩، ٢٩٨٠، ٢٩٨٣، ٢٩٨٦، ٢٩٨٨، ٢٩٩٣، ٢٩٩٦، ٢٩٩٧، ٢٩٩٨، ٢٩٩٩، ٣٠٠٠، ٣٠٠١، ٣٠٠٢، ٣٠٠٣، ٣٠٠٧، ٣٠٠٨، ٣٠٠٩، ٣٠١٠، ٣٠١١، ٣٠١٢.

(١٠) انظر المعلومات الكاملة عنها في الأرقام: ٢٨٤٥، ٢٨٤٩، ٢٨٤٣ على الترتيب.

(١١) انظر رقم: ٢٨٨٢ ورقم ٢٨٨٣ في «دليل مؤلفات الحديث المطبوعة».

(١٢) دليل مؤلفات الحديث المطبوعة»، رقم ٢٨٩١.

(١٣) نفسه، الأرقام: ٢٨٨٥، ٢٨٨٧، ٢٩٠٣، ٢٩١٢، ٢٩١٦، ٢٩٢٠، ٢٩٣٩.

(١٤) نفسه، الأرقام: ٢٨٧٦، ٢٨٧٧، ٢٨٨٠، ٢٨٨١، ٢٨٨٣، ٢٨٨٤، ٢٨٨٨، ٢٨٩٧، ٢٩٠١، ٢٩٠٢، ٢٩٠٤، ٢٩٢١، ٢٩٢٢، ٢٩٢٤، ٢٩٢٧، ٢٩٣٢، ٢٩٣٤، ٢٩٣٥.

(١٥) نفسه، رقم ٢٨٧٦.

(١٦) نفسه، رقم ٢٩٠٤.

(١٧) نفسه، رقم ٢٨٨٨ و ٢٨٨٤ على الترتيب.

(١٨) نفسه، رقم ٢٩٥٦.

(١٩) نفسه، رقم ٢٩٥٦.

(٢٠) نفسه، انظر الأرقام: ٢٩٥٠، ٢٩٥١، ٢٩٥٣، ٢٩٥٤، ٢٩٥٧، ٢٩٥٩، ٢٩٦٠، ٢٩٦١، ٢٩٦٣، ٢٩٦٦، ٢٩٦٩، ٢٩٧٠، ٢٩٧١، ٢٩٧٣، ٢٩٧٤، ٢٩٧٥، ٢٩٧٦، ٢٩٧٧، ٢٩٧٨.

(٢١) نفسه، رقم ٢٩٥٩ و٢٩٧٦.

(٢٢) نفسه، رقم ٣١٧٨ و٣١٩١.

(٢٣) نفسه، رقم ٣١٧٩ و ٣١٨١ على الترتيب.

(٢٤) نفسه، رقم ٣١٧١ و٣١٤٨.

(٢٥) نفسه، رقم ٣٣٠٠ و ٣٢٨٦ على الترتيب. وانظر الأرقام: ٣٢٨٥، ٣٣١٤، ٣٣٢١، ٣٣٢٤.

(٢٦) نفسه، رقم ٣٢٩٦ و٣٣٠٢.

(٢٧) نفسه، رقم ٣٢٩٠ و٣٣٨٠.

(٢٨) نفسه، رقم ٢٧٨٥.

(٢٩) نفسه، الأرقام: ٢٧١٤، ٢٧٢٥، ٢٧٣١، ٢٧٤٥ على الترتيب. وانظر أيضاً ٢٦٨٦.

(٣٠) نفسه، الأرقام: ٢٧٢١، ٢٧٢٨، ٢٧٢٩، ٢٧٣٥، ٢٧٤٤، ٢٧٧١.

(٣١) نفسه، الأرقام: ٢٦٥٨، ٢٦٦٨، ٢٧٧٧.

(٣٢) نفسه، رقم: ٢٧٠٥ و٢٧٥٧.

(٣٣) نفسه، رقم: ٢٧٣٧ و ٢٧٥٠.

(٣٤) نفسه، الأرقام: ٢٦٦٩، ٢٦٧٤، ٢٦٧٧، ٢٧٢٢، ٢٧٢٣، ٢٧٣٤، ٢٧٣٨، ٢٧٤٩، ٢٧٧٠، ٢٧٧٤، ٢٧٧٨، ٢٧٧٩، ٢٧٨١.

ملاحظات حول:

«جمهرة نسب قريش»

لقد استمتعت بقراءة كتاب «جمهرة نسب قريش»، في طبعته الصادرة عن مجلة «العرب»، واستفدت منها، ولقد خرجت من هذه القراءة باقتراحات طباعية لا أجزم بصحتها كلها، ولكن عرضها واجب لنصل إلى رأي حولها.

ص ٧٩- لا معنى لكلمة (ضاقت)، مقابل حلومها فهل تكون (خانت) أو (خامت) بمعنى (ضعفت) أو (جبنت)؟.

٨٧- (زجرت) صوابها (زحرت).

١٣٠- (اعتزل وهو وعبدالله) صوابها (اعتزل هو وعبدالله).

١٧٩- (فسَلَّم) صوابها (فسَلِم).

١٨٤- (سَبَقَت) في الخبر رقم ٢٦٩ صحتها (سَبقْتَ).

١٩٥- (ذَكرتَ) صحتها (ذَكَرتْ).

٢٠١- (زاره) في السطر الثاني صحتها (وزاره).

٢١٩- (القُطُب) الأَوْلَى أن تكتب (القُطَب) فالطاء مثلثة وفتحها أنسب لسياق الرجز.

٢٢٠- (يَنفلوا) صحتها (يُنَفَّلوا).

٢٢٠- في الهامش - (معتديًا) صوابها (متعديًا).

٢٢٤- (كعاذل) في البيت السادس صحتها (كعادل).

٢٢٧- (بأعزّ) صحتها (بأغرَّ).

٢٣٨- (واسرتَه) في أول قصيدة عمران بن محمد صحتها (واسرتُه).

٢٥٧- (معصب) صحتها (مصعب).

٢٧٠- (أَمَّ) في الخبَر رقم ٤٠٢ صحتها (أُمّ).

٢٨٤- (ولابنةَ) في السطر الأول صوابها (ولابنة).

٣٠٢- (المدينة) في نهاية الخبر صحتها (بالمدينة).

٣١٨- (كانت) في البيت الرابع صوابها (كان).

٣٢٣- (لكنتُ) في الخبر رقم ٥١٥ صوابها (لكنتَ).

٣٢٤- (ثقةٌ) في الخبر رقم ٥١٩ صوابها (ثقةً).

٣٢٧- (وصبْر هشامُ) صوابها (وصبْر هشامٍ).

٣٧٣- (عبدالرحمنُ) صوابها (عبدالرحمنِ) بالكسر.

٣٧٨- (أعالج البرّ) في الخبر رقم ٦٤٤ صحتها (أعالج البَزّ) فالبز تجارة حكيم رضي الله عنه.

٤٤٧- (زُهَيّر) صحتها (زُهَير).

٤٧٧- (اشتقاق) في السطر الأول صوابها (اشتاق).

٤٨٦- (ذَكرتُهُمْ) صوابها (ذكرتُهُمُ).

٥١٠- (شيمته) في السطر الأول صوابها (شيمتُه).

٥١٥- (المساء) صحتها (السماء).

٥٢٠- الناقصة بنت ذؤيبة هي أُمُّ السباق، أما الحارث وعوف وعميلة وعبيد بنو السباق فأمهم بنت عمير بن حارثة وانظر الخبر رقم ٨٨٢ و«نسب قريش» ص٢٥٦.

٥٢٩- (قَدَّمْنا) في السطر الخامس و(ألى) في السطر الثامن صوابها (قَدِمْنا)، و(أَلي).

٥٣٣- (لجماعة) و(شكور) في الخبر ١٠٢٩ صوابها (الجماعة) و(مشكور).

٥٤٣- (يُفْقى عيوبها) صوابه (تُفَقى عيونها).

٥٤٤- (روَى) في الخبر ١٠٩٦ صوابه (رُوِي).

٥٤٦- (سهمًا) في الخبر ١١١٤ صوابه (سهم) كما في الأصل.

٥٤٨- (الزجاجةُ) في الخبر ١١٢٢ صحتها (الزجاجةَ).

٥٥١- (ليلة) في السطر الرابع و(حَـمَله.. بَواديَه) في السطر التاسع صحتها (ليله) و(حَمَّله.. بِواديه).

٥٥٤- (وكان ياتيانه) صحتها (وكانا ياتيانه).

٥٥٦- (ابنُ) في السطر الثاني صحتها (ابنَ).

٥٥٨- (الجاراتُ) في البيت الخامس صحتها (الجاراتِ) و(غددن) في الحادي عشر صوابها (وعددن).

٥٦١- في الخبر ١١٧٠ (فديتُ) و(كنتُ) في البيت الأول و(ابنُ) و(ابنُنا) و(كنتُ) في البيت الثالث صحتها (فديتَ) و(كنتَ) و(ابن) و(ابنَنا) و(كنتَ).

٥٦٥- (صالح بن علي بن علي بن عبدالله) صحتها (صالح بن علي بن عبدالله).

٥٧١- (أنقفُ) صوابها (أُنقفَ).

٥٧٦- (قُنق) في السطر الثامن صوابها (فُنْق)، وهي الإبل السمان.

٥٧٧- (وقلتُ) في الخبر ١٢٣٢ صوابها (وقلتَ).

٥٩٦- (حَيُّها) في الخبر ١٣١٩ صوابها (حيِّها).

٥٩٧- (خَلَفنا وَخَلف) صوابها (خَلّفنا وخَلَّف).

٦٠٢- (لامهما) و(وصيته) في الخبر ١٣٥٥ صحتها (لامِّها) و(وصيتها).

٦٠٢- (مَوجّه) في الخبر رقم ١٣٥٨ صوابها (مُوَجّه).

٦٠٤- (وإن لأتقدم) صحتها (وإني لأتقدم).

٦٠٦- (سراةً) في السطر الخامس و(أخوالك) في الثاني عشر صوابها (سراةَ) و(أخواك).

٦١٠- (ماثُراتِ.. عنه) في السطر الثامن صحتها (مأثُرات.. عند).

٦١١- (ثَلَثَهنَّ) في السطر الرابع صحتها (ثَلَّثهن).

٦١٢- (أعمش بن تيم) في السطر العاشر صحتها (أعمش بني تيم).

٦١٤- (إذا) في السطر الثالث صحتها (إذ).

٦١٧- (بقيتُ) في السطر السادس عشر صحتها (بقيتَ).

٦٢٤- (ابنة) في أول الخبر ١٤٥٥ صوابه (ابنه).

٦٢٥- لا إشكال في كون عثمان وإبراهيم وموسى بني عبدالرحمن بن عبدالله بن أبي ربيعة إخوة زكريا بن طلحة وعائشة بنت طلحة لأمهما وانظر الخبر رقم ١٨٦٠.

٦٢٩- (عمرو وأمُّ عمرو ابنا مروان) صحتها (عمر وأمُّ عمر).

٦٣٠- (قبيلهُ) في السطر الخامس صحتها (قبيلةً).

٦٤١- (تخزله) في السطر السادس عشر صحتها (يخزله).

٦٤٣- (رأيتُ) في الخبر ١٥٣٢ صحتها (رأيتَ).

٦٦١- (طعينُ) و(هتون) في السطر الثاني والثامن صحتها (طعينِ) و(هتونُ).

٦٦١- (إذا) في آخر بيت من شعر الخبر ١٦٢٠ صحتها (إذ)

٦٦٣- (الأذم) هي (الأدم) بالدال.

٦٦٤- (الأفران) صحتها (الأقران).

٦٦٥- (يؤنبه) في الخبر ١٦٤٢ صحتها (يؤبنه)، و(خَطَبًا) في الخبر ١٦٤٣ صحتها (وحَطَبًا).

٦٦٦- (حليفُ) في الخبر رقم ١٦٤٥ صحتها (حليفَ).

٦٧٥- (أباكِ) في الخبر ١٦٧٢ و(فولد أم حكيم) في آخر ١٦٧٣ صحتها (أباكَ) و(فولدت أم حكيم).

٦٨١- (لها) أول السطر الخامس صحتها (له).

٦٨٤- (وامير) في السطر الحادي عشر صحتها (وأميرُ).

٦٨٥- (وأخوه) في السطر الأول صحتها (وأخو).

٦٨٦- (فولد له) في السطر الثاني صحتها (فولدت له).

٦٨٨- (دفع إليه) في السطر الرابع عشر صحتها (دفع إليها).

٦٩٢- (استأذنت) في الخبر ١٧٧٢ صحتها (استأمنت).

٦٩٧- (عبيدالله) في السطر الثالث صحتها (عبدالله).

٧٠٤- (قتل) في السطر الأول صحتها (قال).

٧٠٧- (خزاعةُ) في الخبر ١٨٤٣ صوابها (خزاعةَ).

٧١٧- (فقدمتُها) في السطر الثامن صوابها (فقدمتُهما).

٧٣٥- (أعُيونُهُم) في السطر الثاني صوابها (عيونهم).

٧٣٧- (دماء) في السطر الرابع و(بسعيكمْ) في السطر الحادي عشر صوابها (دم) و(بسعيكمُ).

٧٣٨- (ابنْ) في السطر الرابع صوابها (ابنُ).

٧٤٢- (لفتياتها) في الخبر ١٩٩٦ صوابها (لفتاتها).

٧٤٥- في الخبر ٢٠١١ (فَتهدِّم) و(شبيه) صحتها (شبيهه) و(متهدِّمٌ).

٧٥٩- (بتَتُوها) في السطر الثاني و(إنما) في السطر السادس صوابها (بتّتُوها) و(أنا).

٧٦٠- (وهو الحبس بعضَ) صوابها (وهو في الحبس بعض) الخبر ٢٠٩٥.

٧٦٤- (أبا عمر) في السطر السادس صوابها (أباه عمر).

٧٧٠- (فإنك) في السطر الثامن عشر صوابها (فإن).

٧٧٤- (أمهن) في السطر الخامس و(أم سعيد بن عثمان) في السطر التاسع صحتها (أمهم) و(أم سعيد بنت عثمان).

٧٨٢- (فَرَفِؤه) في السطر الثامن عشر صوابها (فَرَفَّأوه).

٧٨٤- (ام ولد ولد) في الخبر رقم ٢٢٣١ صوابها (ام ولد).

٧٨٩- (عبدالله زمعة) في السطر العاشر صوابها (عبدالله بن زمعة).

٧٩٥- (وإن) في السطر الرابع صوابها (وأن).

٧٩٦- (إنه) في السطر السابع عشر و(لأنساب) في الثامن عشر صوابها (إن) و(لا نُسابّ).

٧٩٧- (ابنة) في السطر السادس و(فكان) في الثاني عشر صحتها (ابنه) و(فكانت).

٧٩٨- (هشام معه) في الخبر ٢٢٩٤ صوابها (هشام معكم)، ومما يذكر أنه ليس في أبناء الوليد بن عبدالملك من اسمه هشام وأكبر ولده العباس.

٨٠١- (في كل شاة) في السطر الخامس صوابها (في كل يوم شاة).

٨٠٤- (وليتها) في السطر الثالث صوابها (وليمتها).

٨١٥- (من) في السطر الثاني صوابها (منه).

٨١٦- (خريدة) في السطر الخامس عشر و(الخريدة) في السابع عشر صوابها (جريدة) و(الجريدة).

٨٢٢- (عبدالرحمنُ) في الخبر ٢٤١٤ صوابها (عبدالرحمنِ) بالكسر.

٨٣٧- (الحارث بن عبدالملك بن هاشم) في الخبر ٢٤٩٤ صوابها (الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم).

٨٤٣- (ابنة أمية) في السطر الحادي عشر صوابها (ابنه أمية).

٨٤٥- (مَحْمَر) في السطر السابع عشر صوابها (مُحْمِر).

٨٤٦- (الحنطلي) في الخبر ٢٥٧٣ هي (الحنظلي).

٨٥٢- (فأخبرني) في السطر الحادي عشر و(أُولى) في التاسع عشر صحتها (فأخبِر) و(أَدْلي).

٨٥٣- (المثلم به حذافة) في السطر السابع عشر هي (المثلم بن حذافة).

٨٦٧- (جرى بن نوح) في الخبر ٢٦٥٨ صحتها (جرى بين نوح).

٨٧٥- (حدثني عمي... وغيرُ من قريش) في الخبر ٢٧٠٥ هي (حدثني عمي... وغيره من قريش).

٨٧٦- (فأقبل معاوية على أم حبيبة اخته) السطر الثالث الصواب (فأقبل معاوية على أم حبيب أخته).

٨٨٣- (أنسبَ) في السطر الخامس صحتها (أنسبُ).

٨٨٥- (وهو قليل) في السطر الأول صوابها (وهم قليل).

٨٨٦- تصويب كلمة (أخي) - لا لزوم له.

٨٨٨- (واستاقتي) في السطر الثالث عشر هي (واستاقني).

٨٨٩- (فجعً) في الخبر ٢٧٨١ صحتها (فجَّع).

٨٩٢- (خلّة) في السطر الأول صوابها (حلّة).

٨٩٦- (وكان ذات بنات) في السطر الثالث صحتها (وكان ذا بنات).

٨٩٧- (ولا المعد) السطر السادس صحتها (والمعد).

٨٩٩- (قال الزبير سمعت ابن اسماعيل) صحتها (قال الزبير سمعت اسماعيل).

٩٠٢- (لا يسالي) في السطر الثاني صحتها (لا يبالي).

٩٠٣- (أُميّ) في السطر الحادي عشر صحتها (أُمَيَّ).

٩١٠- (بعينَيْك) في السطر الأول، و(نُبَيْة) في الثاني عشر، و(قد بنى) في السادس عشر، صحتها (بَعَيْنِكَ)، و(نُبَيْهٍ)، و(ابني).

٩١٢- (ناقتُه) في السطر السابع، و(دَعلجَ)، هي (ناقتَه) و(دَعْلَج).

٩١٣- (عمرٌ) في الخبر ٢٩٢٩ هي (عمراً).

٩١٨- (أعِي) في الخبر ٢٩٥٦ صحتها (أعْيَ).

٩١٩- (ويكُفُّلهم) في الخبر ٢٩٥٨ صحتها (ويكُفُّهم).

٩٢٢- (أنا عبدالله) في السطر الرابع عشر صحتها (أبا عبدالله).

٩٢٤- (أبياتُه) في الخبر ٢٩٧٧ صحتها (أبياتَه).

٩٢٧- (وأخوهما لأمهما) في الخبر ٢٩٩٥ صحتها (وأخواهما لأمهما).

٩٢٨- (سنا) في الخبر ٣٠٠١ صحتها (سبا).

٩٢٩- (حُبٌّ) في الخبر ٣٠٠٥ و(فجاهدا) في الخبر ٣٠١٠ صحتها (جُبٌّ) و(مجاهداً).

٩٣٠- (فَقَدِم بها) في السطر الأول صوابها (فَقُدِم بها).

٩٣٣- (ولعمر بن عبدالرحمن) في الخبر ٣٠٢٧ صحتها (ولعمرو بن عبدالرحمن).

٩٣٦- (حُمَيْر) وفي الخبر ٣٠٥٠ صحتها (حُمَيِّر).

٩٤٠- (وعرقبةُ) في السطر الثاني صحتها (وعرقبه).

٩٤٣- (واختلافهـا والدليل أمامـهـا) في السطر الخامس صوابها (واختلافهما والدليل أمامهما).

٩٤٧- (شقى) في الخبر ٣١٠٥ و(إذا) في البيت الثالث من الخبر ٣١٠٦ صحتها (سعى) و(إذ).

٩٤٨- (والكوهل) في الخبر ٣١٠٨ هي (الكواهل).

٩٥٠- (يُؤُم) في الخبر ٣١١٤ صحتها (يؤُم).

٩٥٢- (والف) في السطر السابع و(الألف) في الثامن هي (آلاف) و(الألفا).

٩٥٤- (يكفى) في الخبر ٣١٢٦ هي (بكفي).

٩٥٥- (حبيباً) و(حبِّيا) في السطر الثامن صحتها (حبيبا) و(حبيِّبا).

٩٥٨- (متحالفيين) في الخبر ٣١٤٩ هي (متحالفين).

٩٥٩- (وسُمِع) في أول سطر بالهامش هي (وسَمع).

٩٦٠- (سَهْلُ) في الخبر رقم ٣١٥٩ صحته (سَهل).

٩٦٢- (عبدالله بن قيس) في الخبر ٣١٧٢ صحته (عبيدالله).

٩٦٦- (عمته أمها: فاطمة) في السطر الثالث صحته (عمته: فاطمة).

٩٦٦- (عصية بن معيص) في الخبر ٣١٩٨ صحته (عصية من معيص).

٩٧٥- (مَسْهر) و(رواية) في الخبر ٣٢٦٢ صحته (مُسْهِر) و(راوية).

٩٨١- (أحدُ) و(الأنيابٌ) في الخبر ٣٣١٩ صحتها (أحد) و(الأنيابِ).

٩٨٢- (بكرَه عوفُ) و(يكفى) في الخبر ٣٣٢٤ صحتها (بكرُه عوفَ) و(تَكفَى).

٩٨٥- (وحيية) في الخبر ٣٣٤٤ و(الفوادي) في الخبر ٣٣٤٨ صحتها (وحبيبة) و(الغوادي).

٩٨٨- (قالهن لهن) و(الإمارة) في الخبر ٣٣٦٨ صحتها (قالهن) و(للإمارة).

٩٩٢- (نومهم) في السطر الرابع صحتها (قومهم).

٩٩٤- (عم النصرى) في الخبر ٣٤١٣ صحتها (عمل النصرى).

٩٩٧- (غزا بن) في السطر الثاني و(ثاق) في الخامس عشر هي (غزا بني) و(تاقٍ).

٩٩٨- (عَوِّدوا) في السطر السادس هي (عُوِّدوا).

الرياض: د. عبدالله بن ناصر الوهيبي

رابعًا- النصوص الجغرافية القديمة ومشكلة المصطلح:

وأمر آخر يستفاد من مشاركة الجغرافي المختص، في تحقيق النصوص الجغرافية وتحليلها، وهو القدرة على اقتناص المصطلح الجغرافي المستعمل في الكتابات القديمة، والعمل على استخدامه في الدراسات المعاصرة. فالمشكلة التي يواجهها كل من يقدم على البحث أو التعريب في العلوم الحديثة، والمتمثلة في صعوبة العثور على المقابل العربي للمصطلح الأجنبي، ليست دائمًا مشكلة اللغة، بل هي أيضًا مشكلة الباحث العربي الذي أنبتت صلته بتراثه القديم الثري بالمصطلحات، فأصبح يكتب اللفظ الأجنبي بحرفيته، أو يقوم بتعريب المعنى بأكثر من كلمة، غافلاً عن ذلك الفيض من المصطلحات التي تعج بها المصادر الجغرافية القديمة، في ميدان الجغرافية المناخية وأشكال سطح الأرض والجغرافية البشرية وغيرها.

ونورد بعض الأمثلة على ذلك:

(١) النقل الحرفي للمصطلح: أجاز (مجمع اللغة العربية في القاهرة) الإلتجاء إلى هذه الطريقة إذا دعت الحاجة إلى ذلك، بألا يوجد لفظ متداول في اللغة أو مهجور يؤدي بدقة المعنى المصطلح عليه (محمد سويسي: ص١٣). وعلى ذلك فقد ضم كل من المعجمين الجغرافي والجيولوجي اللذين أعدهما المجمع عشرات الكلمات الدخيلة مثل (كويستا Cuesta) و(كلدرة Caldera) و(دلتا Delta) و(كارست Dars) وتقديري أن هذه الكلمات، وعدداً آخر من أمثالها مما شاع في كتابات الجغرافيين العرب المحدثين وترجماتهم وأقر منها مجمع اللغة العربية ما أقر، لم تخضع لدراسة مكتبية أو ميدانية وافية أو استشارات على نطاق الوطن العربي للتأكد من عدم وجود لفظ متداول يؤدي

المعاني المطلوبة. وعلى سبيل المثال فإن لفظ (كويستا) ما كان له أن يشيع في كتابات الجغرافيين العرب المعاصرين لو كان إقرار هذا اللفظ الدخيل جاء مبنيًا على دراسة علمية ميدانية يسندها ما جاء في التراث العربي. فهذه الظاهرة الجغرافية تنتشر بشكل لافت للنظر في وسط الجزيرة العربية عند النطاق الرسوبي المتاخم لكتلة الدرع العربي، ويطلق عليها السكان هناك اسم الجالات، مفردها (جال) وتمتد في شكل محاور يصل عددها في بعض المواضع إلى نحو ثمانية جالات، تواجه الغرب منها جروف وعرة شبه قائمة، ومنحدرة انحدارًا لطيفًا نحو الشرق وفقًا للانحدار الطبوغرافي العام لشبه الجزيرة العربية. وأكبر هذه الجالات مرتفعات العارض أو جبل طويق التي تمتد من الشمال إلى الجنوب نحو ٨٠٠ كيل وترتفع قممها نحو ١٠٠٠ متر فوق مستوى البحر. وفي الكويت توجد أيضًا مجموعة من الجالات أهمها جال اللياح وهي مرتفعات تمتد شمال الكويت ولها خصائص (الكويستا) وهو وجود جرف شديد الانحدار يقابله في الجانب الآخر انحدار لطيف.

ولفظ (جال) الذي استخدمه السكان هناك منذ مئات السنين هو لفظ ذو جرس عربي سهل في النطق وفي التصريف، وهو أيضًا مشتق من البناء اللغوي العربي. فقد أطلق العرب على جدار البئر وجانبي الوادي وشاطئ البحر اسم (الجال) بمعنى الحافة. ومن هنا جاء استخدام أهل الجزيرة لهذا المصطلح. فأهم ما يميز (الكويستا) هو جانبها الوعر الذي هو أشبه بالحافة، فكان لفظ (الجال) الذي غلب في شيوعه على المعاني المعجمية الأخرى.

وهذا المثال الذي ضربناه يقودنا إلى أمر آخر له أهميته، فمصطلح (جال) لا نجده في كتب الجغرافية العربية القديمة بل نجده في كتب اللغة. ونحن نعتقد أن التراث العربي تراث مترابط فقد تجد مادة جغرافية مهمة في كتاب من كتب اللغة أو التاريخ أو النبات لا تتوافر في كتب الجغرافية. والأمر الذي أردت الوصول إليه أن جزءًا من التأهيل الذي ينبغي للمحقق أن يتسلح به هو أن يكون على صلة ومعرفة

بجوانب التراث المختلفة، وهو ما تعلمناه من أساتذتنا وشيوخنا.

(٢) التعبير عن المصطلح بعدة كلمات: مصطلح (Water Divide أو Water Parting) جاءت ترجمته في المعجم الجغرافي الذي أعده مجمع اللغة العربية بالقاهرة بكلمتين هما (مقسم المياه) ووصف بأنه (أعلى جزء في المرتفعات تنحدر منه المياه في اتجاهين مختلفين) (الصياد: ٩٧) وترجمه يوسف توني في «معجم المصطلحات الجغرافية» في ثلاث كلمات هي (خط تقسيم المياه)، وقال في وصفه: خط وهمي يمر بالمنطقة المرتفعة من الأرض التي تفصل بين المجاري العليا لروافد الأنظمة النهرية أو الأحواض النهرية المختلفة (توني: ص ٢١٠).

وتخلو المعجمات اللغوية من مقابل لهذا المصطلح، إلا أنني وجدت مقابلاً له في مادة (سلع) في «معجم البلدان» لياقوت الحموي: (يقول أبو زياد: الأسلاع طرق في الجبال يسمى الواحد سلعًا، وهو أن يصعد الإنسان في الشّعب، وهو بين الجبلين حتى يبلغ أعلى الوادي، ثم يمضي فيسند في الجبل حتى يطلع فيشرف على واد آخر، يفصل بينهما هذا المسند الذي سند فيه، ثم ينحدر في الوادي الآخر حتى يخرج من الجبل منحدرًا في فضاء من الأرض، فذلك الرأس الذي أشرف من الواديين: السلع، ولا يعلوه إلا راجل) (ياقوت ٣ / ١١٧).

وهذا الوصف الذي نقله ياقوت عن أبي زياد الكلابي غني عن التعليق لوضوحه وشموله للمقصود بمصطلح المقسم المائي أو خط تقسيم المياه. كما أن ذلك الوصف يحمل في طياته مصطلحًا آخر قد استخدم في تعريبه أكثر من كلمة، فمصطلح (المسند)، بتصريفاته اللغوية المختلفة هو نفس المصطلح الإنجليزي Upstream الذي يقابله في الكتابات الجغرافية العربية الحديثة وفي «معجم المصطلحات الجغرافية» مصطلح (مصعد النهر) (توني: ص٤٧٤).

(٣) الدراسة الميدانية للتأكد من المصطلح: تعد الدراسة الميدانية بعدًا مهمًّا من الأبعاد الدراسية التي تحكم اختيار المصطلح الجغرافي، فالتأكد من الظاهرة على الطبيعة يفيد كثيرًا في وضع المصطلح المناسب إذا وجدت

مرادفات أخرى للمصطلح، كما تفيد الدراسة الميدانية في تصحيح بعض الأخطاء الموجودة في بعض الكتب الجغرافية التي اعتمد فيها أصحابها على الدراسة المكتبية فقط. وعلى سبيل المثال ذكر عمر الحكيم في كتابه «تمهيد في علم الجغرافيا» (ص: ٣٠٥): (أن تعمّق الجوبات أو الحفر الناتجة عن الإذابة في الصخور الكلسية يؤدي إلى تعميقها، وتعرضها نتيجة ارتخاء قعرها، إلى تقاطع أطرافها مع أطراف الجوبات المجاورة، فينشأ عن ذلك حفرة واسعة يبلغ قطرها عدة أكيال، ويقال لها (دارة) في بلاد العرب و(بوليه) في يوغسلافيا... إلخ).

ويبدو مما ذكره الدكتور الحكيم أنه اعتقد أنْ الدارة هي صورة من صور الإذابة التي توجد في نطاقات الصخور الجيرية، فالوصف المعجمي قد أدى به إلى ذلك الاعتقاد، فقد جاء في «لسان العرب»: (الدارة: الجوبة الواسعة تحفها الجبال) (ابن منظور ٥ / ٣٨٢)، وقد بنى الحكيم على هذا الوصف كل ما ذكره فيما يتعلق بالحفر والبالوعات الناشئة عن الإذابة في المناطق الجيرية.

والدراسة الميدانية تبين لنا أن مصطلح الدارة يخالف ما ذكر، بل إن هذه الظاهرة لا توجد في المناطق الجيرية بل في مناطق الدرع العربي من شبه الجزيرة العربية. وقد اهتم الجغرافيون العرب بوصفها وتوزيعها في جزيرة العرب، فخصص الأصمعي رسالة عن الدارات، وذكر البكري اثنتين وعشرين دارة، وذكر ياقوت الحموي ثمانيًا وستين دارة ولاقت اهتمامًا خاصًا من الشعراء وأصحاب المعاجم اللغوية فاستطردوا في وصفها واستقصاء المعروف منها، وتفاخر المتأخرون على المتقدمين في معرفة العدد الأكبر من تلك الدارات.

وتعطي الدراسة الميدانية مصطلحًا عربيًا آخر يوافق ما أراده عمر الحكيم وهو لفظ (الدحل) وجمعه دحال ودحلان وهو حفر ومغارات تتعمق في جوف الأرض نتيجة لعملية الإذابة في مناطق الصخور الجيرية. وهذا المصطلح من المصطلحات التي أوردتها معاجم اللغة وكتب الجغرافية العربية على حد سواء:

يقول الأزهري: (وقد رأيت بالخلصاء ونواحي الدهناء دحلانًا كثيرة، وقد دخلت غير دحل منها، وهي خلائق (أي حفر) خلقها الله تحت الأرض، يذهب الدحل سكًا في الأرض قامة أو قامتين أو أكثر من ذلك، ثم يتلجف يمينًا أو شمالاً، فمرة يضيق ومرة يتسع في صفاة ملساء لا تحيك فيها المعاول المحددة لصلابتها. وقد دخلت منها دحلاً، فلما انتهيت إلى الماء، إذا جو من الماء الراكد فيه لم أقف على سعته وعمقه وكثرته لإظلام الدحل تحت الأرض، فاستقيت أنا وأصحابي من مائه، لأنه من ماء السماء يسيل إليه من فوق ويجتمع فيه). («تهذيب اللغة»: ٤ / ٤١٩).

وأشار الهمداني إلى عدد من أسماء الدحلان في منطقة الصمان وذكر أنها من موارد المياه هناك، وهي شقوق عميقة مخرّقة في جَلَد الأرض يكون فيها الماء («صفة جزيرة العرب»، ص ٢٨١).

ومع الأسف الشديد فإن مثل هذه الأخطاء ترد في كتب جامعية متداولة بين الأساتذة والطلاب مما يؤدي إلى انتشارها وشيوعها. والجدير بالذكر أن لفظ (دارة) وفق ما أشار إليه عمر الحكيم قد نقله يوسف توني عنه، وأورده في معجمه بخطئه («معجم المصطلحات الجغرافية»: ص ٢١٩).

خامسًا- تحقيق الخرائط العربية: يبخس كثير من الباحثين الخرائط العربية باعتبارها فنًا لم يحرز فيه العرب نجاحًا كبيراً. ورغم الجهود الطيبة التي بذلها نفر من الباحثين مثل كونراد ميللر ويوسف كمال، حتى يجعلوا في إمكاننا الوصول إلى تقدير سليم لفن الخرائط عند العرب، فإن عدداً قليلاً فقط من الأصول التي خلَّفها صناع الخرائط العربية ومن الصور المنقولة عن تلك الأصول قد وصلت إلى متناول أيدينا.

(للبحث صلة)

الكويت: د. عبدالله بن يوسف الغنيم

مساهمة (الدوري) في تفسير التاريخ العربي الإسلامي

(٢)

يلاحظ أن الدوري إلى أن أخرج كتابه «دراسات في العصور العباسية المتأخرة» لم يكن يحفل كثيراً بالأحداث خارج العراق إلا بما يؤثر تأثيراً مباشراً على منطقة اهتمامه. فلا تجده في هذا الكتاب، ولا في كتابه العصر العباسي الأول الذي قبله، يهتم بدراسة مستقلة للإدارات التي انشقت عن العباسيين في غربي العراق، بما في ذلك مصر، كالذي فعله مع رصيفاتها المشرقية... أما في كتابه «مقدمة في تاريخ صدر الإسلام» فقد حدث تحول نوعي، فأصبح مجال الدراسة (الأمة) لا القطر ولا الإقليم، وأضحى الاهتمام الرئيس بالتيارات التي كونت الأمة ووجهتها، وبالأحداث ودلالاتها لا الأحداث ذاتها فحسب، وإن عظم شأنها.

من هنا شرع يبحث عن البدايات ويتتبع تطورها، ووجد أن لا محيص عن الابتداء من فترة ما قبل الإسلام، لأن الإسلام نزل على العرب، وهم الذين حملوا لواء سيادته في الآفاق، ومن الصعوبة سبر غور ذالك التاريخ دون فهم بيئتهم، لأن (تاريخ أمة لا يمكن فهمه دون فهم بيئتها)[١]، والبيئة عنده بمدلولها الشامل لا بمدلولها الجغرافي المحدود. فنظر فيها نظرة المؤرخ المفكر الذي يُعنى باتجاهات الأحداث والوقائع لا المؤرخ الذي يغوص في تفاصيلها ويغرق فيها.

ووجد أن هناك تيارات هامة ظهرت في الجزيرة العربية قبيل الإسلام، وكان ظهورها بصورة مبهمة حيناً، ومرتبكة حيناً آخر، وذات دلالات هامة في كل الأحوال. وجاءت تلك التيارات نتيجة لتفاعل الإنسان العربي مع بيئته في عالم القرن السادس الميلادي في جزيرته ومحيطها. فلاحظ أنه قد أعقب الانهيار الشامل بعد سقوط دول الشمال والجنوب تجزئة شاملة وبداوة غالبة، ولكن

بدأت تظهر قبيل الإسلام، مؤشرات للوحدة في كافة مظاهر الحياة، على تفاوت في درجاتها في مجالات الدين والسياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة... وكان أهمها (نشوء اللغة العربية الفصحى) لأنها أساس تكوين (الأمة)[٢].

وجاء الإسلام (وتجاوز الحدود القبلية بتكوين الأمة التي هي فوق القبائل)[٣]؛ وذلك بإحلال رابطة العقيدة مكان رابطة الدم، وفكرة الأمة والدولة والقانون محل القبيلة والعرف، والجهاد بدلاً عن الغزو... فلاحظ الصلة بين توجهات الإسلام وبين مؤشرات التنبه أو التوثب التي بدأت قبيل ظهوره، فأكد بذلك مظاهر الاستمرار في تاريخ العرب.

بيد أنه في تأمله ذالك استبصر ظاهرة اعتبرها جد خطيرة لأنها ستشكل جوهر تفسيره لتاريخ صدر الإسلام كله، وهي أن العرب لم يقبلوا بالإسلام في سهولة ويسر، مع أن الخط العام للتطور كان يصب في مجرى الإسلام وتوجهاته. فقد كابد الرسول ﷺ مكابدة عظيمة أليمة، وجاهد مجاهدة شاقة مريرة في سبيل نشر الدين الجديد، وذلك لأن التناقض بين القديم المتمثل في الروح القبلية ومثلها وبين الحديث المتجسد في روح الإسلام ومثله أحدث تصادماً عنيفاً. واعتبر الدوري هذا التصادم بين التيار القبلي والتيار الإسلامي (المحرك الأول للتطور) في صدر الإسلام[٤]، فهو يقول عنه: (وهذه ناحية أراها مغفلة في دراسة تاريخ صدر الإسلام، ولكنها بالغة الخطورة، ولا أخالنا نفهم ذالك التاريخ بدون تفهمها)[٥]. ومن ثم عكف على دراسة ذالك التاريخ في ضوء هذه النظرة، فبحث الجزئيات، وحلل ترابطها، وفسر توجهاتها، ورصد تياراتها، ووجد أن التحولات الكبرى فيه تمر بثلاث مراحل متداخلة، ومفاصلها ليست بحادة قاطعة، ولكن في كل مرحلة كانت السيادة للتيار الإسلامي أو القبلي.

لقد انتصر التيار الإسلامي في المرحلة الأولى، غير أنه احتوى التيار القبلي، إذ بدأت المرحلة مع وفاة الرسول ﷺ بانفجار التيار القبلي انفجاراً عنيفاً جارفاً، وأخضع إخضاعاً عسكريًا تامًّا فيما (نطلق عليه اسم حروب الردة) التي أوضح أنها (لم تكن... لإرجاع ناس أسلموا ثم تركوا الإسلام، بل كانت حروباً سياسية دينية، لإخضاع من خرج على سلطة المدينة، ولإخضاع من لم يخضع وضمه إلى حظيرة الإسلام)[٦]. ثم لاحظ أن التيار الإسلامي المنتصر وظَّف الطاقات البدوية القتالية في الفتوحات بتحويله (التيار القبلي إلى تيار عربي عام، واتحاد التيارين في وجهة إسلامية بالتوسع لصالح الإسلام ومجد حملة لوائه العرب)[٧]... ونبه إلى تضافر التيارين، في هذه المرحلة، في نشوء مؤسسة الخلافة بتدخل عوامل قبلية وأخرى إسلامية في اختيار الخلفاء وفي طريقة اختيارهم.

ويواصل تفسيره للأحداث اللاحقة على ضوء فكرة التصادم تلك فيشير إلى أنه مع هذا الانتصار للتيار الإسلامي إلا أن الاتجاهات القبلية كانت تتزايد نتيجة لعوامل اجتماعية اقتصادية وسط العرب، فانفجرت في الفتنة الأولى التي تمثل ثورة القبائل على قريش بالدرجة الأولى وبداية مرحلة انتصار التيار القبلي الذي تكرس بانتصار معاوية وقيام الدولة الأموية، فساد هذا التيار المرحلة الثانية كلها ووجه أحداثها، وصبغها بصبغته... بل أن ما بدى وكأنه نزعة إقليمية، مثل موقف الأمصار من المدينة أو الكوفة من نقل السلطة إلى الشام، تجد الدوري يتأوله تأويلاً قبليًّا أو يرده إليها، فيقول عن الأولى (لعلها تطور للنزعة القبلية في الأمصار)[٨].

ووضح له في الوقت ذاته أن ملامح انتصار التيار الإسلامي قد بدأت عواملها تتكون في رحم هذه المرحلة الثانية، مفرزة مرحلة جديدة ثالثة، يُقضى فيها على التيار القبلي، وتسودها قيم التيار الإسلامي وروحه ومثله في وعاء عربي

ثقافي. لقد لاحظ أن تأثير التطورات الاجتماعية والاقتصادية كان أكبر على الموالي، وهم شريحة اجتماعية جديدة، جاء مولدها نتيجة لهذه التطورات نفسها وتفاعلها مع انتشار الإسلام في البلاد المفتوحة. فظهر الموالي، وتعاظم تأثيرهم، وتوسع خطرهم، حسب رأيه، (على الدولة الأموية خاصة، وعلى الكيان العربي عامة). واختلط تيارهم مع التيار الإسلامي، وهدفوا جميعًا لتحقيق المساواة مع العرب من خلال تعاون العرب والفرس وتفاهمهم. وهنا بان له جوهر الدعوة العباسية وسر انتصارها ومعنى قيام دولتها في التعاون لا الإقصاء.

ولكن التحالف الجديد ما لبث أن انهار نتيجة للتناقضات الداخلية بين عناصره. فهو يرى أن العباسيين ضربوا التيار القبلي، وأحقدوا العرب بتقريب الفرس، وخابت آمال الفرس، أرستقراطية وعامة، في تحقيق مطامحهم المتعارضة مع مثل التيار الإسلامي، ذلك لأن الموالي في العراق وإيران قد حركتهم النزعات القومية والدينية والاجتماعية الإيرانية، فظهرت الشعوبية؛ صراعًا بين العربية والأعجمية، واشرأبت الزندقة؛ نزاعًا بين الديانات الفارسية والطموح الفارسي وبين الروح العربية والإسلام، (سر مجد العرب وأساس سلطاتهم). ففقد العباسيون ثقتهم في ولاء الجند العربي والفارسي معًا، فأدخلوا الترك، عنصرًا عسكريًّا جديدًا، ضرب الفريقين وسيطر على الدولة عسكريًّا وسياسيًّا. وانصرف الفرس، مع انهيار التوازن المنشود، إلى تأسيس اماراتهم المستقلة. وتبلورت في الجهة الأخرى ثقافة عربية إسلامية كردة فعل للتيارين، الثقافي والسياسي، الفارسيين ونتيجة للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المستجدة(٩).

وواضح أنه كان قد تنبه إلى تيارات المرحلة الثالثة هذه وظواهرها عندما درس العصر العباسي الأول... ولكن الجديد وضعها في موضعها من خط

التطور العام لمسيرة (الأمة) وفقًا لنظرته القائمة على تصادم التيارين، الإسلامي والقبلي... ودورهما في تشكيل (الأمة). ولكن أين ذهب التيار القبلي؟ وكيف يسود التيار الإسلامي وتُدعى الأمة مجال الدراسة بالعربية، ويُوصف تاريخها بالعربي؟

يبدو أن الإجابة على السؤالين ينبغي البحث عنها في منهج الدوري الذي اتبعه والمناخ الفكري الذي عاش فيه وتفاعل معه وانفعل به... فمن شأن المنهج الاستقرائي الذي وظّفه ألا يعين على وضوح الرؤية كاملة إلا في نهاية المطاف، ذلك لأن التصورات تنمو بطريقة تراكمية، والمفاهيم تقوم على الأفكار التي تتصادم أو تتآلف في مجتمع المؤرخ المفكر، ومسألة الهوية، عربية أو إسلامية، أثيرت بصورة (حادة) في فترة تالية لكتابته لمقدمته تلك، وربما أمكن تحديد بداية هذه الفترة بتحول ثورة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢م المصرية إلى مد قومي عربي جارف.

لعله من المفيد هنا إثارة ثلاث مسائل تتعلق بالمصطلح ودلالاته والمفاهيم المستخدمة في تفسيره لتاريخ صدر الإسلام قبل (الفترة الحادة) القادمة ومشكلة المصادر والتعامل معها. وهذه مسائل كلها قد بدأت بواكيرها في فترة المؤرخ المتخصص، ثم استصحبها في هذه المرحلة، فبلورت نظرية في تفسير تاريخ صدر الإسلام تقوم على التصادم بين التيارين، القبلي والإسلامي. كما أن النظرة نفسها فسرت التطورات في هذه المجالات وجلتها. لذلك هي مسائل هامة تسعف في فهم تفسير الدوري لتاريخ صدر الإسلام.

من حيث المصطلح فإن (الأمة) عنده في صدر الإسلام هي (الأمة العربية)(١٠)، فيصف ضرب الردة بأنها (حركة توحيد العرب)(١١)، ويسمي الفتوحات (موجة التوسع العربي) التي بسببها وضع عمر بن الخطاب للعرب الفاتحين نظامًا في الأمصار المستحدثة يحفظ لهم (جوهرهم الجديد، وهو

أنهم أمة فاتحة مجاهدة) لهذا فهو لا يرى تناقضًا بين صفتي العربية والإسلامية، فهو يقول: (وقد بقي الإسلام والعرب متلازمين كوجهي النقد مدة طويلة أمام الشعوب غير العربية)[١٢]، بل ظل الدوري يستخدم المصطلحين في شيء من الترادف حتى بعد (الفترة الحادة) وهذا ما تؤكده عناوين أعماله المنشورة على مدى أربعة عقود.

ويغلب على الظن أنه ميال إلى مصطلح (العربية)، وهذا ما يوحي به تفضيله لمفهوم البلاذري التاريخي على مفهوم الطبري. فهو يعتبر الأخير ممثلاً للتفسير القائل بأن (التاريخ البشري، بما فيه تاريخ العرب، تعبير عن المشيئة الإلهية المتمثلة في توالي الرسالات، وآخرها وأكملها الإسلام، وأصبح بعد ظهور الإسلام تاريخ أمة هي الأمة الإسلامية، ومحورها العرب)، بينما يعد البلاذري ممثلاً للتفسير الذي يذهب إلى (أن التاريخ العربي تعبير عن دور الأشراف العرب الذين حملوا رسالة الإسلام، ونشروا العربية في العالم)[١٣]. ثم يوضح تميز البلاذري وتفرده لأن الفكرة التاريخية وراء كتاباته (هي وحدة خبرة الأمة واتصالها) بينما عند بقية المؤرخين هي (النظرة العالمية للتاريخ)... ويبين بجلاء أن البلاذري (كتب تاريخه «أنساب الأشراف» ونسجه حول الارستقراطية العربية، وبذلك دلّ على مركز الثقل في نظره، كما أنه أكد بذلك نظرة اجتماعية عربية)[١٤]. ولقد بدأت الفكرة أساسًا مع النسابين واللغويين بتأكيدهم (على وحدة التاريخ الثقافي للعرب واتصال حلقاته)[١٥] وتكاملت مع البلاذري.

لهذا تجد الدوري بالبلاذري كلفًا، وبأعماله محتفلاً، فهو، حسب رأيه (مؤرخ فذ في أسلوبه ونظرته للتاريخ العربي)[١٦]. وأحسب أن فكرة البلاذري التاريخية هي التي أوحت للدوري حل إشكالية مرحلة انتصار التيار الإسلامي مع العباسيين وما بعده شيئًا ما... وسنلاحظ أنه في فترة تالية سيطور مسألة

العروبة بمفهومها الثقافي الشامل تفسيراً لتلك المرحلة.

أما من حيث المفاهيم والتعامل مع المصادر، فقد كان مدركًا أشد الإدراك خطورتهما في كتابة التاريخ العربي الإسلامي عامة، وفي تفسير تاريخ صدر الإسلام خاصة... ولا أدلَّ على ذلك مع أنه كتب مقدمته عن تاريخ صدر الإسلام في رسالتين، الثانية حملت آراءه وملاحظاته التفسيرية، بينما عالجت الأولى قضايا المفاهيم والمصادر، فكأنه أرادها مقدمة ضرورية بين يدي عملية التفسير.

وركز في قضية المفاهيم على مفهومين، أرتى أنهما جماع المفاهيم، وهما الشمولية والاستمرارية... فوضح ضعف تقسيم التاريخ إلى ثقافي واقتصادي وسياسي، وبيَّن أن المجتمع «حدة تتداخل العوامل فيها وتتبادل التأثير. كما أن جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والنفسية متداخلة متشابكة، لا تنفصم عراها... فمسيرة الأمة لا تتضح إلا في مثل هذه الشمولية، وبغيرها تكون مقطعة الأوصال لا ترسم صورة واضحة القسمات.

وأكد على ضرورة تفهم الاستمرارية في تاريخ الأمة، وناقش خطورة إغفال المؤرخين للعامل الزمني وللتطور الطبيعي في الحركات والتبدلات ونسبة ذلك إلى أشخاص، أو خطورة تدوين تاريخ العرب على أساس العوائل الحاكمة الذي يؤثر على التسلسل، ويورث بعض الغموض. ولهذا تجده يبحث أبداً عن الجذور والبدايات، ويتتبع التطور والتحول في التيارات والظواهر، ولكنه نبه إلى ضرورة عدم الظن بأن الاتصال والتتابع يعنيان المسيرة الرتيبة، ففي تاريخ الأمة التوثب والركود، وفيها الصعود والهبوط، وفيها الاستقامة والمنعرجات، وفيها التأثيرات القريبة والبعيدة.

ونسبة لأهمية هذين المفهومين في تشكيل نظرته المفسرة لتاريخ الأمة، فقد عاد وأكدهما في بحث قائم بذاته، وموضحًا فيه خطوط التطور الشاملة

لتاريخ صدر الإسلام وفقًا لمقولته بتصادم التيارين القبلي والإسلامي، ومؤكدًا على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتداخلها مع السياسي، على الرغم من التكرار الذي لاحظه، ولكن تأكيد الفكرة استوجبه.

ووقف في التعامل مع المصادر أربع وقفات هامة، بيَّن فيها ضعف البحث التاريخي في فهم المصادر ونوعيتها، وبحث أهمية نقد المصادر، وأبان ضرورة معرفة الروايات الموضوعة وقيمتها للمؤرخ، وأخيراً بسط القول في خطر الهوى على التاريخ العربي. ويدل على أهمية هذه الموضوعات في فكر الدوري وتفسيره للتاريخ أنه يرى أن الدعوة لإعادة كتابة تاريخ الأمة بنظرة جذرية لن تتم بصورة هادفة إلا بدراسة (تأريخ التاريخ) عند العرب، وذلك بالرجوع إلى المصادر الأصلية، وفحص مروياتها ونقدها، وتمييز الموثوق من الموضوع، والصحيح من الضعيف، مع دراسة نقدية للمؤرخين ومناهجهم ودوافع كتاباتهم والتيارات التي أثرت فيهم، لأن ذلك يصور العوامل التي شكلت الأمة وصاغتها أصدق تصوير.

لهذا تجده عاش مع هذا الموضوع وكابده سنين عدداً حتى أصدر بحثه في نشأة علم التاريخ عند العرب (١٩٦٠م) وفيه استطاع أن يرد مرويات المؤرخين إلى أصولها التي هي نتاج عمل أهل المغازي والإخباريين والقصاص والنسابين واللغويين... وهنا تتكشف التيارات التي أكسبت الأمة خصائصها... فالمؤرخ المفكر يبحث عن الروح الباعثة لا الحدث المجرد.

هذا التعامل مع المصادر وتلك المفاهيم، كلها عوامل بدأت معه في مرحلة المؤرخ المتخصص واستصحبها في مرحلة المؤرخ المفكر، ووسعت نطاق تاريخ الأمة المراد تفسيره، ولم يعد التاريخ تقلبات سياسية معزولة عن نواحي الحياة الأخرى المتنوعة... ولهذا تجده يركز على ثلاثة جوانب لها الدور الكبير في تكوين الأمة، وهي النظم والاقتصاد والثقافة. فألف كتابه «النظم

الإسلامية» سنة ١٩٥٠م[١٧]، وفيه اهتمام ليس بالنظم الرسمية وحدها وإنما بالتنظيمات الشعبية أيضًا. واهتم بالتاريخ الاقتصادي في سائر أبحاثه، كتابًا ومقالات، ثم بلورها في مرحلة لاحقة في كتابه «مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي»[١٨]، وما يتعلق بصدر الإسلام في هذا الكتاب إن هو إلا تكرار لما في أبحاثه السابقة. وفي الثقافة حسبك بحثه في نشأة علم التاريخ عند العرب الذي سبق ذكره.

وهناك ثلاث ملحوظات على مؤلفاته هذه فيما يتعلق بتفسير التاريخ العربي الإسلامي:

أولاً: جرت فيها محاولات مستمرة ومقدرة للبحث عن البدايات قبل الإسلام في الجزيرة العربية أو في البلاد المفتوحة، ومن ثم تتبعها مع الإسلام ورصد التطورات وتوضيح الخط العام. ولم يكن دائرة الاهتمام الدولة وشؤونها فحسب، وإنما هناك رصد للتوجهات والتيارات الشعبية أيضًا.

ثانيًا: أكدت هذه الدراسات أن التصادم بين التيارين القبلي والإسلامي هو محرك التطور في التاريخ العربي الإسلامي إلى مرحلة انتصار التيار الإسلامي مع العباسيين.

وإليك مثل من المجال الثقافي، تجلى في نشأة علم التاريخ عند العرب في القرون الثلاثة الأولى للهجرة.

أوضح الدوري أن البداية (سارت في اتجاهين أساسيين - الاتجاه الإسلامي أو الاتجاه الذي ظهر عند أهل الحديث) وتمثل في المدينة. (والاتجاه القبلي أو اتجاه الأيام)، وغلب في الكوفة والبصرة. وتطور الاتجاهان في مدرستين تاريخيتين؛ مدرسة أهل المغازي ومدرسة الإخباريين. وحصل تأثير متبادل بين المدرستين، (ثم بان تفوق الاتجاه الإسلامي أخيرًا حين غلب اتجاه أهل الحديث في الكتابة التاريخية)[١٩] حتى أنه (لم يكن باستطاعة الإخباريين

تجاهل السند مما يؤكد أثر الإطار الإسلامي)[٢٠]، خاصة مع ازدياد استعمال أسلوب المحدثين في النقد، واستقرار ذلك في المدرسة العراقية عندما تفوقت المبادئ الإسلامية والاتجاهات الإسلامية (بصورة حاسمة على الاتجاهات القبلية)[٢١].

ثالثًا: أشارت أبحاثه هذه إلى بلورة انتصار التيار الإسلامي في ثقافة عربية الوعاء إسلامية القيم بعد قيام دولة العباسيين، ولكنه لم يجر محاولة ملموسة لتفسير ظاهرة انهزام أحد تياري التطور عمليًّا والقول بانتصاره ثقافيًّا أو حضاريًّا... ذلك التيار هو التيار القبلي. وهذه المعضلة واجهها الدوري في المرحلة التالية من تطور فكره في ظروف جد مختلفة.

(للبحث صلة)

د. عزالدين عمر موسى

جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم التاريخ

الحواشي:

(١) «مقدمة في تاريخ صدر الإسلام»، ص ٢٨. (٢) نفسه، ص ٣٥. (٣) نفسه، ص ٣٧.

(٤) نفسه، ص ٥١. (٥) نفسه، ص ٣٩. (٦) نفسه، ص ٤٢ - ٤٣. (٧) نفسه، ص ٤٧.

(٨) نفسه، ص ٥٣. (٩) نفسه، ص ٦٧، ٧٠، ٧٣، ٧٥ - ٧٨.

(١٠) نفسه، ص ٤٠، ٥١، ولا أدري هل استخدم هذا المصطلح في الطبعة الأولى سنة ١٩٤٩؟

(١١) نفسه، ص ٤٤. (١٢) نفسه، ص ٤٧. (١٣) «التاريخ والحاضر»، ص ٩.

(١٤) بحث في (نشأة علم التاريخ عند العرب) بيروت، دار المشرق، ١٩٨٣م، ص ١٢٧.

(١٥) نفسه، ص ١٢٦.

(١٦) انظر تصديره لتحقيق «أنساب الأشراف» للبلاذري.

(١٧) «النظم الإسلامية»، بغداد، ١٩٥٠م، وقد طبع عدة مرات في بيروت. ولا أريد أن أشير هنا إلى كتاب موجز في تاريخ الحضارة (طبع في بغداد، سنة ١٩٥٢م) لأنه لم ينفرد به، وكتب بالاشتراك مع معروف ناجي.

(١٨) نشر لأول مرة في بيروت، ١٩٦٩م، وأعيد طبعه عدة مرات.

(١٩) بحث في (نشأة علم التاريخ) ص ١٩. (٢٠) نفسه، ص ٣٤. (٢١) نفسه، ص ٤٨.

ما جاء في «دائرة المعارف الإسلامية» عن

كتاب «نثر الدر» للآبي

(١)

[أكرمني الإخوة في (سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية) والعلامة الجليل الشيخ سيد علي قاضي عسكر، بصورة المخطوطة التي وصفتها «الدائرة» بقولها: فإن الكتاب الذي بقي له هو في باب الأدب والنكتة وكان اسم هذا الكتاب في البدء «نزهة الأدب» وكما يبدو مفصلاً جداً لخصه المؤلف نفسه في سبعة مجلدات وأطلق عليه اسم «نثر الدرر ونفائس الجوهر في المحاضرات» ولم تطبع نسخه الخطية بعد وتوجد نسخة قديمة من الكتاب يعود تاريخها إلى سنة ٥٦٥ (١١٦٩م) في مكتبة الروضة الرضوية برقم ٤٤١٦.

فقمت بمقابلتها على الأجزاء الستة من كتاب «نثر الدر» فلم أجد فيها شيئا مما ورد في المخطوطة، أما الجزء السابع فقد رأيت محققه يورد في مقدمته ما يحمل على الشك في صحة أصوله المخطوطة إذ قال:

(فلم أطالعه، ومن هنا نشرت وصفا لهذه المخطوطة التي ليس فيها ما يحمل على الثقة بانه كتاب «نثر الدر» للآبي، نافيا أن يكون هذا الكتاب، وبعثت بهذا الوصف للأستاذ الجليل هلال ناجي الذي أوضح بهذا المقال - بما لا يدع مجالاً للشك - أنه من الجزء السابع من «نثر الدر» المطبوع، فاشار بهذا إلى خطأ ما وقع في «الدائرة» وهو أن المخطوطة التي وصفتها ما هي سوى قسم من الجزء السابع المخطوط.

كما نبه الأستاذ هلال إلى خطأ وقع في «الدائرة» من أن كتاب «الأنس والعرس» (ليس من المعلوم أن يكون له)؛ فاثبت بمقال مفصل صحة نسبته إليه، وستنشره «العرب»].

وأمّا الحديث عن كتاب «نثر الدر»، ومخطوطة (الخزانة الرضوية في مشهد) فقد أنعمت النظر في وصفها وتقرّي محتوياتها من خلال مقالة شيخنا الجاسر، فوجدت أنها قطعة من الجزء السابع من كتاب «نثر الدر» لأبي سعد الآبي. وهذه القطعة تبدأ في أثناء الباب الثالث المعنون (حكم ونوادر الفرس) وتنتهي بالباب الرابع والعشرين. وقد سقط منها بابان: الخامس والعشرون وعنوانه: (نوادر الأطباء)، والسادس والعشرون وعنوانه: (اتفاقات غريبة) كما سقط منها البابان الأول والثاني وشطر من الثالث وبتفصيل أكثر أقول: ان قطعة الرضوية تقابل منتصف الصفحة ٧٢ من الجزء السابع من كتاب «نثر الدر» المطبوع بمصر - مركز تحقيق التراث بتحقيق منير محمد المدني عام

١٩٩١ . وقد سبقت كلمة (أغراك) التي بدأت بها مخطوطة الرضوية العبارة التالية : قال بُزْرجمهرْ : من أحبك نهاك ، ومن أبغضك أغراك .

والعبارة ما عدا كلمة (أغراك) ساقطة من مخطوطة الرضوية . ومع ملاحظة سقوط البابين الخامس والعشرين والسادس والعشرين من مخطوطة الرضوية - حسب وصف العلامة الجاسر لمحتوياتها - فقد لاحظنا أنها تنتهي بنفس الخبر الذي انتهت به المطبوعة القاهرية من الجزء السابع ، وهو خبر كريمة زوجها بخيل ، وكريم زوجته بخيلة ، واتفق أن تكون الكريمة أخت الكريم والبخيلة أخت البخيل .

جدير بالذكر أن الجزء السابع هذا الذي نشر في القاهرة سنة ١٩٩١ ، كان قد طبع بتحقيق د . عثمان بوغانمي في تونس سنة ١٩٨٣ ، وهو جزء من رسالته الجامعية التي نال بها (الدكتوراه) من جامعة ألمانية في الستينات وتضمنت فيما تضمنت تحقيق الجزء السابع من الكتاب . طبعت (الدار التونسية للنشر) هذه الرسالة سنة ١٩٨٣ بعنوان «نثر الدر» .

ان مخطوطة الرضوية تبدأ بما يقابل منتصف الصحيفة ٨١ من الطبعة التونسية ، ومع ملاحظة سقوط البابين الخامس والعشرين والسادس والعشرين من المخطوطة الرضوية ، فإنها تنتهي في الصفحة ٢٥٨ بنفس الخبر الذي انتهت به مطبوعة القاهرة .

وهذا كلّه ينتهي بنا إلى أن مخطوطة مشهد (الرضوية) - التي شكّ في أمرها شيخنا الجاسر - تمثل قسماً من الجزء السابع من كتاب «نثر الدر» للآبي . وهي قطعة صغيرة إذا ما قورنت بالكتاب في أجزائه السبعة . أقول هذا بعد مقابلة الأبواب باباً باباً .

لكن الملاحظ أن المحققين التونسي والمصري لم يقفا على مخطوطة (مشهد) هذه ، واعتمدا في تحقيقهما على مخطوطة (كوبريللي) كما اعتمدا

على مخطوطة مكتبة (رئيس الكتاب في الأستانة) لتصحيح النص واستكمال النقص الواقع في المخطوطة الأولى.

إن المثير للاستغراب أن المحققين المصريين الذين نَهَدوا إلى تحقيق الكتاب بأجزائه المتعددة، اغفلوا مخطوطاته الكثار المتناثرة في برلين ولا يبزغ وليدن والمتحف البريطاني وبودليانا وبطرسبورغ والقاهرة ومشهد وييل ولاندبرغ، وهي مخطوطات ذكر بروكلمان أرقامها في كتابه «تاريخ الأدب العربي»(١).

وهذا الإغفال يجعل الكتاب المنشور يفتقد شرطًا أساسيًّا من شروط التحقيق العلمي، وهو جمع النسخ المخطوطة وترتيبها وتقسيمها إلى فصائل. إلى غير ذلك.

ولست أجدني في حاجة للإطالة في أمر عنوان الكتاب الذي اختارته «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» إذْ سَمَّتْهُ «نثر الدرر ونفائس الجوهر في المحاضرات». فالصواب: «نثر الدر» كما سمّاه مؤلفه في مقدمة كتابه، وكما سمّاه الثعالبي في «تتمة اليتيمة» وابن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات».

ومن الجدير بالمناقشة ما ذكره كارل بروكلمان وهو يتحدث عن «نثر الدر» إذ قال: له كتاب «نثر الدر (ونفائس الجوهر) في المحاضرات»: مختارات من الشعر والنثر في قطع قصيرة رُتّبت على أساس المحتوى وتنوعت فيها الأغراض، وهي منقولة من «كتاب الآداب» لابن المعتز(٢).

وهذا القول مردود علميًّا، فكتاب «الآداب» هذا، كتاب صغير نشره كراتشكوفسكي – معتمداً نسخته الوحيدة المحفوظة في مكتبة المتحف البريطاني ضمن مجموع، وعدّتها عشرة ورقات – أقول نشر في (اوبسالا) سنة ١٩٢٤ في مجلة: (LE MONDE ORIENTALE XVIII, 56 - 121).

ثم أعيد نشر الكتاب في مجموعة مؤلفات كراتشكوفسكي التي صدرت عن (المجمع العلمي الروسي) في (لينغراد) سنة ١٩٦٠. لكن المستشرق الروسي لم يُخَرِّج الأقوال لصعوبة ذلك وتركها لمن يأتي بعده. وبالفعل نَهَد الأستاذ صبيح رديف - ردّ الله غُربته - بهذا العمل وبذل فيه جهوداً مضنية حتى زادت التخريجات على النص نفسه. وطبع عمله في بغداد سنة ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م.

إن معظم الأقوال الواردة في كتاب «الآداب» نُسبت لابن المعتز ولغيره في كتب الآخرين ممن جاءوا بعده، ولاسيّما كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» للمبشر بن فاتك.

وقد ثبت أنّ كثيراً مما ورد في كتاب «الآداب» صاغه ابن المعتز صياغة عربية رفيعة معتمداً ترجمة من سبقوه عن اليونانية والسريانية.

والآبي أوّل من نبّه على أن أكثر هذه الأقوال الواردة في كتاب «الآداب» لابن المعتز قد وردت في كلام المتقدمين من العرب وغيرهم، وقد ردد (كراتشكوفسكي) هذا القول بعد قرون فَظُنّ أنّه له[٣].

والذي يجب التنبيه إليه أنّ ما ورد في «نثر الدر» من أقوال نثرية هي أضعافٌ مضاعفة لمتن كتاب «آداب» ابن المعتز. فكيف يصحّ قول بروكلمان إن كتاب الآبي (الضخم المتعدد الأجزاء) منقول عن كتاب ابن المعتز وهو لطيف مختصر؟؟

(للبحث صلة)

هلال بن ناجي

الحواشي:

(١) «تاريخ الأدب العربي» - بروكلمان - نقله إلى العربية عبدالحليم النجار ٦ / ١٥٦.

(٢) بروكلمان - الترجمة العربية - ٦ / ١٥٦.

(٣) مقدمة كتاب «الآداب» تحقيق صبيح رديف.

مع كتاب «قِصَر الأمَل»(١)
لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا
المتوفى سنة ٢٨١هـ
حققه محمد خير رمضان يوسف

أقول: أقبلت على قراءة هذا الكتاب، وقد كنت قد قرأت لمؤلفه كتابًا في «الصمت وآداب اللسان»، وكتابًا آخر في «ذمّ الدنيا» ثم كتاب «الرقّة والبكاء».

وقد أشار محقق هذا الكتاب(٢) «قِصَر الأَمَل» في ترجمته الموجزة للمصنف ابن أبي الدنيا أن له أكثر من مئتي كتاب، وكأنه أفاد هذا مما ذكره الذهبي الذي نوَّه بما فيها من (عجائب ومخبئات). وكأن محقق كتاب «الصمت وآداب اللسان» زاد على ما أثبته الذهبي.

ولا أدري أأراد الذهبي بمخبّئات ابن أبي الدنيا وعجائبه مدحه والثناء عليه، أم أراد أنه فطن إلى مسائل ذات خصوصية في المعارف الإسلامية، غير أن المحقق معجب، بل مأخوذ بفوائد الإمام ابن أبي الدنيا، وقد بسط هذا فيما بسطه بين يدي الكتاب فقال فيما قال: (فهذا كتاب آخر من كتب الحافظ ابن أبي الدنيا الذي وفّقني الله لتحقيقه بعد كتابه «الرقة والبكاء»، وهو كتاب نفيس نادر في موضوعه، لا أعرف مَن خصَّه بتصنيف غيره، على الرغم من أهميته وخطورة أمره).

أقول: ليس للمحقق أن يذهب إلى أن الكتاب (نفيس نادر في موضوعه، وأنه لا يعرف من خصَّه بتصنيفٍ غيره، على الرغم من أهميته وخطورة أمره).

قلتُ: ليس له أن يذهب إلى هذا كله، ذالك أنه لا يعرف الكثير الكثير من الأصول التي ضاعت ولم يصل إلينا منها شيء. وأن الذي وصل إلينا وعُرف في خزائن المخطوطات قليل من كثير، وأن شيئًا يسيراً منه قد طبع ونشر، وما زال شيء من الأصول في الخزائن الخاصة مما لم يفهرس ولا نعرفه، ومنه ما هو ملك

خاص لقوم لا يخبرون عنه. فهل لنا أن نذهب إلى ما ذهب إليه المحقق الفاضل؟

ثم ان المحقق قد رجع في صنعته إلى مصادر عدّة، وكان فيها جملة كتب في (الزهد) هي: «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل، ونظيره لأبي بكر بن عمرو بن أبي عاصم، وآخر للحسن البصري، ومثله لوكيع بن الجراح، و«الزهد الكبير» لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، و«الزهد والرقائق» لعبدالله بن المبارك المروزي.

إن مادة (الزهد) في هذه الكتب تعني الزهد عن الدنيا، وان الدنيا هي الدار الفانية وأنها لعب ولهو، وغير هذا من المنكرات والبدع والأباطيل، وهذا يعني أن ما يلزم عباد الله هو الانصراف إلى الباقية الخالدة وهي الحياة الأخرى.

وأعود إلى مادة كتاب ابن أبي الدنيا وهو «قِصَر الأمل» فأجده بعض ما يكون لدى الزّهّاد الذين انصرفوا عن دنياهم فضيقوا آمالهم وابتعدوا عن الزهو والتظاهر عن كل ما هو من لوازم الدنيا، كالتوسع في البنيان، والتطاول فيه، فكان لنَا من مروياتهم فيما رواه البخاري في «الصحيح» وفي «الأدب المفرد» في (باب التطاول في البنيان) وهو قوله - صلوات الله وسلامه عليه-: «لا تقوم الساعة حتى يتطاول الناس في البنيان».

وكان هذا دافعًا وحاثًّا للزهّاد أن ينفروا من (العاجلة) ويتوقّعوا الموت للقاء الله في (الآجلة) وعلى هذا لم يكن كتاب ابن أبي الدنيا فريداً في بابه لم يؤلف أحد فيه غيره، وهو بعض مواد كتب الزهد.

غير أني أجد أن أهل الزهد على صدقهم وإخلاصهم قد نكروا الحقّ وأنكروه وابتعدوا عن عالم الناس الذي التزم به الإسلام ولنا في قوله تعالى في كثير من آياته البينات شواهد في العمل الصالح في الدنيا يعمله العبد ليستقبل حسن العاقبة، قال -سبحانه-: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنّا لا نُضيع أَجْرَ مَن أحسن عملا﴾ -٣٠: الكهف-. وإذا كانت الحياة كما أبصرها أهل الزهد الذين انقطعوا عن دنيا الناس وخلوا إلى أنفسهم ينتظرون ساعة الأجل، وكأن الأجل يترصَّدهم، فكيف لنا أن نفهم قول الرسول الكريم القائل: «إنما بُعثتُ

لأتمّم مكارم الأخلاق».

وأعود إلى كتاب «قِصَر الأمل» لأقف على صنعة محققه الفاضل محمد خير رمضان يوسف فأبدأ بما دعاه (مقدمة التحقيق) فأقول ولا أريد التصحيح:

١- إن كلمة (مقدمة) قد وصلت إلينا فيما وصل من علم الغربيين وهو In-troduction، وقد كان أهل العلم يقولون (خطبة الكتاب) لما يبسطونه قبل البدء بمواد كتبهم.

٢- وجاء في أول هذه (المقدمة) قول المحقق: (.... على الرغم من أهميته [أي أهمية كتاب قِصَر الأمل] وخطورة أمره).

أقول: قد ابتعد المعربون في عربيتنا المعاصرة عن حقيقة استعمال (الرغم) فاستعملوه ليقابلوا به in spite of في الإنكليزية أو malgré في الفرنسية.

وهذا الاستعمال الجديد لكلمة (الرغم) بعيد عن الأصل، فقد استعمل المعربون الأوائل (الرغم) قريبًا من أصله فقالوا مثلاً: (إني لأحصل على حقي منه رغم أنفه).

أقول: إن حضور (الأنف) في هذه العبارة يشير إلى صلة هذا العضو بهذا المصدر الذي هو (الرغم). إن هذا المصدر أُخِذ من الأصل البعيد الذي هو اسم ذات جامد وهو (الرَّغام)، ومعناه (التراب)، فأي صلة للرَّغام بمعنى التراب بالأنف.

إن هذه الصلة تأتي من أن المعرب القديم يشير في عبارته إلى إذلال خصمه وقهره بحيث يضطره أن يطرحه أرضًا فيمس أنفه الرغام. وكان للمعرب القديم أن رأى في (الأنف) رمزًا للإباء والامتناع، ومن هنا جاءت (الأنفة) لديهم بما منحوها من دلالة.

ولا أقول: إن ما جدّ في العربية المعاصرة هو خطأ، ولكني أقول إنه جديد له مكانه، وينبغي أن نذكر أن لكل مقامٍ مقالاً.

٣- وجاء في الصفحة الأولى من المقدمة أيضًا قول المحقق: (وقد رأيت أن

الإمام الغزالي قد أخذ (روح) هذا الكتاب [أي قصَر الأمل لابن أبي الدنيا] ومعظم شواهده، ووزّعها على ثلاثة موضوعات أساسية في كتابه «إحياء علوم الدين» وهي: «ذم الدنيا» و«الزهد والفقر» و«ذكر الموت وما بعده».

والأخير هو الكتاب العاشر من ربع المنجيات، الذي اختتم به كتاب «الإحياء»، والباب الثاني منه هو (في طول الأمل وقصَر الأمل، وسبب طوله وكيفية معالجته)، الذي اقتصر فيه على الاستشهاد بما ورد في كتاب «قصَر الأمل» الذي بين يديك.....).

أقول: كأن صاحبي الأستاذ المحقق قد هُرِع إلى القول بـ(السرقة)، ومَن (السارق)؟ إنه الإمام أبو حامد الغزالي الزاهد المجتهد الفيلسوف، ولو كان شيء من هذا لأشار إليه أهل العلم في عصره وبعد عصره؟ إنها بعض ما نخترعه في عصرنا وما نقترفه من إثم في إسراعنا إلى الشرّ، ونتعجل الأمر.

أقول: إذا كان دليل المحقق أنه رأى شواهد كتاب «قصَر الأمل» مبثوثة في فصول «إحياء علوم الدين» فأنا أقول له: وهذه الشواهد قد نجد شيئاً منها في كتب الزهد التي أشار إليها المحقق في صنعته. فهل أقول: إن أصحاب هذه الكتب قد اقتبسوها من كتاب ابن أبي الدنيا أو غيره؟

على رسلك أخي الأستاذ الفاضل، وعلى هينتك فالأمر في حقيقته غير هذا، والشواهد هي هي لدى أهل العلم، ألا ترى أن شواهد البلاغيين وشواهد النحويين وشواهد اللغويين هي هي طوال العصور فهل لنا أن نقول إن اللاحق قد سرق من الأوّل السابق؟

وإذا كان الإمام الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» قد عوّل أو اقتبس ما في «قصَر الأمل»، فلِمَ ذهبت في الصفحة الثانية والثالثة والرابعة فعرضت لما ورد من اجتهاد الإمام الغزالي وتوضيحه وشرحه في كتابه «إحياء علوم الدين»؟

٤- ثم آتي إلى ترجمة للمؤلف في الصفحتين ٩ و١٠ وهي في غاية الإيجاز

عرض فيها لقول الذهبي في تصانيفه من أن فيها (مخبآت وعجائب).

أقول: وهذه الفائدة مما ورد في «ميزان الاعتدال» في ترجمة ابن أبي الدنيا.

٥- وجاء في الصفحات ١٠ إلى ١٥ كلام المحقق على الأصل المخطوط وما كان منه، وقد أشار فيه إلى أن مجموع أوراق الأجزاء الثلاثة للمخطوطة تسعة وعشرون ورقة.

أقول: إذا كانت هذه عدّة أوراق المخطوطة فقد يكون من التزيّد أن يصبح الكتاب وهو في هذه النشرة المحقّقة فيما يقرب من مئتي صفحة. لقد ألزم المحقق نفسه بما لا يلزم فعلق في حواشيه على الأعلام التي وردت في الأسانيد، فعرَّف بشيءٍ منها مما استطاع أن يجده وترك كثيراً منها مما لم يهتد إليه، وهو حين بدأ هذه الصنعة الناقصة وعرَّف بعض الأعلام لم يذكر في تعريفه المصادر التي اهتدى فيها إلى الترجمات، وسأعرض لشيء مما كان له على سبيل المثال وأترك الكثير الكثير مما تركه غفلاً دون تعريف.

٦- جاء في أوّل الصفحة ٢٥ فأجد فيها: (أخبرنا الشيخ أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين المعروف بالسرّاج البغدادي القاري....).

أقول: وقد علّق المحقق على هذا السرّاج البغدادي القاري، أبو محمد، وهو الذي بدأ به المؤلف ابن أبي الدنيا مادته فقال: أخبرنا.... فكان تعليق المحقق عليه في الحاشية الأولى رقم (١) قائلاً: وفاته سنة ٥٠٠هـ، ولم يزد على هذا التعريف الناقص كل النقص حرفًا.

أقول هل يكون لي أن أعد هذه الصنعة تحقيقًا؟ ثم كيف قال المؤلف: أخبرنا الشيخ أبو محمد جعفر... المعروف بالسراج..، وهو ممن توفي سنة ٥٠٠هـ والمؤلف ابن أبي الدنيا كان قد توفي كما هو معروف مشهور سنة ٢٨١هـ!!

وكيف يسمّي المحقق هذا السراج البغدادي شيخًا لابن أبي الدنيا؟؟

٧- وأعود إلى هذا السند في هذا الخبر نفسه فأجد السرّاج البغدادي القاري

[أي القارئ] قد قال بين يدي خبره: أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد.... البزّاز قراءة عليه في شهر ربيع الأول من سنة ٤٢٣، قال: أخبرنا أبو جعفر عبدالله بن اسماعيل بن..... بن بُرَيه الهاشمي................ في منزله في مدينة المنصور أبي جعفر.......

أقول: فأما المخبر الثاني أبو علي الحسن بن أحمد...... البزّاز فقد أهمله المحقق ولم يُعلّق عليه بشيء وكأنه معروف مشهور وليس الأمر كذالك. وأما الثاني وهو........... بن بُرَيه الهاشمي فقد علّق عليه تعليقًا مُعوزًا وكأنه لم يُعرّف به قائلاً: هو ممن روى عن ابن أبي الدنيا كما في «تهذيب الكمال» ١٦ / ٧٥.

أقول: مع أن المؤلف ابن أبي الدنيا قد أثبت في هذا السند فقال: أخبرنا!!

وأعود إلى المخبر الأول السرّاج البغدادي أبو محمد الذي بُدئ به الإخبار فأجده في التعريف بالمخطوطة في الصفحة (١١) وهو أحد من رواها منوّهًا به: السيد [كذا] أبي محمد..... وكان حريًّا بالمحقق أن يُعَرِّف بهذه الشهرة التي عرفناها في القرن الخامس الهجري ولم تشتهر اشتهار (الشريف).

وأقول أيضًا: وكان من تعليق المحقق المعوز الناقص الذي يفتقر إلى ما يجب فيبتعد فيه عما لا يجب، أن عرَّف بـ(مدينة المنصور أبي جعفر) فقال: (يعني مدينة بغداد، حيث بناها ثاني خلفاء بني العباس عبدالله بن محمد المعروف بأبي جعفر المنصور، ت ١٥٨هـ!!).

أقول: وهل لهذا التعليق من حاجة وعامة أهل الدرس يعرفون مدينة المنصور أبي جعفر، مدينة السلام، وهل لهذا كله ضرورة تقتضي المحقق إلى ما أثبته!!

٨- ثم أجد بعد إخبار (ابن بُرَيه الهاشمي) الذي مرّ حديث ابن أبي الدنيا في قول (ابن بُرَيه): (حدّثنا أبو بكر..... المعروف بابن أبي الدنيا قال: حدَّثنا خالد بن خداش بن عجلان المهلبي قال: حدثنا حماد بن زيد عن ليث عن مجاهد عن عبدالله بن عمر قال: أخذ رسول الله ﷺ - يوماً ببعض جسدي...).

أقول: وقد أهمل المحقق في هذا الذي بسطته التعريف بخالد بن خداش ولا حماد بن زيد ولا مجاهد ولا عبدالله بن عمر، وإذا كان الدارس عارفًا من هذه الأعلام (مجاهد وعبدالله بن عمر) أتراه عارفًا بالآخرين وهم خالد بن خداش وحماد بن زيد. وقد ترجم لليث ترجمة دون ذكر مصدر لذالك.

أقول: هذا هو منهج المحقق وصنعته في تعليقاته وحواشيه المعوزة.

٩- وقد جاء في الصفحة ٢٦ حديث شريف بعد أن سبقه سلسلة من الأعلام إسنادًا، وقد أغفلها المخقق كلها، وفيها: حدّثنا داود بن عمرو بن زهير الضبّي قال: حدّثنا محمد بن الحسن الأسدي قال: حدّثني حذيفة بن اليمان بن حذيفة عن علي بن أبي حنظلة مولى علي بن أبي طالب عن أبيه.. قال رسول الله -ﷺ- «إن أشدّ ما أتخوَّف عليكم خَصلتَيْن [كذا]: اتّباع الهوى وطول الأمل».

وقد علّق المحقق على (خصلتين) فقال: كذا في النسخ التي نقل منها العلماء أيضًا. وقال الحافظ العراقي: صوابه: خصلتان.

أقول: من واجب المحقق أن يثبت الصواب سواء ذكره أحد رجال الحديث كالحافظ العراقي أم لم يذكره أيّ منهم، وهذا يؤيد ما ذهب إليهم أهل العربية من نحاة ولغويين في نقدهم للمحدّثين وما عرض لهم من وهم في العربية.

١٠- وجاء في الصفحة ٢٧ الحديث: «ألا وإنكم توشكون في يوم حساب وليس في عمل».

وعلّق المحقق فقال: الصحيح أنه موقوف على عليّ رضي الله عنه كما سيأتي تخريجه... والمرفوع في سند ابن أبي الدنيا هنا أورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» وقال: هذا لا يصح عن رسول الله -ﷺ- فإن علي بن أبي حنظلة [وقد كان هذا في السند] ليس بمعروف، ولا أبوه. واليمان قد ضعّفه الدارقطني («العلل المتناهية» ٢ / ٣٢٩ - ٣٣٠).

أقول: وهذا يشير إلى أن أهل الضبط والإحكام لم يجدوا فيما أثبت ابن أبي

الدنيا ما يطمئنون إليه.

١١- وجاء في هذه الصفحة أيضًا مما أثبته ابن أبي الدنيا: «وهذه الدنيا مرتحلة، وهذه الآخرة قادمة..... وأنتم غدًا في دار جزاء ولا عمل».

وقد علق المحقق على هذا فذكر ما أشار إليه الحافظ العراقي في «إتحاف السادة المتقين» ١٠ / ٢٣٧.

وقال: إن هذه الرواية أيضًا التي رواها ابن أبي الدنيا ضعيفة.

أقول: وهذا وغيره يثبت أن ابن أبي الدنيا ممن قمّشوا في الحديث الشريف، وأنه من ساقتهم وليس من أهل الثقة. غير أن المحقق جعله من رجال الحديث أهل الحفاظ والصون.

١٢- وجاء في الصفحة ٢٨: (حدّثنا عبدالله قال: حدّثنا أبو إسحاق الأدمي قال: حدّثنا سعد بن عبدالحميد بن جعفر قال: حدّثنا علي بن ثابت عن....).

أقول: لعل علي بن ثابت في هذا السند هو أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي كان له مشاركة في رواية الجزء الثالث من المخطوطة كما بيّن المحقق في كلامه على الأصول المخطوطة.

١٣- وجاء في الصفحة ٢٨ الحديث: «أتجمعون ما لا تأكلون، وتأمُلون ما لا تدركون، وتبنون ما لا تعمرون».

وقال الحافظ العراقي: رواه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» بإسناد ضعيف «إتحاف السادة المتقين» ١٠ / ٢٣٧.

أقول: وقد ذكرت هذا لأشير أن ابن أبي الدنيا متعجل في روايته. وإني لأجتزئ بما قدّمت مما أورده ابن أبي الدنيا ونُسب إلى الضعف، وهذا كثير في هذا الكتاب الصغير.

١٤- وجاء في هذه الصفحة إسناد لحديث جاء فيه: حدثنا محمد بن حمير قال: حدثنا أبو بكر بن مريم عن عطاء بن أبي رباح عن أبي سعيد الخدريّ قال: ......).

فلم يكن من المحقق إلاّ أن يعرِّف بستة أسطر بأبي بكر بن مريم ويترك الآخرين، ولا أدري كيف أجاز لنفسه هذه الصنعة!! ومثل هذا كثير.

١٥- وجاء في الصفحة ٣١: (حدّثنا عبدالله [أي ابن أبي الدنيا] قال: حدثنا محمد بن سلام الجمحي قال: حدّثنا حماد بن سلمة عن...).

أقول: ورد في هذا السند (حماد بن سلمة) وقد عرَّف به المحقق في الصفحة ٣٧.

١٦- وجاء في الصفحة ٣٤: (قال: حدّثنا عبدالله قال: حدثنا محمد بن الحسين....).

وقد علق المحقق على محمد بن الحسين فعرّف به وقال: هو شيخ ابن أبي الدنيا......

أقول: ويتردّد محمد بن الحسين الذي يروي عنه ابن أبي الدنيا في هذا الكتاب، والمحقق في كل مرّة يُنوِّه به، وحسبه من ذالك المرة الأولى، وكان ينبغي أن يعرِّف بآخرين لا يصل إليهم القارئ أو أن يُقوِّم ما ورد مصحّفًا أو ناقصًا. وقد أشرت إلى استحالة أن يكون أبو محمد السراج شيخ ابن أبي الدنيا.

١٧- وجاء في هذه الصفحة أيضًا الحديث: (جلس رسول الله -ﷺ- ذات يوم، فأدار مدة [كذا] فقال: «هذه الدنيا»...).

أقول: وكان على المحقق أن يقف على كلمة (مدة) ويقول شيئًا.

١٨- وجاء في الصفحة ٣٦: (حدّثنا عبدالله قال: حدثنا سلمة بن شعيب قال: حدثنا مروان بن محمد عن ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه....).

أقول: عبدالله بن لهيعة معروف بضعفه بين المحدثين، وقد ذكر أبو حاتم الرازي في «المراسيل» ص١١٤ أنه لم يسمع عن عمرو بن شعيب شيئًا. وقد جاء مثل هذا غيره في هذه الصفحة.

١٩- وجاء في الصفحة ٣٨ الحديث: (بينما عيسى جالس وشيخ يعمل بمسحاته يثير بها الأرض، فقال عيسى: اللهم انزع منه الأمل).

أقول: لم يعلّق المحقق على هذا الحديث الذي لا أرى كيف جاء لحمّاد بن سلمة عن داود بن أبي هند وغيره!! ولكنه علّق فشرح عبارة (يثير الأرض) فقال: يحرثها للزراعة!!

٢٠- وجاء في الصفحة ٤٠: (قال مطرّف بن عبدالله: كلهم أحمق فيما بينهم وبين ربهم، ولكن بعض الحمق أهون من بعض).

وقد شرح المحقق هذا القول فقال: يعني لعدم معرفتهم بقدره العظيم، ولعدم قيامهم بعبادته حقّ العبادة.

أقول: وليس لي أن أتبين هذا الشرح.

٢١- وجاء في الصفحة ٤١: (حدّثنا عبدالله قال: حدّثني أحمد بن عبدالأعلى قال: حدثنا .... عن مالك مِغول عن الحسن...).

أقول: ولم يُعرّف المحقق بأحدٍ من هاؤلاء، ولكنه رجع إلى مالك بن مغول في الصفحة ٤٤ !!.

٢٢- وجاء في الصفحة ٤٢: (حدثنا وكيع عن سفيان.....).

أقول: وجاء المحقق ليعرف بـ(وكيع)، وهو مشهور بقوله: وكيع بن الجراح الرؤاسي!!

ثم أضاف في (سفيان) فقال: هو سفيان بن سعيد الثوري، وكان ينبغي أن يؤيد هذا بمصدر من مصادر الحديث.

٢٣- وجاء في الصفحة ٤٣: (حدّثنا عبدالله [أقول هو ابن أبي الدنيا] قال: حدّثني (محمد) قال: ....).

أقول: و(محمد) هذا هو ابن الحسين صاحب ابن أبي الدنيا الذي عرَّف به المحقق مراتٍ عدّة.

٢٤- وجاء في الصفحة ٤٤ : (حدّثنا عبدالله قال : حدثنا محمد بن الحسين قال : حدّثنا الحميدي، عن (سفيان) ....).

وعلق المحقق على (سفيان) فقال : هو سفيان بن عيينة، ولم يثبت مصدراً يؤيد ما ذهب إليه.

أقول : قد يُحمَل المرء على الشك في هذا الذي ذهب إليه المحقق لأن (سفيان) قد يكون سفيان بن سعيد الثوري، والمصدر الحسن يقطع هذا الشك.

٢٥- وجاء في الصفحة ٤٥ : (من قَصَرَ أمله هان عليه عيشه).

أقول : والصواب : قَصُرَ مثل كَرُمَ.

(للبحث صلة)

عمّان : د. إبراهيم السامرائي

الحواشي :

(١) كتاب «قصر الأمل» نُشر في دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) لابد لي أن أبسط شيئًا عن الأستاذ محقق الكتاب محمد خير رمضان يوسف وليس لي في هذا إلاّ ما أثبته هو في آخر هذا الكتاب بعد فهرس المراجع وهو فيما قال : كتب المحقق.

أقول اشتملت كتب المحقق على شيء من كتب الرجال والتراجم فكان له في (الخضر) و(لقمان الحكيم) و(ذو القرنين) مصنّفات منشورة. وله في أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وعمر بن عبدالعزيز وسفيان بن عيينة والحسن البصري وغيرهم كتب. وأتجاوز هذا إلى كتب الحديث الشريف والأخبار فأجده قد اندفع في هذا العلم بحماسة وله فيه مصنفات وكتب أخرى حققها وعلّق عليها. وكأنه عني بما يتصل بعصرنا فكان له مشاركات فيما ابتدعه المعاصرون من أهل الحفاظ في مواد هي كما أثبت هو وغيره تتصل بما أسموه (الإعلام الإسلامي)، وما يكون من هذا من قريب أو بعيد بـ(الدعوة الإسلامية). لقد اقتضاه هذا أن يكتب في (صفات مقدّمي البرامج الإسلامية في الإذاعة والتلفزيون) وكتب في المعاصرين من أهل العلم ومصنفاتهم ومنهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ومؤلفات الشيخ ابن باز، وجال في كتب التاريخ والحديث والتراجم شارحًا ومؤلفًا. واستدرك وأضاف على «الأعلام» للزركلي، و«معجم المؤلفين» لكحالة، ولم يفته أن يصنف في النساء من أهل العلم ذوات الفضل من العرب والكرد، وأنت تجد له فيما أثبته من مصنفاته طائفة من الكتب جال فيها جولات آمل أن تكون موفقة. وقد كان لي بعد هذا أن أخص كتابه في «قصر الأمل» بشيء من عناية مما قد يكون لي أن أبسطه.

نتائج حملة مصطفى باشا على البحرين

(٥)

ب- ولاية الأحساء:

١- التجارة في الخليج العربي: ربما يعتقد الشخص بأن التجارة تأثرت تأثيراً سلبيًّا من جراء غزو مصطفى باشا للبحرين، التي أدت إلى تدخل برتغالي مباشر في أحداث المنطقة. ولكن الحقيقة كانت الوثائق العثمانية تشير إلى أن التجارة في الخليج العربي قد تأثرت سلبًا قبل الغزو العثماني. وكانت هناك حاجة ملحة للجنود في ولاية الأحساء عام ٩٦٦هـ/ ١٥٥٩م، فصدر فرمان (أمر أو مرسوم) سلطاني لارسال جنود بالسفن من بغداد للأحساء، فقامت السلطات في تلك الجهات باحتجاز السفن التجارية وغيرها العاملة في المنطقة، وأرسلتها للأحساء، ونتيجة لذلك انسد الطريق للبصرة، وجاءت سفن معدودة لميناء البصرة مع تجارة محدودة جدًّا(١). كما قام مصطفى باشا، أمير أمراء الأحساء، بمصادرة أملاك تاجر عربي يعرف باسم جمعة بن رحال(٢)، أحد التجار المرموقين في ولاية الأحساء، وأجبره على الخروج من الولاية، وأخذ معه سفن الغوص التابعة له، وانعدم لذالك اللؤلؤ من ولاية الأحساء، وأرسل حكم لأمير أمراء الأحساء لإرجاع أملاك جمعة له، ولكن ذلك الحكم وصل متأخراً، لأنه قبل ورود هذا الحكم، كان جمعة قد خرج من الولاية متجهًا إلى البحرين، وهناك حارب القوات العثمانية(٣). وبينما كان مصطفى باشا في البحرين، جاء البرتغاليون من البحر، وحاصروا القطيف لفترة طويلة(٤)، وقطعوا الطريق التجاري واستولوا على السفن التجارية والسفن المارة في المنطقة(٥)، ولهذا السبب توقف التجار عن المجيء لموانئ الأحساء(٦)، مسببًا خسائر كبيرة لدخول الموانئ(٧).

٢- علاقة العثمانيين بالأهالي: هناك مشاكل محلية عديدة مذكورة في وثائق المهمة، وهذه المشاكل مجتمعة لم تكن وحدها كافية لتهدد الوجود

العثماني في الأحساء، ولكن كل منها ساهمت بجزء من استياء أهالي الأحساء، بالوضع الجديد كونهم تابعين لامبراطورية عظيمة الأرجاء. ومن هذه المشاكل هو مصادرة الأهالي بعد دخول العثمانيين منطقة الأحساء. ففي رجب ٩٦٧هـ (أبريل ١٥٦٠م) قام مراد باشا، أمير أمراء الأحساء الجديد، بإخطار الحكومة بأنه عند فتح الأحساء هاجر الأهالي (رعايا) تاركين مزارعهم وحدائقهم، فقام محمد باشا، أمير أمراء الأحساء عندها، بعرض الموضوع على استانبول، وقيل له بأن يبيع هذه الحدائق على الرعايا الذين مكثوا بالولاية، إلا أن محمد باشا باعها عن طريق الديوان[٨] إلى كل من الأغوات (ومفردها الآغا بمعنى قائد أو رئيس)، والمتفرقة والجاوشية والبلوك خلقي (وهم عبارة عن طوائف من الجنود)، وقام حسين بن عبدالله، دزدار (آمر أو قائد) قلعة الأحساء بشراء ٣٠٠ حديقة ومزرعة بقيمة ٣٠٠٠٠٠ اقجة، وامتلكها لمدة ٧ أو ٨ سنوات، وكان الملاك الأصليون يرجعون باستمرار إلى أماكنهم ويسألون عن حدائقهم، إلا أنها لم تعط لهم، فهاجروا إلى البصرة والبحرين ونجد وهرمز وعمان، ثم رجع الملاك الأصليون مؤخراً وطلبوا ارجاع أراضيهم[٩]، إلا أنه في هذه المرة رفعوا قضية ضد أولئك الذين ابتاعوا الحدائق، فقال الملاك الحاليين بأنهم ابتاعوها بطريقة شرعية من الديوان، وطلبوا من الملاك الأصليين ارجاع أموالهم التي دفعوها للديوان من أجل تسليمهم الحدائق، وقيل للملاك الحاليين بأنهم قد استفادوا من مدخول الحدائق والمزارع لمدة ٥ أو ٦ سنوات، وأخيراً رفع مراد باشا هذا الأمر للحكومة قائلاً بأنه إذا أرجعت الحدائق للملاك الأصليين بالقوة، فان القوات ستسبب مشاكل، وإذا لم تعط الحدائق لملاكها الأصليين، فان الأرض لن تصبح مزدهرة، وأن الرعايا قد يهجرون الولاية. وأمر أمير أمراء الأحساء بأن يرجع الحدائق لملاكها الأصليين، وأن يعطى تذكرة أو وصلاً (تمسك) لأولئك الذين أخذت منهم الحدائق، ليتمكنوا من القدوم لاستانبول لاستلام ما يحق لهم. كما أنه أمر بأن يجهز سجلاً أو دفتراً يكتب فيه مقدار ما استلمه كل شخص نقداً من محاصيل حديقته ومزرعته، وكم انفق

عليها[١٠]. ولا تضيف الوثائق أية معلومات جديدة حول هذه النقطة.

لم ترد الحكومة أي ظلم من أن يقع على الأهالي، لذلك كان على مراد باشا أن يواجه عدة مشاكل في عام ١٥٦٠، وكان تحصيل الضرائب إحداها، فعرض مراد باشا على الحكومة بأنه بينما كان مصطفى باشا، أمير أمراء الأحساء السابق، في البحرين، جاء البرتغاليون من البحر وحاصروا ميناء القطيف لفترة طويلة، وهجر الميناء لذلك، وفي أثناء ذلك الوقت جاء العرب الثائرون وأغاروا على مزارع القطيف ناهبين محاصيلها، ونتيجة لذلك لم يجن الرعايا أي دخل من محاصيلهم وبقوا فقراء، وأدى ذلك إلى أن جباة الضرائب لم يجمعوا شيئًا من دخل عام ٩٦٧هـ (١٥٦٠م)، وبهذا صار الرعايا مديونين لجباة الضرائب. ولم تكن هناك أية أموال لتدفع إلى الأمراء وطوائف: قول وعزاب وحراس القلاع (حصار ارنلري)، وعندما طلب هؤلاء أموالهم من جباة الضرائب ضغط الآخرون على الرعايا الذين اشتكوا من ذلك، وناشد مراد باشا الحكومة إلى أخذ وضع الولاية في عين الاعتبار وعدم أخذ ضرائب من الرعايا بالقوة، لأنهم قد يهاجرون وتخرب الولاية. وأمر مراد باشا بأنه إذا كان جباة الضرائب قد أخذوا أي شيء من الرعايا، فعليهم أن يطلبوا تذكرة أو وصلاً، وإذا لم يكونوا قد أخذوا شيئًا، فعليه ألا يدعهم يتدخلون في شؤون الرعايا، وإذا كان الرعايا قد زرعوا أي محصول، فيجب عليه أن يأخذ من الناتج ما هو مستحق للدولة[١١].

أما المشكلة الثانية المتعلقة بالظلم، ففي بدايات اكتوبر ١٥٦٠م، وصلت إلى استانبول أخبارًا مفادها بأن طائفة (قول)، لم يكونوا منتظمين، وأنهم اعتدوا على الرعايا في ولاية الأحساء آخذين ملابسهم وغذاءهم دون دفع قيمتها، وظلموا على عدة أوجه أخرى، فأرسل حكم إلى علي آغا طائفة (قول) في الأحساء، لتنظيم القوات، وأخبر بأنه يجب عليه حذر وتنبيه كل منهم بعدم الخروج للإعتداء على الرعايا، آخذًا مأكله وملبسه، ومضايقتهم بذلك، وعليه أن يخبر مراد باشا، أمير أمراء الأحساء، عن أولئك الذين لا يستجيبون، ليتسنى له معاقبتهم[١٢]. ومن الصعاب التي كان على أمير الأمراء الجديد حلها

هي مصادرة أموال الناس الساكنين جزيرة البحرين، أرسل مراد باشا مخبراً الحكومة في استانبول بأنه عام ٩٦٦هـ (١٥٥٩م)، صادر مصطفى باشا، أمير أمراء الأحساء السابق، باسم الديوان ممتلكات جمعة بن رحال، أحد التجار المرموقين في ولاية الأحساء والقاطن جزيرة البحرين، وعليه فان جمعة قد هاجر من الولاية إلى البحرين، وسأل مراد باشا الحكومة إما بإعادة ممتلكات جمعة بن رحال وأقربائه وإما بمصادرتها للدولة، وتساءل بأنه في حالة إعادة الممتلكات لهم، هل يجب أخذ الخمس للخزينة؟ وطلب منه بأن يعيد الممتلكات للأشخاص الذين أخذت منهم بالقوة، وأخذ خمسها للدولة[١٣].

وفي واقع الأمر فإن جمعة بن رحال لم يرجع أبداً للأحساء وبقي في البحرين، وفي عام ٩٨٠هـ (١٥٧٢م) أخبر أمير أمراء الأحساء الحكومة بأن جمعة بن رحال قد مات، وأن عائلته وكل أتباعهم قد جاؤوا لولاية الأحساء، فبعضهم جاء للأحساء والبعض الآخر للقطيف، وفي ٥ صفر ٩٨٠هـ (١٦ يونيو ١٥٧٢م)، أرسل حكم شريف بإعادة ممتلكات وأراضي ابن رحال لملاكها[١٤].

٣- الدفاع عن الأحساء: تشير الوثائق العثمانية إلى انه عند احتياج الأحساء للأسلحة، فإن أمير الأمراء يكتب إلى الحكومة معبراً عن حاجته للأسلحة والعتاد والرجال، وفي معظم الأحيان، فإن طلبه كان يجاب من البصرة لسد ذلك الاحتياج، ففي ٧ ذي الحجة ٩٦٦هـ (١٠ سبتمبر ١٥٥٩م)، أرسل حكم إلى أمير أمراء البصرة، طالبًا منه الكتابة إلى أمير أمراء الأحساء لإعادة طائفة (عزاب) الذين كانوا قد أرسلوا مسبقًا إلى الأحساء، وفي نفس الوقت فإن حكمًا آخر أرسل إلى أمير أمراء الأحساء بإعادة القوات التي أرسلت مسبقًا إلى الأحساء من البصرة[١٥]. وعندما اندلعت ثورة سعدون في ولاية الأحساء، نهب الثوار سفن التجار القادمة للموانئ، فكتب أمير أمراء الأحساء إلى السلطان طالبًا بناء قلعة في ميناء العقير[١٦] بالقرب من الأحساء، وقال بأن ذلك له فوائد عدة لدولة (ميري)، وسيساعد على إحياء الولاية، وأجيب طلبه بأن يبني قلعة في مكان مناسب[١٧].

كان نقص الأسلحة والعتاد إحدى المشاكل الرئيسة التي واجهت العثمانيين في الأحساء بعد غزوة البحرين، لذلك عرض مراد باشا على الحكومة بأن (كوكللو) الأحساء قد سلموا أسلحتهم وخيولهم للبرتغاليين في البحرين، وبقوا بدون أسلحة أو خيول، وعندما عادوا من البحرين، كانوا قد أعطوا دفعات من مرتباتهم (مواجب)، وقد أنذروا عدة مرات لجلب خيولهم وأسلحتهم، إلا أنها لم تحضر أبداً، لذلك فقد أمر مراد باشا بأن يجهز دفتراً يسجل فيه قائمة بأسماء أولئك الذين لا يستطيعون إحضار خيولهم وأسلحتهم بمرتباتهم، وأن يرسل الدفتر إلى استانبول، وينتظر رداً مناسباً[١٨]. كما عرض مراد باشا على الحكومة قائلاً بأنه قبيل خروج مصطفى باشا للبحرين، قام بجمع معظم الأسلحة التي كانت في قلعتي الأحساء والقطيف وأخذها معه إلى البحرين، وضاعت معظم تلك الأسلحة مع وفاته، وطلب مراد باشا أسلحة جديدة لولايته. ورداً على ذلك أرسل حكم سلطاني إلى اسكندر باشا، أمير أمراء ديار بكر[١٩]، آمراً إياه بتحضير مدفعين (ضربزن) و٣٠٠ بندقية (توفنك) وإرسالها إلى أمير أمراء بغداد[٢٠]، كما ناشد مراد باشا الحكومة إلى إرسال بارود إليه، لذلك تسلم أمير أمراء بغداد حكم بضرورة توفير ١٠٠ كيس من البارود[٢١]، وإرسالها بسرعة إلى الأحساء، ان المدافع والبنادق التي أمر بتجهيزها مسبقاً، كان عليها أن ترسل إلى بغداد، وكان على أمير أمراء بغداد أن يرسلها مع البارود إلى البصرة[٢٢]، وعلى أمير أمراء البصرة إرسالها للأحساء دون تأخير.

بالإضافة إلى ذالك، أراد مراد باشا أن يحافظ على الخطوط التجارية البحرية التي تأثرت سلباً من جراء السفن البرتغالية التي جاءت من هرمز وقطعت طرق الملاحة للقطيف والأحساء، وسيطرت على سفن التجار والمسافرين، وطلب من الحكومة إرسال طائفة (عزاب) التي أحضرته للأحساء، والتي بإمكانها أن تبقى دائماً في ميناء القطيف، وسيعود فائدة ذالك على دخل الدولة وسائر الولاية[٢٣]، ولما تلقى إجابة ليست مقنعة، عاد وعرض من جديد نشاط البرتغاليين في الخلية، وطلب بأن تحمى المنطقة بسفينة، فأمر أمير أمراء

البصرة بإرسال سفن مرة كل شهرين أو ثلاثة، للذهاب في دورية إلى ولاية الأحساء والقطيف وأن تعود للبصرة(٢٤).

(للبحث صلة)

جامعة الكويت، كلية الآداب: د. فيصل بن عبدالله الكندري

الحواشي:

(١) صدرت أوامر لأمير أمراء البصرة في ٢٦ ذي القعدة بعدم احتجاز السفن التجارية عند الضرورة لمثل تلك الأعمال. مهمة دفتري ٣ ص ١٠٣ رقم ٢.

(٢) هذا يفسر لنا سبب هجره البلاد وهجرته للبحرين، ووقوفه ضد القوات العثمانية الغازية.

(٣) مهمة دفتري ٣، ص ٣٧٩ رقم ٢.

(٤) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٠ رقم ١.

(٥) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٢ رقم ٢.

(٦) مهمة دفتري ٣، ص ٤٨٦ رقم ١.

(٧) مع شديد الأسف فان الوثائق العثمانية لا تعطي معلومات اضافية حول هذه النقطة.

(٨) الديوان: هو المكان الذي كان يجلس فيه الباشا للنظر في أمور الولاية، أي بمعنى أنه كان مجلس الولاية.

(٩) من هذه الحوادث يمكن للشخص بالتكهن بأن الرعايا كانوا يرجعون للأحساء طالبين ارجاع أراضيهم لهم كلما تعين وال عثماني جديد.

(١٠) مهمة دفتري ٣، ص ٣٧٩ رقم ١.

(١١) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٠ رقم ١.

(١٢) مهمة دفتري ٣، ص ٥٥٦ رقم ٣.

(١٣) مهمة دفتري ٣، ص ٣٧٩ رقم ٢.

(١٤) مهمة دفتري ٣، ص ٧٩ رقم ٢.

(١٥) مهمة دفتري ٣، ص ١١٧ رقم ٢ و٣، ولا نعلم كيف نفذ هذا الحكم لأنه في وقت وصول هذا الحكم كان مصطفى باشا، أمير أمراء الأحساء، في البحرين.

(١٦) ورد ذكرها عقاير في الوثائق العثمانية ويطلق على هذا الميناء لفظ عجير في بعض الأحيان ويقع على الخليج العربي [العرب: العقير من موانئ الأحساء القديمة حتى السنوات الأخيرة قبل إنشاء موانئ النفط، فضعف وقلت أهميته].

(١٧) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨١ رقم ٣.

(١٨) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٢ رقم ١.

(١٩) ديار بكر هو اسم للولاية الشمالية من منطقة الجزيرة، كانت عاصمتها آمد، استولى عليها بيكلي محمد باشا عام ٩٢٣هـ (١٥٢٧م)، وعرف لذلك باسم الفاتح باشا (فاتح باشا) وعندما تحولت إلى ولاية كان هو أول وال عليها. انظر: M. Yinanc "Diyarbakr", E 12, Vol II, p 343- 347.

(٢٠) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٢ رقم ٣، انظر الترجمة في آخر هذا البحث.

(٢١) لا يوجد دليل يوضح التاريخ الدقيق الذي بدأ فيه العثمانيون استخدام البارود والأسلحة النارية، حيث قال البعض بأن المدافع ظهرت لأول مرة في حياة السلطان محمد الأول (١٤١٣- ١٤٢١)، بينما يقول البعض الآخر بأنه تأخر عن ذلك التاريخ، من أجل مزيد من المعلومات انظر: V.Parry, "Barut", E 12, Vol I, p 1061- 1066.

(٢٢) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٢ رقم ٤.

(٢٣) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦ رقم ٣.

(٢٤) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦ رقم ٢، وأرسل هذا الحكم في ٢٢ شعبان ٩٦٧هـ (١٨ مايو ١٥٦٠م).

(٢٥) مهمة دفتري ٣، ص ٤٨٦، وأرسل هذا الأمر في ٢٥ ذي القعدة ٩٦٧هـ (١٧ اغسطس ١٥٦٠م).

الملامح الاقتصادية في كتاب «البخلاء» للجاحظ

(١)

[لهذا الكتاب في ذاكرتي ما رأيت المناسبة تدعو لإيضاحه، حينما عينت سنة ١٣٧٠ للعمل مساعدًا لمدير (معهد الرياض) عند إنشائه، أمرني رئيسه الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف - رحمه الله - بالسفر إلى مصر، لإحضار مناهج الدراسة في المعاهد الدينية وكليتي الشريعة واللغة العربية التابعة للأزهر، وكميات من الكتب التي يلائم تدريسها فكان مما أحضرت منها لدرس المطالعة للأقسام الثانوية «أدب الدنيا والدين» و«البخلاء» و«قصص العرب» فقرر تدريسها في الفصول الملائمة لها، وكنت أتولى تدريس بعض الحصص، فزار (المعهد) رئيسه الشيخ محمد ومعه الشيخ حامد الفقي رئيس أنصار السنة بمصر رحمهما الله وكنت في أحد الفصول والدرس مطالعة - فسألني الشيخ عن موضوعه فأخبرته وأنه في كتاب «البخلاء» فصاح الشيخ حامد: (أعوذ بالله كتاب المعتزلي الجاحظ يدرس في هذا المعهد!!) لم أستطع إقناعه بأنه ليس في الكتاب ما يحاذر منه، ولكنه وجد من الشيخ آذانًا صاغية إذ قال: ما الكتاب الذي تراه ياشيخ حامد ليحل محله؟ فقال: «فتح المجيد» وهذا الكتاب مقرر على الطلاب في «التوحيد» ولكنه تجاهل هذا مضيفًا: ولدينا منه كمية مطبوعة جاهزة، لعلكم تبرقون للشيخ فوزان لإرسالها بالطائرة! فانطلت الحيلة، ونزع ذلك الكتاب من الطلاب، ولقد ذكرتني هذا ما ورد في كتاب «التوحيد» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله -: أن كثيرًا من الناس لو دعا إلى الحق، فإنما يدعو إلى نفسه] رئيس التحرير.

تمهيد: كان عمرو بن بحر الجاحظ ذا فكر نيّر، وأسلوب رشيق ساخر. ينتمي إلى قبيلة كنانة[١]، ويمتلك قدرة عالية على الحفظ.

ولد الجاحظ حوالي سنة ١٥٠هـ، ومارس أعمال البيع والشراء قبل أن يشتهر بالأدب، وقد عاش ما يقارب المئة عام، وعاصر عددًا من خلفاء بني العباس، وشاهد كثيرًا من الحوادث التاريخية، ولامس في حياته اليومية فئات المجتمع المتعددة فأكسبه ذالك خبرة واسعة في طبائع الناس، وممارساتهم اليومية[٢]، فألّفَ عدة كتب؛ منها كتاب «البخلاء» الذي نحن بصدد تناول بعض جوانبه.

الجاحظ وكتاب «البخلاء»: إن أفضل السبل لتشخيص الملامح الاقتصادية في كتاب «البخلاء» للجاحظ أن نتركه يتكلم ويسرد حكاياته عن البخلاء ونوادرهم، ويأتي على مجموعة من الأمثلة والشواهد والنوادر، بأشخاصها وأماكن حدوثها.

وهذا الكتاب متوسط الحجم، لا تتجاوز صفحاته المئة وخمسًا وسبعين صفحة من القطع المتوسط، والنسخة التي رجعت إليها تولت (مكتبة النهضة بغداد) طبعها بـ(الأوفست) حاول الجاحظ أن يبين من خلاله حجة طريفة، أو حيلة لطيفة، أو استفادة نادرة عجيبة. ويحث القارئ على أن يتناوله إذا كلَّ حالة الجدّ، واتجه نحو اللهو، والراحة.

استهل الجاحظ كتاب «البخلاء» بمقدمة طريفة، استهدف من خلالها الوصول إلى ظاهرة (البخل) وأنواعها، وأسبابها، والدوافع الخفية التي تدفع الإنسان لأن يمارس هذا النمط من السلوك.

والمهم في الأمر، أن الجاحظ في كتابه هذا تناول نماذج متعددة من البخلاء، وقص لنا حكاياتهم ونوادرهم. ولِمَ سَمَّوُا البخل صلاحًا، والشح اقتصادًا، ولِمَ نصبوا للمواساة، وقرنوها بالهدر والتضييع، ولِمَ جعلوا الجود سرفًا وتبذيرًا، والأثرة جهلاً، ولِمَ زهدوا في الحمد... وقَلَّ اكتراثهم واحتفالهم في الذم، ولِمَ احتجوا بشظف العيش على لينه، وبحلوه على مُرِّه، ولِمَ رغبوا في الكسب والكدّ مع زهدهم في الإنفاق، ولِمَ عملوا في الغنى عمل الخائف من زواله، ولَمْ يفعلوا في الغنى عمل الراجي لدوامه، ولِمَ وفروا نصيب الخوف وبخسوا نصيب الرجاء مع طول السلامة وشمول العافية[٣].

يعترف الجاحظ بصعوبة الإحاطة بجميع أخبار البخلاء، كما نوه أنه سيتجنب ذكر أسماء بعضهم على الرغم من أن حكاياتهم تفقد جزءًا من قيمتها إنْ لم يُقْرن بها أسماء أصحابها. كما أنه تعمد إهمال البعض الآخر منهم خشية أن يفتضح أصحابها[٤].

قال الجاحظ عن كتاب «البخلاء»: إنْ وجدتم في هذا الكتاب لحنًا، أو كلامًا غير مُعْرَب، ولفظًا مدلولاً عن جهته، فاعلموا أنما تركنا ذالك لأن الإعراب يبعض هذا الكتاب يخرجه عن حَدّه. إلا أنْ أحكي كلامًا من متعاقلي البخلاء، وأشحاء العلماء[٥].

وبلا ريب، فإن الجاحظ كان يدرك أن المثل العليا الحميدة يبقى لها جمالها ووقعها الحسن عند الناس، وأن الصفات الذميمة - ومنها البخل - تَعيب الناس في كل زمان ومكان، وأن النماذج التي تناولها في كتابه «البخلاء» إنما ساقها على أساس أنها مثالب، توجد في كل المجتمعات البشرية، وإن كانت نسب وجودها تختلف بين مجتمع وآخر. وأحسب أن الجاحظ لم يكن يهدف إلى ذم أمة، أو إقليم، أو بلد، دون آخر. وإنما رأى حالات مرفوضة فجسَّدها وسَخِرَ منها.

ونلمس أن الجاحظ، في الوقت الذي يريد أن يعطي صورة واضحة عن ظاهرة اجتماعية مذمومة، يكون بعمله هذا قد شجب البخل والبخلاء على اختلاف أساليبهم ومشاربِهم. فقال هو عن نفسه: إنه وضع كلامه (موضع الضيم والنقمة)[٦]. وفي مواضع كثيرة كان ينحو باللائمة على البخلاء جميعاً.

ويبدو أن الجاحظ لم يجد وسيلة فاعلة للحد من ظاهرة البخل، وقطع دابرها، فاضطر إلى التنبيه إلى خطرها وذمها والحط من مكانة أصحابها في المجتمع.

ويصارح الجاحظ قارئ كتاب «البخلاء» أن كتابه هذا لا يصور لقارئه كل شيء، ولا يأتي له على كنهه وعلى حدوده وحقائقه، لأن الحكايات تكون أكثر تشويقًا عندما ترى بالعين[٧].

تصنيف الجاحظ للبخلاء: نستطيع أن نتلمس الملامح الاقتصادية في كتاب «البخلاء» من تصنيف الجاحظ لأنواع البخلاء. ذالك أن أبا عثمان ميّز أنواع البخلاء من خلال سلوكهم ومواقفهم وتصرفاتهم الاقتصادية إلى:

١- صنف يتظاهر بالكرم: حدد الجاحظ نمطًا من البخلاء؛ قال عنهم إنهم كانوا قد أدركوا أن صفة البخل التي يمارسونها مذمومة. وبذالك عملوا على التظاهر بالكرم والسخاء، علَّهم يدفعون عنهم ما لحق بهم من استخفاف من جرَّاء التصاق سمة البخل بهم. إلا أن عملهم لم يجديهم نفعًا في نظر الجاحظ، لأن وصمة البخل التي ألصقت بهم من الصعوبة إزالتها من أذهان الناس، ولو سَخَتْ نفس أحدهم بالكثير من التبر لا يغطي فعل من شح بالقليل من الطعام[٨].

٢- صنف يخشى الفقر: ويُوجد نمط آخر من البخلاء كان يخشى الفقر ويتطير منه، بحيث أنهم كانوا قلقين من زوال النعمة والغنى. فكانت تمتلكهم خشية شديدة من احتمال تعرضهم للفقر(٩). فكانوا يزعمون أن ترقيع الثوب يجمع مع الإصلاح التواضع، وخلاف ذلك يجمع مع الإسراف التكبر(١٠)، يقول الجاحظ: إن البخلاء يقبحون أي نوع من أنواع السرف والتبذير، وبخاصة عندما يكون المسرف عاقلاً(١١).

٣- وميز الجاحظ نوعًا آخر من البخلاء، قال عنهم: إنهم خَصُّوا أنفسهم بالشقاء فمارسوا سلوكًا (أجمعت الأمة على تقبيحه)(١٢). ففي هذا الشأن قال الجاحظ إن البخلاء كتبوا على أنفسهم الشقاء ونكد العيش، وخشونة المضجع، وطول الاغتراب، مع علمهم أن وارثيهم أعدى لهم من عدوهم.

ولم يتلمس الجاحظ للبخلاء عذرًا في سلوكهم هذا، لأنهم لم يظهروا الجهل والغباء، ولا انتحلوا الغفلة والحماقة. وإنما كانوا يبصرون بعقولهم البعيد والغامض. وبذالك تساءل عن الذي خبل عقول البخلاء، وأغشى أبصارهم، وتساءل مرة أخرى عن غبائهم الشديد الذي إلى جنبه فطنة عجيبة. وامتلكه العجب من أن البخلاء الذين فطنوا لعيب فعلهم، وإفراط شحهم، حاولوا تمويه فعلهم القبيح، في الوقت الذي يعلمون أن عملهم هذا لا يقبل التمويه، ولا يمكن ستره وإخفاءه. وأن قسمًا منهم فطن لعيوب الناس ولم يفطن لعيب نفسه حتى وإن كان عيبه لا يمكن إنكاره(١٣).

٤- ولاحظ الجاحظ على قسم من البخلاء فطنة عجيبة، لكن تصرفاتهم في الجوانب الاقتصادية والمالية تتسم أحيانًا بالغباء الشديد. إذ لا يسع الجاحظ إلا أن يمتلكه العجب ممن قد فطن وعرف عواقب إفراط لشحه، فحاول أن يُمَوِّه شيئًا لا يقبل التمويه، ورقع خرق لا يقبل الرقع. وهو بذالك يجاهد نفسه، ويغالب طبعه. ففي حقّ هذا النمط قال الجاحظ: ليته لما فطن لعيبه، فطن لضعفه عن علاج نفسه، وعن تقويم سلوكه(١٤).

وتكتسب الملامح الاقتصادية التي أوردها الجاحظ في كتابه «البخلاء» أهمية أنه كان قد شاهد قسماً منها بنفسه. فقد أورد كثيراً من الحكايات ذات الصلة بالجوانب الاقتصادية شاهدها بنفسه أو أنها رُوِيتْ له من قبل أناس شاهدوها، فقصوا له ما سبق لهم أن عاينوه. ونجد الجاحظ أحياناً يكتفي بعرض مضمون الحكاية دون أن يبدي امتعاضاً منها، أو شجبه لها. في حين نجده في نمط آخر من البخلاء يبدي استغرابه، أو سخريته منه دون أن يجامل أصحابه، أو يخشى منهم. ويكفي أن أتناول نوعين من البخلاء الذين أوردهم الجاحظ في كتابه:

الأول: الذين يبخلون في مواد الطعام: فقد ركّز الجاحظ في كثير من حكاياته وأمثلته على البخل في مواد الطعام. فعند تناوله رسالة سهل بن هارون إلى بني عمه حين ذموا مذهبه في البخل؛ أورد الجاحظ قوله لخادمه: (أجيدي عجنه خميراً). وحين قال لغلامه: (إذا زدت في المرق، فزد في الإنضاج، لتجمع بين التأدم في اللحم والمرق)(١٥).

وكان البخلاء يزعمون أن كثرة الخبز على مائدة الطعام، يورث النفس صدوداً. وقالوا: والخبز الفاضل عما يأكل الضيوف، لا يسلم من التلطيخ فيذهب ذالك الفضل باطلاً، والله لا يحب الباطل. وأن كل شيء من المأكول وغير المأكول، إذا ملأ العين ملأ الصدر، وفي ذالك موت الشهية وتسكين الحركة. وأحسب أنهم محقُّون حين يدعون إلى ضرورة أن يُقدم الطعام في طبق نظيف، مع خادم نظيف، عليه منديل نظيف(١٦).

وفي الحكاية الآتية يستمع الجاحظ إلى نموذج آخر من البخلاء الذين يُوصون أصحابهم بأن يطعموا عيالهم نوعاً من الطعام إذا تناولوه في وجبة الغداء أغناهم عن العشاء أيضاً(١٧).

ومن أن يظهر لنا الجاحظ بعض الملامح الاقتصادية من خلال تصرفات البخلاء جاء بمثال قال فيه: إن رجلاً بخيلاً كان يتردد كثيراً على منازل إخوانه

وأصدقائه، فكانوا يكرمونه بما لذ وطاب من الطعام، ولم يشكُّوا أنه سيدعوهم مرة إلى بيته، لكنهم وجدوا أن تغافله طال، وطالت مدافعته، فقالوا: (اجعلها دعوة ليس لها أخت). ففت في عضده، ووجد أن لا مناص من دعوتهم، فاتخذ لهم (طُعيمًا خفيفًا شهيًّا مليحًا، لا ثمن له ولا مؤونة فيه). ومع ذالك لم يشأ إلا أن يظهر لهم أنه أصبح أقرب إلى العوز والفقر من ذي قبل. ثم قال لهم: وما دامت الحال هكذا فمن يلومني على ترك دعوة قوم قربوني من الفقر، وباعدوني عن الغنى(١٨).

ويرى الجاحظ أن البخلاء كانوا يتعمدون الابتعاد عن كل من استسقاهم شربة ماء، أو تناولوا من حائطه لبنة، حتى لا يكونوا ملزمين برد إحسان من سبق أن أحسن إليهم.

ولم ينحرج البخيل من أن يقول لمن داهمه وهو على وشك - هو وضيوفه - أن يرفعوا أيديهم عن الطعام: (أَجْهِزْ على الجرحى، ولا تتعرض للأصحاء.. أعرض للدجاجة التي قد نيل منها، وللفرخ المنزوع الفخذ... ولك الرغيف الذي قد نيل منه وأصابه بعض المرق)(١٩). وبلغ الشح ببعض البخلاء أنهم كانوا لا يفضلون الطبخ في القدور الشامية، ولا تبريد الماء في الجرار المذاريَّة، لأن الثانية ترشح الماء كله، والأولى تنشف المرق كله(٢٠).

ويعرض لنا الجاحظ ملامح اقتصادية عن البخلاء في غاية الطرافة والندرة. حيث قال: إن البخلاء كانوا يغبطون الملائكة لأن الله سبحانه وتعالى لم يبتلهم بالنفقة على عيال لهم(٢١).

وأورد الجاحظ حكاية أحد البخلاء الذي كان يتباهى أمام الناس فقال: (ما فاتني اللحم منذ ملكت المال). وكان يرمي من وراء ذالك أنه: إذا كان يوم الجمعة اشترى لحم بقر بدرهم، واشترى بصلاً بدانق(٢٢)، وباذنجان بدانق، وقرعة بدانق، وجزر بدانق، وطبخه كله، فأكل وعياله يومئذ خبزهم بشيء من رأس القدر، فإذا كان يوم السبت ثردوا خبزهم في المرق، فإذا كان يوم الأحد

أكلوا البصل، فإذا كان يوم الاثنين أكلوا الجزر، فإذا كان يوم الثلاثاء أكلوا القرع، فإذا كان يوم الاربعاء أكلوا الباذنجان، فإذا كان يوم الخميس أكلوا اللحم. ولهذا قال: ما فاتني اللحم منذ ملكت المال[٢٣].

ونلمس وجود وصايا صحية من خلال حكايات البخلاء التي يرمون من ورائها التقتير في مواد الطعام. ففي هذا الشأن ساق لنا الجاحظ[٢٤] وصية بخيل لابنه يحثه فيها على عدم الإفراط في الأكل، فقال له: لو سألت حذاق الأطباء لأخبروك أن عامة أهل القبور إنما ماتوا بالتخم. وقال آخر لابنه: كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلث بطنك، ودع الثلث الأخير للتفكير والتنفس. وأن الداء هو إدخال الطعام في أثر الطعام. فإن كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة، وإن كنت تحب الموت، فلا يبعد الله إلا من ظلم[٢٥].

(للبحث صلة)

بغداد: د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي:

(١) ياقوت، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ). «معجم الأدباء»، باعتناء مرجليوث، مطبعة هندية، (مصر، ١٩٢٥)، جـ١٦، ص٧٤.

(٢) المصدر نفسه، ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٧٠)، جـ٣، ص ٤٧٠ وما بعدها.

(٣) الجاحظ، عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥هـ) «البخلاء»، طبعة بالأوفست من قبل مكتبة النهضة ببغداد، ص٥- ٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦. (٥) المصدر نفسه، ص ٣١. (٦) المصدر نفسه، ص ١٠.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٣. (٨) المصدر نفسه، ص ٧. (٩) المصدر نفسه، ص ٦.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٣.

(١١) المصدر نفسه، ص ٤٤ (ينظر: أبو طالب المكي «قوت القلوب» جـ٣، ص٢٢ وجـ٤، ص١٨١ و١٨٦- ١٨٩.

(١٢) الجاحظ، «البخلاء»، ص ٦. (١٣) المصدر نفسه، ص ٦- ٧. (١٤) المصدر نفسه، ص ٧.

(١٥) المصدر نفسه، ص ١٢. (١٦) المصدر نفسه، ص ٦٩- ٧٠. (١٧) المصدر نفسه، ص ٣٣.

(١٨) المصدر نفسه، ص ٣٢- ٣٣. (١٩ و٢٠) المصدر نفسه، ص ٣٤.

(٢٢) الدانق: يساوي سدس الدرهم. (ينظر: المقريزي، «إغاثة الأمة بكشف الغمة» ص ٥٧).

(٢٣) الجاحظ، «البخلاء»، ص ٩٠. (٢٤) ينظر: «البخلاء»، ص ٨٢ وما بعدها.

(٢٥) الجاحظ، «البخلاء»، ص ٩٠.

غَزية: نسبها وفروعها وديارها وتحقيق نسب عتيبة

(٢)

ثانيًا: عتوارة: قال الكلبي: ولد عتوارة بن غزية: إنسان بطن والخنابس فولد إنسان: سدوسًا وعوفًا ومعاوية وعفيفًا والحارث منهم سلمة بن سمادر، وهو علقمة بن مجالد بن عامر بن معاوية بن إنسان ووهب وهو الشنة بن خالد ابن عبد بن تميم بن عامر بن معاوية بن انسان والشنّة الآخر اسمه الصدي بن عذرة بن بشر بن إذخرة اللذان قال لهما الفرزدق:

ياليتني بالشنتين نلتقي ثمّ يحاط بيننا بخندق(١)

وقال الزبيدي: (شنّة لقب وهب بن خالد) قال: (وصحّح الحافظ ابن حجر أنّه إسلامي جشمي وفيه يقول الفرزدق:

ياليتني والشنّتين نلتقي ثمّ يحاط بيننا بخندق)(٢)

ومن فروع عتوارة:

١ - بنو إنسان: واحدهم إنساني وهم بنو إنسان بن عتوارة بن غزية بن جشم(٣) ذكرهم الأصمعي فقال: (بنو إنسان حيّ من بني جشم)(٤) ومن مياههم تَصْلُب قال الحسن بن عبدالله الأصفهاني: (تصلب لبني إنسان من بني جشم)(٥) وقاله ياقوت الحموي(٦) قال الرشاطي: (منهم ذو الشنّة وهب بن خالد بن عبيد بن تميم بن عامر بن معاوية بن إنسان كان يقطع الطريق)(٧) وقال الزّبيدي: (إنسان أيضًا في بني جشم بن معاوية أخي نصر هذا وهو إنسان ابن عتوارة بن غزية بن جشم ومنهم ذو الشنّة وهب بن خالد بن عبد بن تميم بن معاوية بن إنسان الإنساني)(٨) ومنهم حجّاج بن مرداس الإنساني ذكره الهجري وأورد بعض شعره(٩) ومنهم الصنيعة الإنساني ذكره الهجري وذكر بعض شعره(١٠) ومنهم زهيرة بنت عوف بن إنسان بن عتوارة بن غزية بن جشم بن

معاوية تزوجها قريط بن عبد بن أبي بكر عبيد بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فولدت له سكنا قال الكلبي : وفي زهيرة يقول القتّال أخو بني بكر بن كلاب :

وتعرفني زهيرة من بنيها وأعرفها إذا أُجد (؟) النفار[١١]

ومن فروع بني إنسان :

أ- بُريد : واحدهم بُرَيْدي وقد كان أحدهم من شيوخ الهجري ومنهم مهدي ابن هريم البريدي شاعر ذكره الهجري وأورد بعض شعره[١٢] قال حمد الجاسر في ذكر البريدي شيخ الهجري : (البريدي هذا من شيوخ الهجري الذين أكثر الرواية عنهم وهو من بني إنسان بن عتوارة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن)[١٣].

ب- بنو حرام : واحدهم حرامي ومنهم الشنتان الآنف ذكرهما ففي ديوان الفرزدق : قال في رجلين من بني حرام من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وكانا لِصَّيْنِ في طريق البصرة وكانا يُسميان الشنّتين فتمنّى الفرزدق لقاءهما :

ياليتني بالشنّتَيْنْ نلتقي ببلدٍ ليس به مَنْ نَتَّقي

ثمّ يحاط حولنا بخندق ثمّ يقال يافرزدق اصدُق[١٤]

٢- بنو صامت : واحدهم صامتي وهم بنو صامت بن سدوس بن عتوارة بن غزية بن جشم منهم أبو جرول هند بن صامت بن عبدالله بن صامت بن سدوس رضي الله عنه وفد على النبي ﷺ يوم حنين ، وأمره النبي ﷺ أن يعتمّ بعمامة جبريل تحت الحنك وهي العمة الجرولية[١٥] وقد أورد الغندجاني بعض شعره[١٦].

ثالثاً: حُمَيّ بن غزية: ذكره الكلبي ولم يفصل القول فيه وعادته عند ذكر من لم يعقّب ان يذكر بأنه دَرَج ، وقد قيل : إنّ الشقراء من خيل هوازن

كانت لحمي بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن وعلى قول انها لأبيه غزية(١٧).

رابعًا: عتيبة بن غزية: واحدهم عُتَيْبي، وقبيلة عتيبة من أجلّ قبائل العرب، وأعظمها قدرًا، وأقواها شوكة، ولهم مجد مؤثّل، وتاريخ عريق، طغى اسمهم على قسم عظيم من فروع هوازن ذكرهم كثيرون فذكروا فروعهم وأخبارهم وديارهم، وقد ذهب جلّ الباحثين إلى أنهم من هوازن أعظم وأجلّ قبائل الحجاز ونجد عددًا وعدّة ومنعة، وقد ذهب البعض إلى أن عتيبة قحطانيون من اليمن، ولست هنا بصدد عرض الآراء في نسب عتيبة وتحليلها فلهذا مقام آخر، والصحيح أن عتيبة هم بنو عتيبة بن غزية بن جشم بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وهو الناس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وأقدم من رأيته ذكر عتيبة سراج الدين محمد بن عبدالله الرفاعي (٧٩٣- ٨٨٥هـ) في ذكره أنساب بعض آل البيت الكرام فقال: (وأما الحسين بن داود بن سليمان فمن ولده عبدالله المعروف بالهندي وله عقب، والحسن الملقّب بريحي له عقب معروف، وداود وهو ميثان وذكر له بعض النسّابة ولدًا اسمه يحيى ونسب بني الرويعي إليه كذب لا شبهة فيه لأنهم ينتسبون إليه من ولد له على ما يزعمون يسمّونه ناجعًا وناجع هذا رجل من عتيبة من بادية الحجاز، وبنو الرويعي غاية انتسابهم إليه فهم من عتيبة لاريب)(١٨).

وذكرهم ابن فهد المكي في حوادث سنة ٨٧٤هـ في ذكر سير الشريف محمد ابن بركات بن حسن تلك السنة لغزو عتيبة فقال: (وفي آخر صفر منها توجه بعسكره من وادي مرٍّ إلى جهة الشرق، يغزو بعض عرب عتيبة، فإنهم قطعوا الجود الذي بينهم وبينه، وأرسل إلى مكّة أن يرسلوا له آلة الحرب من دروع وتجفاف وغير ذالك، فأرسلوا له ذالك فلما قرب من العرب أُنْذروا قبل وصوله

بيوم فحملوا كلّهم ورحل بعضهم، ولحق الباقين قبل سيرهم يوم الثلاثاء سابع عشري صفر فقتل منهم نحو الخمسين رجلاً، وفرّ الباقون فغنم منهما نعماً وشاءً كثيراً وغير ذالك وعاد نصره الله سالمًا)[١٩] وذكرهم الزَّبيدي (١١٤٥-١٢٠٥هـ) فقال: (بنو عتيبة كَجُهينة قبيلة من العرب)[٢٠] وأقدم ما رأيته حول نسب عتيبة ما ورد في «لمع الشهاب» المؤلّف سنة ١٢٣٢هـ ١٨١٧م ففيه: (وأمّا قبيلة عتيبة فهي قبيلة كبيرة سابقًا تُسمّى هوازن)[٢١].

❖ **من هو عتيبة؟** : طالما تساءل الباحثون ممّن تناولوا قبيلة عتيبة بالدراسة تساءلوا عن عتيبة الذي تنسب إليه هذه القبيلة الجليلة، فهل هو جدّ لهم أم أنّه لقب لهم، وما معناه إلى غير ذالك من التساؤلات التي لم تجد لها جوابًا ولقد استوقف اسم عتيبة بن غزية الذي ذكره الكلبي في حديثه عن بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بعض الباحثين لاتّفاقه مع اسم عتيبة إلاّ أنّ الكلبي لم يذكر شيئًا عن عُتَيبة، ورغم توقف الباحثين عند اسم عتيبة إلاّ أنّ أحدًا لم يقل إن عتيبة هم بنو عتيبة بن غزيّة فالكلبي لم يذكر لعتيبة نَسْلاً وهذا لا يعني انه ليس له عقب يُعرف به ومما يؤكد هذا أنّ من عادة الكلبي الإشارة إلى من درج نسله فلم يبق له عقب لكن قد يُرَدُّ على هذا بأنّ عدم ذكر الكلبي ما يفيد بانّ لعتيبة نَسْلاً أو انّه درج يعود إلى جهله وعدم معرفته أيّ شيءٍ عنه بمعنى أنّ حال عتيبة عنده مجهول فلا يُعلم، إذا ما كان قد أنسل أو درج، وهذا يعني أنّ عدم إشارة الكلبي إلى أنه درج لا يعني بالضرورة أنّه أنسل، لهذا لم نجد أنّ باحثًا واحدًا يُعْتدُّ برأيه نسب عتيبة إلى عتيبة بن غزية على كثرة من كتب عنهم فلابُدّ لهذا النسب من دليل ولا دليل! ويبقى السؤال الهام مطروحًا من هو عتيبة الذي تنسب إليه قبيلة عتيبة؟!

❖ **انه عتيبة بن غزيّة:** فيما كنت اطالع كتاب «المعجم» لابن الأعرابي نهار السبت ٢٦ جمادى الاخرة ١٤١٩هـ استوقفني طويلاً بفرح غامر نصٌّ

نَفِيْس جدًّا ثمين للغاية يبيّن سلسلة نسب محدّث إلى عتيبة بن غزية، وهو يبيّن لنا أنّ لعتيبة بن غزية عقب مذكور يعرف به، وإليكم البيان: قال الإمام أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر الاعرابي العنزي (٢٤٦- ٣٤٠هـ): (نا عبيدالله بن رُمَاحِس بن محمد بن خالد بن جبير بن قيس بن عمرو بن عبدة بن ناشب بن عتيبة بن غزية الجشمي بالرملة سنة سبعين في المسجد الجامع في ربيع الآخر وهو من أهل الرّمادة (نا) زياد بن طارق الجشمي (نا) أبو جرول زهير بن صرد الجشمي قال: كان يوم حنين حين أسرنا رسول الله ﷺ..) الخ الحديث(٢٢).

قال الأحيوي: هذا النصّ النفيس يسلسل لنا نسب هذا المحدّث إلى جدّه الأعلى عتيبة نقله عنه ابن الأعرابي الذي التقاه في ربيع الآخر سنة ٢٧٠هـ في المسجد الجامع في الرّملة من بلاد فلسطين وقد ذكر غير واحد من العلماء عبيدالله هذا ومنهم الإمام الذهبي (ت ٧٤٨هـ) وقد جرّحه قال: (عبيدالله بن رُماحس القيسي الرملي عن زيادة بن طارق عن زهير بن صرد انه أنشد النبي ﷺ قصيدته:

أُمْنُنْ علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر

روى عنه الأمير بدر الحمامي، وأبو القاسم الطبراني وأحمد بن اسماعيل بن عاصم وأبو سعيد بن الاعرابي والحسن بن زيد الجعفري ومحمد بن ابراهيم بن عيسى المقدسي وكان معمّرًا. ما رأيتُ للمتقدمين فيه جرحًا وما هو بمعتمد عليه، ثمّ رأيت الحديث الذي رواه له علّة قادحة قال أبو عمر بن عبدالبرّ في شعر زهير: رواه عبيدالله بن رُماحس عن زياد بن طارق عن زياد بن صرد بن زهير عن أبيه عن جدّه زهير بن صرد، فعمد عبيدالله إلى الإسناد وأسقط رجلين منه، وما قنع بذالك حتى صرّح بأنّ زياد بن طارق قال: حدّثني زهير هكذا هو في «معجم الطبراني» وغيره باسقاط اثنين من سنده)(٢٣) وقد تعقّبه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني ودافع عن هذا المحدث وفيما يلي نصّ ابن حجر نورده

على طوله لأهميّته، ولذكره بعض المصادر التي ذكرت عبيدالله بن رماحس وبعضها لا يزال مخطوطًا ممّا سيفيد في دراسة نسب عبيدالله بن رُماحس إلى عتيبة بن غزية قال الإمام الحافظ ابن حَجَر (ت ٨٥٢هـ): (وهذا الذي قاله المؤلف، تحكم لا دليل له عليه، ولا له فيما حكاه عن ابن عبدالبر ترجمة قائمة، وسياقه يقتضي أن هذا كله كلام ابن عبدالبر، وليس كذالك، بل من قوله: فعمد عبيدالله إلى آخر الترجمة. قال المؤلف من عند نفسه، بانيًا على صحة ما حكاه ابن عبدالبر، وقد قرأت على أحمد بن علي سبط البرقي بدمشق، أخبركم أبو عبدالله بن جابر، أن أبا العباس بن الغماز أخبرهم، أخبرنا الحافظ أبو الربيع الكلاعي، عن أبي عبدالله بن زرقويه، عن أبي عمران بن تليد، حدثنا الحافظ أبو عمر بن عبدالبر في كتاب الاستيعاب له (قال) زهير بن صرد الجشمي السعدي من بني سعد بن بكر، وقيل يكنى أبا جرول، كان رئيس قومه، وقدم على رسول الله ﷺ في وفد هوازن، إذ فرغ من حنين، فساق أبو عمر القصة، ثم أسندها من طريق محمد بن إسحاق، ثم قال في آخره، إلا أن في الشعر بيتين لم يذكرهما محمد بن إسحاق في حديثه، وذكرهما عبيدالله بن رماحس، عن زياد بن طارق، عن زياد بن صرد بن زهير ابن صرد عن أبيه، عن جده زهير بن صرد أبي جرول، أنه حدثه هذا الحديث، انتهى كلام ابن عبدالبر.

فهذا كما تراه حكاه مرسلاً، لم يَسُقْ إسناده إلى عبيدالله بن رماحس حتى يعلم. قال: من زاد هذين الرجلين في إسناده، فقد رواه عن ابن رماحس الستة الذين ذكرهم المؤلف، وأبو بكر محمد بن أحمد بن محمويه العسكري، وأبو الحسين أحمد بن زكريا، وعبيدالله بن علي بن الخواص، وساق نسب ابن رماحس وسأذكره بعد، فهاؤلاء عدد من الثِّقات. رووه عن عبيدالله بن رماحس قال حدثنا زياد، سمعت أبا جرول، فالظاهر أن قولهم أولى بالصواب، والعدد الكثير أولى بالحفظ من الواحد، لاسيما وهو لم يسم.

وقد أخرج الحديث المذكور الحافظ ضياء الدين محمد بن عبدالواحد المقدسي رحمه الله تعالى في الأحاديث المختارة، مما ليس في الصحيحين. وقال بعده زهير لم يذكره البخاري، ولا ابن أبي حاتم في كتابيهما، ولا زياد بن طارق. وقد روى محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده نحو هذه القصة والشعر.

قلت: فالحديث حسن الإسناد، لأن رَاوِيَيْهِ مستوران، لم يتحقق أهليتهما ولم يجرحا، ولحديثهما شاهد قوي، وصرحا بالسماع، وما رميا بالتدليس، لاسيما تدليس التسوية الذي هو أفحش أنواع التدليس، إلا في القول الذي حكيناه آنفًا عن ابن عبدالبر، ولا يثبت ذالك إن شاء الله تعالى، وقد وقع لي الحديث المذكور عاليًا جداً عُشَارِيَّ الإسناد (قرأته) على العلامة أبي إسحاق بن الجويري، أخبركم أحمد بن الفخر البعلي، أخبرنا محمد بن إسماعيل المقدسي، أخبرنا يحيى بن محمود، أخبرنا عدنان بن أبي نزار حضوراً، وفاطمة الجوزدانية سماعًا، قالا: أخبرنا محمد بن عبدالله، أخبرنا أبو القاسم الطبراني، حدثنا عبيدالله بن رماحس برمادة الرملة سنة أربع وسبعين ومئتين، حدثنا أبو عمرو زيادة بن طارق، وكان قد أتت عليه مئة وعشرون سنة، قال: وسمعت أبا جرول زهير بن صرد الجشمي يقول: لما أسرنا رسول الله ﷺ يوم حنين، يوم هوازن، وذهب يفرق السبي والشاء، أتيته فأنشدته أقول:

أُمْنُنْ علينا رسول الله في كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر
أُمْنُنْ على بيضة قد عافها قدر ... مشتت شملها في دهرها غِيَرُ
إن لم تداركهم نعماء ينشرها ... ياأرجح الناس حلمًا حين يختبر
أُمْنُنْ على نسوة قد كنت تَرْضَعها ... إذ فوك يملؤه من مخضها الدرر
إذ أنت طفل صغير كنت تَرْضَعُها ... وإذ يزينك ما تأتي وما تذرِ
لا تجعلنَّا كمن شالتْ نعامته ... واستبق منا فإنا معشر زهر

إنا لنشكر للنعماء إذ كُفرت	وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
فألْبِسِ العفوَ مَنْ قد كنت ترضعه	من أمهاتك إن العفو مشتهر
ياخير من مرحت كُمْتُ الجياد به	عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا نؤمِّل عفواً منك تلبسه	هذي البرية إذ تعفو وتنتصر
فاعف عفا الله عما أنت راهبه	يوم القيامة إذ يُهْدَى لك الظفر

قال: فلما سمع رسول الله ﷺ هذا الشعر قال: «ما كان لي ولبني عبد المطلب، فهو لكم» فقالت قريش: ما كان لنا، فهو لله ورسوله، وقالت الأنصار: ما كان لنا فهو لله ورسوله.

قال الطبراني: لا يروى عن زهير بهذا التمام، إلا بهذا الإسناد، تفرد به عبيدالله بن رماحس. [ثم ذكر الحافظ ابن حجر طرقًا كثيرة أخرى لهذا الحديث][24].

قال المسعودي: في نصّ ابن حجر المطوّل بعض التصحيفات في الطبعة المنشورة غير محقّقة ومن هذه التصحيفات ما ورد في نصّ ابن قانع في «معجم الصحابة» عن عبيد الله بن علي الخواص وقد ساق نسب عبيدالله بن محمد.... ابن عبيد بن غزية بن جشم فعُبيد تصحيف شنيع لعتيبة.

❖ **الرواة عن عبيد الله بن رُماحس:**

ذكر الحافظ ابن حجر اسماء خمسة عشر رجلاً رووا عن ابن رُماحس وهم:

١- الأمير أبو النجم بدر الحمامي مولى المعتضد وهو بدر الكبير كان أمير فارس (ت ٣١١هـ). ٢- أبو القاسم الطبراني سمع منه سنة ٢٧٤هـ. ٣- أحمد ابن اسماعيل بن عاصم. ٤- أبو سعيد بن الاعرابي سمع منه سنة ٢٧٠هـ. ٥- الحسن بن زيد الجعفري سمع منه سنة ٢٨٥هـ. ٦- محمد بن ابراهيم بن عيسى المقدسي. ٧- أبو بكر محمد بن أحمد بن محمويه العسكري. ٨- أبو

الحسين أحمد بن زكريا. ٩- عبيدالله بن علي الخواص. ١٠- أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد. ١١- أحمد بن اسماعيل بن عبيدالله. ١٢- أحمد بن القاسم البزّاز. ١٣- جعفر بن أحمد بن مشكان. ١٤- محمد بن عبدالله الطائي. ١٥- أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن عبيد الشهرزوري[٢٥].

وممّن روى عنه أيضًا: ١٦- محمد بن محمد بن يزداد بن سالم الفقيه[٢٦].

وحديث عبيدالله بن رماحس أورده غير واحد فقد رواه عنه الطبراني وعنده عبيدالله بن رُماحي والصواب رماحس ورواه ابن عبدالبرّ[٢٧].

❖ **سياق نسب ابن رُماحس العُتيبي:** هو أبو محمد عبيدالله بن محمد بن رُماحس بن محمد بن خالد بن حبيب بن حُميد (جُبير) بن قيس بن عمرو بن عبيد (عبدة) بن ناشب بن عتيبة بن غزية بن جشم العتيبي الجشمي القيسي[٢٨] قال الحافظ ابن حجر: (روى حديثه أبو منصور الباوردي في معرفة الصحابة له عن أحمد بن اسماعيل بن عبيدالله بن محمد بن رماحس)[٢٩] وممّن ذكر نسب عبيد الله بن محمد بن رماحس ابن الاعرابي (ت ٣٤٠هـ) في كتابه «المعجم» وابن قانع (ت ٣٥١هـ) في «معجم الصحابة» وأبو أحمد الحاكم (ت ٣٧٨هـ) في كتابه «الكنى» وغيرهم وقد ذكره غير واحد مرّ ذكر بعضهم وممّن ذكره:

١- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) ونصّه: (رمادة فلسطين وهي رمادة الرملة يُنسب إليها عبدالله بن رماحس القيسي الرمادي روى عن أبي عمرو زياد بن طارق. روى عنه أبو القاسم الطبراني)[٣٠] قلت صواب عبدالله: عبيدالله.

٢- السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ونصه: (الرمادة: هذه النسبة إلى موضعين احدهما إلى رمادة اليمن قرية بها والثاني منسوب إلى رمادة فلسطين) قال: (وأما من رمادة فلسطين: عبيدالله بن محمد بن رُماحس القيسي الرمادي من أهل رمادة الرملة والرملة من فلسطين روى عن أبي عمرو زياد بن طارق وكان من المعمّرين يعني أبي عمرو أتي عليه مئة وعشرون سنة. روى عن ابن رُماحس

سليمان بن أيوب الطبراني)[٣١].

٣- الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ونصه في ذكر الرّمادة: موضع بفلسطين منه عبيدالله بن رماحس القيسي الرملي)[٣٢].

قال الأحيوي: وللزبيدي نصّ نفيس نادر إلاّ إنه قد شانه التصحيف حول ابن رُماحس قال مستدركًا على الفيروز أبادي: (وممّا يُستدرك عليه: عبدالله بن رماحس القتيبي الرمادي روى عن المعمّر أبي عمرو وزياد بن طارق وعنه الطبراني وقع لنا حديثه عاليًا في العشاريات)[٣٣] وفي هذا النصّ بعض التصحيفات وهي:

١- عبدالله: والصواب عبيد الله.

٢- القتيبي: والصواب العتيبي نسبة إلى قبيلته عتيبة ومن المستبعد جدًّا ان يكون القتيبي تصحيف القيسي والله تعالى أعلم.

٣- المعمرو أبي عمرو وزياد بن طارق. والصواب: المعمر، وأبي عمرو زياد بن طارق فزياد بن طارق هو أبو عمرو وقد كان معمّرًا أخذ عنه عبيدالله بن محمد بن رُماحس حينما كان عمره -أي زياد بن طارق- ١٢٠ عامًا وهذا التصحيف يعني ان المعمّر اسم رجل وهو أبو عمرو وانّ زياد بن طارق اسم رجل آخر وهذا غير صحيح فهما واحد قال المسعودي: وقد اشتهر رماحس جدّ عبيدالله فصار يُنسب إليه والنسبة إليه رماحسي قال السمعاني: (الرُّماحسي: هذه النسبة إلى رماحس والد عبيدالله بن رُماحس القيسي الرُّماحسي من أهل الرملة يروي عن أبي عمرو زياد بن طارق. روى عنه سليمان بن أحمد الطبراني)[٣٤] قلت: رماحس جدّ عبيدالله وليس أباه فهو عبيد الله بن محمد بن رُماحس وأشار إلى هذه النسبة السيوطي[٣٥] (ت ٩١١هـ) ويتبيّن لنا من هذا التحقيق ان عتيبة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن الذي ذكره الكلبي قد اعقب وصارت له ذرية تعرف به وتُنسب إليه وانه أصل قبيلة عتيبة

المعروفة في زماننا هذا وممّن نسبهم إلى هوازن من المحدثين الباحث الكويتي خالد بن محمد الفرج الدوسري (ت ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م) رحمه الله تعالى في كتابه «الخبر والعيان» وهو في تاريخ نجد وما حولها في العصر الحديث(٣٦) قال الزركلي: (قال صاحب «الخبر والعيان» - مخطوط - وهو من فضلاء المعاصرين من سكان نجد: وقبائل عتيبة المنتشرة اليوم في بوادي الحجاز ونجد والعراق هي هوازن ومساكنها بين الحجاز والعارض وجبل النّير في طريق الحجاز وهو معقلها وحصنها الذي تأوي إليه وهي من أكبر قبائل العرب وبطونها كثيرة أكبرها الرُّوقَة وفيهم الرئاسة في بيت آل ربيعان)(٣٧) والحديث عن قبيلة عتيبة يطول وقد قصرنا هذا البحث على فروع غزية وتحقيق نسب عتيبة بن غزية ولعلنا نعود إلى الحديث عن عتيبة في بحث خاص بهم فهم قبيلة جليلة القدر وصفهم الرحّالة الايرلندي (بيرتون) في رحلته إلى الحجاز سنة ١٢٦٩هـ ١٨٥٣م بقوله: (قبيلة عتيبة أشجع القبائل الحجازية وأكثرها شراسة ويشير أهل المدن إلى رهبتهم من هاؤلاء اللصوص قطّاع الطرق مؤكدين أنهم يشربون من دماء أعدائهم بقصد زيادة قدرتهم على المواجهة أو رفع مستوى شجاعتهم وقد هزّ رفاقي رؤوسهم عندما سألتهم عن الموضوع ودعوا الله ألاّ نحتك بهم فالحديث عنهم نذير شؤم)(٣٨) بل انه بالغ بقوله: (العتيبي وكذالك الحرامي يتذوق دماء أعدائه المتخثرة بعد موتهم عقب انتهاء المعركة)(٣٩) وكل ذالك بسبب بأس قبيلة عتيبة وبطشهم الذي زرع الرعب في قلوب أعدائهم وقلوب أهل القرى والمدن.

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي

الحواشي:

(١) «جمهرة النسب» ص ٣٨٣.
(٢) «تاج العروس» (رسم شن).

(٣) «جمهرة النسب» ص ٣٨٣، «التعليقات والنوادر» حاشية ص ١٦٧٥.

(٤) «الأغاني» ١١ / ٦٢.
(٥) «بلاد العرب» ص ٨.
(٦) «معجم البلدان» (رسم تصلب).

(٧) «التعليقات والنوادر» حاشية ص ١٦٧٥. (٨) «تاج العروس» (رسم انس).

(٩) «التعليقات والنوادر» ص ١٦٧٤ و٩٧٨. (١٠) المصدر السابق ص ١٦٧٥ و٦٨٢- ٦٨٣.

(١١) «جمهرة النسب» ص ٣٢٤. (١٢) «التعليقات والنوادر» ص ١٦٨٢- ١٦٨٣ و٨٧٨ و١٠٠٣.

(١٣) المصدر السابق حاشية ص ١٦٨٣.

(١٤) «جمهرة النسب» حاشية ص ٣٨٣- ٣٨٤. ومن فروع عدي بن جشم بن معاوية: بنو حرام بن عدي قال السكوني: (عريج وهي لحرام بن عدي بن جشم بن معاوية) [«معجم ما استعجم» ٤ / ١٢٣٦] فلعلهم هاؤلاء ثم دخلوا في اخوتهم غزية.

(١٥) «التعليقات والنوادر» ص ١٩٢٣ وحاشية ص ١٧٩٦، «الاصابة» ٣ / ٦١١.

(١٦) «معجم اسماء خيل العرب وفرسانها» ص ١٧٨.

(١٧) المصدر السابق ص ١٧١ وحاشيتها.

(١٨) «صحاح الأخبار في نسب السادة الفاطمية الأخيار» ص ١٤- ١٥.

(١٩) «غاية المرام» ٢ / ٥١٤- ٥١٥. (٢٠) «تاج العروس» (رسم عتب).

(٢١) «لمع الشهاب» ص ٦٣.

(٢٢) «المعجم» ط ١ / ١٤١٨هـ١٩٩٧م. ج ٣ ص ٩٤٩- ٩٥١. وقد اطلعت أخي الكريم عبدالرحمن بن زبن المرشدي العتيبي على هذا النص في مكالمة هاتفية مساء الثلاثاء ٢٩ جمادى الآخرة ١٤١٩هـ وذالك بقصد حفزه لمواصلة أبحاثه التي توقفت منذ زمن وقد كانت سعادته بهذا النص كبيرة للغاية!.

(٢٣) «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ٦. (٢٤) «لسان الميزان» ٤ / ١١٦- ١٢١.

(٢٥) المصدر السابق ٤ / ١١٦ و١١٧ و١١٩ و١٢١، «ميزان الاعتدال» ج ٣ ص ٦.

(٢٦) «تاريخ جرجان» ص ٥٤١- ٥٤٢.

(٢٧) «المعجم الكبير» ٥ / ٢٦٩، «لسان الميزان» ٤ / ١١٨، «عيون الأثر» ٢ / ٢٢٤.

(٢٨) «الإصابة» ١ / حاشية ص ٥٥٧.

(٢٩) «لسان الميزان» ٤ / ١١٩ و١٢٠ «١٢١، «المعجم» ٣ / ٩٤٩، «تاج العروس» (رسم رماحس).

(٣٠) «لسان الميزان» ٤ / ١٢٠.

(٣١) «معجم البلدان» (رسم الرمادة)، «المشترك» (رسم الرمادة).

(٣٢) «الأنساب» (رسم الرمادي)، «اللباب» (رسم الرمادي).

(٣٣) «تاج العروس» (رسم رمد). (٣٤) المصدر السابق (رسم الرماحسي).

(٣٥) «الأنساب» (رسم الرماحسي)، «اللباب» (رسم الرماحسي).

(٣٦) «لبّ اللباب في تحرير الأنساب» (رسم الرماحسي).

(٣٧) «الأعلام» ٢ / ٢٩٨. (٣٨) المصدر السابق ٨ / ١٠١.

(٣٩) «رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز» ج ٣ ص ٢١، وج ٢ ص ٢٢٨.

مواضع في منطقة ظهران الجنوب

- بلاد وادعة -

وادي الغَيْل: بفتح الغين وسكون الياء بعدها لام - والغَيْل - هو الماء الجاري على وجه الأرض وكل موضع فيه ماء من واد ونحوه وفي الحديث «ما سقي بالغَيْلِ فيه العشر وما سقي بالدّلو ففيه نصف العشر»[١].

وهذه التعاريف تنطبق على طبيعة تكوين وادي الغَيْل، الذي يقع شمال مدينة ظهران الجنوب بمسافة خمسة أكيال تقريبًا، ويستمد وادي الغَيْل روافده وشعابه من روافد شتى ابتداء من الحُمْرَة، والأَرْنَب، القحَيْف، آل ثابِت، والدَّارة، والمَحْجَر، وعَار.

ويتحدث كبار السن أنَّ وادي الغَيْل كان يجري فيه الماء معظم أيام السنة لكثرة السيول التي تمده بيد أن قلة سقوط الأمطار وعدم الترشيد في استعمال المياه حيث ازداد إستنزافها لأغراض البيع والبناء والمنازل مما أدى إلى نضوب المياه التي كانت تتدفق فيه على شكل غَيْل حتى جف الوادي، وقد ذكره الحسن الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب» فقال وهو يستعرض بلد وادعة النجدية[٢]: (بقعة وعوذان والثُّويلة، وغيل علي، ووادي عرد وأعلى وادي نجران فإلى جبل شوك فقاضي دين فالزبران فإلى مهجرة فالمَنْضج فغيل عليّ فأقاويات فأرنيب فجلاجل). وقد ورد ذكر الغيل مضافًا إلى علي تارة وإلى المَنْضَج أخرى ففي سياق أرجوزة الحج لأحمد بن عيسى الرداعي يقول[٣]:

ثـم طوت أنجد معرضينا ... طيَّ يد الشحاحة المنينا
تغشى إلى مَهْجَرة الحزونا ... حيث ترى بريدها رهينا

وقال الهمداني في شرحه: معرضين موضع في بلد وادعة ومهجرة قرية في المنضج ويستطرد الرداعي في قصيدته يقول:

ثم اندهوا خوص المطايا الوُسَّج — إن مضحًاها بغيـل المنضـج

مالـك بالظليـف مـن معـرَّج — فاطَّلبي لوعثـه مـن مخـرج

وقال الهمداني: غيل المنضج غيل عليٍّ من وادعة، المنضج نقيل عظيم، والظليف جبل في رأس المنضج وأوضح الهمداني: أن علي أحد رجال وادعة. انتهى.

وقال القاضي محمد بن علي الأكوع: والمنضج بفتح فسكون وبالمنضج كانت تقف حجاب التابعة لمن أتى من الشمال فيبلغون خبره إلى العاصمة وفيها كانت وقعة للأمير محمد بن أبان الخنفري على معن بن زائدة[٤]. والنقيل - العقبة.

يقول ابن خرداذبة[٥]: المهجرة - قرية كبير تحت عقبة المنضج.

ويقول هاشم بن سعيد النعمي[٦]: (ومن المواضع البارزة أيضًا من بلاد وادعة - المنضج - وهو واد خصب كثير المياه الجارية على سطحه يسمى غيل علي - والمَهْجَرة - قرية قديمة من قرى المنضج من بلاد وادعة).

والذي يسترعي الانتباه تكرار اسم المنضج في النصوص السابقة وهذه التسمية لم نعد نسمعها في منطقة الغيل في وقتنا الحاضر ونستطيع أن نتعرف ونحدد موضع هذه التسمية من خلال استقراء النصوص السابقة خاصة قول الهمداني: مهجرة في رأس المنضج من أرض بني حيف من وادعة وقول الرداعي في قصيدته.

إن مضحاها بغيل المنضج — مالك بالظليف من معرّج

وشرح الهمداني لقصيدة الرداعي حين يقول: غيل المنضج غيل علي من وادعة والمنضج نقيل عظيم، والظليف جبل في رأس المنضج. ويقول: المنضج نقيل عظيم في رأسه جبل الظليف.

وقول ابن خرداذبة: المهجرة تحت عقبة المنضج عند طلحة الملك.

ومن هنا يتأكد أن المنضج هو النقيل أو العقبة التي تحف بالغيل من الشمال

وهي المنطقة الانتقالية بين الغيل والحمرة فعند اجتيازك وأنت متجه نحو الشمال لمرتفع المنضج تكون مباشرة في الحمرة.

وعلى ضفاف وادي الغيل وعلى سهله الخصيب تنتشر القرى والمزارع والبساتين ويشتهر الغيل بتربته الخصبة ويمتاز بإنتاج الحبوب وخاصة القمح البر العالي الجودة، ويضربون به المثل فيقولون بُرّ ولا بُرّ الْغَيْل وذلك لجودته.

ويستمد وادي الْغَيْل منظومة روافده الأساسية من المرتفعات الشمالية والغربية للحُمْرَة ومن المرتفعات الشمالية الغربية لبلاد وادعة، ولعل أبرز روافده الأساسية هي: وادي الحُمْرَة، وادي الأَرْنب (آل ثَابت)، اليَصَادَيْن، المَحْجَر، الدَّارَة، شعب آل فَرْوَان، وادي عَار، وادي الْمَبْرَح وسوف نتحدث بالتفصيل عن هذه الأودية والشعاب.

وادي الحُمْرَة: - بضم الحاء وسكون الميم وفتح الراء بعدها تاء مربوطة - يقع شمال مدينة ظهران الجنوب يبعد عنها مسافة خمسة عشر كيلاً تقريبًا.

تبدأ شعابه من المُخْتَلَف والعَيَن ناحية الشرق ومن الشمال الهَجْلَة وقَعْمَة القَلْح - ومن الغرب الشَّوَاقِب كل هذه المنظومة من الشعاب تصب في صعيد الحُمْرَة ثم تتحد جميعها مع وادي جَلاَجِل - فيما يسمى بوادي (ثلاث) والذي ينحدر ناحية الجنوب الشرقي عبر منطقة صخرية ضيقة متعرجة حتى يصب في منطقة واسعة يلتقي فيها بوادي أُمْ الذِّبان - عند الشَّكْوَة - تسمى الأَفْياض -.

ويرفد وادي الحُمْرَة - وادي أُمْ الذِّبَان - الذي تبدأ شعابه من الدَّخَاس غربًا ويمتد وادي أُمْ الذِّبَان حتى يلتقي بشعاب المدْرَاج، والحَنَكَة، وتتحد كل هذه الأودية والشعاب في منطقة الأفْيَاض - لتشكل ما يسمى بوادي الحمرة الذي يمتد نحو الجنوب ما بين غَثث شرقًا ورِدُوْم القَو وهضبة عبيد غربًا، مخترقًا الطَّلْحَة حتى يلتقي مع وادي القَو، عند مَهْجَرَة، أمام الغَالة.

ويعد وادي القَو، من الروافد الأساسية لوادي الحُمْرَة ويبدأ من رِدُوْم القَو،

وجبال القَرِي، ويمتد نحو الجنوب ليلتقي بوادي اليَصَادَين في أعلى الطَّلْحة، ثم ينحني ناحية الشرق مخترقًا الجزء الجنوبي الغربي للطَّلْحَة ليستدير معها الوادي نحو الجنوب حتى يلتقي بوادي الحُمْرة عند مَهْجَرة أمام الغَالة لتشكل ما يسمى بوادي الغَيْل حيث تلتقي مع بقية أودية الغَيْل عند طرف الذِّراع في أعلى وادي الضَّيْق.

اليَصَادَيْن: بفتح الياء والصاد والألف والدال وسكون الياء بعدها نون وادي يقع شمال مدينة ظهران الجنوب حيث يبدأ من جبال الخِلِيْق شمال وادي الُمقطَّر والأَرْنَب وينحدر نحو الجنوب الشرقي حيث تقع قرية اليَصَادَيْن على ضفته الغربية ويلتقي بوادي الْقَو في أعلى الطَّلْحَة لتتحد جميعها جهة الجنوب الشرقي لتشكل ما يسمى بوادي الْغَيْل.

وادي الأرْنَب (آل ثابت): بفتح الألف وسكون الراء وفتح النون بعدها باء ويسمونه حالياً آل ثَابِتْ والقُحَيْف، يقع شمال مدينة ظهران الجنوب ويبعد عنها مسافة خمسة أكيال.

ورد ذكره في أرجوزة الحج للرداعي (أُرَيْنِب) ولا أدري هل هو تصغير أم تصحيف، قال الرداعي:

تجشم من أرينب المجشوما ومن ذوات المَبْرِحِ الحزوما(٧)

قال الهمداني: (أُرَيْنِب في بلد وادعة النجدية ومن أحوازه أَقَاوِيَات وشَثَاث ورِيَة والطَّلْحَة وكل هذه المواضع في بلد وادعة من همدان وهي من أحواز أُرَيْنِب)(٨).

ووادي الأرنب: يبدأ من المرتفعات الشمالية الغربية من الغرب جبل الرمَيْح ومن الشمال جبال التَّوَالِبَة والسُّبَح والدَّخَاس وتنحدر شعاب غَرَابَة والمَهَازِم وزِقَاق اللَّيْل وشعاب الرِّمَيْح نحو الشرق لتشكل ما يسمى بوادي الأَرْنَب، القحَيْف، آل ثَابِت، ويرفده من الشمال شعاب الدَّخَاس والأجْوَاء والتي تتجمع في الْفَاجَة، ومن الجنوب شعاب شَرْيَة التي تأتي من ناحية شَاجِنْ ويتسع

عرض الوادي في أعلاه وتكثر فيه أشجار الطلح والأثب.

ووادي الزِّبْيَة من أهم روافده وهذا يبدأ من الْعَقَبَة شمال بلاد وادعة وينحدر ما بين الأرنب من الشمال والدَّارَة من الجنوب حيث يرفده من الجنوب شعب الْخَضَارة، ويمتد وادي الزبْيَة نحو الشرق ما بين جبلي أبو سَدْ من الشمال وأبو مَحَانذ من الجنوب مخترقًا منطقة مستوية تكثر فيها المزارع والآبار حتى يلتقي مع وادي الأَرْنَب عند بِئْر المَقْطع.

ويرفد الأَرْنَب من الشمال أيضًا شعب المقَطَّر والذي يبدأ من جنوب الْيَصَادَيْن وينحدر ناحية الجنوب حتى يلتقي بالأرنب عند بِئرِ المَقْطَع، ويواصل الوادي انحداره ما بين جبال أبو سَدْ وعَجْلاَن والمَسْقَى وثَبْو من الجنوب وجبال الخَيَالات والمِسْرَاح والحَلَقة حيث ينحني الوادي قليلاً نحو الجنوب ليخترق القرية التي تنتشر بيوتها ومزارعها على ضفتيه وتكثر فيها المزارع الخصبة الصالحة للزراعة ويوجد بها مدرسة بنين.

وترفده شعاب سَعَد وأبو ضَرْ وجَبْر من الجنوب وهي تلتقي به عند القرية ويواصل الوادي انحداره نحو الجنوب الشرقي مخترقًا منطقة السَّاحَة والتي يوجد بها مزارع، ويرفده فيها شعب مَسْعُود من الجنوب ويجتاز الوادي الجسر الذي أقيم عليه لطريق ظهران الجنوب إلى خميس مشيط، وفي منطقة المَعْلَف يلتقي مع بقية الأَودية لتشكل جميعها ما يسمى بوادي الغَيْل.

المَحْجَر: شعب المَحْجَر بفتح الميم وسكون الحاء وفتح الجيم بعدها راء، يقع شمال مدينة ظهران الجنوب يبعد عنها مسافة أربعة أكيال ونصف، يبدأ من رهوة الدارة وشعب المعزبة وشعب الميرادة من الجنوب، وينحدر نحو الشرق مخترقًا عجمة المحجر يرفده من الشمال شعاب أبو علبة وأبو ضراء وشعاب الثورين وابن سعدى والرفيق والذئب وعياش، ومن الجنوب يرفده شعاب القنة الحمراء وشوك والميفاع وآل محمد والمكملة، ويمتد انحداره نحو الشرق

حتى يلتقي بشعب النامة وشعب مسعود اللذين يأتيان من الشمال وذالك لتصب جميعها في الرحبة وفي أسفل الرحبة يلتقي مع وادي شعب آل فروان عند الجسر المنصوب على الوادي للطريق المؤدية إلى ظهران الجنوب.

الدَّارَة: شعب آل فَرْوَان، والدَّارَة، بتشديد الدال وفتح الألف والرا بعدها تاء مربوطة. يقع شمال مدينة ظهران الجنوب يبعد عنها مسافة أربعة أكيال، تبدأ الدارة من المرتفعات الشمالية الغربية لبلاد وادعة المصالية لريَه من جبال الجَايف والرُّمَيْح والوَاضِح والحَقْبَاء، وتنحدر نحو الجنوب الشرقي وهي تشكل الرافد الأساسي لشعب آل فَرْوَان ويرفدها من الغرب شعب المَنْثَل وشعب الشَقْفَاء من الجنوب الغربي وينحدر الوادي نحو الجنوب الشرقي عبر عَقْلَة الدَّارَة وبَاقم والخَرَار والمَلَحَة، وتلتقي الدَّارَة مع شعبي المَسْوَح من الجنوب والعِجَام والمِجْفَاع، اللذان يرفدانها من الشمال في أعلى المصَبَّح عند جبل الخيالة حيث أقيم سد وادي آل فروان وينحدر الوادي نحو الجنوب الشرقي ما بين وادي عَار والمَحْجَر، حيث يرفده من الجنوب شعَاب رِيْمَة، وشعاب الخَرْقَة والطّلْحَة ومن الشمال شعب آل محمد والرِّدَاة حيث يخترق قرية آل فروان ويمتد حتى يلتقي بوادي المَحْجَر عند الجسر المنصوب على الوادي للطريق المؤدية لظهران الجنوب ثم تلتقي بوادي الأرْنَب عند قرية المعلف لتشكل جميعها ما يسمى بوادي الغيل.

وادي عَار: - بفتح العين والألف بعدها راء - يقع شمال مدينة ظهران الجنوب ويبعد عنها مسافة ثلاثة أكيال تقريبًا وهو أحد الروافد الأساسية لوادي الغَيْل يبدأ من المرتفعات الشمالية الغربية لبلاد وادعة حيث يبدأ شعب عَار الكبير من الغرب ناحية جبل أم الجَثَاء وشعب عار الصغير من الجنوب وشعب قَنَّة الحَيْثَرَان، وينحدر الوادي ناحية الشرق ما بين وادي الدَّارَة من الشمال ومُكْحَلة وفَرْعَة، من الجنوب ويرفده شعاب كَرْبَة العَوْسَج وشعب الغَوِيْر، وشعب العَرفَج، ومن الشمال شعاب المُسوَّح، وبَوَّال، ويواصل الوادي انحداره

نحو الشرق مخترقًا الطريق العام ما بين الغَيْل وظهران الجنوب حيث أُقيم عليه جسر ناحية بئر مِفرِّج، ويمتد وادي عَار حتى يلتقي عند الجلَّة بوادي المَحْجَر الجنوبي الذي تبدأ شعابه من الشرق والجنوب من شمال جبل شَثَاث، شعب الطَّلْح وشرق شَثَاث شعب الطُّحْل، والشعب الأحمر والشعب الأعْوَج وتنحدر نحو الشمال الشرقي لتشكل ما يسمى بوادي المَحْجَر الجنوبي ويفصله عن المَبْرَح جبال عَثيْث ويمتد حتى يلتقي بوادي عَار عند الجلَة، وفي أعلى قرية آل كُعْبَان يلتقي مع وادي القَهرَة، الذي يأتيه من الجنوب وتتحد وتمتد نحو الشرق مخترقة منطقة جنوب الغَيْل، ابتداء بقرية آل كُعْبَان، وطَرَف الذِّرَاع، حيث تلتقي هناك مع بقية أودية الغَيْل في أعلى وادي الضَّيْق.

وادي المَبْرَح: - بفتح الميم وسكون الباء وفتح الراء بعدها حاء ورد ذكره في أرجوزة الحجِ لأحمد بن عيسى الرداعي، قال:

تجشم من أرينب المجشوما	ومن ذوات المَبْرح الحزوما(٩)

يقع المَبْرَح شرق مدينة ظهران الجنوب يبعد عنها مسافة سبعة أكيال وبالتحديد ما بين قَاوِيَة من الجنوب والغَيْل من الشمال والمَبْرَح في أعلاه أرض منبسطة ومستوية تتخللها المزارع والتلال، والشعاب التي تشكل ما يسمى بوادي المَبْرَح والذي ينحدر ناحية الشمال الشرقي ويدخل منطقة ضيقة متعرجة ما بين جبلي الحُمَر من الشرق وعَفَيْف من الغرب حيث كان يوجد نبع ماء تحف به أشجار النخيل وعلى جانبه الغربي بعض الآثار المرسومة بالصخور، ويتعرج الوادي في انحداره نحو الشمال ما بين الشرق والغرب ثم يدخل منطقة واسعة حيث يرفده من الجنوب الشرقي شعاب الحُمَر والهَزار والخَيَالة ويفصله عن وادي عار جبال الحَبيْل وعند قرية طرف الذِّراع ينحني الوادي ناحية الشرق ليلتقي مع وادي عَار وبقية أودية الغَيْل في أعلى وادي الضَّيْق.

وكما أشرنا إلى أنه عند قرية طَرَف الذِّرَاع تلتقي كافة أودية وادي الغَيْل

لتتحد جميعها وهي منطقة ضيقة بين الجبال تسمى الضَّيْق تكثر فيها أشجار الأثل تبدأ من نهاية طَرَف الذِّرَاع وتنتهي في أعلى قرية المَلْحَة ويتعرج الضَّيْق ما بين الجنوب والشرق وترفده عدة شعاب فمن الشمال شعاب مَابِر ومن الجنوب شعاب الوَشَل والعَوَيْسِي ولَصَف ويمتد وادي الغَيْل نحو الشرق حتى يلتقي مع وادي العَرِيْن[١٠] إلى الغرب من قرية الخَانِق بنحو أربعة أكيال ويتجهان إلى الشرق باسم وادي صَيْحَان ويستقبل وادي صَيْحَان روافد من الشمال ومن الجنوب أهمها وادي حَلال الذي يسيل أحد روافده وادي العَرْج الجنوبي من نفس منطقة ظهران الجنوب ويلتقي وادي حلال بوادي صَيْحَان عند قرية المَجْمَع وبعد اجتيازه قرية المَجْمَع يتجه الوادي نحو الشمال الشرقي حتى وادي حُبُونا ويلتقي رافداً قادماً من الغرب هو وادي الحَبَابَة وواد من الشمال هو وادي ترِيْمَة ومن الجنوب يتصل به عدد من الروافد منها وادي غَرْب وروافده وادي عِرْقَان ووادي نَعْمَان . وبعد هذا يتجه وادي حُبُونَا نحو الشرق ويدخل منطقة رمال الرُّبْع الخَالِي ويستمر في مجراه نحو الشمال الشرقي حتى ينتهي عند خط طول (٠٠َ / ٤٥ْ) شرقًا .

محمد بن مهاوش بن مسفر الوادعي

ظهران الجنوب

الحواشي :

(١) «لسان العرب» لابن منظور مادة غَيْل و«المعجم الوسيط» و«معجم البلدان» .

(٢) ص ٢٥٠ . (٣) – ص ٤٢٠ . (٤) المرجع السابق ص ٩٩ الحاشية تحقيق محمد بن علي الأكوع .

(٥) «المسالك والممالك» لابن خرداذبة ص ١١٩ . (٦) مجلة «العرب» س ٢٧ ص ٦٠٤ .

(٧) «صفة جزيرة العرب» للحسن الهمداني ص ٤٥٥ .

(٨) «صفة جزيرة العرب» للحسن الهمداني ص ٢٥٠ - ٤٢١ .

(٩) «صفة جزيرة العرب» للحسن الهمداني ص ٤٥٥ .

(١٠) انظر جيولوجية وجيومورفولوجية المملكة العربية السعودية أشكال سطح الأرض للدكتور / عبدالله الوليعي ص ٢٥٢ .

«أنساب الأشراف» للبلاذري

[القسم السابع - الجزء الأول - تحقيق الدكتور رمزي بعلبكي سنة ١٤١٧هـ (١٩٩٧م)]

(٧)

حاولت في هذه الملاحظات إبداء ما اتضح لي من كلمات وردت في المطبوعة لا تتفق مع ما ورد في المخطوطة (ط) التي تمنيت أن تكون أصل المحقق الكريم، ولم أتجاوز ذالك إلى كلمات أخرى وقعت في المطبوعة، وفي تلك المخطوطة، مما لم يتضح لي وجه صوابه.

١- ص٨: (فقال عبدالله بن الزُّبير الأسدي) وعلى الزاي ضمة، وفي المخطوطة مفتوحة وهو الصواب، كما هو معروف من ترجمة هذا الشاعر، وليس من آل الزبير القرشيين. ولن أُعْنَى - مستقبلاً - بذكر ما هو من هذا القبيل.

٢- ص٩: (فنادى بهم الناس) والصواب: (فَتَأَذَّى بهم الناس) كما في المخطوطة وكما هو مفهوم من سياق الكلام.

٣- ص١٠: (وهو صَنَمٌ له) والصواب: (وهو صنم لَهُم).

٤- ص١٠: (لئن أخذ المِرْبَاعَ منكم) وفي المخطوطة (لئن كان أخذ المرباع منكم).

٥- ص١١: (وقد حُمِلَتْ على جمل ثَقالِ) كلمة (ثَقال) في المخطوطة بالفاء لا بالقاف (ثِفَال) وهو البطيء من الإبل وغيرها، وفيها تحت الثاء كسرة، ولكنه ضبط في «القاموس» بالفتح وقد تكررت هذه الكلمة (ص١٢١).

٦- ص١٩: (عِمران بن الفَصيل ويكنى أبا الهُذيل) وتكرر في المخطوطة (الفضيل) وقد أشار المحقق إلى هذا، ولكن تكرره أربع مرات يحمل على التوقف عنده، ولعل مما يستأنس لصحة ما ورد في المخطوطة أنه وقع في كتاب «تبصير المنتبه» - ص١٠٨١ - عند ذكر الفَصِيل - بكسر الصاد المهملة - ما نصه: (وهيَّاج بن عِمران بن الفَصِيل البرجمي) انتهى. والفصيل عند البلاذري

من البراجم.

٧- ص٢٤ : (حُـمَـيْـد أتانا. البـيـت) لا يسـتـقـيم الوزن، ولعل وقـوع كلمـة (حُمَيْد) تطبيع - أي خطأ مطبعي -.

٨- ص٤١ : (ولعيـاله إن كـثـروا علي؟) وفي المـخطوطة (ولعـيـالٍ) وهو صحيح كما يفهم من السياق.

٩- ص٤٢ : (فلمـا أتى بلادهم نذر بـه عنكبـة بـن الحـارث). (عنكبـة) هنا كما في المخطوطة (عُتَيْبَة) وعُتَيْبَة هذا من فرسان بني يربوع ومشاهيرهم في الجاهلية، وهو عتيبة بن الحارث بن شهاب، وقد تكرر الخطأ في الفهرس.

١٠- ص٤٤ : (ربيـعة بن جَـحْدَر أبو السـامـعة) والصـواب : (المـسـامـعة) واحدهم مِسْمع، وهم بنو مسمع الوارد ذكرهم في الصفحة الـ(١٤٣).

١١- ص٤٦ : (صَلاءة الحارثي حين أسره ابن أُبَيْر التميمي وهو عصمة بن أُبَيْـر) وفي المخطوطة (التيمي) وهو الصـواب، كما في «العقد الفريد» - ج٦ ص٨٣- ط. دار الكتب العلمية في بيروت. و(المأسور) عبد يغوث الحارثي صاحب القصيدة التي يقول فيها :

أقـول وقـد شَـدُّوا لسـاني بنسعـة　　　أَمَعْشَرَ (تَيْمٍ) أطلقوا عن لسانيا

١٢- ص٥٧ : (والله لا تنقـشـع أو تـصـيـبـه بشـؤبـوب) وفي المـخـطوطة (لا تَقَشَّع) ليتفق مع الشعر، وكما ورد في (ص ٨٧) الخبر تامًّا.

١٣- ص٦٣ : (فاجتباها الكرام وعاج عنها اللئام). وفي المخطوطة (خاع) ولها معنى، فالخُوَاع هو التَّحَيُّر، فكأنهم تحيروا عن الزواج بها.

١٤- ص٧١ : (أحين دنونا من إجام البطائح) وفي المخطوطة (آجام) وهو الصواب كما يفهم من معنى هذه الكلمة.

١٥- ص٧٩ : (املأوا سطحي وإلا رمـيـتُكم سَلحي) وهو في المـخطوطة (بسلحي) فما قبل اللاَّمِ أربعة أسنان.

١٦- ص٧٩ : (وما أنا بالواثق بغفلتها وهي تَغْمِز) وفي المخطوطة (بِعَفَلتها) وتحت العين علامة الإهمال، والعَفَلَةُ بظارة المرأة، وهي المناسب هنا.

١٧- ص١١١ : (تحفَّزَ وتحرَّك يريد أنه يوسع له) وفي المخطوطة (يُرِيه) وهي المناسب للسياق.

١٨- ص١٣٢ : (ومر الأحنف وهو يريد معاوية بأهل خَواءٍ فيهم زُفَر) وفي المخطوطة (حِواء) بالحاء وهو الصواب، فَالْحِواء - بالكسر - أخبية يتدانى بعضها من بعض تقول: هم أهل حِواء واحد، والعرب تقول لمجتمع بيوت الحي مُحْتَوَى ومَحْوَى وحِوَاءْ والجمع أَحْوِية ومحاوٍ - «لسان العرب» - (حَوَا).

١٩- ص١٣٢ : (فيمَ ذا تقول أنا منكم) وفي المخطوطة (فبماذا تقول أنا منكم).

٢٠- ص١٣٣ : قوله في الزُّبير : (جمع بين عارَيْن ثم هو على أن يلحق بأهله) وفي المخطوطة (غَارَيْن) وفي «اللسان» رسم (غور) : وفي حديث علي: قال يوم الجمل: ما ظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين؟ أي الجيشين، قال ابن الأثير: هكذا أخرجه أبو موسى في الغين، والواو، وذكره الهرويُّ في الغين والياء، وذكر حديث الأحنف وقوله في الزبير رضي الله عنه. وهو بضم الزاي لا بفتحها.

٢١- ص١٣٤ : (خرج زياد بن عمر بن الأشرف) وتكرر هذا في (ص١٣٥) وهو في المخطوطة (زياد بن عمرو) وهو الصواب كما يفهم مما ورد في «تاريخ ابن جرير» ج٦ ص٩٥.

٢٢- ص١٤١ : (كذبتُ إذا ما أمسكتْ بطنُ حاملٍ) وفي المخطوطة: (كذبت إذَنْ أمْسَكْتُ).

٢٣- ص١٤٥ : (وأمره أبو موسى أن يُغرق خيلاً في بني تميم) والصواب كما في المخطوطة: (أن يُفرِّق).

٢٤- ص١٤٥ : (وقد أغار بنو سعد على عبد القيس يَغْزُون قَوٍّ) والصواب كما في المخطوطة (على عبد القيس بِفُرُوْقِ قَوٍّ) وفَرُوْقُ قَوٍّ : وادٍ غرب منطقة الأَحْسَاءِ، لا يزال معروفًا، وإغارة بني سعد على عبد القيس في هذا الموضع معروفة.

٢٥- ص١٦١ : (وقعت الحرب بين بَهْدَلة وبني عبشمس) والصواب كما في المخطوطة : (بين بني بَهْدَلَة وبني عَبْشَمْس).

٢٦- ص١٦٢ : (وبسبب قتله تحارب عَبْشَمْس وبنو بهدلة) وفي المخطوطة : (تحارب بنو عَبْشَمْس).

٢٧- ص١٦٢ : (في بائس جاء يجدُوْ آخر الناس). وفي المخطوطة (يَحْدُو) وتحت الحاء علامة الإهمال.

٢٨- ص٢٠٢ : (ومن بني شيبان بن كعب) والصواب : (شَيْبَان بن مالك بن كعب) كما تقدم (ص٩٦).

٢٩- ص٢٠٢ : (من بني مالك) والصواب كما في المخطوطة (ومن بني مالك).

٣٠- ص٢٢٦ : (ألا لا يُبعد اللهُ بدرًا) وفي المخطوطة : (ألا لاَ يبعدَنَّ الله بدرًا) ولكن النون وضعت فوق الدال صغيرة، وفوقها شَدَّةٌ، فالكلمة كما توقع المحقق الكريم.

٣١- ص٢٢٩ : (وهم ينزلون عند منازل نَهْشَل) وفي المخطوطة : (بني نَهْشَل).

٣٢- ص٢٣٥ : (عبدالله بن رؤيبة) وفي المخطوطة تكررت الكلمة بدون وضع همزة فوق الواو (رُوَيْبَة) ويؤيد هذا ما ورد في «تاج العروس» في رسم (راب) بدون همز، ورويبة أبو بطن، وهو رويبة بن عامر بن العصبة بن امرئ القيس بن زيد مناة من بني تميم أعقب، ومن ولده عبدالله، وسنان وعمرو، وعمارة بن رويبة له صحبة.

٣٣- ص٢٤١ : (ما عُدْن إلاّ زادهُنَّ سَبْقا) وفي المخطوطة : (إلاَّ زادهن سَيقًا).

٣٤- ص٢٥٥ : (عليهم من الصُّبح الدِّلاصُ المسرَّدُ) وفي المخطوطة كانت (من) فَأُصْلِحَت بخط كاتب الأصل (مَع).

٣٥- ص٢٥٧ : (ومنهم القَشْراء بن يزيد بن صُبَيْح) وفي المخطوطة: (القَشْر).

٣٦- ص٢٦٣ : (ما أُبَالي أمرأةً رأيتُ أم جِدارًا) وفي المخطوطة : (أَإمْرَأة).

٣٧- ص٢٧٠ : (لا تنال الأرضُ من زُهمك إلا يسيرا) وفي المخطوطة (وهمك) كما في النسخة المنقولة عنها (س).

٣٨- ص٢٨٦ : (أفلا تختال كما تختال الناس؟) وفي المخطوطة (أفلا تحتال) وتحت الحاء علامة الإهمال، وهذا أَلْيَق بسياق الكلام.

٣٩- ص٣٠٠ : (وذكروا أن رالان بن مازن قتل جدّته) وفي المخطوطة (حَدِّيَّة) ولا أدري ما هو الصواب.

٤٠- ص٣٠٦ : (وقد قدّره الله عليك) والصواب كما في المخطوطة (وقَدَرٌ قَدَّرَه الله).

٤١- ص٣١٨ : (فرضيت به بنو تميم وأمّنه بكر) وفي المخطوطة (وأتته بكر).

٤٢- ص٣٣١ : (لستُ بكذّابٍ ولا أثّامٍ ولا عَبَام ولا مِصْرام)

الصواب كما في المخطوطة : (ولا عبام لاَ ولاَ مِصْرَام) ليستقيم الوزن.

٤٣- ص٣٤١ : (وولده يعانون بذلك) وفي المخطوطة (وولده يُعَابُوْن بذالك) وهو المناسب للسياق.

٤٤- ص٣٤٨ : (كان في حِجَّة خديجة بنت خويلد فأسلم) وفي المخطوطة : (كان في حِجْر) وهو الصواب كما يفهم من السياق.

٤٥- ص٣٦٤ : (واعلموا أن محادثة النساء شُعْبَة من الزِّناء) لا أدري لم أُثْبِتت الهمزة في الكلمة الأخيرة، والكلمة مقصورة كما هو معروف.

٤٦- ص٣٧٦ : (عدةُ الكريم مهنَّأة التعجيل) الصواب كما في المخطوطة (بالتعجيل).

٤٧- ص٤٠٩ : (وقتال بن يربوع وأمُّه مُزَيْنَة) وفي المخطوطة (مُزَنيَّة) وهذا يتفق مع ما في «جمهرة النسب» كما أشار المحقق إلى هذا.

٤٨- ص٤١٢ : (وكان النُّعْمَان قصيراً قبيح الوجه ذميماً) وفي المخطوطة (دَمِيْمًا) ومعروف أن (الدَّمِيْم) بالدال المهملة - القبيحُ خِلْقَةً، و(الذَّمِيْم) بِالْذَّال السَّيِّءُ خُلُقًا.

٤٩- ص٤١٥ : (منظور بن أَبان) لم تتضح كلمة (أَبَان) في المخطوطة، لأنها آخر الصفحة التي أصابها بَلَل، ولكن المعروف (ابن زَبَّان) بالزاي، وهو الذي قال فيه الشاعر :

أمَّا بنوه فلم تُقْبَل شفاعتهم وشُفِّعَتْ بنتُ منظور بن زَبَّانا

والقول للفرزدق في عبدالله بن الزبير، انظر «ديوانه» - ص٨٧٣ - طبعة الصاوي.

٥٠- ص٤٣١ : (قيس بن زَحْل) في المخطوطة (رحل) وتكرر (ص٤٦٧) وفي الموضعين تحت الحاء علامة الإهمال.

٥١- ص٤٤١ : (تجدن ابْنَك ذا قَدافِ) في المخطوطة (لتجدنَّ ابنك ذا قداف) وبه يستقيم الوزن، وكلمة (قداف) الدال مهملة، ولكن المعروف (قذاف) بالذال المعجمة وانظر «لسان العرب» رسم (قذف) فالنصوص فيه كثيرة.

٥٢- ص٤٥١ : (وكُلاً أَتَاه وخيمًا وَبيلا) وفي المخطوطة (وَكُلاً آراه) إلى آخره، ولعله الصواب.

٥٣- ص٤٦٨ : (ووُضِعَت على بابه الرُّهُن) والصواب (على يديه) كما في المخطوطة.

حمد الجاسر

تباريـــح

تعلمتُ أنمـاطَ الحـيـاة كـثـيـرةً ... تناغي ذوي الألبـاب بالهَـزْل والجِـدّ

متى اشـتـد منها جـانـبٌ لانَ جـانـبٌ ... به تـتـسـاوى جـفـوة الـسـهـو بالعَـمْـد

ألا فـارْبَعي أيَّامَ صَـفْـوي فـإنني ... أتيْـهُ اشـتـيـاقَ الزنـدِ يلْتَصُ بالزَّنْد

أكـفكف من ذكـرى الـتـواصل أدمـعي ... ويهفُو - خَفِيَّ الشَّكْوِ - قلبي إلى الشـهد

إذا العُـصْمُ في شُم الجـبـال تَـدَرَّمَتْ ... مناسـمـهـا منْ حَـسِّـهـا شُعَبَ الصَّلْد

وكزَّتْ[1] خطاها كي تُرِيْشَ ظُلُوفَهَا ... على رِسْلِها تختال في نَشْوَةِ الْمَلْد[2]

مـتى رابَهَـا مـا تَـتَّـقي إثْرَ شَـمِّـه ... رَنَتْ واسْبَطَرَّتْ فوق أرْبَعِـهـا الجُـرْد

تُتَـابِعُ أرْتَالَ القِـفَـازِ كـأنـهـا ... قطًا مُـفْـزَعٌ عن وِرْدِ مَـشْـرَبَةِ الوِرْد

تُنَاغِمُ - أطًّا[3] - خشْفَهَا حين تنتهي ... بها صَرْحَةٌ[4] في غاية النُّجْوِ والبُعْد

فـلا بلغ الآمـالَ مُـدْمِنُ خـمـرةٍ ... ولا مُـتَـوانٍ خـاملُ الأب والجَـد

وكـبْحُ الخُطا عـمـا يَشِـينُ فـضـيلةٌ ... وبعض الأمـاني قـد تُحَصَّلُ بالجَـهْد

ومـا كل شـخـصٍ مُبْصِـرٍ ذو بصـيـرةٍ ... ولا كل من يَهْدِي إلى الرشـدِ مُسْتَهْدِ

عبدالرحمن بن عبدالله آل عبدالكريم

الحواشي :

(١) قاربت. (٢) النعومة والشباب . (٣) بصوت أغنّ خفيض. (٤) متن الأرض المرتفعة.

مع القراء في أسئلتهم وتعليقاتهم:

آل سعيد في الدلم من بني خالد

كتب إلي «العرب» الأخ فهد بن راشد بن عبدالله آل سعيد في مدرسة الحزم في مدينة الخرج كتابًا بتاريخ ٢ / ٢ / ١٤٢١ معلقًا على ما ورد في المجلة ص ٧٩٣ س٢٦ عن أسرته (السعيد) بقلم الأخ محمد بن ناصر الهزاع بما نصه: (اطلعت على ما كتب الأخ محمد بن ناصر الهزاع من أن أسرة السعيد في العذار بمنطقة الدلم من الشبلة من بني خالد. وقد جانب الكاتب الصواب في بعض ما ورد.

والصحيح هو ما سمعته من والدي وكبار السن في أسرتنا عبدالله بن حمد آل سعيد وفهد بن زايد آل سعيد أن أجدادنا وهم راشد وعبدالله وعبدالعزيز وأختهم لطيفة أولاد محمد بن راشد بن سعيد من آل مانع من السيايرة من بني خالد قدموا من (ضرما) في أخر إمارة زيد بن زامل المتوفى سنة ١١٩٧ وقد اقطعهم قبل وفاته بلدة (القصور) و(سوق غريب) من بلد الدلم؛ ولا تزال ذريتهم في أملاكهم إلى اليوم، هذا هو المعلوم المتواتر بين أفراد أسرتنا والمستفيض بين كبار السن من أهل الدلم.

العبودي سكان المذنب من تميم

كتب إلي «العرب» الأخ فيصل بن محمد العبودي إيضاحًا حول نسب أسرته العبودي هذا نصه: (هذا تنبيه وإيضاح لنسب أسرة (العبُودي) بضم الباء دون تشديدها من سكان (المذنب) من القصيم، ينحدر نسبهم من بني العنبر بن عمرو بن تميم، وتسميتهم (العبودي) بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأول واسمه (عبدالله) نزح مع (قويفل وناصر الشايع الخضير) من سدير إلى المذنب فكان ينادى بالألقاب الدارجة على ألسنة الناس (عبُود) وبعضهم يطلق عليه وعلى ذريته (العبودي)، وهذا موجود أيضًا في الوثائق والوصايا لدى أفراد الأسرة، و(قويفل والعبودي وناصر الشايع الخضير) من نسل رجل واحد، وهذا هو المستفيض لدى كبار السن من الأسر الثلاث، وينفون بأن (آل عبودي) هم من (آل عبود - آل عتيق) بأنه كان يقال عنهم قبل ذالك (العبود) دون ياء النسب، وهم من العتيق من النواصر من بني عمرو بن تميم، ولم يكن هناك علاقة نسب ومصاهرة قبل ذالك). أرجو بيان ذالك في منتدى قراء «العرب».

● «القند في ذكر علماء سمرقند» لعمر بن محمد النسفي (٤٦١/ ٥٣٧ هـ):

مدينة (سَمَرْقَنْد) من البلاد الشرقية التي سعدت بالانضواء تحت لواء الإسلام، ولها تاريخ موغل في القدم، مشوب بكثير من الخرافات، كغيرها من المدن القديمة المجهولة التاريخ، إلا أن الشيء الذي لا مِراءَ فيه أنه عُرِفَ منها عدد من العلماء الذين خدموا العلم، وأسهموا في نشر تعاليم الدين الحنيف في تلك البلاد.

ثم بعد أن انفرط عقد الخلافة الإسلامية، وطغت موجات الدعوات القومية والأفكار المنحرفة، غطى كثيراً من شرق البلاد الإسلامية غيابةٌ كثيفة من الإظلام، حتى كادت أن تجهل، إلا أن اتجاه بعض علماء المسلمين في هذا العصر نحو إبراز ما للدين الإسلامي من أثر في إنارة العقول والأفكار، في جميع أقطار العالم، حفز كثيراً من أولئك الباحثين لاستذكار ما جُهِل من البلاد الإسلامية، فكان أن اهتم بعضهم بنشر ما أمكن العثور عليه من المؤلفات عن تلك المدن، ومن ذالك مدينة (سَمَرْقَنْد) التي تصدى لإبراز ما لها من آثار معروفة في خدمة تعاليم الدين الإسلامي نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي (٤٦١ / ٥٣٧هـ) مؤلف كتاب «القند في ذكر علماء سمرقند»، وقد بقي من نسخه المخطوطة ما احتفظت بها بعض خزائن الكتب، وصانتها من عوادي الزمان، فكان أن طبع في المرة الأولى بعناية الأستاذ نظر محمد الفاريابي، وقامت بنشره (مكتبة الكوثر) في الرياض عام ١٤١٢هـ (١٩٩١م) عن مخطوطة محفوظة في (استنبول) في إحدى مكتباتها الفرعية، وهي نسخة ناقصة تمكن الأستاذ الفاريابي من مصورتها بواسطة (المكتبة السليمانية) التي ضمت إليها أكثر المكتبات الخاصة، ولم يأل جهداً في إبراز هذه المطبوعة مع نقصها بخير صورة ممكنة، فقد صدرها بمقدمة، ترجم فيها المؤلف، ذاكراً مؤلفاته، وأتبعها بدراسة للكتاب، معولاً على ما ورد في المؤلفات الأخرى عنه ثم وصف النسخة التي

تنقص من أولها وآخرها. وصدَر الكتابُ يحوي من التراجم عشر تراجم بعد الألف (١٠١٠) أخرها في حرف الكاف ترجمة أبي علي كُرسْم بن محمد بن نمرون. وأتبع بذالك فَهَارس للتراجم وللأحاديث والآثار بحيث بلغت الصفحات اثنين وعشرين وست مئة (٦٢٢).

إلا أن الأستاذ المحقق يوسف الهادي تمكن من العثور على مخطوطة أخرى في (المكتبة الوطنية) في باريس تحوي تراجم الأشخاص الذين تبدأ أسماؤهم بالحروف من الألف إلى الحاء لا توجد في مخطوطة (استنبول)، فصدرت مطبوعته عام ١٤٢٠هـ (١٩٩٩م) بإشراف (مركز نشر التراث المخطوط) في طهران (جمهورية إيران الإسلامية)، وجاء الحلقة الثانية من سلسلة (ميراث ما وراء النهر). وقد تحدث الأستاذ يوسف عن الطبعة الأولى موضحًا أنها غير محققة، وأنها أساءت إلى الكتاب، بسقوط سبع تراجم منها، ذكر أسماء صفحاتها تحمل من الأرقام (٥٥٦) إلى (٥٦٢)، ونبه إلى أخطاء أخرى كثيرة، استغرقت من مقدمته نحو ثلاث صفحات، أتبعها بترجمة مفصلة للمؤلف، مشيراً إلى أن النسفي فاته أن ينبه في بعض الأحاديث التي أوردها إلى ما فيها من ضعف أو اختلاق، ومثل الأستاذ يوسف لذالك، وأشار إلى أن مخطوطة (باريس) ناقصة من الأول والأخر، وقد استفاد من بعض المؤلفات الفارسية، التي رجع بعضها إلى هذا الكتاب، وتحدث بتوسع عن مدينة سمَرْقَنْد ومناقبها، وأنها كانت مركزاً من مراكز العلم، وفيها كان يصنع ورق الكتابة ذو الجودة الفائقة، وبه اشتهرت، وساق أحاديث في فضلها، هي من قبيل أحاديث الفضائل التي يتساهل العلماء في روايتها، وذكر ما مر بها من أدوار، حيث تعاقبت الغزوات التي أدت إلى نهبها، وطرد الكثير من سكانها، حتى جاء الاحتلال الروسي الذي اتسم فيه العهد القيصري بالقتل واستباحة الدماء، فكان على المسلمين أن يتنصروا أو يتركوا أوطانهم، ونهب (الروس) خيرات المنطقة وثرواتها الاقتصادية، وخلال عهد الاستعمار الروسي من عام (١٩١٧ إلى ١٩٩١م) جرى التركيز على تدمير

(أوزبِكِسْتان) وحواضرها، سمرقند، وبخارى وطشقند، وغالبية الأوزبكيين مسلمون سنيون، على المذهب الحنفي، وما حل بهذه البلاد من كوارث الاستعمار الشيوعي يعادل أضعاف ما نزل بها لقرون طويلة، من الغزو والنهب على أيدي شتى الغزاة، فقد دمرت المساجد والمنظمات الدينية وأغلقت المعاهد الدينية، وفرضت الضرائب على المساجد، وحول ألوف منها إلى مواخير ونواد واسطبلات، وحولت (جامعة سمرقند) إلى ناد للملحدين. إلى أخر ما ذكر من الفظائع التي حلت بهذه البلاد الإسلامية، مما ينبغي اتخاذ العبرة مما جرى من تلك الحوادث، ومع ذالك فلا يزال هناك جالية عربية حوالي سمرقند حَيَّةً حتى هذا العصر، وهم أحفاد العرب الذين كانوا يقيمون في تلك البقاع، منذ الفتوحات، وانتشار العلماء العرب وأسرهم فيها، إلا أن الاستعمار الشيوعي عَزَّ عليه وجود هاؤلاء يتكلمون العربية، ويعلمون أبناءَهم لغة القرآن، فاضطهدهم وأخْمَلَ ذكرهم.

ثم انتقل المحقق للحديث عن طريقة تحقيق الكتاب مما فصله تفصيلاً وافيًا.

ثم ابتدأ بالتراجم من إبراهيم بن السري الهروي، واستمر في سردها حتى انتهى بترجمة ميمون بن محمد النسفي وهي الثانية والثلاثون بعد المئتين والألف (١٢٣٢)، وألحق بذالك فهارس الكتاب المفصلة، فيما وقعت المقدمة في أربع وأربعين صفحة، تلتها صفحات متن الكتاب إلى (٧٠٦) ثم الفهارس والمصادر والمراجع إلى (ص ٨٧٧) ثم إضافات باللغة الفارسية بأسماء مؤلفات وآثار لها صلة بالكتاب في ثماني صفحات.

والمحقق الكريم حاول في كل ترجمة أن يضيف إليها ما يُكْملها أو يوضح مشكلها، بحيث لا تخلو صفحة من الصفحات دون إضافات مفصلة عن ذالك، والأسماء المُشْكلَةُ مضبوطة بالحركات، والطباعة حسنة، ولا يتسع المجال لذكر مميزاتها، والأستاذ يوسف ممن عاني عمل التحقيق معاناة مكنته من أداء عمله في هذا الكتاب وفي غيره بصورة مرضية.

٤٢٠ - ٤١٩ع

العرب

مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري

فهرس هذا الجزء

(ج ١١، ١٢ س ٣٥ - الجمادیان، سنة ١٤٢١هـ)

(أيلول، تشرين ١ (سبتمبر، أكتوبر) سنة ٢٠٠٠م)

دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر - الرياض - المملكة العربية السعودية

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ١٧ ريالاً

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

العنوان
حي الورود - شارع حمد الجاسر - هاتف وفاكس ٤٦١٢٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ١١، ١٢ س ٣٥ - الجماديان، سنة ١٤٢١هـ - أيلول، تشرين ١ (سبتمبر، أكتوبر) سنة ٢٠٠٠م

التصحيف في أسماء المواضع الواردة في الأخبار والأشعار

(٣٣)

مَحَاح : (مَجَاح)

قال البكري في «معجم ما استعجم» : (مَحَاح - بفتح أوله وبالحاء المهملة أيضًا في آخره : موضع قد تقدم ذكره في رسم الثلماء) . انتهى وفي رسم الثلماء لم يورد سوى قَوْلِ مُزَاحِم العُقَيْلي :

أَرَى إِبِلِي مَلَّتْ قُسَاسًا وَرَاعَهَا ... مَحَاحٌ بِعَانَاتِ السُّمَّارِ وَنَاعِقِ

وقد ورد في «سيرة ابن هشام» - ص ٤٩١ - : (قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما مَدْلَجَةَ لِقْف ، ثم استبطن بهما مَدْلَجَة مَحَاج ، ويقال : مَجَاج - فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرْجَحَ مَحَاج ، ثم تبطَّن بهما مَرْجَحَ من ذي الغَضَوَيْن ، قال ابن هشام : ويقال العَضَوَيْن ثم تبطَّن ذي كَشْر ، ثم أخذَ بهما على الجَدَاجِد ، ثم على الأجرد ، ثم سلك بهما ذا سَلَمٍ ، من بطن أعداء مَدْلَجَة تعهِّنَ) انتهى .

وفي الأسماء كلها الواردة في «السيرة» تصحيف نَبهْتُ عليه في «العرب» س ١ ص ٥٩٠ - .

ومن ذالك (محاج) و(مجاج) والصواب (مَجَاح) بالميم بعدها جيم معجمة فألف فحاء مهملة .

قال ياقوت في «معجم البلدان» : (وفي حديث الهجرة عن ابن إسحاق : أن

دليلهما جاز بهما مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ثم استبطن بهما مَدْلَجَةَ مَحَاج. كذا ضبطه بفتح الميم وحاء مهملة وآخره جيم قال ابن هشام: ويقال مِجَاج، بجيمين وكسر الميم، والصحيح عندنا فيه غير ما روياه جاء في شعر ذكره الزبير بن بكار وهو مَجَاح، بفتح الميم ثم جيم وآخِرُهُ حاء مهملة، والشعر هو قول محمد بن عروة بن الزبير:

لَعَنَ اللهُ بَطْنَ لِقْفٍ مَسِيْلاً ... وَمجَاحًا ومَا أُحِبُّ مَجَاحَا

لَقِيَتْ نَاقَتِي بِهِ وَبِلِقْفٍ ... بَلَدًا مُجْدِبًا وأرضًا شَحَاحا

وأنا أحسب أن هذه هي رواية ابن إسحاق، وانما انقْلَبَ على كاتب الأصل، فأراد تقديم الجيم فقدم الحاء والله أعلم) انتهى.

ومجَاحُ: وادٍ لا يزال معروفًا، يجتمع مع وادي القَاحَة عند بئر ابن مبيريك، وهناك يلتقيان بوادي النُّخَيْل الذي هو أسفل وَادِي الفُرْع، ثم يتجه الوادي وَهُوَ وَادِي الأبْوَاء، حتى يفيض قرب البَحْر عند بلدة مستورة (ويقع بين خطي الطول: ١٠َ / ٣٩ْ و٤٠َ / ٣٩ْ وبين خطي العرض: ٠٥َ / ٢٣ْ و٢٠َ / ٢٣ْ) ومن روافده مَرْجَحُ والعَصَوانِ مُثَنَّى عَصًا وهو في بلاد بني عمرو من حَرْب.

مُحَقِّقٌ: (مُخَفِّقٌ)

نقل ياقوت في «المعجم» في رسم (العرض) عن نصر، وقال نصر: العرضان واديان باليمامة، وهما عِرْض شَمَام وعِرْض حَجر، فالأول يصب في برك وتلتقي سيولهما بجو في أسفل الخِضْرِمَة فإذا التقيا سميا محققًا، وهو قاع يقطع الرمل به وسيع، وتنهيته عمان). كذا أورد ياقوت كلمة (محقق) بالحاء المهملة والاسم غير مضبوط هنا، ولم أر هذا في كتاب نصر.

وقال في رسم (مخفق): (مُخَفِّق: بضم أوله وثانيه وكسر الفاء ثم قاف هو اسم فَاعِل من خَفَق يخفق فهو مخفق شدّد لكثرة السراب إذَا تَلألأ، أو من الخفق وهو الاضطراب وهو رمل في أسفل الدَّهْنَاء من ديار بني سَعْد، قال الخَطِيْمُ اللِّصُّ:

لَهَا بَيْن ذِي قَار فَرَمْلِ مُخَفِّق ... مِنَ القُفَ أَوْ مِنْ رَمْلِه حِيْنَ أبْرَدَا).

وقال البكري في «معجم ما استعجم»: (مُخَفِّق - بضم أوله وفتح ثانيه وكسر الفاء وتشديدها موضع بديار بني تميم قال سلامة بن جندل:

كَأَنَّ النَّعام بَاضَ فَوْقَ رؤوسهم ... بِنَهْيِ القِذَافِ أو بِنَهْيِ مُخَفِّق

وقال جَرِير:

هَلْ تَبَصَّر النَّقوَيْنِ دُوْن مُخَفِّق ... أم هل بَدَتَ لَكَ بالجُنَيْبةِ دَارُ

وانظره في رسم مطار).

وأورد في رسم مطار قول المُخَبَّل:

أعرفت من سَلْمَى رُسُوم دِيَار ... بالشَّطِ بَيْنَ مُخَفِّق ومطار

فدلك أن مطار تلقاء مخفق. ويروى: (بين مخفق فَصُحَار). انتهى.

لا أستبعد أن ورود الاسم بالحاء المهملة في «معجم البلدان» عرضًا في الكلام على العرض من تحريف الناسخ أو الطابع، مع أنه ورد بهذه الصورة في مخطوطة مكتبة أحمد الثالث باسطنبول المخطوطة في عاشر رمضان سنة ٨٢٧ كما في آخرها.

أما تحديد مكان مُخَفِّق على ما جاء في «معجم البلدان» مع أنه القاع الذي يقطع الرمل، وبه وسيع، وتنهيته عمان. هذا القاع لا يزال معروفًا، ووسيع مَنْهَل عظيم مُدَّت منه أنابيب لإيصال المياه إلى مدينة الرياض، ويقع في شمال هذا القاع في الطرف الجنوبي من سلسلة جبال العَرَمَة، وفي شرق هذا القاع يقع طرف الدهناء حيث يلتقي بنفود هريسان وهذا الطرف رماله ضعيفة، ويخترقه خط السكة الحديد المتجه إلى المنطقة الشرقية، ومنه كانت السيول تجري في مجرى وادي السَّهْبَاء، الذي لا تزال آثاره واضحة، حتى تبلغ رياض حَرَض، بعد مجاوزة الدهناء، فهو يمتد من القاع الذي في أسفل الخرج حتى يتجاوز الدَّهْنَاء، فيشمل الجانب الضعيف من رملها الذي كان مجرى السيول يمر به.

هذا المجرى الذي تعلوه الرمال، وقد تنحسر عنه بتأثير الرياح، ثم الرمال التي حوله، كان في القديم من منازل بني سعد من تميم، وهو وما بقربه من المواضع

وهو الذي تنطبق عليه نصوص المتقدمين في تعريف مُخَفَّق، ولعل هذا الاسم مأخوذ من كون ذالك الموضع عندما تسيل الأودية التي تصل إليه تتشبع أرضه بمياهها التي تختفي تحت الرمال، فتخفق الأقدام وأخفاف الإبل عند السير فيه.

وللتوسع عن هذا الموضع انظر (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي».

مُدَجِّح: (مَرْجِح)

ورد في كتاب نصر في باب: (مَرْحَج ومُدَجّح ومَذْحج): أما بفتح الميم وسكون الراء وحاء مهملة مفتوحة وجيم وقيل الجيم قبل الحاء: موضع باليمن من ديار مراد، وأما بضم الميم وفتح الدال وتشديد الجيم الأولى وكسرها: وادٍ بين مكة والمدينة، زعموا أن دليل رسول الله ﷺ تنكبه لما هاجر إلى المدينة... وأما بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم: أكمة يمانية نسب إليها القبيل من قحطان.

وفي كتاب الحازمي (باب مدجح ومذحج) ونقل نص كلام نصر ولم يزد.

ونقل ياقوت في «معجم البلدان» كلام أبي بكر الهَمَذَاني ويقصد الحازمي بنصه ولم يزد. ومؤلفو سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام من أقدمهم ابن اسحاق الذي وصل تأليفه مُهَذَّبًا من صنع ابن هشام سَمَّى الموضع (مرجح) فقال ما نصه[1] (قال ابن اسحاق: ثم أجاز بهما مَدْلَجَة لَقْف، ثم استبطن بهما مَدْلَجَة محاج، ويقال: مجاج، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرْجِح محاج، ثم تبطن بهما مَرْجِح من ذي الغضوين - قال ابن هشام: ويقال: العضوين - ثم بطن ذي كشر، ثم أخذ بهما على الجداجد، ثم على الأجرد، ثم سلك بهما ذا سلم، من بطن أعداء مدلجة تِعْهِن) انتهى.

وابن سعد في «طبقاته»[2] قال: (وسلك رسول الله ﷺ، في الخرَّار، ثم جاز ثنية المَرِة، ثم سلك لَقْفًا، ثم أجاز مدلجة لقف، ثم استبطن مدلجة مجاج، ثم سلك مَرْجِح مجاج، ثم بطن مرجح، ثم بطن ذات كشد) انتهى.

وابن اسحاق وابن هشام وابن سعد من علماء القرن الثالث الهجري، ومن أقدم من دَوَّنَ سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام، وعليهم المعول في معرفة طريق هجرته، ولم يرد فيما وصل من كلامهم اسم (مدجج) في طريق الهجرة، مما يدل على وهم نصر في ذكره، وتابعه على ذالك الحازمي، وتابع الحازمي ياقوت والصواب ما ذكر ابن اسحاق ومن تابعه، وكما وهم نصر في اسم الموضع فقد وهم في قوله: زعموا أن دليل رسول الله ﷺ تنكبه، وهو لم يتنكبه، بل سلكه كما في نص الرواية المنقولة عن ابن اسحاق وابن سعد، ولم ينبه الحازمي وبعده ياقوت لهذا الوهم.

ولعلهما سميا بذالك، لأن سير الماء الكثير يَرْجِحُ إليهما، أي يميل، ولم أر في كتب اللغة ما يدل على ذالك، ولكن الكلمتين مستعملتان في لهجة السكان هناك إلى الآن.

ومَرْجِحُ مَجَاح رافد من روافده، يقابل مَدْلَجَةَ مجاح، ولا يزال الاسمان معروفين، ومَجَاح وادٍ لا يزال معروفًا، وهو من فروع وادي النّخل، يصب فيه قبل اجتماعه بوادي (القاحة) بما يقرب من خمسة أكيال، قبل (بئر مبيريك) وقد رسم على المصور الجغرافي (I 10 B - أبحاث جيولوجية مختلفة) ولكنه ورد بالنون (نجاح) محرفًا والصواب ما ذكرناه.

وكثير من الأسماء المنقولة عن كتابي «السيرة» و«الطبقات» اعتراها التصحيف والتحريف مما تحدثت عنه في مواضع أخرى عند ذكر تلك الأسماء بما لا داعي لذكره هنا.

(للحديث صلة)

حمد الجاسر

الحواشي:

(١) ج١ ص٤٩١.

(٢) ج١ ص٢٣٢.

اسهام المملكة في نشر التراث وتحقيقه

(٩)

٢- علم الدراية:

وأخرجت حركة الإحياء في المملكة كتبًا تراثية كثيرة في علم الدراية، وهو من أكثر علوم الحديث سعة وتنوعًا. وقد شارك في ذلك المحققون المحليون ودور النشر بالنسبة للكتب المطبوعة، كما أعد طلاب الدراسات العليا رسائلهم في تحقيق هذه الكتب. وإلى جانب ذالك أسهم علماؤنا وباحثونا في التأليف حول قضايا هذا العلم. ويبين الجدول الآتي موازنة بين ما نشر من كتب التراث، وما ألف في العلم من دراسات بعضها مطبوع وبعضها ضمن أعمال طلاب الدراسات العليا:

الموضوع	الكتب المنشورة			الرسائل العلمية			
	تحقيق	دراسة	مجموع الكتب	تحقيق	دراسة	مجموع الرسائل	المجموع
تاريخ الحديث	٢	١	٣	٠	٥	٥	٨
أصول الحديث ومصطلحه	١٧	٣١	٤٨	٦	٩	١٥	٦٣
مباحث الحديث العامة	١٤	٥٠	٦٤	٣	٥	٨	٧٢
مباحث الاسناد العامة	٤	١٢	١٦	٠	٣	٣	١٩
علم الرجال	٧٣	٣٤	١٠٧	٢٢	١٩	٤١	١٤٨
شروط التحمل والأداء	٣	٨	١١	٠	٠	٠	١١
المجموع	١١٣	١٣٦	٢٤٩	٣١	٤١	٧٢	٣٢١

المؤلفات الحديثية في علم الدراية

إن المتأمل في الجدول السابق يلاحظ ما يلي:

١- أن الكتب المنشورة والمحققة تفوق الرسائل العلمية عدداً في هذا المجال فهي أكثر من ٧٧٪ من إجمالي المؤلفات في حقول هذا العام.

٢- أن علم الرجال يستأثر بأكبر قدر من الاهتمام سواء في الكتب المنشورة أو في رسائل طلاب الدراسات العليا فمجموع الكتب التي تنتمي إلى هذا الحقل تمثل ٤٦٪ من مجموع المؤلفات في علم الدراية بشقيها المطبوع والرسائل العلمية. ويمثل الجدول الآتي أهم فروع علم الرجال والمؤلفات التي تناولتها سواء بالتحقيق أو التأليف.

الموضوع الفرعي	الكتب المنشورة			الرسائل العلمية			
	تحقيق ونشر	دراسة	مجموع الكتب	تحقيق ونشر	دراسة	مجموع الرسائل	المجموع
علم الجرح والتعديل	٣٥	٢٤	٥٩	٦	٧	١٣	٧٢
الصحابة الرواة	٥	٣	٨	٠	٠	٠	٨
الثقات	٧	٢	٩	٢	٣	٥	١٤
الضعفاء	٥	٢	٧	٨	٣	١١	١٨
معاجم الشيوخ	٧	٠	٧	٢	٠	٢	٩
تراجم الرواة	٤	٢	٦	٢	٦	٨	١٤
الكنى والألقاب	١٠	١	١١	٢	٠	٢	١٣
المجموع	٧٣	٣٤	١٠٧	٢٢	١٩	٤١	١٤٨

المؤلفات في علم الرجال

ويتبين من الجدول السابق أن الكتب المنشورة تفوق تلك التي أعدها طلاب الدراسات العليا في شقي التحقيق والدراسة. فهي تمثل ما يوازي ٧٢٪ من جملة المؤلفات في هذا الحقل. ويعد علم الجرح والتعديل أكثر فروع هذا الحقل اجتذابًا للمحققين والناشرين والدارسين، إذ تمثل الأعمال التي تناولته ما يقارب ٤٩٪ من إجمالي الأعمال التي ألفت في علم الرجال. وتفوق الكتب المنشورة فيه الرسائل العلمية فهي تمثل ما يقارب ٨٢٪ من مؤلفات هذا الموضوع الفرعي. ويزدهر التحقيق ونشر كتب التراث القديم في هذا الفرع إذ نجد هذه الكتب تمثل ٥٩٪ من مجموع المؤلفات المنشورة في هذا الموضوع.

وإذا أردنا تبيُّن ملامح حركة النشر في علم الدراية فإننا يمكن أن نجملها بالآتي:

١ - لقد تهيأ لبعض المكتبات التجارية وخاصة في المدينة المنورة أن تطبع مجموعة من كتب أصول الحديث وعلم الرجال خلال الثمانينيات الهجرية، بفعل النشاط الذي أحدثته الجامعة الإسلامية في منطقة المدينة المنورة تلك الفترة. وهنا يمكن الإشارة بالخصوص إلى مكتبتين توليتا هذه المهمة في هذا الوقت هما:

أ- المكتب العلمية لصاحبها محمد النمنكاني، وقد طبعت جملة كتب منها:

- «تقريب التهذيب» لابن حجر بتحقيق عبدالوهاب عبداللطيف سنة ١٣٨٠هـ.

- «مقدمة ابن الصلاح» بتحقيق نور الدين عتر سنة ١٣٨٦هـ.

ب- المكتبة السلفية، لصاحبها محمد عبدالمحسن اليماني، ومما نشرته:

- «فتح المغيث بشرح ألفية الحديث» للحافظ العراقي، في ثلاثة مجلدات سنة ١٣٨٨هـ.

- «التقييد والإيضاح في شرح مقدمة ابن الصلاح»، لزين الدين العراقي بتحقيق عبدالرحمن محمد عثمان ١٣٨٩هـ.

- «الطبقات» للنسائي سنة ١٣٨٩هـ بتحقيق صبحي البدري.

٢- لعل جامعة الملك سعود أول جامعة سعودية نشرت كتابًا تراثياً في علم الدراية، ذلك هو كتاب «التمييز» للإمام مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)، بتحقيق محمد مصطفى الأعظمي. غير أن أول جامعة أولت نشر كتب المصطلح وعلم الرجال عناية خاصة هي بلا شك جامعة أم القرى التي بدأت في نشر هذه الكتب منذ عام ١٤٠٠هـ. فنشرت الكتب الآتية:

- «تاريخ يحيى بن معين» (ت ٢٣٣هـ) بتحقيق أحمد محمد نور سيف في أربعة مجلدات سنة ١٤٠٠هـ.

- «من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال»، رواية أبي خالد الدقاق يزيد بن الهيثم بن طهمان البادي (ت ٢٨٤هـ) تحقيق أحمد محمد نور سيف.

- «ذيل ميزان الاعتدال»، للحافظ العراقي، حققه عبدالقيوم عبدرب النبي، سنة ١٤٠٦هـ.

- «تكملة الإكمال»، لأبي بكر محمد بن عبدالغني المعروف بابن نقطة (ت ٦٢٩هـ) تحقيق عبدالقيوم عبدرب النبي ومحمد صالح بن عبدالعزيز المراد، في خمسة مجلدات ابتداء من ١٤٠٨هـ- ١٤١٦هـ. وقد أعلن دليل معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي سنة ١٤١٧هـ أن الجزء السادس منه تحت الطبع.

- «ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد»، لأبي الطيب الفاسي محمد ابن أحمد الحسني (ت ٨٣٢هـ) تحقيق محمد صالح بن عبدالعزيز المراد سنة ١٤١١هـ.

وتلي جامعة أم القرى في العناية بكتب الحديث الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ومما نشرته الكتب الآتية:

- «النكت على ابن الصلاح»، للحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) تحقيق ربيع بن هادي عمير، في مجلدين صدرا سنة ١٤٠٢هـ.

- «المقتنى في سرد الكنى»، لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ) وهو اختصار لكتاب «الأسامي والكنى» لأبي أحمد الحاكم (ت ٣٧٨هـ) جزءان سنة ١٤٠٨هـ.

- «أبو زرعة الرازي وجهوده في السنة النبوية مع تحقيق كتاب الضعفاء له وأجوبته على أسئلة البرذعي»، دراسة وتحقيق سعدي الهاشمي سنة ١٤٠٢هـ.

- «الطبقات الكبرى» لابن سعد، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، دراسة وتحقيق زياد محمد منصور سنة ١٤٠٣هـ.

- الجزء الثالث من «سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل»، دراسة وتحقيق محمد علي قاسم العمري سنة ١٤٠٣هـ.

- «الكنى والأسماء» للإمام مسلم بن الحجاج، تحقيق عبدالرحيم محمد أحمد القشقري، مجلدان سنة ١٤٠٤هـ.

٣- قامت بعض دور النشر والمكتبات التجارية بنشر عدد كبير من المؤلفات الحديثية المتعلقة بأصول الحديث وعلم الرجال، وبعض هذه الكتاب كان في الأساس رسائل علمية مثل:

- «السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد»، للخطيب البغدادي، تحقيق محمد بن مطر الزهراني، نشرته دار طيبة بالرياض سنة ١٤٠٢هـ وكان أصله رسالة ماجستير أجيزت في الجامعة الإسلامية سنة ١٤٠١هـ.

- «كتاب التنبيه على الأوهام الواقعة في الصحيحين من قبل الرواة»، للحافظ أبي علي الحسين بن محمد بن أحمد الغساني الجياني (ت ٤٩٨هـ) تحقيق محمد صادق أيدن الحامدي. وكان في الأصل رسالة ماجستير قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٤هـ.

- «التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح»، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت ٤٧٤هـ) تحقيق أبي لبابة حسين، نشرته دار اللواء بالرياض سنة ١٤٠٦هـ، وكان في الأصل رسالة دكتوراه قدمت لجامعة الأزهر في ثلاثة مجلدات.

- «الإكمال في ذكر من له رواية في مسند أحمد سوى ما ذكر في تهذيب الكمال»، لأبي المحاسن محمد بن علي الحسين الشافعي، تحقيق عبدالله سرور ابن فتح محمد، نشرته دار اللواء سنة ١٤١٢هـ في مجلدين وكان في الأصل رسالة ماجستير أجيزت في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٣هـ.

٤- على أنه قد نشرت كتب محققة لم تكن نتاجًا لرسائل علمية مثل:

- «سؤالات ابن الجنيد» لأبي زكريا يحيى بن معين، رواية إبراهيم بن عبدالله الختلي، حققه أحمد محمد نور سيف، ونشرته مكتبة الدار بالمدينة سنة ١٤٠٨هـ.

- «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس»، تحقيق أحمد بن علي سير مباركي سنة ١٤١٣هـ.

٥- ومن أصناف هذه الكتب، كتب طبعت خارج المملكة سابقًا ثم أعيد طبعها داخل المملكة. أو أعادت نشر طبعاتها دور نشر محلية، مثل:

- «تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي»، لجلال الدين السيوطي، أعادت نشره المكتبة العلمية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٢هـ وسنة ١٣٩٦هـ، كما نشرته مكتبة الرياض الحديثة.

- «معرفة علوم الحديث» للحاكم النيسابوري، بتحقيق مُعَظّم حسين، أعادت نشره مكتبة المعارف والمكتبة العلمية بالمدينة المنورة سنة ١٣٩٧هـ.

- «نزهة النظر شرح نخبة الفكر»، لابن حجر العسقلاني، أعادت طبعه مكتبة جدة سنة ١٤٠٦هـ.

وأخيراً فإن ما أشرنا إليه من كتب بعثت أو أعيد نشرها من كتب علوم الحديث رواية ودراية يمثل نماذج لأبرز الحقول التي شملتها حركة الإحياء. كما يدل على ملامح حركة علمية ضخمة في هذا الحقل الواسع المتشعب، شارك فيها العلماء والباحثون من أجل خدمة السنة النبوية المطهرة، وتيسير سبل الوصول إلى مصادرها. وما كان لهذه الحركة أن تنمو وتثمر لولا وجود الأرض الخصبة التي احتضنتها بالعناية فكان لها هذا النجاح والازدهار.

الرياض: د. أحمد بن محمد الضبيب

مع كتاب «قِصَر الأمَل»

لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا المتوفى سنة ٢٨١هـ

حققه محمد خير رمضان يوسف

(٢)

٢٦- وجاء في الصفحة ٥٠ : (أخبرنا سفيان الثوري عن زبيد الإيامي...) .

أقول : وهو اليامي كما أفاد المحقق، وهو زبيد بن الحارث أبو عبدالرحمن.... مات سنة ١٢٢هـ وهو اليامي أيضًا. انظر : «الأنساب» ١ / ٣٩٥ (ط. بيروت ١٩٨٠).

٢٧- وجاء في الصفحة ٥١ الحديث : (أما تعلمون أن ليس بين الجنّة والنار منزلة؟ وأنكم صائرون إلى أحدهما [كذا]) .

أقول : وفي «إحياء علوم الدين» ٤ / ٦٦٣ : إحداهما، وهو الصواب، وكذالك في «إتحاف السادة المتقين» ١٠ / ٢٤١، وكان على المحقق إثبات الصواب.

٢٨- وجاء في الصفحة ٥٣ : (..... أنشدنا أبو بكر بن علي قوله) .

أقول : لعله : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي....

٢٩- وجاء في الصفحة ٥٥ : (.... فأعطوه إداواتهم [والإداوة إناء صغير يحمل فيه الماء] فجاءهم بماء، فناوله بعضهم رغيفًا، فأخذه، فقام غير بعيد فأكله، ثم غطّى رأسه فنام. فزوّله [كذا] صاحب الرغيف، وكانوا قد طعموا، فعمد إلى رغيفَين.....) .

أقول : وقد غم الفعل (زوّله) على المحقق فقال : إما أن تكون بمعنى فارقه، أو أنها من (الزول) وهو الفطن...

وليس لنا أن نوافق المحقق على ذالك، لأنه ربما كان هذا (فتناوله) .

٣٠- وجاء في الصفحة ٥٨ في تتمة قول سابق : (.... فالعجب كل العجب لمن يصدّق بدار الحيوان.....). وقد شرح المحقق (الحيوان) فقال : هو

الحياة الحقيقية.

أقول: وليس للمحقق أن يجعل (الحيوان) الحياة الحقيقية، بل إنه مصدر مثل (الحياة) والفعل حَيِيَ يحيا. وكأن المحقق أراد (الحيوان) في قوله تعالى: ﴿وإن الدار الأخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون﴾ ٦٤ سورة العنكبوت.

٣١- وجاء في الصفحة ٦١: (..... أم على مَلَك الموت تجترؤون [كذا])؟

أقول: وصواب رسم الهمزة (تجترئون).

٣٢- وجاء في الصفحة ٦٤: (وكونوا من الله على حذر، ومن لقائه على عَتاد).

أقول: وقال المحقق في (عَتاد): أي زاد.

أقول: وليس كما قال المحقق: و(العَتاد) هو العُدّة التي يُعدّها الرجل ليومه وغده فقد تكون زادًا كما تكون سلاحًا أو شيئًا آخر.

٣٣- وجاء في الصفحة ٦٥: (هل فيهم مغبوط بشيء.... أم هل منهم ظاعن بشيء معه، أم هل منهم مردود منهم.....).

أقول: إن النحويين على حق في نقد لغة المحدّثين وتساهلهم بالعربية فالصواب: أفيهم مغبوط بشيء، أم منهم ظاعن ..... أم منهم مردود.......

٣٤- وجاء في الصفحة ٦٨: (حدثنا عبدالله [أي ابن أبي الدنيا] قال: حدّثني محمد بن الحسين قال: حدّثني محمد بن سلام الجمحي قال: سمعت الربيع بن عبدالرحمن يقول.....).

وعلق المحقق: ويعرف بالربيع بن بُرّة.

وقال ابن الجوزي: زعم بعض نقلة الحديث أن الربيع بن بُرّة أسند عن الحسن [البصري] وذكر له حديثًا. وإنما الربيع المذكور في ذالك الحديث هو الربيع بن صبيح، وأما ابن برّة فلا نعلم له مسندًا.

انظر «حلية الأولياء» ٦ / ٢٩٦، «صفة الصفوة» ٣ / ٣٥٢.

٣٥- وجاء في الصفحة ٦٩: (كان في تيم الله شيخ متعبّد يجتمع إليه فتيان الحيّ ونُسّاكهم....).

وعلّق المحقق فقال: تيم الله اسم قبيلة.

أقول: هذا معروف للدارسين في التاريخ والرجال، وكنت أطمح أن يذهب إلى أصل العربية فيقول (تيم) بمعنى (عبد) وتيم الله هو عبدالله أبو قبيلة لدى العرب.

٣٦- وجاء في الصفحة ٧٣ في شرح ألفاظ للمحقق: الجَذَل: الفَرَح، بنات الدهر: صروفه، تنتضل: تستبق.

أقول: والدارسون للحديث الشريف والأدب القديم يدركون هذا الذي يقدّم للشُداة.

٣٧- وجاء في الصفحة ٧٤ شرح (القصّار) للمحقق فقال: القصّار هو الصبّاغ.

أقول: قد يقوم (الصبّاغ) بـ(قَصْر) الثياب، ذالك أن مهنة (الصبّاغ) هي (الصِّباغة)، وأما (قَصْر) الثياب فهو تبييضها بالغسل والصابون، وهو بعض عمل الصبّاغ.

٣٨- وجاء في الصفحة ٧٦: (... حدّثنا حَنَش بن الحارث عن أبيه قال: إن كان الرجل تُنْتِج فَرَسُه.....).

أقول: والصواب: (تُنْتَج) بالبناء للمفعول ومعناها الدلالة على المفعول مثل: حُمَّ وغُمَّ وأُسقِطَ وغيرها.

٣٩- وجاء في هذه الصفحة في تتمة هذا الكلام: (فجاءنا كتاب عمر، أن أصلحوا ما رزقكم الله، فإن في الأمر تنفّساً....).

أقول: هذا ما رواه الإمام البخاري في «الأدب المفرد» ص ١٦٨.

وأود أن أشير إلى كلمة (التنفّس) التي تعني هنا شيئاً من الراحة، وأذكر أن الفرصة التي كانت تعطى للتلاميذ قبل سنين طويلة بين حصص الدرس كنا ندعوها (تنفُّساً).

٤٠- وجاء في الصفحة ٧٧: (كان مصعب بن عبدالله الزبيريّ رُبّما تمثّل بهذه الأبيات:

تعلّقـتَ بـآمـالٍ طِـوالٍ أي آمـالِ   وأقبلـتَ علـى الدنيـا ملحًـا . . .

فيا هـذا تجهّـز لفـراق الأهـل والمـال   فلابدَّ من الموت على حال من الحالِ

أقول : كأن المحقق لا يدرك الشعر القديم، ولكنه جريء، يتصدّى لنشر الكتب القديمة. إن هذا الشعر أربعة أبيات من بحر الهزج جعلها المحقق بيتين، ولم يشعر بذالك، وهي :

تعلّقـتَ بـآمـالٍ   طِـوالٍ أيّ آمـالِ

وأقبلتَ على الدنيا   ملحًا مُلحًّا أيَّ سئآلِ

أقول : وترك في آخر هذا البيت الثاني فراغًا وقال : الكلمة ممحوّة ولا تظهر حروفها، وهي من غير شكّ كما اجتهدتُ أنا.

فيا هـذا تجهَّـزْ لفـراقِ الأهـلِ والمـالِ

فلابـدَّ مـن المـوت علـى حـالٍ مـن الحـالِ

وتقطيع كلٍّ من هذه الأبيات :

مفاعيلُنْ مفاعيلُنْ   مفاعيلُنْ مفاعيلُنْ

أقول : هذه صنعة صاحبي في التحقيق وأمانته على صون التراث الإسلامي.

٤١- وجاء في الصفحة ٧٨ في كلام لداود الطائي أحد الزُّهّاد قوله : (واعلم أن أهل الدنيا جميعًا من أهل القبور، إنما يندمون على ما يُخلِّفون، ويفرحون بما يُقدّمون، مما عليه أهل القبور ندموا أهلُ الدنيا عليه يقتتلون).

أقول : وكان يحسن بالمحقق أن يفصل بشولة (،) بين الفعل (ندموا) وبين (أهل الدنيا) ليتبين القارئ المعنى المطلوب.

٤٢- وجاء في الصفحة ٧٩ في كلام لأبان بن سُلَيم الصوري : (. . . وإنما نصرت حديدًا باردًا).

وقد علّق المحقق فقال : الكلمات الواردة في هذا السطر غير منقوطة في الأصل. . . . .

أقول: كان عليه أن يثبت الأصل الصحيح، وهو معروف: وإنما ضربتَ حديدًا باردًا، وليس (نصرتَ)، ولا معنى للنصرة هنا.

٤٣- وجاء في الصفحة ٨٠ البيت من قصيدة في أربعة عشر بيتًا هو:

لو رأى المرء رأي عينيه يومًا كيف صول الآحال بالآجال

لتَناهَى وقصَّر الخطوَ في اللهو ولم يغتَرَّ بدار الزوال

أقول: والصواب الذي يقتضيه الوزن، وهو بحر الخفيف،: ولم يَغْتَرِرْ.

٤٤- وجاء في هذه القصيدة في الصفحة ٨١:

ثم لا ترعوي وقد أعذَرَ الله بطول البقا والإمهال

أقول: والصواب: بطول البقاء.

وفي سائر أبيات هذه القصيدة سوء في رسم الكلمات مما يشير إلى أن المحقق لا يدرك الوزن.

٤٥- وجاء البيت الأول في هذه الصفحة:

فإذا الساعة الخفية حُمَّت لم يكن عَثْر عاثرٍ بمُقال

وقد شرح المحقق (مُقال) فقال: متجاوز عنه.

أقول: وهذا غير صحيح، ولا أظن أن شُداة طلاّب العربية لا يعرفون العبارة: أقالَ العثرة.

٤٦- وجاء في هذه الصفحة قول لمحمد بن أبي توبة: (أقام معروف الصلاة ثم قال لي: تقدَّمْ). فقلت: إنّي إن صلَّيتُ بكم هذه الصلاة، لم أصلِّ بكم غيرها.

أقول: و(معروف) هو معروف الكرخي أحد الزهّاد المتصوفين، وهو معروف مشهور. وقد علّق ابن الجوزي في «صفة الصفوة» فقال: وذالك أن معروفًا كان لا يؤمّ، إنما يؤذّن ويقيم، ويقدّم غيره. وعلق المحقق على الجملة الثانية فقال: سياق الجملة يقتضي أن يكون: لن أصلّي...

أقول: من أين جاء المحقق بهذا العلم النحوي، وكلام القائل صحيح لا شبهة فيه.

ثم تحولّت إلى الباب الثاني من هذا الكتاب وهو في (المبادرة في العمل) فأقول:

٤٧- وجاء في الصفحة ٨٩: (.... حدّثنا شعبة عن سعيد الجُرَيري قال: ...).

أقول: والنسبة إلى جُريَر بن عبّاد من أهل البصرة. انظر «الأنساب» ٣/ ٢٤٤-٢٤٦.

٤٨- وجاء في الصفحة ٩٥: (أن النبيّ -ﷺ- خطب عند مُغيربان الشمس فقال: ...).

أقول: وردت (مغيربان) في «مسند الإمام أحمد» ٣/ ١٩، وهي (مغربان) في «المستدرك» للحاكم.

والصواب ما في «مسند الإمام أحمد»، والتصغير هنا مع الألف والنون يشير إلى قُرب المغرب.

٤٩- وجاء في الصفحة ٩٧: (.... حدّثنا أبو خيثمة، حدّثنا وكيع....).

أقول: وقد عرّف هنا المحقق بـ(وكيع)، وكان قد مرّ قبل هذا الموضع غير مرّة ولم يحفز المحقق فيُعرّف به.

٥٠- وجاء في الصفحة ١١٧ في كلام لعون بن عبدالله: (اليوم المضمار وغداً السباق، والسَّبَقة الجنّة، والغاية النار).

أقول: هو (السَّبَق) بفتحتين، وهو ما يجعل من المال رهناً على المسابقة.

٥١- وجاء في الصفحة ١٢٣ مقطوعة شعرية لسابق البربري فرأى المحقق أن يُعرّف به ولكنه زاد في تعريفه وأشار إلى أنه صاحب القصيدة التي فيها:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

وقال: انظر «الوافي» للصفدي ١٥/ ٦٩.

أقول: وليس البيت لـ(سابق البربري)، وهو لزهير بن أبي سلمى، وهو من مطوّلته المشهورة، وفي ديوانه، وكتب المطوّلات (المعلقات) وغيرها[1].

٥٢- وجاء في الصفحة ١٣١ البيتان:

صحح نفسك حتى ينجح العمل ... ما دام معترضًا في شأوك المهل

أرسلت في طول فاسدٍ ديدنك ... من قل ان لا يرسل الطول؟؟

أقوله: إن عامّة ما ورد من شعر في الكتاب قد أخلّ به المحقق فليس من وزن، والعربية مهملة في كلماتها ونحوها وصرفها، وهذان البيتان بعض النماذج الرديئة.

ومثل هذا في الصفحة ١٣٢ وفي الصفحة ١٣٥ والصفحة ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٧، ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٥.

٥٣- وجاء في الصفحة ١٩٦ البيت:

بَنَوا مقاصير في الدنيا مشيّدة ... فمن لهم بخلود في المقاصير

وقد علق المحقق فقال: لا أعرف أن القصر يجمع على مقاصير، بل ذكر صاحب «القاموس المحيط» أن المقاصر والمقاصير هي العشاء الآخرة. ومقاصير الطريق: نواحيها.

قلت: رأيت أن أختم هذا الفصل بهذه الفائدة الأخيرة التي تضحك الثكلى لأبسط أن الجرأة من سمات عصرنا فنسأل الله تعالى العافية.

عمّان: د. إبراهيم السامرائي

الحواشي:

(١) أقول: إذا قصّر محقق الجزء الخامس عشر لكتاب «الوافي»، وهو أعجمي ألماني لا يعرف شذور العربية حين وجد في الأصل المخطوط لهذا الجزء من «الوافي» أن البيت: (لسان الفتى ... ...) منسوب لسابق البربري، ومعه البيت التالي: (وكائن ترى من صامتٍ لكَ معجبٍ ... ...) أقول: إذا حصل هذا في المخطوطة، والخطأ من الناسخ، كان على المحقق العالم (المستشرق) أن يدرك الخطأ ويعلّق ويصحّح في تعليقه مشيراً إلى أن البيتين من مطوّلة زهير. وإذا كان هذا الخطأ الذي وقع فيه المستشرق، فهل يجوز أن يتبعه صاحبنا المحقق الحريص على التاريخ والتراث وهو محمد خير رمضان يوسف؟؟

نظرات في تحقيق النصوص الجغرافية العربية

(٣)

وقد كان تقدم الخرائط العربية متوافقًا مع تطور الجغرافيا الإقليمية عند العرب. وقد كان هناك منهجان واضحان في هذا الميدان، أولهما المنهج الإقليمي الفلكي المتأثر باليونان، وثانيهما المنهج الإقليمي الوصفي وهو منهج عربي خالص. وفي كل منهج من هذين المنهجين ساد صنف من الخرائط له ميزاته وسماته الخاصة.

(١) المنهج الإقليمي الفلكي (المدرسة اليونانية): وجدت أفكار الجغرافيين الإغريق والرومان السبيل إلى الكتابات العربية بعد أن وضعت أكثر من ترجمة لكتابي بطليموس «الجغرافيا» و«المجسطي». وكان اليونان والرومان يقسمون المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم في صورة نطاقات تمتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب بدءاً من خط عرض ١٦° جنوباً وهو بداية الإقليم الأول إلى حوالي خط عرض ٦٣° شمالاً وهو ما وراء الإقليم السابع.

ويُعَدُّ محمد بن موسى الخوارزمي أول من تأثر بهذا المنهج، وكان عنوان كتابه (صورة الأرض) هو الترجمة الشائعة لكلمة «الجغرافيا» ومع ذالك فلم يكن كتابه ترجمة لكتاب بطليموس ولكنه ترتيب لمادة بطليموس مع إضافات واسعة في ميدان الجغرافية العربية.

وقد كان كتاب الخوارزمي هذا جزءاً من عمل كبير تم في عهد المأمون الذي جند العديد من العلماء والحكماء الذين نظروا في كتب اليونان وبحوثهم وامتحنوا تقديرهم لدرجات العرض، ثم وضعوا الجداول المعروفة بالزيج المأموني الممتحن، الذي وضعت في ضوئه الصورة المأمونية أو (الخريطة المأمونية)، وهي أول خريطة عربية صوّر فيها العالم بأفلاكه ونجومه، وبره

وبحره، وعامره وغامره، ومساكن الأمم والمدن وغير ذالك. وفضل المسعودي هذه الخريطة على الخرائط السابقة بقوله: (وهي أحسن مما تقدمها من جغرافية بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرهما).

وقد اختفت خريطة المأمون منذ عدة قرون، وآخر إشارة إليها هي إشارة أبي عبدالله الزهري المتوفى في منتصف القرن السادس الهجري في كتابه «الجعرافيا» - بالعين المهملة. ويبدو من نصوص كتاب الزهري أن الخريطة التي تكلم عنها هي خريطة مستديرة ملونة، يحيط بها طوقان، طوق أزرق يمثل البحر الموصوف ببحر الظلمات، يتصل به من داخل الدائرة طوق آخر أخضر اللون، وهو صفة البحر المحيط بالأرض وأجزائها المباشر للتراث في جميع دورانها، وهو الذي يتشعب منه جميع الأبحر.

ومع أن الصورة المذكورة لم تعد موجودة، فقد استمر ذالك الأساس العلمي وتطور في صورة مجموعة من الجداول الفلكية تبين المواقع الجغرافية المختلفة، منها الزيج الصابي للبتاني الذي أمضى حياته يرصد الأجرام السماوية بالرقة وزيج ابن يونس في مصر والزرقالي في الأندلس وغيرهم. وهذه الجداول، وإن لم يصاحبها خرائط تبين المواقع المذكورة فيها، يمكن تحويلها إلى خرائط، إذا ما تم الاعتماد على نسخ موثوقة.

وأهم جهد عربي ضمن المنهج الإقليمي الفلكي الذي يتبع المدرسة اليونانية هو كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للشريف الإدريسي الذي وضعه بناء على طلب الملك روجار، وهو يقسم فيه الأرض إلى سبعة أقاليم عرضية، ويقسم كل إقليم إلى عشرة أجزاء، كل جزء له خريطة مستقلة، يلحقها ثلاث خرائط: واحدة تضم صورة العالم وواحدة تشتمل على ما وراء الإقليم الأول وأخرى تشتمل على ما وراء الإقليم السابع. فالمجموع ثلاث وسبعون خريطة.

وقد كرر الإدريسي هذا العمل في كتابه الصغير «أنس المهج وروض الفرج» الذي ألفه للملك غليوم الثاني.

ويبدو من ملاحظة هذه الخرائط أن الإدريسي قد التزم - إلى حد ما - بمقياس رسم محدد التزمه في الأجزاء المختلفة التي تتألف منها الأقاليم، ولولا ذالك لما استطاع كونراد ميللر أن يجمع هذه الأجزاء ويؤلف منها خريطة واحدة. كما أن الإدريسي قام باستخدام الألوان للدلالة على ظاهرات بعينها، فاستخدم اللون البني للجبال واللون الأزرق للبحار وجعل الأنهار باللون الأخضر وهكذا. يضاف إلى ذالك أنه قام بتتبع تعاريج الساحل وتقديم صورة طبق الأصل لكل جزء من أجزاء الأقاليم التي أوردها.

(٢) المنهج الإقليمي الوصفي (المدرسة العربية): ويتمثل هذا المنهج في أعمال مجموعة من أعلام الجغرافيين العرب اعتباراً من القرن الثالث الهجري أبرزهم الاصطخري وابن حوقل والمقدسي، واختلف تقسيم هاؤلاء للمعمور عن أتباع المنهج اليوناني، فالإقليم عندهم منطقة متجانسة لها خصائصها الطبيعية والبشرية. وقد احتوت كتب هذه المدرسة على إحدى وعشرين خارطة تمثل الأقاليم المذكورة، تتتابع على النحو التالي: أولها خارطة العالم المستديرة، تليها خارطات جزيرة العرب وبحر فارس والمغرب ومصر والشام وبحر الروم، ثم أربع عشرة خارطة تمثل الأجزاء الوسطى والشرقية للعالم الإسلامي (الجزيرة والعراق وخوزستان وفارس وكرمان والسند وأرمينيا ومعها الران وأذربيجان أيضاً، والجبال وجيلان ومعها طبرستان، وبحر الخزر وصحراء فارس وسجستان وخراسان وما وراء النهر).

ومن الواضح أن نظام توزيع الخارطات وأشكالها لا يشير إلى أية علامة بينها وبين المنهج اليوناني في الدراسة الإقليمية. فلفظ الإقليم هنا مرتبط بالمنطقة الجغرافية التي تصورها الخارطة. والخارطات هنا مستقلة كل واحدة عن

الأخرى ولا يمكن وصلها بعضها ببعض لتكوين خارطة شاملة للعالم، وهي خرائط توضيحية (كروكية) استخدمت الخطوط المستقيمة والهندسية في رسم سواحل البحار والأنهار. فنحن هنا أمام منهج مختلف تمامًا عن المنهج السابق. وهذا الأسلوب لا يعد قصورًا في فن رسم الخرائط بل هو وسيلة توضيحية متبعة إلى وقتنا الحاضر تتبع أحيانًا في التدريس وأحيانًا أخرى للتركيز على ظاهرات بعينها دون النظر إلى التفصيلات غير المرغوبة.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره هناك خرائط أخرى وردت في عدد من كتب الجغرافية العربية التي لا تنتمي إلى المدرستين المذكورتين، مثل خريطة العالم الواردة في كتاب «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» لابن الوردي، وخارطتي تنيس وقزوين في كتاب «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني، وخارطة النيل في كتابَي «نيل الرائد في النيل الزائد» لأحمد بن محمد الحجازي و«مبدأ النيل» لجلال الدين السيوطي، وغير ذالك مما تحفل به كتب الجغرافيا العربية.

وإذا ما أردنا أن نقيم تلك الجهود فلابد من الإشارة إلى أن معظم أصول تلك الخرائط لم تصل إلينا، فلم نعثر على أثر لأصول خرائط الخوارزمي الذي شارك في وضع خريطة المأمون، ولا توجد الأصول الأولى لكتب الإصطخري وابن حوقل والمقدسي، كما أن خرائط الإدريسي الموجودة بين أيدينا لا يسبق تاريخها القرن التاسع الهجري، أي أنها رسمت بعد ما يزيد على قرنين من وضع الإدريسي لكتابه.

وكان موقف النساخ من المادة المرسومة يتراوح بين إغفال رسم الخرائط في المتون الجغرافية أو ترك مكانها خاليًا وبين النقل غير الدقيق للخرائط، والذي يأخذ في الابتعاد عن الأصل الصحيح مع كل نسخة جديدة، ولهذا وجدنا ذالك التفاوت الواضح في الخرائط بين نسخ الكتاب الواحد، كما هو الأمر بالنسبة إلى خرائط كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» أو «أنس المهج

وروض الفرج» للشريف الإدريسي. كما أن النساخ مسؤولون أيضًا عن اختلاف خرائط الاصطخري، من حيث الشكل، في نسخ الكتاب التي بين أيدينا في الوقت الحاضر، فالبحر المتوسط أو بحر الروم يظهر تارة في شكل كروي، وأخرى بيضاوي، وثالثة في شكل مستدير، وهكذا.

ولم يكن موقف النساخ بأشد سوءاً من موقف المحققين المعاصرين، فأغلبهم أغفل قيمة الخرائط، باعتبارها جزءاً مكملاً للنص الجغرافي، فلم يكلف نفسه عناء قراءة الخريطة، والربط بينها وبين النصوص المرتبطة بها، والتحقق من أسماء المواضع والأنهار والجبال والبحار التي تتضمنها، والعمل على وضع صور الخرائط الموجودة في النسخ الأخرى من الكتاب، لأن إيرادها يحقق بيان فروق النسخ التي يفترض في المحقق أن يثبتها كجزء من عملية التحقيق. كما أن معظم كتب الجغرافية قد أوردت الخرائط باللونين الأبيض والأسود، نجد هذا في تحقيق كتاب «المسالك والممالك» للاصطخري (القاهرة ١٩٦١) وكتاب «صورة الأرض» لابن حوقل (طبعة أوربا وبيروت). وكتاب «أنس المهج وروض الفرج» في نسختيه اللتين نشرهما بالتصوير معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في فرانكفورت (١٩٨٤م). ولا حاجة بنا إلى القول بأن الألوان لها معانيها في الخرائط المذكورة وإغفالها يعد إغفالاً لجزء من مادة تلك الخرائط. وأخيراً فإن المحققين لا ينشرون الخرائط بحجمها الذي وردت عليه في المخطوط، فيتركون أمر وضعها في الكتاب المحقق وفقًا لأهواء المخرج، فيكبر الصغير منها ويصغر الكبير وفقًا لحجم الصفحة ومتطلبات الطباعة وهو أمر ينبغي الاحتراس فيه، لأن الحجم له دلالته ومقاصده.

وهذه الهفوات في نشر الخرائط في نصوص التراث الجغرافي من الممكن أن تقل كثيراً إذا ما شارك الجغرافي في عملية نشر ذالك التراث وأسهم في تحليل

تلك المادة التي تدخل في صلب اختصاصه.

الخاتمة والتوصيات: يخلص هذا البحث إلى أن الوضع العام لتحقيق التراث الجغرافي العربي يتحدد في ثلاثة أمور أولها: كتب حققت قديمًا، وتحتاج إلى إعادة نشر وتحقيق لندرتها ولتوافر مخطوطات جديدة يمكن أن تثري نصوصها وتصلح ما أشكل منها. وثانيها: كتب حققت حديثًا لم يتم الاهتمام فيها بتصحيح أسماء المواضع وبيان أماكنها، ولم تستقص المخطوطات الخاصة بالكتاب محل التحقيق، فجاءت أعمالاً لا فائدة ترجى من ورائها. وثالثهما: كتب ورسائل جغرافية لم يتم تحقيقها، وتحفل مكتبات الشرق والغرب بمثل هذه الكتب التي نأمل أن ترى طريقها للنشر. وهذا الأمر الأخير، وإن كنا لم نعالجه في هذا البحث، إلا أن المشتغل بالمخطوطات الجغرافية يعرفه ويدرك القصور الذي يشكو منه مجال تحقيق النصوص الجغرافية. وبناء على ما تقدم يمكن أن تخرج هذه الورقة بالتوصيات التالية:

(١) تحديد كتب التراث الجغرافي التي طبعت قديمًا، ولم تتوافر لها طبعات جديدة موثقة، وبيان المخطوطات التي اعتمدت عليها تلك الطبعات والمخطوطات التي استجدت معرفتها، مع بيان قيمتها وأهميتها في إصدار طبعة جديدة. ودراسة الوضع العام للكتب التي صدرت خلال العقود الأخيرة من هذا القرن، وتحديد ما يحتاج منها إلى إعادة تحقيق.

(٢) تكوين لجان علمية مؤلفة من مجموعة من المختصين يعهد إليها بتحقيق تلك الكتب وفق ضوابط محددة يراعى فيها مراجعة كافة النسخ المتوافرة من مخطوطات، والنصوص المنقولة عنها في الكتب التراثية الأخرى. والاستفادة من الدراسات النقدية، التي كتبت بشأنها عند صدور طبعاتها الأولى. ويكون من مهام تلك اللجان أيضًا مسألة التدقيق والمراجعة اللغوية وبيان فروق النسخ والتحرير العلمي.

(٣) إعداد مجموعة من الدراسات حول مخطوطات التراث الجغرافي العربي وعلاقة السابق منها باللاحق، وبيان الإضافات العلمية التي يتضمنها ذالك التراث، وتشجيع الدراسات النقدية التي تتناول الكتب المحققة، حتى يتم الالتزام بالضوابط والمعايير العلمية لتحقيق التراث.

(٤) إعداد معجم للمصطلحات الجغرافية المستخدمة في كتب التراث الجغرافي، وبصورة خاصة ما جاء في معاجم البلدان، والاستفادة من مسميات المواضع والأماكن العربية التي تمثل في الأغلب وصفًا للأرض وما تتضمنه من ظاهرات، ومن المؤكد أن هذا العمل سيمثل رافداً لجهود المجامع اللغوية في الوقت الحاضر.

(٥) تقويم الدراسات والبحوث التي كتبت من قبل حول التراث الجغرافي العربي، وعلى الأخص ما كتبه المستشرقون في هذا المجال والعمل على ترجمة المفيد منها إلى اللغة العربية.

(٦) توجيه بعض البحوث المعاصرة والرسائل المتخصصة إلى تحقيق التراث الجغرافي، وبيان مواطن التصحيف الذي لحق بالمصطلحات الجغرافية، وأسماء الأماكن، وإفساح المجال لذلك في الدوريات والمجلات المتخصصة.

(٧) الاهتمام بموضوع الخرائط العربية، وإعادة إحياء جهود كل من الأمير يوسف كمال وكونراد ميللر في مجال الخرائط العربية مع إضافة الخرائط التي لم تشتمل عليها أعمال ودراسات الاثنين المذكورين. على أن يتم النشر بالألوان وبنفس المقاييس الواردة في المخطوطات.

الكويت: د. عبدالله بن يوسف الغنيم

مساهمة (الدوري) في تفسير التاريخ العربي الإسلامي

(٣)

إذا كان المؤرخ المفكر هو من ينفعل ببيئته ويفعل فيها، فإن ذالك يكون ذا خطر عظيم كلما كانت البيئة قلقة متوترة متوثبة، خائفة طامعة آملة، خائفة على حاضرها طامعة في إثبات ذاتها، آملة في مستقبلها... فيسعى ذالك المؤرخ المفكر إلى استبصار مقومات الأمة فيؤكدها، فيمهد لاستشراف أشواقها فيجسدها... وأحسب أن العرب لم تمر عليهم مثل هذه الحالة كما مرت في بدايات النصف الثاني من القرن الحالي مع تحول ثورة يوليو المصرية إلى رمز للمد القومي العربي خاصة مع حرب السويس وما صاحبها وأعقبها من تيارات مصطرعة متشابكة حول قضايا التحرر السياسي والإنماء الاقتصادي والهوية. وحسبك أن تذكر أحداث الشام الجغرافية والعراق بين عامي ١٩٥٦م و١٩٦٨م لتتبين خطورة المرحلة وصعوبتها.

وإذا صدق هذا على المشرق العربي عامة، فهو أشد انطباقًا على العراق، ذالك لأن العراق كان مركز العالم الإسلامي أيام ازدهاره، وغدا في العصر الحديث منطقة أطراف في العالم العربي، بكل ما يمثله الطرف من تناقضات داخلية، وحمل عبء العمل الثغري، دفاعًا عن التخوم، ومحافظة على الهوية، وسعيًا لتغيير المركز الذي عادة لا يكون في أعلى درجات توهجه وإن بدا في أعلى درجات فورته.

في هذه البيئة، فيما أحسب، تبلورت المرحلة الأخيرة من نظرة الدوري للتاريخ العربي الإسلامي وتفسيره، وافتتحت في سنة ١٩٦٠م بكتابه «الجذور التاريخية للقومية العربية»، واختتمت في سنة ١٩٨٤م بمؤلفه «التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي». فهو يدرس ماضي الأمة بروح المؤرخ المفكر الذي ينظر إلى أزمة المجتمع العربي المعاصر من خلال العوامل

التي شكلتها في الماضي البعيد أو الحاضر القريب، ولتكتشف الأمة ذاتها، فتدرك بعمق حاضرها، وتخطط المستقبل بوعي[1]. وذالك لأنه يشعر (أن القومية تمر بأزمة ناشئة عن تخلف الفكر عن العمل) ولم يرتفع كثير من الفكر القومي إلى مستوى المرحلة، فالكثير منه (يدور في إطار التعميمات والرومانيكية). ولابد من (بلورة أسس فلسفية للقومية العربية)، وهذا ليس عملاً فكريًا مجردًا)، فهو تاريخي البداية بدراسة الجذور التاريخية للقومية العربية لفهم (جذور الوعي العربي ومقوماته أو القوى التي تكونه والتي يتصل تأثيرها عبر الأجيال)[2].

إذن لا يزال الدوري مؤرخًا مفكرًا، ولا يخرج في المجال ولا التأويل والتفسير عما كان عليه في المرحلة السابقة من حيث الاهتمام بالحدث، اهتمام المؤرخ المتخصص، ولكنه يذهب إلى ما وراء الحدث وفقًا لمنهجه الاستقرائي... ويعود ويؤكد كل ذالك في كتابه التكوين التاريخي، فيقول: (ولن نحاول في هذه الدراسة الاستناد إلى نظرية من النظريات الحديثة في قيام الأمم والدول، بل سنحاول تتبع التطور التاريخي للعرب لنرى من خلال ذالك قيام الأمة العربية ومقوماتها وظهور الفكرة العربية وتطورها)[3].

ولعله من الضروري الإشارة إلى أن هذه المداخلة لا تُعنى بتفسيره للتاريخ (العربي) كله وإنما تُعنى بالتاريخ العربي الإسلامي وحده، بينما تناول الدوري في الكتابين المذكورين مرحلة التاريخ العربي الحديث والمعاصر، وهناك، في هذه الندوة، من يتناول هذا الجانب... وأحسب أنه من المفيد التنبيه إلى أنه في هذه المرحلة من تطوره الفكري وتفسيره للتاريخ العربي الإسلامي، لم يأت بجديد عما تبلور في المرحلة السابقة إلا في أمرين لهما قدر كبير من الأهمية في تعامله مع الحاضر من خلال الماضي: وكلا الأمرين جاءا موجزين في (الجذور) ومفصلين في (التكوين) وهما:

الأول: بلورة مراحل الوعي العربي وفقًا لتجلياته ومقوماته وعوامله.

الثاني: الوقفة المستفيضة المتأنية مع مرحلة بلورة الوعي العربي في بوتقة ثقافية عربية.

وبادئ ذي بدء ينبغي أن نلاحظ مشكلة المصطلحات وارتباطها بالمفاهيم... فهو يقول بأنه يستخدم في (الجذور) مصطلحي (الوعي العربي) والقومية العربية بصورة (متكاملة) مع أنه يذكر أن الأخير حديث مفهومًا، وأن الأول قديم عند العرب معنى. ثم يربكك بقوله: (والقومية العربية هي الوعي العربي بمظهره الأخير)[٤]، مما يثير سؤالاً منطقيًّا، ألا وهو كيف يصير الجزء والكل مترادفين متطابقين؟ وتتعاظم مشروعية هذا التساؤل عندما يتجنب هو نفسه استعمال هذا المصطلح لاحقًا في تناوله الموضوع ذاته في كتاب «التكوين التاريخي» حيث يجعل مرحلة التاريخ العربي الإسلامي هي مرحلة تطور المقومات وتفاعلها ثم تشكيل الهوية، أما (الوعي) فيستخدمه لما حدث في العصر الحديث، ولهذا جاء العنوان الفرعي للكتاب (الهوية والوعي)... وغني عن القول ألا مشاحة في المصطلح، ولكن أن يكون الاختلاف عند المفكر نفسه... فهذا أمر يدعو إلى القول بأن المسألة لم تستقر نهائيًّا بعد، ولا يزال فيها مقال.

ويتمحور كتاب «الجذور» حول قضية (الوعي العربي) وتطوره تفسيراً للتاريخ العربي الإسلامي. واستبصر فيه أربع مراحل، اختزل الحديث في الاثنتين الأوليتين، وفصله في الأخريتين، وسيقف عندهما بصورة أوسع في «التكوين التاريخي». ولا يعود الإجمال في الأوليتين لإهمالهما أو تقليلاً من شأنهما، وإنما لأنه أبان الوعي العربي فيهما من قبل في كتابه المقدمة...

كانت المرحلة الأولى قبل الإسلام، وهي مرحلة الأوليات المبهمة إلا من تكوين اللغة الأدبية الموحدة، وبواكير الوعي المشترك مع نوع من التوثب

ينقصه التنظيم والتوجيه.

وجاءت المرحلة الثانية مع الإسلام، ويرى أن الوعي العربي وصل معه قمته، فنظمه الإسلام ووجهه، وجعل العرب قادته، والعربية لغته. وبالفتوحات تكونت (أمة) هي عربية لا يدخلها غير العربي إلا بالولاء... ويذهب إلى أن الإسلام نفسه (كان فيض الروح العربية)(٥). ولا أخاله يقصد الإسلام الدين، وإنما الإسلام من حيث فهم توجهاته وتطبيقاتها، وقد وضّح ذالك بجلاء، فيما بعد، في كتابه «التكوين التاريخي» فيقول: (لقد ظهر الإسلام بين العرب فكانوا مادته وحملة رسالته الأولين وواضعي أسس فكره وحضارته)(٦).

ثم ينظر إلى فترة الراشدين والأمويين كمرحلة وعي عربي واحدة، يسميها (دور فتوة العرب) وهكذا ما كان من قبل في كتابه (المقدمة) مرحلتين مختلفين باختلاف سيادة التيار الإسلامي أو القبلي أصبح الآن مرحلة واحدة، لأنه يرى أن الوعي العربي أخذ (يدخل في دور التعبير عن ذاته في إطار الاختبار العملي)(٧) الذي تفاعلت فيه مقومات الأمة فكونتها. لقد وحدت حروب الردة العرب، ومهدت الطريق للفتوحات التي لها دور هام في تكوين (الأمة العربية) بتوفير مشروع مشترك للقبائل العربية، وبإعطائها قضية مشتركة هي الجهاد، وبتوجيهها لحياة الاستقرار في الأمصار حتى أصبح مفهوما العروبة والإسلام مترادفين، وهذا التوافق بينهما يؤكد في رأيه (أن الإسلام كان رسالة عربية)(٨)، وتبع الفتوحات تعريب بشري نجح في المناطق التي وجدت فيها آثار الثقافة السامية، وتأكد بالتعريب الثقافي يوم أصبحت اللغة العربية لغة السياسة والإدارة والثقافة، وبذالك تحددت رقعة الأرض إضافة إلى اللغة كركيزتين أساسيتين في تكوين الأمة العربية.

بيد أنه يلفت النظر إلى أن هذه المرحلة شهدت وضع الخطوط الرئيسة للثقافة العربية في المراكز العربية القديمة والجديدة، وفي موضوعات أصيلة لا

دخيلة، عربية وإسلامية، ومهد تعريب الدواوين للانفتاح على الثقافات الأخرى في فترة لاحقة مما يجعل رسالة العرب حضارية إنسانية. وأعانت السيادة العربية سياسيًّا والسيطرة اقتصاديًّا على تكامل تكوين الأمة، فشعر العرب بتفوقهم، فاعتزوا بأنسابهم... ومع هذا يلاحظ أن فكرة الأمة الإسلامية ظلت قوية وسائدة، ولكن تركز مفهوم الأمة العربية ثقافيًّا مع التحديات التي تعرض لها العرب في العصر العباسي.

ولا يختلف ما أورده في «التكوين التاريخي» عما في (الجذور) إلا في التفاصيل الواسعة المؤكدة لهذه الخطوط العامة في المقومات التي تستند إلى (الإسلام والعربية)(٩)، في ظروف اجتماعية اقتصادية مواتية أفرزت وحدة في سياسات الدولة وفي التطورات السياسية والاجتماعية. ووجهت هذه النتيجة عددًا غير قليل من أبحاثه في هذه الفترة، لاسيما البحوث في الاقتصاد، فجاءت إما دراسة مظهر معين في إقليم من أقاليم الدولة في صدر الإسلام، مثل العرب والأرض في الشام(١٠) أو الضرائب في خراسان(١١)، والسواد والجزيرة(١٢) وبلاد الشام(١٣)، أو جاءت دراسة شاملة في سائر الأقاليم في المرحلة كلها مثل دراسته عن الضرائب(١٤) أو تناوله نشأة الإقطاع(١٥) أو التنظيم الاقتصادي بصورة شاملة(١٦).

ويبقى السؤال الذي يلح أين ذهبت نظرية التصادم بين التيارين القبلي والإسلامي في تحليلات هذه المرحلة، سمها وعيًا عربيًّا كما في (الجذور) أو إن شئت ادعها (تكوين المجتمع العربي الإسلامي) كما في «التكوين التاريخي»!؟ لعل هذا ما جعله يركز على المفهوم الثقافي للعروبة والعربية.

يقول بأن المرحلة الرابعة افتتحت بإشراك الأعاجم في السلطة لأسباب دينية واجتماعية وعسكرية، ولتعارض الاتجاهات القبلية مع مفهوم الدولة، ولتراجع فكرة العروبة بمفهومها الأول... ثم ارتفع الوعي العربي إلى مستوى جديد ذي

أثر طويل فعال نتيجة لظهور حركة اجتماعية فكرية تمثلت في الشعوبية والزندقة. وكانت هذه الحركة تهدف إلى ضرب الكيان العربي وتقويض سلطانه بهدم الإسلام الذي هو قوامه، وإنتقصت من ماضي العرب ونسيجهم الاجتماعي وإرثهم الثقافي وقيمهم ودورهم في التاريخ... وكانت هذه الحركة شديدة في العراق لأنه كان منطقة حدية بين الثقافتين السامية والآرية، وغدا مع الإسلام ميدان نزاع بين الثقافتين العربية والأعجمية بعد انتصار العباسيين لاسيما عندما تصادمت العناصر المكونة لدعوتهم ثم ثورتهم، فتفجر صراع سياسي ثقافي. فاهتم العرب والمتعربة بالمكون الثقافي، فبحثوا عن ذالك الإرث في الشعر والنثر والأمثال نتيجة لهجمات الشعوبية، فاعتنوا به جمعًا وتيسيراً. وكذالك فعل المؤرخون واللغويون والنسابون، وأبرزوا الدور التاريخي للعرب، فظهرت عندهم الوحدة الثقافية في تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده، وتأكدت فكرة الأمة العربية القائمة على وحدة اللغة والثقافة. وبسبب هذا الدور الكبير الذي ينسبه الدوري إلى الشعوبية في بلورة الوعي العربي في مفهوم (الأمة العربية) القائمة على أسس ثقافية ألف في سنة ١٩٦١م، بعد عام من نشر «الجذور التاريخية للقومية العربية»، كتاب «الجذور التاريخية للشعوبية»(١٧).

ويعتبر أن هذا المفهوم الثقافي للأمة العربية هو الذي حفظ وجودها بعد زوال امتيازاتها في ظل النفوذ التركي، وبعد زوال سلطانها الفعلي في فترات حكم (أجنبي) جثم على صدرها، بويهي وسلجوقي متعدد الأشكال أو غزو خارجي من مختلف الوجهات والاتجاهات، مغولية وصليبية... وصاحب تلك التحولات السياسية تحولات اجتماعية واقتصادية أبعد أثراً، بدأت تلك التحولات مع الأمويين بظهور متنفذين يستندون إلى النسب والملكية، ثم تتحول في العصر العباسي إلى شريحة اجتماعية تقوم على الثروة أساسًا، خاصة مع توسع النشاط التجاري فحدث تباين اجتماعي قوي تمثل في أهل السلطة

والثروة من جهة والعامة من جهة أخرى. وتزامن ذالك مع تحكم العنصر غير العربي، فقام الوعي العربي المرتكز على الأسس الثقافية بقيادة الصراع الشعبي ضد الأجنبي المتحكم والسيد الاجتماعي المتنفذ... وتجسد ذالك في تنظيمات وحركات العيارين والشطار والفتيان والفتوة وأصحاب الصنايع والحرف... فعاد الدوري ووظّف ما توصل إليه المؤرخ المتخصص في بدايات نشأته البحثية في تساؤلات المؤرخ المفكر في عصر أزمة تواجه مجتمع دراسته... ولعل هذا ما يفسر عودته للبحث عن جذور هذه التنظيمات الشعبية[١٨].

وما جاء في كتاب «التكوين التاريخي» تأطير جديد للمعلومات التي سبق ذكرها في كتاب «الجذور» مع توسع واستفاضة فيها بالاستفادة الجلية من الدراسات المتخصصة التي استخدمت حقائقها المفردة في شتى الجوانب للتاريخ العربي الإسلامي. ولعل الشيء الجديد هو معالجة الدوري فيه لمفهوم الأمة عند أهل الأدب والتاريخ واللغة والفلسفة بصورة شاملة أكثر عن ذي قبل[١٩]، ومناقشاتهم لمحددات الأمة ومقوماتها، من بيئية طبيعية ولغوية وثقافية... ووقف في هذا مع ابن خلدون وقفة خاصة لأن ابن خلدون استند إلى تتبع التطور التاريخي للأمة وتحليله... وهو المنهج الاستقرائي نفسه الذي استخدمه الدوري في محاولته لتفسيره، ولتمييز ابن خلدون - مثل الفارابي - بين الأمة ذات الروابط البشرية والملة ذات الروابط الدينية، ولأن تفسيره أسهم في معالجة معضلة المرحلة الرابعة في (الجذور) وهي مرحلة (الهوية) في (التكوين التاريخي)، لاسيما في إشارات هامة متعددة منها إشارته إلى دور النسب؛ الحقيقي أو الفرضي، ثم تلاشيه في مرحلة لاحقة في دور (التحضر)... ومنها الإشارة إلى دور اللغة المستمر في حالة اللغة العربية بعد زوال السلطان العربي بفضل القرآن والحديث. ثم أخيراً إلى إلتفاتته إلى أن الدولة قد تزول ولكن الأمة تبقى[٢٠].

ويبدو أن الدوري استراح إلى استقراء ابن خلدون وركن إليه شيئًا كثيراً، تمامًا مثل حاله من البلاذري في مرحلة دور النسب. فوجد فيهما معًا مؤرخين مفكرين فذين، نفذ كل واحد منهما إلى أعماق الظاهرة التاريخية التي نظر فيها... وهما، عند الدوري، ليسا بمتناقضين، بل اللاحق منهما يتمم السابق ويكمله... وربما كانت مهمة البلاذري أيسر مقارنة بمهمة ابن خلدون، لأن الظاهرة التاريخية التي حللها كانت متشابكة ومعقدة ومتسعة، فيخلط المرء بين العرض والجوهر... حتى ليجوز القول بأن الدوري عاد واكتشف ابن خلدون المؤرخ المفكر بعد أن كان معجبًا في بداية أمره بابن خلدون المؤرخ المتمكن من الصناعة التاريخية، فمع ابن خلدون المؤرخ المفكر اطمأن الدوري لتفسيره وسلامة تأويله[٢١].

ومن شأن كل تأطير نظري، حتى وإن جاء نتيجة منهج استقرائي، أن يجد الناظر فيه من شواهد التاريخ ما يقويه ويعضده، وشواهد أخرى تضعفه أو تنقضه... والحالة هذه، لن تسلم أي محاولة من ملحوظات عليها، تفيد إثارتها في تقويم ذالك العمل وتعدله، فتكثر الفائدة منه... وأيضًا تجد له إسهامات ينبغي التنبيه عليها، ليبنى عليها، فتتراكم المعرفة التاريخية في مسيرة الأمة، فتعظم الفائدة، ويُختصر الزمن، ويُبحث فيما غمض أو استشكل، فيُؤمن التكرار وبعثرة الجهود.

لعل أول ما يثار، القضية القديمة الجديدة، قضية المصطلح، فهي ترتبط بالمفاهيم. والمصطلح في عمل الدوري يحتل مركزًا رئيسًا، إذ قامت عليه مفاهيم، وفي ضوئها جرت دراسة تاريخ (الأمة) وتفسيره. وهذه المفاهيم القائمة على مصطلح (العروبة) و(العربية) هي إما النسب (العنصر العربي والمعرب، ولا يخفف من ذالك الحديث عن الولاء (المديني)) أو اللغة أو الثقافة (؟)... والمفهوم الثقافي أوسعها، ومؤرخنا المفكر إليه أميل...

والسؤال الصعب هل هذه كلها أو بعضها تمثل المحرك الرئيس في الثقافة أو الحضارة عامة أم أنه القيم؟

إذا كانت الأولى يصبح السؤال المحير لماذا تُخرج الأندلس وإيران وأواسط آسيا من رقعة العروبة في عصر التاريخ العربي الإسلامي(٢٢)؟ وفي كل هذه المناطق كانت الثقافة السائدة إلى مطلع القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) على الأقل، عربية إسلامية، وحملتها عرب أو معربون، ولغتها العربية... وقد يقال إن السبب هو الانقطاع... وهل هذا يُخرج عن الرقعة العربية!؟ فالإجابة خطرة، ودلالاتها أخطر. وإذا كان المفهوم الثقافي هو المقوم الرئيس، هل يصبح (الساحل) في غرب إفريقيا جزءاً من الرقعة العربية، وقد كانت ثقافته عربية إسلامية، واللغة العربية لغة الإدارة والثقافة والتجارة، وكثير من أهلها ادعوا أنساباً عربية أو شرقية إلى أن دخل الاستعمار الأوروبي تلك المنطقة(٢٣).

مثل هذه التساؤلات تضعف محدد الرقعة الجغرافية، ويزداد ضعفاً إذا ما أصبح المقوم (القيم)، فتصبح الثقافة إسلامية، وعندما يعبر عنها بالعربية تصبح إسلامية عربية وليست عربية إسلامية. وعلى هذا تتمدد تلك الثقافة أو تنكمش في زمان محدد بفعل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهي متغيرات، بينما العنصر واللغة في ذاتهما من العناصر المحايدة، ونوع فعلهما ودرجته تحدده تلك الأوضاع. وهذا ما حدث في المغرب، فلم يكن أرضاً تسودها ثقافة سامية كما في المشرق الذي تعرب، ولكن تعريب المدن المبكر، ثم هجرات الأندلسيين والتغريبة الهلالية لاحقاً، كلها عوامل حاسمة في تعريبه الذي دام... هذا بينما التهجير من الأندلس باعد بينها وبين الثقافة العربية بعد أن كانت العربية لغة الإدارة والثقافة والتجارة والتخاطب... أما إيران فقد كان التمدد العربي البشري فيها واسعاً في صدر الإسلام(٢٤)، وظلت

العربية لغة الثقافة قرونًا بعد قيام الإمارات الفارسية المستقلة، ولم تحدث فيها عمليات تهجير، وربما كان للنزعة المحلية دور سياسي كبير في قيام الإمارات المستقلة في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) فتفرس العرب استيطانًا ثم فيما بعد ثقافة... ففقدت إيران ثقافتها العربية الإسلامية ابتداء من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي).

ويلاحظ أيضًا أن الشعوبية أعطيت حجمًا أكبر من دورها الفعلي في تكوين الثقافة العربية الإسلامية... وهل يعقل أن يكون الدور الحاسم جاء ردة فعل لها، أم أنه نتيجة للتطورات الاجتماعية والاقتصادية؟ لقد بدأت الخطوط العامة في القرن الأول نتيجة حاجات عملية ودوافع دينية. وهناك إشارات قاطعة عن دور الدوافع الإسلامية في تطور البلدانيات[٢٥]. وعلى سبيل المثال هل يفهم تطور علم الأنساب دون نظرة لعلاقة ذالك بإنشاء ديوان العطاء؟ فدور الشعوبية ربما كان عاملاً مساعدًا وليس برئيس. وهنا لا يكفي القول بأن الشعوبية قامت وازدهرت واستشرت لأن الفرس كانوا أهل تراث حضاري مشترك تليد ولغة مكتوبة واحدة ودولة مركزية موحدة، على النقيض من البربر والترك... لأن القياس لا يستقيم، لكن المقارنة السليمة ينبغي أن تكون مع أهل السند الذين توفرت فيهم ذات المواصفات، ولم يعرفوا حركة شعوبية مثل التي عرفها الفرس... فمن هنا إما أن يكون دور الشعوبية أُعطِيَ حجمًا أكبر من حقيقة أمرها سواء في التراث العربي الإسلامي القديم أو في تحليل الدوري هذا... أو أن تكون الأسباب الأساسية لحركة الشعوبية كامنة في الظروف الاجتماعية الاقتصادية أكثر منها في المخاصمة الثقافية.

إن الدوري من القلائل الذين صرفوا همهم لدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لفهم الأحداث والتطورات في المجتمع العربي الإسلامي... فكيف صرف وجهته لتفسيرها في إطار (العروبة الثقافية)؟ هذا مع أنه في

كتابه «مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي» قد كتب فصلين مستفيضين نسبيًا عن تلك الأوضاع، وهما (المجتمع التجاري وازدهار المدن) و(التسلط الأجنبي وبدء الإقطاع العسكري)[٢٦].

يبدو أن تلك الأوضاع وعلاقتها بتكوين الأمة لا تزال تحتاج إلى دراسات جزئية متخصصة، فمثلاً قضية الموالي وعلاقتهم ببني أمية لا تزال تحتاج إلى دراسة مستقصية. فالأسلوب الإحصائي أثبت أن شريحة غير قليلة من الموالي تولوا وظائف عليا بنسب أكبر مما كان يظن[٢٧]. ومثل هذه النتائج تدعو للنظر في التحولات لا على أساس العنصر، وإنما على ضوء اجتماعي اقتصادي. ومثل هذا التوجه له ضرورة لفهم ظاهرة انتصار التيار الإسلامي مع العباسيين ثم خفوت التيار القبلي أو اختفائه، بدلاً عن معالجة هذه القضايا في إطار ثقافي كالذي توصل إليه ابن خلدون، والذي كتب بعد أن تكرس الإنفصال بين الفكر والعمل. فهل يصلح فكره جوابًا لما حدث أم أنها نظرة فقيه بحث عن المثل الأعلى في واقع مجتمعه ولم يجده، فيئس!؟ وقضية المرحلة الرابعة لا تزال تحتاج إلى فضل بيان.

هذه الملحوظات ضرورية حتى لا يتولد الانطباع بأن الدوري في تفسيره الذي بدأ مرتبطًا بالواقع الذي كان، متمثلاً في نظرة (التصادم)، قد جنح قليلاً نحو النظر إلى تاريخ الأمة من خلال المثل الأعلى الذي ينشده، أو حاول إسقاط الحاضر على الماضي في زمن الأزمة الحادة، خاصة في موضوع الهوية العربية بمفهومها الثقافي... ويبدو أنه لابد من النظر إلى تلك الفترة من خلال تحالف أهل الثروة والسلطة الذي أدى إلى انهيار الشريحة الوسطى، فأصبح المجتمع يتكون من شريحتين متمايزتين، فشلت الشريحة المسحوقة منهما في إحداث التغيير المطلوب، وتحالفت الشريحة المترفة مع الدخيل... وقد أشار الدوري إلى ذالك ولم يطوره... ووجهنا معشر طلابه إلى ذالك، فلم نؤت نظرته

الشمولية، فقصرت هممنا عن بلوغ طموحه...

ولولا جهوده هذه لفقدت الدراسات الحديثة في التاريخ العربي الإسلامي كثيراً، فحسبه التأكيد على مفاهيم متعددة ومناهج متنوعة، منها الشمولية في الدراسة والنظر إلى الجوانب كلها؛ اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية ونفسية... ومنها الاهتمام بتاريخ العامة جنبًا إلى جنب إلى تاريخ الخاصة وإلا جاء إدراكنا للماضي أعرجًا. ومنها الاستمرارية وعدم تصور أحداث التاريخ وكأنها مقطعة الحلقات لا صلة بين الفترات، طالت أم قصرت، قربت أم بعدت... وهذا وحده الذي ييسر إدراك التيارات في تواصلها أو تصادمها، في تآلفها أو تخالفها، توسلاً لمعرفة العوامل المحركة ومبلغ تأثيرها... ومن هنا جاءت أكبر إيجابيات نظرته وهي دراسة المصادر دراسة نقدية للكشف عن تلك التيارات وتأثيرها على المرويات. وأخيراً أن أكبر الإيجابيات في نظرته التفسيرية هذه هي ربط الحاضر بالماضي بصورة علمية منهجية لا نبرة خطابية، لأنه جعل هدف الدراسة التاريخية ليس التهييج ذا الأثر المؤقت بل الدراسة لمعرفة جذور الأشياء وتتبع تطورها وتشكيلها لحاضر الأمة فيخطط لمستقبلها بعد وعي ذاتها... فالتاريخ عنده ذو هدف عملي وهذا من أكبر إسهاماته. والحالة هذه فإن دراسة تاريخ الأمة من قبل أبنائها أنفع وأجدى من دراسة غيرهم. فأهله أقدر على استبصار روحه وتبين عوامله الداخلية وتبين مسيرته استصحابًا للإيجابي وطرحًا للسلبي... وهذا ما حدد موقفه من الاستشراق، رافضًا لتصورات أهله ومفاهيمهم، مستفيداً من أهل التخصص الدقيق منهم فوائد كثيرة لا تخطيئها العين في سائر أبحاثه... وهكذا شأن المؤرخ المفكر... وهل هو إلا كذلك؟

جامعة الملك سعود - كلية الآداب - قسم التاريخ

د. عز الدين عمر موسى

الحواشي :

(١) «الجذور التاريخية للقومية العربية»، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٦٠م، ص ٧.

(٢) نفسه، ص ٨.

(٣) «التكوين التاريخي للأمة العربية»: دراسة في الهوية والوعي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٦، ص ١٥.

(٤) «الجذور»، ص ٩.

(٥) «الجذور»، ص ١٢.

(٦) «التكوين التاريخي»، ص ٣٣.

(٧) «الجذور»، ص ١٥.

(٨) نفسه، ص ١٧.

(٩) كان قد تناول هذا الموضوع في مقالة «نشأة الثقافة العربية الإسلامي»، «مجلة مجمع اللغة العربية الأردني»، عمان، ١٩٧٩م، م١.

(١٠) انظر «العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام»، كتاب المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، بيروت، ١٩٧٤م.

(١١) انظر «نظام الضرائب في خراسان في صدر الإسلام» مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٤م، م١١.

(١٢) انظر «تنظيمات عمر بن الخطاب، الضرائب في السواد والجزيرة» ندوة النظم الإسلامية، ١٩٨٥م.

(١٣) انظر «تنظيمات عمر بن الخطاب المالية، الضرائب في بلاد الشام»، كتاب المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام، عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٨٧م.

(١٤) انظر «نظام الضرائب في صدر الإسلام» «مجلة مجمع اللغة العربية»، دمشق، ١٩٨٤، م ٤٩.

(١٥) راجع «نشأة الإقطاع في المجتمعات الإسلامية»، «مجلة المجمع العلمي العراقي»، ١٩٧٠، م ٢٠.

(١٦) انظر «في التنظيم الاقتصادي في صدر الإسلام»، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، ١٩٨١م، عدد خاص.

(١٧) نشر في بيروت سنة ١٩٦٢م، وأعيد طبعه عدة مرات.

(١٨) «نشوء الأصناف والحرف في الإسلام»، «مجلة كلية الآداب»، بغداد، ١٩٥٩م، ج١.

(١٩) «التكوين التاريخي»، ص ١٠١ وما بعدها.

(٢٠) نفسه، ص ١٠٧ - ١٠٩.

(٢١) انظر «ابن خلدون والعرب (مفهوم الأمة)»، «مجلة المستقبل العربي»، بيروت، ١٩٧٩، السنة الثانية، العدد ٩.

(٢٢) إن الدراسات الحديثة المتخصصة لا تزال تسهم في هذا الباب وقد اتبع رتشارد بولت (R. Buliet) الأسلوب الإحصائي اعتماداً على كتب التراجم، ووصل إلى أن مدينة نيسابور كانت إلى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) سنية المذهب وعربية إسلامية الثقافة.

(٢٣) انظر عز الدين موسى، «دراسات إسلامية غرب إفريقية»، الرياض، بحوث تاريخية، منشورات الجمعية التاريخية السعودية، ١٩٩٩م، الفصل الرابع.

(٢٤) انظر عن الاستيطان العربي في إيران كلها، صالح أحمد العلي، «امتداد العرب في صدر الإسلام»، بيروت مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣م، ص ٣٢ - ٥٦.

(٢٥) راجع مقدمة حمد الجاسر لتحقيقه لكتاب «الأماكن» لمحمد بن موسى الحازمي (ت ٥٨٤هـ) الرياض، دار اليمامة، ١٤١٥هـ.

(٢٦) «مقدمة في التاريخ الاقتصادي»، ص ٥٧- ١١٥.

(٢٧) انظر عز الدين موسى: «قراءة جديدة عن علاقة بني أمية...» وأكد لي د. إحسان عباس أنه توصل إلى النتائج نفسها وضمنها كتابه عن بني أمية الذي سيصدر حديثاً.

مفهوم (الديرة) في الجزيرة العربية

(الدِّيرة) اسم للمكان الذي تقطنه كل قبيلة عربية في جزيرة العرب، له حدود كحدود الدول الآن، وتجمع على (ديار) فيقال: ديار حرب أو ديار عتيبة أو ديار مطير وهكذا، ويستخدم (غالبًا) مفردًا في فروع القبائل، فيقال: ديرة الحوازم أو ديرة الردادة أو ديرة الأحامدة. وهم يريدون بذالك - مفردًا أو جمعًا - الأراضي الخاصة بكل قبيلة، التي لا يتعداها نفوذها إلى غيرها، وأحيانًا يسقطون الموصوف، فيقولون: الحربية أو الجهنية أو العوفية أو الحازمية ونحوها، بحذف كلمة الديرة أو الديار قبلها، أي الديرة أو الديار الحربية، فيقول عند نزول المطر: مطرت الجهنية مثلاً أي الديار الجهنية، أو يقول أحدهم: ذهبت للعوفية، ويكثر هذا في الوثائق المكتوبة فيقال مثلاً في القوانين: قانون الحربية، أو امتلك فلان كذا في (المحمدية) يريدون ديار ولد محمد، وكل ذالك متعارف عليه وبخاصة في قبائل الحجاز.

وقد بحثت عن كلمة (ديرة) بهذا المفهوم في المعجمات قديمها وحديثها وفيما ألحق بها[١] من ملحقات، فلم أعثر على شيء بهذا المعنى، على ذيوعه وكثرة استخدامه في القرون المتأخرة، في العرف العام، وفي عرف الدولة العثمانية أيضًا.

وكانت كلمة (ديرة) موضع تغني أبناء القبائل وبخاصة إذا سافروا أو استوطنوا المدن، فحنوا إليها كما كان الشاعر الجاهلي يحن لبلاده، وذالك إذا أجبرتهم ظروف طلب الرزق على البعد عنها أو رحلوا عنها إذا أجدبت طلبًا للخصب في غيرها، ومن ذالك قول شاعر عامي متهيجًا حين مرَّ بجوار دياره في قافلة لنقل الحجاج أو التجارة، ولم يكن بمقدوره أن يزور مرابعه[٢]:

يسقيك يالديرة اللي ما بعد زرتك من العام واليوم لزّتني الطُّرْقة وأبِي أردّ السلام[٣]

قالت لي الديرة: أنا طيِّبة وليامي إليام ما فاقدة إلا نزول الغيث ونزول الجهام

ولم أجد مَنْ وَصَف (الديرة) بمعنى الأماكن التي تقطنها القبائل وتضاف إليها إلا علي بن موسى في رسالته في وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ الموافق لسنة ١٨٨٥م حيث قال[٤]: (الباب الثاني في بيان الحرَّة والجبال التي حول المدينة المنورة والجهة التي لا حرّة فيها، وكل جهة لأي قبيلة من القبائل) وبعد أن حدّد ديار كل قبيلة من قبائل حَرْب مما حول المدينة قال محدِّداً معنى الديرة: (وطريق انحصار كل جهة في جماعة أن جزيرة العرب من القديم أرضُها منقسمة بين العربان، لكل منزل معلوم، فكل قبيلة مختصة بجهة تقول لتلك الجهة: ديرتي، وإن تملَّك فيها الغير بالإرث أو بالشراء فاسم الديرة باقٍ على أصله، ولهم في ذالك قواعد مرعية الإجراء، لو بسطناها لطال الشرح).

وللأسف أن علي بن موسى لم يبسط ذالك مما حرمنا من معلومات هو من أعرف الناس بها، وقد عدَّه المؤرخ التركيَ أيوب صبري باشا أعرف الناس بذالك فقال[٥]: (وخير ما نطالعه في هذا الخصوص هي الرسالة التي كتبها (عليّ موسى) أفندي رئيس الكتبة العرب في دائرة الحكومة بالمدينة المنورة، وقد كتبها باللغة العربية بتشجيع من الدكتور (رائف) أفندي الذي أقام مدة طويلة في المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة كمسؤول عن الشؤون الصحية في ولاية الحجاز[٦]، وقد قدَّم إلى رائف أفندي هذا نسخة من هذه الرسالة أدرجت منها في هذا الفصل بعض الفقرات المناسبة).

ثم ذكر أيوب صبري باشا أسباب الثقة فيما كتبه عليّ بن موسى فقال[٧]: (إن علي موسى أفندي يعمل في وظيفة (باش كاتب) رئيس لكتبة اللغة العربية في دائرة الحكومة بالمدينة المنورة منذ مدة طويلة، وكان يقوم بالترجمة وخاصة للعربان، وبناء عليه فإنه يعدّ من أرباب الخبرة في العادات والتقاليد والنظم التي كانت تجري بين قبائل العرب، ويعتبر ما يكتبه في هذا الخصوص مأخوذاً من أصحاب الشأن مباشرة، وأن القوانين والأنظمة المدرجة في هذا الكتاب الذي كتبه مطابقة تماماً لما هو سائد بين العرب، وقد صدّق على ذالك كل من يعرف

الأصول والقوانين العربية، ووقع على ذالك أهالي الحرمين الشريفين).

وحدّد أيوب صبري باشا معنى الديرة وإن لم يستخدم اللفظ وقد يكون ذالك بتصرف من المترجم، فلفظ (منطقة) لفظ حديث لم يكن مستخدمًا قبل العصر الحديث ونص ما قاله مترجمًا[٨]: (كان لكل قبيلة منطقة خاصة بها من الأراضي، وموقع محدد لها، تم تحديده من قبل عظماء القبائل وكبرائها، لا يجوز لأي قبيلة أن يتعدى نفوذ رجالها هذه الحدود، أما إذا حاول أحد من القبائل الأخرى أو عابر سبيل سولت له نفسه أن يعبر تلك الحدود، فلا يمكن أن يكون آمنًا على حياته بل لابد أن يتخذ لنفسه أثناء عبوره هذه المنطقة دليلاً أو رفيقًا بين رجالات القبيلة المشهورين وذوي النفوذ بين أفراد القبيلة كلها...).

وقد ذكر علي بن موسى أمثلة لديار القبائل بما هو معروف في منطقة المدينة موضوع رسالته، وديار القبائل منها ما يكون واسعًا جدًّا وهو مجموع ديار القبيلة الأم مثل ديار حرب التي يطلق عليها الحربية وتمتد على مساحات شاسعة في الحجاز ونجد، ومنها ما يكون ديارًا للقبائل الفرعية داخل القبيلة، وهذا ما ذكره علي بن موسى - وهو أمثلة - حيث وصف ديار حرب في جهات المدينة المتصلة بها ولم يصف ما بَعُدَ عنها (لخروجه عن موضوع كتابه)، والمدينةُ كلها حربية كما يقال في المثل العامي: (حربي ترك مدينته وراه) ومن قال ذالك هم بنو حرب الذين أنجدوا بعد القرن الحادي عشر الهجري وانساحوا في نجد حتى القصيم والسّر بعده.

يقول علي بن موسى[٩]: (فالجهة القِبْلِيَّة[١٠] لقبائل معلومة من مَسْروح - يعني أهل طريق الغاير والفرعي[١١] - فقرية قُبَا بما بينها وبين المدينة من الصيارين[١٢] للفُرَدة، وقرية قربان التي هي بين العوالي وقبا هي للوُهُوب والفُرَدة، والعوالي التي هي شرق قربان لبني عليّ خاصة، والجهة الشامية[١٣] ما كان منها على شرقي طريق سيدنا حمزة - رضي الله عنه - كالصدقة وعين الحازمية والمَصْرَع والسرانيَّة وعين حسين والشُّرَيْوفية المنقطعة عند سفح

جبل أحد فهو تبع بني علي المذكورين، وما كان غربي سيدنا حمزة إلى جبل فتّة[١٤] فللأشراف بني حسين، والذي من شامي أرض الأشراف إلى مغيض العين الزرقاء فلقبيلة الحنانية فرع من المراوحة يعني من قبائل الحوازم[١٥]، وأرض العيون التي في الجهة الشامية كلها لوُلْد محمد وهم السعادين والسواعد والتمم، وهؤلاء تبع لقبيلة الأحامدة[١٦]، وأما الجهة الغربية كمزارع الجرف فمحمدية أيضًا لولد محمد، ومزارع العنابس وأبي بريقة على العقيق وذي الحليفة والوسيطة والعلاوة إلى الجبل الأحمر المعروف الآن بحمراء نملي فلبني عمرو من مسروح ليس لبني سالم فيها حق إلا ما آل إليهم بالمشترى بموجب حجج شرعية).

وهكذا يتضح من هذا النص أن الديرة تبقى منسوبة للقبيلة المختصة بها، وأن ذالك لا يمنع من تملك الآخرين بها عن طريق الشراء أو الإرث فما كان شرقي طريق سيد الشهداء فهو ديار لبني علي، ومع ذالك تملك فيه أفراد من قبائل أخرى كالحازمي والسراني والشريوفي (وهو حازمي) وكلهم ليسوا من بني علي.

وقد حدَّد هذان الكاتبان (ابن موسى وأيوب صبري) مفهوم كلمة ديرة من واقع خبرتهما، فكلاهما كلّف ببعض المهام التي جعلته يعرف معنى كلمة ديرة، التي تعني مناطق محددة بحدود معينة، جرى العرف على تحديدها لتنسب إلى قبيلة معينة، وذالك ما زال معروفًا وبخاصة في الجزء الغربي من الجزيرة العربية الممتد من خليج العقبة إلى أقصى اليمن، ولا يوجد موضع سهلاً كان أم جبلاً في أرض أي قبيلة إلا وهو مملوك لأفرادها أو مشاع بين بعض فخوذها وهم يعرفون ذالك ويشهدون عليه ويتوارثون معرفته.

وقد يقال إن كلمة (ديار) مضافة للقبائل قد وردت في العهود الأولى، ففي الحديث الشريف أن بني سَلمة من الأنصار أرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد النبوي، فبلغ ذالك النبي ﷺ فقال لهم: «إنه بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا

قرب المسجد»، قالوا: نعم يارسول الله قد أردنا ذالك فقال: «يابني سلمة، دياركم تكتب آثاركم»[١٧].

وديار الواردة في الحديث ليست جمعًا لديرة بل هي جمع لكلمة (دار) كما نصت على ذالك معجمات اللغة، ففي «لسان العرب»: (أما الدار فاسم جامع للعرصة والبناء والمَحَلّة، وكل موضع حل به قوم فهو دارهم)[١٨]. وفي «المصباح المنير»: (الدار معروفة... وتجمع أيضًا على ديار ودور، والأصل في إطلاق الدور على المواضع، وقد تطلق على القبائل مجازًا)[١٩]. وفسّر الأزهري ما ورد في الحديث «ألا أنبئكم بخير دور الأنصار» قائلاً: (الدور ها هنا قبائل اجتمعت كل قبيلة في محلة فسميت المحلة دارًا)[٢٠] وذكر الزمخشري في «أساس البلاغة» أن من المجاز قول العرب: (ما في بني فلان دار أفضل من دور قومك وهي القبائل، كما قيل البيوت)[٢١].

فديار جمع لدار ثم توسع في المعنى فانتقل من إطلاق على القبائل إلى مواضع سكنها ونزولها، وهذا الإطلاق ورد عند المتقدمين فقالوا: ديار بكر وديار مضر وديار ربيعة وديار سليم ونحو ذالك، يعنون به الأماكن الشاسعة التي امتدت فيها القبائل العربية، ومن أقدم من ذكر ذالك أبو علي الهجري في «نوادره» ففيه[٢٢]: قال سَبَّاق الباهلي:

حمَوْا ما في ديار بني سُلَيم ... إلى ما رَدّ فَيْدُ إلى طَمِيَّهْ

إلى دار الحريش فبطن بِرْكٍ ... بلادٌ لا تعنّفها الرَّعيه

وقد يفهم من قول الشاعر أن (ديار) أخص من كلمة (بلاد) التي كان القدماء يطلقونها أيضًا على مساكن القبائل فيقولون بلاد ربيعة مثلاً.

وقد سار القدماء من علماء المواضع الجغرافية على هذا في تحديد الموضع، فمثلاً البكري ذكر ديار بكر في عدة مواضع منها[٢٣]: (الأَفَاكِل: ... من ديار بكر) وذكر ديار بني ربيعة في عدة مواضع منها: (خَشَب الأَرِيط: ... موضع

بين ديار بني ربيعة والشام) وقال: (وجُساس: ... موضع في ديار هذيل) وقال: (حرَّان: كُورة من كور ديار مضر) وقال: (المُسَلَّحة: ... من ديار بني تميم) و(المُشَاش: موضع بين ديار بني سليم وبين مكة).

فالقدماء في العهود الأولى استخدموا كلمة (ديار) للمواضع التي حلت فيها القبائل ضاقت أم اتسعت، وقد نص أهل اللغة أن أصل كلمة (ديار) جمعًا لدار وليست (لديرة)، وهي عند القدماء كاستخدامهم لكلمة (بلاد) حين يقولون هذا المكان يقع في بلاد بني فلان، أما ما اشتهر في العهود المتأخرة فهو يؤدي المعنى الذي قصده القدماء، ولكنه جمع لـ(ديرة) التي تستخدم أيضًا فيقال: ديرة بني فلان كما سبقت نصوص في ذالك عن ابن موسى وأيوب صبري باشا، على أن كلمة (ديرة) استخدمت في حواضر نجد لوسط المدينة أو القرية الذي تقع فيه أسواقها التجارية، وما زال هذا المعنى مستخدمًا، ولم أقف على أصله إلا أن يكون مأخوذًا عما سأذكره لاحقًا عن «القاموس المحيط».

وذكر رينهارت دوزي في «تكملة المعاجم العربية» كلمة (ديرة) فقال(٢٤): (ديرة: رستاق، ضاحية، ربض المدينة) والرستاق (الرُّزْدَاق): موضع فيه مُزْدَرَع وقرى أو بيوت مجتمعة) كما في «المعجم الوسيط»(٢٥). وفي «القاموس المحيط»(٢٦) من معاني (الرَّبَض (بفتحتين) سور المدينة والناحية، وبالضم وسط الشيء وأساس البناء)، ولعل هذا هو المعنى الذي أخذ منه إطلاق كلمة (ديرة) على وسط المدينة أو القرية في نجد.

ولعل من يقرأ هذه السطور لديه من العلم أو الاطلاع ما لم أعرفه فيفيدني به ويفيد القراء.

د. عائض الردادي

الحواشي:

(١) مثل «تكملة المعاجم العربية» تأليف رينهارت دوزي و«مد القاموس» تأليف إدوارد لين (Lane).

(٢) من أبيات مشهورة في الحجاز، يتغنى بها، وقد نشرت في جريدة «المدينة» في عددها رقم ١٢٠٥٥ الصادر في ٢٤ / ١١ / ١٤١٦هـ الموافق ١٢ / ٤ / ١٩٩٦م.

(٣) العام: يقصدون به العام الماضي. لزتني: حدَّتني وهي فصيحة، يقال لزه أي شدّه وألصقه، وفي مدينة الرياض حي الملز نسبة لمكان السباق الذي كانت تتلاز فيه الخيل في السباق أي تتلاصق مزدحمة. الطُّرْقة: السفر. أبي: (أبغي) أريد. ليامي ليام: ملاقاتي ملاقاة. الجهام: نزول النزال من الناس الذين ينزلون الديار إذا اخضرت الأرض.

(٤) «وصف المدينة المنورة سنة ١٣٠٣هـ»، نشرها حمد الجاسر ضمن «رسائل في تاريخ المدينة» منشورات دار اليمامة، الرياض ط١، ص/ ٣١.

(٥) «مرآة جزيرة العرب» ٢/ ٣٤٠، ترجمة وتعليق د. أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الرياض للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٦) لم أعثر على شيء عن د. رائف ولعل لذلك صلة بالتقرير الطبي الذي طلبه السلطان عبدالحميد الثاني من هيئة طبية مؤلفة من ٣ أطباء برياسة د. عبدالحكيم حكمت عن خمس ولايات عربية عثمانية منها الحجاز، وقد ترجم ما يخص الحجاز د. محمود الحاج قاسم محمد ونشرته مجلة «الدارة» في عددها الثاني عام ١٤١٩هـ، ص/ ١٥١.

(٧) «مرآة جزيرة العرب» ٢/ ٣٤٠.

(٨) المصدر نفسه ٢/ ٣٥٤.

(٩) «وصف المدينة المنورة» ص/ ٣١.

(١٠) القبلية: الجنوبية، فقبلة المدينة المنورة جنوبًا.

(١١) الغاير: ثنية من ثنايا وادي العرج، عن يمين عقبة ركوبة، سلكها النبي ﷺ في هجرته، كما ذكر السمهودي في «وفاء الوفاء» ٤/ ١١٦٧، ط٤، دار الكتب العلمية، بيروت، بتحقيق محيي الدين عبدالحميد، الفرعي: ذكر عاتق البلادي «قلب الحجاز» ٢٠٢، أن الطريق الفرعي تفترق من طريق زبيدة عند مهد الذهب، والفرعي تعني الشرقي لاتجاهها شرقًا على عرف أهل الحجاز في تسمية جهة الشرق (فرع) لإتيان سيولهم من الشرق.

(١٢) الصيارين: النخيل.

(١٣) الشامية: الشمالية.

(١٤) جبل فتة: اسمه الصحيح جبل بني عبيد، وهو الجبل الواقع شرقي مسجد القبلتين، ويحصره الآن الطريق الدائري شرقًا وطريق خالد بن الوليد غربًا. سيدنا حمزة: منطقة جبل أحد.

(١٥) هنا خلط المؤلف فالحنانية والحوازم فرعان من المراوحة (القسم الثاني من بني سالم من حرب) وكلاهما قبيلة مستقلة، وليس الحنانية من الحوازم بل هم بنو عمهم.

(١٦) ولد محمد والأحامدة: فرعان من ميمون (القسم الأول من بني سالم من حرب) وكلاهما قبيلة مستقلة، وليس ولد محمد تبعًا للأحامدة، فهذا خلط من ابن موسى.

(١٧) مسلم: «الصحيح»، كتاب المساجد برقم/ ٦٦٥. وديارهم هي الحي المعروف الآن في المدينة المنورة بحي القبلتين لوقوع مسجد القبلتين فيه.

(١٨ و١٩ و٢٠ و٢١) مادة (دور).

(٢٢) «النوادر والتعليقات»، بترتيب حمد الجاسر ٦٤٧، و١٣٣٨، ط١.

(٢٣) «معجم ما استعجم»، في هذه المواضع، وانظر فهرس القبائل في آخره.

(٢٤) «تكملة المعاجم العربية» ٤/ ٤٣٩.

(٢٥) مادة (الرزداق) و(الرستاق).

(٢٦) مادة (ربض).

حول كتاب «نثر الدر»

إنّهُ للآبي قطعًا

(٢)

وكان من رفعة خُلُق العلاّمة حمد الجاسر أن نقل إلى أخيه نصّ ما ذَكَرَتْهُ «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» الصادرة في طهران عن الآبي منصور بن الحسين وكتابه «نثر الدر». وفيه: أن هذا الكتاب هو الوحيد الذي بقي له. وأنّ كتاب «الأنس والعرس» ليس من المعلوم أن يكون له!!.

قلت: وهذا كلام غير صحيح علميًّا، فـ«نثر الدر» ليس هو الكتاب الوحيد الذي بقي لأبي سعد الآبي، بل وصلنا كتابه «الأنس والعرس» أيضًا، وقد نسبه إليه ابن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات»(١).

إنّ مصورة مخطوطة هذا الكتاب بحوزتي وهي تقع في مئة وثماني وتسعين ورقة، خطها نسخي ومعدل سطور الصفحة الواحدة عشرة سطور، تعود للقرن السادس الهجري تقديراً. وقد ذكر مؤلفه اسم الكتاب في مقدمته إذ قال: (فاستخرتُ الله تعالى وجمعت هذا المجموع اللطيف وسميته كتاب «الأنْس والعرس»).

وقد سقطت ورقة العنوان من المخطوط، فَمُنِحَت عنوانًا زائفًا، ونُسِبَتْ لغير مُصَنِّفها. غير أن دراستي للنَّص من الداخل أثبتتْ بالدليل القاطع أنه لأبي سعد الآبي، ذالك أن للآبي شقيق هو أبو منصور محمد بن الحسين الآبي وكان أديبًا وعالمًا وَوَزَرَ لملوك طَبَرِسْتان. وفي مخطوطتنا هذه قصائد ومقطعات لأبي محمد المخزومي مدح فيها الأخوين معًا وذكر فيها منصوراً الآبي بالاسم وبالكنية وأورِدُ بعض نصوص هذه المدائح(٢): [أبو محمد المخزومي من قصيدة مدحنا بها:

لاحقيٌّ اللّحاق حين يُباري   صِنْوَهُ والضّياءُ للصُّبْحِ حِلْفُ
كجَنَاحَيْ فَتخاءَ جاءآ سواءً   حينَ يثنيهما وحينَ يَصِفُّ]

وساق الأستاذ هلال مقطوعات كثيرة خلص منها إلي:

وجملة القول في هذه المدَح، أن المؤلف يصرّح أنها ممّا مُدح به، وأن الشاعر يصرح أن أحد الممدوحين اسمه منصور وكنيته أبو سعد.

وأنَّ كُتّاب التراجم يؤكدون أنّ لأبي سعد منصور الآبي، شقيق أديب عالم وزير هو أبو منصور محمد بن الحسين الآبي، فَهُما المقصودان بهذه المدَح.

ودليل آخر هدتنا إليه دراسة النص من الداخل، فمعلوم أن أبا العلاء محمد بن علي بن مَسْول كانت له صلة طيبة بأبي سعد الآبي. وقد حفظ لنا الثعالبي في «تتمة يتيمته» مقتطفات من قصيدة مدحه فيها قال فيها[٣]:

وبي إلى (الدُّهْخُذا) شوقٌ يؤرقني   وإن تغيّر عمّا كنت أعهدهُ

وفي آخرها:

خذها إليك بلا لفظٍ تكدّرهُ   على الرواة ولا معنى تجعدّه
كالماء تسكبه، والمسك تفتقُهُ   والوشي تنشره، والتبر تنقده

وفي مخطوطتنا هذه نجد قصيدة[٤] للصفي أبي العلاء مسول - أوردها الأستاذ ناجي -.

وقال بعدها: فالصفيُّ أبو العلاء محمد بن علي بن الحسين بن مسول يمتدح مصنف الكتاب وأخاه بهذه الرائعة ويسبغ عليهما أروع وأنبل الصفات. والمصادر تذكر أن مصنف كتاب «الأنس والعرس» هو أبو سعد الآبي، وثابت أن لأبي سعد أخ أديب عالم وزير هو أبو منصور محمد بن الحسين الآبي.

وهذا كله ينتهي بنا إلى أن مؤلف الكتاب هو أبو سعد منصور الآبي. مع التأكيد على أن ابن شاكر الكتبي قد ذكر في ترجمة الآبي أن له كتابًا عنوانه

«الأنس والعرس» ويمكن أن نضيف لما تقدم من أدلة، إن دراسة النص تثبت أن جميع الشعراء والإعلام الذين اختار لهم المصنف وهم بالعشرات كلهم ممن عاشوا قبل زمنه، وليس فيهم متأخرٌ واحدٌ عنه.

وإذا كانت «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» الصادرة في طهران تقول: ان كتاب «الأنس والعرس» ليس من المعلوم أن يكون له، فإنّي أقول بعد الذي سُقْتُهُ: أنّه للآبي قَطْعًا.

و«الأنس والعرس» كتاب مختارات شعرية، أو بتعبير آخر هو من كتب الحماسات، والكتاب ليس مختارات شعرية فحسب، بل فيه مختارات نثرية قصيرة أيضًا. ولم يُبَوِّبْهُ مصنّفه إلى أبواب، وإنّما أورد مختاراته تحت عناوين فرعية، أشبه بعناوين الفصول. وهذه هي:

اختيار مودة الأبرار وتجنب الأشرار، مواساة الإخوان ومساعدتهم، استبقاء مودة الإخوان واحتمال هفواتهم، الاقتصاد في المحبة والبغض، التأسف على المودات، ذِكْرُ المكاشرين من الإخوان والمداجين والمتلونين، من تسلّى عن إخوانه المتغيرين له، أو جازاهم عن أفعالهم الذميمة، أو تربّص بهم الدوائر، دلالة عيون الإخوان على ضمائرهم، من كَرِهَ موالاة عدوّ الصديق، من جاهر بالعداوة، الرجوع إلى الصديق والرئيس بعد تجريب غيره، إغْبَاب الزيارة، اختلاف الناس في أخلاقهم وأفعالهم مع اتفاقهم في أسبابهم وأنسابهم، وقصور الأبناء عن آبائهم، التساوي في الأقارب مدحًا، التساوي في الذم، العتاب والاستزادة، في المعاتبة على الحجاب، ومنهم من تجاوز العتاب إلى الهجاء والشتيمة، مكاتبات الإخوان وذكر الكتب والمخاطبات، الاعتذار والتنصل، شكر المحسن والاعتداد بالنعمة، الموالي وبنو العم وما قيل في حمدهم وشكايتهم، والحُنوّ عليهم والإشفاق في ظلمهم، التَّهادي وذكر الهدايا، من

استعطف رئيسًا على عشيرته وعلى جنده، من أغرى رئيسًا بأقاربه وبغيره، التحريض على العمال، القيام للرئيس والصديق، تقبيل اليد، العيادة والتهنئة بالسلامة. وعلى وجه الإجمال فإنّ هذا المخطوط يضيف الكثير إلى ديوان الشعر العربي.

وقد أنهيت تحقيقه، مستعينًا بمخطوطة أخرى ناقصة ظفرت بها بعد تنقير طويل، وآمل أن يكون الكتاب في مُتَنَاول القراء في عامنا القادم -إن شاء الله-.

* * *

لقد كان أبو سعد الآبي - المتوفى على الأرجح عام ٤٢١هـ - من أعلام عصره فهو شاعر، ناثر، مُتَرَسِّل، مُصَنِّف، وزير.

وكان من شهرته ورفيع قدره، وعلوِّ منزلته، ورائق طبعه، وسلاسة خُلقه، أن قال فيه الصاحب بن عبَّاد - وهو مَنْ هُوَ أدبًا ومكانةً وعلمًا - بيتيه الشهيرين(٥):

قُلْ لأبي سعد الفتى الآبي ... أنت لأنواع الخنَى آبي

الناسُ من (كانون) أخلاقهم ... وخُلْقُكَ المعسولُ من (آب)(٦)

وكان أبو سعد قد بعث من (ويمه)(٧) بأرجوزة إلى صديقه الشاعر أبي الحسن محمد بن أحمد بن رامين، فأجابه الأخيرُ بأرجوزة منها(٨):

وافَتْنيَ القصيدة الكريمه ... من كلّ ما يشينُها سليمه

وهي لعمري درّةٌ يتيمه ... قد أسفرتْ عنها ظلالُ (ويمه)

وللأستاذ أبي العلاء محمد بن علي بن الحسين بن مسول صفيِّ الحضرتين(٩)، مدائح عدة مرّت الإشارة إليها. ولأبي سعد الآبي أشعار حفظت مظانُ ترجمة بعضَها(١٠).

استوزره مجد الدولة رستم بن فخر الدولة البويهي، صاحب الري، ومن مصنفاته المفقودة «تاريخ الري»[11]، ومن هذا الكتاب نقل مطول في «معجم الأدباء» لياقوت[12].

وآبة التي ينتسب إليها أبو سعد الآبي، قرية صغيرة في جنوب مدينة (ساوة)[13] في المحافظة المركزية بإيران حاليًّا[14]. وقد وصفه الثعالبي بأنّ له (من شرف النفس وكرم الطبع وعلوّ الهمة وعظم الحشمة ما الأخبار به سائرة، والدلائل عليه ظاهرة، ثم هو من أَجْمَع أهل زمانه لمحاسن الآداب وأغوصهم على خبايا العلوم...)[15].

بغداد: هلال بن ناجي

الحواشي:

(١) «فوات الوفيات» والذيل عليها ٤ / ١٦٠.

(٢) مخطوطة «الأنس والعرس» الورقتان ٧٨- ٧٩ [العرب: اضطرارًا لا اختيارًا، لضيق المجال اكتفي بالإشارة إلى هذه المدائح و(يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد) فمعذرة من الكاتب الكريم].

(٣) «تتمة اليتيمة» ١ / ١٠٨.

(٤) الورقة ١٣٩- ١٤٠ مخطوطة «الأنس والعرس».

(٥) «تتمة اليتيمة» ١ / ١٠٠ و«ديوان الصاحب بن عباد» ص ١٩١.

(٦) آب: بالفارسيَّة: الماء.

(٧) (ويمه): موضع.

(٨) «تتمة اليتيمة» ١ / ١٢٥.

(٩) أبو العلاء هذا من علية الكتاب والشعراء له ترجمة في «دمية القصر» ١ / ٣٦٧- ٣٦٩ (طبعة د. سامي العاني). و«تتمة اليتيمة» - تحقيق عباس اقبال - ١ / ١٠٧. و«الوافي بالوفيات» للصفدي ٤ / ١٣٢. وغيرها. توفي في حدود منتصف القرن الخامس الهجري.

(١٠) «دمية القصر» ١ / ٣٩٨- ٣٩٩ و«تتمة اليتيمة» ١ / ١٠٠- ١٠٧ و«الفوات» ٤ / ١٦٠- ١٦١ و«معاهد التنصيص» ٣ / ١٧٠.

(١١) «معجم البلدان» ١ / ٥٧ و«تاج العروس» ١ / ١٥١.

(١٢) «معجم الأدباء» ص ٦٩٠- ٦٩٤ (طبعة إحسان عباس).

(١٣) «معجم البلدان» ١ / ٥٧.

(١٤) «دائرة المعارف الإسلامية الكبرى» (رسم الآبي).

(١٥) «تتمة اليتيمة» ١ / ١٠٠.

نتائج حملة مصطفى باشا على البحرين

(٦)

٤- ثورة بني حميد: رأينا كيف أن الموقف العثماني كان حرجًا جدًّا، وخاصة وأن قواتهم قد هزمت في البحرين، وعادت قوة محدودة جدًّا وبدون أسلحة، وما أعقب ذلك من نقص في السلاح والرجال، بمعنى أن القوات العثمانية بقيت عديمة القوى، فهذه السفن البرتغالية جاءت وهددت التجارة عن طريق اغلاق طرق المواصلات البحرية، والقوات العثمانية تضطهد الرعايا مع غاراتهم ومضايقاتهم المستمرة عليهم، سارقين مأكلهم وملبسهم، هذا بالإضافة إلى ما قامت به الدولة من مصادرة لأراضي الرعايا عند الفتح العثماني للأحساء أو قبيل الغزو العثماني على البحرين. كل هذه العوامل مجتمعة دفعت سكان شرق الجزيرة العربية للثورة ضد السلطات العثمانية في منطقة الأحساء، وهذه الثورة كانت بقيادة بني حميد[١]، إحدى بطون قبيلة بني خالد المشهورة[٢]، كان قائد بني حميد يعرف باسم سعدون، وربما شاركت في هذه الثورة بعض القبائل الأخرى التي قد تكون تأثرت أملاكهم بالفتح العثماني[٣]، إلا أن الوثائق العثمانية لا تذكر صراحة تلك القبائل، وبنو حميد كانت هي القبيلة الوحيدة المحلية التي تحدت السيطرة العثمانية بعد سنوات قليلة من الفتح العثماني للأحساء.

والظاهر أن سعدون بن حميد ظهر على الحلبة السياسية لأول مرة عندما قدم ولاءه للعثمانيين وعين (سنجاق بك) على بعض المناطق في نجد عام ٩٦١هـ (١٥٥٣م)[٤]، ولما اندلعت ثورة محمد بن راشد عام ١٥٥٧، انضم إليه سعدون، ثم هجره لاحقًا واتحد مع سلطان علي، وأعلن ولاءه وإخلاصه للدولة العثمانية، فعين (سنجاق بك) على البادية بقيمة ٢٠٠٠٠٠ اقجة[٥]، ولا شيء آخر يعلم عنه منذ ذلك الوقت وحتى اعلان ثورته، والظاهر أنه كان ينتظر

الفرصة المناسبة لبسط سيطرته على الأحساء، وجاءت هذه الفرصة بعد هزيمة العثمانيين في البحرين عام ١٥٥٩م، وعندها ثار سعدون قائلاً: (ان القوات التي غزت البحرين قد سحقت، ومن الآن وصاعداً الأحساء لي) وبدأ خططه التوسعية بتوزيع الحدائق والمزارع على الأعراب من أتباعه وأنصاره، مصدراً ملكيتهم لها تحت ختمه الخاص، كما أنه وزع على أتباعه وقادة الأعراب دخل قرية واسط[٦]، التابعة للأراضي السلطانية (خاص)، كما أنه جمع مبلغاً كبيراً نقداً من قرية المبرز[٧]، واستمر سعدون في تقوية مركزه، وقال بأنه سيستولي على المنطقة تدريجيًّا، وهدد قلعة الأحساء، واعتدى سعدون على بعض الأشخاص الموالين للحكومة مغيراً عليهم وناهباً حدائقهم ومزارعهم[٨]، كما أنه نهب الولاية[٩]. ثم أراد سعدون أن يقوي مركزه بالبحث عن حلفاء له، فوجد البرتغاليين خير حليف له[١٠]، فجاء البرتغاليون وحاصروا موانئ الأحساء والقطيف لفترة طويلة[١١]، كما أنهم استولوا على سفن التجار والمسافرين[١٢]، وفي الوقت نفسه قام سعدون بحرق وتخريب الولاية، بينما كان اتباعه يغيرون على المزارع ويسرقون محاصيلها[١٣]. كما أن سعدون تلقى ولاء وإخلاص بعض سكان ولاية الأحساء، ورحب بالبعض الآخر في القطيف ممن مال لجانبه، لأن هؤلاء كانوا يائسين من التخلص من الإجراءات التعسفية والظالمة التي كان يقوم بها بعض أغوات القوات العثمانية ضدهم في القطيف، وهؤلاء كانوا مستعدين لتزويد سعدون بالمواد الغذائية[١٤]. وزادت فرحة سعدون عندما جاء عثمان بك، إحدى الشخصيات البارزة والعالية في ولاية الأحساء، وأعلن إخلاصه وانضمامه إليه، وعين عثمان بك (سنجاق بك) على قرية العيون[١٥] في ١١ محرم ٩٦٦هـ (٢٥ اكتوبر ١٥٥٨م)[١٦]، وهناك بعض الأدلة التي تشير إلى أن عثمان بك كان هو الرجل الثاني في ولاية الأحساء، وشارك مصطفى باشا في تحمل أعباء الولاية، وهذه الأدلة يمكن تقسيمها على النحو التالي:

أولاً: تعاون مع مصطفى باشا وأرسلا معًا دفتر أو سجل الحسابات الملخص (اجمالي دفتري) لعام ٩٦٦ (٩- ١٥٥٨) المتعلق بمرتبات (مواجب) طائفة قول(١٧).

ثانيًا: قام مصطفى باشا باختياره ليكون نائبًا عنه في ولاية الأحساء، أثناء غيابه في البحرين ولحين عودته(١٨). وبمجرد وصول أنباء وفاة مصطفى باشا، ذهب عثمان بك لتفحص ومعاينة متروكات مصطفى باشا الباقية في الأحساء ففتح صناديقه، وعاين ما كان بها، وعمل قائمة بالمحتويات، إلا أنه أخذ كثيرًا من أشياء مصطفى باشا لنفسه(١٩). ثم ذهب عثمان بك، (سنجاق بك العيون)، وحسين، أمين الأمناء، لرؤية سعدون، فصار عثمان بك حليفًا لسعدون، وأعطاه ٦٠٠٠٠٠ اقجة من أموال الدولة (ميري)(٢٠). وكان مراد باشا، أمير أمراء الأحساء، في موقف حرج، وكان عليه أن يواجه كل هذه الصعاب في الأشهر الأولى من قدومه للمنطقة، إلا أنه أظهر جهودًا جبارة من خلال المحاولات التي بذلها للتغلب على تلك الصعاب، واستطاع أن يبرهن للحكومة على أنه كفء، وأنه الشخص المناسب للمكان الذي وضع فيه، فكان مراد باشا يخبر الحكومة عن كل خطوة يقوم بها أعداءه، مقترحًا بعض الحلول لمعالجة كل منهم على حدة، وقام بالخطوات التالية:

أولاً: كاتب استانبول عن حاجته الملحة للقوات والأسلحة، وأمر بأن يوظف (عزاب) من أجل الدفاع عن الولاية(٢١)، وبذلك رفع عدد جنوده، كما أنه منح مدفعين، و ٣٠٠ بندقية، و ٢٠٠ كيس من البارود - كما ذكر آنفًا -(٢٢)، وتمكن بذلك من تحصيل المعدات اللازمة لتسليح جنوده.

ثانيًا: من أجل منع البرتغاليين من ايقاع أضرار بالولاية، ومن أجل فك حصارهم البحري، ناشد الدولة بضرورة تزويده بالسفن لحراسة وحماية موانئ الأحساء والقطيف من هجمات البرتغاليين، فأصدرت أوامر لأمير أمراء البصرة

بإرسال سفن كل شهرين أو ثلاثة أشهر، لتقوم بدورية في مياه منطقة الأحساء ثم تعود بعدها للبصرة(٢٣)، وبهذا تمكن مراد باشا من أن يبعد البرتغاليين عن المنطقة.

ثالثًا: طلب مراد باشا موافقة الحكومة على بناء قلعة في العقير، حتى يمنع الثوار العرب من الإغارة على سفن التجار القادمة، ووافقت الحكومة على بناء تلك القلعة في مكان مناسب(٢٤).

رابعًا: حاول مراد باشا بأن يجرد سعدون من أنصاره، وأن يقلل عددهم، فأخذ كلاً منهم على حدة، فأخبر العاصمة استانبول عمن يساند سعدون، وقيل له: (بأن لا يرحم بل يعاقب أولئك المسببين المشاكل، ولو اقتضى الأمر القتل، وذلك حتى يكونوا عبرة لغيرهم)(٢٥).

خامسًا: أخبر الحكومة عن تحركات عثمان بك المشبوهة، وقال بأن متروكات مصطفى باشا المفقودة والمتضمنة لخواتمه وجواهره وسبحات اللؤلؤ، قد وجدت في حوزة عثمان بك، وأخبرهم بأنه لجأ إلى سعدون وأعطاه أكثر من ٦٠٠٠٠٠ اقجة من الخزينة السلطانية، وتعاون معه، فتلقى أوامر بالتحفظ على عثمان بك وحسين أمين الأمناء، في القلعة(٢٦)، لكن عثمان بك ترك أشياءه خارج القلعة عند حسين العجمي، وفي يوم من الأيام، أخذ عثمان أشياءه من هناك وأراد الفرار، إلا أنه اكتشف أمرهما، فقبض عليهما وكبلا بالسلاسل، ووضعا في قلعة الأحساء الداخلية، وأمر مراد باشا بأن يحصل الأموال المسروقة من قبل عثمان بك وحسين، وبعدم اطلاقهما من السجن(٢٧)، ولاحقًا عزل عثمان بك، ومنح سنجاقه لمحمد بن راشد، أمير البادية(٢٨). وأخيراً أنجز استعداداته لمنازلة سعدون وأتباعه، وطلب مراد باشا إذن العاصمة فجاءته الأوامر بأن يحاربهم ويعاقبهم، وطلب من سلطان علي، أمير القطيف بأن يعاون مراد باشا إذا طلب ذلك(٢٩)، وعندما علمت الدولة بأن

سلطان علي أعلن اخلاصه لسعدون، تم عزله[٣٠].

وقد هزم سعدون، بعد أن تم عزله عن حلفائه، وان الأراضي التي كانت بحوزته وغيرها من المناطق التي سيطر عليها عادت مرة أخرى لحيازة الدولة[٣١]، وأعاد الأمن والأمان للمنطقة مع وصول قوات جديدة، وأتم مراد باشا مهمته بنجاح. ولم يسمع شيء آخر عن سعدون في الوثائق العثمانية لمدة ست عشرة سنة، ففي عام ١٥٧٦م عندما فكر سعدون في إعادة بناء علاقته بالدولة العثمانية، فأرسل رسالة إلى استانبول مقدمًا ولاءه واخلاصه للسلطان العثماني، كما أنه قام ببعض الاتصالات مع أمير أمراء الأحساء[٣٢]، وفي ٢٢ صفر ٩٨٤هـ (٢١ مايو ١٥٧٦م) وبعد تقديم ولاءه، أمر أمير أمراء الأحساء بأن يمنح سعدون السنجاق الذي تحت تصرف أخيه[٣٣]، وأن يعطي أخا سعدون ٤٠ اقجة بالمقابل من خزينة الأحساء[٣٤]، وبهذا عاد سعدون إلى حظيرة العثمانيين، وعين (سنجاق بك) من جديد.

جامعة الكويت - كلية الآداب - قسم التاريخ: د. فيصل عبدالله الكندري

الحواشي:

(١) أحد أشهر بطون بنو خالد، وينتسب هذا الفرع إلى حميد الذي كانت له علاقة زواج بالجبور، ولعب حميد دورًا بارزًا في أحداث البحرين عام ٩٢٦هـ (١٥٢٠م)، عندما صار قائدًا للجبور بعد وفاة مقرن بن سيف عام ١٥٢١م. انظر: عبداللطيف الحميدان «التاريخ السياسي لإمارة الجبور في نجد وشرق الجزيرة العربية (٨٢٠- ٩٣١هـ/ ١٤١٧- ١٥٢٥م)» في مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد ١٦، (١٩٨٠)، ص ٣١- ١٠٩)، ص ٧٨- ٩٠ وعبدالكريم الوهبي، «بنو خالد ونفوذهم بنجد» (الرياض، ١٩٨٩) ص ١١٠.

(٢) احدى قبائل شرق الجزيرة العربية، كانت احدى أكبر القبائل التي ظهرت في القرن السادس عشر، وظهروا على الساحة السياسية بعد أفول نجم امارة الجبور، وتتوزع حاليًا هذه القبيلة في نجد والقطيف والبحرين والكويت.

(٣) Mandaville "Ottoman Provice of al-Hasa", p. 499.

(٤) في ١٠ محرم ٩٦١هـ (١٦ ديسمبر ١٥٥٣م) عينه محمد أمير (بك) الأحساء (سنجاق بك) على القرى التالية: عيينة، وتعز، ومعكال، ومنفوحة، والقصب، وحريملاء في نجد، وذلك بقيمة ٣٠٠٠٠٠ اقجة انظر: رؤوس دفتري Ruus Defteri رقم ٢١٠، ص ٢٦٤).

(٥) BDA, ARSK, no 1457, p. 6.

(٦) هناك ١٣ قرية تحمل اسم واسط، وأشهرها واسط التي تقع بين البصرة وبغداد. انظر: ياقوت الحموي، «معجم البلدان»، ج ٥ (بيروت، ١٩٥٧) ص ٣٤٧- ٣٥٣ كما أن هناك قرية باليمامة في شبه الجزيرة العربية. محمد بن بليهد، «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» ج ٣ (القاهرة، ١٣٧٢) ص ٣٦- ٣٧.

(٧) إحدى أهم المدن في الأحساء، وهي تبعد ميلين من الهفوف.

(٨) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦ رقم ٢.

(٩) مهمة دفتري ٣، ص ٣٢٣ رقم ٢ ومهمة دفتري ٤، ص ٨٢ رقم ١.

(١٠) تقول الوثائق العثمانية بأن البرتغاليين جاؤوا وتحالفوا مع العرب الثائرين، إلا أنها لا تذكر نوع الاتفاق أو الشروط التي تحالفوا عليها.

(١١) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٠ رقم ١.

(١٢) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٢ رقم ٢.

(١٣) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٠ رقم ١.

(١٤) مهمة دفتري ٣، ص ٥٧ رقم ٣.

(١٥) وهي قرية هامة في القصيم بالأحساء، وهي تبعد حوالي ٢٥ ميلاً عن بريدة.

(١٦) رؤوس دفتري رقم ٢١٦، ص ١٠.

(١٧) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨١ رقم ١.

(١٨) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦ رقم ٢.

(١٩) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨١ رقم ٢.

(٢٠) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦ رقم ٢ ومهمة دفتري ٤، ص ٧٢ رقم ١.

(٢١) مهمة دفتري ٣، ص ٥٥٧ رقم ٣، كان مديونًا للدولة ٢٣٩٢٣٩ اقجة وعندما سئل عنها لم يدفعها، وانما ذهب يعلن انضمامه لسعدون انظر: مهمة دفتري ٣، ص ٥٥٧ رقم ٣.

(٢٢) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦ رقم ٢.

(٢٣) مهمة دفتري ٣، ص ٣٨٢ رقم ٤ ومهمة دفتري ٣، ص ٣٨٦ رقم ٣.

(٢٤) مهمة دفتري ٣، ص ٤٨٦.

(٢٥) ٤٨١ رقم ٣.

(٢٦) مهمة دفتري ٣، ص ٥٥٧ رقم ٣.

(٢٧) مهمة دفتري ٣، ص ٥٥٧ رقم ٣.

(٢٨) مهمة دفتري ٣، ص ٥٥٧ رقم ٣.

(٢٩) أرسل إليه هذا الحكم في ٢٥ ذي القعدة ٩٦٧هـ (١٧ أغسطس ١٥٦٠م)، وكان محمد قد منح سنجاق العيون بنفس الدخل الذي تمتع به عثمان بك، وهو ٢٠٠٠٠٠ اقجة (انظر: مهمة دفتري ٣، ص ٤٩٠ رقم ١) وكان عبدالرحمن، آغا القول في الأحساء وهو أحد المتقاعدين في الأحساء، السبب الرئيس في تقديم ولاء محمد بن راشد للدولة العثمانية (انظر: مهمة دفتري ٣، ص ٤٧٤) ونتيجة لذلك عين محمد بن راشد (سنجاق بك) على البادية.

(٣٠) مهمة دفتري ٣، ص ٤٤٧ رقم ١.

(٣١) مهمة دفتري ٣، ص ٥٥٧ رقم ٣، بعد عزل سلطان علي كان هناك حديث حول القطيف وفيما اذا كان من الأفضل تحويلها إلى خاص أو إبقائها كسنجاق (انظر: مهمة دفتري ٣، ص ٥٥٧ رقم ٣).

(٣٢) مهمة دفتري ٤، ص ٧٢ رقم ١.

(٣٣) وهذا يدل على أن ثروته استمرت طيلة هذه السنوات وخلالها بقي سعدون في الصحراء والأماكن المقفرة.

(٣٤) ولا تذكر الوثائق العثمانية اسم أخيه أو اسم السنجاق.

(٣٥) مهمة دفتر ذيلي ٣، ص ١٣٠.

الملامح الاقتصادية في كتاب «البخلاء»

(٢)

ويحاول بعض البخلاء أن يجد مبررًا مقبولاً لبخله وحرصه الشديد على رغيف الخبز، فيقول: فإن لم أعز هذا الرغيف الذي هو قوام أهل الأرض، وأصل الأقوات، وأمير الأغذية، فأي شيء أعز؟ إيْ والله، إني أعزه، وأعزّه، وأعزه، مدى النفس، ما حملت عيني الماء(١).

وفي النوع الثاني من أمثلته ركز الجاحظ على الذين يبخلون بالمال، وقال: يعترف البخلاء أنهم لم يجمعوا المال إلا بعد أن دخلوا من كل باب، وعرفوا السرّاء والضرّاء حتى مثلت لهم التجارب عواقب الأمور، وقربتهم من غوامض التدبير. وأنهم لم يحمدوا أنفسهم على جمعه كما حمدوها على حفظه. ولم ينس البخلاء أن يحذروا أبناءهم من سلوك بعض القضاة(٢) الذين يتولون الإشراف على أموال اليتامى القاصرين. فقال أحد البخلاء لابنه: (فإن سلكت سبيلي صار مال غيرك وديعة عندك، وصرتَ الحافظ على غيرك. وإن خالفت سبيلي صار مالك وديعة عند غيركَ، وصار غيرُك الحافظ عليك)(٣).

وخاطب سهل بن هارون قومه قائلاً: (وعبتموني حين زعمت أني أقدم المال على العلم، لأن المال به يُغاث العالِم، وبه تقوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم، وإن الأصل أحق بالتفضيل من الفرع)(٤). وصار في عرف البخلاء؛ أن للغنى سكْرًا، وأن للمال لنزوة. فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى، فقد أضاعه، ومن لم يربط المال بخوف الفقر، فقد أهمله. وسكْر الغنى أشد من سكر الخمر. وجاء الجاحظ بقول زيد بن جبلة: (ليس أحد أفقر من غني أَمِنَ الفقر)(٥). وقول الحصين بن المنذر الذي نستشف من مضمونه مكانة صاحب المال في المجتمع: (عليك بطلب الغنى، فلو لم يكن لك فيه إلا أنه عز في قلبك، وشبهة في قلب غيرك، لكان الحظ فيه جسيمًا والنفع فيه عظيمًا)(٦) واستشهد الجاحظ بقول أحدهم: (إني لأبغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام في

يوم واحد). وعزز الجاحظ رأي هاؤلاء البخلاء بقول أحدهم: ضَعِ الدرهم على الدرهم يُكَوِّنْ مالاً. وقال: إن قسمًا من البخلاء لا يتحرج من أن يقال له بخيل، لأن هذه السمة إنما توحي أن صاحبها ذو مال(٧).

وزعم البخلاء أن أبا الأسود الدؤلي نهى عن الإسراف والتبذير، ودعا إلى ضرورة الموازنة بين الدخل والخرج، وقال لابنه: (إذا بسط الله لك في الرزق فابسط، وإذا قبض فاقبض. ولا تجاود الله، فإن الله أجود منك). وكان بعض المسرفين قد عابوا على أبي الدرداء عندما شاهدوه يلتقط حبات حنطة، إلا أنه لم يكترث بهم(٨).

وجاء الجاحظ بحكايات كثيرة ونادرة تشير إلى بخل أهل (خراسان) بعضها يخص مواد الطعام، وبعضها يتناول الأموال، والقسم الآخر يتناول التقتير في الماء، ومنه ماء الوضوء. وهو يريد أن يصل إلى نتيجة مؤداها: أن البخل طبع متأصل في بعض أهل (خراسان) وفي أعراقهم وطينتهم(٩).

والجاحظ في كتابه الذي نحن بصدد تناول بعض جوانبه، لم يستقبح أفعال كل نماذج المقترين التي تناولها، وإنما وجدناه يقف إلى جانب قسم منهم ويحاول أن يجد مبررًا مقبولاً ومقنعًا لشحّهم وتقتيرهم، فهو لا يصفهم بالبخل. وفي قناعته أن تقتيرهم ناتج عن كونهم أسوأ الناس حالاً، فتقتيرهم على قدر عيشهم. ويقول: إنما نحكي عن البخلاء الذين جمعوا بين البخل واليسر، وبين خصب البلاد وكثرة إنتاجها وبين عيش أهل الجدب. فأما مَنْ يضيق على نفسه لأنه لا يعرف إلا الضيق، فليس سبيله سبيل البخلاء(١٠)، ولعل الجاحظ منطلق في موقفه هذا من المعنى اللغوي الذي أسبغه (ابن منظور) على لفظة (الاقتصاد) التي تعني استقامة الطريق، والقصد في المعيشة وأن لا يسرف الإنسان ولا يقتر(١١).

ومن خلال قراءتي لكتاب «البخلاء» للجاحظ، وجدت أن البخلاء يلهجون بذكر المال ومسألة جمعه وإصلاحه وإكثاره، والقيام عليه، واصطناعه وتثميره، وحسن تعهده وتوفيره. فتلمست أنهم كانوا يرمون إلى:

١ - الحث على استثمار رؤوس الأموال ونمائها: من محصلة الملامح الاقتصادية التي تلمستها في ممارسات البخلاء، وجدت أن لبعضهم آراءً يمكن أن نعدها أبوابًا وآفاقًا لتوظيف الأموال، لتشكل إسهامات جادّة في التدبير وجمع الثروة. فهم يرون أن اقتناء حمار في بيت أحدهم (خير من غلة ألف دينار)[١٢]، لأنه يمكن أن يستعمله لرحله، وبه يدرك البعيد من حوائجه، وعليه يطحن قمحه، ويستفضل عليه ما يربحه الطحان، وينقل عليه حوائجه وحوائج من يريد من خاصته، ويستقي عليه الماء، ويجلب عليه الحطب. وهذه كلها مُؤَنٌ إذا اجتمعت كونت في السنة مالاً كثيراً.

وذكر الجاحظ أن أحد البخلاء قال: لو أن له حانوتًا في سوق (الأحواز) أو سوق (نطاة خيبر) لوظف أمواله في النشاط التجاري، ولاستطاع أن يحقق ربحًا جيداً، بحيث يستطيع أن يطمئن جميع حاجيات أسرته[١٣]. وقد خيل له أن رأس المال لوحده لا ينمو إلا بجهد إنساني يرافقه[١٤].

ومن أجل أن يحقق ربحًا مناسبًا من ماله الموظف، كان البخيل يتفحص أثمان السلع التي ينوي شراءها. فيمر على عدد من الباعة وعندئذ تتكون لديه حصيلة كافية عن السعر المناسب[١٥].

وكشف لنا الجاحظ أن البخلاء كانوا يبحثون عن الربح، ولكلٍ طريقته واجتهاده في ذالك، وأن الربح كان هدفهم الأسمى في الحياة، حتى أن الركض وراءه تحوّل عندهم إلى نوع من المرض المزمن الملازم لهم. وبيّن الجاحظ أنهم كانوا يهدفون إلى أن لا يكون الإنفاق على متطلبات الأموال الموظفة مساويًا لما تدره من ربح، بل لابد أن تكون في دونه، ليكون الفرق الحاصل بين المُنْفَق والمكتَسب فضلاً واصلاً من أجل نماء رأس المال[١٦]. وهذا ما ذهب إليه (الدمشقي) في كتابه «الإشارة إلى محاسن التجارة»[١٧].

وكان البخلاء يؤكدون على عدم إغفال فضول الأموال القليلة، أو الاستهانة بها، لتكون نقطة البداية في إنماء رأس المال الذي يمكن أن يوظف في مجالات

استثمارية مربحة. وفي هذا الشأن قال البخلاء: إن خطة التاجر الناجح تقوم على الاعتماد على فضول الأموال الصغيرة من القراريط[١٨]، والدوانيق والأنصاف، والأرباع، لتصبح بعد ذالك أموالاً مؤهلة للاستثمار[١٩]. ويمكن أن نعد ما ذهب إليه البخلاء في هذا الشأن متفق مع ما دعا إليه الدمشقي من إيجاد قنوات استثمارية جديدة يوظف فيها الربح المتحقق، بحيث يجعله قادراً على إعطاء ربح جديد من جهة، كما أنه في الوقت نفسه يخلق فرصًا جديدة في مجالات العمل والإنتاج[٢٠].

وقد صح لدى الجاحظ أن كثيراً من البخلاء - يتفق معهم ابن خلدون[٢١]، كان يفضل استثمار ماله في النشاط التجاري، إذ هو أكثر ربحًا من استثماره في العقار الذي قد يدافَعُ ساكنه بالكراء، ويماطل في الأداء، حتى إذا اجتمعت أشْهُرٌ عليه فرَّ وخلَّى. وبذالك كان البخلاء يحثون أصحاب العقارات على بيعها واستثمار أثمانها في أعمال ونشاطات تجارية لأن ذالك أربح. وأدرك بعض البخلاء الفطنين أن استثمار أموالهم في وجوه التجارات أربح، وتحويلها في أصناف المبيعات أكيس، ذالك أن استثمارها في العقارات من شأنه (خسران في أصل المال)[٢٢]. وقال البخلاء أيضًا: إن استثمار الأموال في ملكية الأراضي الزراعية يحقق مستوى من الربحية عاليًا جدًّا، لأن غلة الزرع أكثر ضمانًا من غيرها[٢٣].

إن دعوة البخلاء المشار إليها توًّا جعلت أحدهم يقول: (إنكم أهلكتُم أصولَ أموالنا، وأخربتُم غلاّتنا، وحَطَطْتُم بسوء معاملتكم أثمانَ دُورنا ومُسْتغلاتنا حتى سَقَطتْ غلاَّت الدور من أعْين المياسير وأهل الثروة... فصارت لذالك غلاَّت الدور وإنْ كانت أكثر ثمنًا ودخلاً، أقلَّ يُمْنًا، وأَخْبث أصْلاً من سائر الغلات)[٢٤].

وكأني أرى الجاحظ يدعو الله أن يلهم الإنسان القناعة، ويبعده عن الجشع وكدر العيش. ولعل وراء دعوته هذه ما شاهده من جشع البخلاء الذين كانوا يوظفون رؤوس أموالهم في مجالات متعددة، يبتغون من وراء ذالك تحقيق أرباح كبيرة حتى ولو كان ذالك بطرق غير مشروعة[٢٥]. وبذالك يتضح أن امتلاكهم ثروات كبيرة لم يكن نتيجة بخلهم وحرصهم فقط.

٢ - التحسب والاحتراز: من أجل أن لا يتعرض البخيل لضنك العيش، كان يحاول أن يتخذ الإجراءات الاحترازية والتحوطات التي يجعل من خلالها توازنًا بين موارده ومصروفاته، ليكون الفرق الحاصل بين المُنْفَق والمكتسب فضلاً واصلاً لمتطلبات النماء[٢٦] . وبلا ريب فإن المال الذي يأتي من تدارك النفقات، مع فضول الأموال القليلة لتكون نقطة البداية في تكوين الثروة التي يمكن أن توظف في مشاريع إنمائية مربحة. ففي هذا الشأن أورد الجاحظ وصية بخيل لابنه يحثه فيها على عدم الاستهانة في إنفاق المبلغ الزهيد لأن ذالك يجره إلى إنفاق المبالغ الكبيرة. فإنفاق القراريط يفتح عليه أبواب الدوانيق، وإنفاق الدوانيق يفتح عليه أبواب الدراهم، وإنفاق الدراهم يفتح عليه أبواب الدنانير، والعشرات تفتح عليه أبواب المئات، وإنفاق المئات تفتح عليه أبواب الألوف. وأن الدرهم إذا خرج من غير خلف، وإلى غير بدل، أصبح دار هَمٍّ على مخرجه، وأن الدينار يدني صاحبهُ إلى النار إذا أنفقه في غير خلف، أو أخرجه إلى غير بدل[٢٧] .

وأورد (الجاحظ) وصية البخيل خالد بن يزيد مولى المهالبة، الذي نزل في منازل بني تميم في (البصرة) فأوصى ابنه قبيل وفاته قائلاً: (إني تركت لك ما تأكله إن حفظته، وما لا تأكله إن ضيعته، ولما ورثتك من العرف الصالح، وأشهدتك من صواب التدبير، وعودتك من عيش المقتصدين... إلخ)[٢٨] . وحذره من حسن الظن بالناس، وحثه على ضرورة العمل على نماء الثروة التي بين يديه، وإلا تعرضت للزوال[٢٩] . وذكر الجاحظ قول اسماعيل بن غزوان الذي سمع أحد البخلاء يقول: عجبت لمن قَلَّت دراهمه كيف ينام؟. ولكن لا يستوي مَنْ لم ينم سرورًا، ومَنْ لم ينم غمًّا. ويبرر بخيل آخر سبب بخله بقوله: إني لو أمكنت الناس من مالي، لنزعوا داري طوبة طوبة، ويعدُّ البخلاء رغبات النفس ونزواتها أخطر عدو للإنسان، وشر دخيل عليه. وأن مقاومة الإنسان لمثل تلك النزوات من شأنه أن يحقق اليسر والغنى، واحتلال مكانة محترمة في المجتمع[٣٠] .

إنَّ احتراز البخلاء وتحسبهم ناتج عن اعتقادهم بأن المال زاهر نافع مكرم

لأهله، معز لهم. وبذالك عملوا على حصنه خوفًا من الغيلة، وحفظه إشفاقًا من الذلة، ولم يأبهوا أن يُقال لأحدهم بخيلاً، ويسخرون بمن يذمون البخيل والبخل، وبمن جهل فضل الغني والثروة، وابتذل النعمة، وأهان نفسه بإكرام غيره. ولعل هاؤلاء لم يعرفوا ذلة الفقر (٣١).

وكان شعار البخلاء: (أن المال لمن حفظه، والحسرة لمن أنفقه وأتلفه) ولحفظ المال بنيت الحيطان، وغلقت الأبواب، واتخذت الصناديق، وعملت الأقفال، ونقشت الرسوم والخواتيم. فخاطب البخلاء المسرفين مستهينين بهم؛ فَلِمَ تتخذون هذه الوقايات والاحترازات دون المال، وأنتم آفته، وسوسه وقادحه. وزعمتم إنما سمّينا البخل صلاحًا، والشح اقتصاداً، كما سمى القوم الهزيمة انحيازاً، والعزل عن الولاية صرفًا، والجائر على أهل الخراج مستقصيًا. بل أنتم الذين سميتم السرفَ جوداً، والنفح أريحية، وسوء ظن المرء لنفسه ولعقبه كرمًا(٣٢).

ويبدو أن البخلاء في تأكيدهم في أن حفظ المال أشد كلفة من جمعه، كانوا على النقيض من آراء الغزالي الذي قال: إن الذي يَنْحى هذا المنحى هو المقبل على أمور الدنيا، أكثر من اهتمامه بأمور الآخرة. فهو يعيب على صاحب المال المتهالك على الدنيا(٣٣). وهنا نلمس أن نظرة الغزالي نظرة إنسان زاهد يكفيه القليل من القوت.

وأخيراً، يمكننا أن نعد كتاب «البخلاء» مثالاً صادقًا، نستطيع من خلاله أن نتلمس صورة المجتمع الذي عاش فيه الجاحظ، ومنها الملامح الاقتصادية التي أسهم في رسمها فئة البخلاء الذين عاشوا في العصر العباسي الأول، وجسدها الجاحظ في كتابه هذا.

ولنا أن نضيف في هذا المجال، أن الجاحظ، في كتابه هذا نهج نهجًا اتسم بالواقعية، وكان قد سبر غور النفس البشرية وأدرك نوازعها، وما جُبلت عليه من حب الذات. مما جعل كتابه هذا يحكي مظاهر عصره دون تستر أو تخف.

فقد جاءت فيه الحقائق عارية دون أنْ يسدل عليه أي ستر، أو أي حجاب.. وأنه كان يذكر سوءات البخلاء ومثالبهم في غير مواربة. مؤمنًا بمنهجه غير متحرج. ولا يجد غضاضة في حكايات البخلاء بكل أمانة ودقة. وبذالك استخلصنا من حكاياته تلك ملامح اقتصادية مفيدة وواقعية، تحكي جانبًا من جوانب حياة البخلاء وتصرفاتهم التي أنكرها الجاحظ في مواقع متعددة من كتاب «البخلاء».

كلية الآداب - جامعة بغداد / د. حمدان عبدالمجيد الكبيسي

الحواشي:

(١) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٢) بعض القضاة يتعمد أحيانًا الإسراع في إطلاق حجر الوقف، على أساس أن أصحابه بلغوا سن الرشد، على أمل أن يشتروا تلك الممتلكات. (ينظر: الجاحظ «البخلاء»، ص ٣٧).

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦. (٤) المصدر نفسه، ص ١٤. (٥) المصدر نفسه والمكان.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٥. (٧) المصدر نفسه، ص ٩٠. (٨) المصدر نفسه والمكان.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٦. (١٠) المصدر نفسه، ص ٩١.

(١١) ابن منظور «لسان العرب»، والفيروز ابادي «قاموس المحيط»، الزبيدي «تاج العروس» مادة (قصد).

(١٢) الجاحظ «البخلاء»، ص ٧٨. (١٣) المصدر نفسه والمكان.

(١٤) ينظر: ابن خلدون «المقدمة»، ص ٣٨١. (١٥) الجاحظ «البخلاء»، ص ٤٤.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٦٤. (١٧) الدمشقي، (ت ٥٧٠هـ) «الإشارة إلى محاسن التجارة» ص ٨٠.

(١٨) القراريط: هي أجزاء الدرهم. القيراط = ١ / ١٤ من الدرهم (ينظر: البلاذري «فتوح البلدان» ص ص ٤٧٠- ٤٧١).

(١٩) الجاحظ «البخلاء»، ص ١٥ و٢٥. (٢٠) الدمشقي، «الإشارة إلى محاسن التجارة» ص ٨٢.

(٢١) «المقدمة»، ص ٣٨٣ و٣٩٤. (٢٢) الجاحظ «البخلاء»، ص ٦٠ و٦١ و٦٢ و٦٣.

(٢٣) المصدر نفسه، ص ٦٣. (وهم في رأيهم هذا يتفقون مع التنوخي في «نشوار المحاضرة» ج٢ / ٣٧٦، ومع ما جاء في كتاب «أخبار القضاة» لوكيع ج٢ / ٦٣.

(٢٤) الجاحظ «البخلاء»، ص ٦٣. (٢٥) المصدر نفسه، ص ١٠٩.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٦٤. و«الإشارة إلى محاسن التجارة»، ص ٨٠. (٢٧) الجاحظ «البخلاء»، ص ٧٩.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٣٥. (٢٩) المصدر نفسه، ص ٣٨. (٣٠) المصدر نفسه، ص ص ٦٦- ٦٧.

(٣١) المصدر نفسه، ص ٤٦ و ٦٥. (٣٢) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٣٣) الغزالي، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) «إحياء علوم الدين»، دار الندوة الجديدة، (بيروت)، ج٢ ص ٦٠، ٦١، ٦٣.

قراءة نقدية في:

«ديوان الثعالبي»

الثعالبيّ (ت ٤٢٩هـ) أحَد أبرز أعلام الأدب العربي، وصاحب المصنفات الكثيرة التي تشهد بموسوعيته الفذّة النادرة، فلا عَجَبَ -إذَنْ- أنْ يكون للشعر نصيب في شخصيته، وإذا كان ديوانه الذي أشار إليه الباخَرزي[١] (ت ٤٦٧هـ) قد ضاع، ولم يصل إلينا، فإنّ طريق الجمع من المظانّ المختلفة هو الباقي والأسلم، ولن يكون ذالك إلاّ بهِمّةِ المختصّين بأبي منصور.

وهكذا كان، إذْ نَشَرَ د.عبدالفتّاح محمد الحلو[٢] (شعر الثعالبي) عام ١٩٧٧م، في مجلّة «المورد» فكان رائدًا في ذالك، إذْ جمع له (٢١٧) مقطوعة من المصادر المخطوطة والمطبوعة، باذلاً جهودًا كبيرةً.

ثم نَهَدَ باحث آخر مُتَخَصّص بالثعالبي هو د.محمود عبدالله الجادر[٣]، فَنَشَرَ في المجلة نفسها عام ١٩٧٩م، «شعر الثعالبي.. دراسة واستدراك»، أوضح فيه أنَّ د.الحلو قد (تساهل) في عَزْو عبارة: (اهل العصر)[٤] إلى الثعالبي، فأدخل في مجموعه ذاك ما ليس من شعره، ورأى أنَّ هذه العبارة لا تشمل الثعالبي فقط. بدليل أنه قَدْ نسَبَ تلك المقطوعات التي وَرَدَتْ فيها هذه العبارةُ إلى شعراء آخرين. وإذْ أسقط د.الجادر تلك الأبيات، أضافَ إلى المجموع اثنتي عشرة مقطوعةً جديدة[٥]. وفي المجلة عَينها نَشَرَ الأُستاذُ هلال ناجي - رائد الاستدراكات العلمية، وأحد المهتمّين بالثعالبي[٦] - مستدركًا قيمًا على شعر الثعالبي عام ١٩٨٦م، مما فات الحلو والجادر، مُعتمدًا على كتبٍ مخطوطةٍ ومطبوعة، ثم عاد ونَشَرَ هذا المستدرك عام ١٩٩٣م[٧]، وقد ضمَّ مئة وثمانين بيتًا.

وتقدَّم د.الجادر خطوةً جديدةً، فأصدر عام ١٩٩٠م: «ديوان الثعالبي» ولم يأت هذا الاصدار إلاَّ بَعْدَ تقصٍّ وتوثيقٍ ومتابعةٍ لما يُنْشر من مصادر التّراث العربي، وخاصة بعض مُصنّفات الثعالبيّ نفسه.

وبعد اطلاعنا واستقرائنا لنشرة د. محمود الجادر لـ«ديوان الثعالبيّ» تجمعتْ لدينا ملاحظاتٌ نقديةٌ، وَددنا أنْ نجمعها هنا لِتُتَّدعَ في هذهِ المجلةِ الزاهرة، وِفْقَ الفِقَرِ الآتيَة:

أولاً المُستدركُ على الدّيوان: تظل الأعمالُ القائمةُ على الجمعِ واللّملمة عرضةً للإستدراك على مَرِّ الأيام، وهذا ما يحدث مع هذا الديوان، إذْ أخلّ بأبيات كثيرة، بعضها في مصدرين رجع إليهما المحقق الفاضل، ولم يثبتها للشاعر. والأبيات هي:

(١) مما يستدرك على القطعة (٩٦) قول الثعالبي:

أمْ طلوع السّعود في زمنِ العزّ بوحيٍ من الغزالِ الغريرِ

أنْتَ وَجهُ الورَى وعينُ المعالي ولسانُ الورى وظهر الخبيرِ

إنْ أُطِلْ فاللسان عنك قصير وثنائي عليكَ غيرُ قصيرِ

التخريج: «درج الغرر ودرج الدرر» للمطوعي (بيروت، ١٩٨٦م)، ويكون الأول ترتيبه بعد الثاني، والثاني بعد البيت التاسع، والثالث بعد البيت الحادي عشر.

(٢) اقترحَ بعضُ الأُمراء على الثّعالبيّ أنْ يقول في فَتًى من أبناء حاشيته كان يستحسن صورته وشمائله، فقال فيه أبياتًا منها:

إذا ما لاح للعين أبو الفتح بن منصور

فقُلْ في قدٍّ سكران وقلْ في عين مخمور

وقُلْ في جيد يَعْفور وقُلْ في خصر زنبور

التخريج: «التوفيقُ للتفليق» ١٣٠-١٣١

(٣) قال أبو منصور الثّعالبيّ الكاتبُ:

لا تنكرنَّ إذا أرسَلتُ نحوك من علومك الغُرِّ أو آدابك الظُّرفا

فَقيِّمُ الباغِ قَدْ يُهْدي لمالكه برسم خِدمته من باغه التُّحفا

التخريج «حماسة الظرفاء» للعبدلكاني ٢ / ٢١٦ . (بغداد، ١٩٧٨م).
و«فقه اللغة وسرّ العبقرية» للثعالبي.

(٤) قال الثعاليُّ:

هجرتُ في حبِّك كلّ النسك ... وشاقني خَطَّاكَ باب المكّي
خطّ يدٍ كمثل درّ المسك ... وخطّ خدٍّ كغبار المسك

التخريجُ «لباب الآداب» للثعالبيّ ٢ / ٢١٣ - الحاشية، إضافة من الناسخ (بغداد، ١٩٨٧م).

- ولابد من الاشارة إلى أنَّ مستدرك الأُستاذ هلال ناجي على نَشْرة الجادر ما زال بعضه يحوي الجديد من شعر الثعالبي، اذْ تبيّن لنا أنَّ هناك سبعة وتسعين بيتًا للثعالبيّ وَرَدَتْ في كتاب «روح الروح» وهو لمؤلف مجهول من القرن الخامس الهجري، وكتابي «احاسن المحاسن» و«زاد سفر الملوك» وهذه الكتب مخطوطة في خزانة الأستاذ هلال ناجي.

- وأثبتَ د. الجادر المقطوعة ١٢٨ وعدّتها خمسة أبيات، وأورد في هامشه بيتًا نقلَهُ عن «درج الغُرَر» هو:

وقد غدا فضله عن السلف الـ ... أماجد الصِّيد كلّهم خلفا

وحقّه أنْ يُستدرك ويُوضَع في المتن، ويكون ثانيًا في المقطوعة، فهو ليس رواية جديدة للبيت الوارد في كتاب «الكناية والتعريض» كما رأى محققه الفاضل.

إنَّ إيراد واستدراك هذه الأبيات على هذا العمل أمرٌ جديرٌ ومهمٌ، لمنْ يَدرس الناحيةَ الفنيةَ في شعر الثعالبيّ، أو لمن يدرس حياةُ الشاعر نفسه.

ثانيًا: تخريجُ الأبيات: من نافلة القول ضرورة أن يكون المحققُ على أعلى درجات الاستقصاء والمتابعة لما هو موجود من المصادر التي تهم موضوعه، وأن يبذلَ جهودَهُ للظفر بنصوصٍ أو تخريجات جديدة تعزّز ما أثبته منها.

ولقد رأَينا أنَّ د. الجادر قد فاتَتْهُ مظان مهمة جداً وَرَدَتْ فيها أبيات للثعالبي،

علمًا أنّ معظمَ المصادر التي سأذكرها هنا قد صدرت قبل طبع هذا العمل بسنوات طويلة.

أ: التخريجات الجديدة:

١- القطعة ٤ : ذكر المحقق في تخريجها : («اليواقيت والمواقيت» ٩٨ بخلاف شديد). قلتُ: الصحيح والدقيق ان يكتب بعدها : عدا الرابع.

٢- القطعة ٧ : يضاف «اليواقيت في بعض المواقيت» ١٣٨ .

٣- القطعة ٢٧ : يضاف «ربيع الأبرار» ٤ / ٤٥٤ .

٤- القطعة ٣٢ : يضاف «اليواقيت» ١٣٧ .

٥- القطعة ٣٩ : يضاف : الأبيات ٢١- ٢٥ في «اليواقيت» ٤٤- ٤٥ .

٦- القطعة ٥٨ في : «حماسة الظرفاء» ٢ / ٦١ .

٧- القطعة ٨١ في «لباب الآداب» للثعالبيّ ٢ / ٢١٣ ، حيث ذكرها الناسخ لا المصنّف.

٨- القطعتان ٨٥- ٨٦ في «أجناس التجنيس» ٥١ .

٩- القطعة ١٠٣ في «حماسة الظرفاء» ٢ / ٦١ ، وبلا عزو في «نهاية الأرب» ٢ / ٢٧ .

١٠- القطعة ١٠٨ في «رحلة ابن مَعْصوم» المدنيّ (مجلة «المورد» العدد ٣ ، المجلد ٨ ، ١٩٧٩م- ص ٣٤٠- ٣٤١).

١١- القطعة ١٤٥ في «حماسة الظرفاء» ٢ / ٢١٧ .

١٢- القطعة ١٥٦ في «ربيع الأبرار» ٣ / ١٣٩ ، بلا عزو.

١٣- القطعة ١٦٤ في «دقائق السّحر» ١١٤ «حُسن التوسل» ٢١٧ ، «الإيضاح» في علوم البلاغة ٢ / ٢٩٢ «تنبيه الأَريب» لباكثير الحضرميّ ٢٠٤ ، وبلا عزو في «نهاية الإيجاز» ٦٣ .

١٤- القطعة ١٦٩ في «العباب الزاخر» للصغاني (حرف السين) ص ٢٢ (أنس) «مواد البيان» ١٤٦ (مجلة «المورد» ٣ : ١٩٨٩).

١٥- القطعة ١٧٦ في «اليواقيت» ١٤٨، ونُسِبَتْ إلى أبي طالب المأموني في «فوات الوفيات» ٢ / ٣٢٢.

١٦- القطعة ١٨٣ في «اليواقيت» ٣٠٢، بلا عزو.

١٧- القطعة ٢٠٠ في «حماسة الظرفاء» ٢ / ٦٢، وبلا عزو في «نهاية الأرب» ٢ / ٢٧.

١٨- القطعة ٢١٥ في «التبيان في علم المعاني والبديع والبيان» ٣٤٧.

ب- سقط تخريج القطع الآتية:

١- القطعة ٢٥ «خاص الخاص» ١٨٠ «ثمار القُلُوب» ٢٦٤.

٢- القطعة ٤٣ «التّوفيق للتّلفيق» ٩٣.

٣- القطعة ٢١٢ «أَجناس التّجنيس» ٥١.

ج- خطأ في أرقام صفحات مصادر التخريج:

١- القطعة ٦٧ «اللّطف واللطائف» ٦٢، الصواب: ٦٣- ٦٤.

٢- القطعة ١٢٢ «التّوفيق للتلفيق» ٤٥، الصواب: ١٤٥.

٣- القطعة ١٥٧ «التّوفيق للتلفيق» ٤٧، الصواب: ٧٤.

٤- القطعة ١٩٥ «التّوفيق للتلفيق» ١٣٤، الصواب: ١٣٨.

٥- القطعة ١٢٥. (؟)

ثالثاً: اختلاف الرّوايات: ومن أمور وقواعد التحقيق العلميّ إيراد اختلاف الروايات بين المصادر التي أَوردت الأبيات والمقطّعات، وأُثبتُ هنا الروايات التي عثرنا عليها في المظانّ التي لم يرجع إليها د. الجادر، أو في مصادر طبعت وكان قد رجع إلى مخطوطاتٍ لها.

١- القطعة ٤: لم يورد المحققُ روايةَ «التوفيق للتلفيق» لها، على الرغم من قوله إنها وردت فيه (باختلاف شديد).

٢- القطعة ١٠: وهي بيتان، وَرَدَ الثاني نقلاً عن «لُباب الآداب» ورقة ٤٦ ظهر، هكذا:

فـــإنْ تَقُلْ مـــا همـــا؟ أجب وقُلْ		بـاب خـــوارزْمِـــتــــســـاه والأدب

قلتُ: والكتاب طبع ببغداد، والقطعة فيه ٢ / ١٣٥، ورواية العجز: خدمة .....

٣- القطعة ١٣٨، البيت الأوَّل:

لقـاؤك يحكي قَـضـاء الحـوائج		ووجــــهـكَ لـلـهـمِّ والـغـمِّ فـــارج

ذكر د.الجادر في هامشه: «التوفيق للتلفيق»: (قضاؤك).

قلتُ: ولم يذكر ما ورد في المصدر نفسه عن عجز البيت برواية أخرى، هي: للغمّ والهمّ.

٤- القطعة ٤٩، ورد صدر البيت الأول هكذا:

في روضـــــةٍ أزهارُها مـكـســـــوبة

فعلّق على ذالك: هكذا في الأصل، ولعل صوابها: مقصورة.

ولقد رجع د.الجادر إلى مخطوطة له، وكان د.مجاهد مصطفى بهجت قد نَشَرَ الباب العشرين من هذا الكتاب في مجلة «المورد» (العدد ٤، المجلد ١٧، ١٩٨٨م) وورد النص فيه ص ٢١٥، وأما الكلمة فقد جاءت: مكسوَّة.

٥- القطعة ٥٨، ورد عجز البيت الثاني هكذا:

وشـــيـب المـــرء عنوان الفـــســـاد

فعلَّق المحقق الكريم: (هكذا في المطبوع من «أحسن ما سمعت»[٨]. والذي يغلب على الظن ان صوابه: (عنوان السواد)، وبهذه الرواية يكون للبيت معنىً واضح مقبول). قلتُ: لا داعي لهذا الاجتهاد، فالقطعة في «حماسة الظرفاء» ٢ / ٦١، والرواية فيه (عنوان النفاد)، وهو المعنى المطلوب.

٦- القطعة ٨١، وهما بيتان، وقد وَرَدَا في «لُباب الآداب» ٢ / ٢١٣ اذْ ذكرهما الناسخُ لا المؤلف؛ ورواية الأوّل: سأرسل... ورواية الثاني:

إذا لم تكن للمـــرءِ في الدار حـــرَّةٌ		مـــدبّرةٌ ضـــاعَـتْ مـــروءةُ دارِه

٧- القطعة ٦٧ : جاء فيها : (في اللغز بشجرة الفرصاد كتب بها إلى أبي نصر سهل بن المرزبان) .

قلت : أ- سقط تعريف الفرصاد في هامش (١) ، وهو : شجر التوت أو ثمره . ثم يُعاد ترقيم الهوامش تصاعديًّا .

ب- ورد في «التوفيق للتلفيق» ٧١ ، وهو المصدر الذي رَجَعَ إليه المحققُ الكريمُ ، ما يأتي : (وكَتَبَ إلى أبي النّصر العتبيّ يحاجيه بالتلفيق بين تشبيهات شجرة العبيرا) .

جـ- وَرَدَتْ روايةُ قافية البيت الثالث : (النور) في : التَّوفيق للتَّلفيق .

وكلّ ذالك لم نجد له مكانًا في هذه القطعة .

٨- القطْعَةُ ١٤٥ ، وَهي بَيْتان :

جَمالُ معيشة الثاني جمال تدمن الحركه
إذا حلّت بباب الدَّا رِ ألقَتْ رحلها البركه

قلتُ : ورد البيتان في «حماسة الظرفاء» ٢ / ٢١٧ ، وجاء فيه كلمة (المثري) في صدر الأول بدلاً من : الثاني ، أما البيت الثاني فقد ورد هكذا :

إذا بركت على ناب أناخت حولها البركه

مع ضرورة تسكين القافية .

٩- القطعة ١٥٦ : أثبتَ المحقّقُ روايةً أُخرى للبيت الثّاني نقلاً عن : «الكشكول» للعامليّ .

قلت : وهذه الرواية مطابقة لرواية «ربيع الأبرار» ٣ / ٢٣٩ .

١٠- القطعة ٨٣ : ورد البيت الثاني :

قلتُ اذ صكَّ حرّه وجهي ربنا اصرفْ عنا عذاب جهنَّم

قلتُ :

أ- جاء في «الشعر والشعراء» وأنواع اقتباساتهم من ألفاظ القرآن للثعالبي - وهو باب من كتابه «الاقتباس» (مجلة «المورد» ٤ : ١٩٨٨م) ص ٢١٥ : صلٍّ، وقد قدّم له الثعالبي بقوله : (وله في وصف يوم حار).

ب- إنّ عجز البيت هو الآية ٦٥- سورة الفرقان.

١١- القطعة ١٥٧ : ورد العجز هكذا : مدّت يد الشمس في حافاتها كللا

قلت : ورد في «التوفيق للتلفيق» : في حافاته. وهذا ما لم يُشر إليه المحققُ الفاضلُ.

١٢- القطعة ١٧٦.

وحمّام له حَرُّ الجحيم ولكن شابه برد النعيم

قلتُ : وَرَدَ العجز في «اليواقيت» ١٤٨ : ولكن شابه روح النسيم

وهي رواية جيّدة.

- الملحق (المنسوب إلى الثعالبي وإلى غيره) :

١٣- القطعة ١ : لم يُشر المحققُ إلى انَّ روايةَ عجز الأوَّل في (من غاب عنه المطرب) هي : بين روح منجّـــد. مع ضَرورة وَضْع رقم (١) على القافية.

١٤- القطعة ٢ : في «زهر الأكم» لليوسي ٣ / ١٤٩ مع اختلاف في الرواية يُحْسن الرجوع إليه.

١٥- القطعة ٣ : سقط رقمها عند الطبع : هناك رواية في «الحماسة» برواية الجواليقي ٣٣٤، ولكن القافية هي : ... بعيدُ

رابعًا: ضبط النص: وأثبت هنا ما رأينا أنه بحاجةٍ إلى توضيحٍ:

١- القطعة ٢١، البيت الرابع :

حسنًا وطيبا صفاءً لذة ورجا وأيّ وجهِ سرور لا يرى فيها

والصواب :

حُسنًا وطيبًا، صفاءً لذّة أرجًا وأيُّ وجه سرورٍ لا يُرى فيها

٢- القطعة ٤٩ :

في روضة أزهارها مكسوبة والظل من اشجارها ممدودُ
فيها طرائف نرجس وشقائقٍ فكأنها من أعين ممدودُ

خرَّجها المحققُ عن «الاقتباس» ورقة ١٠١ دون نسبة.

وذكر في الهامش: هكذا في الأصل، وهو اقواد (كذا)، والذي يغلب على الظن ان أصل العجز هو: فكأنهن أعين وخدود.

قلتُ: النَصُّ المنقول عن «الاقتباس» نُشر في «المورد»: ٤ : ١٩٨٨م، ص ٢١٥، وروايته فيه:

حديقة أنهارها مكسوة بالظل من أشجارها الممدود
من طرائق نرجس وشقائق وكأنها من أعين وخدودُ

وعلى هذا تُحَلُّ مسألة الإقواء واجتهاد المحقق، وتُصَحّح الكلمات التي وَرَدَت مخطوءة، مع وضع رقم (٢) صغير فوق قافية البيت الثاني للإحالة على الهامش.

٣- القطعة ٩٤ : ضُبطت قافية البَيْت الثاني (البدر) بتشديد الراء وكسرها، والصواب: الكسر فقط.

٤- وهناك سوء ضبط كثير عزوناه إلى التطبيع (المطبعة).

خامسًا: المصادر والمراجع: رجع د. الجادر إلى عددٍ من المصادر والمراجع بلغتْ خمسة وسبعين كتابًا، بينها عدد من المخطوطات، والملاحظ عليها ما يأتي:

١- لا داعي لترقيم أسماء الكتب الواردة، فالعبرة ليست بالكثرة، ثم إنه أصبح منهجًا علميًا.

٢- سقط من قائمة المصادر والمراجع هذه عدد من الكتب التي أثبتها المحقق الكريم في هوامش تخريجاته وهي: «الخصائص» لابن جنّي و«الذخيرة» لابن بسّام و«شذرات الذهب» لابن العماد الحنبليّ.

٣- رجع إلى عدد من المصادر التي أسهمَتْ في تعزيز الكتاب بنصوصٍ مهمةٍ من شعر الثعالبي، إلاّ أنَّ المحقّق رجع إلى عددٍ من الطبعات غير العلمية، على الرّغْم من صدور نشرات أُخرى علمية لها. فقد اعتمدَ على «خزانة الأدب»، مصر ١٢٩٩هـ، مع وجود طبعة المرحوم عبدالسلام محمد هارون، ورجع إلى «وفيات الأعيان» ط. الشيخ محمد محيي الدين عبدالحميد، والمفضّل نشرة د. احسان عباس بيروت، ورجع إلى طبعة بغداد ١٩٧١م من كتاب «دمية القَصْر» للباخرزيّ، والمفضّل الطبعة الثانية، الكويت ١٩٨٥م، ورجع إلى طبعة ١٩٥٩م من كتاب «فقه اللغة» للثعالبي، مع وجود طبعة المرحوم مصطفى السقا ١٩٧٢، ورجع إلى طبعة مجلة كلية الآداب من كتاب «المتشابه» للثعالبي بتحقيق د. ابراهيم السامرائي، ولم يرجع إلى الكتاب نفسه المنشور في مجلة «البلاغ» لسنة ١٩٧٦م، للمحقق عينه.

٤- ذكر أنَّ سنَة طَبْع كتاب «تحسين القبيح» هي ١٩٨٢م، والصحيح ١٩٨١م.

٥- جاء أنَّ مخطوطَة كتاب «الوافي بالوفيات» للصفدي هي برقم ٩٢٠، والصواب ٩٣٠.

٦- اهتَمَّ د. الجادر بذكر سَنَةِ وفاة مؤلِّف الكتاب، وهذا أمر يُحْمَد له، لكنه لم يذكر سنة وفاة ابن الانباري مصنّف «نزهة الألبّاء» وهي ٥٥٧هـ، وسنة وفاة أبي النّصر المقدسيّ مصنف «الظرائف واللّطائف» وهي ٧١١هـ، وسنة وفاة كشاجم، وهي ٣٣٠هـ.

بل ذكر أنّ سنة وفاة النواجيّ هي ٨٥٤هـ، ووفاة أبي تمّام هي ٢٦١هـ،

والصواب: ٨٥٩هـ للنواجيّ، و ٣٢١هـ لأبي تمّام.

وبَعْدُ، فإنَّ هذه الملاحظات النّقديّة التّحقيقيّة على «ديوان الثعالبي»، نرجو أَنْ يُؤخذ بها عند إصدار (الطبعة الثانية) منه، مع تنقيتِه من الأخطاء المطبعية التي تَفَشَّتْ فيه.

وأختتمُ ذالك بأنْ أُزجِي أرقّ التّحايا إلى د. محمود عبدالله الجادر لجهوده الكبيرة والماتعة في نشر هذا الديوان خاصة، وآثار الثعالبي عامة.

عباس هاني الچراخ

العراق - بابل - الحلّة ص.ب ١٨١

الحواشي:

(١) «دمية القصر» ٢ / ٢٢٦. (٢) حقق د. الحلو من آثار الثعالبيّ: «التمثيل والمحاضرة»، مصر، ١٩٦١م.

(٣) اهتم د. الجادر بالثعالبي، فله «الثعالبي ناقداً وأديباً»، رسالة ماجستير، طُبِعَتْ ببغداد ١٩٧٦م، وحقق «اللطف واللطائف» الكويت ١٩٨٤م، وأعيد نشره ببيروت، عالم الكتب ١٩٩٧م، ١٤١٧هـ، ثم حقق «أجناس التجنيس» بيروت ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٤) انّ عبارة (أهل العصر) استخدمها أبو بكر محمّد بن داود الأصفهاني (ت ٢٩٧هـ) في كتابه الشهير «الزُهرة»، أثبت فيها شعراً له، وهو ما أَخَذَ به المرحوم د. نوري القيسي عند نشره لـ«أوراق من ديوانه» ببغداد ١٩٧٢م، ولنا على عمله ملاحظات ومُستدرك خطير.

(٥) أعاد د. الجادر نشر هذا المستدرك في كتابه «دراسات توثيقية وتحقيقية في مصادر التراث» الموصل ١٩٩٠م، ص ٢٦٧ - ٢٨٨، مع تغيير بسيط فيه، راجع القطعة (٥) في المكانين - مثلاً -.

(٦) للأستاذ هلال ناجي جهود في تحقيق آثار الثعالبي، اذْ حَقَّقَ له «الأنيس في غُرر التجنيس»، ونُشر في مجلة «المجمع العلميّ العراقي» ج ٣٣ / ١٩٨٢م، وأعيد نشره في بيروت، عالم الكتب ١٩٩٦م، وحقق له «التوفيق للتلفيق» - بالاشتراك مع د. زهير غازي زاهد، ونشر ببغداد، المجمع العلميّ العراقيّ ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، وأعيد نشره ببيروت، عالم الكتب ١٩٩٦م، وحقق «لطائف الكتب ومحاسنها» ونُشر في مجلة «المجمع العلميّ العراقي»، مج ٤٣- ج ١- ١٩٩٦م ص ٢٩٠- ٣١٦، ثم حقق «زاد سفر الملوك» وهو قيد الطبع.

(٧) يُنظر «المستدرك على صنّاع الدواوين» بغداد ١٩٩٣م، ١ / ٤٢- ٥٨، ثم أعيد نشر الكتاب ببيروت، عالم الكتب، ١٩٩٧م.

(٨) انّ كتاب «أحسن ما سمعت» هو جزءٌ صغير من كتاب «أحاسن المحاسن»، الذي ما زال مخطوطاً، ومنهُ نسخة في باريس ٣٣٠٦، ومُصَوّرة في خزانة الأستاذ هلال ناجي.

الأخارسة: نسبهم وفروعهم وديارهم

الأخارسة قبيلة عربية عريقة تُعدّ من أقدم القبائل العربية التي استوطنت شمالي سيناء منذ عهد مبكر جدًّا، وقد ظلّوا على مرّ القرون في نواحي ديارهم الأصلية وهم اليوم يقطنون القسم الغربي من بلاد العَرِيش في شمال غرب سيناء، ولهم ارتباط وثيق جدًّا بقبيلة البياضية (بنو بياضة) حيث يربط بينهم تجاور الديار، والتحالف ووحدة الأصل والنسب، بل والوسم أيضًا.

نسب الأخارسة: انفرد المقريزي (ت ٨٥٤هـ) وحده بزعمه أن الأخارسة والبياضية من فروع قبيلة ثعلبة الطائية، فقال: (بِقَطْيَا الأخارسة وبنو بياضة، وهم من ثعلبة، ومنهم بنو صدر بالبدرية، وهي طريق البرّ من الشام إلى مصر، وإليهم تنسب قلعة صدر)(١) ومصدر المقريزي الأول هو الحمداني (ت ٧٠٠هـ) قال الدكتور عبدالمجيد عابدين محقق «البيان والإعراب» للمقريزي في ذكر الحمداني: (نقل عنه المقريزي في «البيان والإعراب» إلاّ أن المقريزي لم يشر إليه بكلمة واحدة)(٢). قال الأحيوي: ويؤكد هذا ما نقله القلقشندي (ت ٨٢١هـ) عن الحمداني الذي قال في ذكر ثعلبة: (واعقب - أي الحمداني - ذكر ثعلبة بأن قال: أما بنو بياضة والأخارسة فبقطيا وبنو صدر بالبدرية، وهي طريق البرّ من الشام إلى مصر ولم يبيّن من أي قبيل أولئك من ثعلبة أم من غيرهم)(٣) وأوضح من هذا قول القلقشندي: (الأخارسة: بطن من العرب يقطنون الديار المصرية ذكرهم الحمداني في عرب الحجاز ولم ينسبهم في قبيلة)(٤) وقوله في ذكر البياضية: (بنو بياضة أيضًا: بطن من العرب بقطيا من مشارق الديار المصرية على الدرب الشامي ذكرهم الحمداني ولم ينسبهم في قبيلة)(٥) وقوله في ذكر بني صدر: (بنو صدر بطن من العرب في البدرية وهي طريق البرّ من الشام إلى مصر ذكرهم الحمداني ولم ينسبهم لقبيلة)(٦) وهذا يعني أن زعم المقريزي بأن هذه القبائل من فروع ثعلبة زعم باطل لا يسنده دليل لاسيما وأن الحمداني وهو أعلم بقبائل العرب التي كانت تتصل بحكام مصر

ومنها ثعلبة من المقريزي لم ينسبهم لثعلبة، وهو الأقرب عهداً بدخولهم للديار المصرية، والأوثق اتصالاً بهم فقد ولد سنة ٦٠٢هـ وكان دخول ثعلبة للديار المصرية بعد سنة ٥٨٣هـ كما أن وجود هذه القبائل في سيناء أقدم بعهد بعيد من زمن دخول ثعلبة إلى سيناء فالشرقية وغيرها من الديار المصرية ويتَّضح ذالك مما يلي:

١ - ان قبيلة ثعلبة تنقسم من حيث سكناها في سيناء إلى قسمين هما: ثعلبة الشام وثعلبة مصر، وثعلبة الشام امتدت ديارها في سيناء المصرية إلى الخرّوبة على نحو ٢٢ كيلاً داخل سيناء بين رفح والعريش، في منتصف المسافة بينهما تقريبًا فيما امتدت ديار ثعلبة مصر في سيناء المصرية إلى قطية بين العريش شرقًا والقنطرة غربًا على نحو ١٦٥ كيلاً عن رفح الواقعة على حدود الشام مع مصر، قال الحمداني: (منازل ثعلبة مصر ما فوق قطيا إلى جهة الشام)[٧] وقال في ذكر ثعلبة الشام: (ديارهم مما يلي مصر إلى الخرّوبة)[٨] وهو ما أورده المقريزي قال: (ثعلبة وهي بالشام مما يلي أرض مصر إلى الخروبة)[٩] فيما كانت قبائل الأخارسة والبياضية وبني صدر تقطن شمالي سيناء حوالي درب الشام الذي يمتد من القاهرة عبر شمالي سيناء مروراً بقطية التي تتوقف عندها ديار ثعلبة مصر، ونجد أن بني صدر قد امتدوا إلى غربي بلاد التّيه في منطقة صدر التي عرفت بهم فنسبت إليهم كما ذكره المقريزي نفسه، وهذا يعني أن هذه القبائل ليس لها أيُّ ارتباط بقبيلة ثعلبة ومساكنهم حيث أنهم طارِئون على هذه القبائل الأقدم عهداً في هذه البلاد ويبقى أن نُشير إلى أن فريقًا من ثعلبة قد استوطن خارج سيناء في منطقة الشرقية في الديار المصرية.

٢ - أن قبيلة ثعلبة لم تستوطن سيناء وغيرها من الديار المصرية إلا في نهاية القرن السادس للهجرة بعد سنة ٥٨٣هـ قال الحمداني: (كانت ثعلبة مع الفرنج يداً واحدة على المسلمين، فلما فتح السلطان صلاح الدين البلاد جاءت ثعلبة وبعض جَرْم إلى مصر، وبقيت بقايا جرم مكانها)[١٠] ونقله المقريزي

فقال: (لما فتح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بلاد غزة وأعادها الله من أيدي الفرنج إلى المسلمين جاءت ثعلبة وطائفة من جرم إلى مصر وبقيت بقايا جرم مكانها)[١١] وكان فتح بلاد غزّة قد تمّ سنة ٥٨٣هـ[١٢] وكانت ثعلبة قبل فتح عزة تقطن الداروم وغيره من بلاد غزّة التي كان يسيطر عليها الفرنجة، وقد ذكرهم في هذه المنطقة النسّابة محمد بن أسعد الجوّاني (٥٢٥- ٥٨٨هـ) قال الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ): (الداروم قلعة بعد غزّة للقاصد مصر يجاورها عربان بني ثعلبة بن سلامان بن ثعل من بني طيء وهم درماء وزريق قاله ابن الجواني)[١٣] قال الأحيوي: الداروم وتعرف اليوم بدير البلح وهي على نحو ١٦ كيلاً جنوب غزة، فتحها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٨٣هـ[١٤] وكانت ثعلبة حين سيطرة الفرنجة على تلك البلاد يداً معهم على المسلمين إلى أن فُتحَتْ بلاد غزة كما مرّ في نص الحمداني والمقريزي قال المقريزي في ذكر ثعلبة: (كانوا يداً مع الفرنج لما ملكوا البلاد في الإسلام)[١٥] وبهذا يتّضح ويتأكد لدينا أن دخول ثعلبة إلى سيناء وغيرها من الديار المصرية حدث بعد سنة ٥٨٣هـ في حين أننا نجد أن الأخارسة والبياضية وبنو صدر كانوا يستوطنون سيناء منذ عهد قديم جدًّا، وقد أشار المقريزي إلى شيء من هذا فقد ذكر أن قلعة صدر تنسب إلى بني صدر هاؤلاء ومن المعروف أن صدر وهي موضع في غربي بلاد التّيه وشرقي خليج السويس وقد تردد ذكرهما في القرن السادس للهجرة وفيها قلعة من بناء السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى وهذا يبيّن لنا أن هذه القبائل أقدم وجوداً في سيناء من قبيلة ثعلبة وأنه لا صلة بين هذه القبائل وقبيلة ثعلبة، وهكذا ينكشف لنا أن المقريزي كان واهماً حينما نسب الأخارسة والبياضية وبني صدر إلى ثعلبة، وهذا يعني أن ثعلبة حينما دخلت إلى سيناء وجدتْ هذه القبائل تستوطنها قبلها بعهد بعيد، وقد كانت منطقة شمالي سيناء من ديار جُذَام واخوتهم لخم منذ عهد مبكر جداً قال الهمداني (ت نحو ٣٥٠هـ): (من جشْمِ بن جذام بطن يقال لهم بنو جري،

ينزلون بالرمل من الفرما وبنو بياضة من جذام، وبنو راشدة من لخم، ينزلون بالبقارة والورّادة والعريش ويغلب على عريش بنو الثعل من بني جري)[١٦] والمواضع المذكورة في شمالي سيناء وبذا يتحقق لدينا أن ما ذكره المقريزي حول أنساب هذه القبائل غير صحيح، فهذه القبائل جذامية، وهذه الديار ديار جذام ومنازلهم، وبما أنه ثبت لدينا ثبوتًا قطعيًّا بنص الهمداني أن بني بياضة فرع جُذَامِيّ أصيل، لا علاقة له بثعلبة سوى الجوار الذي تم في نهاية القرن السادس للهجرة بعد سنة ٥٨٣ فإنه يثبت لدينا أن الأخارسة قبيلة جذامية أيضًا فحالهم كحال بني بياضة، فهم يرتبطون بهم نسبًا والصلة بينهما وثيقة جدًّا أكّدَها قدم استيطانهم وتجاورهم في منطقة واحدة، وتحالفهما وتطابق عاداتهما وتقاليدهما بل ووسمهما أيضًا فالبياضية والأخارسة يسمان الهلال على الجانب الأيمن من عنق البعير[١٧].

وقفة مع الطيب: في الحديث عن قبيلة الأخارسة كتب الطيب يقول: (نسب القبيلة: قال القلقشندي في «قلائد الجمان» عام ٨٢١هـ وفي «صبح الأعشى» أن قبيلة الأخارسة هي أصلاً بطن من طيء القحطانية، والراجح أن الأخارسة والبياضية أبناء عمومة، ونزلوا في زمان واحد من بلاد الشام وكلاهما من طيء والمعروف ان طيء من بلاد اليمن نزحت إلى شمال جزيرة العرب بنجد قبل بزوغ شمس الإسلام، ثم ملأت السهل والوعر في العراق والشام، والبياضية والأخارسة من طيء الساكنين بلاد الشام منذ الفتوحات، وهاجروا إلى سيناء ومصر أيام حروب السلطان صلاح الدين الأيوبي مع الصليبيين في الدولة الأيوبية إبّان القرن السابع الهجري)[١٨] وذكر أن المقريزي أكد قول القلقشندي في نسب الأخارسة لثعلبة طيء القحطانية[١٩] وقال في ذكر البياضية أبناء عمومة الأخارسة: (البياضية نزلوا من الجزيرة العربية وسكنوا الشام ثم انتقلوا إلى سيناء من عدّة قرون والراجح أنهم سكنوا قطية في القرن السابع الهجري قبل القلقشندي بنحو قرن والذي توفي عام ٨٢١هـ)[٢٠] وقال

في ذكر السماعنة: (أما تفرّع السماعنة كقبيلة فيعود إلى ستة قرون وقد ذكرها القلقشندي كبطن ضمن جذام عام ٨٢١هـ وكان السماعنة والسعديين من أقدم البدو الذين توطنوا شمالي سيناء تلا ذالك قدوم بطون طيء من الشام مثل البياضية والأخارسة والعقايلة)[٢١].

قال الأحيوي: ولنا على ما سجّله الطيب ملاحظات تتمثل فيما يلي:

١- اضطرب الطيب اضطرابًا شديدًا في وقت دخول الأخارسة والبياضية إلى سيناء فتارة نزلوا في القرن السابع للهجرة، وتارة دخلوها قبل القلقشندي (ت ٨٢١هـ) بقرن واحد أي انهم دخلوها في الربع الأول من القرن الثامن للهجرة حوالي سنة ٧٢١هـ وفي ثالثة نزلوها في القرن التاسع بعد السماعنة الذين دخلوا سيناء قبل ستة قرون أي في مطلع القرن التاسع، حيث ورد ذكرهم سنة ٨٢١هـ عند القلقشندي وفي رابعة دخلوها في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي وهذا توفي سنة ٥٨٩هـ أي أن دخولهم إلى سيناء كان في القرن السادس للهجرة وهكذا وجدنا الطيب لم يقرّ له قرار حول زمن دخول الأخارسة إلى سيناء فهو يرى أنهم دخلوها في القرن السادس أو السابع أو الثامن أو التاسع... إلخ وهذا من أعجب العجب.

٢- زعم الطيب أن السلطان صلاح الدين الأيوبي من رجال القرن السابع ينمّ عن جهل فاضح ذالك أن السلطان صلاح الدين من رجال القرن السادس وحروبه مع الصليبيين تمت خلال هذا القرن وقد توفي رحمه الله تعالى سنة ٥٨٩هـ.

٣- أن القلقشندي لم يؤلف «قلائد الجمان» سنة ٨٢١هـ كما زعمه الطيب وهو زعم يعارضه زعم آخر له بان القلقشندي ألّف «القلائد» سنة ٨٢٠هـ فقد قال الأستاذ عيّاد بركات في ذكر الطيب: (الطيب يأخذ على أن للمؤرخين القُدَامى بعض الأخطاء، وأنه حاول أن يتفادى الوقوع في مثلها كأخطاء ابن حزم والقلقشندي اللذين أخطئا في بعض الأنساب، وتجاهلا بعض القبائل، وإنْ كان القلقشندي قد استدرك بعض أخطائه قبل وفاته بعام واحد عام ٨٢١هـ في كتابه

«قلائد الجمان»[٢٢] قال الأحيوي: ولو كان الطيب يحقق القراءة ويدققها لوجد أن القلقشندي قد انهى كتابه سنة ٨١٩هـ حيث قال في نهاية الكتاب: (نجز تأليفه في الثالث عشر من شهر رجب الفرد سنة تسع عشرة وثمان مئة)[٢٣].

٤- أن القلقشندي لم ينسب الأخارسة أو البياضية إلى طيء وما زعمه الطيب ليس له أساس من الصحة، وقد سبقت أقوال القلقشندي، وليس فيها ما زعمه الطيب، وقد سبق أن بيّنّا أن الطيب قوّل القلقشندي عن البياضية ما لم يقله وأسند إليه نصًّا لا وجود له[٢٤].

٥- ما عزاه الطيب للقلقشندي أنه نسب الأخارسة إلى طيء في كتابه «صبح الأعشى» ليس صحيحًا فالقلقشندي لم يذكر الأخارسة ولا البياضية في «صبح الأعشى» وهذا ليس أوّل نص يقوّله الطيب للقلقشندي، وإلا فليدلنا الطيب على موضع هذا النص في «صبح الأعشى» وليذكر لنا رقم الجزء والصفحة.

قال الأحيوي: وحين اطلعت على ما أورده الطيب في الطبعة الأولى من موسوعته الصادرة في القاهرة سنة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م وهي الطبعة التجريبية أرسلت للطيب رسالة بتاريخ الاربعاء ١٤ ربيع الأول ١٤١٤هـ-١ / ٩ / ١٩٩٣م سجلت فيها حول الأخارسة (ومن جانب آخر أرى أنكم جانبتم الصواب في نسب بعض القبائل العربية مثل البياضية والأخارسة)، فرد الطيب بتاريخ ٢٠ / ٩ / ١٩٩٣م يقول بهذا الخصوص: (عن موضوع نسب قبيلة البياضية والأخارسة فقد ذكرتم أننا قد جانبنا الصواب وهذا قول عجيب منكم ياصديقي، فالنسب صحيح لأنه اعتمد على مراجع مشهورة، أهمها «قلائد الجمان» للقلقشندي وعلى رسالة المقريزي وكلاهما ذكرا قبائل مصر في القرن التاسع (أوله) وذكروا نسب الأخارسة والبياضية والعقايلة إلى ثعلبة من طيء القحطانية، وياأخي إذا كان عندك مراجع أخرى تخالف ذالك فالرجاء إرسال لي صور منها كي اطلع عليها بخصوص البياضية والأخارسة). قال الأحيوي: فأرسلت إليه نصوص القلقشندي الآنف ذكرها والواردة في «قلائد

الجمـان» و«نهـاية الأرب» ومـا أورده القلقـشـندي فـيـهـمـا صـرّح بنقله عن الحمداني، وهذا لم يتطرق لنسب البياضية والأخارسة، وأرسلت إليه نص نسابة اليمن العلامة الهمداني وكان ذالك في رسالة مؤرخة بيوم الاربعاء ١٣ ربيع الثاني ١٤١٤هـ (٢٩ / ٩ / ١٩٩٣م) فأرسل بتاريخ ٤ جمادى الأولى ١٤١٤هـ ٢٠ / ١٠ / ١٩٩٣م برد غاضب، بلغ به مبلغًا عظيمًا فكتب إليّ يقول: (عفواً أخي راشد فلقد اخرجتني رسالتك الأخيرة من دائرة شعوري لأنها فارغة من أي مضمون، وسلبية للغاية) قال الأحيوي: إذا كانت الرسالة السلبية الفارغة المضمون والتي ضمّنتها ما سبقت الإشارة إليه وهي رسالة لم يطلع عليها أحد قد أخرجت الطيب من دائرة شعوره فماذا ستفعل به بحوثنا حول قبائل سيناء والتي ناقشنا فيها أقواله ونقدناها نقداً علميًّا، وتم نشرها في مجلة «العرب»(٢٥) وهي مجلة تراثية متخصصة توزع في أنحاء كثيرة من العالم. يطالعها جلّ المهتمين بعلم الأنساب في بلاد العرب؟!

قال الأحيوي: وتابع الطيب يقول: (بخصوص نسب البياضية أو الأخارسة إلى طيّء فهو صحيح؟! ولأنه جاء عن المقريزي وعن القلقشندي؟!

وبخصوص النص الوارد في «قلائد الجمان» للقلقشندي والذي استدرك فيه بعض الأنساب قبل وفاته فلقد ذكر البياضية والأخارسة إجمالاً في بطون طيء؟! بعد أن عدّ بطون ثعلبة أي أنه لم يذكرهم في ثعلبة كما فعل المقريزي، أما عن المقريزي فهو في نظري أدقّ من القلقشندي وجاءت رسالته قاطعة لقول كل خطيب؟! لأنه فصّل عن جميع بطون العرب في مصر إبّان القرن التاسع الهجري؟! كما ذكر الإمارات من قبائل العرب وهو الشيء الذي لم يذكره غيره؟! في حينه أو في عهده وإذا كان الهمداني قد ذكر لمحات عن بنو(؟) بياضة وعدّهم في جذام فهو واهم؟! لأن القلقشندي أو السويدي من بعده وهم(؟) أقرب للديار المصرية مثل المقريزي لم يذكرا هذا النسب للبياضية أو الأخارسة، والهمداني هو لسان اليمن ولا يؤخذ به حجّة إلا في بلاده؟! لأنه ظل

قـابعًا في بلاد اليـمن لم يتـحـرك منهـا؟! بل أن ذكـره لنسب حـرب إلا خـولان القـحـطانيـة لم يؤيده أي مـؤرخ بعــده؟! مـثل ابن حـزم والقلقـشنـدي رغم ان الهمداني أقرب من حيث الزمان والمكان لخروج حرب من اليمن عام ١٣١هـ) وأضـاف يقـول: (وأندهـش لقـولك عن المقـريزي بأنه واهم كـيف يرحـمك الله تقول عن مؤرخ في مصـر واهم وهو يؤرخ عن مصـر؟ وتفرض مؤرخ من اليـمن على مـصـر وهو بعيـد عنهـا لمجـرّد انه ذكـر نصًّا ركـيكًا غيـر مفـصّل؟ فـدع الهمداني لليمن ولا تفرض نصوصه على مصر أو على قبائلها؟ وحذّرني بثالثة الأثافي بقوله: (وأنصحُك فدع عنك البياضية والأخارسة ولا تعارض نسبهم فهو لله الحـمد مـعـروف بنصـوص صـريحـة)؟! قـال الأحـيـوي: ونص الطيـب هذا لا يحتـاج إلى تعليـق وكفى الله المـؤمنين شـرّ القـتـال لكن العـجـيب أن الطيب لم يأخذ بما أورده السـويدي وهو عنده من كبار علمـاء النسب لا يرقى إلى مستـواه عـلامة اليمن الهـمـداني[٢٦]؟!! الذي ظل قابعًا في اليـمن ولـم يفـارقـها[٢٧]؟!! فـمـاذا أورد السـويدي؟ قـال السـويدي: (الأخـارسـة بطن من العـرب ذكـرهم الحـمـداني في عـرب مصـر ولـم ينسبـه في قـبيلة)[٢٨] وللطيـب رأي شـاذ جدًّا لم يقل به أحـد لا من السـابقـين ولا من اللاحـقـين في زمن تأليف السـويدي لكتـابه «سبـائك الذهـب» ذالك أن ألّفه قبـل أن تلده أمّه بنحـو أربعة قرون قـال الطيب في ذكـر السـويدي: (كـتـابه «سـبـائك الذهب» الذي دوّنه في بداية القـرن التـاسع الهجري)[٢٩] ثم عرض له رأي آخر فـقد اكتشـف أن مؤلـف «سبائك الذهب» هو القلقشندي فقال: (ذكـر العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد القلقشـندي في «سـبـائك الـذهـب» في مـعـرفـة قـبـائل العـرب المـدوّن في نهـاية القـرن الثـامن الهجـري) وأضاف يقول إنـه اطلع على حد قوله على: (طبـعة دار إحياء العلوم - بيروت)[٣٠] وبالفعل فإن لـ«سبائك الذهب» طبعة صادرة عن دار إحيـاء العلوم في بيـروت قال الأحـيـوي: وما ذكـره الطيب مـهزلة انفـرد بـهـا وحـده ولـم يسـبقـه إليهـا أحد فـ«سبائك الذهب» كـمـا لا يخفى على أحـد هو لأبي الفوز مـحمـد أمين

ابن علي بن محمد سعيد السويدي المتوفى في بريدة بنجد حين عودته من الحج سنة ١٢٤٦هـ(٣١) وليس الكتاب للقلقشندي صاحب «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب» كما أن «سبائك الذهب» لم يُؤلَّف في نهاية القرن الثامن أو بداية القرن التاسع على حد زعم الطيب وادّعائه بل انتهى السويدي من تأليفه يوم الجمعة ١٦ / ١٠ / ١٢٢٩هـ حيث قال السويدي في نهاية كتابه: (نجز تحريره يوم الجمعة اليوم السادس من العشر الثاني من الشهر العاشر من السنة التاسعة من العقد الثالث من القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية آمين)(٣٢) فهل لدى الطيب شبه تفسير أو تأويل لما ورد في كتاباته وهو الذي يتهم ابن حزم والقلقشندي بتجاهل ذكر بعض القبائل ويهاجم غيرهما كالهمداني لأمر في نفس يعقوب، وهو ان كشف هذه المزاعم بعد صدور موسوعته قد هاله جداً وأصاب مقتل موسوعته؟.

الأخارسة عند بعض الكتّاب: تحدث غير واحد من الكتّاب عن الأخارسة وممن ذكرهم نَعُّوم شُقَير وقد عدّهم من قبائل بلاد العريش في شمالي سيناء وقال: (الأخارسة: ومن مشايخهم إبراهيم عطية وعبدالعال محمد وتمتد بلادهم على شاطئ البحر المتوسط من غراقد الحنّة شمالي بركة الجمل إلى قلعة مفرّج المعروفة أيضاً بقلعة البلاح على نحو ساعتين من قلعة الطينة غرباً، وأهم مراكزهم القلس)(٣٣) وذكر أنهم يزرعون الزقبة وهي منطقة في جنوبي بحيرة البردويل بين البحيرة شمالاً وطريق العريش جنوباً، وتمتد من بئر العبد شرقًا إلى قطية غربًا قال: (من القبائل التي تزرع الزقبة مع الدواغرة: الأخارسة والبياضيين والسماعنة والسعديين) وقال في ذكر أدراك القبائل على درب العريش: (وأما دركات القبائل على طريق العريش فهي العيايدة من القنطرة إلى تل حبوة، فالمساعيد إلى بئر الدويدار، فالأخارسة إلى بئر النصف فالعقايلة وبلي البرارا وأولاد علي إلى سبخة قطية، فالقطاوية إلى بئر حجاج، فالبياضيين إلى بئر العبد من الجبل إلى البحر، فالدواغرة إلى الجنادل من الجبل إلى البحر،

فالسواركة إلى الشيخ زويّد، فالرميلات إلى رفح)[٣٤] وقال في ذكر القلس على ساحل بحيرة البردويل: (يسكن القلس الآن بعض العرب الأخارسة بخيامهم ولهم فيه بعض نخيل)[٣٥] وذكر أن منهم قبيلة في الشرقية كانت تشارك غيرها من قبائل الشرقية في تقديم الإبل لقوافل المحمل المصري[٣٦] قال الأحيوي: معلومات نعوم شقير تعود لسنة ١٩٠٦م حيث أنهى نعوم شقير كتابه سنة ١٩٠٧م[٣٧] وفي ذكرهم في كتابه الصادر عام ١٩٣٥م قال ج.و.موري: (الأخارسة ٢٥٠ نسمة) وذكر من شيوخهم الشيخ إبراهيم عطية وعبدالعال محمد[٣٨]. ولم يضف شيئًا غير ما ذكره نعوم شقير وفي كتابه الصادر عام ١٩٤٣م ذكر اوبنهايم أن عدد الأخارسة هو ٢٥٠ نسمة، ويقيمون في الزقبة وبير النصف وبير الدويدار وذكر شيخيهما آنفي الذكر وذكر أن عددهم في الشرقية هو ٣٥٦ نسمة[٣٩] وفي ذكرهم قال الأستاذ سالم اليماني البياضي: (قبيلة الأخارسة وهي قبيلة كبيرة لها امتداد بمحافظة الشرقية والإسماعيلية بجهة القنطرة غرب) وقال: (ومن أشهر مشايخ القبيلة عبدالسلام عطوان النائب السابق بالبرلمان ومن مشايخها الحاليين الشيخ نصار حسن خليل والشيخ زايد والشيخ محمد محمود)[٤٠] وفي ذكرهم قال عبده مباشر واسلام توفيق: (الأخارسة: وهم أسرة واحدة ليس لهم فروع في المنطقة من رمّانة غربًا إلى بالوظة شرقًا وهناك بعض منهم في منطقة القلس على ساحل البحر الأبيض المتوسط)[٤١] قلت: ما ذكراه من عدم وجود فروع للأخارسة غير صحيح فهل من قبيلة ليس لها فروع؟

❖ فروع الأخارسة وديارهم:

في حديثه عن فروع الأخارسة قال الأستاذ سالم اليماني البياضي: (من عشائرها:

١- الزغاونة ٢- العيساوية ٣- العطالات ٤- الزوايدة ٥- الرضاونة ٦- المناسوة ٧- العطيات ٨- الخوالدة ٩- بنو عيد ١٠- الفطاوية

١١- الشوابكة)[٤٢] قال الأحيوي: وذكر لي الشيخ إبراهيم بن سليمان بن سويلم المسعودي من فروعهم: ١- الرماضين ٢- العمامرة ٣- الجوافلة ٤- الشخالعة ٥- المحافظة. وذكر الطيب من فروعهم: ١- الجادلات ٢- أبو نوري وذكر أن العيساوية يتفرّعون إلى: ١- الحساسنة ٢- الشهابية ٣- الكرايمة، وذكر ان من الأخارسة فرقة أبو سلام في الأردن[٤٣] قلت: وقد ذكر لي المسعودي من قراهم: ١- قرية بالوظة ٢- قرية رُمّانة ٣- قرية ٦ اكتوبر (أبو حمرا).

قال الأحيوي: ووفقًا لاحصاءات سنة ١٩٨٢م فإن عدد سكان قرى الأخارسة يبلغ ٥٧١٦ فعدد سكان رمّانة مع ما يتبعها من تجمعات بلغ آنذاك ٢٤٥٧ نسمة وبلغ عدد سكان بالوظة مع ما يتبعها من تجمعات ٢٢٤٩ نسمة وبلغ عدد سكان ٦ اكتوبر ١٠١٠ نسمة[٤٤].

العقبة: راشد بن حمدان الأحيوي المسعودي

الحواشي:

(١) «البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب». المقريزي، تحقيق د. عبدالمجيد عابدين. عالم الكتب، القاهرة، مصر ط١ / ١٩٦١م ص ٦١- ٦٢.

(٢) المصدر السابق، المقدمة: ص ٥.

(٣) «قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان». القلقشندي، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط٢ / ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، ص ٨٧.

(٤) «نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب»، القلقشندي، تحقيق إبراهيم الابياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ط٢ / ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ص ١٦٦.

(٥) المصدر السابق ص ١٨٤.

(٦) المصدر السابق ص ٣١٤.

(٧) «قلائد الجمان» ص ٨٦.

(٨) المصدر السابق ص ٨٧.

(٩) «البيان والاعراب» ص ٣.

(١٠) «نهاية الأرب» ص ١٩٥. وانظر «صبح الأعشى في صناعة الانشاء». القلقشندي. وزارة الثقافة المصرية، القاهرة، مصر، ج١ ص ٣٢٢- ٣٢٣.

(١١) «البيان والاعراب» ص ٥- ٦.

(١٢) «الكامل في التاريخ». ابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع [دار صادر]. بيروت لبنان ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م مجلد ١١ ص٥٤٦، «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة». جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الاتابكي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١ / ١٤١٣هـ ١٩٩٢م، ج٦ ص ٣٢.

(١٣) «تاج العروس من جواهر القاموس». الزبيدي، المطبعة الأميرية، مصر ١٣٠٧هـ ج٨ ص ٢٨٨ (درم).

(١٤) «الكامل في التاريخ» مجلد ١١ ص ٥٤٦. (١٥) «البيان والاعراب» ص ٤.

(١٦) «صفة جزيرة العرب». الهمداني، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار الشؤون الثقافية آفاق عربية، الأعظمية - بغداد - العراق ط٣/ ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص ٢٤٣- ٢٤٤. (١٧) «العرب» س ٢٩ ص ٣٨٩.

(١٨) «موسوعة القبائل العربية». محمد سليمان الطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط١/ ١٤١٤هـ ١٩٩٣م ص ٦١٠. (١٩) المصدر السابق حاشية ص ٦١٠.

(٢٠) المصدر السابق حاشية ص ٦٠٥. (٢١) المصدر السابق ص ٦٠٠.

(٢٢) مجلة «المحروسة» (القاهرة، مصر) عدد ٤٥ الصادر بتاريخ ٧/ ١٠/ ١٩٩٣م، ص ١٠.

(٢٣) «قلائد الجمان» ص ٢٠٦ وانظر صفحة و، ك من المقدمة ولوحة رقم ٤ بعد المقدمة.

(٢٤) «العرب» س ٢٩ ص ٣٨٥- ٣٨٦.

(٢٥) انظر أبحاثنا عن البياضية («العرب» س ٢٩ ص ٣٨٤- ٣٩٠) وعن النفيعات («العرب» س ٢٩ ص ٥٣٥- ٥٤٤) وعن العزازمة («العرب» س ٢٩ ص ٧٣٦- ٧٥٤).

(٢٦) «موسوعة القبائل العربية» ص ٥٣. (٢٧) المصدر السابق ص ٦٤٩.

(٢٨) «سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب». السويدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ص ١٠١.

(٢٩) جريدة «اللواء» (عمان، الأردن) عدد ١١٠٣ ص ١٣. (٣٠) المصدر السابق عدد ١١٠٣ ص ١٣.

(٣١) «الاعلام». خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ط٦/ ١٩٨٤م مجلد ٦ ص ٤٢.

(٣٢) «سبائك الذهب» ص ١٢٠.

(٣٣) «تاريخ سيناء» نعوم شقير، مطبعة المعارف، القاهرة، مصر ١٩١٦م ص ١٢٢.

(٣٤) المصدر السابق ص ١٢٣. (٣٥) المصدر السابق ص ١٨٦.

(٣٦) المصدر السابق ص ٢٧٤ و٢٦٣. (٣٧) المصدر السابق ص ٥ و١٦.

(٣٨) SONS OF ISHMAEL BY: G. W. MURRAY. LONDON. 1935. P252.

(٣٩) DIE BEDUINEN BY: MAX FREIHERR VON OPPENHEIM, OTTO HARRASSOWITZ. LEIPZIG 1943, BAND II P141, 142.

(٤٠) «سيناء الأرض والحرب والبشر». سالم اليماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ١٩٧٥م، ص ٢٠٦.

(٤١) «سيناء الموقع والتاريخ» عبده مباشر واسلام توفيق، دار المعارف، القاهرة، مصر ١٩٧٨م، ص ٢٤.

(٤٢) «سيناء الأرض والحرب والبشر» ص ٢٠٦. (٤٣) «موسوعة القبائل العربية» ص ٦١٠ و٦١١.

(٤٤) «سكان شبه جزيرة سيناء». أ. د. أحمد علي اسماعيل، الجمعية الجغرافية الكويتية، الكويت عدد ٨٣ صفر ١٤٠٦هـ نوفمبر ١٩٨٥ ص ٤٤ و٤٥.

«الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى»

وصل إلى مجلة «العرب» كتاب بعنوان: «الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى (تراث منسي)» من تأليف الأستاذة الجامعية الأمريكية (ماريا روزا مونيكال)، تعريب الدكتور صالح بن معيض الغامدي، ونشر (جامعة الملك سعود) عام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

يقع هذا الكتاب في (٢٧٣) صفحة من القطع المتوسط، ويحتوي على مقدمتين (إحداهما للمترجم والأخرى خصت المؤلفة بها الترجمة العربية لكتابها) وتمهيد، وستة فصول، وقائمة بالمراجع وملحق، وثبت المصطلحات، وكشاف عام للموضوعات.

ويناقش هذا الكتاب أثر الثقافة العربية والأدب العربي على الآداب والثقافات الأوروبية في القرون الوسطى، وتنطلق مؤلفة الكتاب من فرضية مؤداها أن مؤرخي الآداب الأوربية قد تجاهلوا الدور الرائد الذي أدته الثقافة العربية الإسلامية في تطور الثقافة الأوروبية أو همشوه لأسباب مذهبية أو دينية تناقشها بإسهاب في الفصل الأول من هذا الكتاب. وتقترح المؤلفة في الفصل الثاني، إعادة كتابة تاريخ الآداب الأوروبية بطريقة جديدة تأخذ في الحسبان الحضور الثقافي العربي في أوروبا (خصوصًا في صقلية والأندلس) طوال أكثر من سبعة قرون. وترى الباحثة أن في عد الثقافة العربية والأدب العربي مكونًا أساسيًّا من مكونات الآداب الأوروبية إثراءً لهذه الآداب.

أما الفصول الأربعة الأخرى فهي ذات طابع تطبيقي تحلل فيها الباحثة من خلال منهج مقارن مجموعة من النصوص العربية والأوروبية الشعرية والنثرية لتؤكد الصلات الوثيقة بينها تبين أبعاد الأثر العربي على كثير من النصوص الأوروبية الغربية.

فالفصل الثالث (أقدم قضية: الحب الرفيع) يخصص لمناقشة مدى تأثير الشعر العربي على شعر التروبادور، ويخصص الفصل الرابع (أحدث اكتشاف: الموشحات لمناقشة الموشحات وصلاتها ببعض الأشكال الشعرية الأوروبية.

أما الفصل الخامس: (إيطاليا ودانتي وقلق التأثير) فيخصص لمناقشة مدى تأثر دانتي بالمصادر العربية الإسلامية عند كتابته «الكوميديا الإلهية». أما الفصل السادس: (قراء آخرون وقراءات أخرى) فتخصصه المؤلفة لمناقشة بعض الموضوعات الواعدة التي يمكن أن يدرسها الباحثون مستقبلاً والتي يمكن أن ترسخ الصلات الثقافية بين العالم العربي الإسلامي والعالم الغربي في القرون الوسطى وتبين مدى تأثر الغرب بالثقافة العربية الإسلامية آنذاك.

والحقيقة أن أهمية هذا الكتاب تكمن في الأمور التالية التي ذكرها المعرب في مقدمته وهي: أن المؤلفة تقدم في الكتاب أطروحة تتسم بالشمولية والجدة، وأنها تبدو أكثر موضوعية في تناولها لهذا الموضوع لكونها ليست مستشرقة أو مستعربة تقليدية، وأنها تتبنى مفهومًا واسعًا للتأثير والتأثر، وأنها تحلل بعض النصوص الأدبية العربية بطريقة مقارنة تبدو مفيدة ومثمرة بالنسبة لدارس الأدب العربي في الأندلس وصقلية عمومًا، ودارس الأدب العربي المقارن خصوصًا.

وعلى الرغم من أن تعريب هذا الكتاب موجهة إلى دارسي الأدب العربي عمومًا والمقارن خصوصًا، إلا أنها مفيدة لكل من هو مهتم بدراسة الحضور العربي الإسلامي في أوروبا في القرون الوسطى سياسيًّا ودينيًّا وثقافيًّا وحضاريًّا.

«العرب»: يحسن للتوسع لإدراك الآثار العربية من أدبية وغيرها من مختلف العلوم والفنون الرجوع إلى كتاب «الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس» تأليف الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي، ففيه تفصيل واف عما أشارت إليه المؤلفة الفاضلة.

فهارس السنة الخامسة والثلاثين

١- الكُتّاب والمعلقون. ٢- الموضوعات العامة. ٣- الأعلام.
٤- الأسَر والقبائل والجماعات. ٥- الكتب والصحف والمجلات.
٦- المواضع. ٧- الشعر والشعراء.

أولاً: الكتاب والمعلقون

ثانياً: الموضوعات العامة

ثالثاً: الأعلام

رابعاً: الأسر والقبائل والجماعات

خامساً: الكتب والصحف والمجلات

سادساً: المواضع

سابعًا: الشعر والشعراء

تنبيه

أخي الكريم

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بهذا الجزء ينتهي اشتراكك لهذه السنة

يرجى إذا رغبت التجديد

تحويل قيمة اشتراك السنة القادمة

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه

إدارة مجلة العرب